مسعود ضاهر



الهجرة اللبنانية الى مصر

دار الشروق

هجرة الشوام

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٩

رقــم الإيداع ٢٥٠٧٧/٢٠٠٨
ISBN 978-977-09-2598-1

٨ شــارع سيبويــه المصــرى
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكــس: ٢٤٠٣٧٥٦٧(٢٠٢) +
e-mail: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

مسعود ضاهر



الهجرة اللبنانية الى مصر

دار الشروق

إهــــداء

إلى أنطون مارون

إلى رفيق جبور

وإلى رفاق لهما استشهدوا في سجون الاحتلال البريطاني

وعمّقوا ارتباط اللبنانيين الدائم بقضايا العرب الوطنية والقومية

فكانوا مشاعل لها ووقودًا لمعارك الحرية فيها.

مسعود ضاهر

المحتويات

مقدمات منهجية لدراسة
هجرة الشوام إلى مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين

(أ)

هاجر السوريون واللبنانيون إلى مصر بأعداد كبيرة قياسًا إلى عدد السكان المحليين في المناطق السورية واللبنانية. منهم من هاجر إليها طلبًا للحرية السياسية كبعض الكتّاب والمثقفين والشعراء والصحافيين، ومنهم من هاجر بدافع الظروف الاقتصادية على اختلاف أنواعها. ولعبت العائلية دورًا أساسيًا في جذب الشوام إلى مصر، فكانت تستقطب المهاجرين تباعًا على قاعدة الأقرب أولًا ثم الدرجة الثانية فالثالثة من القرابة، ثم أبناء القرية والمنطقة.

وكانت معظم الشركات الأجنبية العاملة في مصر، وهي كثيرة، تعتمد بشكل أساسي على الشوام بسبب معرفتهم للغة العربية وإحدى اللغات الأجنبية. ولما كان الاقتصاد المصري في قبضة الشركات والبنوك الأجنبية، من زراعة القطن حتى قناة السويس، اتسعت آفاق العمل كثيرًا أمام الشوام. كانت الكفاءة الشخصية تلعب دورًا أساسيًا في إفساح مجال العمل أمام المهاجر لأن مصلحة الشركة تقتضي التعاون مع صاحب الكفاءة، لكن الظروف التاريخية كانت ملائمة جدًا لعمل الشوام أكثر من سواهم. فالكفاءة الشخصية، ومعرفة اللغات، وسرعة التكيف، والإخلاص في العمل، والخبرة التاريخية في مجال الخدمات، والانفتاح القديم على الغرب، وغيرها من الأسباب جعلت الشوام، وغالبيتهم من المسيحيين، يلعبون دورًا مميزًا في مصر. ذلك الواقع يفسر، إلى حد بعيد، أن المسألة لم تكن طائفية بل مصلحية وإلا لكان الأقباط أول المستفيدين من انفتاح مصر على الغرب وهم تضرروا كثيرًا من

هجرة الشوام وباقي الجاليات الأوربية إليها، وانصب كرههم على مسيحيي الشوام أكثر من سواهم.

إن ظروفًا ملائمة أفسحتها مصر أمام الشوام فانتقلوا إليها بأعداد كبيرة في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ولعبوا أدوارًا كبيرة في جميع المجالات، وأصبحت لهم ثروات طائلة وقصور فخمة، ومراكز نفوذ ذات تأثير مهم على القرار السياسي المصري. وتزايد عددهم حتى ناهز مائة ألف مهاجر.

وتمتعت فئة كبيرة من الشوام بغنى فاحش. ويمكن القول، بكثير من الدقة: إن نسبة الفقراء بينهم لم تكن كبيرة ولا يمكن مقارنة هؤلاء بفقراء المجتمع المصري بل بالفئات الميسورة أو المتوسطة منه. وكان معظم فقراء الشوام يعملون عند الأغنياء منهم، ولهم نواديهم ومؤسساتهم الخيرية الخاصة التي تعني بهم وبأبنائهم. فلم يشعروا بالجوع والبطالة والعجز عن التطبيب وتعليم الأولاد وغير ذلك. فتعبير «فقراء الشوام» يشير، في الحقيقة، إلى الفئة الاجتماعية التي لم تكن تمتلك ثروة هامة، إنما لديها شروط الحياة الاجتماعية الكريمة والعمل الشريف. فلم يكن منهم متسولون أو عاطلون عن العمل، أو فقراء معدمون يسكنون أكواخ التنك وسواها. كان لأغنياء الشوام دور أساسي في احتضان أبناء طوائفهم وبلدانهم، إذ قدموا لهم كل مساعدة، بالإضافة إلى مساعدات كثيرة نالتها منهم المؤسسات الخيرية المصرية. ويمكن تقديم الكثير من الأمثلة التي تثبت أن أبناء الفقراء من الشوام تحولوا إلى موظفين أو تجار أو مالكين كبار بفضل المساعدات التي قدمها لهم أغنياء الشوام. ويلاحظ أن طوائف الشوام حافظت، بصورة عامة، على تمايزها عن بعضها من جهة، وعن سائر الطوائف القاطنة في المجتمع المصري من جهة أخرى. فكان هناك انتقال محدود من الموارنة أو الكاثوليك أو الأرثوذكس أو سواهم بعضهم إلى بعض. لذلك حافظت كل طائفة، في الغالب، على جماعتها. ويلاحظ أيضًا انتقال بعض أبناء الطوائف المسيحية المصرية، خاصة من الأقباط، إلى الطوائف الشامية المسيحية، وبشكل أخص الموارنة، ومنهم من نال الجنسية اللبنانية لاحقًا. فقاد انغلاق الطوائف على نفسها إلى تزاوجها الداخلي بالدرجة الأولى، مع انفتاح على تزاوج الطوائف المسيحية من الشوام بعضها مع بعض وبنسبة أقل مع أقباط مصر. أما التزاوج بينها وبين المسلمين، من الشوام والمصريين على السواء، فكان نادرًا جدًا.

لقد تبلور هاجس التمايز بين طوائف الشوام المسيحية في مصر بعد تزايد هجرة الشوام إليها. فهم عاشوا في البداية عائلة واحدة في جميع المدن المصرية التي حلوا فيها دون فارق كبير بين ماروني وكاثوليكي وأرثوذكسي وغيرهم. وكثيرًا ما كان كاهن إحدى الطوائف يقوم بخدمة القداس في كنيسة الطائفة الأخرى ويُجري عقود الزواج والطلاق ويسجل الوفيات والولادة وسواها. كان الأرثوذكس، ولسنوات طويلة من القرن العشرين، الطائفة الأكثر عددًا بين مهاجري الشوام إلى مصر وفدوا إليها من المدن السورية أو الفلسطينية ومن بعض مناطق لبنان. يليهم في العدد الروم الكاثوليك الذين بلغ تعدادهم قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية قرابة الأربعين ألفًا في مصر. وحلّ الموارنة في المرتبة الثالثة من حيث العدد وبلغ مجموعهم، في أقصى مداه، قرابة ثمانية عشر ألف مهاجر ومهاجرة، تليهم طوائف السريان والكلدان والأرمن وسواهم. وكانت هناك أيضًا أعداد هامة من الطوائف الإسلامية اللبنانية خاصة إبان فترة ما بين الحربين العالميتين، كانت غالبيتهم الساحقة من السنة مع بعض الشيعة والدروز. كانت العلاقات الاجتماعية بين طوائف الشوام في مصر عادية جدًا ولم تكن متوترة كما في سوريا ولبنان. ويعود الفضل في ذلك إلى المجتمع المصري نفسه الذي صهر أبناءه والقاطنين بينهم في جميع المجالات ولم يسمح أن تكون مدارس الجمعيات الخيرية الطائفية حكرًا على أبناء الطائفة دون سواهم بل مفتوحة أمام جميع القاطنين على أرض مصر. فمدرسة مار يوسف المارونية في القاهرة تضم الآن مصريين من جميع الطوائف، وهم بغالبيتهم الساحقة، من أبناء الطوائف الإسلامية. وكل مدرسة ترفض تسجيل الطلاب على أساس طائفي تغلق. وقد ساهمت تلك التدابير في الاندماج السكني والطائفي بشكل فاعل.

ولا يمكن فهم دور الجالية السورية ـ اللبنانية خلال سيطرة الأجانب على مصر إلا من خلال تبعيتها لهم وموقع أبنائها في إطار الوساطة بينهم وبين الشعب المصري وصولًا إلى قبائل السودان. ولعبت اللغة دورًا أساسيًا في بروز السوريين واللبنانيين في مصر. فهم يمتلكون العربية إلى جانب الفرنسية أو الإنجليزية وسواهما من اللغات الأوربية؛ وهذا ما تفتقره الجاليات الأوربية من فرنسية ويونانية وإنجليزية وإيطالية وسواها ويفتقر إليه أيضًا مثقفو الأقباط خاصة والمصريين عامة. وهناك مقولة تشدد على فهم دور وحيد الجانب للشوام في مصر أي الوساطة في جميع المجالات. ذاك

الدور موجود فعلًا ولا يمكن التقليل من شأنه أو عدم التركيز عليه، لكن الاكتفاء به يشكل انتقاصًا للحقيقة العلمية يدحضه الواقع نفسه. فإلى جانب الوساطة كان هناك دور طليعي ممتاز للشوام في تحديث المجتمع المصري وعصرنته. وليس صحيحًا إبرازه بشكل رومانسي كما يفعل بعض المؤرخين الطائفيين اللبنانيين وذلك بالتشديد على «دور اللبناني في نهضة مصر وتطويرها ونقلها من التقليد إلى الحداثة»، بل بتحليل الواقع الموضوعي لتطور المجتمع المصري آنذاك. فكان للسوريين واللبنانيين، كما كان للكثير من اليونان والفرنسيين والإيطاليين والإنجليز وغيرهم دور هام في استقدام نماذج عصرية يتطلبها المجتمع المصري في المرحلة التي وصل إليها. كانت للشوام مصلحة مباشرة في فتح مصانع ضخمة على أساس أحدث الوسائل الأوربية، كمصانع الصابون، ومصانع للزيوت، وحلج القطن، والعطور، والتبغ، والأنسجة وغيرها الكثير. وكان لهم دور طليعي وبارز في مجال العمل الصحفي، وتحديث آلات الطباعة والنشر والتوزيع واللغة الصحفية نفسها. كذلك نشطوا في مجال العمل التجاري والمصرفي والزراعي والثقافي والمهن الحرة. بكلمة موجزة يمكن القول: إن السوريين واللبنانيين أو الشوام بشكل عام عرفوا كيف يختارون موقعهم الطليعي في حركة مجتمع مصري ينمو بسرعة ويتبدل باستمرار على طريق العصرنة. فجمعوا ثروات طائلة من جهة، وكانت لهم منزلة مميزة في هذا المجتمع العربي الذي أفسح لهم المجال واسعًا كي يندمجوا فيه باستثناء قلة فضلت الارتباط بالأجنبي ولم تفكر بالبقاء في مصر بعد رحيل الأجانب عنها.

لقد نجح اللبنانيون كثيرًا في مجالات عملهم، وأقام بعضهم صلات وثيقة بالمجتمع المصري فأحبهم المصريون. وأظهر كثير من المثقفين وأصحاب السلطة السياسية المصرية إعجابهم باستمرار بنشاط اللبنانيين ودورهم الهام في النهضة العربية العامة، عبر الساحتين المصرية واللبنانية بشكل خاص. ولا ينطبق التعميم على جميع المهاجرين اللبنانيين في مصر. فمنهم من أحبها فعلًا، ومنهم من خادع وتملق ونافق طلبًا للثروة والمال والنفوذ، ومنهم من كره مصر والمصريين وتعصب طائفيًا وغادر أرض مصر حاملًا الحقد على سكانها.

لقد حافظ بعض الشوام على عصبية ضيقة، إقليمية أو طائفية في معظم الأحيان، وتعاطف مع المستعمر الخارجي وأصبح عونًا له على حساب الشعب المصري

وكرامة بلاده. وعمل بعض الشوام على نشر فكرة القومية العربية العلمانية في مصر وغيرها من الأقطار العربية. وكانت بعض التيارات السياسية المصرية تشدد على فكرة وجود شعوب عربية وليس شعبًا عربيًا واحدًا، وبعضها يقول بوحدة الأمة الإسلامية بما يتجاوز الحدود الإقليمية الضيقة التي رسمها الاستعمار الأجنبي. وتقوّت فكرة عروبة مصر كثيرًا أيام الرئيس جمال عبد الناصر. لكن قرارات التأميم جعلت الأغنياء، من مصريين وشوام وأجانب على السواء، يعارضونه بشدة. وغادر معظمهم أرض مصر بعد أن فشلوا في منع تنفيذ تلك القرارات. هكذا بدأ شعار «مصر للمصريين» يتحقق على أرض الواقع، وهو شعار، أطلق أيام الزعيم سعد زغلول لكنه لم يطبق جديًا آنذاك. ولم يكن تطبيقه بعد التأميم موجهًا ضد السوريين واللبنانيين بل ضد جميع الأجانب ومستغلي الشعب المصري، ومنهم فئة واسعة من المصريين أنفسهم. فلم تصدر أية قرارات رسمية في مصر ضد الشوام ولم يعاملوا كالأجانب فيها ولم يشعروا قط أنهم غرباء على أرضها. لذلك أحبها كثير من اللبنانيين والسوريين من أبناء الطوائف المسيحية، ورفضوا مغادرتها على الرغم من قرارات التأميم التي طالت ممتلكاتهم وأراضيهم وتجارتهم ومعاملهم، وأمضوا أيامهم كلها فيها ودفنوا في تربتها، وذلك دليل كافٍ على شدة تعلقهم بها. لقد أفسحت لهم مصر مجالًا رحبًا للثروة والنفوذ والانطلاق الثقافي والفني والأدبي والمهن الحرة وسواها. فأحبوها كثيرًا واعتبرها بعضهم بلده الأساسي وفضّلها على موطن الآباء والأجداد في سوريا ولبنان.

يتضح من ذلك أن الأجيال المتعاقبة من المهاجرين الشوام إلى مصر لعبت أدوارًا متنوعة، تبعًا للموقع والنفوذ والمصلحة الشخصية والطبقية. ولا يمكن حصر تلك الأدوار بجانب واحد كما يفعل بعض كتبة تاريخ تلك المرحلة. فلم يكن جميع الشوام من الخونة والجواسيس وعملاء الإنجليز، ولم يتمتعوا جميعهم بالغنى الفاحش، والقصور الفخمة، والنفوذ السياسي والاقتصادي. ولا تستقيم الرؤية العلمية المنهجية حول هجرة الشوام إلى مصر إلا بربطها الوثيق بتاريخ الشعب المصري. فالشرائح الطبقية لفئات المهاجرين تندرج في إطار فئات وطبقات الشعب المصري نفسه. فقد تشكل أرستقراطيو الشوام في مصر كجزء لا يتجزأ من الأرستقراطية المصرية في ظل الاحتلال والسيطرة البريطانية. كذلك الشرائح الأخرى للشوام

من صحافيين، وحرفيين، وموظفين، وملّاكين كبار، وبورجوازية صغيرة، وفقراء، ومعدمين وغيرهم. ولم يكن بمقدور مهاجري الشوام خلال مرحلة تناهز مائة عام أن يتشكلوا كشرائح اجتماعية معزولة عن المجتمع المصري.

أما تشبيه الشوام بالجاليات الأوربية القاطنة في مصر فيحمل الكثير من التجني عليهم، لأن روابط عديدة كانت تشد الشوام إلى الشعب المصري حتى إن الكثير منهم، خاصة أبناء الطوائف الإسلامية من الشوام، كانوا يندمجون بالمصريين فور وصولهم إلى مصر. ونحن نميل إلى دراسة هجرة الشوام إلى مصر كحركة انتقال طبيعية بين أبناء المناطق الواحدة ذات الروابط التاريخية والجغرافية والدينية والإرادة على العيش المشترك، أي الروابط الوثيقة إلى درجة التطابق. لذلك اختار عدد كبير من الشوام الجنسية المصرية بعد الحرب العالمية الأولى، كما أن غالبية من اختار منهم الجنسية اللبنانية أو السورية أو الفلسطينية حافظوا في الوقت نفسه على الجنسية المصرية. هكذا تندرج هجرة الشوام إلى مصر في إطار عملية الجذب السكاني الذي يسود العالم باستمرار. فهناك حراكية سكانية مستمرة من المناطق الفقيرة إلى المناطق الغنية. وتنتج عملية الاستقرار والتدامج عن الاختلاط السكاني والمصلحة المادية والاستقرار النفسي والتوجهات السياسية للمجتمع الجديد. ومنذ أواسط القرن العشرين تحولت مصر من بلد غني بالموارد الطبيعية يؤمه المهاجرون بكثرة إلى بلد يعاني أزمات حادة ويصدّر مهاجرين إلى مختلف بقاع الدنيا بسبب الكثافة السكانية الكبيرة فيه. وساهمت قرارات التأميم إلى جانب الكثافة السكانية والضائقة الاقتصادية في إسدال الستار على هجرة الشوام وغيرهم إلى مصر.

(ب)

لقد حاولنا في هذه الدراسة تقديم لوحة مكثفة حول هجرة الشوام إلى مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين. ولم يكن اختيار التوقيت الزمني اعتباطيًا، إذ تتحدد خلاله السمات الأساسية لتلك الهجرة التي لم تبق مقتصرة على أعداد قليلة من المهاجرين إلى دمياط وبعض المدن المصرية الأخرى. فمنذ أواسط القرن التاسع عشر ازداد سيل المهاجرة إلى مصر بشكل عمودي حتى ناهز

مائة ألف في أواسط القرن العشرين وذلك من مختلف الطوائف والمناطق في بلاد الشام. وهناك صعوبة كبيرة في تحديد تلك المناطق. فبلاد الشام في هذه الدراسة ليست تعبيرًا سياسيًا اعتمده عدد هام من الأحزاب الوحدوية في المشرق العربي منذ القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية. فبعضها حدد بلاد الشام أو سوريا كمساحة جغرافية تشمل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق وشرقي الأردن وأسماها سوريا الكبرى، أو سوريا الطبيعية، وبعضها الآخر حصرها ضمن الدويلات السورية التي أنشأها الانتداب الفرنسي وأسماها بالاتحاد السوري، أما تعبير الشوام في دراستنا فتقتصر دلالته فقط على مساحة جغرافية وفد منها المهاجرون إلى مصر وكانت لهم سمات متقاربة في المأكل والملبس، واللهجة، والعادات، والتقاليد، وسواها. فأطلق عليهم المصريون تسمية الشوام لتمايزهم عن جاليات أخرى كثيرة سكنت مختلف أرجاء مصر وتفاعلت مع شعبها. فالشوام بهذا المعنى، تعبير اصطلاحي يطلقه سكان البلد الذي يؤمّه المهاجرون فيتقبلونه طوعًا دونما حاجة إلى رفضه أو الاحتجاج عليه ولا يشكل أية إساءة لهم. وكانت للمصريين أيضًا تسميات كثيرة لتحديد الوافدين إلى أرضهم: فعرب المشرق هم «الشوام». وعرب المغرب هم «المغاربة»، والأوربيون هم «الأجانب»، وبقايا الأتراك والشركس هم «المماليك»، وأوربيو شرق أوربا هم، في الغالب، «يونان»... إلخ. واتسعت التسمية لتضم فئات متعددة من سكان وادي النيل نفسه الذين يرمز إليهم بعبارات «أهل الصعيد» و«أهل النوبة»، و«الأحباش» وغيرهم. وغني عن التوضيح أن تلك التسميات ليست دقيقة بل تعبير يطلقه الشعب المستقر ويسمِّي به المجموعات البشرية الوافدة للسكن على أرضه.

هكذا تتضح جوانب منهجية تلقي أضواء هامة لفهم الدراسة. فليس المقصود بالشوام طائفة، أو منطقة، أو دولة بعينها في المشرق العربي، قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، بل جميع من قدم مصر من المنطقة الممتدة ما بين بادية الشام والإسكندرونة وجبال اليمن، وهي الحزام الساحلي الشرقي للبحر المتوسط متوغلًا نحو دمشق وحلب والقدس. ونظرًا لاتساع هذه الرقعة الجغرافية فإن مشكلة التوثيق والمصادر تصبح ضربًا من المستحيل. فهل يمكن إحصاء مهاجري تلك المناطق إلى مصر خلال أكثر من قرنين من الزمن، تبدأ بالهجرة إلى دمياط وتنتهي بقرارات التأميم؟ الأعداد كبيرة جدًا والمسافة الزمنية شديدة الاتساع. أضف إلى ذلك أن

هناك صعوبات منهجية كثيرة لا يمكن تجاوزها في إطار دراسة فردية أو جماعية في هذا المجال. وهي تنبع من طبيعة المهاجر، حيث التنقل السريع وعدم الاستقرار من السمات الأساسية لشخصيته وسلوكه. وليست هناك سجلات قادرة على ضبط ذلك التنقل مهما بالغت الدولة في الحرص والدقة والرقابة. فالمهاجر في حركة دائمة: انتقال من مدينة إلى أخرى وإلى فروع جديدة، تجارة جديدة، أعمال متنوعة، سفر إلى الخارج للحصول على وكالات وسلع جديدة، أو للتخصص وإتقان اللغات والخبرة.. إلخ. هناك إذًا صعوبات جمّة في تتبع سيرة شخصية لعائلة مهاجر واحد على امتداد جيلين أو ثلاثة أجيال من الجد إلى الأب فالابن.

وقد رصدنا نماذج معبرة لبعض الأسر من خلال ذاكرة الأبناء والأحفاد، ولا ندَّعي القدرة على تقديم دراسة شاملة لجميع أسر الشوام في مصر: منابتها، أسباب هجرتها، أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية قبل الهجرة وبعدها، تركيبتها العائلية والطائفية، سلوكياتها الاجتماعية في مصر بين الاندماج والتقوقع، علاقتها بالقوى الفاعلة في المجتمع المصري أو المسيطرة عليه، مصادر ثروتها ونفوذها، أسباب نقمة المصريين على الجاليات الأجنبية وموقفهم من الشوام، المدلول الحقيقي لشعار «مصر للمصريين»، الهجرة مجددًا إلى الخارج بعد انتصار الثورة المصرية... هذه الأسئلة المنهجية والكثير من الأسئلة المشابهة والمتممة لها كانت في صلب دراستنا لهجرة الشوام إلى مصر. وكان لا بد من الانتقاء بين المصادر والوثائق في محاولة لتسليط الضوء على جوانب منها بحيث تنفتح آفاق جديدة ومستمرة لدراسة الجوانب الأخرى. فليس بالإمكان أن تلم دراسة واحدة أو عدة دراسات بتاريخ أكثر من مائة ألف مهاجر جاءوا من مناطق متباعدة في بلاد الشام واستقروا في أرجاء مصر الواسعة وتنقلوا هناك باستمرار. كان علينا أن نشرح خطتنا للعمل أمام القارئ، منذ البداية، حتى لا يتسرع بالحكم على الدراسة بعد تصفح العناوين الكبيرة.

هناك صعوبات توثيقية لا يمكن تجاوزها، إذ لا توجد إحصاءات دقيقة أو تقريبية حول جميع الشوام الذين تقاطروا إلى مصر، خاصة في القرن التاسع عشر، وما حصلنا عليه أحيانًا من إشارات في بعض الوثائق لا تحدد بدقة المصادر الجغرافية للمهاجرين. فكانت السجلات الأساسية تكتفي بذكر المهاجر مع إشارة إلى المنطقة التي قدم منها فيقال: طنوس الأسمر من جبل لبنان، أو إلياس الفلسطيني، أو جبرائيل

السوري. المسألة في غاية التعقيد، فكان لا بد من الانتقاء. هكذا تم اختيارنا للمصادر والوثائق على أساس دلالتها الواضحة فيما تتضمنه من معلومات. وكانت السجلات الكنسية لكل طائفة خير عون لنا لتقديم صورة سريعة عن المنابت الاجتماعية والجغرافية لعدد من أُسر المهاجرين، مع إقرارنا المسبق أنها سجلات ووثائق جزئية ومتحيِّزة وتطال فئة واحدة لتهمل فئات كثيرة.

كانت هناك صعوبة في تحديد المنابت الجغرافية «للشوام». فهناك أعداد كبيرة من حلب، ودمشق، وحمص، وحماه، والقدس، وحيفا، وبيروت، وطرابلس، وصيدا، وجبل لبنان، واللاذقية وغيرها. ونظرًا لغياب الأوراق الشخصية الثبوتية من تذاكر هوية وسواها، كان جميع المهاجرين يعتبرون كالمصريين تمامًا من رعايا السلطنة العثمانية. فتدامج البعض منهم مع الشعب المصري، خاصة مسلمي الشوام، وتمايز البعض الآخر وحافظ على تمايزه حتى تاريخ تحديد الهوية الحقوقية المعترف بها بقانون الجنسية حسب معاهدة لوزان لعام ١٩٢٤، والتي أعطت الحق لجميع رعايا السلطنة العثمانية السابقين باختيار الجنسية التي يرغبون. وكانت غالبية مهاجري هذا التيار من المسيحيين الشوام الذين احتفظوا بسجلات خاصة بهم في كنائسهم وأديرتهم ونواديهم وجمعياتهم ومدارسهم وسواها. وقد استندنا بشكل واسع إلى هذه السجلات لأنها تقدم أرقامًا ثابتة وأسماءً واضحة تساهم في تحديد جوانب أساسية من هجرة الشوام إلى مصر، خاصة اللبنانيين منهم أي الشريحة الأساسية من مهاجري الشوام التي اخترناها للدراسة في هذا البحث.

إن قراءة متعمقة لوثائق دراستنا تبرز بالملموس أنها تناولت مناطق جبل لبنان وزحلة وبيروت وصيدا وصور وطرابلس، مع نماذج قليلة من حلب ودمشق والقدس وحيفا واللاذقية وسواها من مدن الداخل السوري. وعلى الرغم من العنوان الواسع «هجرة الشوام إلى مصر»، تقتصر وثائقنا في مصادرها الشفوية والمكتوبة معًا على إبراز الهجرة اللبنانية إلى وادي النيل، مع إشارات إلى هجرة بعض الحلبيين والدمشقيين، وقلة فقط من سكان المدن الفلسطينية. وتجدر الإشارة إلى أن عددًا كبيرًا من الحلبيين والدمشقيين والفلسطينيين، المسيحيين منهم بشكل خاص، قد اختاروا الجنسية اللبنانية فيما بعد. لذلك آثرنا أن يكون عنوان بحثنا «الهجرة اللبنانية

إلى مصر» وهي الهجرة التي تندرج في الإطار الواسع لهجرة الشوام، أي دراسة الجزء في ظروف موضوعية تحد من قدرتنا على القيام بدراسة شمولية لها.

وكلنا أمل أن تدرس الجوانب الأخرى من هجرة الشوام إلى مصر على ضوء وثائق فلسطينية وسورية وأردنية، بحيث تتكامل فعلًا في إطار العنوان العام الذي أطلقه المصريون على من قدم إليهم من المشرق العربي أي «الشوام في مصر». لذلك وجدنا لزاما علينا توضيح هذا الجانب المنهجي لتبرير العنوان. فليست هناك تسمية تاريخية تبرر فصل اللبنانيين عن السوريين والفلسطينيين والأردنيين في مصر، لأنهم كانوا جميعًا من الشوام وشكلوا معًا جالية واحدة عرفت بهذا الاسم، وكانت السجلات الكنسية، وسجلات الأديرة، وسجلات الأزهر، وسجلات النوادي والجمعيات الخيرية وسواها تتعاطى معهم ككتلة بشرية واحدة لها عاداتها وتقاليدها، وتتزاوج فيما بينها، وتقيم حفلاتها وأعيادها معًا. فلم يكن هناك لبنانيون أو سوريون أو فلسطينيون أو أردنيون في مصر بل كانوا جميعًا من الشوام. واستمرت التسمية سنوات طويلة بعد إعلان دول لبنان وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن، واستمر المواطن المصري والدولة المصرية تنظر إليهم كشوام. وهذه الدراسة تحللهم على هذا الأساس لكنها، ولأسباب موضوعية ناتجة عن ظروف الحرب اللبنانية وصعوبة التوثيق والاطلاع على السجلات السورية والأردنية، واستحالة الاطلاع على السجلات الأساسية لتلك الهجرة داخل فلسطين والضفة الغربية المحتلة، هذه الأسباب مجتمعة جعلتنا نحصر الدراسة بالمهاجرين اللبنانيين في مصر كجزء من هجرة الشوام إليها، وذلك على أمل أن تستكمل الجوانب الأخرى في السنوات القادمة وعلى أيدي باحثين مؤهلين لاستكمال الدراسة.

أما الفرضيات المنهجية التي استندنا إليها لتحليل الهجرة فتجد تفسيرها في المقولة التأريخية المعروفة «إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها». لذلك حرصنا كثيرًا على تقديم إحصاءات ونماذج غير منشورة سابقًا. وسعينا جاهدين كي تأتي الدراسة بكاملها، أو على الأقل في الجانب الأكبر منها، مستندة إلى مصادر ووثائق أصلية وبعيدة كل البعد عن الأدلجة، والنظريات المسبقة غير المدعومة بالوثائق. فتنوعت مصادرنا كثيرًا بين النص المكتوب والنص الشفوي، بين سجلات الكنائس والأديرة وسجلات غرف التجارة والصناعة، بين أرشيف النوادي والجمعيات

والأرشيف الخاص لعدد من الذين عايشوا هذه المرحلة وساهموا في صنعها، بين الذكريات المنشورة في الصحف والمجلات والمذكرات الخاصة وبين ذاكرة الأبناء والأحفاد والأصدقاء والأقارب.

هكذا تنوعت مصادر الدراسة حتى شكلت غنى وثائقيًا ينشر للمرة الأولى ويقدم مادة غنية جدًا تساهم في إبراز نظرية علمية دقيقة حول هجرة الشوام إلى مصر.

ونرى لزامًا علينا توضيح جانب منهجي نعتبره بالغ الأهمية لفهم المنطلق النظري لبحثنا. فقد درجت العادة لدى كثير من المؤرخين على استبعاد المصدر الشفوي كمصدر أساسي في الكتابة التاريخية العلمية، ولم يكن يركن إليه إلا في حالات انعدام المرجع المكتوب. فجاءت هذه الدراسة ردًا على دعاة التأريخ المستند فقط إلى المصدر المكتوب وذلك باستنادها، وبشكل واسع، إلى المصدر الشفوي، منفردًا أحيانًا أو مدموجًا بالمصدر المكتوب في معظم الأحيان. فليست هناك أفضلية مطلقة للمصدر المكتوب على المصدر الشفوي ولا فضل لأحدهما على الآخر إلا بمقدار ما يوضح من حقائق تاريخية. لقد عملنا جاهدين كي تبرز هذه الدراسة جديدًا في المصادر، ومعظمها مصادر أصلية، وجديدًا في المنهج حيث تدامج النص الشفوي مع النص المكتوب لنقدم حقائق تاريخية أقرب ما تكون إلى الحقيقة العلمية التي يمكن الاطمئنان إليها. وقد دل حوارنا مع عدد واسع من الشخصيات ذات المواقع الاجتماعية الشديدة التنوع وذات الصلة الوثيقة بهجرة الشوام إلى مصر (رجال سياسة، علماء، أدباء، فنانون، عمّال، حرفيون، رجال دين، أطباء، مهندسون... إلخ) إن المحصلة النهائية لأفكارهم أعطت البحث أهمية خاصة لم يكن بالإمكان الوصول إليها بالاستناد فقط إلى المصدر المكتوب أو إلى فرضياتنا دون سواها.

ولفهم أدق لهذا البحث العلمي نقول: إننا حاولنا تطبيق رؤيتنا المنهجية بضرورة العمل الجماعي في مجال الكتابة التاريخية، ولم يكن بالإمكان إشراك عدد من المؤرخين في دراستنا، وهو منهج أصبح مألوفًا في شرق أوربا وغربها بالإضافة إلى عدد كبير من دول العالم. لكن ما نود توضيحه أن فرضياتنا جاءت نتاج نقاش علمي هادئ مع عدد كبير من الشخصيات العلمية التي اتصلنا بها وحاورناها مطولًا على امتداد ثلاث سنوات، هي فترة إعداد للدراسة. فلم يكن لقاؤنا مع المهاجر أو ابنه ونسيبه، ومع الطالب الذي تلقى علومه في مصر وعاد إلى لبنان، ومع الصحافي

والأستاذ الجامعي والفيلسوف والمؤرخ والعالم والفنان والسياسي والتاجر وغيرهم ممن لهم علاقة بهجرة الشوام إلى مصر واستقروا فيها أو عادوا إلى لبنان، لم يكن لقاؤنا معهم على شكل ريبورتاج صحفي، بل كان حوارًا علميًا مفتوحًا تناول أسباب الهجرة والاندماج، ومصادر الثروة، وأثر الطائفية، وقرارات التأميم، والموقف من الاحتلال البريطاني، والزواج، والطلاق، والسكن، والعادات، والهجرة المضادة، وكل ما يمكن أن يقوم به المهاجر في مصر. لقد حاورنا بعض أحفاد المهاجرين الذين استقروا في مصر وتمصروا وبعض من عاد منهم إلى لبنان وتلبننوا، كما حاورنا عددًا من الذين حافظوا على الجنسيتين معًا. حاورنا بعضهم في مصر والبعض الآخر في لبنان، وحبذا لو استطعنا الحوار مع بعض من ترك مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا لإبراز جانب هام من هذه الدراسة: لماذا توجهت الهجرة المضادة بعد قرارات التأميم في مصر إلى أمريكا وأستراليا وليس إلى لبنان وسوريا؟ سؤال منهجي بالغ الأهمية تلمّسنا بعض جوانب الإجابة عليه، لكنه بحاجة ماسة إلى دراسة مستقلة ذات قيمة علمية لا تقدر بثمن. فأفردنا خاتمة البحث لإلقاء ضوء سريع على الهجرة المضادة للشوام من مصر وكلنا أمل أن تحظى ببحث مطوّل يأتي مكملاً لهذه الدراسة ويساعد في إغنائها وتطويرها. ورجاؤنا ألا يتسرع القارئ في الحكم على دراستنا استنادًا إلى أحد فصولها أو عناوينها فقد حرصنا على تماسكها الشديد، وعلى دمج المتن بالهامش، والمصدر الشفوي بالمصدر المكتوب، والفصول بالملاحق، والتعليل والتوثيق بالاستنتاج. أما الثغرات فتقوّم بالنقد البنّاء المستند إلى مزيد من الإحصاء والوثائق الجديدة، لأن ما يبني على الأدلجة والتنظير السطحي مصيره إلى زوال أكيد، وما بني على صلابة التوثيق العلمي باقٍ لخدمة الأجيال اللاحقة من الباحثين المدققين.

بقي أن نشير إلى سلبيات كثيرة رافقت الإعداد لهذه الدراسة وتعذّر علينا تلافيها لأسباب موضوعية. فالحرب الدائرة في لبنان منذ أكثر من عشر سنوات جعلت إمكانية التوثيق العلمي الداخلي شبه مستحيلة. لقد تعذّر الاتصال بين منطقة وأخرى، وأتلفت محتويات مكتبات عديدة، خاصة وعامة، وعجزنا عن الاطلاع على كثير من المصادر والوثائق وإجراء مقابلات شخصية كان بالإمكان الاستفادة منها في أجواء طبيعية وتشكّل غنىً وثائقيًا إضافيًا لهذا البحث. فكان علينا أن نتلافى بعض الثغرات

بالاستفادة من الوثائق اللبنانية وبالاستناد إلى السجلات والمصادر المصرية. وساهمت الجامعة اللبنانية بدور إيجابي كبير إذ غطت نفقات السفر والإقامة للاطلاع على جانب مهم من وثائق الهجرة اللبنانية الموجودة في مصر. وبدون ذلك الدعم، المادي المعنوي، لم يكن بالإمكان القيام بدراسة تاريخية تمتاز بهذا الجهد العلمي. وكلنا أمل أن بحثنا هذا الذي تم إعداده في رحاب الجامعة اللبنانية وتحت رعايتها وأبصر النور ضمن منشوراتها، يشكّل لبنة صالحة في مدماك الدراسات التاريخية العلمية حول لبنان والمشرق العربي الحديث والمعاصر.

بيروت، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥

الدكتور مسعود ضاهر
أستاذ تاريخ لبنان الحديث
والمعاصر في الجامعة اللبنانية

الباب الأول
بحثًا عن الأصول والاتجاهات الأولى لهجـــرة الشـــوام إلى مصـــر

الفصل الأول

التعريف بالمصادر(*)

سجلات مركز الدراسات الشرقية المسيحية في دير الفرنسيسكان بالموسكي ـ القاهرة

تتضمن هذه السجلات وثائق بالغة الأهمية حول الأجانب الذين سكنوا مصر. وتبرز من خلالها بعض الوثائق القديمة التي تتحدث عن الشوام في مصر من الذين ارتبطوا بالأوربيين منذ القرن السابع عشر. كان لمدير المكتبة الأب منصور مستريح، وهو سوري الجنسية من جسر الشغور ويتقن الفرنسية والإنجليزية واللاتينية والإيطالية بالإضافة إلى العربية، الفضل الكبير في تعريفنا على بعض محتويات المكتبة الغنية جدًا وترجمة أخبار الشوام في مصر التي كتبت بإحدى اللغتين اللاتينية أو الإيطالية[1] وتتضمن سجلات الشوام أسماء الذين هاجروا إلى مصر منذ القرن السابع عشر. وهي غير متكاملة في البداية ثم تنتظم بدقة بالغة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. أبرز تلك السجلات:

(أ) سجلات الولادة: وعددها ١٤ سجلًا من الحجم الكبير وتبلغ صفحاتها قرابة الأربعمائة لكل مجلد مع فهرس شامل لها.

(*) إنها مصادر غنية جدًا وتنشر للمرة الأولى في الغالبية الساحقة منها. اعتمدنا في تقديمها على قدمها بالدرجة الأولى وعلى مراكز تواجدها. لكن الهدف الذي توخيناه لم نستطع الوصول إليه بدقة تامة فكانت هناك بعض الثغرات التي لم يكن بالإمكان تلافيها لأسباب موضوعية. لذلك عززنا الجانب المكتوب ببعض المصادر الشفوية الهامة التي دونتها ذاكرة شخصيات سياسية وثقافية ودينية أجرينا مقابلات مطولة معها. وهذه المصادر، كما الدراسة بمجملها، تحاول الدمج بين المصدر المكتوب والمصدر الشفوي وذلك تعميمًا للفائدة العلمية.

(ب) **سجلات الزواج**: وعددها سبعة من الحجم الكبير أو المتوسط مع فهرس شامل لها أيضًا.

(جـ) **سجلات الوفيات**: وعددها ١٢ سجلًا من الحجم الكبير مع فهرس.

(د) **دفتر عائلات الخورنة اللاتينية الفرنسيسية (الفرنسيسكان) العربية بمصر، وقد نظم في ١٠ أغسطس (آب) ١٨٩٧ مسيحية ولله الحمد والعز**: عدد صفحاته ١٢٥ صفحة من الحجم الكبير لكن معظمها بقيت بيضاء.

عند استخلاص المعلومات الأساسية لهذه السجلات يتبين أن معظم المسجلين فيها كانوا من الأجانب في بادئ الأمر مع قسم ضئيل من سكان بيت لحم بصورة خاصة ويشار إليهم بكلمة «البيت لحمي»، والعادة الغالبة في السجلات الأوائل أن يكتب الاسم مع العائلة دون ذكر المنطقة أو البلدة. وفي أواسط القرن الثامن عشر بدأت تظهر سمات خاصة بطائفية العماد والزواج والوفيات دون تحديد دقيق لأصل العائلة. فهناك مثلًا، عائلة آل ظريفة المعروفة جدًا في أواسط المهاجرين الشوام إلى مصر، تسجل في خانة القاهرة، أي مكان السكن. لذلك لم تحدد السجلات الأولى بدقة مصادر هجرة الشوام إلى مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسبب عدم وضوحها من جهة، وغلبة الأجانب فيها من جهة أخرى.

ومنذ القرن التاسع عشر تبرز بعض الصفات التي توضح الأصول القديمة للمهاجرين الشوام في مصر كآل تلحمي، وعيسى أسطفان القدسي، وأبو جابر من مواليد بيت لحم، وبربارة من بيت لحم. ويعتقد الأب منصور أنه مع بداية تنظيم سجلات خاصة بكل طائفة من طوائف الشوام في مصر انتفت الحاجة إلى سجلات الفرنسيسكان فاقتصرت على أسماء الأجانب بشكل خاص ولم تعد تسجل فيها، كما في السابق، عقود زواج وولادات ووفيات لطوائف مسيحية مشرقية عديدة في بلاد الشام.

وهناك بعض الطرائف الواردة في السجلات ولها دلالة هامة. فقد ورد في سجل آل ألفا (Alfa) أن الأب بانايوتي ألفا يرجع أصله إلى الروم الأرثوذكس ثم تحول إلى الإسلام بعد أن كان كاهنًا للاتين. فكاتب السجل يشهِّر بهذا التحول الطائفي ويعود بالكاهن إلى أصوله الأرثوذكسية. وزيادة في التأكد يشير إلى أن ابنه، قسطنطين ألفا، قد تعمد عند الروم الأرثوذكس والتحق بأخواله باسيلي وأنطون نقولا. مثل هذه

الطرائف تلقي بعض الأضواء على علاقات الطوائف المسيحية ورؤيتها المتبادلة فيما بينها.

وتقدم السجلات صورة على جانب من التفصيل حول أبرز العائلات العربية القاطنة في مصر والتي تعود بجذورها إلى بلاد الشام وذلك خلال القرون السابع والثامن والتاسع عشر. فهنالك ٣٦ شخصًا من عائلة بو جابر، و١٠ من عائلة أماتو، و١٦ من عائلة أمية، و٩ من آل آغا، و١١ من آل الأقرع، و١٣ من آل أيلول (سبتمبر)، و٤ من آل بتراكي، و٧ من آل بحر، و٩ من آل برغوث، و٨ من آل بلوتي، و٥ من آل بطرس، و١١ من آل سكر، و٤ من آل تلحمي، و٣ من آل حداد، و٤ من آل حنين، و٣ من آل دمّر، و٢ من آل دعبوب، و٩ من آل سلامة، و١٥ من آل الوادي، و٦ من آل شيبان، و١٩ من آل ساموللي، و٥ من آل سليمان، و١٠ من آل شفتشي، و٢ من آل سبحاني، و٣ من آل فروجي، و٤ من آل فريج، و٣ من آل فرج، و٢ من آل قدسي، و٤ من آل كرم، و٣ من آل كاسبارولي، و٣ من آل بيطار، و٣ من آل لحود، و٢ من آل مرعي، و٣ من آل مراد، و٤ من آل مكاريوس، و٦ من آل مينا، و١١ من آل موصلّلي، و١٢ من آل موناكو، و٢ من آل نصّور، و٣ من آل نعوم، و٤ من آل نيروز، وعائلة واحدة لكل من أسر نحاس ويوسف، ونعمة الله، وبربر، وحجار وغيرها. وتبرز السجلات وجود عدد كبير من العائلات الأجنبية والأرمنية وغيرها، وليست لدينا إحصاءات دقيقة حول طائفية هذه العائلات، فمنها المارونية، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، واللاتين، بالإضافة إلى الآشوريين، والسريان والكلدان وسواهم. وتضم السجلات دفاتر الولادة والزواج والوفيات لشوام ينتسبون إلى جميع هذه الطوائف دون استثناء خلال القرون السابع عشر والثامن عشر ومساحة زمنية واسعة من القرن التاسع عشر قبل تنظيم سجلات كل من هذه الطوائف في مصر.

وثائق الأزهر حول هجرة الشوام إلى مصر

هي وثائق بالغة الأهمية لأن رواق الشوام بالأزهر كان أحد الأروقة العلمية التي قاربت الأربعين رواقًا وحارة إبان العصر العثماني. وكان هذا الرواق يضم طلبة من الدول التي عرفت بعد الحرب العالمية الأولى باسم سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن، وهي الأقاليم الشامية في العهد العثماني.

وهناك دراسة توثيقية سبقنا إليها باحث عالم هو الدكتور مصطفى رمضان الذي شارك في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام المنعقد في دمشق في الفترة ما بين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) و٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨، وكان آنذاك أستاذًا في جامعة الملك عبد العزيز بن سعود في مكة المكرمة. فقدم للمؤتمر بحثًا أصيلًا بعنوان: «**رواق الشام بالأزهر إبان العصر العثماني**». وهو بحث مطول نشر في الجزء الثاني من وثائق المؤتمر التي صدرت عن جامعة دمشق عام ١٩٧٩، واحتل بحث الدكتور رمضان صفحات واسعة منها قاربت الثمانين صفحة. فعدد أروقة الأزهر، وتحدث بإسهاب على زعامة رواق الشوام، وعلى عدد هام من أفراده الذين تخرجوا على أساس المذهب الحنفي ومنهم مشايخ أجلاء من آل الرافعي خاصة عبد القادر الرافعي، وابنه مصطفى، والشيخ محمد مصطفى الرافعي وأخوه الشيخ عبد القادر الرافعي، والشيخ محمد أمين الحسيني، رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين، والشيخ عبد الحميد السايح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس، والشيخ مصطفى فاضل العورا، والشيخ عبد الله غوشة، والشيخ مصطفى السباعي، عميد كلية الشريعة بدمشق وعدد كبير من المشايخ المنتشرين في سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن. وقدم الدكتور رمضان ثبتًا تفصيليًا بعدد الطلاب المنتسبين إلى الأزهر عن الشوام خلال سنوات ١٣٣٥ ـ ١٣٥٤ هجرية، وأرفق بحثه القيم بعشر وثائق أصلية تناولت الشوام في الأزهر حتى عام ١٩٢١. وقد استند في جميع معلوماته وتحليلها إلى وثائق الأزهر الأصلية. لذلك لم نجد ما نضيفه من وثائق إلى البحث فاستندنا إليه في تحليل هجرة إلى الشوام إلى مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين[٢].

سجلات مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة

تتضمن وثائق المطرانية (٣٦ شارع صبري أبو علم ـ قرب ميدان طلعت حرب) سجلات على جانب كبير من الأهمية. فبالإضافة إلى الأسماء الأرمنية تُبرز كثيرًا من العائلات العربية التي سجلت عقود الزواج والولادات والوفيات في دفاتر المطرانية. وبمساعدة المطران روفائيل قبلان بايان[*]، مطران أبرشية مصر للأرمن الكاثوليك، اطلعنا على محتويات ثلاثة سجلات مكتوبة باللغة الأرمنية[٣]. فكان له الفضل الأساسي في إبراز أسماء العائلات الشامية المدونة في سجلات المطرانية منها:

(أ) **سجل الولادات**: وعدد صفحاته ٣٠٤ صفحات مزدوجة الترقيم ومن الحجم الكبير بحيث يصبح عدد الصفحات الفعلية المدونة ٦٠٨ صفحات، تبدأ عام ١٧٣٧، وتنتهي عام ١٩٣٩.

(ب) **سجل الزواج**: وعدد صفحاته ٢٥٣ صفحة مزدوجة الترقيم ومن الحجم الكبير أيضًا تبدأ عام ١٧٣٦، وتنتهي عام ١٩٣٩.

(جـ) **سجل الوفيات**: وعدد صفحاته ٣٣٠ صفحة، مزدوجة الترقيم ومن الحجم الكبير كذلك. يبدأ السجل بعام ١٧٤٧، وينتهي أيضًا عام ١٩٣٩.

السجلات الثلاثة متقاربة البداية وتنتهي في عام واحد أي قبيل الحرب العالمية الثانية، حيث تبدأ سجلات أخرى لم يتسن لنا الوقت الكافي للاطلاع على محتوياتها خاصة وأن هجرة الأرمن إلى مصر قد تقلصت كثيرًا خلال هذه المرحلة، كما أن طوائف الشوام بدأت بتنظيم سجلات خاصة بها قبل ذلك التاريخ بفترة زمنية طويلة.

وهي توضح، كما يقول المطرن بايان، أن نزوح العائلات الأرمنية الأولى تم مباشرة من مناطق تركيا إلى مصر وليس عبر لبنان، كما أن بعضها جاء مصر عبر مدينة حلب. وعلى الرغم من قدم السجلات حيث يرقى تاريخها إلى عام ١٧٣٦، فإن أسماء العائلات العربية فيها لا تبرز إلا بعد قرابة قرن كامل وتحديدًا عام ١٨٢٠. أبرز هذه العائلات آل قصبحي وآل عيواظ، (يتردد اسم هذه العائلات بكثرة في السجلات)، وآل آدم، وآل عشي، وآل عسال، وآل أسعد، وآل بتراركي، وآل كسبار، وآل أبكليان وهي عائلة تفرعت، بعد مجيئها من تركيا، بين مصر وجونية في لبنان، وآل ترزي أو طرزي وتعني خياط، وآل طنبورجي ويرد اسمها بكثرة. وتجدر الملاحظة إلى أن أسماء هذه العائلات الأولى ترد في السجل ما بين أعوام ١٨٢٠ و١٨٣٠، تليها عائلة اليازجي عام ١٨٣٧، وعائلة طرابلسي ١٨٥٠، وعائلة أزرق ١٨٦١ وقسيس ١٨٦٢، وعائلة آغيا ١٨٧٠، وعائلة أرناؤوطي ١٨٨٢، وعائلة رزق الله السباطي ١٨٨٥، وعائلة باخوس أو باخوص ١٨٨٧، وعائلة بتراكي ١٨٩٩، وطبيب ١٩٠١، وعزوز ١٩٠١، وطباخ ١٩٠٨، وكيروز ١٩٠٨، وقدسي ١٩٠٨، وعجمي ١٩١٠، وعرب ١٩١٣، وطازه ١٩١١، وتراك ١٩١٤، وباشقنجي ١٩١٥، وعبد المسيح ١٩١٨، وأسوم ١٩٢٠، وخاشقجي ١٩٢٠، وتوتونجي ١٩٢١، وطحّان ١٩٢٦، وعبد الأحد

١٩٢٩، وكحالة ١٩٣٠، وطزبار ١٩٣٠، وغيرها. إن أسماء بعض تلك العائلات، إن لم نقل معظمها، ذو دلالة غير عربية وتشير إلى جذر أرمني (كسبار، توتونجي) أو تركي أو أرناؤوطي أو سرياني أو كلداني وسواها. وقد تعمدنا إبراز أسماء العائلات الموجودة في هذه السجلات على أساس وجودها الراهن في لبنان وسوريا وليس على قاعدة عروبتها أو جذورها العربية، خاصة وأن موضوع دراستنا يتناول هجرة الشوام إلى مصر، ومنهم عرب وآشوريون وكلدان وأرمن وشركس وغيرها من الجنسيات المحلية العرقية.

من سجلات بطريركية الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية

تضم البطريركية مجموعة سجلات عماد وزواج ووفيات مكتوبة باللغة الأرمنية. وكان لا بد من الاستعانة بالمسئول الأول عن هذه السجلات، النائب البطريركي للأرمن الكاثوليك بالإسكندرية، الأب يوسف بصمجيان، الذي لم يتسع وقته لتصفح جميع السجلات فأمدنا فقط ببعض المعلومات المستقاة من دفتر العماد، وهو سجل كبير يبلغ ٤٩٦ صفحة من الحجم الكبير، مكتوب باللغة الأرمنية. وقد نقل الأب بصمجيان أسماء ثلاثة عشر مهاجرًا أرمنيًا من لبنان دونت أسماؤهم في الفترة الممتدة ما بين ١٨٤٩ و١٩١٣ مع الإشارة إلى وظيفة البعض منهم(٤).

الاســـم	سنة الولادة	مكان الولادة	الوظيفة
حنينة إلياس خاشو	١٨٤٩	بيروت	-
سيدة عقاد	١٨٥١	بيروت	-
جورج رفول خائف	١٨٦٩	بيروت	موظف
وردة إلياس عبد	١٨٨٠	بيروت	-
جورج يوسف خياط	١٨٨٤	بيروت	تاجر
يوسف أسعد خياط	١٨٨٤	بيروت	تاجر
أمين يوسف خياط	١٨٨٦	بيروت	تاجر
مريم سليم	١٨٨٩	بيروت	-
إلياس سليم عسّال	١٨٩٣	بيروت	-
إلياس حنا تركيان	١٨٩٤	جونية	مدرّس
ميشال جان خياط	١٩٠٥	بيروت	تاجر

روبير نجيب تركيان	١٩١١	جونية	موظف
مكس إلياس خياط	١٩١٣	بيروت	تاجر

من سجلات البطركخانة المارونية بالقاهرة. شبرا

تعريف بأهمية هذه السجلات(٥)

هي مجموعة وثائقية تكاد تكون نادرة وفريدة في بابها تتناول فئة من مهاجري الشوام في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين. الغالبية الساحقة لهذه الفئة هي من الموارنة، وبشكل أكثر تحديدًا من موارنة جبل لبنان وحلب. وتضم أيضًا أعدادًا لا بأس بها من أبناء طائفة الروم الكاثوليك أو ما تطلق عليهم السجلات أسماء: «**طايفة الروم الملكية**».

وقد تناولت هذه الوثائق شئونًا كنسية متفرقة من ولادة وعماد واعتراف وخطوبة وزواج وطلاق ووفاة. وتوزعت على فترات زمنية متباعدة منذ مطالع القرن التاسع عشر وتنتهي بإحصاء هام جدًا وتفصيلي لأبناء الطائفة المارونية بالقاهرة وضواحيها، في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥.

ولا تقتصر المعلومات على مدينة القاهرة وضواحيها بل تطال سجلات الزقازيق وطنطا ودرب الجنينة وثغر دمياط وشبرا القاهرة. دوّنت هذه السجلات في فترات زمنية متقطعة وسجل اسم الكاهن الذي قام بعملية التدوين. ونشير هنا إلى أن بعض السجلات الناقصة أو المعارة كانت خارج البطركخانة حين أجرينا مسحا دقيقًا شاملًا لها بمساعدة الأب إلياس أبي خير(٦)، مسئول البطركخانة في شبرا ـ القاهرة، فكان لمساعدته الفضل الأكبر في تقديم هذه اللوحة الغنية حول أبرز عائلات الموارنة في القاهرة وطنطا ودمياط والزقازيق في القرنين التاسع عشر والعشرين. لقد اعتمدنا في تقديم السجلات على أماكن تسجيلها في المدن المصرية، أما معلوماتها فهي أقرب ما تكون إلى الدقة، تاركين سد الثغرات الموجودة فيها لمن يمتلك إضافات علمية تكمل هذا البحث حول هجرة الشوام إلى مصر والذي نتوخى الدقة العلمية فيه قدر المستطاع، وبمقدار ما سمحت لنا ظروف الحرب الأهلية اللبنانية من إتمام شروط البحث العلمي. أما السجلات التي اطلعنا عليها في مركز البطركخانة فهي التالية:

أولاً: سجلات دمياط

هي من أقدم سجلات الموارنة في القطر المصري. وقد اطلعنا على الدفاتر المحفوظة في البطركخانة حول هذا الثغر المصري الذي عرف هجرة الشوام الأوائل منذ القرن الثامن عشر، فجاءت عناوينها مرتبة على الشكل التالي:

(أ) كتاب رزنامة المعمودية المحررة في ثغر دمياط بزمان خورنة القس أنطون مارون الحلبي اللبناني ابتداءً من ١٨٠٩ حتى ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٨٦٠، عدد صفحاته ٣٨ صفحة من الحجم المتوسط البالغ القدم. دونت فيه ٢٤٨ حالة معمودية. أبرز العائلات المسيحية في دمياط خلال هذه المرحلة: موسى نقولا، فرنسيس سابا، نقولا كحيل، أنطون سرور، ميخائيل سيار، فرنسيس جباره، سلوم عنيسي، شبلي دراج، طنوس فيصل، بطرس عنحوري، جبرائيل عيروط، حنا سلموني، يوحنا مقصود، إبراهيم مسعد، توما بطاطو، يوسف صبّاغ، مسعد العكاوي، بشارة القهوجي، غندور الأشقر، يوسف فارس، سركيس الملحمة، يوسف الشلفون، يوحنا خوند، إلياس صبّاغ، خليل صوما، مهنا صفيرّ.

(ب) دفتر في بيان الخطوبات الشرعية التي صارت بثغر دمياط من طايفة الموارنة وطايفة الروم الكاثوليكيين في زمان كاتبه القس أنطون مارون الحلبي بثغر دمياط المحروس ابتداءً من ١٨٠٩، عدد صفحاته ٧ صفحات من الحجم الصغير الموغل في القدم وتنتهي معلوماته عام ١٨٠٢، وعدد حالات الخطوبة ٢١، وهي تتضمن العائلات المذكورة سابقًا.

(جـ) بيان الذين قبلوا سر الزيجة الشرعية بثغر دمياط من طايفة الموارنة وطائفة الروم الملكية، سجل من ٩ صفحات يتضمن ٢١ حالة زواج مطابقة لحالات الخطوبة أجريت أيام القس أنطون الحلبي. مما يعني أن كل خطوبة كانت تنتهي إلى زواج أكيد لدى طائفتي الموارنة والروم الكاثوليك كما تؤكد معلومات هذا السجل.

(د) بيان الذين توفوا بثغر دمياط منذ دخولنا إلى الثغر المذكور في ٢٧ آيار (مايو) ١٨٠٩، سجل من ٦ صفحات قديم جدًا ومتوسط الحجم ينتهي في ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨١٤. عدد حالات الوفاة المدونة فيه ٥٣ حالة تتضمن عائلات حلبي، حموي، دمشقي، قبرصي، سلموني، صايغ، توما، أسود، عنحوري، عكاوي، دراج،

زكار، مقصود، خليل، نصر الدين، سابا. وفي السجل إشارات واضحة إلى أن معظم حالات الوفاة تمت بفعل مرض الطاعون الذي ضرب مدينة دمياط خلال هذه المرحلة.

ثانيًا: سجلات طنطا

تتضمن ثلاثة دفاتر أساسية تحمل العنوان التالي: **دفتر مبارك برسم كاتبه القس أقليموس الزغريني الراهب الحلبي اللبناني في أول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٦، حاوي فيه العماد والإكليل والموتى وغير ذلك من الأسرار لأبناء الطائفة المقيمين بطنطا**. جمعت هذه الدفاتر في سجل كبير من الحجم الطويل لكن معظم أوراقه بقيت بيضاء. وقد دونت المعلومات على الشكل التالي:

(أ) **سجل العماد**: يتوزع على الصفحات التي تحمل الأرقام ٣٧٦ ـ ٣٩٢، وتمتد من ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٦، حتى ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٢. عدد حالات العماد ١١٨ معمودية. وأبرز العائلات زلط من حلب، حشيمة من بكفيا، تادرس من بكفيا، عيد البدوي من غزير، رزق الله الأسود من حلب، أبو شلحا من صيدا، جبران من بكفيا، البريده من عجلتون، الدقاق من حلب، حجار من حلب، الجميّل من وادي شاهين، المنتوش من بكفيا، هاشم من الشام، الحكيم من بكفيا، بشارة غالب من بيت شباب، قزحيا من زحلة، أده من بيروت، عائلات غير محدودة المنابت الجغرافية: حبيقة، فارس، بولس، صعب، صياح، نوح، إلياس، نصر، عطية، شاول، يونس، ضاهر، الجميّل، نقاش، عطية، هاشم، عيد، كرم، حيمري، غانم، موسى، نعمة، صوراتي، باخوص، صايغ، رزق، نادر، برجوت، زعرور.

(ب) **سجل الأكاليل**: يتوزع على صفحات ١٦٥ ـ ١٦٧. عدد الزيجات ١٢ تبدأ بتاريخ ١٠ شباط (فبراير) ١٨٧٧، وتنتهي بتاريخ ٢ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٢. وهي: يوسف المنتوش من بكفيا على حنة الصيداوي من دير القمر. يوسف سلوم من بكفيا على مريم فارس توما من بعبدات. حنا توما من بعبدات على قرنفلة بشارة صالح من بعبدات. موسى أبو فياض حشيمة من بكفيا على ميليا الحجار من حلب. عقل بشارة كامل من بكفيا على جاريتا تادرس الخوري من بكفيا. سليمان الحاج

من بحرصاف على مريم بولص من بكفيا. يوسف أسود من حلب على أدلا سمعان زلط من حلب. نجم بولس تادرس على عفيفة الثلج. عبد الله حنوش على مريم بطرس كرم. ميخائيل مفرّج من بكفيا على أنيسة شلهوب من بيت شباب. وهو الزواج التقليدي الشائع في تلك المرحلة من داخل الطائفة والمنطقة.

(جـ) **سجل الموتى**: يتوزع على صفحتي ٨٤، ٨٥. عدد الوفيات ١٣، وتبدأ بتاريخ ٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٧، حتى ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٨١. أبرز العائلات: أسعد الصايغ من بيروت، مات بالفالج. ليزا بولص ماتت بالسل. إبراهيم حرب من بسكنتا مات بالحمى، طنوس عبود مات بالسل، شخص من آل علوان من بكفيا مات بقتل السكاكين، وآخر من آل البدوي من غزير، وثالث من آل الجردي مات بمرض الجدري، وفي ذلك دلالة على أن المهاجرين الأوائل تعرضوا لأمراض فتاكة كالسل والجدري والكوليرا والموت طعنًا بالسكاكين بدافع السرقة أو الشجار.

ثالثًا: سجلات الزقازيق القديمة

تتضمن السجلات القديمة ثلاثة دفاتر هي:

(أ) **دفتر العماد: نظمه خادم الكنيسة القس إبراهيم شبابي الحلبي اللبناني ابتداء من شهر شباط (فبراير) ١٨٥٩، حتى ١٥ شباط (فبراير) ١٨٩١**، عدد صفحاته ٢٤ صفحة من الحجم الطويل والورق القديم. أبرز العائلات المذكورة: حاتم، الزند، يارد، حويس، شمس، مكلف، التين، الجاموس، شديد، مارون، النجار من دير القمر، عيد، لحود، نفاع، توما.

(ب) دفتر الزواج: **المنوط برعية الزقازيق وما يليها من أرياف تابعة كنيسة القديس مار أنطونيوس الكبير المنشأة ببندر الزقازيق سنة ١٨٦١**، نظمه القس إبراهيم شبابي والقس يوسف عجلتوني الحلبي والقس يعقوب كرم الدلبتاوي. عدد صفحاته ٩ صفحات من الحجم الكبير والورق القديم. أبرز العائلات: نجيم من ساحل علما، سمعان من زوق مصبح، صعب من بعبدا، الترك، نخلة من زبوغا، يزبك والزند. وهي زيجات عائلية ومن داخل الطائفة والمنطقة في الغالب.

(جـ) **دفتر الوفيات أو دفتر قيد الميّتين (المتوفين) على أيام القس يوسف العجلتوني**

الحلبي اللبناني من ١٨٥٩، حتى ٢ آذار (مارس) ١٨٩١، عدد صفحاته ٧ صفحات من الحجم الكبير، والورق القديم، وفيه إشارة إلى العائلات المذكورة سابقًا ولا يتضمن أسباب الوفيات ولا المنابت الجغرافية للمهاجرين من لبنان وسوريا.

جاءت هذه المجموعة الأولى من سجلات الزقازيق مشتتة وغير دقيقة، في حين تبدو سجلات أخرى لكنيسة الزقازيق أكثر تنظيمًا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولعل تلك السجلات القديمة نظمت في فترة لاحقة وعلى أساس معلومات متداولة أو دفاتر غير مبوبة تبويبًا جيدًا.

رابعًا: سجلات الزقازيق (١٨٥٩-١٩٤٧)

هناك مجموعة متنوعة من هذه السجلات كتبت بأوقات متفاوتة وعلى أيدي كهنة موارنة. وهي توقع في حيرة نظرًا لتداخل معلوماتها وصعوبة الجزم فيها. وسنورد هذه المعلومات كما دونتها أقلام الكهنة في فترات متباعدة.

(أ) دفتر العماد والمتزوجين (في الأصل المتجوزين) والمخطوبين والمتوفين بالرب: نقل عن كتاب «خلافه» وعن أوراق مشتتة من تاريخ ٦ شباط (فبراير) ١٨٥٩، حتى ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٠، في الزقازيق، نقله القس يعقوب كرم الدلبتاوي، عدد صفحاته ٤٢ صفحة من الحجم الكبير والورق القديم. أبرز العائلات الواردة فيه: إسكندر شديد، فرنسيس منصور، جرجس الزند، أمين حويس، أنطونيوس بولس، إلياس حاتم، طنوس البويز، يوسف شاهين من زوق مصبح، يوحنا النصراني، يوسف الحلو، جرجس جبريل، منصور فياض من بعبدات، إلياس نفاع من زوق مكايل، بشارة نمور من صيدا، سليم الحويس، جرجس الديك، يوسف مكلف، يوسف صقر، يعقوب روفايل من دلبتا، سليمان يزبك من بكفيا، أنطون توما من بعبدات، خليل الشامي من بكفيا، يوسف مبارك من زوق مكايل، إسكندر كامل من بكفيا، نخلة العجوي من زوق مكايل، إيليا المنقوش من بكفيا، بولس مراد من دلبتا. العائلات التي ترد بكثرة في هذا السجل هي الزند، وحويس، ونفاع، ومبارك، ومنقوش، وبويز، وكامل. وأبرز الأماكن التي قدم منها المهاجرون من لبنان هي بكفيا، دلبتا، زوق مكايل، بعبدات، زوق مصبح. وهناك سجلات أخرى لكنيسة الزقازيق طالت هذه الفترة وقدمت معلومات دقيقة وتفصيلية حول هجرة اللبنانيين إلى هذه البلدة المصرية.

(ب) **دفتر العماد: عن يد كاتبه القس جرمانوس صفير من تاريخ ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠، خاص بكنيسة مار أنطونيوس الزقازيق المارونية للرهبان الحلبيين اللبنانيين التابعين لدير سيدة اللويزة في كسروان،** عدد صفحات هذا الدفتر ٣٧ صفحة من الحجم المتوسط ويغطي المرحلة الممتدة من ١٩١٠، حتى ١٩٤٧. فقد سجلت الولادة الأولى بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠، والأخيرة بتاريخ ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٤٧ وهي تحمل الرقم ١١٤.

ويبدو بوضوح أن هذا السجل يشكل التتمة الثانية لدفتر العماد الأولى ويليه دفتر ثالث يغطي المرحلة الزمنية الممتدة من ١٩٤٧ حتى الآن. وهناك إرشادات هامة حول المنابت الجغرافية للمهاجرين اللبنانيين قبل انتقالهم من لبنان إلى مصر بالإضافة إلى عدد كبير ممن لم تدون منابتهم التي قد تكون في إحدى القرى اللبنانية أو السورية أو الفلسطينية. وقد اعتمدنا اسم العائلة التي ينتسب إليها الطفل المولود في مصر ويتلقى سر المعمودية فيها لإبراز المنابت الجغرافية لهذه العائلة في لبنان قبل الهجرة. فدلت معلومات الدفتر على أصل بعض العائلات في لبنان على الشكل التالي: آل صعب من صيدا، آل شلهوب من زوق مصبح، آل كنعان من بعبدات، آل الزند من زوق مصبح، آل فاضل من بعبدات، آل الهندي من كفر حونة، آل سراج من الباروك، آل أفرام من قرنة شهوان، آل شديد من صيدا، آل مارون من عبية، آل الهاروني من وادي شحرور، آل نفاع من كسروان، آل جبلي من يافا، آل خديج من بيروت والأصل من دير القمر، آل الشامي من بكفيا، آل الخوري من شحتول، آل ديب من جزين، آل مكني من بكاسين، آل معلوف من زحلة، آل شكري الخوري من عبية، آل عسّاف من غزة وهي عائلة أرثوذكسية الأصل، آل فرنسيس طنوس من عرمون، آل جبالي من اللاذقية، آل إداور إبراهيم من صور، آل يزبك من بكفيا، آل حشيمة من بكفيا، آل منتوش من بكفيا، آل الأشقر من زوق مكايل.

(جـ) **سجل العماد والزواج والوفيات بالزقازيق ابتداء من ٦ شباط (فبراير) ١٨٥٩، لغاية ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٤٧:** وهو دفتر كبير من ٤٠٠ صفحة، حديث العهد، ملئت منه قرابة ١٥١ صفحة فقط.

بلغت حالات العماد ٥٠١ حالة توزعت على صفحات ١ ـ ٩٢، وسجلت حالة العماد الأولى باسم يوسف جبرائيل الزند في ٦ شباط (فبراير) ١٨٥٩، والأخيرة

باسم جورج عزيز الزند في ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٤٧. وفي ذلك دلالة على كثرة عدد أفراد هذه العائلة اللبنانية المارونية المنتقلة إلى مصر منذ القرن الثامن عشر، واستقر عدد كبير من أبنائها في مصر وترد أسماؤهم بكثرة في سجلات الزقازيق. أما عدد حالات الزواج فبلغت ١١١ حالة، الأولى بتاريخ ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٨٦٦، لميخائيل ميتاس الأرمني على هيلانة بشارة الحويس، والأخيرة بتاريخ ١١ شباط (فبراير) ١٩٤٥، لخير مسعود الخوري على ماري بشارة عطا الله. ويلاحظ أيضًا الزواج العائلي والطائفي بين الشوام أنفسهم. فقد تزوج حبيب مكسيموس على لوسيا مكسيموس، ابنة عمه، وكلاهما من بيت شباب. وهذا زواج شائع في تلك الفترة أي من نفس العائلة والطائفة والقرية أو المنطقة. وهناك حالات أخرى من الزواج ذات دلالة اجتماعية تعبّر عن مستقبل الزواج بين الشوام وسواهم عن الطوائف الساكنة على أرض مصر. فقد تزوج شاهين صابر على مريم المسلمة بعد تعميدها وهو تزاوج هام بين دينين. وتزوج يوحنا الهرطوقي (للتدليل على الأرثوذكسي) على وردة منصور النصراني بعد أن عاد إلى الصواب وتبع المذهب الكاثوليكي. وفي هذا الزواج دلالة على التزمّت الطوائفي الذي حمله رجال الدين المسيحيون معهم من لبنان إلى مصر. وتزوج فارس عقل على مريم القبطية، وجبرائيل القبطي على وردة القزي، وفي ذلك دلالة على التزاوج مع أقباط مصر. وتزوج منصور مكلف على عفيفة الزند، وهو زواج داخل أكبر عائلتين من عائلات المهاجرين الموارنة من لبنان إلى مصر.

أما سجل الوفيات الوارد في هذا الدفتر فيتضمن: **أسماء الموارنة الذين توفوا بالزقازيق ابتداء من ١٨٥٩، ومنهم بعض المتوفين من غير طايفتنا المارونية**: عدد الوفيات ٢٤٥، تبدأ الأولى في ٨ شباط (فبراير) ١٨٥٩، والأخيرة بتاريخ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٤٣. أبرز العائلات المدونة في العماد والوفيات والزواج في الزقازيق هي: الزند، مكلف، بولس، الحلو، حويس، الزمتر، النقيري، السبع، يزبك، مظلوم، المنتوش، فاضل، الأسود، الهاروني، القاق، مرقص، رزق الله، خزام، الشامي، عزيز، كامل، القندلفت، شديد، النصراني، بويز، حاتم، النجار، توما، مسعود، الديك، عبود، لحود، لبس، عزيز، نخلة، كميد، ملحمة، صومة، روحانا، سمان، نفاع، معلوف، صعب.

(د) دفتر الأكاليل في الزقازيق ابتداءً من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩١٠، بيد كاتبه

القس جرمانوس صفيّر العجلتوني الحلبي اللبناني: وهو دفتر من الحجم المتوسط تبلغ عدد صفحاته ٣١ صفحة تبدأ عام ١٩١٠، وتنتهي عام ١٩٤٥، وأغلب الظن أن القس صفير المذكور لم يستمر طيلة هذه المرحلة في كنيسة الزقازيق، حيث يبرز اختلاف واضح في تدوين الخطوط على صفحات هذا الدفتر. وتقدم معلومات الدفتر تأكيدًا للفرضيات السابقة التي أشرنا إليها حول الزواج من داخل العائلة والطائفة والمنطقة وسنكتفي ببعض النماذج الدالة على ذلك.

تزوج خليل سراج الماروني من بيروت على رفقة راشد الخوري يزبك المارونية من بكفيا. وتزوج سليمان إلياس عبد الله الماروني من ضهر صفرة من الإسماعيلية على صفصوف روفايل الزمتر المارونية من الزقازيق. وتزوج يوسف القاق الماروني من ماري نفاع المارونية. وتزوج الدكتور إدوار ابن الكونت دو شديد الماروني على الآنسة ألكسندرا رزق الله دو شديد المارونية، وهو زواج من داخل العائلة والطائفة. وتزوج إسكندر روحانا الحمصي الماروني على ابنة خاله فاضل منصور فاضل دون ذكر اسم الزوجة، وهي حالة تتكرر كثيرًا في سجلات القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وتزوج إبراهيم خليل يوسف الماروني من دلبتا على نظيرة خليل فارس المارونية من خربة قنافار (البقاع الغربي). وتزوج رزق الله نفاع الماروني من زوق مكايل وساكن الزقازيق على نور حبيب خليل من غزة. وتزوج ديمتري بشارة القبطي على أسما منصور المارونية. وتزوج الدكتور يوسف نكد الأشقر على ابنة عمه عبلا أنطون إلياس الأشقر من زوق مكايل وكلاهما مارونيان وذلك عام ١٩٢٥. وتزوج يعقوب ميخائيل القسيس على أخت زوجته المتوفاة زاهية جرجس يوسف وهو زواج معروف أيضًا أي يتزوج الرجل أخت زوجته المتوفاة. وتزوج الأستاذ جورج الريس الماروني من بكفيا على جوزفين رفلي حشيمة الماروني من بكفيا والمقيمة في المنصورة، وذلك عام ١٩٣١. وتزوج جورج غطاس الماروني على ابنة خاله جورجيت توفيق السبع المارونية.

خامسًا: سجلات كنيسة درب الجنينة بالقاهرة

لم يبق سوى الدفتر الثاني من هذه السجلات ويحمل العنوان التالي: **دفتر نمرة**

٢ شامل عماد وخطوبة وزواج ووفاة بكنيسة درب الجنينة بالقاهرة ابتداء من ١٨٩١ : ينتهي تاريخ هذا الدفتر في ١٢ آذار (مارس) ١٩١٣، وعدد صفحاته ١٠٥ صفحات من الحجم المتوسط والورق القديم. أما كاتبه فهو القس سمعان صفير ولم نستطع الحصول على الدفتر الأول للفترة الزمنية الأقدم والتي ترقى إلى مطالع أو أواسط القرن التاسع عشر على غرار باقي السجلات. لكن أسماء العائلات لم تتبدل كثيرًا عنها في سجلات الزقازيق وشبرا بالقاهرة خاصة عائلات: كحيل، سرور، الزند، مكلف، سلموني، صايغ، توما، الأسود، عنحوري، عكاوي، زكار، مقصود، دمشقي، فارس، ملحمة، شلهوب، الشلفون، خوند، الأشقر، سابا وسواها.

سادسًا: سجلات مشتتة

جمعت هذه المعلومات ابتداءً من ١١ آب (أغسطس) ١٩٢٨، بأمر من وكيل البطركخانة المارونية في القاهرة الأباتي جرمانوس صفير العجلتوني. وقد حملت العنوان التالي: **سجل المتعمِّدين والميتين (المتوفين) والمخطوبين والمتجوزين (المتزوجين)، منقولة عن أوراق مشتتة وسجل آخر يبتدئ من تاريخ ٦ شباط (فبراير) ١٨٥٩** : عدد صفحات هذا السجل ٣٧ صفحة من الحجم الطويل والورق القديم. وقد دونت فيه ٣٨١ حالة معمودية وخطوبة وزواج ووفاة دون تفصيل لكل من هذه الحالات الاجتماعية على حدة. وترد بكثرة في السجل أسماء عائلات شديد، والزند، ومكلف، ونفاع بالإضافة إلى عائلات بدور، سراج، الحلو، يعقوب، عزيز، فاضل، كامل، فرزان، معتوق، كميد، أيوب، رزق الله، لحود، مارون، مبارك، يزبك، النجار، البويز، كركور، حويس، مغربل، وسواها.

وتندرج معلومات هذا السجل في الخط العام الذي أبرزنا معظم سماته الأساسية عند دراسة السجلات السابقة للبطركخانة المارونية بالقاهرة، والتي تتكرر باستمرار بين سجل وآخر لأنها تتناول أوضاع طائفة واحدة توزع أبناؤها على مختلف المدن والأرياف المصرية وحافظوا على الكثير من تقاليدهم الكنسية اللبنانية على الرغم من استقرارهم في مصر أكثر من قرن ونصف القرن، لا بل قرابة قرنين من الزمن لبعض المهاجرين الأوائل إلى دمياط.

سابعًا: سجلات البطركخانة المارونية لمدينة القاهرة

هي مجموعة سجلات متنوعة وغير متوفرة جميعها في مركز البطركخانة عندما أجرينا الدراسة عليها.. فهناك أربعة سجلات عماد لم نستطع الاطلاع إلا على السجل الرابع. وهناك أربعة سجلات للزواج اطلعنا على السجلين الثالث والرابع. وهناك سجلات للوفيات لم نجد منها سوى سجلين يغطيان مرحلة (١٨٩٤-١٩٤٣). لكن المحصلة العامة لهذه السجلات تعطي صورة وافية ومتكاملة عن العائلات المارونية المهاجرة إلى مدينة القاهرة إذ تتكرر أسماؤها حتمًا في سجلات العماد والزواج والوفيات التي اطلعنا عليها وتقدم لوحة تفصيلية عن معلوماتها لسد الثغرة الناجمة عن غياب بعض السجلات. وقد دونت عناوين السجلات على الشكل التالي.

أولًا: دفتر مبارك يحتوي على أسامي (أسماء) المتعمدين وأسامي المخطوبين وأسامي المتكللين (المتزوجين) وأسامي المتوفين ابتداية (ابتداءً) من كانون الثاني (يناير) ١٨٧٤، بزمان رياسة (رئاسة) القس جبرائيل العجلتوني الحلبي اللبناني، وباقي الأسامي التي قبله فهي مقيدة في دفتر آخر عليه من برا (الخارج) نمرو أول.. وهذا نمرو (رقم) ثاني. عدد المعمدين من نمرو أول ٦٤، والدفتر الثاني نمرو ٦٥.

(أ) **دفتر العماد**: يضم ٤٩ صفحة من الحجم الكبير. أبرز العائلات الواردة فيه: شكرو، قرألي، بشارة، الجاموس، بويز، كلداني، صايغ، زاخر، بركات، حنا، طنوس، خضر، الزعني، الريس، الشدياق، دياب، الجميّل، سرور، كسّاب، الزند، شاوي، مسابكي، مكرزل، حاتم، فرج، بواري، شديد، نمور.

(ب) **دفتر المخطوبين من أبناء الطائفة المارونية بالقاهرة**: يمتد على صفحات ٦٠ حتى ١٠١، ويتضمن العائلات المذكورة في سجل العماد. والزواج المسجل فيه يؤكد النمط التقليدي الذي أشرنا إليه مرارًا أي العائلي، الطائفي، المناطقي، وبين الشوام بالدرجة الأولى.

(جـ) **دفتر المتوفين من أبناء الطائفة المارونية من ١٨٧٤**: دفتر صغير من ٢٢ صفحة من الحجم المتوسط. وتتكرر فيه أسماء العائلات المذكورة سابقًا.

ثانيًا: سجل العماد الرابع في القاهرة، يتضمن إشارة إلى السجلات الثلاثة الأولى مع ملحق به للدلالة على السجل الخامس، عدد صفحات السجل ١٧٢ صفحة،

ويبدأ بالرقم ١٤٦٥ تاريخ ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٣٩، وينتهي بالرقم ٢٥٢٤ تاريخ ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٠. وفي ذلك دلالة على أن السجلات الثلاثة الأولى تغطي السنوات السابقة حتى عام ١٩٣٩، وتضمنت ١٤٦٤ حالة عماد، في حين أن السجل الرابع وحده تضمن، خلال أقل من ١٢ سنة ١٠٦٠ حالة عماد، أي ما يوازي أكثر من ثلثي حالات العماد المسجلة في السجلات الثلاثة السابقة وعلى امتداد أكثر من قرن من الزمن. والدفتر الخامس الملحق بالسجل يبدأ بالصفحة ١٧٣ تاريخ ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥١، وينتهي بالصفحة ٣١٨ تاريخ ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧، ويتضمن ٤٤٥ حالة عماد خلال أقل من سبع سنوات. وبذلك ترتفع عدد حالات العماد في كنيسة شبرا ـ القاهرة المارونية إلى ١٥٠٥ حالات في فترة زمنية لا تزيد على ١٨ سنة تبدأ بعام ١٩٣٩. ودلالة هذه الأرقام أن أعداد أبناء الطائفة المارونية بالقاهرة كانت كبيرة وتزايدت كثيرًا منذ الحرب العالمية الأولى، ولم تتأثر بشكل جدي بقيام دولة لبنان الكبير في ظل الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠. يضاف إلى ذلك أن تمركز الموارنة في مدينة القاهرة والإسكندرية في النصف الأول من القرن العشرين ساهم أيضًا في زيادة عدد حالات العماد التي لم تكن قد تأثرت بعد بهجرة مضادة من مصر إلى الخارج. ويستنتج أن أعداد المهاجرين استمرت بالتزايد، حتى قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢، وخلال أعوام (١٩٥٠-١٩٥٦) أي حتى تأميم قناة السويس واتخاذ الحكم المصري تدابير جذرية لصالح الشعب المصري. فبدأت الهجرة الكثيفة للأجانب والشوام وغيرهم إلى خارج مصر.

ثالثًا: سجلات الزواج: اطلعنا فقط على السجلين الثالث والرابع:

(أ) سجل الزواج الثالث مرتب من عدد ٩٠ لغاية ٥٨٨، ومن صفحة ١ لغاية ٢٠٥ بحسب الترتيب الجديد ويليه فهرس أبجدي بالمتزوجين من أول سنة ١٨٥٩، لغاية آخر سنة ١٩١٩، مع أسماء كهنة الرعية الذين تم الاقتران على يدهم في القاهرة: إن قراءة سريعة للفهرس تبرز أهم العائلات اللبنانية المارونية بالقاهرة خلال هذه المرحلة الممتدة من النصف الثاني في القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. أهم هذه العائلات: إدّة، إسكندر، أسمر، أسود، أشقر، أيوب، بدران، الباحوط، بدوي، برباري، برنوطي، بركات، بديري، البستاني، بسول، البشعلاني، بطرس، بويز، بيطار، ثابت، تركية، توما، جاماتي، جهجاه، جواد، الجميّل، الجمّال، جودة، جدعان، حاتم،

حاج، الحايك، الحاصباني، حبشي، حبيب، حبيش، حبق، الحداد، حرفوش، حكيم، الحلاق، الحلو، الحلبي، حرب، حنون، حنوش، حيدر، حويس، حنينة، الخال، الخازن، خباز، خداج، خراط، خزام، خضير، خليفة، خليل، خوري، خياط، دانيال، دوماني، ديك، ديب، راجي، راشد، الراهب، رزق، رزق الله، رستم، رعد، رفول، الريس، ريشا، زاهر، زخم، زخيا، الزعبي، زغيب، الزعني، زكريا، الزند، زوين، زيادة، الزيلع، الزين، السقال، سعد، سعادة، سلوم، سابا، سرحان، شاكر، شاول، شاوي، شبطيني، الشدياق، شبلي، شحود، شربل، شرابية، شديد، شلالا، شكور، شلفون، شلهوب، شمالي، شهاب، شويفاتي، شوكتلي، شهلا، شمعون، شيشة، شيبان، صالح، صافي، صايغ، صفير، صقر، صعب، صليبا، صوراتي، صوما، صياد، ضو، ضاهر، طبشني، طحّان، طرابلسي، طرّاف، طرابو، طرزان، طنب، ظابط، عازار، عازوري، عاقوري، عاصي، عبد النور، عبد الله، عبد المسيح، عبده، عتيق، عيد، عساف، عزيز، عطا الله، عقل، عكر، علام، عمون، عوّاد، عقيقي، عون، غازي، غالي، غانم، جبريل، غدراسي، غريّب، غصن، غصين، غلوب، غندور، جبرين، فاضل، فرح، فرج، فرحات، فضول، فنيانوس، فياض، فهمي، قرألي، قرعلي، قدسي، قزحيا، قزما، قزي، قماطي، قشوع، كرم، كرجي، كريدي، كسّاب، الكك، كلداني، كميد، كنعان، كوكباني، كيلون، كيّال، لبس، لطيف، مارون، ماروكي، مبارك، مخلوف، مدلج، مرعب، مرعي، مرزا، مسابكي، مسعود، مطر، مسلّم، مكرزل، ملحمة، ملكي، ملوك، منتوش، منصور، موسى، ناصيف، نابلسي، نادر، ناكوزي، نجم، نحول، نصر، نصار، نصراني، نعمة، نعمة الله، نفّاع، نقاش، نقولا، النقيري، نمور، نوح، هاني، هاشم، هب الريح، هريسة، هندي، هنود، هوشر، واكد، وهبة، يتيم، يزبك.

هكذا يبدو أن الغالبية الساحقة من العائلات اللبنانية المارونية عرفت الهجرة إلى مصر سواء بأفراد قلائل منها أو بأعداد كبيرة من أبنائها حتى باتت أعدادها في مصر أكثر منها في لبنان كعائلات شديد، وصعب، والزند، والمنتوش، وتابت، والجميّل، ومرزا، ومسابكي، ومكرزل، وهب الريح وغيرها. من هذه العائلات ما استقر في مصر نهائيًا ومنها ما انتقل إلى خارجها بعد قرارات التأميم فيها. أما أهم العائلات التي امتازت بكثرة عدد الأفراد المدونة في هذا السجل فهي التالية: ثابت، توما، الجميّل، خوري، خياط، صفير، عسّاف، عطا الله، غالي، غانم، غريّب، فرح، قرعلي، كرم، كلداني، كنعان، مبارك، مخلوف، مرزا، مسابكي، مكرزل، منصور، نصر، نعمة، نفاع، نمور، هب الريح، ويزبك.

تؤكد حالات الزواج المدونة غلبة الطابع التقليدي لزواج الشوام في مصر أي من داخل العائلة والطائفة والمنطقة مع انفتاح أكثر على طوائف الشوام الأخرى وبنسبة أقل على الأقباط والأجانب، وحالات نادرة من التزاوج مع المسلمين، الشوام والمصريين على السواء. وهذه نماذج معبرة. فقد تزوج إسكندر مكرزل على ابنة عمه جليلة خليل مكرزل وكلاهما مارونيان من بيت شباب ويقطنان المحلة الكبرى. وتزوج لويس نفاع الماروني من بيت شباب على إملي خليل مكرزل المارونية من بيت شباب، وتزوج سليم جاماتي الماروني من بيروت على ليزا حبيب خضرا المارونية من صربا، وتزوج فائز أفندي شهاب الماروني على جميلة منصور شكور المارونية، وتزوج جرجي ظابيط الماروني من حلب على ماري راجي المارونية من صيدا، وتزوج خليل بويز الماروني على ابنة عمه أنيسة غطاس بويز من بيروت، وتزوج أسعد نصر الماروني على ابنة عمه صوفيا نصر من بكفيا، وتزوج جورج نمور الماروني على ابنة عمه إميلي نمور من طنطا، وتزوج إلياس يعقوب الهاني الماروني من زوق مكايل على ماري أنطون الصيدناوي من طائفة الروم الكاثوليك، وتزوج فكتور الكلداني الماروني على ابنة عمه أنيسة الكلداني من حلب، وتزوج إلياس ثابت الماروني على سوسن غزال من طائفة الروم الكاثوليك، وتزوج عبد الله كرجي الماروني على كاترين داليز الأجنبية من طائفة اللاتين، وتزوج يوسف الغريّب الماروني على ابنة عمه آدما الغريّب، وتزوج كارلوس أمين الجميّل الماروني من دلبتا على نظلة عطا الله المارونية من الإسكندرية، وتزوج جبران قشوَع الماروني من زوق مكايل على مريم الخراط المارونية من بكفيا، وتزوج بطرس الأشقر الماروني على مادلين أمابيلي الفرنسية من طائفة الكاثوليك، وتزوج إبراهيم ملحم البستاني الماروني من دير القمر على روزا فرنسيس الجاويش من طائفة الروم الكاثوليك.

(ب) **سجل الزواج الرابع في البطركخانة المارونية بشبرا ـ القاهرة. يتضمن أسماء المتزوجين بموجب طقس كنيستنا المارونية وأسماء كهنة الرعية الذين على أيديهم تم الاقتران وأسماء الشهود وتاريخ اليوم والشهر والسنة حسب نص المجمع المقدس اللبناني. وقد بدئ به في غرة السنة العشرين بعد التسعمائة والألف مسيحية إلى ٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٧**: يبرز فهرس هذا السجل أن العائلات المشار إليها في السجل الثالث بقيت دون تعديل يذكر مع تمركز أكثر بروزًا لعدد وافر من

العائلات التي احتلت حيزًا واسعًا من صفحات السجل بسبب كثرة أفرادها. أبرز هذه العائلات: إدة، أزرق، أسود، أسمر، أشقر، أيوب، باخوس، بدوي، بركات، البستاني، بشعلاني، ثابت، تقلا، توما، جبرايل، الجميّل، جهجاه، جودة، الحاج، حبيش، حجار، حرفوش، حشيمة، خباز، خليفة، الخوري، خياط، ديب، رزق، روفايل، سعد، سلوم، الشدياق، شديد، شكور، شاوي، الشمالي، صايغ، صبّاغ، صعب، صفير، ضاهر، ظريفة، عسّاف، عكر، عطا الله، عواد، غانم، جبريل، غريّب، غصن، كرم، كنعان، لحود، مارون، مبارك، مرزا، مكرزل، منصور، مهنا، نادر، ناصيف، ناضر، ناهض، نخلة، نعمة، نفاع، نقاش، نمور، وهبة، يزبك، يمّين.

أما طريقة الزواج فبقيت أيضًا دون تعديل جذري باستثناء تقلص ملحوظ في عدد حالات التزاوج العائلي خاصة من ابنة العم والخال. وهناك انفتاح أكثر على باقي الطوائف المسيحية من الشوام في مصر خاصة السريان والروم الكاثوليك ونسبة أقل مع الروم الأرثوذكس، وانفتاح متزايد على الأقباط المصريين، ولم نلحظ حالات تزاوج مدونة في السجل بين الموارنة ومسلمي الشوام أو مسلمي مصر.

رابعًا: سجلات الوفيات. هناك عدة سجلات اطلعنا على ثلاثة منها فقط:

(أ) سجل الوفيات (١٨٩٤-١٩١٣): هو استمرار لسجل قديم لم نستطع الاطلاع عليه. يتضمن ١١٤ صفحة من الحجم الكبير ويحمل العنوان التالي: **هذا تسجيل لتدوين أسماء المتوفين من أبناء طائفتنا المارونية بمصر ـ القاهرة، وضبط تاريخ يوم الوفاة والشهر والسنة. وكان الابتدا (الابتداء) به في أواخر سنة أربع وتسعين وثمانماية وألف مسيحية (١٨٩٤) يوم بدئ بالدفن في المدافن الجديدة**: تؤكد معلومات هذا السجل أن عدد العائلات اللبنانية المهاجرة إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر أصبح كبيرًا جدًا وأن بعض المتوفين المدونين فيه قد ولدوا في مصر، وفي ذلك دلالة على هجرة ذويهم إليها في أواخر القرن الثامن عشر أو مطالع القرن التاسع عشر.

الوفيات الثلاث الأولى باسم عزيز مسابكي، نظيرة السمعاني، ماتيلدا خضر. والعائلات الوارد ذكرها في السجل هي: باخوس، الحاج، خباز، كرم، سلوان، كلداني، ناكوزي، شكور، شلفون، بدوي، مدلج، روفايل، عساف، أديب، الزعني، الهاني، البريدي، طعمة، الخراط، الأشقر، نعمة، حبيب، أبو شاول، رزق الله،

الحلاق، الحاج، أيوب، الشوكتلي، نصر، غالب، كنعان، الخوري، خليل، الجميل، الهنود، أبو زيد، شاوي، حرفوش، الشدياق، ظايط، حبق، كساب، سرور، كميد، جبيريان، شلهوب، عبيد، عزيز، مسابكي، صفير، مراد، مرعب، قبلان، حبيش، مكرزل، قرألي، سعد، مدلج، طوبيا، معتوق، ديب، صافي، ملحمة، مجيد، شهاب، حبيقة، قشوع، باسيلي، صليبا، طبشي، بستاني، شاكر، كيروز، عازار.، كرم، نمور، عطية، الديك، سياج، يزبك، يمين، الغول، خياط، زيدان، مخلوف، مراد، عبد الأحد، توما، مارون، البويز، الطويل، شعر، ضومط، غريب، عواد، شديد. أبرز العائلات التي يرد ذكرها مرارًا: حبيش، طبشي، مسابكي، عساف، كنعان، بستاني، ملحمة، قشوع، كرم، نمور، الخوري، الشدياق، الجميل، يمين، خياط، مخلوف، مراد، عبد الأحد، توما، مارون، يزبك، شهاب، طويل، نصر، غريب، عواد، شديد.

(ب) **سجل الوفيات (١٩١٤-١٩٥٣)**. يحمل العنوان التالي: **سجل المتوفين الثالث: يحتوي على أسماء المتوفين من أبناء طائفتنا المارونية في مدينة مصر ـ القاهرة مع ضبط تاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنة وغرة قسم الصحة (لإثبات الوفاة). وكان ابتداؤه في غرة تشرين أول سنة أربع عشرة وتسعماية وألف (١٩١٤)**. عدد صفحات هذا السجل ٣٩٧ صفحة من الحجم الكبير، وينتهي التسجيل فيه بتاريخ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٣، وبلغ عدد الوفيات المدونة ٢٥٢٤ حالة وفاة خلال سنوات ١٩١٤ ـ ١٩٥٣، وهو عدد كبير جدًا لا يمكن أن يفسر إلا بكثرة عدد المهاجرين في المرحلة السابقة واستقرارهم في مصر إلى آخر أيام حياتهم حتى دفنوا فيها. وترد في السجل إشارات إلى المنابت الجغرافية في لبنان مثل: داغر (بكفيا)، الخوري بطرس (عرمون كسروان)، غانم (فتوح كسروان)، صليبا (بيروت)، موسى (زعرتا)، حنون الخوري (بكاسين)، يزبك (بكفيا)، صعب (بيروت)، باخوس (الزوق)، معوض (زعرتا)، مهنا (بكفيا)، شديد (صيدا)، طحان (دمشق)، منتوش (بكفيا)، شلهوب (بيروت)، الجلخ (بيروت)، كريم (بكفيا)، فرح (دير القمر)، الشدياق (بيروت)، تابت (دير القمر)، عازار (زوق مكايل).

إن قراءة سريعة لأسماء العائلات المدونة في هذا السجل تثبت أن الغالبية الساحقة منها قد وردت في السجل السابق مما يدل على استقرارها النهائي في مصر بعد قيام دولة لبنان الكبير، وأن هجرة اللبنانيين إلى مصر لم تتأثر إلا جزئيًا بقيام هذه

الدولة. أبرز العائلات التي يرد ذكرها مرارًا في هذا السجل هي: توما، الترك، ثابت، بشعلاني، بسول، بركات، باسيل، تقلا، أسمر، أده، أسود، أشقر، أيوب، نوح، عيد، نعمة، الهاني، يزبك، واكد، وهبة، نمور، مارون، نصر، نجار، نادر، مبارك، محفوظ، مخلوف، منصور، مرزا، لحود، لبُس، كنعان، كرم، كميد، قشوع، فرح، فاضل، قرداحي، غالب، غصين، عبود، طنوس، عساف، الشدياق، صفير، شاهين، شماس، شلفون، شاكر، سعد، سلوم، سرور، زغيب، روفايل، ديب، الخوري، خياط، حبيش، حداد، الجميل، الحاج، وسواها. ويلاحظ أيضًا بروز أسماء عائلات جديدة تضاف إلى العائلات الواردة في السجلات السابقة وتؤكد على استمرارية هجرة اللبنانيين إلى مصر بكثرة في مطالع القرن العشرين وتوسعها إلى مناطق وعائلات جديدة.

(ج) سجل منفرد بأسماء بعض المتوفين خلال أعوام (١٩١٠-١٩٤٣): يبدو أن السجلين السابقين هما السجلان الأساسيان للمرحلة الممتدة من ١٨٩٤، حتى ١٩٥٣. وقد نظما بأمر مباشر من إدارة البطركخانة المارونية بالقاهرة استنادًا إلى المعلومات المتوافرة لديها من مصادر متفرقة وأوراق ثبوتية مشتتة، وهما، بالتالي، ومصدر أساسي لدراسة العائلات اللبنانية التي استقرت في مصر سنوات طويلة وتوفي بعض أفرادها ودفنوا في أرض مصر.

وعلى الرغم من قناعتنا بأن المصدرين السابقين كافيان وشاملان، فقد آثرنا تعميم الفائدة، ولو كانت ضئيلة، بالإشارة إلى هذا السجل الصغير الموجود على أحد رفوف مكتبة البطركخانة ولعل معلوماته دخلت في السجلين المشار إليهما. يحمل الدفتر العنوان التالي: **دفتر قيد المايتين (المتوفين أو الموتى) على أيام القس جرمانوس صفير العجلتوني الحلبي اللبناني من أول أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٠ حتى ٣١ آذار (مارس) ١٩٤٣**. توزع الدفتر على ٢٦ صفحة من الحجم المتوسط وعدد كبير من الصفحات البيضاء. وقد بلغ عدد الوفيات المدونة فيه ١١٢ حالة وفاة. والعائلات التي يرد ذكرها مرارًا فيه هي: نقاش، سراج، روفايل، الخوري، هارون، نفاع، روحانا، فضل الله، جاموس، خوري، فرزان، عبود، دحروج، الزند، عازار، عسّاف، الصوص، مكرزل، معلوف، جوهري، ملحمة. وهناك عدد كبير من العائلات المعروفة بكثرة أعداد أفرادها في القاهرة لم يرد ذكرها في هذا الدفتر على الرغم من أن المرحلة تقارب ثلث القرن من الزمن. ولعل الدفتر المشار إليه تسجيل لأسماء

المتوفين في إحدى ضواحي القاهرة، حيث كان القس جرمانوس صفير راعيًا لكنيسة مارونية تابعة للبطركخانة دون أن يرد ذكرها في السجل الصغير الذي استخدمت معلوماته في تنظيم السجلات الكبيرة للبطركخانة.

سجلات البطركخانة المارونية بالإسكندرية

(أ) **سجلات العماد**: يعود الفضل في تحرير هذه السجلات وتنظيمها للمطران بطرس ديب، مطران القاهرة. فالسجلات المارونية لم تكن منظمة قبل ذلك التاريخ بل كانت مشتتة ومبعثرة في سجلات خاصة بالطائفة المارونية وباقي طوائف الشوام المسيحيين في مصر خاصة الكاثوليك والفرنسيسكان، لأن سجلات الأرثوذكس كانت في أدراج الأرثوذكس اليونان في مصر. وتتوزع هذه السجلات على ثلاثة دفاتر: الأول من صفحة ١ إلى صفحة ٩٢، ويمتد على سنوات (١٨٤٤-١٨٨٠)، والثاني من الصفحة ٩٣ حتى ٤٨٠، ويمتد على سنوات (١٨٨١-١٩١٩)، والثالث من الصفحة ٤٨١ ولا يزال مفتوحًا ويمتد على سنوات ١٩١٩ حتى الآن.

السجلات الأولى للعماد دون تاريخ دقيق ولا تنتظم إلا منذ سنة ١٨٥١. وسجل العماد الأول باسم حنة ابنة إلياس جناديوس ديب، من طائفة الروم الأرثوذكس. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الأرثوذكس الشوام خلال هذه المرحلة كانوا يسجلون أسماء أولادهم في العماد عند الطائفة المارونية أيضًا. أبرز الأسماء الواردة في هذا السجل حتى عام ١٨٥١، هي التالية: يوسف فتح الله الحلبي، سركيس ميخائيل كساب، صوفيا جرجس رعد، إلياس يوسف الزعني، أنطون يوسف كنعان، أسعد فارس، بشارة الشدياق، طوبيا الدحداح، إلياس مارون، روفائيل الطرابلسي، فارس الأشقر، بشارة إدة، أنطون يعقوب رزق الله، مارون يوحنا الحجار، يوسف كنعان، فرنسيس حتي، إلياس مارون، حبيب باتيستا. وهناك بعض الحالات التي يذكر فيها الكاهن، مسجل العماد، اسم المنطقة التي قدم منها المهاجر مثل العكاري أي من عكار، والكسرواني، والصيداوي، وعبيه، وبيروت، والدرعوني، وبكفيا، والحمصي، والحلبي، وغيرها. لذلك نلفت الانتباه إلى أن اسم بعض العائلات قد سقط من سجل العماد ليحل مكانه اسم البلدة أو المنطقة. وهذه السجلات غنية جدًا في دلالاتها وفي إبراز المنابت الجغرافية الأولى للمهاجرين الشوام في مصر، وفي تنوعها الطائفي

لأنها تتضمن أسماء عائلات شامية مسيحية غير مارونية مما يؤكد انفتاح هذه الطوائف الكبير بعضها على بعض منذ بدايات الهجرة إلى مصر وطيلة القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وقد حاولنا تتبع العدد السنوي لحالات العماد المسجلة في الدفاتر منذ عام ١٨٥١ حتى عام ١٩٤٠، مع إبراز أهم العائلات الواردة فيها[٧] ونماذج من المنابت الجغرافية لكثير من المهاجرين كما وردت في سجلات العماد[٨].

(ب) **سجلات الزواج**: هي ثلاثة دفاتر كبيرة مجموعة في سجل ضخم يبلغ عدد صفحاته ٤٢٧ صفحة من الحجم الكبير، وتغطي المرحلة الممتدة من ١٨٤٥ حتى ١٩٥٤. وقد اطلعنا على الدفترين الأول والثاني وتصفحنا الثالث وهو تكرار لنفس العائلات. يغطي الدفتر الأول سنوات (١٨٤٤-١٨٩٠). والثاني سنوات (١٨٩١-١٩٤٣)، والثالث سنوات (١٩٤٤-١٩٥٤). وهناك فتر رابع لا يزال قيد التداول منذ ١٩٥٤ حتى الآن.

ويلاحظ في عقود الزواج أحيانًا ذكر بلد المهاجر كأن يقال مارون الحجار الحلبي، وسمعان الخوري البعبداتي، وجبرائيل غرة من الشام. كما تذكر أيضًا في بعض الأحيان جنسية الزوجة وطائفتها، كأن يقال آسين بشارة الدهان من طائفة الروم الكاثوليك من الشام، أو هيلانة أندريا القبرصية المارونية. أو تذكر أحيانًا صلة القرابة بين الزوج والزوجة كأن يقال: تزوج الأمير أمين سعد الدين شهاب على ابنة خاله حسنة يوسف مراد شهاب. وهناك حالات عديدة تذكر فيها البلدة التي هاجر منها الزوج في لبنان والبلدة التي هاجر منها والد الزوجة في لبنان أيضًا كأن يقال: تزوج هاشم البجاني من بيت شباب على سوسنة يوحنا العضم من رأس بيروت، أو حبيب مرعب من بيروت على جميلة الترمستاني من بيروت. وفي بعض الأحيان يسقط اسم الزوجة بالكامل كأن يقال تزوج راجي الخراط من بكفيا على فتاة من القاهرة. والقاعدة الأكثر شيوعًا للزواج المدون في السجلات هي تزاوج الموارنة الشوام فيما بينهم مع انفتاح كبير على طائفة الروم الكاثوليك وموارنة قبرص. وكان التزاوج من خارج الطوائف الكاثوليكية شائعًا وبأعداد لا بأس بها بين الشبان الموارنة وفتيات من طائفة الروم الأرثوذكس، إذ تبرز سجلاتهم قيام تزاوج بين الشبان الأرثوذكس والفتيات المارونيات بأعداد هامة مما يعني أن الطوائف المسيحية من مهاجري الشوام في مصر قد انفتحت على بعضها في جميع المجالات، ولم تعرف الانغلاق

الطوائفي الذي شهدته في لبنان، لأسباب متنوعة. أما التزاوج بين الموارنة وأبناء الطوائف الإسلامية، من شوام ومصريين فليست هنالك نماذج تؤكده، في حين سجلت حالات كثيرة للتزاوج بين الموارنة والأقباط المصريين. وقد رصدنا جدولًا للتدليل على عدد حالات الزواج المدونة سنويًا في السجلات[٩].

تشير الأرقام الواردة في الجدول السابق إلى أن عدد حالات الزواج التي كانت تتم في بطركخانة الموارنة بالإسكندرية بقيت محدودة ولا تتجاوز العشر حالات سنويًا إلا في سنوات قليلة حتى ١٨٧٨، ثم بدأت تتزايد بشكل مكثف حتى نهاية القرن العشرين وتتصاعد أيضًا فتبلغ أقصى مداها في عامي (١٩٤٨-١٩٤٩). وفي ذلك دلالة على تزايد أعداد المهاجرين الموارنة إلى الإسكندرية واستقرار أبناء المهاجرين الأوائل فيها حتى أواسط القرن العشرين. وهذه الأرقام تأكيد للمقولة الأساسية بأن هجرة الموارنة إلى مصر، كهجرة باقي الطوائف الشامية إليها، لم تتأثر كثيرًا بإعلان دولتي سوريا ولبنان عام ١٩٢٠. ولم تعرف هاتان الدولتان هجرة مضادة من مصر إليهما بأعداد كبيرة حتى بعد إعلانهما كدولتين مستقلتين منذ عام ١٩٤٣. لذلك تفسر الهجرة المضادة من مصر بعد ١٩٥٢، للأسباب الاقتصادية والسياسية الناجمة عن الثورة المصرية وتطبيق شعاراتها بتحويل جذري في المجتمع المصري وقطع الطريق على النهب الذي مارسه الأجانب لثروات مصر، وكان للشوام دور أساسي فيه.

تؤكد النماذج التي رصدناها بدقة حتى مطالع الحرب العالمية الأولى استمرار التزاوج الطوائفي التقليدي بين مهاجري الشوام في مصر مع انفتاح كل من الطوائف الأرثوذكسية على بعضها (روم أرثوذكس، أرمن أرثوذكس، سريان أرثوذكس...) والطوائف الكاثوليكية، ومنها الموارنة، على بعضها أيضًا. ثم انفتاح أضيق بين الطوائف المسيحية ككل فيما بينها كطوائف لتجمعات سكانية جاءت من بلاد الشام، وبينها وبين الأقباط والأجانب كطوائف مسيحية. أما التزاوج بين الأديان المختلفة من مسيحية ويهودية وإسلام فكان نادرًا حتى الحرب العالمية الأولى، ثم تبرز حالات متزايدة في هذا المجال في فترة ما بين الحربين العالميتين لكنها تبقى محدودة إذا ما قيست بالعدد الإجمالي لحالات الزواج بين مهاجري الشوام في مصر. وفي ذلك دلالة أخرى على الانغلاق شبه الكامل للطوائف المسيحية المهاجرة إلى مصر وعدم اندماج أفرادها، عبر التزاوج، بالمجتمع المصري. ولا يفسر الانغلاق نتيجة رغبة

ذاتية للمهاجرين، بل أملته أيضًا النصوص الدينية الإسلامية التي تضع قيودًا صارمة على التزاوج الإسلامي ـ المسيحي، وتتطلب فقدان المسلمة لدينها من جهة وقبول المسيحية بالانتقال إلى الدين الإسلامي من جهة أخرى. وهي مسألة بالغة التعقيد ولا تحل إلا باعتماد أشكال من العلمانية تفسح في المجال أمام تدامج أبناء الشعب الواحد، فيلعب الزواج دورًا أساسيًا فيه. وقد رصدنا لائحة ببعض حالات الزواج المدونة في البطركخانة المارونية بالإسكندرية والتي تؤكد تزاوج اللبنانيين، في الغالب، من داخل عائلاتهم وطوائفهم ومناطقهم[١٠].

(جـ) **سجلات الوفيات**: دونت الوفيات المسجلة في البطركخانة المارونية بالإسكندرية على دفترين من الحجم المتوسط يبلغ عدد صفحاتهما مئتي صفحة ويمتد الأول من ١٨٤٠ حتى ١٩٠٧، والثاني من ١٩٠٨ حتى ١٩٥٥. وقد تتبعنا عدد الوفيات في هذين الدفترين سنة فسنة، منذ ١٨٤٧ حتى ١٩٥٠. أما سنوات (١٨٤٠-١٨٤٦)، فغير مدونة إلا لعامي ١٨٤٠ و١٨٤٥.

وليست هناك قاعدة ثابتة في تدوين اسم المتوفين. فمنهم من اكتُفي بذكر الاسم مع اسم العائلة، ومنهم من أضيف إلى ذلك اسم البلدة التي هاجر منها في لبنان، ومنهم من اكتُفي باسم الزوجة أو باسم الزوج. وعلى سبيل المثال نشير إلى أسماء بعض المتوفين الأوائل خلال أعوام (١٨٤٠-١٨٦٠)، للتدليل على أسماء العائلات اللبنانية المهاجرة إلى مصر في مطالع القرن التاسع عشر أو قبلها بقليل. من هذه الأسماء: لويس مارون، سيسيليا ابنة بشارة إدة، فيلومين خليل كساب، ليزا إلياس الشماس، أنطون إلياس مارون، حنة يعقوب الخوري من بتدين اللقش، إلياس أنطون العضم، يوحنا مارون حجار، حنة أجناديوس ديب، فرنسيس جبور الملحمة من بيروت، يوسف نهرا العماطوري، هيلانة القبرصي، سيسيليا نعوم أيوب زوجة جرجس وهبة، جبران العضم، حنة سمعان الأشقر وأختها مريم، عبد الأحد الأصفر أولاد إلياس الأصفر، بشارة إدة، يعقوب الخوري من شننعير، ميخائيل خليل فارس، يوسف خليل كساب، مريم غالي الحلبية، حبيب إلياس مارون، جرجس خضير، سعيد أيوب الصباغ من جزين، هيلانة خضير، يعقوب رزق الله، يوسف فرح الغسطاوي، أنطون إلياس شديد، بشارة الصوراني، الأمير يوسف شهاب.

ولعل قراءة أسماء هذه العائلات على ضوء سجلات العماد والزواج تبرز بوضوح

التركيبة الجغرافية لهذه الفئة من المهاجرين اللبنانيين إلى مصر في القرن التاسع عشر. وإذا ما استكملت بشكل جيد توصل إلى رسم خارطة دقيقة للتوزع الجغرافي للهجرة وإبراز الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي دفعت كثيرًا من اللبنانيين إلى أرض مصر للاستقرار عليها، ولاندماج أعداد كبيرة من المهاجرين في مجتمعها. وقد رصدنا الأعداد السنوية للمتوفين المسجلين في دفاتر هذه البطركخانة(١١). وأجرينا مقابلة مع الأب أنطوان صفير، الوكيل البطريركي الماروني بالإسكندرية حول هجرة الموارنة الشوام إلى الإسكندرية(١٢).

من تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري (١٧٤٥-١٩٢٧)(١٣)

يرى مؤلف الكتاب، القس بطرس الخوري، أن الهجرة المارونية إلى الإسكندرية ترقى إلى عام ١٧٤٩، حيث تذكر أسماء بعض العائلات مقرونة بلفظة ماروني أو مارونية وذلك استنادًا إلى سجلات الآباء الفرنسيسكان بالإسكندرية. أبرز العائلات المدونة في سجلات الوقف الماروني بالإسكندرية عام ١٨٧٤، هي: حبيب باسط، خليل فارس، ميخائيل موسى، يوسف نعمة، إبراهيم فارس، حبيب عبد الله يزبك، فياض نصر، حاتم سجعان، أنطون إلياس العضم، إبراهيم خليل كساب، منصور فارس، إلياس عازار، جرجس نجم، صوراني شيخ الموارنة. وقد وجدت عائلات مارونية في مدينة طنطا وملحقاتها منذ عام ١٨٥٠، وجلهم من بكفيا في جبل لبنان والبعض هاجر إليها من دمياط.

وبعد تدشين قناة السويس عام ١٨٦٩، تحولت التجارة من ثغر دمياط إلى بورسعيد فتقاطر إليها التجار من كل حدب وصوب على اختلاف المذاهب والنحل. فكثر عدد الموارنة في هذه المدينة الحديثة العهد. وفي مدينة المنصورة يرجع وجود الموارنة إلى أوائل القرن التاسع عشر استنادًا إلى تنصير حنة ابنة فرنسيس جبارة في ٣ شباط (فبراير) ١٨١٠. حتى ذلك الحين كان الموارنة يقضون فروضهم الدينية في كنيسة الآباء الفرنسيسكان. وفي ١٩ شباط (فبراير) ١٨٩١، قدم أعيان الطائفة عريضة يطالبون فيها بشراء أرض لبناء الكنيسة المارونية في المنصورة. وحملت العريضة تواقيع أبرز الشخصيات المارونية في المدينة خلال هذه الفترة وهم: خليل صعب، أنطون صالح، ضاهر الجميّل، حنا توما، بشارة الزند، موسى حشيمة، كنج وإلياس الجميّل، يوسف

نصر الله، يوسف الشدياق، بطرس نحّول، فارس عطا الله. وفي عام ١٩٠٤، تم اختيار الكونت خليل دوصعب عميد أبناء الطائفة المارونية في المنصورة.

وفي شبرا ـ القاهرة احتفل بوضع الحجر الأساسي لكنيستها التي تحولت إلى مركز للبطركخانة المارونية بالقاهرة وذلك بحضور قنصل فرنسا وبعض رؤساء الطوائف الكاثوليكية. وسبق للقس جبرائيل صفير أن قدم التماسًا بتاريخ ٢٢ آيار (مايو) ١٨٨٠، إلى نيافة الكاردينال سيموني، رئيس المجمع المقدس، يطلب منه المساعدة لكنيسة شبرا، وبين له أهمية بناء كنائس للطائفة في القطر المصري وأنه شرع ببناء مدرسة للأحداث أيضًا حيث أكثر الأولاد يذهبون إلى مدارس البروتستانت الذين يقدمون لهم الكتب مجانًا ويعلمونهم دون بدل. وأحصى في عريضته عدد بيوت الطائفة في القاهرة وما يليها: في القاهرة ١٢٨ بيتًا، وفي بور سعيد ٤٠ بيتًا وكنيستهم من خشب، وفي الزقازيق ٤٦ بيتًا ولهم مدرسة وكنيسة، أما في المنصورة فلهم ٧٥ بيتًا، وفي طنطا وملحقاتها ٧٢ بيتًا وهم بحاجة إلى كنيسة تجمعهم.

وهناك عريضة مرسلة بتاريخ ٢٥ آب (أغسطس) ١٨٨٤، إلى الأب جبرائيل مطر العجلتوني ونشرت في جريدة «المصباح» القاهرية في العدد ٤٣٩، تطالب بالاعتراف بأوقاف أملاك الكنيسة المارونية في مصر القديمة وشبرا. وأبرز التواقيع: إسكندر شكور، حبيب شاوي، يوسف شاوي، أسعد نحول، حاتم سجعان، نصري عزيز، خليل كرجي، إبراهيم حنا، راشد مسابكي، ميخائيل البدوي، يوسف الصاحب، ميشال شدياق، بطرس الشلفون، نقولا عرب، جرجس الخوري جهجاه، يوسف مبارك، أنطون جيعة، نعوم بركات، جبرائيل سعد، رزق الله كلداني، واكد الغصين، إلياس جورج راجي، أنطون شدياق، إسكندر كنعان، حبيب كلداني، يعقوب فرح، خليل يزبك، جرجس كيال، الخوري يوحنا يزبك، ملحم النجار، يوسف كيال، كامل منصور حبالين، روحانا طنوس، جرجس ترساتي، خليل يوسف فارس، طنوس ملحمة، جرجس جبرائيل برغوت، إبراهيم فارس، أنطون أندريا، يوسف ظابيطا، سليم، رزق شديد.

وفي إحصاء مأخوذ عن محضر اجتماع بدار البطركخانة الماورنية بالقاهرة للاتفاق على إدارة **الأوقاف المارونية بالخرطوم** عام ١٩١٧، تبرز أسماء العائلات المارونية القاطنة في عاصمة السودان وهي: نسيب البستاني، إلياس كريتا، نخلة الخوري،

ألبير كنعان، يوسف كترون، مجيد كنعان، حبيب كوكباني، إلياس الأشقر، جورجي كنعان، إميل غريّب، نجيب خازن، شفيق عقل، ميشال كنعان، إلياس عازوري، يوسف درويش، أنطون الحايك، يوسف ميرزا، إسكندر مزهر، إلياس أيوب، ميشال أشقر، يوسف نعمان الحايك، إميل مطر، الفريد شاوي، الدكتور سعيد كنعان، جورج عساف، بطرس بريدي، يوسف فارس، ميشال حكيم، باسيل دياب، جورج دياب، يوسف دياب.

وفي آخر إحصاء للقس بطرس خوري حول أعداد الطائفة المارونية في القطر المصري عام ١٩٢٧، نستخلص الأرقام التالية: في مصر العليا ٣٤٢ نسمة، في الزقازيق ١٣٧ نسمة، في بورسعيد والإسماعيلية والسويس ٥٠٨ نسمٌ، في المنصورة ٥١٦ نسمة، في الإسكندرية ٥٠٠ بيت أو قرابة ٣٠٠٠ نسمة، في القاهرة وملحقاتها ٧٣٨ بيتًا أو قرابة ٣٦٥٧ نسمة، في طنطا وملحقاتها ٣٤٣ نسمة، فيبلغ المجموع ٨٤٠٣ نسم.

كما يقدم هذا القس إحصاء سكان مصر منذ عام ١٨٠٠ حتى ١٩٢٧، نرى من المفيد ذكره. فقد بلغ سكان مصر عام ١٨٠٠ قرابة ٢,٤٦٠,٢٠٠ نسمة، وعام ١٨٢١ قرابة ٢,٥٣٦,٤٠٠ نسمة، وعام ١٨٤٦ قرابة ٤,٤٧٦,٤٤٠ نسمة، وعام ١٨٧٣ قرابة ٥,٢٥٠,٠٠٠ نسمة، وعام ١٨٨٢ قرابة ٦,٨٠٦,٣٨١ نسمة، وعام ١٨٩٧ قرابة ٩,٧٣٤,٤٠٥ نسمٌ، وعام ١٩٠٧ قرابة ١١,٢٨٧,٣٥٩ نسمة، وعام ١٩١٧ قرابة ١٢,٧٥٠,٩١٨ نسمة، وعام ١٩٢٧ قرابة ١٤,١٦٨,٧٥٦ نسمة. دلالة ذلك أن عدد سكان مصر كان ضئيلًا قياسا إلى قدرتها على الاستيعاب فشكلت عنصر استقطاب وجذب للمهاجرين الأجانب والشوام على السواء. ومنذ عام ١٩٢٧ حتى الآن تضاعف عدد سكان مصر أكثر من ثلاث مرات فباتت، منذ سنوات عدة، مركزًا للدفع السكاني والمهاجرة إلى الخارج خاصة إلى الدول العربية الأخرى.

من سجلات الرهبانية المارونية الحلبية في القطر المصري(١٤)

يشير الكتاب إلى أن عدد الموارنة في القاهرة لم يتجاوز ١٨٣ شخصًا عام ١٨٢٤، موزعين على الشكل التالي: ٣٥ رجلًا متزوجًا، و٣٥ امرأة، و٤٦ أرملًا وعازبًا، و٢١ أرملة وفتاة عازبة، و١٩ ولدًا، و١٤ بنتًا، و٧ أطفال ذكور، و٦ أطفال

من الإناث. أما الذين تشوهوا بطاعون ١٨٤٠، فبلغ ٢٢ شخصًا لا يدمجهم الإحصاء بالآخرين الأصحاء. أبرز العائلات آنذاك: شكور، بركات، كلداني، عزيز، حكيم، شليطا، الأشقر، يواكيم، مسابكي، فارس، حوا، مارون، كركجي، محفوض، بريدي، الجبيلي، طبقي، أبو صالح، صاحب، بحر، إلياس، عواد، زند، كميد، بغدادي، أيوب، عون، حوشب. وفي إحصاء ١٨٤٣، يبلغ عدد الموارنة في القاهرة ٢٢٦ شخصًا وتضاف إلى العائلات السابقة أسماء جديدة كالأسمر، وشدياق، وملسي، وشويفاتي، وشاوي، ويعقوب، وبويز، والعضيمي، ومسعد. وفي إحصاء ١٨٦١، يصل الرقم إلى ٢١٤ شخصًا ثم يقفز إلى ٨٤٠٣ مارونيين في القطر المصري منهم ٣٦٥٧ في القاهرة عام ١٩٢٧، وإلى ١٢ ألفًا عام ١٩٤٧، منهم ٤٥٠٠ في القاهرة وضواحيها.

يبرز هذا الإحصاء أكثر الأرقام دلالة على تزايد نسبة المهاجرين الشوام منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. مسالك الهجرة داخل القطر المصري متنوعة. فعلى إثر إنشاء مدينة بور سعيد راجت تجارتها وتقاطر إليها أصحاب الأعمال ومنهم عدد قليل من الموارنة ازداد باستمرار حتى بلغ ما يقارب خمسمائة شخص عام ١٩٤٥. وهاجر إلى طنطا كثير من الذين تعاطوا تجارة الدخان المزدهرة فيها منذ أوائل القرن التاسع عشر وجنوا أرباحًا طائلة. وكان جلّهم من بلدة بكفيا في جبل لبنان، وانضم إليهم بعض التجار الموارنة في دمياط. وتظهر سجلات كنيسة الفرنسيسكان في المنصورة أن الموارنة توطنوا فيها منذ أواسط القرن السابع عشر. وفي سنة ١٨٨١، احتفل بوضع الحجر الأساسي لكنيسة شبرا التي ما زالت مركزًا للبطريركية المارونية في مصر حتى الآن، وكانت شبرا ـ القاهرة أحد أبرز مراكز تجمع الموارنة في القطر المصري. وفي أوائل القرن العشرين بدأ الموارنة هجرتهم إلى السودان سعيًا وراء التجارة والانخراط في خدمة حكومتها في الخرطوم، حيث بنيت كنيسة مارونية عام ١٩٠٢. وفي مصر الجديدة، هيليوبوليس، حيث تكاثر عدد الموارنة، بنيت كنيسة مارونية عام ١٩١٠.كذلك تكاثر عدد الموارنة في الزيتون التابعة لمصر الجديدة فأنشئت لهم كنيسة عام ١٩٣٥.

من سجلات جمعية المساعي الخيرية المارونية بالقاهرة(١٥)

جاء في تاريخ تأسيس هذه الجمعية ما يلي: «وقف راهبان جليلان هما الأب

أقليموس والأب فرنسيس في صباح يوم من أيام الشتاء سنة ١٨٧٩، على باب كنيسة «درب الجنينة» المارونية وجعلا يستوقفان المارة من أبناء طائفتهما ويستدران عطفهم ويطلبان منهم التبرع بقليل من المال إعانة لأسرة فقيرة مات معيلها ولا تملك نفقات دفنه. دفع أربعة أصدقاء هم أنطون قرألي، ويوسف كيال، وإلياس المعلم، وإلياس حبالين بضعة جنيهات كانت نواة صندوق الجمعية الخيرية التي أنشأوها سنة ١٨٨٠ وأسموها «جمعية المساعي الخيرية المارونية بالقاهرة». وعقدت اجتماعها الأول عام ١٨٨١، بدار الرسالة المارونية بدرب الجنينة حضره ٢٧ مارونيًا وانتخبت هيئة من سليم قيقانو رئيسًا، وإلياس حبالين نائبًا للرئيس، وإلياس المعلم كاتبًا للسر، وإسكندر شكور أمينًا للصندوق، أما الأعضاء فكانوا نعوم بركات، سعيد البستاني، يوسف كيال، خليل كرجي، منصور جاماتي، أسعد نحول، نقولا غالب، حاتم سجعان».

لم يبق اهتمام الجمعية مقصورًا على دفن الموتى من فقراء الطائفة بل جعلت في رأس اهتماماتها مساعدة فقراء الطائفة، وبقيت التبرعات الشهرية الثابتة لهم، ومداواة المرضى وعلاجهم في المستشفيات، ودفن الموتى الفقراء، وتهذيب البنين والبنات، ومساعدة الفتيات في نفقات الزواج. وتطورت ميزانية الجمعية من ١٨٠٤ جنيهات مصري عام ١٨٨٠، إلى ١٥٠٨ جنيهات عام ١٩٢٩ إلى ٤١١١ جنيهًا عام ١٩٥٤، وهو مبلغ كبير قياسًا إلى القدرة الشرائية لجنيه تلك المرحلة. وتعاقب على رئاسة الجمعية سليم قيقانو، ونعوم بركات، وحبيب شاوي، والشيخ يوسف حبيش، وإلياس المعلم، وسليم باخوص، وأنطون قرألي، وعبد الله صفير، وعبد الله صوراتي، ويوسف الصاحب، وحبيب غانم، وإسكندر عمون، وسليم البستاني، وداود بركات، وأنطون الجميل، وجان يعقوب، وأوجست أديب، وجبران موسكات، ونجيب دوصعب، ومكس دو شديد، ونبيل بستاني، ومنهم من ترأس الجمعية لأكثر من مرة. وكان أبرز المحسنين بالوقفيات للجمعية الكونت سليم دو شديد، فريدة الصاحب، كريمة يزبك. وأبرز أعضاء مجالس الإدارة من عائلات: مسكات، دو شديد، الحويك، كلداني، الجميل، البستاني، عضم، فارس، عازوري، جدعون، عزيز، عمون، لبنان، الصاحب، الزغبي، نفاع، حاج، غريب، قبلان، صوما، شامي، راجي، قرألي، زوين، روفايل، توما، سعد، عساف، أسود، كرم، أبو جودة، زكور، أجوسطين، مخلوف، غانم، حبيقة، صفير، كنعان، شيشة، مطر، حرفوش، ميرزا، زغيب، بركات، يعقوب، لبس، فرح، خزام وغيرها.

إحصاء للطائفة المارونية بالقاهرة ١٩٥٥ (١٦)

إحصاء هام وبالغ الدلالة قام به موظف في دائرة الإحصاء الرسمية المصرية دون إذن رسمي من الحكومة. فهو إحصاء غير رسمي يقوم به موظف رسمي في الإحصاء لمصلحة الجمعية الخيرية المارونية التي ينتمي إليها. ودلالة الإحصاء غنية عن التعريف لأن وسائل علمية حديثة قد استخدمت فيه، وبالتالي فإن نسبة الصحة في المعلومات الإحصائية المقدمة كبيرة وتوحي بالثقة، في حين كانت الإحصاءات السابقة تقديرية ولا تستند إلى دراسة ميدانية. يحمل العمل الهام العنوان التالي: **إحصاء أبناء الطائفة المارونية بالقاهرة وضواحيها، انتهى الإحصاء في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥، بمعونة توفيق لبس، رئيس شعبة الفروع المارونية لجمعية القديس منصور.** وهو سجل كبير يمتد على ١٧٧ صفحة من الحجم الكبير ويعتمد ترتيبًا ممتازًا على أساس الحروف الأبجدية العربية مع عناوين السكن لكل عائلة. معلومات السجل تصلح كمادة أساسية لدراسة مستقلة تتناول التركيبة السكانية لأبناء الطائفة المارونية في القاهرة قبيل قرارات التأميم المصرية التي كان من نتائجها هجرة أعداد كبيرة منهم إلى كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا. وسنكتفي في هذا البحث بالإشارة إلى عدد أفراد كل عائلة مارونية في القاهرة كما وردت في إحصاء ١٩٥٥، مع الإشارة إلى أن مدينة القاهرة كانت تعتبر المركز الأساسي لسكن الموارنة في مصر خلال تلك المرحلة، وتليها في الأهمية مدينة الإسكندرية ثم مدينة المنصورة. في حين شهدت المناطق المصرية الأخرى، في الربع الثاني من القرن العشرين بشكل خاص، نزوحًا كبيرًا للشوام من الأرياف والمدن الصغيرة إلى القاهرة والإسكندرية وذلك لأسباب متنوعة. لذلك يمكن التأكيد أن أفراد العائلات المارونية بالقاهرة المدونة في الإحصاء تزيد على نصف عدد الموارنة في جميع أرجاء مصر. وليست لدينا معلومات إحصائية دقيقة، لكن المقابلات الكثيرة التي أجريناها تسمح لنا بهذا الاستنتاج. وهناك لمحة سريعة ومكثفة عن أهم النتائج الإحصائية التي توصل إليها توفيق لبس عام ١٩٥٥، وشارك فيها الكاهنان المارونيان الخوري يوحنا الحاج والخوري يوسف البجاني (١٧).

من سجلات السريان في القطر المصري [١٨]

في بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري ظهر تباعًا في مجلة «**المشرق**»، يكتب القس إسحق أرملة السرياني الكاثوليكي أن علاقة السريان بمصر تعود إلى العلاقة السحيقة والمتواصلة بين سوريا ووادي النيل. ويصفها أنها كانت متينة بين السريان والأقباط المصريين منذ القدم. وكانت للسريان كنائس قديمة في القطر المصري بلغ تعدادها ثماني كنائس، ولهم فيها ثمانية عشر ديرًا أبرزها دير السريان الكبير الذي ضم مكتبة عامرة ونقلت إليه عدة وثائق هامة من تدمر وحمص ونابلس وأورشليم وعكا والبقاع وتكريت وسجستان والرها وغيرها. يحدد القس أرملة مفهومه لتعبير السريان على الشكل التالي: «نحن نطلق هنا لفظة السريان على الآراميين عمومًا أي على عنصر السريان الشرقيين وهم الكلدان والسريان الغربيون الذين امتدوا خصوصًا في سوريا وما يجاورها من بلاد ما بين النهرين غربي الفرات». أي أن دراسته على السريان تضم أيضًا الكلدان وأن «الأمة السريانية»، كما يسميها، قد تفرعت منذ القرن الخامس للميلاد إلى أربع فرق: الملكية (الروم)، السريانية الشرقية، السريانية المارونية، السريانية الكاثوليك، وفي ذلك تأكيد على أن تداخل عائلات الشوام في الطوائف ناتج عن توزع هذه العائلات على معظم الطوائف المتواجدة في بلاد الشام.

عن أسباب هجرة السريان الموارنة إلى مصر، يرى القس أرملة أن فريقًا منهم هاجر من بلاد الشام إلى القاهرة طلبًا للتجارة وقسمًا آخر هربًا من الاستبداد والعبودية فحلّوا على الرحب والسعة ونشطوا للعمل، وتسابقوا في اكتساب العلوم حتى ظهر منهم الصحافي والشاعر والكاتب والطبيب والمحامي... وكان أغلب السريان الموارنة يقطنون بادئ بدء في دمياط... وأخذوا يزدادون رويدًا رويدًا في وادي النيل منذ أواسط القرن التاسع عشر. وذكر المؤرخون «أن محمد علي، خديو مصر، سأل الأمير بشير الشهابي سنة ١٨٢٤، أن يرسل إليه رجالًا من لبنان يتولون غرس التوت في أراضي مصر لتربية دود الحرير، فأجاب طلبه وأوفد إليه جرجس الزند، وابن عمه شاهين في ثلاثين من العيال المارونية أغلبها من زوق مصبح. فدرج من ذلك الحين استعمال تربية دود القز في القطر المصري». ويوضح النص أن القس أرملة يدمج بين الموارنة الذين قدموا من جبل لبنان وبين السريان الموارنة ويعتبرهم «أمة واحدة». لذلك تختلط العائلات على هذا الأساس كما تختلط المدارس والأديرة وغيرها.

«فأول من تولى خدمة نفوس السريان الموارنة في مصر هم الرهبان الحلبيون وأولهم القس موسى هيلانة الشامي سنة ١٧٤٥»، و«كان للسريان الموارنة ثلاث مدارس ابتدائية: الأولى في درب الجنينة، والثانية في قنطرة الدكة بالأزبكية، والثالثة في شبرا، وهي نوع من الكتاتيب البلدية ولكنها كانت أرقى منها ماديًا لأن الطلبة كانوا يجلسون فيها على تخوت بدل جلوسهم فوق حصير على الأرض كما كانت الحال في الكتاتيب».

وقد بلغ عدد أفراد هذه الطائفة من السريان الموارنة عام ١٩٢٥، في وادي النيل «قرابة عشرة آلاف نسمة ونيّف» ولهم كنائس كبيرة في القاهرة، والإسكندرية، والمنصورة، والزقازيق، وبور سعيد، والخرطوم، وأبرز مناطق تواجدهم في المنصورة، وطنطا، والمحلة الكبرى، ودمنهور، والإسكندرية، والزقازيق. وأبرز متموليهم الكونت خليل دوصعب ـ عميد الطائفة في المنصورة ـ الذي تبرع بمبلغ مائتي ألف فرنك لتأسيس كنيسة كبرى ودار للطائفة عام ١٩٠٥. والكونت سليم دو شديد، والكومندور ميخائيل بك حشيمة، وحبيب بك زوين، وآل مسكات، ومن وجهائهم في الإسكندرية عبد الله صفير، وجرجي ونصري أسود وغيرهما.

ويميز القس أرملة بين السريان الشرقيين، أي الموارنة، والسريان الكاثوليك الذين انضموا إلى كنيسة روما منذ القرن الرابع عشر وأنشأوا طائفة منظمة وارتحل بعضهم إلى بلاد سوريا وما بين النهرين «فنما عددهم رويدًا رويدًا حتى تكونت منهم طائفة لا ينقص عددها عن ثلاثة آلاف نسمة في القطرين المصري والسوداني. والسريان الكاثوليك سبقوا سائر الجماعات الكاثوليكية الشرقية إلى الأنحاء المصرية. ومنذ عام ١٨٨٨، قرروا الانفصال عن الأبرشية الحلبية التي ارتبطوا بها منذ عام ١٨٦٦، وجعلوا مصر أبرشية قائمة بذاتها يرعاها أسقف خاص ويدير شئون الطائفة في القاهرة وفي الإسكندرية والسودان». أبرز مراكز تجمعهم في القاهرة والإسكندرية وطنطا والمنصورة، وأبرز عائلاتهم: ضاهر، موصللي، شدياق، أبرهمشا، ألطي، حمصي، رباط، بغدادي، أسطنبولي، صالحاني، تعاطوا التجارة وحصل بعضهم على ثروة وافرة. وكان فرج الله موصللي في طليعة الجميع نفوذًا ونقودًا. واشتهر كذلك الخواجا يوسف جبرائيل شدياق، ترجمان قنصلية فرنسا في القاهرة وكان شيخ صيارفة مصر. ومنهم الكومندور جرجس أنطون أبرهمشا الذي شاد في الظاهر

بالقاهرة كنيسة على اسم والده عام ١٩٠٤ . واشتهر منهم في الإسكندرية الكومندور سليم جرجس ربّاط الذي سعى لإنشاء كنيسة للطائفة في الإسكندرية عام ١٩٢٥ . ومن الأسر السريانية الكاثوليكية المشهورة في الإسكندرية: بهنا، وفتّال، وشدياق، ومخزومة. ونبغ منهم في الآداب يوسف بك شلحت الحلبي في القاهرة وله مقالات منشورة في المجلات المصرية ومؤلفات واسعة الانتشار. واشتهر منهم كذلك الأديب يوسف إليان سركيس الدمشقي وله كتب موضوعة ومقالات في المشرق وترجمات عدة.

من سجلات كنيسة سيدة النياح للروم الأرثوذكس بالإسكندرية

اطلعنا فقط على سجلين من سجلاتها تضمنا أسماء عدد من مهاجري الشوام الأرثوذكس إلى الإسكندرية ما بين أعوام (١٨٩٣-١٩٣٢). وقد دونت بعض الأسماء والصفحات باللغة اليونانية فساعدنا الأب إلياس صوفان على تعريبها وأضاف إليها ذاكرته ومن دفاتر أخرى نوع المهنة وتحديد الوفاة أحيانًا. وتبدو اللائحة على جانب من التشوش لكنها تقدم إضافة علمية مفيدة لمعرفة أسماء الأسر الأرثوذكسية الشامية بالإسكندرية خلال تلك المرحلة.

يتجاوز حجم السجلين المائتي صفحة من الحجم الكبير، وهما يتضمنان أسماء الأولاد الذين تلقوا سر العماد في كنيسة النياح بالإسكندرية مع أسماء ذويهم. وقد زودنا الأب صوفان بأربع عشرة صفحة مكتوبة بخط يده لأسماء عائلات شامية هناك مع تعليق على بعضها يتضمن إضافة شخصية من الأب صوفان لمعرفته الدقيقة بمكان استقرار ذلك المهاجر من الخارج بعد تركه الإسكندرية إذ لا تزال له علاقة وثيقة بهم ويقوم بسفر متواصل للقاء بهم في الخارج[١٩]. وقد استخرجنا جدولًا إحصائيًا يعتبر وثيقة أساسية من مصادر دراسة هجرة الشوام على الإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. واعتمدنا في تنظيمه التسلسل الزمني الذي سجلت به أسماء المهاجرين في سجلات الإسكندرية، وذلك بالاستناد إلى تاريخ الولادة المدون في سجليّ العماد المشار إليهما. أما الإشارة إلى الوفاة الواردة في الجدول فمسنودة فقط إلى معلومات الأب صوفان الشخصية لا إلى وثيقة مكتوبة أو سجلات مدونة[٢٠].

من سجلات كنيسة رؤساء الملائكة للروم الأرثوذكس المصريين بالقاهرة

عندما زار الأب بولس قرألي مصر عام ١٩٢٥، وكتب سلسلة مقالات بعنوان «السوريون في القطر المصري» كانت مسألة عروبة الأرثوذكس السوريين في مصر قد بلغت ذروتها. لذلك جاءت إحدى هذه المقالات بعنوان «السوريون الأرثوذكس في مصر وانتخاب البطريرك الإسكندري». وقد ورد فيها بحث تفصيلي عن الخلاف الحاد الناشب بين الأرثوذكس اليونان والأرثوذكس السوريين نقتطف منه ما يلي: «ظل السوريون خاضعين في سوريا والقدس ومصر لسلطة البطاركة اليونانيين إلى أن اتحدوا في أواخر القرن الماضي (التاسع عشر) في سوريا وتوصلوا إلى انتخاب بطريرك سوري عليهم. ولكن سوريي مصر والقدس ظلوا تحت سلطة البطاركة اليونانيين، فكان هؤلاء يعينون لإدارة شئون وأوقاف السوريين وكلاء يونانيين من جنسهم، فيستبدون بالوطنيين ويتدرجون إلى الاستئثار بأوقافهم وضمها إليهم كما فعلوا بكنيستي الخمراوي والمحلة الكبرى وخصوصًا بالمدرسة العبيدية الشهيرة بالقاهرة. فقد أوقف عليها المرحوم روفائل عبيد السوري أملاكًا واسعة ثمينة جعلتها من أغنى مدارس القطر المصري لكنه جعل النظر عليها للبطريرك الإسكندري، وهو يوناني، فعين وكلاءها من أبناء جنسه فحولوها إلى مدرسة يونانية صرفة. ولولا نهوض وجهاء الطائفة الأرثوذكسية السورية في إبان الحرب الأخيرة ١٩١٤، وفي مقدمتهم الأمير ميشال لطف الله وسعيهم لدى قنصل روسيا والمرحوم بطرس باشا غالي رئيس الوزارة المصرية عندئذ لَمَا كان للسوريين أقل منفعة من وقفية مواطنيهم الكبيرة. وقد خطا السوريون خطوة أخرى لضمان منشآتهم الجديدة فجعلوا يسجلونها باسم جمعياتهم الخيرية وهي معروفة رسميًا من الحكومة. هكذا خلصوها من يد الأجانب وضمنوا لأنفسهم إدارتها وإيراداتها... وحتي عام ١٩٠٠، لم يكن للسوريين سوى ٢١ ناخبًا من أصل ١١٩ ناخبًا للكرسي البطريركي الأرثوذكسي. ولما رفض اليونان مساواتهم بالسوريين وأقر مجمع الإسكندرية ١٦٦ صوتًا لليونان مقابل ٣٤ فقط للسوريين وعين الانتخاب في شباط (فبراير) ١٩٢٥، عقد الوطنيون السوريون مؤتمرًا بالإسكندرية في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٥، في دار كنيسة الروم الأرثوذكس السوريين بشارع القائد جوهر. وحضر المؤتمر وفود اللجان من جميع مدن القطر المصري. فكان عن مدينة القاهرة والفيوم ودمياط الأمير ميشال

لطف الله وأسبيريدون بك سابا، ونجيب بك قصيري، ويوسف بك دبانة، والأستاذ جورج أفندي دباس، وعن المحلة الكبرى الخواجة حبيب قسيس. وعن بورسعيد الخواجان إبراهيم خوري وإسكندر خوري، وعن طنطا الخواجان رشيد ناصر وسليم لوقا، وعن المنصورة إسكندر بك جريديني وأمين أفندي صباغ، وعن الإسكندرية الخواجان أسعد باسيلي وحبيب بك أنطونيوس والأساتذة ميشال وباسيلي عبد النور وخليل أورفلي وإلياس بك نحاس. وتشكلت لجنة تنفيذية مؤلفة من ميشال لطف الله ونجيب سرسق وأسعد باسيلي وحبيب أنطونيوس ونجيب قصيري ويوسف دبانة، وجعل صاحب العزة إدوار بك قصيري مستشارًا لهذه اللجنة للاحتجاج على المنشور البطريركي والسعي لإعادة النظر فيه والمطالبة بتأليف مجالس ملية للطائفة كبقية الطوائف التي لها مجالس ملّية...»[٢١].

وكان للعامل الاقتصادي، إلى جوانب عوامل أخرى متشابكة، دور أساسي في انفصال الأوقاف الأرثوذكسية للسوريين في مصر عن اليونان فيها. فقد أوقف عدد هام من أغنياء الشوام الأرثوذكس قسمًا كبيرًا من ثرواتهم لمؤسسات الطائفة. وفي مقابلة مع أمين سر الجمعيات الخيرية للأرثوذكس الشوام في مصر، الأستاذ فؤاد زيدان، قدم أكثر من نموذج على ضخامة تلك الوقفيات، حتى أن بعض المهاجرين تبرع بحوالي ٦٠ ألف جنيه لقاء الاهتمام به حتى الوفاة، هذا في الوقت الذي كان فيه على فراش الموت. وكان يصعب على أغنياء الأرثوذكس في مصر، ولهم دور سياسي واقتصادي واجتماعي بارز فيها، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، أن تذهب أموال الوقفيات وفوائدها لأبناء الجالية اليونانية الأكثر عددًا ومنهم عدد كبير من رجال الدين الأرثوذكس في مصر. لذلك خاضوا معركة الانفصال على أساس عروبة الأرثوذكس السوريين واللبنانيين والمصريين. وكانت نتيجة ذلك أن «قدر الله سبحانه وتعالى أن يكون لأبناء طائفتنا الكرام بعد العناء الطويل كنيسة خاصة تقام فيها الصلوات والشعائر الدينية باللغة العربية وتجمع شتاتهم وتكون واسعة لتعارفهم وارتباطهم بالمحبة الأخوية». بهذه العبارة تم التقديم للتقرير المرفوع من مجلس الوكلاء عن حسابات الكنيسة الأرثوذكسية لسنة ١٩٢٨. واستمر الأمير ميشال لطف الله في رئاسة مجلس الوكلاء منذ عام ١٩٣١، حتى وفاته. وتعاقب على منصب نائب الرئيس كل من: جورج لطف الله، إدوار دباس، كرم سمعان، سمعان طراد،

بشارة حبش، وجبرا ظريفة. أما منصب السكرتير أو أمين السر فقد تعاقب عليه كل من إدوار دباس، كرم سمعان، ميشال دباس، سمعان نجار، بشارة حبش ثم الدكتور جاك خوري.

ومن أبرز المتبرعين للجمعية بالأوقاف المرحومة هيلانة سراج بمبلغ ستة آلاف جنيه مصري، وهبة ورثة المرحوم الأمير حبيب لطف الله بقيمة ١٧٥٣ جنيهًا، وذلك بالإضافة إلى تبرعهم بمنزلهم الكائن في ٣٢ شارع الظاهر، الذي تحولت أرضه إلى كنيسة للطائفة. وتبرع جبران خوري حداد بمبلغ ألف جنيه، وخليل وفيليب داود حبيب بمبلغ ٣٠٠ جنيه، وأنجال المرحوم إلياس جرجس إلياس بمبلغ ٢٠٠ جنيه، والمرحوم حبيب دبانة بمبلغ ٢٠٠ جنيه، والمرحومة فرجيني منصور بقيمة ١٠٠ جنيه، والسيدة ماري حبيب أسطفان بمبلغ ١٠٠ جنيه. وهناك تبرعات صغيرة ومتفرقة. كما يلاحظ أن التبرعات الكبيرة قد اختفت منذ الربع الثاني من القرن العشرين لأسباب متنوعة(٢٢).

وعند قراءة أسماء العائلات المشاركة في عضوية الجمعيات الأرثوذكسية العربية في مصر خاصة «جمعية كنيسة رؤساء الملائكة للروم الأرثوذكس المصريين بالقاهرة»، و«الجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس المصريين»، و«جمعية القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس المصريين» وغيرها يلاحظ الإصرار على مصرية هذه الجمعيات وعروبة الأعضاء المنتسبين إليها من الشوام وغيرهم. وأبرز الأسماء: ميشال وجورج لطف الله، عفيف وجورج نجار، إدوار دباس، يوسف دبانة، إبراهيم خياط، جبران عرقجي، جورج ملوك، عبده داود، ميشال دباس، ميشال كفوري، نجيب وإدوار قصيري، ميشال خوري فرا، قيصر قندلفت، سامي قسيس، مزيد قربة، كرم سمعان، نعمة الله طحان، إبراهيم اليازجي، جبرا ظريفة، أنطوان دروسو، بشارة حبش، سليم جبارة، حبيب غزال، سمعان طراد، جرجي عيسى أبو لحاف، جبران بشور، بسيم حصني، الدكتور أسعد أورفللي، عبد الكريم شوشة، رشاد رزوق، شارل غليونجي، سامي نجار.... وهناك عائلات أرثوذكسية كثيرة ترد أسماؤها في سجلات هذه الجمعيات مثل: زخورا، نقاش، منصور، قدسي، سلامة، قرنفلي، ناضر، طرابلسي، إسكندر، حكيم، حداد، شهلا، شويري، عبد النور، كحالة، زيدان، أيوب، عوض، إسكاف، فضول، صليبي، حبيقة، شعيا، سعد، برامكي، حاصباني، كفوري، متري،

صوايا، عبود، بوتاري، حشيمة، فرح، ديب، مينا، قمر، مسعد، حرب، قسطندي، الحاج، سابا، صعب، نقولا، صيداوي، داود، زلعوم، خلاط، بنايوتي، لوقا، بدارو، صيدح، أسطفان، زريق، جمل، جريديني، جدّي، كساب، طاسو، عيساوي، حمصي، شدياق، كوزما، المر، يونس، دياب، أبو شعر، بيضا، صيقلي، مدور، شاوي، زنانيري، دروسو، عقل، غطاس، مهنا.

ودلالة هذه الأسماء أن العائلات اليونانية التي كان يرد ذكرها قبل الانفصال في سجلات الأرثوذكس الشوام في مصر قد اختفت بشكل يكاد يكون نهائيًا بسبب معركة الفرز التي تمت بين الأرثوذكس العرب والأرثوذكس اليونان، وتمثلت في عدد كبير من الجمعيات والأندية التي ظهرت منذ ذلك الحين، أي ١٩٢٥، حتى الآن[٢٣].

من سجلات بطركخانة الروم الكاثوليك: هي سجلات غنية ومتنوعة أهمها:

أولا: سجلات القاهرة

(أ) **سجلات العماد:** اطلعنا على سجلين للعماد[٢٤]، تبلغ صفحات السجل الأول ٥٤٦ صفحة من الحجم الكبير، وتتضمن أسماء الأطفال الذين تلقوا العماد المسيحي في البطريركية منذ عام ١٧٧٣، ودون انقطاع حتى عام ١٩٢٨. ورصدنا عدد الذين تلقوا العماد سنة فسنة في محاولة للتعرف على أسماء العائلات الأولى التي هاجرت إلى مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر. وقد وردت بينها أسماء بعض العائلات المسيحية من غير الديار الشامية. لكن الغالبية الساحقة منها من مهاجري الشوام لأن معرفتنا بها تدفعنا إلى الجزم في هذه النقطة، كما أن كنية البعض منها لا تقبل التأويل في انتمائها الشامي. فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك عائلات الحلبي، الشامي، الصيداوي، صيدناوي، حموي، حاصباني، زحلاوي، فرزلي، عكّاوي، حمصي، طرابلسي، شامية، وغيرها من أسماء المدن والمناطق السورية ـ اللبنانية ـ الفلسطينية. يضاف إلى ذلك أن أسماء كثيرة باتت معروفة في انتسابها للديار الشامية مثل: صوصة، صباغ، صيقلي، سكاكيني، زنانيري، صيدح، هواويني، دبانة، حجار، طحان، كساب، بسترس، العود، سمنة، فرعون، عيروط، بولاد، طحان، عنحوري، كرمة، مسرة، شاوي، بيطار، مشاطي، فرحات، قطة، وغيرها الكثير.

لم يكن تسجيل العماد في بطركخانة الروم الكاثوليك حكرًا على أبناء الطائفة دون سواهم، إذ كان مفتوحًا لجميع الطوائف المسيحية الشامية. ودلت سجلات الآباء الفرنسيسكان على نموذج مماثل في هذا المجال. وعندما تستكمل كل طائفة تنظيم أفرادها واستقدام أحد رجال الدين من أبنائها تبدأ عملية الفصل الطوائفي وتنظم الطائفة سجلات وقيود أبنائها في دفاترها الخاصة. وتمت عملية الفرز والتدوين في مرحلة متأخرة وفي القرن التاسع عشر تحديدًا لدى بعض الطوائف. إن لمحة سريعة حول أهم الأرقام الإحصائية الواردة من سجل العماد المشار إليه تؤكد أن السنة الأولى، أي عام ١٧٧٣، شهدت خمس حالات عماد فقط في حين أن عدد هذه الحالات قد وصل عام ١٩٢٢ إلى ٣٥٧ حالة، وهو الحد الأقصى دون أن يتدنى الرقم عن ١١١ حالة منذ عام ١٩٠٢، بينما كان، في الغالب، دون المائة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وفي ذلك دلالة على تزايد أرقام هجرة الشوام إلى مصر واستقرارهم هناك منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. واستنادًا إلى معلومات تلك السجلات أحصينا عدد حالات العماد خلال سنوات (١٧٧٣-١٩٢٨) مع نماذج لأسماء أبرز العائلات الواردة فيها[٢٥].

(ب) **سجلات الزواج**[٢٦]. اطلعنا على سجلين، تبلغ صفحات السجل الثاني ١٩٠ صفحة من الحجم الطويل ولا يزال بحالة جيدة. وله أهمية بارزة في إبراز العلاقة الاجتماعية بين الشوام في مصر عبر التزاوج الذي يشكل إحدى أهم دعائم الحياة الاجتماعية. وقد بحثنا طويلًا عن السجل الأول بمساعدة القيِّمين على السجلات دون أن نعثر عليه، ولعله كان معارًا لإحدى المكتبات أو الكنائس التي تعيد تنظيم سجلاتها. لذلك توخينا الاستفادة القصوى من السجلين الثاني والثالث ويشملان المرحلة الممتدة من (١٨٣٧-١٩٢٨) للسجل الثاني، ومن (١٩٢٩-١٩٨٢) للسجل الثالث. ونلفت الانتباه، استنادًا إلى قراءتنا لسجلات العماد في البطركخانة، إلى أن أسماء العائلات القديمة تتكرر في السنوات اللاحقة في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، لأن أولاد المهاجرين وأحفادهم قد استقروا في مصر دون انقطاع ولم يغادرها بعضهم إلا بعد قرارات التأميم في النصف الثاني من القرن العشرين. وتشير معلومات السجل الثاني، أن أربع حالات زواج قد سجلت خلال عام ١٨٣٧، و٣ حالات خلال عام ١٨٤١، وحالتين خلال عام ١٨٧٠، وهو الرقم الأدنى لحالات الزواج في هذا السجل. أما الحد الأقصى لتلك الحالات فبلغ

٧٨ حالة عام ١٩٢٦. وفي الغالب، لم تتدن حالات الزواج المدونة عن خمس وعشرين حالة في القرن العشرين دون أن تتجاوزه طيلة القرن التاسع عشر إلا عام ١٨٩١ (٢٥ حالة). وعام ١٨٩٨ (٢٦ حالة)، وآخر القرن عام ١٨٩٩ (٣٠ حالة). وهذا تأكيد آخر على ازدياد أرقام الهجرة بشكل كثيف إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين.

وتشير معلومات السجل الثاني كذلك إلى تزاوج متنوع بين عائلات الشوام في مصر مع الحفاظ الدائم على الوجه الطوائفي للزواج أي من داخل العائلة، في الغالب، ومن داخل الدين المسيحي على اختلاف طوائفه، في حالات كثيرة ومتزايدة في أواخر القرن التاسع عشر وطيلة القرن العشرين. كما أن هناك حالات زواج عديدة من داخل العائلة الواحدة، والبلدة أو المنطقة الواحدة، ومن الأقارب والأنسباء المهاجرين إلى مصر أو الباقين في سوريا ولبنان. وهناك تزاوج، في بعض الأحيان، مع الأقباط المصريين. كما لا نلحظ تزاوجًا مع مسلمي مصر ـ نادرًا جدًا ـ في جميع السنوات التي امتدت إليها معلومات هذا السجل.

وعلى سبيل المثال نشير إلى نماذج من عقود الزواج خلال عامي (١٨٨٦-١٨٨٧)، أي في أواسط المرحلة التي تغطيها معلومات السجل الثاني. فقد تزوج يوسف نقاش من لورانس أبيانوس من طائفة اللاتين. وتزوج جرجس طنب من روزا باسيلي صالحاني. وتزوج سليم صيدناوي من ابنة عمه. وتزوج نخلة يوسف البحري من فريدة حداد، وتزوج نجيب ميخائيل يوسف من بهجة روفايل نخلة من طائفة الأقباط الكاثوليك، وتزوج يوسف جبرائيل العكم من إميليا إبراهيم أبو طاقية من طائفة الأقباط غير الكاثوليك، وتزوج قبلان كرامة من تريزا يوسف الجد، وتزوج بطرس موسى فرعون من مريم إلياس مسدية، وتزوج شكري نقولا كحيل من ماتيلدا قسطندي كساب، وتزوج حنين لفلوفة من أسمى بادروس ابنة خاله، وتزوج ناصيف يوسف كساب من مريم المسلمة المتنصرة، وتزوج يوسف عكاوي من ابنة عمه شفيقة نقولا عكاوي.

بالإضافة إلى تزاوج العائلات الشامية التي استقرت في مصر خلال تلك المرحلة، يعبر السجل بوضوح عن علاقة الطوائف المسيحية بعضها ببعض. وبالطوائف الإسلامية، فهو تزاوج تقليدي على غرار ما كان سائدًا في سوريا ولبنان خلال تلك المرحلة أي داخل العائلة الواحدة (ابنة عمه، ابنة خاله، ابنة خالته، إحدى نسيباته...) ومن داخل المنطقة والطائفة. وعندما يسكت السجل على طائفة العروس فللتدليل

على طائفتها الكاثوليك وإلا فهناك ملاحظة بهذا الخصوص: القبطية الكاثوليكية، أو غير الكاثوليكية أو اللاتينية أو السريانية أو الأرثوذكسية، أو المارونية أو المسلمة المتنصرة... إلخ.

لقد تتبعنا عدد حالات الزواج الواردة في السجلين الثاني والثالث حتى عام ١٩٥٠ لتقديم لوحة سريعة عن تزاوج الشوام في مصر طيلة أكثر من مائة عام (١٨٣٧-١٩٥٠) من خلال الوثائق الأصلية للطائفة الكثيرة العدد بين الشوام خلال تلك المرحلة، أي طائفة الروم الكاثوليك نظرًا لأن وثائق طائفة الروم الأرثوذكس، الكثيرة العدد أيضًا، قد أدمجت بأسماء الجالية اليونانية في مصر حتى الربع الأول من القرن العشرين.

(جـ) **سجل الوفيات**[٢٧]. تبدأ معلومات السجل بتاريخ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٣٧ حيث سجلت الوفاة الأولى باسم السيدة ماريا قصير وتنتهي في ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧. أسماء العائلات الواردة في هذا السجل تؤكد ما ورد في سجلات العماد والزواج بسبب ارتباط تلك العائلات بالبطركخانة الكاثوليكية في أمور الولادة والزواج والطلاق والإرث والوفاة وسواها. ويلاحظ أن نسبة الوفيات المدونة في هذا السجل تقارب الثمانية آلاف. وهي نسبة كبيرة جدًا لأنها لا تشمل سوى دفتر واحد ومن مركز ديني واحد لطائفة واحدة من طوائف الشوام في مصر. كانت طائفة الروم الكاثوليك الأكثر عددًا في معظم مراحل هجرة الشوام إلى مصر. لكن دفاترها تضمنت أسماء عائلات مسيحية غير كاثوليكية قبل أن تنظم كل طائفة شئونها الكنسية في دفاتر خاصة. لذا فأرقام الوفيات في سجلات الروم الكاثوليك في القاهرة، والإسكندرية، والدلتا، وبور سعيد، وحلوان، ودمياط، وزفتى، وسمنود، والمحلة الكبرى، والمنصورة، والإسماعيلية، ودمنهور، وبور فؤاد تؤكد بالوقائع الملموسة على العدد الكبير لهجرة الشوام إلى مصر خاصة في المرحلة الممتدة من أواسط القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين. ونكاد نجزم أن من دفن منهم في أرض مصر خلال تلك المرحلة يكاد يقارب الثلاثين ألفًا من مختلف الطوائف والديار الشامية. ومن الطبيعي أن تعبر سجلات الوفاة أكثر من سواها عن استقرار هؤلاء الشوام في مصر وتمضيتهم على أرضها الغالبية الساحقة من أيام حياتهم. فهي مؤشر هام على عمق العلاقات البشرية والاستقرار السكني والوظيفي والاندماج الكامل بالمجتمع المصري.

وهي، بالإضافة إلى السجلات المشابهة لها داخل بطركخانة الروم الكاثوليك بالقاهرة وفي الأماكن الدينية الأخرى تقدم مادة غنية جدًا لدراسة الحياة الاجتماعية للشوام في مصر من ولادة، وسكن، وعمل، وزواج، وطلاق، ووفيات، وإرث، ووقفيات وسواها. ونكتفي في هذه الدراسة بالإشارة إلى أهمية تلك السجلات لتسليط بعض الأضواء السريعة على الإحصائيات التي استخرجناها منها.

ثانيًا: سجلات كنيسة بورسعيد للروم الكاثوليك

تتضمن المجموعة ثلاثة سجلات كبيرة محفوظة في مركز بطركخانة الروم الكاثوليك بالقاهرة.

(أ) **سجل العماد**: دفتر من الحجم الكبير رقمت صفحاته من (١ ـ ٥٧) صفحة وبلغت عدد الولادات فيه ٦١٤، أولاها باسم يوحنا يوسف سرور المولود في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٣ في بور سعيد، والثاني باسم بطرس سليم صالحاني المولود في بورسعيد في ٨ آذار (مارس) ١٨٧٤، والثالث باسم موسى بدارو المولود في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٩ .لذلك يلاحظ تسلسل معلومات السجل استنادًا إلى تاريخ العماد المدون في دفتر الكنيسة وليس إلى تاريخ الولادة الفعلية. وكثيرًا ما سجل العماد دونما تحديد لتاريخ الولادة. وقد تتبعنا معلومات هذا السجل لمعرفة أسماء عائلات الشوام في بورسعيد منذ عام ١٨٧٣، حتى عام ١٩٤٥، وأحصينا عدد حالات العماد المدونة في السجل. فكانت أبرز عائلات الشوام في بورسعيد خلال تلك المرحلة: سرور، صالحاني، بدارو، بولس، غرة، صافي، الدقاق، عبد الله، رزق، روفايل، سكر، خوام، أبو حمد، عبود، نجم، نقولا، قشاش، وهبه، أيوب، الغز، صوصة، حداد، فارس، صيدح، عبيد، شكور، عبد المسيح، شكر، إلياس، عبد النور، ديدبان، موسى، زهار، أرقش، صيقلي، كساب، منير، زغبي، رفول، زند، عوض، باسيلا، أسطفان، عطا الله، شاهين، زهار، شاكر، بطيخة، بولاد، نجار، ضاهر، شامي، بيروتي، قرداحي، عبده، بشارة، جبريل، موصللي، صفير.

ومن الواضح أن أسماء تلك العائلات تنتشر في معظم الديار الشامية، خاصة اللبنانية منها. وأن سجلات باقي كنائس الشوام في مصر تتضمن أيضًا تلك العائلات

نظرًا لانتشارها في أكثر من مدينة مصرية لأن العائلة الواحدة كثيرًا ما كانت تتوزع في مدينتين مصريتين أو أكثر.

(ب) **سجل الزواج**: ويتضمن أيضًا أسماء المقيمين في بور سعيد والإسماعيلية ودمنهور وبور فؤاد والذين سجلوا زواجهم في كنيسة بور سعيد للروم الكاثوليك. عدد أوراق الدفتر ثمانية من الحجم الطويل وبلغت أعداد الزيجات فيه ١٦٧ زواجًا، الأول باسم عبد الله غرة ومسجل بتاريخ ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٧، والأخير باسم هنري صيقلي بتاريخ ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧. توزعت الزيجات ما بين ١٨٧٧، والحرب العالمية الأولى وعددها ٤٨ حالة، وما بين الحرب العالمية الأولى وعام ١٩٤٧، وعددها ١١٩ حالة. وعلى الرغم من أن سنوات المرحلة الأولى ٣٧ سنة، وسنوات المرحلة الثانية هي ٣٣ سنة، فإن عدد حالات الزواج في المرحلة الأولى لا يزيد على ٤٠٪ من حالات الزواج في المرحلة الثانية، وفي ذلك تأكيد على زيادة عدد المهاجرين الشوام إلى المناطق المصرية إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين. أما شكل الزواج فهو نفسه الذي أشرنا إليه في أكثر من مناسبة أي تزاوج داخلي وعائلي وطائفي مع شيء من الانفتاح على الأقباط والأجانب، وفي حالات نادرة مع المسلمين المصريين.

(جـ) **سجل الوفيات**: يبلغ حجم هذا السجل ١٥ ورقة من الحجم الطويل ويتضمن أسماء المتوفين التابعين للكنيسة الكاثوليكية في بور سعيد والإسماعيلية ودمنهور وبور فؤاد. سجلت الوفاة الأولى فيه باسم إسكندر سرور المتوفي في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٠، دون إشارة إلى وفيات تلك الطائفة طيلة القرن التاسع عشر. وقد أحصينا عددها حتى الحرب العالمية الأولى فبلغ تسع وفيات معظمها من العائلات المعروفة التي أشرنا إليها في دفتر العماد. وحتى نهاية عام ١٩٤٥، بلغ عدد الوفيات من تلك الطائفة في المدن المصرية الأربع المشار إليها ٧٧ وفاة ثم يرتفع الرقم إلى ١٦٦ وفاة في ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١. وكانت هجرة الشوام إلى تلك المناطق منذ نهاية القرن التاسع عشر هجرة شابة ولم تبدأ بالتقلص العددي الناتج عن الوفاة إلا في النصف الثاني من القرن العشرين. فخلال ٧٢ سنة تبدأ من تسجيل أول عماد لأبناء هذه الطائفة في بورسعيد عام ١٨٧٣، وتنتهي عام ١٩٤٥، فإن عدد حالات الوفاة

المسجلة هو ٧٧ وفاة، ثم يقفز الرقم في السنوات اللاحقة وعددها ٣٦ سنة فقط إلى ١٦٦ وفاة، أي أكثر من الضعفين لفترة زمنية تبلغ نصف الفترة الأولى تمامًا.

ثالثًا: سجلات الوجه البحري للروم الكاثوليك

بالإضافة إلى سجلات بورسعيد هناك ستة سجلات موزعة على دفاتر أهمها.

١ ـ **سجل دمياط** وفيه ثلاثة دفاتر:

(أ) **دفتر العماد**: عدد صفحاته ٣٤ وعدد الولادات فيه ٤٦٥ ولادة وعمادًا، تمتد من ١٧٩٧ حتى ١٩٥٧. أولى الولادات باسم نقولا ميخائيل إسحق في ٦ آب (أغسطس) ١٧٩٧.

(ب) **دفتر الزواج**: عدد صفحاته ١٥ وعدد الزيجات فيه ٨٠ زواجًا، أولها لبشارة (مجهول باقي الهوية) على مريم السماك في عام ١٧٩٩، دون تحديد لليوم والشهر.

(ج) **دفتر الوفيات**: عدد صفحاته ١٢ وعدد الوفيات ٨١، أولها بتاريخ ٢٠ نيسان (إبريل) ١٨٢٨.

أبرز عائلات الشوام من طائفة الروم الكاثوليك أو من الذين تسجلوا في دفاترها منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى أواسط القرن العشرين هي التالي: بطرس، بولس، البرادي، الترك، أرقش، جبارة، حموي، حبيتر، طويل، أسود، أيوب، إلياس، خزام، خوام، دراج، حاكورة، دبانة، سابا، سرور، سمعان، سمنة، زخور، سلموني، سلامة، سالم، بيطار، حوري، صياد، صالحاني، صايغ، صهيون، صيدح، صباغ، صالحة، صورية، صبحاني، عيروط، كرم، سكروج، إلياس، غنطوس، فرح، مقصود، منسي، فرح، قبرصلي، فرحات، نقولا، خياط، عطا الله، كحيل، زكار، قطة، سلامة. أما العائلات التي تتردد أسماؤها أكثر من مرة دلالة على كثرة عدد أفرادها في دمياط فهي: صباغ، صيدح، قطة، سلامة، مسرور، كحيل، مقصود، عطا الله، خياط، فرحات، سلموني، صبحاني.

٢ ـ **سجلات المحلة الكبرى**

هي ثلاثة سجلات صغيرة الحجم وعدد الصفحات ٢٨ صفحة موزعة كالتالي:

(أ) **دفتر العماد**: عدد صفحاته (١-١٨) يبدأ عام ١٨٧٠ وينتهي عام ١٩٥٠. عدد الولادات ١١٤.

(ب) دفتر الزواج: صفحات (١٩-٢٤)، يبدأ عام ١٨٨١ وينتهي عام ١٩٥٠. عدد حالات الزواج ٢١ حالة.

(جـ) دفتر الوفيات: صفحات (٢٥-٢٨). عدد الوفيات ٤٧ حالة.

أبرز العائلات التي تضمنتها الدفاتر الثلاثة هي: مسدية، منسي، قنواتي، توتونجي، ديب، دبانة، راسي، طاسو، حوارة، بشارة، بولاد، لباد، شلهوب، شامي، شيخاني، ضاهر، ديب، أنطونيوس.

دلالة الإحصائيات أنها تشير إلى العائلات السورية ـ اللبنانية المنتشرة في معظم أنحاء القطر المصري. وقد تكون هناك صلات القرابة العضوية أو الرحمية بينها بحيث يتوزع الإخوة والأبناء والأنسباء من مدينة إلى أخرى. وليس هناك إثبات على طائفية السجلات الوحيدة الجانب، أي أن هؤلاء المهاجرين هم جميعًا من طائفة الروم الكاثوليك ولعلهم من جميع الطوائف المسيحية، ونميل إلى ترجيح الفكرة الأخيرة لأن أسماء هذه العائلات ترد لدى الروم الكاثوليك، والروم الأرثوذكس، والموارنة، والسريان وغيرهم من الطوائف الشامية المهاجرة إلى مصر. ونظرًا لكون المحلة الكبرى كانت من المدن المصرية قليلة السكان والتي لا تتمتع بموقع تجاري ممتاز فإن عدد المهاجرين الشوام إليها بقي محدودًا طيلة قرابة الثمانين سنة التي دلت عليها الدفاتر الثلاثة وهي سنوات (١٨٧٠-١٩٥٠).

٣ ـ سجلات المنصورة

عدد صفحاته ١٠٤ صفحات من الحجم الكبير، تتوزع كالتالي:

(أ) دفتر العماد: ٥٨ صفحة يتضمن ٣٩٥ حالة عماد ما بين أعوام (١٨٦٤-١٩١٤).

(ب) دفتر الزواج: صفحات (٥٩-٧٠)، وعدد حالات الزواج ٧٧ حالة.

(جـ) دفتر الوفيات: صفحات (٧١-١٠٤)، وعدد حالات الوفاة ١٧٢ حالة.

لقد كانت المنصورة إحدى المدن الكبرى المصرية بعد القاهرة والإسكندرية، فعرفت هجرة واسعة من الشوام، خاصة الموارنة منهم، وهي ترقى إلى أواسط القرن التاسع عشر، أبرز العائلات التي أشار إليها هذا السجل هي: عكاوي، ساعاتي، سمنة،

خير، خياط، حوارة، جاهل، بيطار، نحاس، مباردي، منسي، مشاقة، لباد، كحيل. وهي عائلات تتكرر في معظم المدن المصرية، وتقاليد الزواج مشابهة للتي أشرنا إليه في مجالات متفرقة من هذه الدراسة.

٤ ـ سجل زفتى

هي بلدة مصرية عرفت هجرة الشوام إليها منذ أواخر القرن التاسع عشر، لكن معلومات هذا السجل تقتصر على الفترة الزمنية من ١٨٨١ حتى ١٩١٤. عدد صفحاته ١٣ صفحة من الحجم الكبير ولا يتضمن سوى عدد حالات الزواج التي بلغت ٩١ حالة، وهي نسبة هامة خلال هذه المرحلة القصيرة وفي بلدة صغيرة. أبرز العائلات المشار إليها هي: بيطار، حمصي، خلاط، داود، إلياس، سمّان، عازار، نعوم، نخلة. وليست هنالك أية تفصيلات أخرى يمكن الاستفادة منها كمعلومات تاريخية حول هجرة الشوام إلى هذه البلدة المصرية الواقعة على الوجه البحري.

٥ ـ سجل سمنود

بلدة مصرية صغيرة على الوجه البحري، عرفت هجرة الشوام إليها منذ أواسط القرن التاسع عشر. عدد صفحات هذا السجل ٩ صفحات فقط تغطي المرحلة الزمنية الممتدة من (١٨٦١-١٨٨٧)، أبرز العائلات المشار إليها هي: بولاد، الترك، خير، روم، صايغ، دهان، حنا.

هذه المعلومات ناقصة وغير مبوَّبة، وهي مزيج من حالات العماد والزواج والوفاة. وقد اعتمدنا عليها فقد لإبراز أسماء عائلات الشوام التي هاجرت إلى هذه البلدة المصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

٦ ـ سجل حلوان

بلدة مصرية صغيرة قبل أن تتحول إلى مدينة صناعية كبيرة في النصف الثاني من القرن العشرين. وهذا السجل حديث العهد لأنه يغطي السنوات الممتدة من ١٩٠٩ حتى ١٩٥٣، ويتضمن ٢٨ صفحة موزعة كالتالي:

(أ) **دفتر العماد**: صفحات (١-١١) ويتضمن ٧٥ حالة.

(ب) **دفتر الزواج**: صفحات (١٢-١٧) ويتضمن ١٠ حالات.

(جـ) دفتر الوفيات: صفحات (١٨-٢٨) ويتضمن ٥٩ حالة.

ومن الواضح أن الوفيات تبلغ ستة أضعاف حالات الزواج تقريبًا، وأن عدد الولادات يعادل ٧,٥ مرات عدد الزواج. ولعل هجرة داخلية كانت تتم من حلوان إلى المدن المصرية الكبرى. خاصة القاهرة والإسكندرية، وهي هجرة شابة في الغالب، بهدف التفتيش عن عمل أو وظيفة أو سواهما. وهذا يفسر، إلى حد ما، هذا الانخفاض الحاد في عدد حالات الزواج قياسًا إلى عدد الولادات والوفيات معًا وذلك في مرحلة لم تشهد تراجعًا حادًا في الإقبال على الزواج.

أبرز العائلات المشار إليها هي: صايغ، سمعان، سرور، شلهوب، شيخاني، صيدناوي، زنانيري، دهان، أرملة، خير، بحري، وردة، توتونجي، كحيل، لفلوفة، عيسى، غزالة، فرح، شماس، راسي، رطل، جبارة، تاجر.

وكان من المفيد جدًا إجراء مقابلة مطولة مع المطران كامل مدور، من مواليد بيروت ١٨٨٧، الذي أدار أبرشية القاهرة وعدة أبرشيات ومدن تابعة لها فعرف عن كثب شئون أبناء طائفة الروم الكاثوليك الشوام وعايش الكثير منهم وما زالت ذاكرته ممتازة، وتشكل المقابلة إحدى الوثائق الهامة في هذه الدراسة[٢٨].

من سجلات كنيسة مريم سيدة السلام للروم الكاثوليك بالقاهرة

دفتر الكنيسة سجل حافل بأسماء من تبقى من العائلات السورية ـ اللبنانية المستقرة في القاهرة والتي تنسب لطائفة الروم الكاثوليك. وقد تفضل الأب صعب خليل أبي صعب[٢٩] بإبراز أسماء بعض هذه العائلات، خاصة الكثيرة العدد منها، فكانت محصلة ذلك اللائحة التالية:

آل البيطار، سياج، بولاد، خوّام، أسود، معتوق، العقاد، باحوط، يارد، مسرة، طويل، أسعد، فرح، جدّي، الفرزلي، قطة، صيدناوي، حاتم، الأخرس، نحاس، قبطان، حبيقة، نقاش، العكاوي، المعلوف، كحيل، كحلة، عريضة، مدور، زنانيري، فتال، مرقص، كنج، الزغبي، الحموي، الحمصي، زلط، الناشف، صوايا، دبوس، صوصة، صباغ، لباد، شيخاني، نجم، نجيم، كرم، دياب، العبده، العسال، نشو، شلهوب، شامية، حوّا، عبد النور، سابا، فياض، قطان، مسدية، بركات، رطل، عفيش،

عطايا، قطاع، مشاقة، عزام، رباط، الحاج، كساب، زيدان، قرداحي، غزال، عطا الله، الخال، حمامة، رفول، الحلو، نصر الله، زرزور، جحا، شمعة، قسيس، جاويش، سلامة، زيبارة، طبارة، خياط، أصفر، بطيخة، أشقر، قدسي، بنا، شحاتة، مخزوم، فتوش، سكاكيني، المكاري، المعري، الكفوري، توتونجي، غضبان، تابت، قصير، توما، عيروط، بطايني، كعيكاتي، فرحات، كرمة، محسن، أيوب، حاصباني، تاجر، مباردي، زهرة، زاهر، قيومجي، منسي، عازار، دبانة.

ويلاحظ أن معظم أسماء العائلات تتكرر في جميع سجلات الكنائس والأديرة التي أقامها المسيحيون الشوام في مصر. وفي البداية كانت هناك سهولة في الانتقال من طائفة إلى أخرى قبل أن تتحجر الطوائف وتنغلق على نفسها كما فعلت في لبنان.

من سجلات بورصة الإسكندرية

تألفت عام ١٨٦١ جمعية للسماسرة في الإسكندرية سرعان ما تحولت إلى العمل في البورصة التي عرفت باسم «بورصة القطن والحبوب في الإسكندرية» وكان مركزها في الشارع المعروف اليوم باسم «شارع البورصة القديم». وسرعان ما دب الشقاق بين السماسرة فأنشأ بعضهم بورصة ثانية للقطن جعلت مركزها في مكتب كوك المعروف اليوم بشارع فؤاد الأول. عام ١٨٨٩، بلغ عدد السماسرة قرابة خمسة وعشرين سمسارًا ألفوا نقابة باسم «جماعة سماسرة البضائع» ثم وضعوا لها نظامًا أساسيًا وعينوا لها لجنة إدارية برئاسة السيد هنري صغر (Henri Sègre) الفرنسي الجنسية. وقد احتكرت هذه الجماعة الصفقات الآجلة المعقودة على القطن والحبوب والفول. وبقيت أعمال بورصة البضائع دون تدخل الدولة حتى عام ١٩٠٩، حين أصدرت الحكومة المصرية قانون ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) لهذا العام نظمت بموجبه أمور البورصة. ولم تكن هناك أية بورصة للبضائع في مختلف أرجاء مصر، حتى ذلك التاريخ، سوى بورصة الإسكندرية التي كانت وثيقة الصلة بمراكز البورصة في نيويورك، وليفربول، ونيو أورليان وغيرها.

ومنذ عام ١٨٨٢، وضع تجار القطن أساس شركة خاصة أسموها «شركة

القطن بالإسكندريـة» التي تحولـت إلى «شركـة الإنتـاج العـام بالإسكندريـة» (Alexnadria General Produce Association) التي نظمت المعاملات الخاصة بشراء محاصيل القطن وبذرة القطن والحبوب ابتداء من عام ١٨٨٤. ولعبت هذه الشركة، بالاتفاق مع البيوت العالمية الكبيرة، دورًا هامًا في تحديد أسعار القطن والتلاعب بها مما قاد إلى نكبات متلاحقة للمنتجين وصغار المشترين. فعلى سبيل المثال انخفض، أو (أخفض) سعر بذرة القطن من ١٦٠ قرشًا للإردب الواحد في ٣ تموز (يوليو) ١٩٢٨، إلى ٩٤ قرشًا في ٢٠ آب (أغسطس) من العام نفسه، وذلك بفعل المضاربة. فكان لا بد من تدخل الدولة المصرية التي أصدرت القرار الوزاري الذي نظم أعمال البورصة بتاريخ ١٠ آذار (مارس) ١٩٣٠، وأناطت أمر تنفيذه إلى لجنة برئاسة وزير المالية مكرم عبيد وعضوية جول خلاط، صاحب الخبرة الطويلة في شئون البورصة ومؤلف كتاب أعمال البورصة في مصر الصادر في الإسكندرية عام ١٩٣٧.

جول خلاط لبناني الأصل، تلقى علومه في مدارس بيروت وباريس. ترأس لجنة بورصة البضائع في الإسكندرية منذ عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٣٧، وهي أطول مدة أمضاها رئيس لهذه اللجنة. كان عضوًا في لجنة أو قوميسيون مينا البصل في الإسكندرية، وعضوًا في معظم اللجان الفرعية التي أنشأتها الحكومة المصرية أو البورصة لوضع لوائح الأسواق في الإسكندرية والقاهرة. وكان العمل في البورصة من أهم الأعمال الاقتصادية في مصر والتي حققت أرباحًا طائلة على حساب المنتج الذي يخسر القسم الأكبر من قيمة المحصول بسبب التلاعب بالأسعار. ويلاحظ أن رؤساء البورصة في الإسكندرية كانوا على الدوام من الأجانب حتى عام ١٩٣٧، حين وصل أول مصري لرئاسة هذه البورصة. وهي دلالة كبيرة على مدى تحكم الأجانب، ومنهم الشوام، بالاقتصاد المصري لأن مهنة السمسرة حرة وطليقة في مصر. ويكفي لمن يرغب الانخراط بأعمال البورصة أن يسجل اسمه في جدول السماسرة شرط ألا يكون قد نال حكمًا سابقًا بالإفلاس أو بالسجن، وهي شروط أدبية.

ويعطي جول خلاط لائحة بأعضاء بورصة الإسكندرية خلال أعوام (١٩١٦-١٩٣٧) مفصلة على الشكل التالي[٣٠]:

١٩١٦	١٩٢٦	١٩٢٩	١٩٣٣	١٩٣٧	
الأعضاء السماسرة	٥٢	٨٧	٨٦	٥٥	٥٢
الأعضاء المنضمون	٢٦	٦٠	٥٣	٥٤	٥٤
الأعضاء المياومون	٤٧	١١٦	١٢٤	١١٧	١٠٦
الأعضاء المنفذون	٦٤	١٦٨	١٣٩	٦٣	٥١
وسطاء السماسرة	-	-	١٢٢	١٧٧	١٤٠
الأعضاء المراسلون	-	-	١٤	١٦	١٤
مكاتب السماسرة لدى البورصة	٤١	-	٧٠	٤٥	٣٧

حتى عام ١٩٣٧، كانت سيطرة الأجانب كبيرة جدًا في أوساط العاملين في بورصة الإسكندرية، إذ دلت جنسيات السماسرة على وجود ٢٠ مصريًا فقط من أصل ٥٢ سمسارًا بينهم ١٨ يونانيًا و٦ إيطاليين و٤ بريطانيين و٤ سماسرة من جنسيات مختلفة. ودلالة هذه الأرقام أن السيطرة الأجنبية كانت لا تزال قوية على بورصة الإسكندرية، وأن الجنسية المصرية كانت تتضمن أسماء الشوام الذين تمصروا خلال هذه المرحلة. أما أبرز أسماء الشوام العاملين في بورصة الإسكندرية فكانوا من عائلات كرم، ونحاس، وبولاد، وجاهل، وباسيلي، وهندي، ودياب، وصوايا، وكحيل، وقصير، وفيعاني، وخوري وغيرهم.

من سجلات الغرفة التجارية اللبنانية ـ المصرية بالإسكندرية[٣١]

أصدرت الغرفة مجموعة من النشرات السنوية التي حملت في عناوينها موضوعات أساسية حول العلاقات الاقتصادية بين مصر ولبنان، وقد أجمع كتبة المقالات على ضرورة تحرير الاقتصاد المصري من نير الأجانب مع تعزيز الترابط الوثيق بين مصر وأشقائها العرب، خاصة اللبنانيين منهم. ومرد ذلك إلى أن الغالبية الساحقة من أعضاء الغرفة كانوا من الصناعيين الشوام الذين أسسوا لهم مصانع كبيرة في الإسكندرية منذ أواخر القرن التاسع عشر واستمرت حتى أواسط القرن العشرين. ودلت النشرات على المعلومات الإحصائية التالية حول مؤسسات الشوام الصناعية في مدينة الإسكندرية وجوارها:

شركة الملح والصودا المصرية: أسسها عدة شوام عام ١٨٩٩، بالإسكندرية،

ثم اندمجت بشركة الزيوت والصابون المصرية سنة ١٩٠٥. تولت بمفردها تأسيس صناعة الكيماويات الثقيلة في مصر، إذ أسست الشركة المالية والصناعية المصرية التي قامت بإنشاء أول مصنع مصري لإنتاج حامض الكبريت والأسمدة الكيماوية. وبلغ من نجاح الشركة في إنتاج الزيت الصناعي أن توقف استيراده من الخارج. كذلك أنشأت مصانع حديثة لتكرير الملح، وصناعة الزيوت الهيدروجينية عام ١٩١٢، والزيت النباتي المعروف باسم «أبو الهول». وكانت الشركة أول من أنشأ في مصر مصنعًا لإنتاج صابون التواليت المعروف بماركات «سلكت Select» و«زفير Zéphyer» و«إليت Élite» و«ورد النيل Roses du Nil». وأنشأت الشركة أيضًا مصنعًا آخر لإنتاج الزيوت وآخر للصابون في وادي النيل.

شركة باسيلي باشا للأخشاب: أسسها أسعد باشا باسيلي، وكانت تهتم بتجارة الأخشاب وتصنيعها. جعلت مركزها في الإسكندرية وأسست لها فرعين في القاهرة، فرع المهدي وفرع روض الفرج.

مصانع جرجس عماد وأولاده بالإسكندرية: من رواد صناعة الصابون بالإسكندرية ومناطق مصرية أخرى. أنشأ جرجس عماد أول مصنع للصابون سنة ١٨٩٨. وعندما توفي عام ١٩١٢، خلفه ابنه إلياس عماد الذي وسع مصانعه بحيث أنتجت ما يزيد على ٦٠٪ من الاستهلاك المحلي المصري خاصة في سنوات الحرب العالمية الأولى. أنشأ أيضًا معصرة حديثة لزيت بذرة القطن على أحدث الطرق الآلية الأمريكية وذلك على ضفاف قناة المحمودية في كيرموز ـ الإسكندرية. وقد استقدم آلاته من الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت مصانعه تسد حاجة مصر بجانب كبير من زيت الطعام وزيت الصابون والصابون. أهم الماركات المعروفة باسمه «زيت الأقصر».

مصانع شحفة إخوان بالإسكندرية: اعتبرت أحدث مؤسسة صناعية في الشرق الأوسط لتحضير أمعاء الحيوانات وصناعة الغراء والجيلاتين.

مصانع نايف عماد باشا بطنطا: أسست قبيل الحرب العالمية الأولى في طنطا والزقازيق ثم تمركزت في طنطا عام ١٩٣٤. تنتج زيوت بذرة القطن ماركة «زيت زمزم» الفاخر للمائدة والمكرر على أحدث الآلات الأوربية، وزيوتًا أخرى كزيت الكتان ماركة «أولد جولد Old gold» وغيره، كما تنتج الصابون المشهور باسم ماركة «الشمس».

شركة أبناء شكر الله جاهل: تأسست بالإسكندرية عام ١٨٩٦، لإنتاج وتصنيع الفحم والأسمدة الكيماوية.

شركة فيعاني إخوان: لتصنيع وتصدير الأقطان بالإسكندرية.

شركة خوري إخوان بالإسكندرية: لحلج القطن وتسويقه وتصديره.

شركة نصري ويوسف توتونجي بالإسكندرية: لاستيراد وتصنيع الحديد والمعادن ولها فرع خاص بتصنيع المعادن الثمينة والاتجار بها.

شركة الغزل الأهلية المصرية: لتصنيع الأقطان وتسويقها وتصديرها.

شركة سليم وسمعان صيدناوي بالإسكندرية: لتصنيع الملبوسات الجاهزة وتجارة الألبسة والفضيات، والكريستال، والصيني، وجميع اللوازم المنزلية.

إن أسماء المنتسبين إلى الغرفة التجارية اللبنانية ـ المصرية بالإسكندرية التي تأسست عام ١٩٤٨، تبرز استقرار بعض أفراد العائلات اللبنانية والسورية في مصر بعد قيام دولتي سوريا ولبنان ولم يغادروها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد كان رئيس الغرفة التاجر الكبير أنطون كرم، سليل أسرة كرم أو «ملوك الخشب» في الإسكندرية. وكان نائباه: كوستي صوايا، ومحمد نهاد حولّا، وأمين صندوق الغرفة التاجر الكبير جاك باسيلي، من أسرة مشهورة جدًا بغناها في الإسكندرية. أبرز أعضاء الغرفة من اللبنانيين والسوريين: رامز خلاط، إيلي فيعاني، رينة مقصود، أنطون إسكندر دياب، ناظم حداد، نصري قصير، رضوان وهاشم غندور، روبير قصير، دلال إخوان، ميشال إسكندر جبيلي، إدوار نقولا كرمي، جان جرجورة، وديع بشور، إلياس فيعاني، جوزف كريدي، فرنسوا غرّة، جورج عماد، نقولا فيعاني، محمد بشير، وهبي جميل، يوسف أبو جودة، شارل كحيل، روبير بولاد، شارل بولاد، أسعد مفرج، سلوم إخوان، مارون باز، صوايا إخوان، جبرائيل خوري، ميشال دهان، موريس لكح، قبلان إخوان، إدجار جاهل، عطا الله إخوان، رينة مقصود، حداد إخوان، أدهمي إخوان، عبد الله زحيل، حبيب وفؤاد إسكندر دياب، واصف مسقاوي، جورج قطيني، أرمان لكح، إسكندر هندي، روبير وأدمون خوري، سليم عماد، أنطون قنواتي، معتوق إخوان، نصري وجوزيف توتونجي، ألبرت نجيب، ألفرد يواكيم، برج طناليان، روبير إبراهيم طاسو، أدمون تويج، جورج أندراوس، إسكندر ديب طعمة، جورج بدور،

حنا حنانيا، جبرائيل زينة، جوزف بطايني، أنطون نعمة، أدمون أسود، ريمون حايك، جبرائيل نادر، صباغ إخوان، نايف عماد، ميشال جاهل، جورج ميرزا، ألفرد وايلي، جبران هواويني، نقولا جرجورة قشعمي، شارل عبد الله جاهل، أنطون خوري، جبرائيل نحاس، فؤاد وإميل حبيب، رامز خلاط، أنطون بشارة كرم، أنطون إسكندر دياب، أبناء أنطونيوس باسيلي، وقد شكل هؤلاء الغالبية الساحقة من أعضاء الغرفة التجارية اللبنانية ـ المصرية بالإسكندرية عام ١٩٤٨، مقابل قلة من المصريين.

من إعلانات بعض فناني ومثقفي الشوام في مصر في القرن العشرين(٣٢)

بعد الاستقرار في مصر واتخاذها موطنًا أساسيًا للسكن والعمل أصبح الجيل الثاني وخاصة الجيل الثالث من المهاجرين الشوام أقرب إلى المجتمع المصري منه إلى المجتمع السوري أو اللبناني. فالارتباط بالمجتمع المصري أصبح وثيقًا في كافة المجالات، في حين كان ارتباطه بموطن أهله الأصلي عاطفيًا فقط على الرغم من أن بعض أبناء ذلك الجيل تلقوا دراستهم العليا في مدارس بيروت وعادوا للعمل في مصر.

وظهرت مواهب فنية كبيرة بين مهاجري الشوام في مصر لعبت دورًا أساسيًا في نهضتها الفنية كما لعب آباؤهم وأجدادهم دورًا مماثلًا في حقول التجارة والصناعة والوساطة والمصارف واستصلاح الأراضي والوظائف الحكومية العليا والصحافة وبعض جوانب العمل السياسي والنقابي والحزبي.

فحتى ١٩٢٥، كانت هناك لائحة كبيرة من المبدعين السوريين واللبنانيين في مصر طالت مختلف جوانب الحياة الفنية فيها. وقد التقى الأب قرألي بعض فناني الشوام إبان رحلته إلى مصر ذلك العام وزار الغالبية الساحقة من تجمعات المهاجرين الشوام هناك. فدوّن تلك اللقاءات في سلسلة من المقالات بعنوان «**السوريون في مصر**» نشرها تباعًا في مجلته المعروفة باسم «**المجلة السورية**»، وأضاف إلى لائحة الأحياء عددًا كبيرًا من أسماء أبرز الشوام الذين تفتحت مواهبهم الفنية في مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وقد اعتمدنا على تلك المعلومات في تقديم لائحة مفيدة للتعريف ببعض المواهب الفنية الشامية في مصر آنذاك. أبرزها: المربية ميليا بدر، والصيدلية نجلاء بدر، والدكتورة أنيسة أصيبعة، والمحامية سميا أصيبعة،

والدكتورة إلسا بركات، ومغنية الأوبرا فلورانس فواز، وعازفة البيانو فكتوريا ملحمة، و«ملك الكمنجة» توفيق الصباغ، والمخترع إسكندر نصرة، والرسام سليم حداد، ومغنية الأوبرا فدوا قربان، والموسيقار أنيس فليحان، والموسيقار سامي الشوا، وبطل مصر في البليارد أدمون صوصا، والرسام جورج صباغ، ورائد المسرح العربي مارون نقاش، والممثل إسكندر فرح، والممثل بشارة يواكيم، والممثل جورج أبيض، والممثل البارع نجيب الريحاني، والممثل عزيز عيد، و«أميرة الكوميديا المصرية» بديعة مصابني، والروائي أنطون يزبك وغيرهم.

من سجلات القنصلية اللبنانية في القاهرة(٣٣)

اطلعنا على سجلات قيد اللبنانيين من ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٥، حتى ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٥١. هي وثائق حديثة العهد تبلغ ثلاثة عشر مجلدا تبدأ بالرقم ١ تاريخ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥، وتنتهي بالرقم ١٣٠٠ تاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٥١. وعلى الرغم من أن الاطلاع على مثل هذه الوثائق ليس بالأمر السهل فإن حرص القنصل اللبناني في القاهرة، الأستاذ إليزيه علم، على إتمام مهمتنا العلمية على الوجه الأكمل ساعدنا كثيرًا في تجاوز هذه العقبة وأفسح لنا مجال تصفح هذه السجلات دون تصويرها. فدراستنا لهذه السجلات في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢، لم تكن كافية وبالتالي فهنالك الكثير من الحقائق العلمية التي يمكن استخراجها أيضًا عبر دراسة متأنية لمصادر الهجرة اللبنانية إلى مصر بعد الاستقلال اللبناني.

تدوّن السجلات، في الغالب، اسم المهاجر، ومكان وتاريخ ولادته في لبنان أو في مصر، وتاريخ قدومه إلى مصر، والمكان الذي استقر فيه، والعمل الذي يمارسه خاصة في السجلات الأخيرة. ويبدأ الرقم الأول في السجل الأول مع الأب إلياس أبي خير (وقد أجرينا معه مقابلة مطولة) والده يوسف نعمان أبي خير ووالدته ياسمين خير. مولود في الزغرين قرب بكفيا عام ١٩٠٧، ووصل إلى مصر في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣، أي يوم استقلال لبنان. مقره في البطركخانة المارونية بالقاهرة، منطقة شبرا. أما السجل الأخير في تلك المجموعة فيحمل الرقم ١٣٠٠ وهو الرقم الأخير للسجل رقم ١٣ باسم السيد ريمون جورج عبد المسيح. لا يحمل تاريخ الولادة أو مكانها أو المهنة بل تاريخ المجيء إلى مصر في ٢٧ حزيران (يونيو)

١٩٥١، دون تحديد مكان الاستقرار فيها. فالسجلات إذن، على رغم أهميتها البالغة، لم تكن دقيقة في المعلومات التي تضمنتها عن جميع المهاجرين. وقد اقتطفنا بعض النماذج فقط للتدليل على أسماء العائلات اللبنانية التي أمّت مصر منذ استقلال لبنان حتى أواسط عام ١٩٥١، بعد اطلاعنا على جميع الأسماء الواردة في السجلات.

تتضمن أسماء العائلات مجموعة هامة من اللبنانيين الأرمن ومن لبنانيين من أصل برازيلي وعدد من رجال الدين والراهبات الذين يحملون الجنسية اللبنانية. وهناك بعض الدلائل تشير إلى تجنيس عدد من اللبنانيين في مصر وإلى تخلي عدد آخر منهم عن جنسيتهم اللبنانية للاحتفاظ فقط بالجنسية المصرية. كما أن بعض العائلات تشعبت فروعها في مصر فاستقرت هناك ولا تشير إليها سجلات القنصلية إلا باسم الأب والأم وعدد الأولاد. وإن عائلات لبنانية كبيرة معروفة بكثرة عدد أفرادها في مصر منذ مئات السنين، كآل الزند على سبيل المثال، لا يرد ذكرها في السجلات إلا في حالات قليلة جدًا. يضاف إلى ذلك أن أسماء بعض الطلاب اللبنانيين الذين يرتحلون إلى القاهرة لتلقي الدراسة فيها، خاصة في الأزهر، يرد ذكرهم في سجلات القنصلية علمًا بأن هؤلاء ليسوا من المهاجرين اللبنانيين إلى مصر. لذلك لا تستقيم الرؤية العلمية حول هذه السجلات دون اعتماد جانب كبير من الحيطة والشك العلمي قبل إطلاق الأحكام والفرضيات. فلعل تلك السجلات أنشئت بعد استقلال لبنان لتدوين أسماء من يرغب من المهاجرين اللبنانيين في مصر دون أن تفرض على جميع المهاجرين تسجيل قيد لهم في القنصلية اللبنانية في القاهرة. وتوضح السجلات كذلك أن الهجرة اللبنانية إلى مصر توسعت إلى مختلف المناطق اللبنانية وضمت مهندسين، وأطباء، وموظفين، وتجارًا، ومترجمين، وطلابًا، وعمالًا، وحرفيين، ومهنيين، وصناعيين، وخدمًا، ومدرسين، وغيرهم من المهن والوظائف. وشملت منابت الهجرة طرابلس، وبيروت، وصيدا، وبكفيا، وحمانا، وجونية، وبكاسين، وجزين، وسوق الغرب، وعجلون، وعين زحلتا، ودير القمر، وصور، وبيت مري، وشملان، وعشقوت، وغيرها بالإضافة إلى عدد كبير من الأشخاص المولودين في مدن سورية، أو فلسطينية، أو برازيلية، أو أرمنية، أو تركية، أو مصرية وسواها ونالوا الجنسية اللبنانية في مصر. ولعل النماذج التي نقدمها للمهاجرين المدونة أسماؤهم في سجلات القنصلية اللبنانية في القاهرة (١٩٤٣-١٩٥١)، تبرز جملة ملاحظات أهمها:

أن المجموعة الأولى من السجلات وهي تضم الأول حتى الخامس لا تتضمن معلومات تفصيلية عن المهاجرين وعائلاتهم والمناطق التي قدموا منها، كذلك المناطق المصرية التي استقروا فيها. ويرد اسم مصر تعبيرًا عن مدينة القاهرة، وهي مركز السجلات بالإضافة إلى مراكز أخرى لتسجيل اللبنانيين المهاجرين إلى مصر. وتعتبر بيروت مصدرًا أساسيًا لقدوم المهاجرين. مع الإشارة إلى أن أسماء بعض العائلات المدونة تحت خانة المدينة معروفة جيدًا في قرى لبنانية توجد فيها بكثرة. ولعل الهجرة إلى مصر تمت عبر مدينة بيروت أو أن القيّمين على تدوين السجلات في القنصلية اللبنانية في القاهرة لم يتوخوا الدقة الكاملة في البداية. أما السجلات التي تحمل الأرقام السادس حتى الثالث عشر فتتضمن معلومات أكثر دقة وتفصيلًا عن مهاجري الشوام في مصر. وهي، في الغالب، تشير إلى مهنة المهاجر أو نوع عمله أو الغاية من الهجرة للدراسة وما شابه. وهناك دقة أيضًا في مجال تحديد اسم القرية والقضاء وتاريخ الولادة، أحيانًا اليوم والشهر والسنة.

تعتبر السجلات مصدرًا هامًا وأساسيًا لدراسة هجرة اللبنانيين إلى مصر خلال سنوات (١٩٤٣-١٩٥١)، والتي تشير بوضوح إلى غلبة الهجرة الشابة للعمل، وهجرة عائلات بكاملها للاستقرار في مصر. وكان للمهن الحرة، والمقاولات، والوساطة التجارية، والتدريس، والوظائف في الشركات الخاصة وغيرها دور بارز في عمل المهاجرين. كما أن عددًا من الفتيات كن ينتقلن إلى مصر من لبنان بدافع الزواج مع لبنانيين هناك. ويلاحظ في الفترة الأخيرة تزايد عدد الطلاب الذين يؤمون مصر للدراسة الجامعية والتخصص العالي في مختلف المجالات والمعاهد المصرية. وقد قدمنا نماذج واسعة من سجلات القنصلية اللبنانية بالقاهرة لتأكيد شمولية المعلومات على الرغم من الثغرات الكثيرة التي تبرز في الجوانب التفصيلية لها. كما أن سجلات القنصلية اللبنانية في الإسكندرية، والتي لم نستطع الاطلاع عليها، تتضمن أسماء عائلات لبنانية مهاجرة إلى الإسكندرية وجوارها خلال تلك المرحلة. ولعل بعض المدن المصرية الأخرى تتضمن معلومات إضافية وسجلات أخرى حول المهاجرين اللبنانيين إلى مصر.

من سجلات رابطة الطلبة اللبنانيين بالقاهرة(٣٤)

احتفظت رئيسة رابطة الطلبة اللبنانيين في مصر الدكتورة زاهية قدورة، بكثير من الوثائق التي ستنشرها في مذكراتها الخاصة وتتضمن معلومات قيمة حول أسماء وأعداد وحياة الطلبة اللبنانيين في الجامعات المصرية. فهي تشير إلى وجود منازل خاصة لسكن الطالبات والطلبة أقيمت في الحرم الجامعي وكانت ممتازة من حيث النظافة والترتيب والراحة. كان سكن الطلاب للنوم فقط أما سكن الطالبات فكان للنوم والطعام معًا وذلك بأسعار زهيدة. فأجرة الغرفة للطالب بمعدل خمسة جنيهات مصرية فقط شهريًا، وللطالبات بسبعة جنيهات. وبلغ عدد طلاب جامعة القاهرة أو فؤاد الأول لعام ١٩٤٥، حوالي ٣٥٠٠ طالبًا وطالبة منهم عدد كبير من الطلبة اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين والعراقيين وغيرهم من الأقطار العربية بالإضافة إلى بعض الأجانب.

من لوائح الدكتورة قدورة نقتطف بعض الأسماء البارزة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية اللبنانيين وهم من خريجي الجامعات والمعاهد المصرية. فالمحافظ السابق غالب الترك، ومحيي الدين البواب، ومحمود الحبّال هم من أوائل خريجي المعاهد العليا المصرية، وتحديدًا معهد التربية. كذلك زاهية دوغان، ووجيهة إدريس. ومن خريجي الجامعات المصرية: الدكتور حسب صعب، الدكتور صبحي الصالح، الدكتور إبراهيم شعيتو، المهندس الزراعي على حلاوي، الأستاذ حسن دوغان، الأستاذ بهيج عثمان، الشيخ أنور بكري، الدكتور عمر بربير، الدكتور عدنان نوأم، القاضي عبد الرزاق أديب من طرابلس، الشيخ معتصم الزعبي، الدكتور محمد شاكر الشهّال، الدكتور عمر عبد القادر بربير، الدكتور نزار الزين، الأستاذ عدنان الزين، الدكتور عزمي رجب، الأستاذ بهيج تامر الأسعد، الفنان محمد قاسم عيتاني، الفنان رشيد وهبي، الأستاذ عدنان فتح الله فتوح، الأستاذ أنور جميل رسول، الأستاذ حمزة أمين رعد، الأستاذ رشيد كرامي رئيس وزراء لبنان الأسبق، الدكتور أمين الحافظ رئيس وزراء لبنان الأسبق، الأستاذ سعد الله الشهال، الأستاذ شعبان بركات، الأستاذ مصطفى الرافعي، الأستاذ أكرم الرافعي، الأستاذ عبد الرحمن مرحبا، الأستاذ هاشم الأمين، الدكتور كاظم الأمين، الأستاذ مرسيل باحوص، الأستاذ حسن محمد الزين، الشيخ حسين غزال، الدكتور حسين القوتلي، الأستاذ سهيل

عربي، الأستاذ يحيى المير، الأستاذ سعد الدين حمود، القاضي بشير المجذوب، الأستاذ ظافر تميم، الدكتور جميل كبي، الأستاذ أسعد سلامة، الشيخ طه الولي، الأستاذ يحيى الحامدي، القائمقام إبراهيم الفقيه، الأستاذ صفا حمزة، الأستاذ عصام قمر الدين، الدكتور حسن الحسن، الأستاذ يوسف الشماع، الأستاذ على المملوك، القائمقام رياض القاوقجي، الأستاذ عبد الرحمن دقماق، الأستاذ محمد دمشقية، الدكتور مصطفى خالد، الأستاذ بهيج سنو، الأستاذ عدنان الشماع، الأستاذ عرفان الشماع، الأستاذ رؤوف الأمين، الشيخ رؤوف القادري، الأستاذ مهدي العزوزي، الأستاذ معتصم الزغبي، الأستاذ برهان كبارة، الأستاذ جميل عدرة، الأستاذ محمود المغربي، الأستاذ عفيف عبد الصمد، الأستاذ على خنافر، الأستاذ سامي الزين، الأستاذ أحمد منذر عبد الوهاب، الأستاذ سميح حلاوي، الدكتور غالب شاهين، (حلاوي وشاهين هما من خريجي الجامعة الأمريكية في القاهرة)، الأستاذ شاكر جرجس كنعان، الشيخ محمد مهدي العربي، الأستاذ محمد نهاد الجوهري، الأستاذ بشير سليم الجمّال، الأستاذ جورج حنا أبي راشد، الأستاذ محمد سعيد الحسيني.

العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد الشام قديمة العهد. وكان القصر العيني أحد المراكز العلمية الأساسية لطلبة الشوام في مجال الطب، كما أن بعثات محمد علي إلى الخارج ضمت الكثير منهم. وكان الأزهر المركز الديني الذي أمّه عدد كبير من طلبة العلوم الدينية من الشوام. ومع افتتاح الجامعة المصرية تزايد أعداد الطلبة فيها من مختلف مناطق بلاد الشوام، ذكورًا وإناثًا، وأصبح عددهم يقدر بالمئات في أواسط القرن العشرين. ونظرًا لمتانة الروابط الثقافية بين مصر والشعب اللبناني سارعت جامعة الإسكندرية إلى فتح فرع لها في بيروت هي «جامعة بيروت العربية» التي لعبت دورًا هامًا في الحياة الأكاديمية اللبنانية منذ عام ١٩٦٠ حتى الآن. فتقلصت أعداد طلبة العلم اللبنانيين الوافدين إلى مصر للتعلم في جامعاتها، كذلك تقلص عدد طلاب الدين إليها بعد أن فتح الأزهر فرعًا له باسم «أزهر لبنان» لتخريج رجال دين مسلمين. وما زالت روابط مصر الثقافية بلبنان وثيقة جدًا في مختلف المجالات، ولعبت «جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية» دورًا هامًا في توثيق تلك الروابط منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن.

من سجل الذكريات والدراسات المنشورة

اعتمدنا على عدد وافر من المذكرات الشخصية المنشورة ومنها:

- **مذكرات جرجي زيدان**، نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لا تاريخ، في مئة صفحة مع فهارس في ١٠٧ صفحات.

- يعقوب صروف، **العالم والإنسان**، محاضرة ألقاها الدكتور فؤاد صروف في دار الحكمة في القاهرة بتاريخ ١٦ شباط (فبراير) ١٩٥٨، تلبية لدعوة الاتحاد العلمي المصري، نشرتها دار العلم للملايين، بيروت، كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠، في ٧٢ صفحة.

- الأمير شكيب أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٣٧، في ٨٢١ صفحة.

- **العصامي: سيرة عبد الحميد شومان (١٨٩٠-١٩٧٤)**، تروي سيرة حياة مؤسس البنك العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٢، في ٣٩٣ صفحة.

- مدرسة العائلة المقدسة، **مائة عام في خدمة التربية في مصر (١٨٧٩-١٩٧٩)**، كتاب منشور باللغتين العربية والفرنسية ويتضمن أسماء خريجين من هذه المدرسة لعبوا أدوارًا هامة في حياة المجتمع المصري، القاهرة ١٩٧٩، في ١٨٨ صفحة من الحجم الكبير مع وثائق غنية.

- الأب بولس قرألي، **السوريون في مصر**، مجموعة دراسات هامة نشرت تباعًا في المجلة السورية لسنتي (١٩٢٥، ١٩٢٦)، وأشرنا إليها بالتفصيل أثناء الدراسة. وقد أعددنا ملحقين استنادًا إلى هذه المعلومات حول الشوام في المنصورة(٣٥) وطنطا(٣٦).

- إدمون بليبل، **تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أسرها**، مطبعة العرائس، بكفيا ١٩٣٥، في ٢٩٥ صفحة.

مقابلات شخصية استندنا إليها لتنظيم ملاحق لهذه الدراسة:

- مقابلة مع الأستاذ شارل الشميل حول **أغنياء الشوام في الإسكندرية في القرن العشرين**(٣٧).

ـ مقابلة مع المطران كامل مدور حول **أغنياء الشوام في القاهرة في القرن العشرين**[٣٨].

ـ مقابلة مع المطران يوسف مرعي حول **أغنياء الموارنة في القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين**[٣٩].

وهناك مجموعة كبيرة من المقابلات الصحفية التي جمعت في كتب تناولت السيرة الشخصية لعدد من أبرز المهاجرين الشوام في مصر بالإضافة إلى عدد وافر من الدراسات العلمية التي تناولت تاريخ هذه الهجرة نذكر منها:

ـ إلياس زخورا، **السوريون في مصر ـ اسم لكتاب يحتوي على تراجم ورسوم أفراد الأسر السورية في الديار المصرية**. لهذا الكتاب أهمية خاصة وقد استندنا إليه لتقديم بعض المعلومات حول عدد وافر من مهاجري الشوام في مصر. طبع الكتاب بجزءين في القاهرة عام ١٩٢٧، في المطبعة العربية لصاحبها خير الدين الزركلي في ٤٦٤ صفحة. ويلاحظ خطأ في ترقيم الصفحات الأخيرة ٤٥٧ ـ ٤٦٤. وللمؤلف كتاب آخر بعنوان **كتاب مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر**. ثلاثة أجزاء القاهرة ١٨٩٧، في ٥٦٤ صفحة.

ـ سليم سركيس، **الأمراء آل لطف الله** في سنة ١٩٢٠، منشورات إدارة مجلة سركيس، مطبعة الهلال، القاهرة ١٩٢٤، في ٢٥٢ صفحة.

ـ الدكتور رفعت السعيد، **ثلاثة لبنانيين في القاهرة: شبلي، شميل، فرح أنطون، رفيق جبور**، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٣، في ٢٠٦ صفحات. وللمؤلف مجموعة أبحاث هامة جدًا صدر المجلد الأول من مؤلفاته الكاملة في القاهرة عام ١٩٧٨، في ٥٤٢ صفحة ويتناول بشكل خاص تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر.

ـ الدكتور أحمد طاهر حسنين، **دور الشاميين المهاجرين إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة**، دار الوثبة، دمشق ١٩٨٣، في ٢٧٠ صفحة، يتناول تعريفًا سريعًا بالهجرة الشامية إلى مصر ودور الشوام في الترجمة والصحافة والبحوث اللغوية والأدبية والنقدية والطباعة والتمثيل.

ـ رئيف خوري، **الفكر العربي الحديث، أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي**

والاجتماعي، منشورات دار المكشوف، بيروت ١٩٤٣، في ٢٨٩ صفحة، وهو سجل حافل بآراء عدد كبير من مفكري مصر كالشميل، وإسحق، وأنطون، والأفغاني، والنديم، وغيرهم.

ـ الدكتور نبيل عبد الحميد سيد أحمد، **النشاط الاقتصادي للأجانب وأثره في المجتمع المصري من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٥٢**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢، في ٥١٦ صفحة. للكتاب قيمة إحصائية هامة حول نشاط الجاليات الأجنبية في مصر وتمايزها عن المصريين ولا يعتبر الشوام في عدد تلك الجاليات بل يدمجهم بالشعب المصري باستثناء الأرمن منهم الذين سيطروا على ٧٥٪ من استيراد وبيع السجائر في مصر، وكان لهم دور هام في صناعة الأحذية والصباغة والزنكوغراف وغيرها.

ـ جامعة الإسكندرية، **مجتمع الإسكندرية عبر العصور**، وهي مجموعة محاضرات ألقيت في ندوة علمية بكلية الآداب في أبريل (نيسان) ١٩٧٣، بالتعاون مع الجمعية التاريخية المصرية. وقامت جامعة الإسكندرية بطبع الكتاب في مطبعتها عام ١٩٧٥، ويتضمن ثلاث عشرة محاضرة لأساتذة جامعيين من ذوي الاختصاص والشهرة تناولوا بأبحاثهم كافة جوانب المجتمع الإسكندراني منذ القديم حتى تاريخ صدور الكتاب. ونشير إلى محاضرتين لهما علاقة مباشرة بهجرة الشوام إلى مصر هما «**المؤثرات الأوربية في مجتمع الإسكندرية في العصر الحديث**»، للدكتور حسن محمد صبحي، و«**نشأة الصحافة المصرية في مدينة الإسكندرية**» للأستاذ شارل الشميّل، رئيس تحرير جريدة «**البصير**» سابقًا وساعده في تنسيقه الأستاذ عبد الحكيم الجهيني، كبير محرريها.

وقد أجرينا مقابلة مطولة مع الأستاذ شارل الشميل حول موقع الشوام ودورهم في المجتمع الإسكندراني الحديث والمعاصر لأن الأبحاث المقدمة تعبر عن منهج الغالبية الساحقة من الكتّاب المصريين في طرحهم لموضوع الجاليات الأجنبية في القطر المصري. وأبرز سمات ذلك المنهج أنهم يخرجون الشوام وجميع العرب من دائرة الأجانب في مصر ويعتبرونهم مصريين. وكان علينا أن نستخرج أسماء الشوام وموقعهم ودورهم من خلال الدراسات العامة. فعلى سبيل المثال يقدم كتاب «**مجتمع الإسكندرية**»... إشارات لها ارتباط وثيق بهجرة الشوام. فقد أسس سليم

الحموي صحيفة **كوكب الشرق** بالإسكندرية عام ١٨٧٣، وأسس سليم وبشارة تقلا جريدة **الأهرام** عام ١٨٧٥، وجريدة **الإسكندرية** بمعاونة سليم النقاش عام ١٨٧٨، وأسس سليم النقاش، ابن شقيق مارون نقاش، أول فرقة مسرحية بالإسكندرية بدأت عروضها على مسرح قصر «الزيزينيا» (Zizinia) عام ١٨٧٦، وتولى الإشراف عليها يوسف خياط بعد سليم النقاش وكتب لها أديب إسحاق، وطانيوس عبده، ونجيب الحداد وغيرهم. وكان لفرقة أحمد أبو خليل القباني التي قدمت من الشام إلى الإسكندرية عام ١٨٨٤ دور هام في حركتها المسرحية، كذلك فرقة جورج أبيض التي اشتهرت على مسارحها ونالت شهرة عالمية. وازدادت حركة الاقتباس والتأليف المسرحي بفضل الفرق الفنية العاملة بالإسكندرية، وشارك في تلك النهضة فرح أنطون، ونجيب الحداد، وإلياس فياض، وإسماعيل عاصم، وطانيوس عبده، ومحمود تيمور وغيرهم. وعمل في صحافة الإسكندرية عدد كبير من مفكري الشوام. فبالإضافة إلى سليم وبشارة تقلا وأديب إسحق وسليم النقاش ساهمت النهضة الصحفية هناك بإبراز خليل مطران، ورشيد الشميل، وأمين الحداد، وخليل زينيه، وعبده بدران، ونجيب الحداد، وجورج طنوس، ونجيب هاشم، وسليم عقاد، وتوفيق حبيب، وإلياس بدوي، وتوفيق طنوس، وخليل شيبوب، وصديق شيبوب، وسبعة من آل الشميّل هم المحامي أمين الشميل مؤسس مجلة **الحقوق**، والدكتور شبلي الشميل المشهور، والشقيقان سبع وقيصر الشميل اللذان ساعدا عمهما رشيد في تحرير **البصير**، والشاعر ماريوس الشميل مؤسس مجلة **العالم المصري** وكانت تصدر بالفرنسية في القاهرة، والشقيقان شارل وموريس الشميل اللذان أدارا **البصير** بعد والدهما رشيد منذ عام ١٩٢٨. وقدم كتاب **مجتمع الإسكندرية عبر العصور** أيضًا دراسة إحصائية تفصيلية حول تطور سكان الإسكندرية وموقع الجاليات الأجنبية فيها، وهو الإطار التاريخي العام الذي نشأت وترعرعت فيه هجرة الشوام إلى المدينة. وقد استفدنا كثيرًا منه في صياغة فرضياتنا حول هجرة الشوام إلى الإسكندرية.

ـ نقولا يوسف، **تاريخ دمياط منذ أقدم العصور**، مطبعة الاتحاد القومي، القاهرة ١٩٥٨، في ٥٣٤ صفحة. يقدم الكتاب معلومات تاريخية ذات أهمية وثائقية خاصة حول مدينة دمياط وموقع الشوام فيها بشكل خاص، والأجانب أو الجاليات الأجنبية بشكل عام. وعلى غرار الكتاب السابق «مجتمع الإسكندرية عبر العصور» فإن منهجية

نقولا يوسف تقوم على فصل الشوام عن الجاليات الأجنبية في دمياط واعتبارهم من رعايا السلطنة العثمانية. وقد استفدنا كثيرًا من معلومات الكتاب في دراسة هجرة الشوام إلى مصر عبر مدينة دمياط أولًا ومنها تم الانتقال إلى باقي المدن المصرية بعد تضاؤل دورها لصالح الإسكندرية والقاهرة ومدن القنال.

ـ الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم **المغاربة في مصر في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨)**؛ دراسة في تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس ١٩٨٢. يتضمن الكتاب مجموعة وثائقية هامة حول مهاجري المغرب العربي إلى مصر، وتكونهم فيها كجالية لعبت دورًا هامًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المصرية وكانت «على علاقة بأشقائها من أبناء الجاليات العربية التي عايشتها في مصر، من شوام، ويمنيين، وحجازيين، وعراقيين....». منهجية الكتاب واضحة في مقدمته: «فقد لقي الوجود المغربي في مصر الترحيب وإفساح المجال أمامه ليمارس حياته ونشاطه بحرية تامة، والارتباط بمصر ومجتمعها كيفما شاء له الارتباط... وقد فضل كثير من المغاربة الذين أمّوا مصر، البقاء فيها، والانتماء إليها، انتماءً أبديًا، وأصبحت مصر وطنًا ثانيًا لهم. ومع ذلك فإن هؤلاء المغاربة لم يتخلوا، ولم يرد لهم التخلي عن صفة المغربي، التي حملوها بكل حب واعتزاز، إلى جانب صفتهم كمصريين...» وذلك ينطبق إلى حد بعيد على مهاجري الشوام في مصر.

أخيرًا لا بد من الإشارة إلى مجموعة من المراجع[٤٠] أمدتنا بمعلومات متنوعة توضح جوانب كثيرة من هجرة الشوام إلى مصر. لكن اعتمادنا كان، بشكل أساسي على المصادر المكتوبة والشفوية التي شكلت الركائز الأكثر أهمية لهذه الدراسة فجاء موقع المراجع في المرتبة الثانية.

الحواشي

(١) يرى الأب منصور مستريح شبهًا كبيرًا بين دور الإرساليات الأجنبية في مصر وجبل لبنان أو بلاد الشام بصورة عامة. فمدارس الإرساليات كانت أفضل من مدارس الحكومة في مجال التجهيز وتعليم اللغات والانفتاح على العالم الخارجي والترقي الاجتماعي. لذلك أقبل عليها أبناء الأثرياء بصورة عامة، وكل من استطاع الدخول إليها بطرق مختلفة خاصة الانخراط المباشر في طوائف الإرساليات. ومع سياسة الانفتاح الأخيرة في عهد السادات عادت بعض الإرساليات والمدارس الخاصة إلى البروز مجددًا في مصر على الرغم من رحيل الأجانب عنها. وانتقلت الرغبة بالتعلم في المدارس الخاصة إلى فئات واسعة من أبناء الشعب المصري حتى لا تكاد تجد مكانًا شاغرًا في مدارس الإرساليات العاملة في مصر. وعلى الرغم من مراقبة الدولة لعمل الإرساليات وإشراف وزارة التربية المصرية المباشر على توزيع الطلاب في كل المدارس المصرية ومراقبة برامجها ومناهجها وامتحاناتها فإنها باتت تهدد بمخاطر التعليم الرسمي الحكومي في مصر. وهناك صعوبات أخرى تواجه مدارس الإرساليات أبرزها النقص الحاد في عدد المشرفين من رجال الدين المسيحيين، وعدم إقبال الشبان المصريين على الرهبنة أو «الإخوة المسيحيين Les Frères Chrétiens» ومنع الحكومة المصرية الانغلاق الطوائفي في المدارس الخاصة. كما أن المجتمع المصري نفسه يتمتع بكثير من الاستقرار لأن الصدامات الدموية الطائفية ليست من تراثه ومن غير المتوقع بروزها فيه. فالصراع في مصر كان ولا يزال وسيبقى صراعًا سياسيًا واقتصاديًا، أما الأحداث الاجتماعية ذات الوجه الطائفي أو المذهبي فعابرة.

(٢) **المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام**، الجزء الثاني ص (١٧-٩٧).
تراجع الحواشي والملاحق الهامة في آخر البحث وهي تبرز بالتفصيل دور رواق الشوام في الأزهر إبان العهد العثماني.

(٣) **ملاحظات أساسية حول هجرة الأرمن الشوام إلى مصر**.
ليست هناك كتابات هامة حول هجرة الأرمن إلى مصر باللغة العربية أو بإحدى اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية. ويشير المطران بايان إلى وجود معلومات عامة وردت في بعض الكتب باللغة الأرمنية حول هذا الموضوع لكنها غير دقيقة ولم تستند إلى السجلات الكثيرة المحفوظة في بطركخانة الأرمن في القاهرة ومكتوبة باللغة الأرمنية.

وهذه الهجرة تستحق أن يفرد لها بحث خاص من خلال الوثائق المكتوبة بالأرمنية نظرًا للدور الذي لعبه الأرمن في حياة مصر الاقتصادية وبروز بعضهم في مجالات سياسية وثقافية واجتماعية.

يُرجع المطران بايان تاريخ الطائفة إلى قرابة مئتين وخمسين سنة أي إلى مطالع الربع الثاني من القرن الثامن عشر حيث استقرت عائلات أرمنية في القاهرة والإسكندرية وأبرزها عائلات خياط، وبتراكي، وتراك. وعلى الرغم من كثرة الأسماء المدونة في دفاتر المطرانية فهي الآن تكاد تكون غير موجودة في مصر. ويذكر المطران بايان، أنه عندما قدم إلى مصر عام ١٩٥٩، كان لا يزال في القاهرة عائلة واحدة من آل بتراكي. ولما توفي الأب هاجرت البنت إلى لبنان وانعدم وجود الأسرة هناك. هذا النموذج يصلح للدلالة على كثير من العائلات الأخرى. وعام ١٩٥٩ كان عدد أبناء طائفة الأرمن الكاثوليك فيها قرابة ١٢٠٠ عائلة أي حوالي ستة آلاف نسمة. وفي عام ١٩٨٢ لم يبق منهم أكثر من حوالي ٦٠٠ عائلة، أي قرابة ألفي نسمة بسبب تضاؤل الولادات والهجرة الكثيفة للشبان إلى أستراليا وكندا والولايات المتحدة، حتى أصبح عدد أبناء الطائفة في كندا الآن أكثر منه في مصر، وقليل من الأرمن فقط ترك مصر إلى لبنان للاستقرار فيه.

حتى الحرب العالمية الثانية كانت للطائفة مدارس ومؤسسات مزدهرة ومشهورة في كل أرجاء مصر. منها مدارس الآباء المخيتاريست للصبيان في القاهرة والإسكندرية، وراهبات الحبل بلا دنس الأرمنية في الإسكندرية والقاهرة أيضًا. أبرز عائلاتهم آل بديكيان، وآل بازرجي وهم من أصل حلبي واستقر قسم منهم في لبنان وهم في الأساس بازرجيان، وآل نورايفيان، وآل دليميتيان، وآل درماركاريان. وتجدر الملاحظة إلى أن آل عطا الله هم من أصل مارديني وسكن قسم منهم في بيروت واشتهر بينهم الدكتور فيليكس عطا الله.

هناك عائلة أرمنية كاثوليكية لعبت دورًا بارزًا في التاريخ الاقتصادي المصري هي عائلة ماتوسيان. كان جوزف ماتوسيان من كبار أصحاب مصانع التبغ ويلقب بملك التبغ المصري. وأقام لمصانعه فروعًا متعددة منها فرع التباريس في بيروت. كان إميل إدة، رئيس جمهورية لبنان، محاميًا لشركة ماتوسيان للتبغ التي أممتها الحكومة المصرية لاحقًا. فالأب أوهانس، والعم، كره بت ماتوسيان هما اللذان تبرعا بالأرض وبنيا الكنيسة التي أصبحت مطرانية الأرمن الكاثوليك في مصر والتي شيدت بجهودهما في ٣٦ شارع محمد صبري أبو علم في القاهرة. وبنى الوالد، أوهانس، كنيسة المقابر في الإسكندرية أيضًا ودفع ديون دير بزمار في لبنان بعد الحرب العالمية الأولى. ولم يبق من العائلة التي كانت غنية جدًا أي من الأبناء أوالأحفاد في مصر. ولا معرفة للمطران بايان بفروعها سوى بالابن جان بيار ماتوسيان الذي يسكن حاليًا في إسبانيا.

اشتهر أيضًا من أبناء الطائفة المحامي عزيز خانجي، والمحامي إميل أوغيا وهما من أصل حلبي. والمحامي الكسي المصور الذي غادر مصر إلى بيروت وتوفي فيها. وشقيقه موريس المصور وكان مقاولًا كبيرًا في الأسواق العربية خاصة في الإمارات. أما شقيقهم، الدكتور هنري مصوّر، فقد غادر مصر إلى لبنان لفترة قصيرة ثم أكمل هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث استقر هناك.

لم تقتصر صناعة الدخان على عائلة ماتوسيان بل اشتهرت مصانع للسجائر في مصر لآل ماروشيان وآل فيليبوسيان. من الذين تعاطوا الأدب والصحافة ونال شهرة واسعة الكاتب المشهور أديب إسحق، وهو أرمني كاثوليكي وابنه عبد الله إسحق الذي انتقل إلى بيروت وعمل في المحاماة. وقد اشتغلت أعداد لا بأس بها من الأرمن في الزراعة في مصر ولا يزال بعضهم يعمل في هذا القطاع حتى الآن، وقد أممت الثورة المصرية أراضي كبار الملاكين منهم مما يدل على أن بعضهم امتلك أراضي كثيرة. وكان للأرمن دور هام في قطاع الصحافة. فأسسوا مجلات وجرائد باللغة الأرمنية كانت حكرًا عليهم

فقط، كذلك ساهموا بالكتابة في الصحف الصادرة بالفرنسية أو الإنجليزية ونادرًا باللغة العربية. أما التقنية الصحفية، في الطباعة والزنكوغراف والإخراج الفني وسواها، فكانت تقع أساسًا على كاهل العمال والمهنيين المتخصصين من الأرمن. كذلك كان قطاع التصوير الفوتوغرافي، وتصوير الأعراس والحفلات والتصوير للصحف والمجلات وغيرها من اختصاص أفراد الجالية الأرمنية أكثر من أية جالية أخرى. وعمل قسم هام منهم أيضًا في مجال الصيرفة، وتبديل النقود، والحلي والمجوهرات، وصناعة الذهب والمعادن الثمينة، وهي أعمال حرفية تتطلب مهارة عالية وتدر على أصحابها مداخيل كبيرة. وينفي المطران وجود فقراء في أوساط الجالية الأرمنية من الذين هاجروا إلى مصر، فقد كانوا في غالبيتهم من أصحاب الدخول الكبيرة ولم تكن لهم الدعاية الواسعة، إذ عملوا في قطاعات مربحة لكنها تتطلب الكثير من الحذر وعدم الإعلان عن الثروة ولا المشاركة في السياسة.

ويشدد على تمايز الأرمن في مصر عن مهاجري الشوام في مصر. إذ تقارب أفراد الجالية الأرمنية لأنهم أرمن قدموا من مناطق متفرقة من السلطنة العثمانية أو من أوربا أو من أرمينيا نفسها. ولم تكن تعنيهم فكرة «الشوام» أو غير الشوام لأن رابطهم الأساسي كان على أساس جنسيتهم الأرمنية. فكانت لهم نواديهم وكنائسهم ومؤسساتهم الخيرية والاجتماعية على قاعدة الجنس واللغة. وهذا يفسر جانبًا كبيرًا وأساسيًا من زواج الأرمن أو اختلاطهم، وتدامجهم، وسكنهم. كان التزاوج شبه محصور بين طوائف الأرمن، وكلها طوائف مسيحية تنقسم إلى أرثوذكس وكاثوليك وسواهما. مرد ذلك إلى عائق اللغة بالدرجة الأولى. فالأرمن، أو الغالبية الساحقة منهم، يتكلمون اللغة العربية بصعوبة، فاستعاضوا عنها بإتقان لغات أوربية كما في لبنان. المصريون، حتى في النصف الأول من القرن العشرين، لم يتقنوا لغات عدة. من هنا كان اختلاط الأرمن بالشعب المصري ضيقًا جدًا فكانوا أقرب إلى الجاليات الأوربية منهم إلى المجتمع المصري. وهذه الملاحظة لا تنطبق على مسيحيي الشوام بصورة عامة لأن عددًا كبيرًا من الأرمن تزوج من سوريات أو لبنانيات وعلى العكس. أي أن العلاقة بين الشوام والأرمن، سواء من جاء منهم من بلاد الشام أو من تركيا، كانت وثيقة للغاية، وبدرجة أقل مع أقباط مصر ومع السريان. وكان التزاوج منتشرًا بين مختلف الطوائف ضمن أفضليات داخل كل طائفة أي كاثوليك مع بعضهم وأرثوذكس مع بعضهم وهكذا دواليك. أما التزاوج بين الأرمن والمسلمين فكان شبه معدوم لأن من يتزوج مسلمة يجب أن يعلن إسلامه. فاتخذ الأرمن قرارًا مماثلًا بأن من تتزوج مسلمًا تفقد سجلها المسيحي. فكان التزاوج نادرًا وفي حالات تكاد لا تذكر لقلتها.

لقد اختلط الأرمن بالمجتمع المصري بشكل طبيعي ولم تكن لهم أحياء خاصة بهم ولم يشكلوا جالية متمايزة داخل المجتمع المصري. مرد ذلك إلى أنهم عملوا في المهن الحرة التي تتطلب الحد الأقصى من الانفتاح الاجتماعي لتأمين أكبر عدد ممكن من الزبائن. عملوا في التجارة، والصناعة، والهندسة، والطب، والحرف المتخصصة ونادرًا ما انخرطوا في الوظائف الإدارية والحكومية. وهناك أسماء قليلة لعبت دورًا سياسيًا ملحوظًا في تاريخ مصر أبرزها نوبار باشا، رئيس وزراء مصر، ووزير المالية فيها أيام محمد علي ويدعى تشاركيان. وتبرز أسماء بعض الأرمن في بعثات محمد علي وأبنائه وأحفاده للتخصص العالي في الخارج خاصة في المجالات التقنية التي تتطلب مهارات صناعية أو حرفية متخصصة.

ويؤكد المطران بايان أن الأرمن، ومنهم الأرمن الشوام، أحبوا مصر أكبر من حبهم لبلاد الشام حيث تكثر النزاعات العرقية والطائفية. فالمجتمع المصري يتمتع بجانب كبير من الاستقرار السياسي

والاقتصادي والاجتماعي. أما بعض المظاهر الطائفية التي تبرز إلى السطح أحيانًا فليست عميقة الجذور. فالشعب المصري مؤمن لكنه غير طائفي ويتمسك كثيرا بتعاليم الدين والتسامح الديني. ويلاحظ قدوم أعداد كبيرة من الأرمن إلى مصر، خاصة من لبنان بعد اندلاع الحرب الأهلية فيه. وهذه الهجرة تترافق الآن مع سياسة الانفتاح الاقتصادي التي أعلنها الرئيس السادات. بعض المهاجرين استقر في مصر وبعضهم الآخر أكمل هجرته إلى مناطق أخرى من العالم. الهجرة الجديدة تأكيد على العلاقات التاريخية التي تربط سكان بلاد الشام بسكان مصر، قديمًا وحديثًا، فجاء تبادل الهجرات بينهما أمرًا طبيعيًا وذلك على مستوى كافة الطوائف والمناطق والجنسيات والأعراق.

* المطران روفائيل قبلان بايان، من مواليد زغرتا في ٢٨ شباط (فبراير) ١٩١٤، من أسرة البايع المعروفة. تلقّى دروسه الأولى في دير بزمار ثم في مدارس الآباء اليسوعيين في بيروت ونال شهادة اللاهوت من روما. يتقن العربية، والفرنسية، والأرمنية، والتركية، واللاتينية، والإيطالية، والبرتغالية. قدم إلى مصر في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩، كمطران لأبرشية مصر للأرمن الكاثوليك. ينتمي إلى أسرة لم يهاجر أي من أفرادها إلى مصر. له معرفة واسعة بتاريخ الأرمن الكاثوليك في مصر واطلاع كبير على سجلات المطرانية. أجريت معه المقابلة في دار المطرانية بالقاهر في ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

(٤) **مقابلة مع الأب يوسف بصمجيان حول الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية** (الإسكندرية ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢).

من مواليد زحلة ١٩٢٠. تولى منصب النائب البطريركي للأرمن الكاثوليك في الإسكندرية منذ عام ١٩٦٩ حتى الآن. رفض بشكل قاطع الكلام على تاريخه الشخصي وحصر الإجابة على شئون هجرة الشوام إلى مصر، وتحديدًا الأرمن الكاثوليك منهم في الإسكندرية. يؤكد أن بطريركية الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية التي تأسست عام ١٨٧٥، بمساعدة المطران أكشهيريان (Axaxirian) كانت في البداية كنيسة صغيرة وإلى جانبها مسكن للكاهن ثم انتقلت إلى ٨ شارع الميناء الشرقية، مركزها الحالي، عام ١٨٩٥، وهي كاتدرائية كبيرة وإلى جانبها مساكن متعددة استثمر بعضها بالإيجار.

بنيت الكاتدرائية وملحقاتها بأموال التبرعات خاصة الأرض التي تبرع بها المحسن الكبير خليل باشا الخياط من ماله الخاص ووهبها وقفًا للطائفة وتبرع بأموال نقدية كثيرة للبناء. كان تاجرًا مشهورًا وصاحب أراضٍ واسعة وأموال وفيرة، ولعب دورًا سياسيًا بارزًا في عهد الخديو عباس حلمي، وأصبح وزيرًا في وزارة نوبار باشا الأرمني. توفي عازبًا فانتقلت نسبة كبيرة من ثروته إلى أنسبائه من آل الخياط في بيروت.

عن أسباب الهجرة إلى مصر يرى الأب بصمجيان أن غنى بلاد النيل، ومناخ الحرية فيها قياسًا إلى باقي الولايات العثمانية، ورغبة الشوام بتحسين أوضاعهم المادية، وسواها دفعت الشوام، خاصة اللبنانيين منهم، للتفتيش عن ملجأ لهم هربًا من الاضطهاد العثماني وبهدف جمع الثروة. وكان لسياسة الخديو إسماعيل الأثر الكبير في فتح أبواب مصر على مصراعيها أمام الأجانب، ومنهم الشوام. نجح بعض اللبنانيين في مجالات متنوعة على أرض مصر فكان لنجاحهم الصدى الواسع في صفوف اللبنانيين والسوريين فهاجروا بأعداد كبيرة إلى وادي النيل أملًا بجمع الثروة والوصول إلى الشهرة الفنية والأدبية وغيرها. هجرة الشوام إلى مصر قديمة العهد بدأت، في المرحلة الحديثة، بهجرتهم إلى دمياط ثم إلى طنطا، ثم توزعوا إلى الإسكندرية والقاهرة والمنصورة وباقي المدن المصرية. وهناك

أرشيف هام محفوظ لدى الآباء البيض (Les Pères Blancs) في القاهرة يتحدث عن هجرة الشوام إلى طنطا. ومن المستحسن الاطلاع على أرشيف كل طائفة في مراكزها الدينية كالبطريركيات والأديرة والأزهر وسواها.

عملت الغالبية الساحقة من الأرمن في التجارة والمهن الحرة والحرف والصناعة ونسبة ضئيلة جدًا في الزراعة والوظائف الحكومية. اشتهرت مصانع ماتوسيان للسجائر في جميع أنحاء مصر وشيدت في الإسكندرية بحي الجمرك، وأخرى في القاهرة نفسها. وقد ولد أوهانس ماتوسيان، صاحب تلك المصانع، في أسرة فقيرة من الأسر الأرمنية اللبنانية. مارس في مطالع حياته العملية بيع السجائر على الطرقات ثم هاجر من لبنان إلى القاهرة وانتقل منها إلى الإسكندرية وعاش ومات ودفن فيها مع زوجته ولا يزال قبره موجودًا إلى الآن بالإسكندرية، المدينة التي أعطته النجاح الكبير والثروة الطائلة وكان له فيها قصر رائع الجمال في منطقة زيزينيا (Zizinia) بالإسكندرية، ويطلق على أوهانس ماتوسيان لقب ملك الدخان في مصر.

توفي عن ولدين جوزف وجاك. فأدار جوزف مصانع والده للدخان ثم هاجر بعد التأميم إلى إسبانيا حيث توفي هناك.وهاجر الثاني، جاك ماتوسيان، إلى البرازيل أو الأرجنتين ثم استقر في سويسرا ولايزال هناك. وظاهرة هجرة الأرمن من مصر بعد قرارات التأميم المصرية كانت عامة وطالت عددًا كبيرًا من أغنياء الشوام وغير الشوام وحتى المصريين. فالمسألة اجتماعية ـ اقتصادية وليست طائفية لأن قرارات التأميم طبقت على غالبية الأغنياء القاطنين على أرض مصر.

لقد استقطبت الإسكندرية عددًا هامًا من العائلات الأرمنية الشامية. ففي عام ١٩٤٧، تشير وثائق بطريركية الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية إلى وجود حوالي ٤٨٠ عائلة أرمنية كاثوليكية جاءت الإسكندرية، في الغالب، بعد الحرب العالمية الأولى. وأن نسبة اللبنانيين في تلك العائلات تتجاوز قرابة ٧٠٪ منها. والأرقام بالغة الدلالة قياسًا إلى حجم طائفة الأرمن الكاثوليك الصغيرة العدد في سوريا ولبنان. وتأثرت العائلات كثيرًا بقرارات التأميم لأن معظم أفرادها يمارسون المهن الحرة والتجارة والصناعة. وبعد التأميم صدرت قرارات بتحرير الاقتصاد المصري من الأجانب وعدم السماح لهم بالتملك والاستغلال وتقلد الوظائف الهامة في الدولة. فكانت تلك القرارات بمثابة إعلان الحرب على سيطرة الأجانب داخل مصر فغادروها مكرهين إلى مناطق متفرقة من العالم خاصة أمريكا وأستراليا.

على غرار جميع طوائف الشوام المسيحية، أسس الأرمن المدارس والملاجئ والنوادي الخاصة بهم. وكانت مدرسة شوتس (Schuts) للصبيان التي افتتحت عام ١٩٣٢، أهم تلك المؤسسات وأتبعت بمدرسة أخرى للبنات تحمل الاسم ذاته عام ١٩٣٨، ثم مدرسة كامب سيزار (Camp César) عام ١٩٤٣. وقد أشرفت على تلك المدارس وسواها الجمعية الخيرية الأرمنية بالإسكندرية التي تأسست منذ عام ١٩٠٨. وكانت جمعية أخرى تحمل الاسم ذاته بمدينة القاهرة. كذلك أشرفت الجمعية على مأوى رودولف الأرمني (Rodolphe) بالإسكندرية، ونوادٍ متعددة أهمها نادي القديس ڤارطان (Club Saint-Vartan) ونادي الشبيبة الأرمنية بالإسكندرية.

ويقدم الأب بصمجيان، لائحة مكتوبة تبرز أسماء بعض العائلات الأرمنية المدونة في سجلات بطريركية الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية، وهي سجلات رسمية كنسية مكتوبة باللغة الأرمنية. أبرز أسماء العائلات التي يشير إليها السجل خلال أعوام (١٨٤٩-١٩١٣)، هي التالية: خاشو، عقاد،

رفول، عبد، خياط، عسال، تركيان. وتحتل عائلة خياط المرتبة الأولى في عدد أفراد هذه الطائفة خلال هذه المرحلة، تليها عائلة تركيان. ويبرز من خلال المهن التي قام بها أفراد الجالية أن التجارة كانت العمل الأهم لجميع مهاجريها الذين قدموا، كما تؤكد سجلات هذه البطريركية، من بيروت بالدرجة الأولى أو من جونية وهما المكانات الوحيدان اللذان تذكرهما السجلات دون إشارة إلى منابت جغرافية أخرى لمهاجري الأرمن الكاثوليك الشوام إلى الإسكندرية.

ويلفت الانتباه إلى ضخامة البطريركيات التي أقامتها الطوائف المسيحية الشامية في مصر والصمت المطبق الذي يخيم على أروقتها وممراتها وكنائسها في الزمن الحاضر. فهناك أبنية كبيرة جدًا تشغلها بطريركيات الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والأرمن الكاثوليك، واليونان الأرثوذكس، والموارنة، والسريان في مختلف أرجاء المدن المصرية الكبرى خاصة القاهرة والإسكندرية والمنصورة وطنطا.

في تحليل هذا الواقع لا بد من القول إن الجاليات التي بنت تلك البطريركيات كانت كبيرة جدًا وفاعلة في مختلف نواحي الحياة المصرية. فقد بلغت نسبة الرعايا التابعين لها في مطالع القرن العشرين بمدينة الإسكندرية وحدها قرابة ١٢٠ ألف نسمة ثم بدأت بالتقلص بعد الحرب العالمية الثانية، وبشكل خاص بعد قرارات التأميم المصرية. وكانت نسبة هامة من أفراد هذه الجاليات تتعاطى العمل التجاري والصناعي والمالي، وتمتلك الأراضي الواسعة والقصور الفخمة. وكل ما بني على أرض مصر لا يستطيع المهاجر نقله معه إلى الهجرة الجديدة خارجها. وقد لعبت الحركة الوطنية المصرية دورا ملحوظا في توجيه المعركة ضد الأجانب، ومنهم الشوام، وكانت تعتبرهم دعائم للاستعمار البريطاني.وفي الواقع، شارك بعض السوريين واللبنانيين في الحركة السياسية المصرية، فمنهم من كان مع الإنجليز أو الفرنسيين أو الإيطاليين أو الألمان وغيرهم، ومنهم من كان مع الشعب المصري وأحزابه الوطنية. لكن الغالبية الساحقة من الشوام، خاصة الأرمن منهم، لم يتعاطوا العمل السياسي بل انصرفوا إلى التجارة والمهن الحرة والصناعة وقطاع الخدمات. ومع التبدل الجذري في بنية النظام الاقتصادي المصري وانسداد آفاق جمع الثروة أمام المهاجرين الشوام وأبنائهم هاجر قسم كبير منهم إلى خارج مصر تاركًا الكاتدرائيات الضخمة والقصور الأنيقة شاهدًا على أمجاد ما للشوام في مصر التي لم يبق منها سوى الآثار الدالة عليها ماديًا وثقافيًا. وتحولت بعض البيوت التابعة للكاتدرائيات إلى بيوت سكنية ذات مردود تجاري زهيد جدًا. ففي صيف ١٩٨٢، شاهدنا بأم العين كيف يستوفي الأب بصمجيان إيجارًا شهريًا لشقق سكنية لا يتجاوز دخلها ثلاثة جنيهات مصرية في الشهر عن الشقة السكنية الواحدة نظرًا لقدم سند الإيجار المعقود.

(٥) قدمنا لوحة مفصلة عن محتويات هذه السجلات وأفردنا ملحقًا خاصًا استنادًا إلى إحصاء «لبس» لعام ١٩٥٥.

(٦) **مقابلة مع الأب إلياس أبي خير، رئيس الرسالة الحلبية للرهبانية اللبنانية في القطر المصري** (القاهرة في ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢).

من مواليد زجرين، في جوار بكفيا، بتاريخ ٣١ تموز (يوليو) ١٩١١. والدته أرثوذكسية من آل سكاف وأسرته لم تعرف الهجرة إلى مصر بل بقيت تعمل في لبنان. تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة القرية وجوارها ثم التحق بدير مار إلياس شويا عام ١٩٢٥، للالتحاق بالرهبنة المارونية. ثم انتقل إلى دير مار سركيس ومنه إلى روما في ١٢ آيار (مايو) ١٩٢٧، حيث تثبت بالرهبنة المارونية عام ١٩٣٤، وبرتبة شماس عام ١٩٣٥، وبرتبة كاهن في العام نفسه، ثم رجع إلى لبنان في أوائل آب (أغسطس) ١٩٣٦. يتقن عدة لغات أبرزها العربية والفرنسية والإيطالية واللاتينية. فانتدبته الرهبنة الحلبية لمساعدة

شئون رعيتها في شبرا ـ القاهرة في أواخر عام ١٩٣٦، وتحديدًا في أول كانون الأول (ديسمبر) منه. وفي ٢١ شباط (فبراير) ١٩٣٨، عين مدبرًا عامًا للرهبنة الحلبية المارونية في مصر، وبقي بهذه الرتبة حتى ١٦ نيسان (إبريل) ١٩٤١. وفي ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) من هذا العام استدعته الرهبنة إلى لبنان كمستشار لها، وما لبثت أن أرسلته رئيسًا قانونيًا للرسالة الحلبية للرهبانية المارونية في مصر والسودان وذلك في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٤، فاتخذ مقرًا له في البطركخانة المارونية في شبرا ـ القاهرة. وفي ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤، عين رئيسا لديوان الأموال الشخصية للطائفة المارونية في مصر. وفي ٤ آيار (مايو) ١٩٤٦، أنعم عليه الرئيس بشاره الخوري بالوسام اللبناني المذهّب. وفي ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ عين نائبًا عامًا للأبرشية المارونية في مصر مع تفويض كامل في الصلاحيات. وفي ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٩ عين رئيسًا للجنة الأقباط الكاثوليك بتكليف مباشر من الفاتيكان بسبب الخلافات الحادة داخل هذه الطائفة في مصر. وبعد وفاة المطران بطرس ديب، مطران مصر للطائفة المارونية، عين الأب إلياس أبي خير مدبرًا بطريركيًا لأبرشية القاهرة في أول كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٥، بعد أن أنعم عليه الرئيس كميل شمعون بوسام الأرز الوطني في ٧ شباط (فبراير) ١٩٥٧.

عند قدوم الأب إلياس أبي خير إلى مصر عام ١٩٣٦، كانت الهجرة اللبنانية ما زالت تتجه ناحية مصر بتزايد مستمر. لذلك يقدر عدد أبناء الطائفة المارونية آنذاك بحوالي ١٥ ألف نسمة معظمهم في القاهرة، والإسكندرية، وبورسعيد، وطنطا، والمنصورة، والزقازيق، والمحلة الكبرى، والصعيد. وكانت أبرز العائلات المارونية المعروفة: آل الجميل، وآل صعب في المنصورة، آل شديد في الزقازيق، آل باخوس وحرفوش وبو شاهين في القاهرة وبور سعيد.

كانت الطائفة المارونية تحتل المرتبة الثالثة بين مهاجري الشوام في مصر، وهي المرتبة التي تكاد تجمع عليها ذاكرة معظم الذين أجرينا معهم مقابلات شخصية. فالمرتبة الأولى لمهاجري طائفة الروم الأرثوذكس. والثانية لطائفة الروم الكاثوليك ثم تأتي باقي الطوائف من سريان وأرمن وكلدان وسواهم. وهذه الرتب ليست ثابتة إذ لا توجد أية إحصاءات دقيقة في هذا المجال. مرد ذلك إلى بروز أبناء هذه الطائفة أو تلك على صعيد الغنى والجاه والنفوذ والنوادي والمؤسسات الخيرية. فالأمراء آل لطف الله، من الروم الأرثوذكس، كانوا على جانب كبير من الشهرة والنفوذ في مصر طيلة الثلث الأول من القرن العشرين يضاف إليهم آل كرم وسرسق وبسترس وطراد وغيرهم. كذلك كان لأغنياء الروم الكاثوليك حضور مماثل في بعض الجوانب الاقتصادية والسياسية وغيرها. ثم يليهم في المرتبة الثالثة أغنياء الموارنة الذين اتخذوا لأنفسهم ألقابًا أوربية تذكّر بأسياد القرون الوسطى في أوروبا كالكونت آل شديد، وآل صعب وغيرهم. ففي حين اختار أغنياء الروم، من أرثوذكس وكاثوليك، لأنفسهم ألقابًا ذات صلة وثيقة بتراث المنطقة وألقابها كالباشا، والأمير، والبك وسواها، فإن أغنياء الموارنة قد اختاروا، منفردين، ألقابًا أوربية. وفي ذلك دلالة تاريخية على تأكيد ارتباطهم بالتراث الأوربي الغربي لا المشرقي العربي والعثماني.

(٧) يراجع الملحق رقم ١.

(٨) يراجع الملحق رقم ٢.

(٩) يراجع الملحق رقم ٣.

(١٠) يراجع الملحق رقم ٤.

(١١) يراجع الملحق رقم ٥.

(١٢) مقابلة مع الأب أنطوان صفير، الوكيل البطريركي الماروني بالإسكندرية (الإسكندرية ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢).

شاب في مقتبل العمر، أنهى علومه الابتدائية والتكميلية في لبنان ثم درس اللاهوت في إيطاليا. على جانب واسع من الثقافة والاطلاع على سجلات الشوام، خاصة الموارنة منهم، في مدينة الإسكندرية.

يرى الأب صفير أن هجرة السوريين واللبنانيين إلى الإسكندرية تزايدت بشكل ملحوظ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى. وقد بلغت العائلات المارونية وحدها قرابة الألف عائلة في الإسكندرية التي شكلت مركز استقطاب هامًا لموارنة لبنان وسوريا خلال هذه المرحلة نظرًا للآفاق الواسعة التي فتحها مجتمع الإسكندرية أمام جميع المهاجرين إليها.

كان الموارنة، على غرار كثير من مهاجري الشوام بالإسكندرية، يقومون بالأعمال التجارية والمهن الحرة بالدرجة الأولى. وعمل بعضهم في دوائر الدولة، من مدنية وعسكرية على السواء، وفي الأعمال الزراعية والصناعية وحقول الأدب والثقافة والترجمة وغيرها.

كانت الغالبية الساحقة من موارنة الإسكندرية من الميسورين مع قلة ضئيلة جدًا من فئة كبار الأغنياء. أما فقراء الطائفة فكانوا، في الغالب، من ذوي الدخول التي تؤمن لهم العيش اللائق ولا يمكن أن تقاس أوضاعهم المادية والاجتماعية بأوضاع فقراء المصريين. ولعبت الجمعيات الخيرية التي أسسها المهاجرون الشوام بالإسكندرية دورًا أساسيًا في دعم فقراء الطوائف. وساهمت الجمعية الخيرية المارونية التي تأسست بالإسكندرية عام ١٨٧٨، في تقديم الدعم المادي لفقرائها وقامت بتعليم الكثير من أبنائهم بحيث برزت منهم فئة غنية أو ميسورة. كانت المساعدات تقدم شهريًا وبمناسبة الأعياد الكبرى. كذلك أسست كل طائفة لأبنائها عددًا من النوادي الاجتماعية والرياضية والكشفية أبرزها، على صعيد الطائفة المارونية، النادي الماروني بالإسكندرية (Cercle Maronite) الذي نظم الكثير من الحفلات، والاجتماعات والسهرات، واللقاءات، وقدم المساعدات المادية للعائلات الفقيرة بشكل مباشر أو بواسطة كهنة الرعية. كانت المساعدات تقدّم حسب الحاجة إلى الأيتام والعجائز، والذين لا معيل لهم، أو العاطلين عن العمل، أو العائلات التي تضم أعدادًا كبيرة من الأولاد. كذلك أصدر النادي نشرة داخلية باسم «صوت المارونية». وصدر عدد خاص من هذه النشرة بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لتأسيس المدرسة المارونية بالقاهرة ويضم مقالات هامة حول هجرة الموارنة إلى مصر وكيفية تعاطيهم مع المجتمع المصري من جهة وباقي السوريين واللبنانيين من جهة أخرى.

ولعبت المدارس الأجنبية بالإسكندرية دورًا بارزًا فيها، منها مدرسة القديس مرقس (Saint Marc) الشهيرة، ومدارس الفرير، ومدارس اليسوعيين، ومدرسة دون بوسكو (Don bosco) الهامة جدًا للآباء السيليزيين (Les Pères Séliziens) ومدارس الآباء اللعازريين وغيرها كثير من المدارس الإرسالية والخاصة. ونظرًا لكثرة عدد هذه المدارس عزف الموارنة عن إقامة مدارس خاصة بهم في الإسكندرية لكنهم أسسوا مدرسة كبيرة في القاهرة هي مدرسة مار يوسف المارونية بالظاهر.

قامت هجرة محدودة للموارنة من الإسكندرية وباقي المدن المصرية، خاصة القاهرة، إلى لبنان بعد إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، لكن أعداد المهاجرين منهم إلى مصر بقيت كبيرة جدًا وتعادل عدة أضعاف العائدين منها إلى الوطن الأم. واستمرت الهجرة اللبنانية إلى مصر تتزايد حتى قيام الثورة

المصرية عام ١٩٥٢، وتوقفت بعد قرارات التأميم وبدأت هجرة معاكسة من مصر إلى الخارج خاصة كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وغيرها.

للدلالة على صدق النظرية يعطي الأب صفير إحصاءً هامًا. فالعائلات السورية ـ اللبنانية المارونية ناهزت الألف عائلة قبيل الحرب العالمية الأولى. ومع اتساع الهجرة السورية ـ اللبنانية إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين يقدر الرقم ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ عائلة بسبب الأعداد الجديدة للمهاجرين والولادة المتزايدة والزواج في العائلات المستقرة هناك. وما بقي من تلك العائلات الآن في الإسكندرية لا يزيد على أربعمائة عائلة لبنانية مارونية أي أن قرابة ٨٠٪ من مهاجري الموارنة قد غادروا الإسكندرية إلى لبنان، بشكل جزئي وضعيف جدًا، وإلى الخارج بشكل كثيف.

(١٣) القس بطرس الخوري، **تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري** (١٧٤٥-١٩٢٧)، القاهرة ١٩٢٧، في ٣٤٤ صفحة. اقتبسنا الأرقام والأسماء من الصفحات التالية: (١٥٦، ١٦٠، ١٦٦، ٢٠٦، ٢٢٦، ٢٤٤، ٢٤٧، ٣٠٠).

(١٤) الرهبانية الحلبية المارونية، في وادي النيل **كتاب اليوبيل القرني الثاني** (١٧٤٥ ـ ١٩٤٥)، القاهرة ١٩٤٧، في ٣٢٥ صفحة. اقتبسنا الأرقام والأسماء من الصفحات التالية: (٢٠-٣٠، ١٧٤-١٧٧).

(١٥) جمعية المساعي الخيرية المارونية بالقاهرة، **الكتاب البلاتيني لمرور خمسة وسبعين عامًا على تأسيس الجمعية**، القاهرة ١٩٥٥، ١٥١ صفحة. اقتبسنا الأرقام من الصفحات التالية: (١٣-١٤، ١٧-١٩، ٧١-٧٣، ١٤٣-١٤٧).

(١٦) يراجع الملحق رقم ٦ المستند إلى هذا الإحصاء.

(١٧) **مقابلة مع الخوري يوحنا الحاج والخوري يوسف البجاني** (القاهرة ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢).

ولد الخوري يوحنا في عين عار في المتن الشمالي عام ١٩٠٥، وتلقى تربيته الدينية في لبنان ثم أرسل للخدمة الروحية في مدرسة القديس يوسف للطائفة المارونية في القاهرة عام ١٩٣٩. تولى تدريس اللغة العربية في المدرسة طيلة سنوات (١٩٣٩ ـ ١٩٤٦)، فدرّس الصفوف الابتدائية وأحيانًا الثانوية تبعًا لحاجة المدرسة التي كانت تتسع آنذاك لحوالي ٤٥٠ طالبًا دون طالبات. فقد كانت مدرسة مجانية لفقراء الطائفة من الذكور فقط في حين كان يدفع أبناء باقي الطوائف أقساطًا متفاوتة للدخول إليها. ولا يذكر الخوري يوحنا واحدًا من أبناء أغنياء الطائفة المارونية أو سواها من الطوائف اللبنانية في مصر تتلمذ على يديه في مدرسة مار يوسف المارونية في القاهرة. وذلك يؤكد بوضوح على الوجه الطبقي لتلامذة المدرسة على الرغم من تسميتها الطائفية. فأغنياء الطوائف، يقول الخوري يوحنا، ومنهم أغنياء الطائفة المارونية، كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدارس اليسوعيين والفرير وباقي المؤسسات التعليمية الأجنبية الخاصة والعاملة في مصر.

والخوري يوسف البجاني من مواليد قرنة شهوان، في المتن الشمالي أيضًا، عام ١٩٠٩، تعلم في مدرسة المطران بولس عواد في قرنة شهوان وخدم في كنائس متعددة قبل أن يستقر في مصر قبيل الحرب العالمية الثانية، فيعلّم في مدرسة مار يوسف المارونية في القاهرة. ولما لم يكن هناك إحصاء رسمي للطائفة المارونية في مصر، قام توفيق لبس، من أبناء الطائفة ويعمل آنذاك موظفًا في الإحصاء المركزي في مصر، بإحصاء الموارنة في مختلف أرجاء القطر المصري يعاونه في هذه المهمة الخوري يوسف بجاني. ويتضح من ذلك أن القيمين على شئون هذه الطائفة قد اتخذوا قرارًا مركزيًا للقيام بهذه المهمة وكلف بها لبس وبجاني معًا فتبين لهما أن عدد الموارنة عام ١٩٤٣، لم يكن يتجاوز ١٢ ألفًا في

مختلف أرجاء مصر. ثم عاد الاثنان فأجريا إحصاء آخر عام ١٩٥٢، فتبين لهما أن الموارنة في مصر قد بلغوا قرابة ١٨ ألفًا.

وعلى الرغم من تحفظنا الشديد على صحة الأرقام التقريبية فمن الواضح أن خط الهجرة اللبنانية إلى مصر، وتحديدًا الجانب الماروني فيها، كان يتزايد باستمرار طيلة النصف الأول من القرن العشرين مع الإشارة إلى خط آخر للهجرة بدأ من مصر باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

(١٨) القس إسحق، أرملة، «بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري»، مجلة المشرق. تم نشره في بيروت ١٩٢٥، في ٧٦ صفحة عن المطبعة الكاثوليكية. استندنا إلى صفحات (٥ و٢١-٢٣ و٣٤-٤١ و٦٠-٦٧ و ٧٤ و٧٥).

(١٩) يراجع الملحق رقم ٧.

(٢٠) **مقابلة مع الأرشمندريت إلياس متري صوفان، راعي كنيسة القديس أنطونيوس الكبير الأرثوذكسية بالشاطبي** بالإسكندرية (الإسكندرية ١٠/ ١٠/ ١٩٨٢).

من أسرة لبنانية تعود بجذورها إلى بلدة دير القمر حيث نزح والده متري يوسف صوفان منها إلى بيروت ثم هاجر منها إلى الإسكندرية في مطلع القرن. وهناك إشارات كثيرة وردت لدى المهاجرين الشوام في مصر تدل على وجود عائلات أرثوذكسية وكاثوليكية متعددة في بلدة دير القمر قبل أن تتحول إلى صفاء ماروني شبه كامل في القرن العشرين.

في عام ١٩٠٥، تعرف متري صوفان إلى أمل إبراهيم سكاف وتزوجها. وهي من أسرة لبنانية كانت تقطن مدينة زحلة ثم انتقل والدها إلى بيروت وهاجر شقيقاها فيليب ووديع سكاف مع باقي أفراد العائلة تدريجيًا حتى استقروا جميعًا في مدينة الإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر. أما الأب، إبراهيم سكاف، فأمضى كامل أيامه في بيروت. ولد إلياس متري صوفان في الإسكندرية عام ١٩١٥ ونال دراسته الابتدائية لدى الفرير خاصة في مدرسة القديسة كاترين ثم دخل سلك الكهنوت الأرثوذكسي. أجرينا المقابلة بالإسكندرية صيف ١٩٨٢، وكان الأب صوفان لا يزال يشغل مهمة راعي كنيسة القديس أنطونيوس الكبير في الشاطبي بالإسكندرية بالإضافة إلى مهام أخرى في أبرشية القاهرة حيث التقينا به مرة أخرى.

وهو يجسد، إلى حد بعيد، شعور الجيل الثالث من المهاجرين الشوام في مصر ولديه إحساس مبهم بالوطنية اللبنانية، ولا يتحمس كثيرا لنشرها في أوساط المهاجرين بل يدعو إلى تمتين الروابط بين مهاجري السوريين واللبنانيين في كندا الذين هم من أصل مصري، خاصة من الإسكندرية، وبين وطنهم الأم مصر ويقوم بعدة جولات إلى مونتريال وتورنتو ومدن الولايات المتحدة الأمريكية لهذه الغاية. لذلك يرى أن حنين من تبقى من الشوام في مصر إلى الوطن الأساسي، وطن الآباء والأجداد أي سوريا ولبنان، قد انتهى بعد أن اختار هؤلاء الجنسية المصرية بشكل نهائي وباتوا مصريين. وأن إعادة طرح موضوع لبنانية أو سورية الشوام في مصر ستكون مسألة مفتعلة جدا وتسيء إلى المسيحيين الشوام الذين تمصروا بملء إرادتهم. ومع ذلك فهنالك تيارات طائفية مريضة، لبنانية بشكل أساسي، تحاول إسقاط أمراضها الطائفية على المجتمع المصري الذي نجح فعلًا في إرساء دعائم وطن متماسك وليس تجمعات طوائفية هشة على غرار المجتمع اللبناني. ويحلل الأب إلياس صوفان موضوعًا بالغ الأهمية في هجرة الشوام إلى مصر يتناول العنوان التالي: **أزمة الرابطة الطائفية في مرحلة التفتح القومي: شوام مصر بين الأرثوذكسية اليونانية والقومية العربية**.

فقد لعب اليونان الدور الأساسي في تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية في مصر لأن أعداد جاليتهم كانت كبيرة جدًا فأغرقوا فيها الأرثوذكس العرب، خاصة الشوام منهم. ودارت خلافات حادة بينهم انتهت عام ١٩٢٦، بفصل الأرثوذكس العرب، وغالبيتهم الساحقة من الشوام، والأرثوذكس اليونان. لكن الكنائس الكبيرة التي أقيمت في الإسكندرية والقاهرة طيلة القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ما زالت، في معظمها، بإشراف رجال الدين اليونان وهي تحتفظ بسجلات جميع الأرثوذكس في مصر. وقمنا بأكثر من محاولة للوصول إلى تلك السجلات دون نتيجة. فجهلنا باللغة اليونانية، لغة السجلات، وتحفظ رجال الدين اليونان تجاه دراستنا كانا من العوامل الهامة في إبقاء ذلك الجانب الوثائقي ضعيفًا جدًا وبحاجة إلى بحث مستقل من خلال تلك السجلات. وهنا بالضبط تكمن أهمية المعلومات، على قلتها، التي أمدنا بها الأب إلياس صوفان حول مهاجري الشوام في مصر من خلال سجلات البطريركية الأرثوذكسية في القاهرة. ومن الطريف القول إن تعبير الأرثوذكس قد ارتبط بأذهان المصريين للدلالة على اليونان فقط واعتبروا الأرثوذكس السوريين واللبنانيين طائفة دينية تابعة لهم أو بالأحرى طائفة متدامجة فيهم. وقد عانى الأرثوذكس الشوام كثيرا من ذلك الدمج الخاطئ وأصروا على تمايزهم كمسيحيين شوام. وما زالت بعض النوادي التي أقامها أحفاد الشوام في القاهرة والإسكندرية تصر على وضع عبارة «الأرثوذكس العرب» في رأس بطاقة العضوية إصرارًا منهم على تمايزهم عن اليونان. فالطقوس الدينية باللغة اليونانية، وكثرة عدد أفراد الجالية اليونانية التي أصابت ازدهارًا كبيرًا خاصة في الإسكندرية، وسيطرة رجال الدين اليونان على الكنيسة الأرثوذكسية وأديرتها في مصر، هذه العوامل وغيرها أفقدت الأرثوذكس الشوام استقلاليتهم الكنسية داخل مصر حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين.

أبرز العائلات الشامية التي عايشها الأب صوفان في الإسكندرية كانت عائلة كرم، وعائلة باسيلي أو ملوك الخشب بالإسكندرية ومنهم أسعد باسيلي وفكتور وألبير وجاك. وهي أسرة أرثوذكسية تعود بجذورها إلى مدينة طرابلس الشام. وهناك عائلة خلاط وأبرز أفرادها جول خلاط، رئيس البورصة في الإسكندرية، وهي عائلة تعود أيضًا بجذورها إلى مدينة طرابلس. وعائلة شكور وكان منها مدير الجمارك بالإسكندرية، وعائلة سابا ومن أفرادها مدير البريد أو البوسطة، وإلياس عماد صاحب شركة الزيوت الشهيرة باسم ماركة كرموز (Carmouz) وعائلة الشميل ومنها الفيلسوف الكبير شبلي الشميل وأقرباؤه الذين أصدروا جريدة «البصير» بالإسكندرية ومنهم رشيد الشميل وشارل الشميل، وعائلة شيبوب ومنها المحامي المشهور في قلم القضايا خليل شيبوب وقد عمل أيضا في بنك الأراضي، والصحافي صديق شيبوب الذي حرر لفترة طويلة في جريدة «البصير». وكانت هنالك عائلات إسلامية من الشوام أبرزها آل مسقاوي ومنهم تاجر الأخشاب المعروف محمد واصف مسقاوي وهي أسرة طرابلسية مشهورة. لقد حمل اللبنانيون معهم أمراضهم المذهبية وجعلوا الرابطة الطائفية أقوى من الرابطة الوطنية. لذلك تمايزت كل طائفة عن سواها بالنوادي والجمعيات الخيرية والكنائس والمستوصفات وسواها. وفي حال الخروج من الطائفة تبقى رابطة الدين الواحد. فكان الاختلاط الاجتماعي يتضمن أولويات: العائلة الواحدة، الطائفة الواحدة، الدين الواحد. ونادرًا ما خرج الشوام في علاقتهم الاجتماعية، خاصة شئون الزواج، من دين إلى آخر لا بل من طائفة إلى أخرى طيلة القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وكان المسلمون الشوام أكثر انخراطًا من إخوانهم المسيحيين في المجتمع المصري في حين كان تقارب المسيحيين أكثر بروزًا مع الجاليات الأوربية خاصة في الإسكندرية حيث سجلت حالات كثيرة للزواج. ولعبت المدارس الخاصة والإرساليات الدور

الأساسي في تضييق التباعد بينهم الناتج عن اختلاف اللغة، كما لعب الوضع الاقتصادي الممتاز لكثير من مهاجري الشوام في الإسكندرية دورًا هامًا في تحقيق طموح الكثير منهم للزواج بأوربية.

هكذا أسهم التضامن الطائفي بدور بارز في إنشاء الكثير من المؤسسات الخيرية والكنائس والأديرة والنوادي. كما أسهم أغنياء كل طائفة بدور إيجابي في تعليم عدد من أبنائها وتقديم معونات مادية للفقراء فيها. وأبرز المحسنين الذين وقفوا جانبًا هامًا من ثرواتهم للأعمال الخيرية يوسف سياج وزوجته هيلانة من بيروت، وتيودور وتوفيق وسمعان كرم من طرابلس، وعبد الله أبو شنب من دمشق الذين تبرعوا بأموال كثيرة لإقامة الكنائس والمؤسسات الخيرية أبرزها كنيسة سيدة النياح بالإسكندرية. وتوسعت آفاق المساعدة لتشمل فقراء من داخل الطائفة ومن خارجها أيضًا وطالت أعدادا متزايدة من أبناء الشعب المصري، وعلى الرغم من تخصيص أغنياء الطوائف لأعمالهم الخيرية باسم طوائفهم فإن مهاجري الشوام قد أحسوا بواجب كبير تجاه الشعب المصري الذي أحب الشوام كثيرًا وقدم لهم كل الظروف الملائمة للنجاح وجمع الثروة. والمجتمع المصري لم يكن مجتمع طوائف بل كان مجتمعا متماسكا منذ سنوات طويلة ولا تستطيع أية طائفة فيه الانعزال عن جيرانها. وكانت علاقات الأقباط مع مسيحيي الشوام دائمة التوتر إذ اتهمهم الأقباط بسرقة الدور التاريخي الذي كان عليهم القيام به وهو دور الوساطة التجارية والثقافية مع الغرب. أما بعض السمات التي رافقت هجرة الشوام، كالربح السريع، والتهرب من الضرائب، والاحتيال على القانون، والأعمال غير الأخلاقية في السلطة وسواها فكانت تنفِّر المصريين منهم وتشكل إساءة لجميع المسيحيين في مصر. فكان حقد الأقباط على الشوام المسيحيين كبيرا لأنهم جنوا ثروات ضخمة وعاشوا حياة مترفة ورحل قسم كبير منهم إلى الخارج بعد أن هرّبوا أموالهم إثر قرارات التأميم في حين كان ارتباط الأقباط بمصر دائمًا وثابتًا، وارتدى شعور عداء الأقباط للشوام المسيحيين أشكالًا مختلفة، واتهامات مذهبية ومسلكية متنوعة. لكنه، في الواقع، ينبع من شعور الخيبة والحرمان من الفرصة التاريخية التي كان يمكن لها أن تبدل من أوضاع الأقباط في مصر. فاقتنص الشوام تلك الفرصة ثم رحلوا وبقي الأقباط في بؤسهم وحرمانهم على غرار القاعدة العريضة للشعب المصري الكادح.

(٢١) الأب بولس قرألي، «**السوريون الأرثوذكس في مصر**»، نشرت في **المجلة السورية**، السنة الأولى، الجزء الأول الصادر في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦، ص (٥-٨).

(٢٢) التقارير السنوية لجمعية كنيسة رؤساء الملائكة للروم الأرثوذكس المصريين بالقاهرة. خاصة تقارير أعوام (١٩١٨-١٩٣٦).

(٢٣) يراجع الملحق رقم ٨ المستند إلى هذه السجلات.

(٢٤) يراجع الملحق رقم ٩ المستند إلى هذه السجلات.

(٢٥) يراجع الملحق رقم ١٠ المستند إلى هذه السجلات.

(٢٦) يراجع الملحق رقم ١١ المستند إلى هذه السجلات.

(٢٧) يراجع الملحق رقم ١٢ المستند إلى هذه السجلات.

(٢٨) **الشوام في مصر في النصف الأول من القرن العشرين ـ مقابلة مع المطران كامل مدور** ـ القاهرة ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

رجل في الخامسة والتسعين من عمره لا يزال يمتلك الوعي الكامل والذاكرة الجيدة. من مواليد بيروت لعام ١٨٨٧. تعلم في المدرسة البطريركية التي درس فيها الشاعر الكبير خليل مطران. جاء

مصر عام ١٩٠٥، وتوظف في العمل الحكومي قبل أن يرتسم كاهنًا وهو في سن الخمسين من عمره ليصبح فيما بعد مطرانًا للروم الكاثوليك في القاهرة. عندما جاء مصر في مطالع القرن العشرين كانت المدارس الخاصة في أوج مرحلة ازدهارها. فهناك مدارس اليسوعيين، ومدارس الإخوة المسيحيين «الفرير»، والمدرسة البطريركية للروم الكاثوليك، والمدرسة المارونية في القاهرة، والمدرسة العبيدية للروم الأرثوذكس التي أسسها حنانيا عبيد وهو من أصل شامي قدم وقفية كبيرة للمدرسة التي بلغ تعداد طلابها قرابة ألفي طالب وقد تسلط عليها اليونان لفترة طويلة قبل أن يستردها منهم أصحاب النفوذ من أرثوذكس الشوام في مصر. لم يكن التعليم مختلطا في مصر واستمر كذلك حتى سنوات طويلة بعد الحرب العالمية الثانية في كثير من المؤسسات التعليمية. كانت أكثر اللغات انتشارا في مصر الفرنسية والإنجليزية إلى جانب العربية، أما الإيطالية واليونانية والألمانية وسواها من اللغات فكانت تدرّس بنسبة أقل وتكاد تكون محصورة في مدارس الجاليات التابعة لمواطن تلك اللغات. وأدرك الشوام، أكثر من سواهم، أهمية اللغات الأوربية في الترقي الاجتماعي داخل مجتمع يشهد تحولات نوعية في مختلف المجالات. لذلك كانت الغالبية الساحقة من أبنائهم تتقن أكثر من لغة حية أوربية وتمارس العمل على أساسها في الصحافة والأدب والترجمة والتدريس والمهن الحرة. وعلى الرغم من وجود أعداد لا بأس بها من الأساتذة الأجانب في المؤسسات التعليمية الخاصة في مصر خلال تلك المرحلة فإن نسبة الشوام في هذا القطاع كانت كبيرة جدًا ولا تعادلها أية نسبة أخرى في باقي الجاليات العاملة في مصر.

(٢٩) مقابلة مع الأب صعب خليل أبي خليل (القاهرة ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢).

من مواليد مشغرة ـ لبنان عام ١٩٠٩، جاء مصر في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٩، وله من العمر عشر سنوات. توفي والده خليل فارس أبو خليل في مشغرة إبان الحرب العالمية الأولى فأرسلته والدته إلى مصر للتعلم في ميتم القديس منصور (Saint Vincent de Paul) في الإسكندرية. دلالة ذلك أن المؤسسات الخيرية التي أقامها أغنياء الشوام في مصر كانت تستقطب فقراء من طوائف مسيحية في سوريا ولبنان. وقد أكد هذه الظاهرة عدد كبير من الذين قابلناهم حتى إن بعض الفقراء الشوام كانوا يقصدون مصر بهدف العمل وجمع الثروة وهم على ثقة بأنهم إذا ما فشلوا في تحقيق أهدافهم فعلى الأقل هناك مؤسسات رعاية اجتماعية تقدم لهم المعونات وتؤمن التعليم والطب والعناية لأبنائهم. وليست لدينا إحصائيات حول حجم هذه الظاهرة لكننا نلفت النظر إليها لما لها من دلالة اجتماعية حول الترابط بين طوائف الشوام المسيحية وامتداداتها في مصر ومن ثم في مناطق أخرى من العالم.

ومن الميتم انتقل صعب أبو خليل إلى مدرسة الفرير بالإسكندرية وبقي فيها حتى عام ١٩٣٣، ثم عمل في التدريس وسيم كاهنا للروم الكاثوليك في مصر فخدم في عدد كبير من كنائسها، وهو مستقر الآن في كنيسة مريم سيدة السلام، ٤ ميدان الشيخ يوسف، منطقة جاردن سيتي بالقاهرة.

معلوماته غنية جدًا وله انطباعات كثيرة بعد أن عايش مختلف فئات الشعب المصري لسنوات طويلة. عاصر ازدهار الهجرة من سوريا ولبنان إلى مصر في النصف الأول من القرن العشرين، كما عايش الهجرة المعاكسة للشوام من مصر إلى الخارج، ولا يزال على صلة وثيقة بكثير من هؤلاء المهاجرين ومنهم من يرغب بالعودة مجددًا إلى مصر وليس إلى سوريا ولبنان للاستقرار النهائي على أرضها بعد أن اعتبروها وطنهم الوحيد.

أهم الانطباعات التي يحملها خلال إقامته المديدة في مصر أن تلك البلاد فتحت ذراعيها لاستقبال

أعداد كبيرة من الشوام وغيرهم من المهاجرين ولم يلاق اللبنانيون أو السوريون أية صعوبة في الاندماج بالمجتمع المصري، ولعبت اللغة العربية دورا أساسيا في تسهيل ذلك الاندماج، كذلك التاريخ المشترك والعادات الشرقية المتقاربة. وكان للغات الأجنبية الأثر الكبير في ترقي اللبنانيين الثقافي والسياسي والاقتصادي. فبرزت عائلات بكاملها مشهورة بالترجمة وإتقان اللغات الأوربية كآل الأرقش، وآل الدهان، وآل القطان وغيرهم. وهناك بعض اللبنانيين الذين عرفهم الأب صعب فقراء ثم عرفهم أصحاب ثروات طائلة. فقد وفد سليمان جرجي أبو عراج من مشغرة فقير الحال وعمل في النادي السوري بالإسكندرية لفترة طويلة تعرّف خلالها إلى كبار أغنياء الشوام بالإسكندرية. ثم انصرف إلى التجارة، خاصة استيراد التفاح والفواكه اللبنانية فأصبح من كبار الأغنياء بالإسكندرية كذلك آل القيم من عيتنيت الذين اشتهروا بالتجارة والأملاك الواسعة في المنصورة ومنها انتقلوا إلى الإسكندرية.

كانت أبرز المدارس التي عايشها الأب صعب بالإسكندرية مدرسة الفرير، ومدرسة (Saint Marc)، ومدرسة (Saint Catherine)، ومدرسة البنات (Saint Vincent de Paul)، ومدرسة (Mère de Dieu)، ومدرسة (Notre Dame De Sion) وكان للإخوة المسيحيين «الفرير» مدارس هامة في بورسعيد والقاهرة وعدد من المدن المصرية الأخرى بالإضافة إلى الإسكندرية.

كانت لكل طائفة تقريبا مدارسها الكبيرة. فهناك المدرسة العبيدية للروم الأرثوذكس بالقاهرة، ومدارس للسريان والكاثوليك والأرمن والموارنة وغيرهم. وكانت مدارس كثيرة لليونان، وكانوا جالية كبيرة جدًا في مصر، خاصة في الإسكندرية، وكانت للفرنسيين مدارسهم كذلك للألمان والأمريكيين والإيطاليين والإنجليز.

كانت العلاقة وطيدة بين الشوام في مصر على اختلاف طوائفهم ومناطقهم ولهم عادات وتقاليد واحدة في جميع المناسبات. ويلاحظ أن التزاوج بين الطوائف بات واسع الانتشار في النصف الأول من القرن العشرين ودون تمييز بين طائفة وأخرى من الطوائف المسيحية. أما التزاوج بين الأديان فما زال ضعيفًا جدًا حتى الآن وذلك لأسباب متنوعة أبرزها النصوص الواردة في بعض الكتب الدينية. وفي تلك المرحلة أصبح التزاوج بين الأهل شبه ممنوع عمليا في حين كان قاعدة مألوفة في القرن التاسع عشر وقبله.وبات الزواج من ابنة العم أو الخال أو العمة والخالة من الحالات النادرة وليس المألوفة. وهناك تدابير كنسية تحرم الزواج من بنت العم وعلى من يرغب بالزواج أن يذهب إلى كنائس الأرياف لعقده فيها. كان الأرثوذكس أكثر تشددًا في هذا المجال من الكاثوليك، كذلك الموارنة. لهذا السبب نجد أن أحد الأخوين يبقى أرثوذكسيًا في حين يتحول الآخر إلى الكاثوليكية أو غيرها من الطوائف. أما سبب الزواج في الأرياف فهو الادعاء بأن كاهن الرعية لا يعرف القانون جيدا وهو مخرج لعقد ذلك الزواج. ويلاحظ أيضًا أن نسبة التزاوج بين الشوام والأقباط تتزايد باستمرار وكانت ضعيفة جدا في الماضي. كذلك يلاحظ انفتاح الطوائف المسيحية والإسلامية للشوام على بعضها في مجال الزواج أكثر من انفتاح المسيحيين على المسلمين المصريين أو غيرهم، لأن الشوام شكلوا جالية متجانسة إلى حد بعيد ولا تفرق بين أفرادها بسبب الطائفة أو المنطقة.

(٣٠) جول خلاط، **أعمال البورصة في مصر**، نقله عن الفرنسية خليل شيبوب، ونشر في الإسكندرية، ١٩٣٧، ٢٢٨ صفحة، تراجع صفحتا (٧٦، ٧٧).

(٣١) الغرفة التجارية اللبنانية ـ المصرية بالإسكندرية، **العلاقات الاقتصادية بين مصر ولبنان**، النشرة السنوية الأولى، يناير (كانون الثاني) ١٩٥١، ص (١-٦).

(٣٢) من الإعلانات التي نشرتها صحافة هذه المرحلة خاصة **الهلال، والمقتطف، والأهرام، والمقطم والمجلة السورية** وغيرها.

(٣٣) يراجع الملحق رقم ١٣ المستند إلى هذه السجلات.

(٣٤) **مقابلة مع الدكتورة زاهية قدورة** (بيروت ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢).

من عائلة بيروتية كانت على صلات وثيقة بمصر منذ سنوات طويلة قبل ذهابها للتخصص العالي في القاهرة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣. عايشت الدكتورة قدورة مرحلة هامة من تاريخ العلاقات المصرية ـ اللبنانية بعد تكون لبنان السياسي كدولة مستقلة عام ١٩٤٣. وحين وصلت القاهرة كانت المظاهرات الصاخبة تجتاح شوارع العاصمة المصرية وهي تندد بالتدابير القمعية التي قامت بها المفوضية العليا الفرنسية ضد رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري، ورئيس وزرائه رياض الصلح، وعدد من الوزراء والنواب الذين احتجزتهم سلطات الانتداب الفرنسي في سجن راشيا. لذلك تحتفظ ذاكرة الدكتورة قدورة بصورة حية عن التلاحم المصيري بين شعبين عربيين في الظروف التاريخية الحاسمة، وهي الظاهرة التي تتكرر دوما في التضامن الشعبي الكبير الذي تلقاه الأحداث القومية العربية على امتداد البلدان العربية وأحيانًا كثيرة على الرغم من إرادة حكام هذه البلدان. كانت فكرة استقلال لبنان مناسبة هامة للشعب المصري، وغيره من الشعوب العربية، كي يظهر تضامنه مع شعب لبنان الشقيق لأن هذه الفكرة لاقت ترحيبا حارا من المصريين واللبنانيين ـ السوريين المتمصرين على حد سواء. فظهر ذلك الإجماع في الموقف الرسمي، وعبر الصحافة، وفي الخطب الجماهيرية، وعبر المظاهرات الحاشدة وغيرها من مظاهر التأييد والدعم. وتذكر الدكتورة قدورة بكثير من التأثر تلك المظاهرة الضخمة التي ضمت آلاف الطلبة المصريين، من مختلف مراحل التعليم في مصر، وهم يدخلون حرم جامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة» ويهتفون بحياة لبنان وشعبه وحياة رئيسه الشيخ بشارة الخوري. هكذا بدأت علاقة الطالبة الجامعية زاهية قدورة بالمجتمع المصري واستمرت عدة سنوات نالت خلالها شهادتي الماجستير والدكتوراه في التاريخ ثم عادت إلى لبنان لتمارس التدريس الأكاديمي في الجامعة اللبنانية وتصبح عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية فيها. (الوثائق الخاصة بالدكتورة زاهية قدورة محفوظة لديها وهي جزء من مذكرات شخصية تُزمع القيام بنشرها في السنوات القادمة).

(٣٥) يراجع الملحق رقم ١٤.

(٣٦) يراجع الملحق رقم ١٥.

(٣٧) يراجع الملحق رقم ١٦.

(٣٨) يراجع الملحق رقم ١٧.

(٣٩) يراجع الملحق رقم ١٨.

(٤٠) بالإضافة إلى الكتب المشار إليها اعتمدنا بعض المراجع التي تناولت الشوام بشكل عام منها:

- جاد طه، **بريطانيا والجيش المصري (١٩٢٤-١٩٢٧)، في ضوء الوثائق البريطانية**، القاهرة، ١٩٨٠.
- رفعت السعيد، **الأساس الاجتماعي للثورة العرابية**، القاهرة، ١٩٦٦.
- محمود عبد الفضيل، **التحولات الاقتصادية والاجتماعية في الريف المصري (١٩٥٢-١٩٧٠)**، القاهرة ١٩٧٨.
- عاصم الدسوقي، **كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري (١٩١٤-١٩٥٢)**، القاهرة، ١٩٧٥.

- تيودور روشتين، **خراب مصر**، ترجمة عبد الحميد العبادي ومحمد بدران بعنوان: **تاريخ المسألة المصرية (١٨٧٥ ـ ١٩١٠)**، دار الوحدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١.
- دافيد لاندز، **بنوك وباشوات**، ترجمة عبد العظيم أنيس، القاهرة، ١٩٦٦.
- نبيل عبد الحميد، أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، **مصر للمصريين: مائة عام على الثورة العرابية**، القاهرة ١٩٨١.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى، **مصر والمسألة المصرية**، القاهرة، ١٩٦٥.
- هيلين آن ريفلين، **الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر**، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ومصطفى الحسيني، القاهرة، ١٩٦٧.
- صلاح عيسى، **الثورة العرابية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
- غالي شكري، ميلاد حنا، صلاح عيسى وآخرون، **المسألة الطائفية في مصر**، دار الكلية، بيروت، ١٩٨٠.
- إبراهيم عامر، **الأرض والفلاح: المسألة الزراعية في مصر**، القاهرة، ١٩٥٨.
- أمين مصطفى عفيفي، **تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث**، القاهرة، ١٩٥٣.
- راشد البرادي ومحمد حمزة عليش، **تاريخ مصر الاقتصادي في العصر الحديث**، القاهرة، ١٩٥٤.
- أحمد عبد الباري، **الامتيازات الأجنبية**، القاهرة، ١٩٤٥.
- أحمد لطفي السيد، **صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية المصرية**، جمعها إسماعيل مظهر، القاهرة، ١٩٤٦.
- زهير ماجد، **النشاط اليهودي في مصر (١٨٩٧-١٩٤٧)**، دراسة نشرت في جريدة السفير، بيروت، ٢٥ و٢٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤، واستندت إلى غرفة التجارة بالقاهرة.
- أحمد عزت عبد الكريم، **تاريخ التعليم في مصر في عهد محمد علي**، القاهرة، ١٩٣٨.
- أنيس صايغ، **الفكرة العربية في مصر**، بيروت، ١٩٥٩.
- إبراهيم عبده، **تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية**، القاهرة، ١٩٤٥.
- إلياس الأيوبي، **تاريخ مصر في عصر الخديو إسماعيل باشا**، القاهرة، ١٩٢٢، جزءان.
- جورج جندي وجاك تاجر، **إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية**، القاهرة، ١٩٣٧.
- سليم خليل النقاش، **مصر للمصريين**، القاهرة، ١٨٨٤.
- صبحي وحيدة، **في أصول المسألة المصرية**، القاهرة، ١٩٥٠.
- محمد فؤاد شكري، **مصر والسودان في أوائل القرن التاسع عشر**، القاهرة، ١٩٦٣.
- محمد مصطفى صفوت، **الاحتلال الإنجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه**، الإسكندرية، ١٩٥٢.
- رءوف عباس حامد، **النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة**، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٧٢.
- جريدة الأهرام، **تاريخ مصر في خمسة وسبعين عامًا**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١.
- على بركات، **تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره على الحركة السياسية (١٨١٣-١٩١٤)**، القاهرة، ١٩٧٧.
- فاطمة علم الدين عبد الواحد، **الريف المصري في عهد الاحتلال البريطاني (١٨٨٢-١٩١٤)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٧٦.
- لطيفة محمد سالم، **القوى الاجتماعية في الثورة العرابية**، القاهرة، ١٩٨١.

ـ محمد البارودي، **تاريخ العائلة الخديوية وتفاصيل الثورة العرابية**، القاهرة، ١٨٩٧.
ـ محمد خليل صبحي، **تاريخ الحياة النيابية في مصر**، الجزء الخامس، القاهرة، ١٩٣٩.
ـ عواطف عبد الرحمن، **الصحافة الصهيونية في مصر (١٨٩٧-١٩٥٤)**، القاهرة، ١٩٧٩.
ـ محمد علي رفعت، **مشاكل مصر الاقتصادية ووسائل معالجتها**، القاهرة، ١٩٥١.
ـ محمد فهمي لهيطة، **تاريخ فؤاد الأول الاقتصادي**، القاهرة، ١٩٤٦، **ومصر الدائنة في عهد فاروق الأول**، القاهرة، ١٩٤٧.
ـ محمد صبحي عبد الحكيم، **مدينة الإسكندرية**، القاهرة، لا تاريخ.
ـ عبد المنعم البيه، **بحث في استثمار رءوس الأموال الأجنبية بمصر**، جامعة القاهرة، ١٩٥٣.
ـ علي عبد الرسول، **البنوك التجارية في مصر**، رسالة دكتوراه في الحقوق، جامعة الإسكندرية، ١٩٦١.
ـ علي الجريتلي، **السكان والمواد الاقتصادية في مصر**، القاهرة، ١٩٦٢.
ـ كريم ثابت، **الملك فؤاد ملك النهضة**، القاهرة، ١٩٤٤.
ـ فؤاد عبد المنعم، **الجنسية ومركز الأجانب وتنازع الاختصاص القضائي الدولي**، القاهرة، لا تاريخ.
ـ الأمير شكيب أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، الطبعة الأولى، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٩٣٧، في ٨٢١ صفحة.
ـ شمس الدين الوكيل، **الموجز في الجنسية ومركز الأجانب**، الطبعة الثانية، الإسكندرية، ١٩٦٦.
ـ صالح ميخائيل، **تجارة مصر الخارجية**، القاهرة، ١٩٤٧.
ـ سعيد عبد الماجد، **المركز القانوني للشركات الأجنبية**، القاهرة، ١٩٦٩.
ـ خليل حسن خليل، **دور رءوس الأموال الأجنبية في تنمية الاقتصاديات المختلفة، مع دراسة خاصة بإقليم مصر**، رسالة دكتوراه منشورة، القاهرة، ١٩٦١.
ـ حسين خلاف، **التجديد في الاقتصاد المصري الحديث**، القاهرة، ١٩٦٢.
ـ حسن راشد جرانة، **نحو تمصير الشركات المساهمة**، القاهرة، ١٩٤٧.
ـ جون مارلو، **تاريخ النهب الاستعماري لمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٨٢)**، ترجمة عبد العظيم رمضان، القاهرة، ١٩٧٦.
ـ جميل خانكي، **الأحوال الشخصية للأجانب في مصر**، القاهرة، لا تاريخ.
ـ تادرس ميخائيل، **القانون المقارن في الأحوال الشخصية للأجانب في مصر**، القاهرة، ١٩٥٤.
ـ أحمد مسلم، **المركز القانوني للأجانب**، القاهرة، ١٩٥٢.
ـ أحمد أبو كف وأحمد غنيم، **اليهود والحركة الصهيونية في مصر (١٨٩٧-١٩١٤)**، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٩.
ـ إبراهيم شحاتة، **معاملات الاستثمارات الأجنبية في مصر**، القاهرة، ١٩٧٢.
ـ جامعة الإسكندرية، **مجتمع الإسكندرية عبر العصور**، مجموعة محاضرات ألقيت في ندوة علمية بكلية الآداب في نيسان (إبريل) ١٩٧٣، بالتعاون مع الجمعية التاريخية المصرية ونشرت بالإسكندرية، ١٩٧٥.
ـ مروان بحيري (إعداد)، **الحياة الفكرية في المشرق العربي (١٨٩٠-١٩٣٩)**، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، ١٩٨٣.
ـ أوجين ميخائيليدس، **سجل مصور للصحافة اليونانية في الديار المصرية: (١٨٦٢-١٩٧٢)**، الإسكندرية ١٩٧٢.

- خليل صابات، **تاريخ الطباعة في الشرق العربي**، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦.
- سمير صبحي، **في دهاليز الصحافة**، القاهرة، ١٩٨٢.
- عواطف عبد الرحمن، **دراسات في الصحافة المصرية والعربية**، القاهرة، ١٩٨١.
- هشام علي صادق، **الحماية الدولية للمال الأجنبي**، الدار الجامعية، بيروت، لا تاريخ؛ **والجنسية والمواطن ومركز الأجانب**، مجلدان، الإسكندرية، ١٩٧٧.
- عبد العظيم رمضان، **الفكر الثوري في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو**، القاهرة، ١٩٨١؛ **وتطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦**، القاهرة، ١٩٦٨؛ **وصراع الطبقات في مصر (١٨٣٧-١٩٥٢)**، القاهرة، ١٩٧٨.

- Adam, Juliette, L'Angleterre en Égypte, Paris, 1922.
- Bear, Gabriel, A History of Landownership in Modern Egypt, London, 1962.
Biovés, Achille, Français et Anglais en Égypte 1881-1882, Paris, 1910.
- Blunt, Wilfrid, Secret History of the English Occupation of Égypt, London, 1907.
- Chafik, Ahmed Pacha, L' Égypte, moderne et les influences etrangéres, Le Caire, 1931.
- Freycinet, La question d' Égypte, Paris, 1904.
- Charles-Roux, François, Histoire de la Nation égyptienne, Paris, 1936.
- Landau, Jacob, Parliaments and Parties in Egypt, London, 1953.
- Rigatz, Lowel Joseph, The question of Egypt in Anglo-French Relations: 1875-1904, Edinburgh, 1922.
- Arminjon, Pierre, La situation économique et Financière de l' Égypte, le Soudqn égyptien, Paris, 1911.
- Bréhier, Louis, l' Égypte de 1798 à 1900, Paris, 1901.
- Cattaoui, René, Mohamed Aly et l' Europe, Paris, 1950.
- Crouchley, A.E., The Economic Development of Modern Egypt, London, 1938 ; The Investment of Foreign Capital in Egyptian Companies, Boulaq, 1938.
- Fahmy, Moustapha, La revolution de l'industrie en Égypte et ses conséquences sociales au 19e siècle: 1800-1850, Leiden, 1954.
- Ghorbal, Shafik, The Beginnings of the Egyptian Question and the Rise of Mehemet Ali, London, 1928.
- Lane, Edeward Wiliam, The Manners and Customs of the Modern Egyptians, London, 1944.
- Shahabaz, Les Arméniens d' Égypte, Alexandrie, 1966.
- La Bourse égyptienne (revue), numéro spécial sur «L' Égypte: communautés et colonies». du 5 février 1933.
- Taragan, Bension, Les communautés israélites d' Alexandrie, Alexandrie, 1932.
- Lamba, Henri, De l'évolution de la condition juridique des Européens en Égypte, Paris, 1896.
- Marlowe, John, Cromer in Egypt, London, 1970.

الفصل الثاني

اتجاهات هجرة الشوام إلى مصر حتى الحرب العالمية الأولى

مدخل

لا يمكن حصر أسباب المهاجرة بعامل واحد ولا مصادرها الجغرافية والمناطق التي يتجه إليها المهاجرون. فهناك كثرة من الأسباب تبرز الاتجاهات الأساسية لهجرة الشوام إلى مصر والتنوع الكبير في مناطق الانطلاق ومناطق الجذب والاستقرار(١).

تاريخ الساحل السوري - اللبناني - الفلسطيني، يؤكد ارتباطه الوثيق بالساحل المصري منذ القدم. وهناك دراسات تاريخية كثيرة تناولت ذلك الترابط منذ عهود الفراعنة دون انقطاع حتى الزمن الحاضر(٢).

إلى العامل الجغرافي تضاف عوامل أخرى لا تقل أهمية عنها كسهولة الانتقال البري والبحري بين المنطقتين، والتاريخ المشترك، وتبادل السلع والمنتوجات، والعادات والتقاليد المتشابهة، واللغة المشتركة، والتراث الروحي الموحد، والنظرة الإستراتيجية للأمن المشترك للمنطقتين وغيرها.

انطلاقا من هذه الرؤية المنهجية يمكن رصد الاتجاهات الأساسية لهجرة الشوام إلى وادي النيل في العصر الحديث، مع التركيز بشكل خاص على الفترة الممتدة من مطالع القرن التاسع عشر حتى أواسط القرن العشرين.

١ - الهجرة إلى دمياط

كان ذلك الثغر البحري من أهم المرافئ على ساحل البحر الأبيض المتوسط

واستمر كذلك سنوات طويلة حتى أواخر القرن التاسع عشر حين حلت الإسكندرية مكانه، ولما كانت القاهرة عاصمة الدولة المصرية ومركز النشاطات الأساسية فيها، خاصة الاقتصادية منها، كان من الطبيعي أن يتابع الشوام انتقالهم من دمياط باتجاه القاهرة، ويقطن بعضهم القصبات السكانية الموصلة إليها. هكذا استقرت أعداد هامة من المهاجرين الشوام في المنصورة والزقازيق ووصلت أعداد أخرى إلى القاهرة لتشكل التمركز الأكثر أهمية لمهاجري الشوام في وادي النيل.

٢- الهجرة إلى الإسكندرية

شكلت المدينة عنصر استقطاب أساسيًا لكثير من الجاليات الأوربية التي وفدت إليها واستقرت فيها بأعداد كبيرة منذ القرن التاسع عشر. لذلك اتجه إليها كثير من الشوام لمتابعة النشاط الاقتصادي وحركة الرساميل الأوربية الساعية للسيطرة على مصر. وكان من الطبيعي أن تتوثق الروابط بين الإسكندرية وعاصمة الدولة، القاهرة، وتتعزز بالاصطياف على شواطئ الإسكندرية وإقامة المحلات والمؤسسات والشركات المزدوجة الفروع في كل منهما بحيث باتت الإسكندرية العاصمة الثانية لمصر واجتذبت حركة ثقافية وصحافية وسياسية واقتصادية لا تقل أهمية عن القاهرة لا بل تفوقها أحيانًا. وعبر ذلك الارتباط بين العاصمتين المصريتين نشأت محطات هامة لاستقرار مهاجري الشوام في مصر ابتداء من رشيد، الميناء الأساسي للإسكندرية وصولا إلى القاهرة مرورًا بطنطا. وكان لإنشاء الخطوط الحديدية في مصر في القرن التاسع عشر الأثر الهام في ذلك الترابط يفوق بأهميته عامل الاتصالات البحرية السابقة.

٣- الهجرة إلى منطقة قناة السويس

بعد فتح القناة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وربط البحرين المتوسط بالأحمر انتعشت حركة التجارة العالمية عبر هذا الممر المائي الحيوي. فكان الشوام السباقين للاستفادة الاقتصادية ومتابعة حركة الرساميل التي تعبر سنويا قناة السويس ويمكن جمع ثروات كبيرة عبر الوساطة لها وتسويق التجارة المرتبطة بها. وانتشرت أعداد منهم في مدن القنال خاصة بور سعيد والإسماعيلية والسويس واستقر بعضهم

فيها أو تابع حركتها التجارية من موقعه في القاهرة أو الإسكندرية، المدينتين اللتين تتجمع فيهما المصادر الأساسية للغنى الذي يبحث عنه المهاجرون.

٤ـ الهجرة باتجاه الخرطوم

مع ازدياد أعداد المهاجرين وتمركزهم في معظم مناطق الدلتا المصرية والقاهرة والسويس كان المهاجرون الجدد وبعض القدماء يجدون صعوبة في إصابة الغنى السريع، فكان عليهم التفتيش على مناطق جديدة لإقامة تجارة أو فروع تجارية. ومنهم من هاجر طلبًا للعمل الصحافي أو الارتباط الوثيق بالحملات البريطانية إلى السودان كمترجمين وأطباء وغير ذلك. فتعرفوا عن كثب على أحوال السودان الاقتصادية والاجتماعية وقرروا خوض المغامرة لاقتناص الثروة. لم تكن انطلاقتهم من القاهرة إلى الخرطوم مباشرة إذ استقر كثير منهم في المحطات السكانية الكبرى الفاصلة بينهما. فسكنوا في القصبات الرئيسية لمديريات الفيوم والمنيا وأسيوط وقنا وأسوان حتى وصل بعضهم إلى الخرطوم وتابع عدد ضئيل من المهاجرين رحلته إلى ما يتعدى الخرطوم على مجرى النيل.

تكاملت جوانب الاتجاهات الأربعة في مطالع القرن العشرين حيث بدا وكأن هجرة الشوام في وادي النيل قد استقرت بشكل نهائي، بحيث يتوالد المهاجرون في المناطق التي استقروا فيها وتفد إليهم أعداد إضافية من الأهل والأقرباء والمعارف المنتشرين في مختلف المناطق السورية واللبنانية والفلسطينية، ومنذ مطالع هذا القرن لم تعد ثمة مناطق جديدة يغامر إليها المهاجرون الشوام بعد أن مارسوا العمل التجاري والصحافي والوظيفي في مختلف مدن وادي النيل وقناة السويس. ولم تعد إمكانية الغنى السريع مفتوحة أمام المهاجرين الجدد بعد أن حصلت تبدلات جذرية في المجتمع المصري شملت كافة الجوانب وتزايد الاعتماد على العنصر المصري المحلي، سواء من أبناء المصريين أو من أبناء المتمصرين القاطنين في مصر وعلى رأسهم أبناء الشوام.

وفي أعقـاب انهيار السلطنة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وولادة دول سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن في ظل الانتدابين البريطاني والفرنسي بدأت القيود تفرض على التحركات السكانية داخل المنطقة وزالت التسهيلات القديمة

لتنقلات بشرية كانت تعتبر طبيعية بين أبناء الشعب الواحد والمناطق الواحدة والخاضعة لحكم مركزي واحد. ورسمت الحدود الجغرافية ـ السياسية بين هذه المناطق، فكان للعامل الطائفي أثر واضح في ولادتها ونموها وعودة كثير من المهاجرين إلى سوريا ولبنان. وعلى الرغم من استمرار الهجرة إلى وادي النيل فإن اتجاهات جديدة لهجرة السوريين واللبنانيين إلى القارة الأفريقية بدأت تبرز بشدة قبيل الحرب العالمية الثانية وبشكل خاص إلى بلدان الاغتراب الأفريقي، نحو منابع النفط العربي في الخليج بعد الحرب العالمية الثانية. ورافق تلك الاتجاهات تقلص حاد في أعداد المهاجرين السوريين واللبنانيين إلى مصر، وتمركز بعضهم داخل المدن المصرية الكبرى كالقاهرة والإسكندرية والمنصورة، ومع تزايد عدد السكان في مصر، وتفتح الوعي الوطني والقومي فيها، وانفتاح المعركة الوطنية على مصراعيها لتخليص الاقتصاد والصحافة والثقافة والبنوك والشركات وغيرها من نفوذ الأجانب، تقلصت فرص النجاح أمام السوريين واللبنانيين في مصر. وطالت تدابير الحكومات الوطنية المصرية الآيلة إلى حماية اقتصادها وثقافتها الكثير من المؤسسات الأجنبية في مصر، فكان لمؤسسات الشوام نصيب وافر من تلك التدابير على الرغم من تمصر الكثيرين منهم وحصولهم على الجنسية المصرية.

هكذا تشابكت عوامل كثيرة زادت في صعوبة أوضاع السوريين واللبنانيين في مصر فقد انعدمت أو كادت فرص النجاح أمام المهاجرين الجدد، وتقلصت فرص استمرار النهب السابق أمام المهاجرين القدماء، سواء تمصروا أو حافظوا على الجنسية السورية أو اللبنانية أو على الجنسيتين معًا. وجاءت قرارات التأميم الوطنية لتحرر، إلى حد بعيد، الاقتصاد المصري من نفوذ الأجانب والمتعاونين معهم أو الوسطاء لهم، وعلى رأسهم الشوام، فانطلقت هجرة مضادة من مصر إلى الخارج وهي هجرة كثيفة تحتاج إلى دراسة مستقلة لأن لها سمات كثيرة خاصة بها.

ولعل المخطط التالي يوضح الاتجاهات الأساسية لهجرة الشوام إلى وادي النيل:

I ـ دمياط ← المنصورة ← الزقازيق ← القاهرة (خط نهري بشكل أساسي).

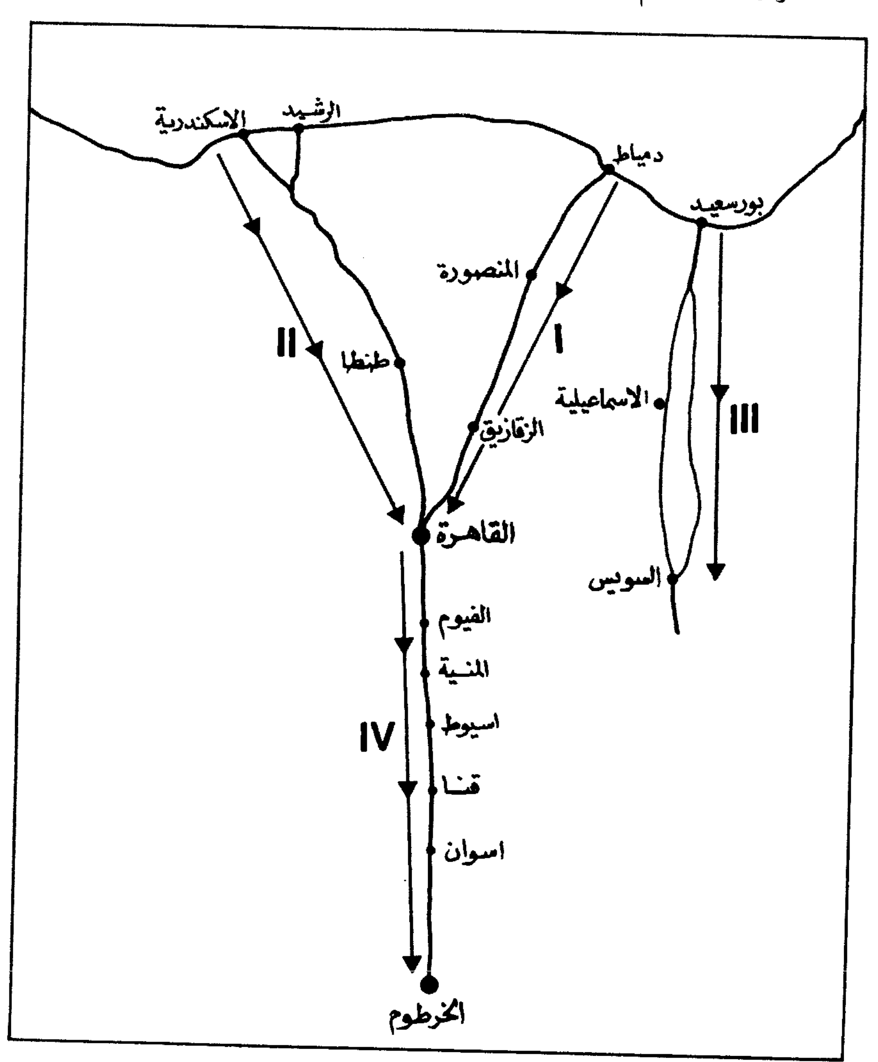
II ـ الإسكندرية ← طنطا ← القاهرة (خط حديدي بشكل أساسي).

III ـ بور سعيد ← الإسماعيلية ← السويس (خط بحري بشكل أساسي).

IV ـ القاهرة ← الخرطوم مرورًا بالفيوم والمنيا وأسيوط وقنا وأسوان (خط نهري بشكل أساسي).

V ـ إعادة تجمع في القاهرة والإسكندرية والمنصورة وتقلص عدد المهاجرين في باقي المدن مع بروز تيار يدعو للعودة إلى سوريا ولبنان.

VI ـ قرارات التأميم والهجرة المضادة الكثيفة من مصر إلى الخارج.



الموقع الجغرافي المرتبط بالمهاجرة عبر المتوسط إلى دمياط

يربط كثير من الباحثين بين السكن اللبناني على شواطئ المتوسط وبين المهاجرة وما يقترن بها من تجارة وتفتيش عن الغني في الخارج. ومن كتب عن الهجرة اللبنانية إلى مصر سار على هذه القاعدة. فالرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل أصدرت كتاب اليوبيل القرني الثاني (١٧٤٥-١٩٤٥).

جاء في مقدمته: «ورث اللبنانيون عن أجدادهم الفينيقيين حب المهاجرة والمتاجرة... وكانت مدينة دمياط الواقعة على فرع النيل الشرقي نقطة اتصال بين مصر ولبنان... وربما كان الموارنة قد وصلوا إلى هذه المدينة البحرية واستوطنوا فيها في القرن السادس عشر».

يضيف كاتب المقدمة: «لم نجد من سبب لمهاجرة اللبناني إلى بلاد غير بلاده إلا حب الاطلاع والحرية والتجارة لأن أرض اللبنانيين ضيقة وأسباب الارتزاق فيها صعبة من حيث ضيق الموارد وقلق البال الناتج عن ضغط على الحرية،وعن طرق الحكم الاستبدادية التي نكبت المواهب العقلية وتجعل التقدم الإنساني محجوبًا ومتقهقرًا» (٣).

فالهجرة ذات طابع وراثي عن الجدود الفينيقيين بسبب الميل إلى التجارة والخروج من دائرة العزلة المحلية. ويشتد الميل إلى **المهاجرة والمتاجرة** مع اشتداد الضغط السياسي والاقتصادي لأن الموارد اللبنانية قليلة ولا تسد حاجة السكان بشكل مرض في الأيام العادية، فتصبح الحاجة ملحة إلى الهجرة والهرب من دفع الضرائب في ظروف الأزمات الاقتصادية الخانقة التي ارتبط بها دومًا نزوح أو هجرة إلى الخارج.وتبرز الهجرة الشامية إلى مصر أن غالبية المهاجرين الذين انتقلوا إلى مصر قد اختاروا طريق دمياط لأسباب تتعلق بغنى هذه المدينة وموقعها التجاري وسهولة العمل فيها.

وتوضح كتب الرحالة الأجانب الكثير من سمات مدينة دمياط ونشاطها التجاري في القرنين السابع عشر والثامن عشر(٤). الأب فانسيب (Vanseep) يكتب عن دمياط عام ١٦٧٢، فيقول: «تقع مدينة دمياط، تلك المدينة الذائعة الصيت، على الجانب الشرقي للنيل، على مسافة ثمانية أميال من مصبه.وتعد، بعد القاهرة، أعظم المدن

المصرية وأجملها وأغناها وأكثرها سكانًا وأعظمها تجارة عظيمة في النيل القطن والأرز والبن والمنسوجات. وقيل لي إن نحوًا من خمسماية سفينة، بين صغيرة وكبيرة، تخرج سنويًا من هذا الثغر محملة بالأرز فقط إلى تركيا «السلطنة العثمانية». وتصنع هنا مقادير من الأقمشة الفائقة الحسن من كل الأنواع والألوان، وتصدر إلى الأقطار الأجنبية. كما يصنع هنا أيضا مقدار عظيم من البطارخ والسمك البوري المملح مما تقدر قيمته تقديرا عاليًا في كل أنحاء الشرق الأدنى، والإغريق هم أكثر مسيحيي المدينة عددًا. وهم نحو مائتي أسرة ولهم كنيسة هي مركز لأسقفية... وليس ثمة إفرنج يسكنون المدينة لأنهم يسعون إلى المتاجرة. وهذا الثغر على مسافة من الأقطار المسيحية. ولهذا فهم يفضلون الإقامة برشيد لأنها أقرب إلى بلادهم وأيسر... ومعظم الحركة التجارية في هذه المدينة بطريق البحر، مقصورة على الأخشاب التي ترد لاستعمالها في الوقود أو في بناء البيوت وصنع السفن. فإن الخشب نادر جدًا بمصر ولا سيما في داخل البلاد».

والطبيب الفرنسي الرحالة جرانجية (Granger) يكتب في مذكراته قصة رحلة بمصر عام ١٧٣٠، ما يلي: «دمياط هي إحدى المدن الكبرى بمصر وهي أجملها بعد القاهرة وأكثر المدن الموجودة بمصر تجارة. ويقوم اليونانيون الذين يعدون هناك نحو أربعماية أسرة بأعباء التجارة كلها. أما رشيد فتعد بعد دمياط من أكثر مدن القطر المصري تجارة».

السائح الإنجليزي ريتشارد بوكوك زار دمياط عام ١٧٣٧، فكتب في مذكراته: «معظم التجارة هنا في تصدير الأرز والبن إلى جميع جهات السلطنة العثمانية، وكثيرًا ما يهرب الأرز إلى أوربا. وهم يستوردون أيضًا الطباق (التنباك والتبغ) من اللاذقية والصابون من شواطئ سوريا... الانكشارية تكتري الجمارك بثمن محدد ثم يؤجرونها لليهود... أما جمرك دمياط فهو عادة في أيدي المسيحيين».

كان مهاجرو الشوام الأوائل إلى دمياط في غالبيتهم، من مسيحيي المدن الشامية وذلك استنادًا إلى عدد وافر من مذكرات الرحالة الأجانب إلى مدينة دمياط الغنية. فالسائح الدانمركي «نيبوهر» يكتب في مذكراته ليوم ٥ آيار (مايو) ١٧٦٢، قائلًا: «لدمياط موقع ممتاز مثل موقع رشيد. والبضائع الآتية من سوريا يجب أن تمر بمينائها. وهناك تجارة كبيرة من الأرز الذي يزرع بوفرة عظيمة في الجهات المجاورة.

ولا يقيم بهذه المدينة تاجر إفرنجي ولا راهب أوربي، ولو أنه يسكن هناك عدد كبير من الموارنة والأرمن التابعين لكنيسة الروم (الكاثوليك). وقد كان بدمياط في الزمن السالف قنصل فرنسي وتجار فرنسيون غير أن السكان لم يرضوا عنهم. وإذا كنا نرتدي الملابس التركية ونتكلم قليلًا لغة البلاد فلم يكن ثمة ما نخشاه».

لهذه الإشارة دلالة. فالمهاجر من بلاد الشام، بالإضافة إلى كل من يتكلم اللغة العربية أو التركية، كان يجد نفسه بين أهله وبني قومه وذلك على عكس أوضاع الأوربيين. ساعد ذلك المهاجرين الأوائل على الاستقرار في مصر وجني ثروات طائلة فيها حيث اعتبروا من رعايا السلطنة. أما الانقسامات المذهبية الطائفية فلم تبرز في مصر بين المهاجرين الشوام كما هي الحال في مناطقهم الأصلية بل كان المسيحيون، على اختلاف طوائفهم، يعيشون بسلام كمشرقيين في مدن إسلامية. لذلك يكتب الأب بينوس (Pinus) الإيطالي في مذكراته الصادرة بباريس عام ١٧٨٧ بعنوان **رحلة في إيطالية ومصر ولبنان** ما يلي: «يقطن دمياط، هذه المدينة البديعة التابعة لحكومة القاهرة نحو ٣٠ ألفا من السكان. والدين السائد فيها هو الإسلام. وليس للموارنة والروم التابعين لكرسي روما غير معبد بسيط مغلق كأنه خزانة ذات درفتين. ولهؤلاء قس يقوم لهم بالطقوس الدينية».

وعن الدور التجاري لهذه المدينة يكتب الرحالة الفرنسي سافاري (Savari): «تجمع دمياط في أروقتها أقمشة الهند وحرير لبنان، والملح، وأكوام الأرز، مما يدل على أنها بلدة تجارية... ولدمياط تجارة واسعة مع سوريا وقبرص ومرسيليا... ومنذ عدة قرون يقوم مسيحيو حلب ودمشق القاطنون في هذه المدينة بأعباء التجارة الرئيسية، وتدعمهم الغفلة التركية وجمودها، قانعة بالتضييق عليهم من حين لآخر ويحرم على الأجنبي تصدير الأرز.ولكن أهل الإقليم يشحنون منه عدة سفن على مدار السنة باتفاق ينتفع منه أمين الجمارك».

وفي أواخر القرن الثامن عشر يكتب ڤولني (Volney) عن تجارة دمياط ما يلي: «كانت تأتي إلى دمياط من وقت لآخر قوافل صغيرة من دمشق تحمل أقمشة حريرية وقطنية وزيوتًا وفواكه مجففة. وفي الفصل المعتدل كان يوجد بميناء دمياط على الدوام بعض السفن تفرغ شحنتها من التبغ الوارد من اللاذقية لأن الاستهلاك من هذا التبغ كبير جدًا وتأخذ تلك المراكب أرزًا بدلا منه... وكانت الوكالات والخانات

بدمياط تجمع في أروقتها أقمشة الهند وحرير لبنان والملح وأكوام الأرز كما كانت صغار المراكب والقوارب تزدحم في مرفأ دمياط».

تدل الاستشهادات على الدور التجاري الهام لمدينة دمياط وموقعها كحلقة وصل بين منتوجات مصر وأوربا والسلطنة العثمانية. وكان الشوام، خاصة الحلبيين منهم، من أوائل الذين هاجروا إلى دمياط وأقاموا وأسسوا لهم فيها تجارة واسعة، وربطوا تجارة مصر وامتداداتها الإفريقية بتجارة بلاد الشام وامتداداتها الصحراوية وصولًا إلى بلاد فارس والهند وسواهما. فترتسم، ومنذ وقت مبكر في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ملامح الاتجاهات الأساسية لهجرة الشوام إلى مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين. أبرزها متابعة حركة الرساميل التجارية في المنطقة إبان مراحل تمركزها على مفاصل الاندماج الناشط في حركة الرساميل التجارية العالمية ودور التجار الشوام بشكل خاص، وباقي التجار الأجانب العاملين في مصر بشكل عام كحلقة الارتباط الأساسية لربط مصر بالتجارة الدولية يوم كانت أوربا الغربية تشكل مركز القلب منها إبان القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. يفسر هذا المنحى في التحليل التاريخي، إلى حد بعيد، أحد الأسباب العميقة لاختيار التجار الشوام مدينة دمياط مركزًا لتجارتهم في البداية ثم انتقالهم إلى الإسكندرية والقاهرة وبور سعيد والإسماعيلية والمنصورة وسواها بعد تقلص دور دمياط التجاري في مطالع القرن التاسع عشر ثم الانحدار العمودي لهذا الدور بعد فتح قناة السويس.

أضواء على دور الشوام في دمياط (٥)

لم تحمل الإشارات الأولى للهجرة إلى مصر تحديدًا واضحًا حول منابت المهاجرين، لكن الدلائل تؤكد غلبة الهجرة الحلبية إلى هناك بالإضافة إلى وجود أعداد من مهاجري دمشق وبعلبك وسلمية ومناطق تركية وأرمنية متفرقة. فالعائلات البارزة في دمياط في مطالع القرن التاسع عشر، وتحديدًا سنة ١٨٠٩، تشير إلى أن المتنفذين الكبار كانوا من أصول حلبية ودمشقية في الغالب أبرزهم جبرائيل عيروط، قنصل النمسا في دمياط وهو كاثوليكي من حلب، وشقيقه أو نسيبه جرجس عيروط، قنصل إنجلترا في دمياط، وهو كاثوليكي من حلب أيضا وكلاهما من كبار التجار في المدينة. أما يوحنا سرور، قنصل إسبانيا في دمياط والتاجر الكبير فيها فهو من

مواليد بعلبك من عائلة كاثوليكية. ومن الشخصيات الهامة في المدينة التجار موسى نقولا، كاثوليكي دمشقي، وجرجس كرمة، كاثوليكي حلبي الأصل ومولود في مصر، بطرس عنحوري، كاثوليكي دمشقي، ونقولا كحيل كاثوليكي دمشقي، وأنطون سرور كاثوليكي بعلبكي الأصل ومولود في صور، وحنا سلموني، كاثوليكي كسرواني وأصل العائلة من سلمية، وميخائيل فندة وهو كاثوليكي دمشقي. هؤلاء التجار يسكنون في مراكز أرستقراطية في مدينة دمياط تسمى بالوكالات وأبرزها وكالة خفاجي، وكالة زوين، وكالة الصابون، وكالة سفاحين، وغيرها.

وكان أبرز أصحاب وظائف الديوان في دمياط من المهاجرين: يوسف حكيم وكيل ديوان بدمياط وهو كاثوليكي حلبي؛ وميخائيل مقصود الذي توصل إلى رتبة مقدم بالديوان وهو كاثوليكي دمشقي؛ وحنا كساب، مقدم بالديوان، كاثوليكي دمشقي؛ ويوسف مقصود، مفتش بالجمارك، كاثوليكي دمشقي؛ ميخائيل الترك، ماروني من دير القمر ومستخدم في الديوان؛ وميخائيل الحموي، مستخدم بالديوان وكاثوليكي دمشقي؛ وروفائل خليل فرح، كاتب بالديوان وكاثوليكي من صور؛ وميخائيل سيار من كاثوليك سواحل لبنان؛ شبلي دراج تاجر وكاثوليكي من بيروت؛ وتوما الصايغ كاتب بالديوان وكاثوليكي من صيدا؛ وحبيب الصايغ، كاتب بالديوان وكاثوليكي من عكا؛ وتوما الصوري، محاسب متسبب وكاثوليكي من صور؛ وفرنسيس سابا، كاتب بالديوان وكاثوليكي من بعلبك؛ وسلوم عيسى، متسبب وماروني من زوق مكايل؛ ويوسف أبو نقولا، كاتب بالديوان ماروني من حلب؛ وروفائيل حاكورة، كاتب بالديوان وكاثوليكي من يافا؛ ويوسف فرج الواق كاتب على المراكب وكاثوليكي أرمني.

كانت دمياط إحدى أهم المحطات التجارية المصرية على ساحل البحر المتوسط فقصدها الشوام بأعداد كبيرة طمعًا بالتجارة وجمع الثروة، كذلك وفد إليها عدد كبير من اليونان للأسباب عينها وشكلوا فيها جالية كبيرة. ولم تكن هنالك صعوبة كبيرة في انتقال الشوام أو اليونان إلى مصر لأن هذه المقاطعات تتبع جميعها مركزية واحدة هي السلطنة العثمانية. وكانت مصادر الاستيراد إلى دمياط متنوعة عبر بيروت وقبرص ودمشق واللاذقية وصور وغيرها. وهناك إشارات واسعة في المصادر التاريخية إلى استمرار تجارة الحرير بين دمياط والسواحل الشامية. «يرد الحرير إلى دمياط من

بيروت وقبرص بلونه الأصفر الطبيعي أو الأبيض. والأصفر هو المفضل. وتصبغ البراقع التي تصنع منه بلون أسود أو قرمزي... ويرد إلى دمياط من دمشق عن طريق بيروت نوع من النسيج الحريري الأحمر والأسود شفاف جدًا، وتصنع منه النساء قمصانًا وبراقع ويسمى «كريشة». ويأتي منه نحو عشرين صندوقًا تسع ألف قطعة كل سنة. وكذلك ترد من موانئ سوريا ولبنان كمية من الحرير في حُزَم، ويشترى من سوريا بالرطل الذي يعادل ٢٢٩ درهمًا مصريًا. وحرير اللاذقية أبيض وثمن الرطل منه ما بين ٣ إلى ٤ باتاك (كل باتاك تساوي ١٢ قرشا مصريًا). ويأتي منه سنويًا مائتا بالة تسع كل منها ١٣٥ رطلًا. وحرير بيروت أصفر اللون. عادة وهو يفضل حرير اللاذقية...».

تدل الأرقام على مدى العلاقات الاقتصادية بين دمياط والسواحل الشامية التي كانت تنتج كميات وافرة من الحرير الطبيعي دون أن تقتصر العلاقات على سلعة الحرير وحدها بل تعدتها إلى أنواع أخرى من السلع خاصة التبغ والأخشاب وغيرها.

كان للمهاجرين الشوام دور أساسي في تجارة دمياط قبل وصول محمد علي إلى سدة الحكم في مصر وسنوات طويلة بعده. فقد شكلوا، إلى جانب اليونانيين وبعض الأقباط، فئة غنية جدًا ذات نفوذ واسع في إدارة المدينة والتحكم بتجارتها. «كان معظم سكان دمياط من المسلمين عام ١٨٠٧. فمن مجموع السكان فيها وقدره نحو ثلاثين ألفا، كان بها من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مسيحي من أصل سوري، بضع مئات من اليونانيين المتدميطين، ثم القليل من الأقباط. وكانوا جميعًا يشتغلون بالتجارة والصناعة والحرف الصغيرة. وكان للدول الأوربية وكلاء قناصل بدمياط، من أهالي المدينة، للإشراف على المعاملات التجارية لتلك الدول».

لكن تعبير «وكلاء قناصل بدمياط من أهالي المدينة» ليس دقيقًا إلا إذا اعتبر الشوام من أهالي هذه المدينة، ففي إشارة لمؤلف كتاب «تاريخ دمياط» تأكيد على سيطرة اليهود والشوام واليونانيين وبعض الأقباط على هذه المناصب. «وفيها - أي دمياط - عدد من قناصل الدول وكبار التجار وذوي الأملاك، وفيها جالية يهودية تناقص عددها حتى لم يبق منهم غير خمسة أشخاص عام ١٩٣٧. وكان اليهود يحتكرون اكتراء الجمارك ومنها جمرك دمياط في بعض عصور المماليك. وفي حكومة علي بك الكبير (١٧٦٣ - ١٧٧٣) استطاع حنا فخر الدمياطي، السوري الأصل، أن

يكون ملتزمًا بجمرك دمياط وبعض جمارك أخرى. وبذلك أبعد اليهود عن ذلك الاحتكار».

وفي إشارة أخرى تأكيد آخر. «فعندما جاءت البارونة الإيطالية مينوتولي (Minotolli) إلى دمياط عام ١٨٢١، نزلت مع زوجها في ضيافة باسيلي فخر، وكان من أعيان دمياط وقنصلًا فيها لست دول... والسيد فخر سوري الأصل، ويعتنق مذهب الروم الأرثوذكس، وهو رجل عالم ذو كفاية معترف بها وقد ترجم إلى اللغة الإيطالية عددًا من أشهر المؤلفات العربية...».

وهناك نماذج كثيرة لباسيلي فخر، المولود بدمياط عام ١٧٧٠، وكان قنصلًا لست دول. فالقنصليات قد تعددت بدمياط في القرن التاسع عشر نظرًا لاتساع المعاملات التجارية ولانضواء بعض الشوام وغيرهم تحت حماية الدول الأجنبية للتمتع بالامتيازات القديمة ولأنها كانت يومذاك نوعًا من ألقاب الجاه وبقي ذلك التقليد حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث يذكر من القناصل عام ١٨٩١، في دمياط: حبيب عنحوري، قنصل إنجلترا والدانمارك، سليم عنحوري، قنصل ألمانيا، سلامة رزوق، قنصل روسيا، سليم سرور، قنصل إسبانيا والسويد والنرويج، إلياس قصيري، قنصل البرتغال، نقولا قصيري، قنصل فرنسا، سليم سلامة، قنصل البرازيل، حسن بك المرقبي، شهبندرية إيران. كما برز الموسيقار منسي الآلاتي، وابنه الفنان قسطندي منسي، والشاعر باسيلي سرور، والصحفي سامي قصيري، وعالم الميكروبات الدكتور جورج قصيري.

ويقدم إحصاء ١٨٠٩، لمدينة دمياط معلومات قيمة حول التجار والموظفين، والأرامل، والرجال الذين تقدموا بالعمر ولم يتزوجوا، والشبان الذين دون سن العشرين، وعدد البنات الأبكار، وعدد الأطفال ما دون العشر سنوات من ذكور وإناث فإذا بالمجموع العام حتى ٢٧ آيار (مايو) ١٨٠٩، على الشكل التالي(٦):

القناصل وكبار التجّار	١١	نساء قناصل وتجّار	١١
موظفو الديوان	٨	نساء موظفي الديوان	٧
كسبة ومتسببون	١١	نساء كسبة ومتسببون	١١
أرامل من الرجال	٣	نساء أرامل	١٤
شبّان بسن الزواج	٣١	بنات أبكار	٢٥

صبيان وأطفال	٢٥	بنات صغار وأطفال	١٩
مجموع الذكور	٨٩	مجموع الإناث	٨٧
المجموع العام: ٦٧١			

الإحصائيات الأولى، بحكم تنوعها وغناها الاجتماعي وشموليتها مختلف فئات العمر والأصول الاجتماعية والطوائفية والمناطقية والاقتصادية تمكن من الإحاطة بأحوال المهاجرين الشوام في مدينة دمياط. ونظرًا لقلة عدد هؤلاء فإن إمكانية التعرف عليهم بشكل تفصيلي كانت متوفرة إلى حد بعيد. أبرز دلالات هذا الإحصاء:

ـ إن المهاجرين الأوائل إلى دمياط كانوا، في غالبيتهم الساحقة، من دمشق وحلب وباقي المناطق الشامية خارج إمارة جبل لبنان وذلك حتى مطالع القرن التاسع عشر. فمنهم مهاجرون من بيروت وعكا وصور وبعلبك والسواحل بالإضافة إلى بعض مهاجري إمارة جبل لبنان حيث لم يرد سوى اسم زوق مكايل.

ـ إن غالبية المهاجرين كانوا من الكاثوليك المشرقيين وحققوا أرباحًا تجارية كبيرة وتقلدوا مناصب هامة في إدارة دمياط. وذلك يؤكد على عدم وجود عوائق إدارية نظرًا لهجرتهم من مناطق تعتبر تابعة، كمصر، إلى السلطنة العثمانية.

نلاحظ أسماء بعض العائلات تبعًا للمناطق أو المدن التي جاءوا منها، على سبيل المثال: أنطونيوس الجبيلي، ميخائيل الحموي، أنطون مشاقة الصوري، إبراهيم توما الصوري... أو بأسماء العرق الذي ينتمي إليه: يوسف فرج الواق الأرمني، أو غوسطين الكلداني... وهنالك إشارات إلى المنطقة التي جاء منها المهاجر دون تحديد دقيق مثل: المعلم فارس أنطون من بر صيدا، أو ميخائيل السيار من السواحل، أو فرنسيس سابا من بلاد بعلبك، أو حنا سلموني من بلاد كسروان وفي الأصل من سلمية.

ـ هناك إشارات دقيقة إلى تواريخ الوفيات التي تتجاوز إحصاء ١٨٠٩، وتكمله فتصل أحيانًا إلى عام ١٨١٩. فالقنصل يوحنا سرور توفي عام ١٨١٤ بدمياط، وميخائيل مقصود توفي ١٨١٤، بدمياط أيضا، وحنا كساب توفي عام ١٨١٨، وميخائيل الترك توفي ١٨١٣، ويوسف مقصود توفي ١٨١٣.

وهي تقدم نماذج على بعض الأحداث الاجتماعية الهامة التي حلت بدمياط خلال

هذه المرحلة. «ففي ٢٢ نيسان (إبريل) ١٨١٣، تفاقم الطاعون في دمياط وتوفي عدد وافر من النصارى منهم ميخائيل الترك. وبسبب الفيضان في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٨١٣، توفي عدد كبير من الناس في دمياط وكانت تخرج (٦٠-٨٠) جنازة كل يوم. وذات يوم خرج ١١٢ جنازة وسمي يوم ٢٨ حزيران (يونيو) ١٨١٣، «بيوم النقطة» أي سقوط المطر في أعالي السودان وفيضان النيل[٧]».

بعد فتح قناة السويس وإنشاء مدينة بور سعيد، بدأت المرحلة الأولى لتقهقر مدينة دمياط الاقتصادي وهجرة الشوام منها حتى نهاية القرن التاسع عشر. «كانت دمياط يوم تولي محمد علي الحكم أهم الثغور المصرية وأعظمها تجارة بل كانت في ذلك العهد أكبر من الإسكندرية شأنا، وكان فيها حوالي ثلاثين ألف نسمة يوم كان تعداد الإقليم المصري كله أقل من ثلاثة ملايين، وكان عدد سكان المنصورة عشرة آلاف، والإسكندرية ستة آلاف... أصلح محمد علي وأنشأ الترع التي تصل النيل بالبحر الأحمر. وحفر ترعة المحمودية عام ١٨٢٠، التي وصلت الإسكندرية بفرع رشيد... وعني بغرس أشجار التوت لتربية دودة القز في دمياط والدقهلية ورشيد باعتبار ٣٠٠ شجرة في كل فدان فبلغ محصول الحرير في الإقليم المصري سنة ١٨٣٣، حوالي ١٢ ألف أقة... وأصلح ميناء الإسكندرية... وكانت نتيجة هذه المشروعات عودة العمران والحركة التجارية إلى الإسكندرية والقضاء على معظم تجارة دمياط ورشيد، أهم موانئ الإقليم المصري حتى ذلك العهد، وأصبحت تجارة دمياط مقصورة على المراكب الشراعية التي تقف خارج البوغاز المسدود بالرمال. ولما أنشئ فيما بعد خط حديدي يصل الإسكندرية بالقاهرة، زادت أهميتها وأصبحت بعد قليل ميناء مصر الأول... تلك كانت نكبة دمياط الأولى في العصر الحديث... وأما الثانية فكانت بسبب إنشاء بور سعيد عند مدخل قناة السويس، وأما الثالثة فكانت عند إنشاء الخط الحديدي الذي وصل بين مدن فلسطين وبين القنطرة عن طريق العريش...»[٨].

لقد تضاءل دور دمياط في نهاية القرن التاسع عشر بسبب التحولات الجذرية في بنية الاقتصاد المصري لصالح الإسكندرية وبور سعيد. لكن آثارها المتبقية ما زالت تدل على ازدهارها السابق حيث كان فيها ٢٨ مدرسة صغيرة (كتاتيب) عام ١٨٧٣ تضم ١٤٣٠ تلميذًا وتلميذة و٢٨ معلمًا. وأقام فيها الآباء الفرنسيسكان مدرسة ابتدائية عام ١٨٧٣، كانت لا تزال باقية حتى ١٩٥٨. كذلك فتحت الإرسالية الإنجليزية فيها

مدرسة عام ١٨٧٤، لكنها لم تعمر طويلًا بسبب هجرة الأجانب منها. وكانت نسبة المتعلمين بدمياط في أواخر القرن التاسع عشر حوالي ٤٢ بالألف في حين لم تزد عن ٢٦ بالألف في القاهرة والإسكندرية، و١٩ بالألف في أسيوط، و١٢ بالألف في رشيد، و١١ بالألف في قنا، وفي هذه النسب دلالة واضحة على الغنى الاقتصادي والثقافي الذي عرفته دمياط قبل تقهقرها. كذلك فإن بعض الكنائس الكبيرة التي ما زالت قائمة فيها حتى الآن تدل على وجود أعداد المهاجرين من اليونان والشوام وبعض الجاليات الأجنبية ففيها أربع كنائس للأقباط الأرثوذكس، والروم الأرثوذكس، والفرنسيسكان، والروم الكاثوليك، وفيها مدرسة كبيرة للأقباط، وأخرى للروم الأرثوذكس، وثالثة للراهبات الإناث، ومدرسة كبيرة لعبت دورًا هامًا باسم مدرسة الأفريكان (L' Ecole Africaine) تخرج فيها عدد وافر من أبناء مهاجري الشوام.

وما كاد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى تبدلت أحوال دمياط، السكنية والاقتصادية. فيكتب أحد الرحالة في مذكراته عام ١٨٨٥: «بدمياط اليوم ٤٣٦٣٠ نسمة، وفيها عدد قليل من الأوربيين المقيمين. تجارتها ضعيفة وصغيرة وهي بأيدي الوطنيين في الغالب، ولا تستطيع غير السفن الصغيرة وحدها الدخول إلى فرع دمياط لأن السد المتراكم في المصب يتغير شكله على الدوام بسبب الأمواج والرياح. حتى إن المراكب تتعرض للوقوف في الطرق المكشوفة بالبحر...» وينهي مذكراته بملاحظة هامة: «ما زال نساجو الحرير والقطن يمارسون صناعتهم في دمياط».

فهل هجر جميع الشوام مدينة دمياط طلبًا للتجارة والغنى السريع في المراكز الاقتصادية الجديدة أم بقي قسم منهم يعمل في الحرف التي أدخلوها أو حملوها معهم من بلاد الشام خاصة صناعة الحرير وتربية دود القز؟ ليست لدينا أجوبة شافية حول هذه النقطة لكننا نرجح أن الكثير من الحرفيين الشوام استقروا في دمياط وانصهروا في المجتمع المصري في حين هاجرت قلة منهم إلى باقي المدن المصرية، وهي القلة المرتبطة بمصادر اقتصادية كبيرة وبعلاقات عائلية مع أنسباء لهم في المدن المصرية الأخرى.

حي النصارى في دمياط شاهد حزين على هجرة ناجحة

اختار الشوام دمياط للعمل والاستقرار كمحطة أولى توزعوا بعدها إلى مختلف

المدن المصرية والسودانية. الأب الفرنسي (Jean Coupier) يشير في مذكراته إلى وجود موارنة شاميين في مدينة دمياط عام (١٦٣٨-١٦٣٩)، حيث التقى البطريرك الماروني جرجس عميرة في زيارة رعوية لأبنائه الموارنة هناك.وكتب مشيرًا إلى وجود عدة قرى في مصر يقطن فيها الموارنة بالإضافة إلى القاهرة. واستنادًا إلى هذه الإشارة يعلق كتاب **اليوبيل القرني الثاني للرهبانية الحلبية في وادي النيل** على بعض الكتاب المصريين الذين يرفضون مصرية الموارنة ويعتبرونهم أجانب فيها فيقول: «إن الجهل دفع البعض إلى المجاهرة بأن الموارنة ليسوا مصريين بل هم أجانب في مصر. إلا أن التاريخ الصحيح يدلنا أن الموارنة استوطنوا مصر منذ أوائل القرن السادس عشر للميلاد... ومنذ سنة ١٧٢٥، حصل طلب إلى رهبان رهبنتنا بمصر من كبراء سائر الطوائف الكاثوليكية،وخاصة بدمياط، لأجل أولئك المؤمنين فيما يختص احتياجاتهم الروحية...»(٩).

وكانت الهجرة الشامية إلى مصر، وتحديدًا إلى دمياط، من الاتساع والازدهار بحيث سارعت المؤسسات الكنسية المارونية والأرثوذكسية والكاثوليكية وغيرها، إلى اتخاذ التدابير الرعوية اللازمة للاستفادة من المهاجرين الذين جمعوا ثروات كبيرة هناك. فأوفدت الرهبانية المارونية إلى دمياط الأب موسى هيلانة الشامي عام ١٧٤٥، ليؤسس بها رسالة لخدمة شعبها الكاثوليكي على اختلاف طقوسه. وكان يدعو إليه أبناء الطوائف الكاثوليكية من شرقيين وغربيين لإتمام الفروض الدينية ومات ودفن في دمياط بداء الرئة عام ١٧٤٨، واستمر الآباء الموارنة يديرون شئون الموارنة والكاثوليك حتى ١٨٣٩، حين اقتصر دور الكاهن الماروني على تولي شئون الموارنة فقط وأُرسل كاهن كاثوليكي لهذه الغاية لأبناء طائفته، أما أولى الكنائس المارونية التي بنيت في مصر فكانت بهمة الأب أنطون مارون الذي يدعى بحق مؤسس الرسالة الحقيقي في الديار المصرية. وسجل الكنيسة في عام ١٧٣٦، باسم فقراء الرهبان الموارنة الحلبيين القاطنين في دير سيدة اللويزة الكائن في جبل لبنان ضمن مقاطعة كسروان. والكنيسة لا تزال قائمة حتى اليوم.ومنذ عام ١٧٨٨، نقل الأب بطرس زكرة الحلبي، الرياسة العامة من مدينة دمياط إلى القاهرة. وكان جميع الآباء الموارنة يستأجرون بيتا يأكلون فيه وينامون ويقيمون الشعائر الدينية في كنائس الرهبان الفرنسيسكان لأن أحوالهم المالية ما كانت تسمح لهم ببناء كنيسة مستقلة.

وكان للمراكز الدينية الدور الأساسي في حفظ سجلات المهاجرين والتعريف الدقيق بأحوالهم الاجتماعية، «فقد أوجبت المجامع المقدسة على كهنة الرعايا أن يتخذوا خمسة سجلات يكتبون فيها أسماء المعمودين والمثبتين والخاطبين والمتزوجين والمتوفين، كلا على حدة مع اسم من منح سرًا من هذه الأسرار، وذكر اليوم والشهر، والسنة، والسن، وتحليل الموانع الزواجية، ومرض الوفاة. لكن عدم وجود هذه السجلات في ثغر دمياط قد حال دون إمكان تعيين الزمان الذي هاجر فيه أبناء الطائفة المارونية إلى هذا الثغر. كما أننا بمثل هذه السجلات قد عرفنا هجرة الموارنة إلى القاهرة والإسكندرية. فيستدل، على وجه المقابلة، أن زمان مهاجرة الموارنة إلى دمياط لم يتجاوز الجيل السابع عشر كما في الإسكندرية والقاهرة. وكان سبب مجيء المرسلين إليها أنه في أثناء سفر آباء رهبانيتنا إلى رومية العظمي ومرورهم بثغور القطر المصري كدمياط والإسكندرية وقفوا على رغائب أبناء الطوائف الشرقية في أن يتولى خدمتهم الروحية كهنة شرقيون ولو من غير طقسهم. وعرفوا أيضا أن في داخلية القطر لا يوجد كهنة شرقيون كاثوليكيون يقومون بخدمتهم فهم بحاجة إلى جهاد المرسلين الشريف وكفاحهم المضطرد. وإذا بلغ هذا الأمر رؤساء الرهبانية عينوا القس موسى هيلانة الشامي لكي ينشئ رسالة في القطر المصري»[١٠].

كانت هجرة الشوام إلى دمياط هجرة داخلية لرعايا السلطنة العثمانية. فالمهاجرون، على اختلاف طوائفهم الإسلامية والمسيحية، لم يعتبروا أنفسهم أجانب أو تابعين للأجانب لكن عددًا محدودًا منهم نال حماية القناصل هناك. فقد أصر أبناء الطوائف المسيحية المشرقية التي ترتبط بالبابوية، كالموارنة والكاثوليك الشرقيين من مختلف الانتماءات العرقية من عرب وسريان وكلدان وآشوريين وأرمن وغيرهم، على طابعهم المشرقي وعلى اعتبار تواجدهم في القطر المصري بمثابة استمرار طبيعي للكنائس الشرقية، فهم مشرقيون من رعايا السلطنة العثمانية وليسوا أجانب في مصر. وقد عملت الطوائف المسيحية الشامية في دمياط على تنظيم نفسها وبناء كنائسها ومدارسها وجمعياتها الخيرية داخل الحي المعروف باسمها «حي النصارى»، على غرار التسميات الشائعة في مدن وقرى بلاد الشام خلال هذه المرحلة.

«كان يقع بهذا الحي عدد من المدارس أهمها: مدرسة دمياط الابتدائية التابعة لوزارة التعليم والتي بدأت حياتها هناك منذ عام ١٨٨٨، في البناء الذي كان قبلا

مصنعًا للنسيج. ثم مدرسة الراهبات الفرنسيسكان التي تأسست هناك عام ١٨٧٣، ومدرسة الروم الأرثوذكس، وقد بدأت منذ عام ١٨٦٠، ومدرسة الإرسالية الإنجيلية التي فتحت عام ١٨٧٣، ولم تعمر طويلًا. وقد أطلق على هذا الحي «حارة النصارى» إذ كانت أغلبية سكانه منهم ولكن كان به عدد من الأسر الإسلامية والأوربية يعيش جميعهم جنبًا إلى جنب في تعاون شامل. أما معظم الأسر المسيحية فكانت من طائفة الروم الأرثوذكس الوطنيين (العرب الشرقيين من غير اليونان)، تليها طائفة الروم الكاثوليك، وقد تمثلتهم دمياط جميعًا فأصبحوا «دمياطيين» لغة وزيًّا وطبعًا. وكانت العادة كما جرت في جميع الثغور البحرية، أن يتزاوجوا ويتصاهروا مع الأقطار التي يتاجرون معها، ولهذا تصاهر كثير من أسر دمياط مع السوريين والترك واليونان ثم تمصروا جميعًا على مر الزمن. أما الطائفة القبطية فكانت تسكن حول كنيستها ومدرستها. وهذه الكنيسة القبطية ما برحت في مكانها القديم إلى اليوم شمال المدينة... وفي عام ١٩٣٧، لم يلحظ بين سكان دمياط البالغ عددهم قرابة ٤٠ ألف شخص سوى ١٢٣ شخصًا من الروم الأرثوذكس، نساء ورجالًا وأطفالًا، و ٢٦ من الروم الكاثوليك، وخمسة من البروتستانت، و ٤١٠ من الأقباط أي ٥٦٤ مسيحيًا فقط يضاف إليهم خمسة أشخاص فقط من اليهود»[١١].

وفي إشارة أخرى أن الجمعية الأرثوذكسية بدمياط تأسست وصدر قانونها في ١٥ آذار (مارس) ١٨٦٠، وجمعت تبرعات لبناء مدرسة جديدة في المدينة كانت تضم الأرثوذكس العرب واليونان معًا وكان من أعضائها عام ١٨٦٠، باسيلي فخر، جورج قصيري، قسطندي باسيور، جورج السكاكيني وغيرهم.

وعلى الرغم من الازدهار الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي الذي عاشه سكان «حي النصارى» في دمياط فإن تحول طريق التجارة من دمياط إلى الإسكندرية والقاهرة وبور سعيد وسواها من المدن المصرية كان كفيلًا بهجرة سكانه وانتقالهم إلى مراكز تجارية جديدة. وهذه سمة أساسية رافقت هجرة الشوام إلى مصر وغيرها من بلدان الاغتراب.

بعض الملاحظات حول هجرة الشوام الأوائل إلى دمياط

عرف المهاجرون الشوام نجاحًا باهرًا في الميدان التجاري في مختلف المدن

المصرية وعملوا في القنصليات والإدارة وغيرها. ذلك المنحى الذي اتخذته هجرة الشوام إلى دمياط في القرن الثامن عشر ومطالع التاسع عشر، سيصبح القاعدة الأساسية التي بنيت عليها ركائز النجاح الذي حظي به المهاجرون السوريون واللبنانيون في وادي النيل. فلم تبق الشهرة محصورة في مدينة واحدة ولم تستقر هناك لفترة طويلة، إذ تنقل المهاجرون داخل مصر، ومنها إلى الخارج عندما تضررت مصالحهم التجارية وانعدمت آفاق الربح السريع أمامهم بعد التدابير الجذرية التي اتخذها النظام المصري لحماية مصالح شعبه من الأخطبوط الأجنبي الذي كان التجار الشوام أحد أذرعه الكبيرة لامتصاص الثروة المصرية. يقدم نموذج دمياط مثالًا هامًا على مصير هجرة الشوام إلى مصر.

يشغل «حي النصارى» مساحة يحدها النيل غربًا ويتوسطها «شارع الخميس» الذي يبدأ من ضفة النيل الشرقية ويتفرع في نهايته إلى طريقين يتجه أحدهما شمالًا إلى الخان الذي ظل قائما عدة قرون ثم هدم منذ عهد قريب، ويتجه الآخر جنوبًا إلى ما حول مدرسة الراهبات وكنائس اللاتين والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك، وما برحت هذه الكنائس قائمة إلى اليوم. وكان القرن التاسع عشر أزهى العصور التي مرت على هذا الحي ثم أخذت دولته تدول رويدًا. فما إن نشبت الحرب العالمية الأولى حتى كان هذا الحي في طريقة إلى الزوال. وما هي إلا بضعة أعوام أخرى حتى طواه الزمن ودرست معالمه، وعفت آثاره. ولولا تلك الشذرات التي ذكرها عرضا بعض الرحالة، ولولا بعض الوثائق المهملة، لما سمع به أحد من أهل الجيل الحاضر... وكان يقع على جانبي «شارع الخميس» عدد من الوكالات العامرة القائمة منذ عصور المماليك. وكانت في أسفل كل وكالة مخازن تسمى الحواصل تكدس فيها واردات الشام والبلقان، وتعلوها عشرات من الشقق المتلاصقة، تسكنها أسر ترجع أصول بعضها إلى سوريا ولبنان وتركيا واليونان... وقد خربت تلك الوكالات القديمة وزال أكثرها من الوجود. وكان يطلق على كل وكالة منها اسم يميزها. «فهذه وكالة الصابون، وتلك وكالة الأرز، وهكذا...» وبعد الثورة العرابية هاجرت أسر الحي إلى مدن أخرى حيث يزاول أحفادها شتى المهن وبلغ بعضهم درجة من الثراء أو الصيت الحسن أو الوظائف الكبيرة.

يقدم تاريخ الحي بعض الحقائق التاريخية ذات الصلة الوثيقة بتاريخ الشوام في مصر طيلة القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. منها:

إن مدينة دمياط ظلت تجتذب أعدادا هامة من مهاجري الشوام بسبب تجارتها النشيطة قبل فتح قناة السويس ومد الخطوط الحديدية لربط المدن المصرية.

وقد حملت مرحلة حكم محمد علي وخلفائه معها الكثير من الانفتاح الاقتصادي الواسع على مراكز الرساميل الأوربية التي جاءت تتمركز في المدن المصرية الكبرى حيث الكثافة السكانية تسمح بإقامة مشاريع تجارية وصناعية هامة خاصة في العاصمة القاهرة وفي الإسكندرية.

فكان من الطبيعي أن ينتقل المهاجرون الشوام من دمياط نحو مراكز الرساميل ليكونوا على مقربة من مصادر الغنى السريع في مصر. هكذا ارتحلت أعداد كبيرة منهم باتجاه القاهرة، والإسكندرية، والمنصورة، وطنطا، وبور سعيد، والإسماعيلية، ووصل بعضهم إلى الخرطوم في أواخر القرن التاسع عشر وأقاموا فيها تجارة مزدهرة وأنشأوا بعض الصحف اليومية بالعربية والإنجليزية.

يستنتج من ذلك أن حركة الهجرة، من حيث المبدأ، لا ترتبط بمدينة بعينها بل بحركة الرساميل القادرة على إيصال المهاجر إلى الغنى والجاه والنفوذ. لذلك تبدلت الحركة بسرعة مع تبدل المواقع الأساسية للرساميل العاملة في مصر فانتقلت أعداد كبيرة من المهاجرين الشوام لتتمركز في أماكن جديدة أو تبني لمؤسساتها فروعًا جديدة للتجارة والصناعة واستصلاح الأراضي والمؤسسات الخاصة بالإضافة إلى الوظائف والمهن الحرة، وليس من السهل تتبع حركة الانتقال من دمياط إلى باقي المدن المصرية لأن الإحصائيات الدقيقة غير متوفرة لكن مركز الإدارة والتجارة والصناعة المصرية في القاهرة والإسكندرية يحتم وجود الشوام فيهما كما يحتم وجودهم في المدن المصرية المستحدثة على خطوط التجارة الدولية بعد فتح قناة السويس خاصة الإسماعيلية وبور سعيد وغيرهما.

هجرة الشوام إلى مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر: مرحلة التمدد والانتشار

كان حكم أحمد باشا الجزار من المراحل الأكثر قساوة في تاريخ ولاية صيدا والمناطق المجاورة لها. فقد تكاثرت الصدامات الدموية بين المقاطعجيين المحليين لدرجة أن الأمير كان يقتل أخاه أو ابن عمه أو صديقه القديم في محاولة لتثبيت بقائه

على سدة الإمارة أو جباية الضرائب في مقاطعة صغيرة. فكثرت الفتن في بيروت والمتن والشوف وبعلبك وغيرها، وقتل كثير من الأمراء والمشايخ والمدبرين شنقا أو قطعت ألسنتهم وجدعت أنوفهم وفقئت عيونهم مع ازدياد فاحش في الضرائب وإحراق المنازل وقطع الأشجار، وإطلاق يد الحوَّالة نهبًا وبلصًا ومصادرة. وقد نشر عيسى إسكندر المعلوف زجلية لأحد أبناء دير القمر أو من إحدى القرى المجاورة لها، تصف الحالة الاجتماعية الخانقة التي عاشها الناس خلال سنوات (١٧٨٨-١٧٩٠). يقول كاتب الزجلية(١٢):

مر علينا تلات سنين ... وتلاتتهم ملعونين
بلص وحرب وجوع مكين ... وهذه هي ضربات شداد...

ثم يصف غلاء المعيشة، وفقدان الخبز، وتوقف الأعمال والصناعات والحرف والتجارة والموت جوعًا:

وتسكّرت صيدا وبيروت ... وما عاد يخرج منها قوت
وتيقّنا إنا نموت ... جوعا من قلة الزاد

وتعدد الزجلية حالة مختلف المناطق المجاورة للإمارة فالجوع شديد في الشام «وكم فيها ماتوا سيّاد»، وبعلبل خراب «لا غلات ولا أكساب»، وفي حوران «التبن يبيعوه بالميزان»، والأوضاع الاقتصادية سيئة جدًا في عكا وجبيل وحمص وحماه وطرابلس والبترون. ويختم بقوله:

هذا الضيق مثله ما صار ... بمصر ولا كل الأقطار
ولا بزمن إيليا البار ... ولا جا في عهد الأجداد

في هذه الظروف الاقتصادية الصعبة وصل الأمير بشير الثاني إلى حكم الإمارة في عهد الجزار. تردد في البدء بالذهاب إلى عكا على الرغم من إلحاح عمه الأمير يوسف عليه فكان جوابه المشهور «أخشى أن أذهب ابنك وأعود ابن الجزار» وصدق ظنه إذ انتهى الأمير يوسف مقتولًا في عكا وبدأ الأمير بشير الثاني يفتش عن تحالف وثيق يحميه من غضب الجزار والولاة الذين جاءوا من بعده. فكانت رحلته الأولى إلى مصر عام ١٧٩٩، هربًا من ظلم الجزار متقربًا من الصدر الأعظم العثماني يوسف ضياء باشا القادم لمحاربة الحملة الفرنسية على مصر، وبالتالي للاستنجاد

بالأسطول الإنجليزي الذي يحارب نابوليون على أبواب الإسكندرية. وقد دون أخبار هذه الرحلة مدبره الشيخ سلوم الدحداح الذي بقي في خدمة الأمير بشير حتى عام ١٨١٧، حين استقال لتقدمه في السن فخلفه ابنه الشيخ منصور الدحداح[١٣]. كان برفقة الأمير في رحلته الأولى إلى مصر الشيخ نجم العقيلي، ويونس بو ضرغم، وإلياس بو زحم، وفرنسيس نمر، وحسين مكنّا، وحسين الداهوك، ومارون البستاني، وضاهر بو شاول وابن عمه جرجس بو شاول، وضاهر فرج، وبطرس ديبان، وفارس الشويري، وقبلان البعلبكي، وغنطوس بو سردي، والعرب صالح، ومرعي بو ملهب، ويوسف الحاصباني، ويوسف عمون، وحسن حمدان، وأحمد بو عكر، وعبد الله الهداري، وجرجس الموصللي، بالإضافة إلى سلوم الدحداح.

«ونهار الثلثاء قلّع المركب بسلامة الله قاصدًا دمياط حيث يعلم أن سر عسكر الإنجليز في المحل المذكور...»... «... وأنه لم وجده (يجده) في دمياط. ثم ساروا (سار) المركبين (المركبان) سوية نحو الإسكندرية... وهي مدينة بقدر الشام حسنة المنظر ودائرها أبراج... وقد شاهدنا على المركب الموسوق (المصادر) رزًا وقهوة وسكرًا وعجوة وشالات، فأخذوا الجميع...» وبعد اللقاء مع الوزير الأول العثماني «لاقاه الوزير بالسلام وعمل له مجابرة زائدة وقال له: أنت صرت محسوبًا من رجال الدولة العلية... أنت من أعز رجال الدولة ومحسوب حضرة مولانا السلطان، وأنت ممدوح من سائر أعيان الناس. أنت صاحب الحميّة والغيرة والحماسة. والدولة العلية لها نظر عليك فلا تفتكر ولا تتوهم هذه حال الدنيا... وعلق الكومنده الإنجليزي للوزير بقوله: إن غيرة الأمير بشير حفظت بلاد سوريا لحضرة السلطان سليم. أجابه الوزير: بكل صدق أجبت».

كان على الأمير بشير الثاني أن يوازن بين تحالفاته الداخلية والظروف الدولية المحيطة. لذلك أفسح في المجال أمام بعض اللبنانيين كي يقدموا خدمات لحملة نابوليون بونابرت التي كانت تحاصر الجزار في عكا عام ١٧٩٩. «في تلك الأثناء كان موارنة لبنان يحنون إلى عاهل فرنسا وكانت بعض مقاماتهم العالية، الدينية والزمنية، توعز إليهم سرًا بافتقاد أحواله والانضمام إليه حينما يرونه ظافرًا بعد حصاره وداخلًا إلى جوارهم متهللًا. فذهبت إلى عكا قافلة أكارين (مكارين) وعلى رأسها سلامة حشيمة من بكفيا وحملت لنابوليون وجنوده هدايا الخمر والجوز واللوز والتين الناشف والزبيب»[١٤].

فهل تذهب هذه القافلة دون علم من الأمير بشير أو رغمًا عنه؟ الأصح أنه غض النظر عنها حتى وصلت إلى نابوليون في جوار عكا. لكن الأمير لم يستطع تجاهل طلب الجزار للمشاركة في القتال إلى جانبه ضد الفرنسيين. فكان عليه أن يجمع قوة عسكرية من مختلف المناطق التابعة له ومنها بكفيا وجوارها، أي المنطقة التي انطلقت منها قافلة المكارين حاملة الهدايا لنابوليون. «طلب الجزار نجدة الأمير بشير الشهابي لإنقاذه من شر العصاة فجمع له نحو ألفي مقاتل لبنانيين منهم ثلاثمائة متنيون لم يقبلوا كغيرهم أجرة بل كانت نفقتهم من مالهم الخاص... ثم طلب الأمير نجدة أخرى من الأمير حيدر إسماعيل اللمعي الذي لبى الطلب فورًا وذهب إلى ساحة الحرب على رأس جيش آخر من المتنيين... وخسر اللبنانيون في المعركة ٣٧ قتيلًا منهم حنا الشنتيري من بكفيا»(١٥).

أدرك الأمير بشير الثاني أن مصير إمارته بات يرتبط وثيقًا بمن سيحكم مصر فحملة نابوليون بونابرت تجاوزت مصر إلى عكا. ونفوذ الجزار كان يتجاوز حدود ولايته إلى المقاطعات المجاورة. ومخططات بريطانيا تهدف إلى ربط أمراء ومشايخ المنطقة بتحالف وثيق ضد المخططات الفرنسية. هذه العوامل الجغرافية ـ السياسية المحيطة كان لها الأثر الأكبر في توجيه الهجرة اللبنانية والسورية، أي الهجرة الشامية، إلى مصر خاصة دمياط والإسكندرية والقاهرة.

وتكشف وثائق المرحلة مدى الترابط التاريخي بين الولايات السورية ومصر في ظل السلطنة العثمانية قبل وبعد وصول محمد علي إلى السلطة. وتكاثرت رحلات الأمير بشير أو هربه من ظلم ولاة عكا إلى مصر، إذ عزل عدة مرات من حكم الإمارة. لكن علاقته التحالفية مع محمد علي ستصبح حجر الزاوية لسياسته الخارجية. ومرة بعد أخرى كانت حاشيته تتسع لعشرات الأشخاص فضمت رحلته إلى مصر عام ١٨٢٣، قرابة ١٥٠ شخصا استنادًا إلى بعض الروايات المتواترة.

«وصل إلى مصر سنة ١٨٢٣، الأمير بشير قاسم الكبير الماروني(١٦) حاكم جبل لبنان المعروف بالمالطي... ونزل الأمير بشير شهرًا كاملًا في الناحية القبلية من مصر في محلة «أثر النبي» بعيدًا عن القاهرة نحو ساعة ونصف، وبصحبة أولاده الأميرين خليل وأمين، والشيخ منصور الدحداح وإخوته، وغالب آغا، وجدعون الباحوط، ويوسف الخوري، والشيخ فضل الخازن، وكامل حوسته (أفراد حاشيته) وعددها

١٥٠ نسمة. وكان الأمير أولًا في مدينة بني سويف ولما حضر ولي النعم (محمد علي) من الإسكندرية استحضره إلى مصر (القاهرة) فوصل إليها في ١٢ كانون الأول (ديسمبر)... ويقدم له سعادته كل يوم عشرين كيسًا خرجية (مصروف) ما عدا الخرج المعين له ولحوسته يوميًا. وقدم له خمس روس (رءوس) من جياد الخيل، ثلاثة برخونة فضة واثنين بسروجي، وثلاث بقج (أكياس) كساوي (ثياب) له وإلى أولاده، وثلاثة شالات كشمير، وفري (فرو) سمّور. ويريد صاحب السعادة مقابلته كل يوم. وكان الأب روفائيل الخراط يذهب صباح كل أحد يقدس (يقيم القداس) لهم في الدير بمصر القديمة. والآن لما وصل الأب يواكيم الزوقي، أحد رهبان إخوتنا البلدية «كاهنه الخصوصي» صار يقضي له ذلك... وقبل سفر الأمير توجهنا فودعنا جناب المشايخ واعرضنا (عرضنا) على جناب فخر الأماثل الكرام الشيخ بو ضاهر «منصور الدحداح» كتخدا سعادته عن حادثة البارجة بثغر دمياط فوعد بالمساعدة... والتجأ أبناء الطائفة بدمياط عند «الخواجات بجري إخوان» حيث المعلم بطرس كرامة فوعدهم بالمساعدة عند الأمير بشير»(١٧).

ازدياد الهجرة اللبنانية والسورية إلى مصر كإحدى نتائج التحالف بين محمد علي وبشير الثاني

تعتبر فترة حكم محمد علي في بلاد الشام نقطة تحول أساسية في تاريخ المشرق العربي. ومهما قيل في تدابير إبراهيم باشا في سوريا فإن محاولات جدية بذلت لإقامة سلطة مركزية قوية في مصر امتد نفوذها إلى الولايات التي أخضعتها بالقوة أو بالتحالف. عن الإصلاحات التي قام بها الحكم المصري في بلاد الشام كتب محمد كرد علي مقالة بعنوان **الحكومة المصرية في الشام**. نقتطف منها المقاطع التالية:

«كانت حسنات حكومة محمد علي في الشام أكثر من سيئاتها لأنها وضعت أصول الإدارة والجباية، ورفعت أيدي أرباب الإقطاعات، وأعطتهم من الخزانة رواتب تكفيهم على حد الكفاية ولم يخلص من ذلك إلا الأمير بشير، والي لبنان، فإنه نال ولايته (الأصح حكم الإمارة) مباشرة من محمد علي في مصر، وظل يتصرف بلبنان وبذلك رفعت سلطة المشايخ والأمراء المستبدين. ومن مآثر الحكومة المصرية تجفيفها المستنقعات، وتصريف الأقذار في مجار خاصة، وتحديد أسعار

اللحوم، والعدل بين الرعايا على اختلاف أديانهم وطبقاتهم لا تكلف صاحب الحق نفقة لتحصيل حقوقه، وإنفاق كل مال في وجهه المخصص له... وكانت حكومة محمد علي من أفضل ما رأت الشام من الحكومات منذ ثلاثة أو أربعة قرون... فبحسب الإدارة تضاعف نجاح الأهلين وحسنت المالية في جميع النواحي... وقد عدت الحكومة ظالمة لكنها في الحقيقة لم تكن تستطيع غير ذلك، إذ كان عليها أن تصلح عدة أمور مختلفة وأن تبدل الفوضى والتعصب والقلاقل التي كانت سائدة... فأصحاب المقامات العالية والأفندية والأغوات امتعضوا كثيرًا من ذلك لأنهم كانوا يثرون من ابتزاز أصحاب التجارة والحرف وسائر الطبقات العاملة، وقد سر هؤلاء كثيرًا لخلاصهم من الظلم الذي أنُّوا تحت عبئه طويلًا، واغتبط المسيحيون خاصة وفرحوا لنجاتهم من التعصب الذي أوصلهم إلى درجة من الذل لا تطاق... ولم يكن الفلاحون أقل سرورًا منهم لأنه، وإن كانت الضرائب المقررة تستوفَى بكل شدة فلم يكن يستوفى منهم بارة زيادة ولا تضبط حاصلاتهم وغلالهم ولا يؤخذ منهم شيء دون دفع ثمنه، ولم يجبروا على تقديم خدمة دون بدل... ثم دخلت أصابع الأجانب وأخذوا يثيرون عربان نابلس وسكان كسروان وجبال النصيرية ودروز لبنان ووادي التيم وجبل حوران، وكل من عرفوا بالمضاء من سكان الجبال وإلا فإن المدن والسواد الأعظم من الناس استقبلوه وأخلصوا له وشعروا بحسن إدارته ولا سيما المسيحيون والإسرائيليون، وكلهم أدركوا الفرق بين حكومته وحكومة الترك»[١٨].

فالأمير بشير الثاني «ظل يتصرف بلبنان» كحليف لمحمد علي في بلاد الشام وليس كأحد أرباب الإقطاعات التابعين له[١٩]. أي أن العلاقة كانت وثيقة جدًا بينهما بحيث ساعدت على تدفق أعداد المهاجرين الشوام إلى مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، واستمر هذا المنحى مع أبناء محمد علي وأحفاده حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين.

يشير كتاب **الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل** إلى نتائج هذا التحالف بقوله: «كثر عدد الموارنة في دمياط. وربما يعود سبب ذلك إلى تلك المحالفة التي عقدها عاهل مصر محمد علي باشا الكبير مع أمير لبنان الأمير بشير شهاب سنة ١٨٣١. تلك المحالفة التي شجعت اللبنانيين على المهاجرة إلى مصر وفتحت أمامهم باب التوسع والاستعمار الأدبي والاجتماعي والتجاري والصناعي والفني والسياسي

والاقتصادي، فشرعوا يقاسمون سكان البلاد الوطنية والثروة بنبوغهم وتفوقهم ويساهمون في الذود عن وطنهم الثاني محافظين على سمعة وطنهم الأول لبنان. متكاتفين لينهضوا بهذا الوطن الصغير ويرفعوا اسمه عاليًا بين الأمم»[٢٠].

تؤكد هذه الإشارة انفتاح أبواب مصر على مصراعيها، وفي جميع المجالات، أمام المهاجرين الشوام. فأفسح لهم المجتمع المصري مجال الاندماج والوطنية وجمع الثروات وتعاطي التجارة ومختلف أنواع الفنون والصناعة والعمل السياسي والفكري. ولا يمكن تفسير ذلك الانفتاح المصري على قاعدة «الاستعمار الأدبي» و«النبوغ والتفوق اللبناني بين الأمم» بل على أساس التبدلات النوعية التي شهدها الاقتصاد المصري خلال هذه المرحلة والتي سهلت ربط مصر تبعيًا بحركة الرساميل الأوربية في عصر أكملت فيه أوربا ثوراتها الصناعية وانطلقت للسيطرة على العالم. فكانت مصر وباقي الولايات العربية إحدى أبرز محطات صراع النفوذ بين الدول الأوربية الاستعمارية في مطالع القرن التاسع عشر. وقد حاول محمد علي، بنجاح نسبي، الاستفادة من صراع النفوذ بين فرنسا وبريطانيا فوسع حكمه إلى المشرق العربي وقام بحملات عسكرية على الجزيرة العربية والسودان وسوريا ضمنت له سلطة سياسية على أجزاء واسعة من السلطنة العثمانية قبل أن يتكتل ضده أعداء الأمس من فرنسيين وإنجليز وعثمانيين ويجبروه على الانزواء داخل حدود مصر.

ارتبطت بلاد الشام وثيقًا بالأحداث التاريخية الكبيرة التي قادها محمد علي في مصر فقد أكد على تحالفه مع الأمير بشير الثاني وتسليمه بحكم المقاطعات اللبنانية التابعة له، وأطلق يده في المجالات الداخلية في الوقت الذي ضمن فيه الجيش المصري الأمن وإخضاع المعارضين في الولايات الشامية. وتعهد إبراهيم باشا بنفي كل خصوم الأمير بشير إلى مصر والسودان فاستتب له الوضع حتى نهاية الحكم المصري في بلاد الشام. يكتب أدمون بليبل عن المنفيين من زعماء اللبنانيين المعارضين لحكم الأمير بشير الثاني فيقول: «قبل تمكن القوات الأوربية والعثمانية من القضاء على إبراهيم باشا تمكن حليفه الأمير بشير من القبض على مناصريهم الأمراء قائد بيه وعبد الله وعلي وفارس وحيدر اللمعيين وعلي صليبي ويزبك ويوسف آغا الشنتيري البكفاويين لخروجهم عن دائرة الطاعة. وقد عجز في الوقت نفسه عن أسر رفقائهم الأمير إسماعيل أبي اللمع وبعض المشايخ الخازنيين الذين

فروا إلى جزيرة قبرص فبلغ عدد المقبوض عليهم في بيت الدين ٥٧ رجلًا منهم أربعون أميرًا شهابيًا وأربعة أمراء لمعيين وثلاثة مشايخ نكديين وشيخ واحد خازني وتسعة ممن كانوا يسمون في ذلك الزمن بأبناء العامة. وبعد حين أمر عباس باشا أحد قواد الحملة المصرية بإرسال أولئك الأسرى إلى القاهرة فأُرسلوا بطريق عكا إلى الإسكندرية ثم إلى قلعة مصر فباتوا فيها ستة أيام نفوا بعدها بأمر محمد علي باشا إلى سنار في منطقة الخرطوم التابعة للسودان المصري. فساروا إليها بطريق النيل مخفورين وأقاموا فيها مدة يسيرة انتهت بانتهاء الثورة ورجوع مياه السلام إلى مجاريها. وعلى إثر ذلك عادوا جميعهم إلى لبنان سالمين في نفس السنة التي أسروا فيها»(٢١).

ويشير محمد كرد علي إلى الفكرة نفسها مع التأكيد على ولاء كاذب كان يظهره بشير الشهابي للحكم المصري. «كان أمير لبنان في ظاهره مع إبراهيم باشا خوفًا منه، وفي الباطن مع من يضمن له ولايته. وقبض المصريون على ٥٧ رجلًا من أعيان لبنان بينهم أربعون من أمراء الشهابيين كانوا يدعون أهل بلادهم لخلع طاعة المصريين. فنفاهم إبراهيم باشا إلى مصر ومنها إلى السودان، وأخذ أعوان أمير لبنان ينتقمون من الرعايا بجمع السلاح والخيل وطرق المغارم... أما الموارنة، فبعد أن كانوا عضد إبراهيم باشا أصبحوا يعاونون الأوربيين على طرده من الشام»(٢٢).

لسنا في مجال دراسة حسنات وسيئات الحكم المصري في بلاد الشام(٢٣)، بل نرصد فقط النتائج العملية التي ترتبت عليه وأثرها في ازدياد الهجرة الشامية إلى وادي النيل. يعزو عمر أبو النصر قساوة الحكم المصري في سوريا إلى حروب إبراهيم باشا، وحاجة مصر إلى الأموال، وضرورة فرض الأمن بالقوة على أيدي قادة عسكريين مقربين من محمد علي، مع اتخاذ التدابير الحازمة لولوج عصر التنظيمات والإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والمساواة بين المواطنين. «كان الحكم المصري شديدًا مستبدًا أثقل كواهل الأهالي وجشَّمهم ما لا طاقة لهم به من الضرائب. وسبب ذلك نضوب موارد مصر المالية فلم ير بدًا من الاعتياض عنها بما في سوريا من ذهب ومال. وعهد إبراهيم باشا بولاية حلب إلى ابن عمه إسماعيل باشا، وبولاية دمشق إلى شريف باشا، وبإدارة المالية إلى الأخوين حنا وجرمانوس البحري، وكلاهما من دمشق من طائفة الروم الكاثوليك. وأعاد إلى الشهابيين المسيحيين(!) حكم لبنان وولى على بيروت سليمان باشا الفرنساوي. وأظهر تساهلًا في الدين،

وفتح للمسيحيين أبواب المجالس الإدارية، واهتم بإخماد الفتن الأهلية وتجديد نظام الدرك» وللتدليل على واقع التعصب الذي كانت تحياه بلاد الشام قبل محمد علي يشير أبو النصر إلى أن القنصل الإنجليزي في دمشق «كان أول نصراني ركب حصانًا فيها. وقد أزال احتلال إبراهيم باشا للبلاد بعض التعصب وأصبح للمسيحيين واليهود الحق أن يتزيُّوا بالزي الذي يشاءونه»(٢٤).

وقد تتنوع الآراء وتتعارض جذريًا حول الأثر الهام الذي تركته حملة إبراهيم باشا على سوريا وعلى السلطنة العثمانية نفسها إلا أنها تتفق حول نقطة أساسية تؤكد الترابط التاريخي الثابت بين مصر والولايات السورية في جميع مراحل التاريخ. ذلك الترابط يشكل القاعدة العلمية القادرة على تحليل الأسباب العميقة للهجرات المتبادلة دومًا بين مصر وسواحل الشام وصولًا إلى داخل الجزيرة العربية في مرحلة النفط.

الشوام في مصر إبَّان حكم محمد علي

تميزت مرحلة حكم محمد علي وأسرته من بعده بالانفتاح على مختلف التيارات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي سادت القرن التاسع عشر،خاصة الأوربية منها وذلك بحكم الترابط الوثيق مع فرنسا إبان حكم محمد علي، ومع بريطانيا ودول أوربية أخرى إبان حكم خلفائه من بعده. فتدفقت أعداد المهاجرين الأجانب إلى مصر من مختلف البلدان الأوربية.وشهدت المدن المصرية أيضًا هجرة كثيفة من مشرق العرب ومغربهم بالإضافة إلى وادي النيل وشملت شرائح مختلفة من التجار والمهندسين والعلماء والأطباء وأصحاب المهن الحرة والموظفين والمزارعين والعمال وسواهم. وقدمت الحكومات المصرية ضمانات كبيرة للمهاجرين الأجانب وسمحت لهم بتملك واستصلاح أراضٍ شاسعة، وإقامة مصانع كبيرة، ومحلات تجارية واسعة، وبنوك ومؤسسات مالية كثيرة بحيث إن تلك الضمانات ستصبح عقبة كبيرة أمام تطور المجتمع المصري دفع ثمنها أبناء مصر سنوات طويلة قبل التحرر من نير تلك الامتيازات والضمانات التي قدمت للأجانب، واعتبر الشوام جزءًا لا يتجزأ من هؤلاء الأجانب.

لم يكن من السهل تتبع أعداد المهاجرين الأجانب إلى مصر في القرن التاسع عشر، خاصة في النصف الأول منه، بسبب صعوبة الإحصائيات وعدم دقتها، لكن

بعض الدراسات العلمية التي استندنا إليها تقدم صورة واضحة حول تطور الاقتصاد المصري وموقع الأجانب في مختلف قطاعات الإنتاج فيه. ولا بد من التنبيه إلى أن هذه الإحصائيات التقريبية كافية لدراسة الاتجاهات العامة لمصادر الهجرة إلى مصر خلال هذه المرحلة.

من دراسة أكاديمية غير منشورة للدكتور حلمي محروس إسماعيل بعنوان **دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر** نستخرج المعلومات التالية حول المهاجرين الأجانب إلى مصر في مطالع حكم محمد علي حوالي عام ١٨١١، وموقع المهاجرين الشوام بينهم[٢٥] فيقدر حلمي إسماعيل عدد المهاجرين على الشكل التالي: «حوالي خمسة آلاف من السوريين الشوام، وألفين من الأرمن، وثلاثة آلاف من اليونان، وتسعة آلاف وخمسماية أوربي من جنسيات مختلفة، وقرابة سبعة آلاف يهودي. أما مجموع عدد السكان المقدر لمصر خلال هذه المرحلة فيبلغ قرابة ٢,٨٩٣,٥٠٠ نسمة. ويتوزع مهاجرو الشوام البالغ عددهم خمسة آلاف على الشكل التالي: ثلاثة آلاف مسيحي في القاهرة، وما بين خمسماية إلى ستماية في دمياط، وما بين مئتين إلى ثلاثماية في الإسكندرية وغيرها. وقد جاءوا مصر بدوافع مختلفة ومن أعراق وطوائف مختلفة. فبينهم المسيحي والدرزي والسني، ومنهم أكراد وشركس وكلدان وأرمن وغيرهم».

وفي إحصاء آخر لعام ١٨٣٣، لا يذكر حلمي إسماعيل أعداد المهاجرين السوريين إلى مصر في حين يشير إلى ارتفاع عدد اليونان هناك إلى قرابة عشرة آلاف مهاجر، وتقلص عدد الأوربيين إلى خمسة آلاف فقط، وعدد اليهود إلى أربعة آلاف، وبقاء أعداد مهاجري الأرمن دون زيادة أو نقصان، أي قرابة الألفي مهاجر أرمني جاءوا مصر من مناطق مختلفة في أرمينيا وتركيا وبلاد الشام.

هكذا تنعدم إمكانية رصد تطور مهاجري الشوام إلى مصر إبان هذه المرحلة بسبب نقص المعطيات. ومن المؤكد أن أعداد هؤلاء المهاجرين كانت في ازدياد مستمر منذ مطالع القرن التاسع عشر وطيلة أكثر من مئة عام حيث وصلت إلى أكثر من عشرين ضعفا في مطالع القرن العشرين.

من الواضح أن حلمي إسماعيل يقرن بين هجرة الشوام إلى مصر النسبة الكبيرة،

لا بل الساحقة، للوجود المسيحي داخلها. كان المسلمون الشوام يندمجون بسرعة في المجتمع المصري ويعتبرون أنفسهم مواطنين في بلادهم الإسلامية، سواء أكانت مصر أم بلاد الشام. في حين لعب العامل الطائفي، وهو ما يسميه حلمي إسماعيل «بالرابطة الطائفية المسيحية» دورًا هامًا في الإبقاء على عنصر التمايز بين المسيحيين الشوام المهاجرين إلى مصر، وسكان مصر من مسلمين وأقباط على السواء. وقد دلل إسماعيل على ذلك التمايز بقوله: «يحرص السوريون المسيحيون، بصفة خاصة، على عدم اختلاط أنسابهم بالزواج من الشعوب الأخرى. ولذلك احتفظوا بأخلاقهم وعاداتهم الأصلية مصونة من الشوائب»[٢٦].

وهناك دراسات كثيرة تؤكد على أهمية العامل الطائفي في تمايز الشوام داخل مصر حتى ارتبط في أذهان المواطنين المصريين أن كلمة «الشوام» تعني المسيحيين فقط وذلك لفترة زمنية طويلة[٢٧]. لكن مثل هذا التحليل يلوي عنق الحقائق التاريخية. فليس صحيحًا القول إن جميع الشوام كانوا من المسيحيين وأن جميع مسلمي الشوام قد اندمجوا فورًا داخل المجتمع المصري وذابوا فيه. أما الأرقام التي أشرنا إليها في هذه الدراسة فتعطي صورة واضحة كيف أن غالبية الشوام كانوا من الطوائف المسيحية وأن معظمهم حافظوا على تمايزهم داخل المجتمع المصري. وذلك يؤكد اندماج أعداد منهم في ذلك المجتمع مع بقاء أسر إسلامية شامية على صلة وثيقة بأنسبائهم في بلاد الشام ومنهم من اختار الجنسية السورية أو اللبنانية أو الفلسطينية وغيرها بعد تبلور الكيانات السياسية في المشرق العربي في أعقاب تفكيك السلطنة العثمانية وزوالها نهائيًا. إنها حقائق تاريخية نسبية دومًا تركز على الكثرة في أحكامها دون أن تنفي وجود قلة لا تندرج في سياق الفرضية أو تؤكد مصداقيتها.

ويجري حلمي إسماعيل دراسة هامة لأوضاع الأجانب قبل محمد علي وبعده، خاصة في مجال التملك والحماية الشخصية وحماية الممتلكات[٢٨] يقول: «ظل الأجانب يعيشون حالة رعب في بعض الفترات، فقد فرض على اليونانيين ضريبة غير عادية قدرها مئتي كيس أي حوالي ألفي جنيه عام ١٨٠٣، وفرض على التجار الأجانب المقيمين بالإسكندرية مبالغ كبيرة بصفة قروض. وتعرضت بيوت الأجانب للنهب في حوادث عنف دامية ضد الأوربيين في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٠٣ على يد جنود علي باشا الجزائري من غير النظاميين... وبالنسبة لملاك العقارات من

الأجانب لم تكن هناك ضمانات كافية لما يقتنون من أملاك سوى قيدها بسجلات المحكمة. كما أن الخوف من وطأة الضرائب التي كانت تفرض على العقارات الثابتة كان يحد من رغبة الأجانب في اقتناء العقارات. بل إن بعض الحكومات الأوربية أصدرت تعليماتها بمنع رعاياها من امتلاك الأراضي».

هذا الواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشه الأجانب في مصر يؤكد أن مرحلة محمد علي كانت نقلة نوعية لتغيير المجتمع المصري باتجاه ضمان الملكية الخاصة، والحماية الشخصية لجميع ساكني مصر، إقامة الدولة المركزية فيها التي تحولت إلى نوع من رأسمالية الدولة الاحتكارية. وقد استفاد الأجانب،ومنهم الشوام، إلى الحد الأقصى من تلك النقلة النوعية بحيث تحولت إصلاحات محمد علي داخل مصر، في ظل الهجمة الاستعمارية الأوربية عليها، إلى مسالك عبرت منها الرساميل الأجنبية للسيطرة على مصر، وتوجت تلك الهجمة بحملات عسكرية وعنف دموي طال الشعب المصري لمصلحة الرساميل الأوربية، خاصة الإنجليزية منها. وطال العنف مشرق العرب ومغربهم على السواء. فسقطت الأراضي العربية في قبضة الوصاية والحماية والاستعمار الغربي المباشر في مرحلة شهدت تفكك السلطنة العثمانية وعجزها في الدفاع عن أراضيها وعن الولايات التابعة لها.

ويمكن تقديم تقويم مزدوج لدور محمد علي في حكم مصر «فهو حامي الأجانب ضد التعصب الأعمى والتهور الإجرامي من جهة، وهو بداية ظهور التدخل الأجنبي الهائل في مصر».

في هذا الإطار يمكن فهم موقع الشوام في الاقتصاد والإدارة المصرية إبان حكم محمد علي وخلفائه. لقد استعان محمد علي في البداية بعملاء من الأجانب في مختلف المجالات. لكن عامل اللغة لعب دورًا أساسيًا في إعاقة الخطة وعدم الوصول إلى النتائج المرتقبة. كانت الحاجة ماسة إلى من يتقن اللغة العربية ولغة أو لغات أوربية فكان دور الشوام، خاصة المسيحيين منهم، بمثابة سد لثغرة كبيرة في خطط التنمية التي أرادها محمد علي وخلفاؤه. «فكثير من السوريين لهم مهارة ومرونة ونشاط، ويتكلمون بكثير من اللغات، ولذلك يبرعون في أعمال البورصة والبنك والصرافة، ولهم حظوة لدى محمد علي باشا الذي كان يغدق عليهم بسخاء. ويشتغل السوريون كثيرًا بالتجارة.وكان أحد السوريين المسيحيين عضوًا بالمجلس الخاص للتجارة لدى محمد علي باشا»(٢٩).

المسألة إذًا، في جوهرها، تحمل بصمات الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمصر في مرحلة تبدل نوعي في قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في داخلها، وهي مرحلة اعتمدت بشكل أساسي ومباشر على الخبراء الأجانب، خاصة الفرنسيين منهم، لتدريب الأجهزة العسكرية والإدارية والمالية المصرية. وكان من الطبيعي أن تتم الاستفادة من الشوام بشكل مزدوج:

- فهناك حاجة إليهم في المخططات الاستعمارية الأوربية للتعرف على المجتمع المصري في كافة جوانبه ومظاهر الحياة فيه.

- وهناك دور موكول إليهم في مشاريع التنمية التي وضعتها الحكومات المصرية المتعاقبة. فهم أقرب ما يكون إلى الشعب المصري الذي يعتبرهم من أبنائه، ويتكلمون لغته، ويرتبطون به بتاريخ مشترك وجغرافية مشتركة، وعادات وتقاليد واحدة.

ولعبت ثقافة الشوام دورًا هامًا في تعزيز نفوذهم داخل المجتمع المصري. وكانت اللغات الأوربية النافذة العريضة التي أطل منها الشوام، قبل غيرهم، على علوم أوربا وحضاراتها وثقافاتها وإداراتها والتبدلات العقلانية فيها. ونظرًا لغلبة الوجه الاستعماري الأوربي في السيطرة على مصر وباقي المناطق العربية فإن دور الشوام هناك كان عرضة لتغييرات مختلفة ولم يتورع بعض الكتاب عن اتهامهم بالخيانة لشعب مصر الذي فتح لهم ذراعيه لكنهم فضلوا الارتماء بأحضان الاستعمار الغربي الذي داس كرامة هذا الشعب واستعبده.

ليست المسألة أخلاقية ولا تستقيم الرؤية المنهجية لدور الشوام بإطلاق أحكام مبرمة ونعوت لا تمت إلى العلم بصلة. بل تجب الانطلاقة من تحليل الواقع التاريخي للمجتمع المصري وموقع الشوام فيه طيلة القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين، تاريخ تحرير الإرادة المصرية بقيام ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢. فقد اختارت حكومة محمد علي «تحديث» مصر على الطريقة الأوربية، خاصة النموذج الفرنسي، فكان لا بد من الخبراء الأجانب من جهة، ومن الاستعانة بمن يتقن اللغة الفرنسية أو الإنجليزية من جهة أخرى. الواقع أقوى وهو الذي يحدد دور القوى في تلك المرحلة وحاجة الإدارة المصرية إليهم في الكثير من جوانب الحياة الاقتصادية والإدارية والمهن الحرة. لقد برعوا في مجالات عديدة حتى وصلوا إلى السياسة والصحافة والفنون وسواها.

وعندما قررت الحكومة المصرية تقليص الاعتماد على الخبراء الأجانب، ولأن مصلحة مصر تقتضي الاعتماد على أبنائها بالدرجة الأولى، عمدت إلى إيفاد البعثات العلمية إلى الديار الأوربية. وإذا بأبناء الشوام في عداد هذه البعثات التي عاد أفرادها بعد أن نقلوا إلى مصر الكثير من معارف أوربا وخبرة علمائها وتقدّمها العلمي والفنيّ والصناعي فضلا عن سعي البلاد لإيجاد كفايتها المحلية من المعلّمين والقوّاد والمهندسين والقائمين على شئون العمران وإدارات الحكومة. كانت الدولة المصرية أسبق من باقي دول المشرق في إيفاد البعثات إلى دول أجنبية. كانت وجهتها في البداية إيطاليا ثم فرنسا وغيرها. «وعلى الرغم من أن محمد علي كان أميا فإنه قدر للعلم حق قدره وبعث هذه البعثات لتعليم المصريين ليضمن للبلاد استقلالها العلمي ويجنبها الحاجة إلى غير المصريين من الموظفين»[٣٠]. ومن البديهي القول إن حكومات مصر لم تعتبر أبناء الشوام من الأجانب بل من العرب ويعاملون تمامًا كأبناء الشعب المصري ولهم الحق في السفر إلى أوربا ضمن البعثات المرسلة للتخصص والعودة للعمل داخل مصر. وهذه ميزة أساسية لهجرة الشوام إلى مصر حيث لم يعامل أي من المهاجرين الآخرين بمثل هذه المعاملة الحسنة.

وكانت البعثة الأولى عام ١٨١٣، لدراسة الفنون العسكرية وبناء السفن وتعلم الهندسة. وكان من أفرادها نقولا مسابكي، من أصل شامي، الذي أرسل إلى روما وميلانو ليتعلم فن الطباعة وسبك الحروف وصنع قوالبها. وكان في عداد هذه البعثة والبعثات اللاحقة بعض الأرمن. وهناك كثير من الإشارات التي تدل على أن البعثات المصرية إلى الخارج لم تقتصر على المصريين بل على جميع سكان مصر من الجنسيات المختلفة التابعة للسلطنة العثمانية. يضاف إلى ذلك أن أبواب المعاهد العلمية المصرية من هندسة وطب وطباعة وسواها كانت مفتوحة أمام أبناء الشوام. وتخرج في مدرسة قصر العيني الطبية في القاهرة عدد وافر من السوريين واللبنانيين وزاولوا نشاطهم في مصر أو في المقاطعات التي هاجروا منها.

كان اهتمام محمد علي كبيرًا بإنشاء المدارس وتعليم الشعب وإقامة دولة حديثة تستند إلى العلم في الإدارة والجيش والاقتصاد والصناعة وغيرها. وكان لا بد من الترجمة في المرحلة الأولى بهدف الاطلاع على منجزات الأوربيين العلمية والأدبية والاستفادة منها في بناء الدولة المصرية. وفي عداد المترجمين البارزين إبان حكم

محمد علي الأستاذ أوجست سكاكيني وهو من أصل شامي، وكان من أبرز مترجمي الديوان العالي. وكان بوغوص بك الأرمني، مترجمًا بارزًا وأصبح وزيرًا للشئون الخارجية والتجارية «وكان محمد علي يستشيره في أهم مسائل الدولة ويطلق له الحرية التامة في تصريف كثير من الأمور، فاكتسب نفوذا عظيمًا»[٣١].

وكان الأب روفائيل الشامي، ويوسف فرعون من أبرز مترجمي الأعمال الطبية إلى اللغة العربية. وقد أصدر فرعون كتابًا بعنوان **غاية المرام في الأدوية والسقام**. أما الأب روفائيل فدخل مدرسة الطب في قصر العيني مترجمًا وكان الدكتور كلوت بك يطلق عليه في تقاريره الرسمية لقب دكتور. وبرز أيضًا يوحنا عنحوري الذي ترجم مؤلفات كثيرة عن الإيطالية والفرنسية إلى العربية.

وهناك أمثلة كثيرة على دخول الشوام في مختلف مجالات الترجمة ومدرسة الألسن والمهمات الإدارية التي تتطلب معرفة بلغة أجنبية أو أكثر. فكانت مرحلة حكم محمد علي فاتحة عهد لنفوذ واسع للشوام في هذا الحقل وحقول أخرى طيلة أكثر من مائة عام.

اتساع نفوذ الشوام في مصر إبان حكم خلفاء محمد علي وحتى الحرب العالمية الأولى

استمرت السياسة التي رسم خطوطها محمد علي وابنه إبراهيم في عهد خلفائهما من الأسرة الخديوية، وعلى الرغم من بعض القيود التي فرضها عباس الأول (١٨٤٨-١٨٥٤) ضد الأجانب واستغنائه عن عدد كبير منهم في إدارته فإن التغلغل الأجنبي في مصر بات من القوة بحيث أجبر الخديو على التراجع، وبدأ حكام مصر يفقدون بعض سلطتهم السياسية ويرتهن بعضهم مباشرة للقوى الاستعمارية الخارجية.

وكانت نتائج تدابير عباس الأول تناقض تمامًا الأهداف التي توخاها في إضعاف النفوذ الأجنبي. فقد أغلق المدرسة المصرية العسكرية واعتبر أن الحاجة إلى العلوم العسكرية لم تعد ملحة فصرف اهتمامه إلى إغلاق بعض المدارس التي فتحها محمد علي واكتفى ببعض البعثات الطبية العلمية[٣٢].

لكن الخديو سعيد (١٨٥٤-١٨٦٣) سرعان ما أعاد فتح المدارس التي أغلقها

عباس وأضاف إليها مدارس جديدة، فتوسعت حركة الترجمة وأنشئت أقلام تجارية باسم «مجالس التجار في الإسكندرية والقاهرة»، وأقلام خاصة بشئون القناصل[٣٣] ومن الإسراف في إغلاق المدارس وقطع الدورة الاقتصادية ـ الإنمائية التي أطلقها محمد علي إلى الإسراف في التبذير والاستدانة من البيوت المالية الأوربية والارتماء بأحضان الأجانب شهدت مصر اختلالًا سياسيًا واقتصاديًا حادًا في عهدي عباس الأول وسعيد كان من نتائجه ازدياد نفوذ الأجانب في مصر وتعزز سيطرتهم على مرافقها الحيوية، ولم يكن المهاجرون الشوام بعيدين عما يجري على الساحة المصرية بل انخرطوا في كثير من المشاريع الاقتصادية التي درت عليهم أموالًا طائلة، كذلك ساهموا في حركة الترجمة والتأليف والصحافة والإدارة، ورافقوا معظم البعثات التي أرسلتها الإدارة المصرية إلى الخارج وكانوا في الصفوف الأولى من خريجيها العائدين لتسلم مناصب هامة في الإدارة المصرية. وحددت اتجاهات التنمية المصرية في عهد محمد علي على قاعدة الارتباط الوثيق بالغرب الاستعماري. ولم تلبث استقلاليته النسبية في الفترة الأولى أن تحولت إلى تبعية شبه كاملة في عهود خلفائه خاصة إسماعيل وتوفيق.

نال إسماعيل تربية أوربية في فيينا وأتقن الفرنسية أكثر من إتقانه العربية، لذلك اهتم كثيرًا بتدريس اللغات الأجنبية. كان يردد في مجالسه الخاصة رغبته الملحة بتحويل مصر إلى قطعة من أوربا. وقد دمج مدرسة الألسن بمدرسة الإدارة فصارت تعرف لاحقًا بمدرسة الحقوق. وبسبب قلة عدد المدرسين الأجانب وكثرة عدد الطلاب وضخامة المشروع القاضي بتشجيع المصريين على تعلم اللغات الأجنبية، كان لا بد من الاستعانة بالمدرسين الشوام والمترجمين الذين تخرجوا على أيدي طلاب البعثات. يضاف إلى ذلك أن الإرساليات الدينية الأوربية وجدت تسهيلات كبيرة في فتح مدارس للبنين والبنات في عهد إسماعيل، بحيث بلغت نسبة كبيرة لم تعرفها في العهود السابقة أو اللاحقة. وبات هاجس إتقان لغة أجنبية أو أكثر يشغل بال عدد واسع من قطاعات الشعب المصري خاصة في مجال الصحافة، والأدب، وإدارة الأعمال، والمهن الحرة، وموظفي الدولة والشركات الخاصة، والمحلات التجارية، والبنوك، والقنصليات، والمحاكم المختلفة وسواهم. وقد عملت مدارس الإرساليات والبعثات الأجنبية على إعداد جيل كامل من أبناء المتنفذين ورجال

الأعمال والإدارة في مصر الذين انتشرت اللغات الأجنبية في أوساطهم بشكل واسع فباتوا يتكلمون بها في أحاديثهم المنزلية أكثر من مخاطبتهم بعضهم البعض باللغة العربية. وساهم في تعميق هذا المنحى انتشار الجاليات الأوربية بشكل واسع وتعدد جنسياتها وسعة نفوذها. وكانت نتيجة ذلك أن «استشرى نفوذ الجاليات الأجنبية في عهدي سعيد وإسماعيل بعد أن تضاءل في عهد عباس.وبلغ عدد الأجانب عام ١٨٧٩، حوالي مئة ألف أجنبي. فقد ازداد عددهم كثيرًا بعد فتح قناة السويس ومد السكك الحديدية، والأسلاك البرقية، وتوسع التجارة والصناعة والبنوك والشركات، وكثرة الدواوين والوظائف الحكومية. وازداد استعمال اللغات الأجنبية في البلاد والدواوين الحكومية خاصة، كذلك في القضاء والمحاكم المختلطة، وضرورة نقل القوانين الحديثة والنقل عن الصحافة الأجنبية»(٣٤).

«فاستشراء نفوذ الجاليات الأجنبية» الذي يتحدث عليه جاك تاجر، (أمين المكتبة الخاصة لجلالة الملك فاروق سليل الأسرة الخديوية)، في كتابه **حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر** الذي نال جائزة مجمع فؤاد الأول للغة العربية عام ١٩٤٥، تعبير عن واقع موضوعي استفاد منه الشوام في مصر دون أن يكونوا السبب المباشر لولادته واستمراره وكانت غالبية المترجمين في عهد إسماعيل من المصريين أولًا ثم الشوام، وستستمر هذه النسبة في العهود المتعاقبة على حكم مصر ولا تجوز المبالغة في تقدير دور الشوام الذين لم تتعد نسبتهم في البعثات والوظائف الإدارية الهامة في الترجمة حدًا يسمح بالقول إن حركة الترجمة في مصر قامت على أكتافهم، كذلك لا يجوز التقليل من دورهم في هذا المجال.

الإحصاء التفصيلي بعدد المترجمين كما أورده جاك تاجر يبرز أن الغالبية العظمى من المترجمين في عهد إسماعيل وفي العهود اللاحقة حتى الحرب العالمية الأولى كانت من المصريين. أما أبرز المترجمين الشوام الذين يشير إليهم جاك تاجر فهم في عهد إسماعيل(٣٥).

- بشارة شديد الذي ترجم رواية «الكونت دو مونت كريستو Conte de Monte Christo».

- حنين نعمة الخوري الذي ترجم كتاب «التحفة الأدبية في تاريخ تمدن الممالك الأوربية» للمؤرخ الفرنسي جيزيه (Guizet).

- عيسى ندّور وسعيد البستاني: مترجمان بقلم الإحصاء.
- سليمان سليمان: مترجم في القضاء.

وازدهرت الترجمة ازدهارًا كبيرًا في أواخر القرن التاسع عشر وتمثلت بترجمة التقارير السياسية والمالية والاقتصادية وغيرها، وبالترجمات المعدة للصحافة، والتراجم للطب والحقوق، وأدخلت الترجمة كمادة تدريس في المدارس الخاصة والرسمية، واشتدت المنافسة على تعليم اللغتين الفرنسية والإنجليزية بشكل خاص، واللغات الأخرى بشكل عام.

أما أبرز مترجمي هذه المرحلة(٣٦):

- الشيخ نجيب حداد، عمل صحافيًا في «الأهرام» حتى عام ١٨٩٤، ثم أنشأ جريدة «لسان العرب» بالإسكندرية. وله ترجمات كثيرة من روايات ومسرحيات وقصص.
- نجيب إبراهيم طراد، بيروتي المولد والنشأة. أتقن لغات كثيرة لا سيما الألمانية. حرر في عدة جرائد في بيروت والإسكندرية والقاهرة. ترجم عدة روايات ومارس التعليم في مدارس مختلفة ثم التحق بوظيفة حكومية.
- جورجي زيدان، حرر في جريدة «الزمان» رافق حملة النيل إلى السودان سنة ١٨٨٤. كان مترجمًا بقلم المخابرات في مصر له مساهمات كثيرة في حقول الترجمة والتأليف.
- أديب إسحق الدمشقي، أصدر جريدة «مصر» فعطلتها الحكومة المصرية. ثم سافر إلى باريس وعاد إلى مصر عام ١٨٨١، حيث تولى إدارة مكتب الترجمة والتحرير.
- فيليب جلاد بك، مترجم أول لمحافظة القناة. أصدر **قاموس الإدارة والقضاء** في ستة مجلدات باللغتين العربية والفرنسية وهو يشتمل على قوانين الحكومة المصرية وغيرها.
- نجيب غرغور، ترجم عدة روايات مطبوعة.
- صموئيل بنّي، ترجم رواية «استراتونكي».

- نسيب بدر، ترجم «بوليس لندن» للكاتب البريطاني كونت دويل.
- خالد الحمصي، ترجم رواية «ذات اليد الحمراء» التي طبعت مرتين في عام واحد.
- السيدة فريدة عطية، ترجمت «الدوقة النضيرة في أيام بومباي الأخيرة».
- ميشال جورجي عورا، ترجم «عجائب البخت» عن السريانية.
- سعيد عمّون، ترجم «الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية».
- خليل مطران، له ترجمات كثيرة في المسرح كما ترجم بالاشتراك مع حافظ إبراهيم «موجز في علم الاقتصاد» الذي صدر في خمسة أجزاء.
- نجيب أبكاريوس، ترجم «تاريخ الحوادث في السودان (١٨٨١-١٨٩٩)» وهو من تأليف المندوب البريطاني السير ونجت (Sir Wenget).

إن مقارنة بسيطة بين عدد المترجمين الشوام في مصر إبان حكم محمد علي وبين أعدادهم في العهود اللاحقة حتى الحرب العالمية الأولى تثبت بالملموس زيادة كبيرة جدًا في هذا المجال ناجمة عن ازدياد عدد المهاجرين الشوام في مصر إلى عدة أضعاف. وقد انخرط عدد كبير منهم في العمل التجاري، وعمل بعضهم في الصناعة، والمهن الحرة، والحرف، والزراعة، والوظائف الحكومية، والشركات الخاصة وغيرها. ولم تعد الهجرة تقتصر على دمياط التي تقلص نفوذها إلى حد كبير في نهاية القرن التاسع عشر بل اتسعت لتشمل الغالبية الساحقة من المدن المصرية، خاصة الكبيرة منها حيث حركة التجارة والرساميل والوظائف والمهن ذات المردود الهام.

ليست لدينا المعطيات الكافية لإبراز إحصائيات تفصيلية حول موقع الشوام في كل مدينة مصرية على حدة، كما أن الدقة العلمية تقتضي عدم الركون إلى الأرقام التقريبية التي تقدمها المراجع التي تناولت هذه المرحلة. لكن بعض الفرضيات التي انطلقنا منها تثبت مصداقيتها على أرض الواقع لجهة تأكيد الترابط الوثيق بين زيادة الرساميل الأجنبية العاملة في مصر وبالتالي زيادة هيمنة الأجانب على الاقتصاد المصري، وبين الدور المتزايد للشوام في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية في مصر. وتعتبر السنوات التي سبقت مباشرة احتلال البريطانيين لمصر عام ١٨٨٢

إثر ثورة أحمد عرابي وحتى الحرب العالمية الأولى أكثر المراحل أهمية في تاريخ هجرة الشوام في مصر إن لم نقل العصر الذهبي لهذه الهجرة من حيث العدد، والنفوذ، والتمدد الجغرافي، والبروز على كافة المستويات.

من دمياط إلى باقي المدن المصرية:

نموذج آل مشاقة(٣٧)

يوضح سجل عائلة آل مشاقة المشهورة التبادل التجاري بين دمياط والمناطق الشامية خاصة طرابلس ودير القمر وصور وعكا وغيرها في أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، يقول ميخائيل مشاقة: «نزح يوسف بركي اليوناني من مدينة كرفو إلى مدينة طرابلس الشام حيث اتخذ التجارة صناعة له في أرض الفيحاء. وكانت تجارته محصورة «بالمشاقة» لذلك لقب بيوسف مشاقة وكان ذا وجاهة ونشاط وتجارته كانت تعد عظيمة في ذلك العصر. وكان يملك سفينة شراعية ينقل عليها صادرات وادي النيل وأساكل سوريا على الإجمال ووارداتها. وكان يفضل الإقامة في مدينة طرابلس... ثم انتقل جرجس مشاقة من طرابلس بعد أن باع ما خلفه له والده فيها من العقار وقام ومعه مال وافر إلى صيدا مركز الولاية وتعاطى فيها تجارة التبغ. وكان يورد منه للقطر المصري كميات وافرة ويشتري حاصلات جبل عامل الواسعة من التبغ. ثم انتقل إلى صور لتسهيل سبل تجارته مثل التبغ والحبوب والأخشاب وتوفي فيها تاركًا إبراهيم وبشارة الذي هو جد عائلة مشاقة القاطنة الآن في الإسكندرية (١٩٠٨) وهي مؤلفة من بشارة وإلياس وأبناء يوسف بن بشارة وأولادهم».

ويضيف الدكتور مشاقة: «جاء جرجس مشاقة (الثاني) مفلسًا من عكا ونزل ضيفا على أولاد عمه شقائق (أشقاء) عقيلته في دمياط، وهم ميخائيل وروفائيل وبطرس عنحوري من كرام تجار دمياط وعمدها. ثم عاد إلى دير القمر واستقر فيها مع ولديه عام ١٧٨٦، وهما إبراهيم وأندراوس في حين انتقل شقيقه أنطون إلى دمياط حيث عمل في شركة بطرس عنحوري إلى أن توفي عام ١٨٢١، عن ٤٣ عامًا وخلف ثلاثة أولاد. وعمل جرجس مشاقة في خدمة الأمير بشير حتى وفاته سنة ١٨٣٢، فحل محله ولده أندراوس... وفي سنة ١٨١٤، جاء دير القمر التاجر الكبير بطرس عنحوري

الذي كان يهتم أيضا بعلم الفلك والتقى فيها بابن شقيقته ميخائيل المولود في رشميا ١٧٩٩. وفي سنة ١٨١٧، قدم ميخائيل إلى القطر المصري ونزل على أنسبائه عنحوري ودرس عليهم علومًا حديثة. وسنة ١٨٢٠، عاد ميخائيل إلى دير القمر وشرع في تجارة الأقمشة الحريرية حيث عاصر الاضطرابات الدامية التي انتهت بمقتل صديقه بشير جنبلاط. وبعد ١٨٣٣، أقام في دمشق وكان على علاقة وطيدة بالدكتور كلوت بك الذي أرسلته الحكومة المصرية ناظرًا على المجلس الصحي في دمشق، وأقامه شريف باشا رئيسًا على أطباء دمشق مدة استيلاء المصريين على سوريا، وفي سنة ١٨٤٥ قدم إلى الديار المصرية واجتمع بكلوت بك الذي ساعده على نيل الشهادة ثم نال شهادة الطب رسميًا أمام لجنة من جامعة باريس قدمت إلى القطر المصري لتلك الغاية. اعتنق المذهب البروتستانتي سنة ١٨٤٨، فلاقى اضطهادًا عنيفًا من البطريرك مكسيموس مظلوم. وقد عينته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قنصلًا لها في دمشق ثم استعفى. ترك ثلاثة أولاد هم ناصيف وإسكندر وسليم».

توضح هذه المعلومات جملة من الحقائق أهمها:

- سهولة الانتقال في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بين المناطق التي كانت خاضعة للسلطنة العثمانية. فقد انتقل جد الأسرة يوسف بركي اليوناني من مدينة كرفو إلى طرابلس الشام وتعاطى تجارة المشاقة أو الحرير فلقب بيوسف مشاقة.

- كانت علاقات وثيقة تربط الساحل السوري - اللبناني بمصر منذ القدم. لذلك نشطت تجارة يوسف مشاقة بين طرابلس الشام ومصر. وعندما انتقل ابنه جرجس مشاقة إلى صيدا ثم صور استمر في عمله التجاري الناشط بين هذه المنطقة ومصر أضاف إلى تجارته السابقة تجارة التبغ الذي كان يزرع بكثرة في جبل عامل، كذلك تجارة الحبوب التي يستوردها من حوران، وتجارة الأخشاب التي يستوردها من مناطق مختلفة من فلسطين وجبل لبنان.

- من كورفو اليونانية إلى طرابلس الشام، إلى صيدا وصور، إلى دمياط يستمر آل مشاقة في التفتيش عن الغنى والثروة بعد النكبات التي حلت بهم فغادر جرجس مشاقة الثاني عكا، مركز حكم الجزار، مفلسا وتوجه إلى أنسبائه آل عنحوري وهم من كبار تجار دمياط.

- لكن حرص جرجس مشاقة على إنشاء تجارة مستقلة عن أنسبائه، ومعرفته الدقيقة بالسلع التجارية المتوفرة في جبل لبنان والولايات السورية وفلسطين جعلته يعود سريعًا للاستقرار في دير القمر ليكون على مقربة من مصادر السلع التجارية الشامية المصدرة إلى مصر. أما شقيقه أنطون مشاقة فقد فضل الوظيفة لدى آل عنحوري في دمياط واستقر هناك. وهذه السمة تبرز لدى كثير من المهاجرين الشوام حيث يفضل بعضهم الاستمرار في المغامرة التجارية للوصول إلى الربح السريع في حين يختار البعض الآخر الاستقرار عبر الوظيفة الإدارية أو المهنة الحرة مكتفيًا بالراتب الذي يؤمن لهم الحياة الكريمة والتخلي عن أحلام جمع الثروة.

- توضح هذه السيرة أهمية العائلية ونسب القرابة في الترقي الاجتماعي والوظيفي والتجاري. فقد تعلم ميخائيل جرجس مشاقة، المولود في رشميا، بعد انتقاله إلى مصر وعلى نفقة أخواله آل عنحوري، وهم من كبار تجار دمياط. فنال شهادة الطب من قصر العيني في مصر ومن جامعة باريس ثم اعتنق البروتستانتية وعينته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية قنصلًا لها في دمشق. وعلى الرغم من أن الدكتور ميخائيل مشاقة في كتابه **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان** الصادر في مصر عام ١٩٠٨، يتحدث بالتفصيل عن «مجازر» حلت بالمسيحيين في دير القمر وراشيا وحاصبيا وزحلة ودمشق خلال أعوام (١٨٤٠-١٨٦٠) فإنه لا يربط بين تلك المجازر وبين زيادة الهجرة الجماعية إلى مصر. وفي ذلك دلالة على أن العامل الطائفي لم يكن فاعلًا في هجرة الشوام إلى مصر دون نكرانه بشكل تام ويجب الدمج بين الأسباب الاقتصادية، والترابط العائلي، وإمكانية الغنى السريع، وسهولة التنقل بين منطقة وأخرى آنذاك، وانفتاح مصر على حركة الرساميل الأجنبية التي كان للشوام دور بارز في تنشيطها، هذه العوامل وغيرها تشكل الركائز الأكثر متانة لتحليل أسباب هجرة الشوام إلى مصر في القرن التاسع عشر وإلى أوائل القرن العشرين.

ويلاحظ أخيرًا في سيرة آل مشاقة أن ذلك الجيل من أبناء المهاجرين الشوام في مصر بدأ يهتم أكثر فأكثر بالعلوم والآداب والفنون إلى جانب الاهتمام الواسع بالتجارة والصناعة والوظائف. كذلك بدأت تظهر تبدلات هامة في الدور السياسي للشوام في مصر. فمع الاحتفاظ بالوظيفة السياسية لدى الأجانب كقناصل وتراجمة ومساعدي قناصل فإن بعض مهاجري الشوام دخلوا في الحركة السياسية داخل

مصر نفسها وذلك عبر الصحافة، والأحزاب، والجمعيات، والنوادي وغيرها. ومع مطالع القرن العشرين بات للشوام دور بارز في الحياة السياسية المصرية كأعضاء في مجلس الشيوخ المصري، ومستشارين، وموظفين كبار، وأعضاء في أحزاب وجمعيات سياسية مصرية، بالإضافة إلى دورهم في رفد الحياة السياسية لبلاد الشام في مواجهة مشاريع التجزئة والانتدابات والوصاية والحماية. وقد شكلوا الكثير من الأحزاب والجمعيات والنوادي لهذه الغاية.

الشوام في القاهرة(٣٨)

ليست لدينا تواريخ دقيقة حول المهاجرين الأوائل الشوام إلى مدينة القاهرة لكن العلاقات التاريخية بين مناطق الشام والقاهرة قديمة جدًا وتعود للأسر الفرعونية القديمة. ومن المرجح أن هذه الهجرة بدأت تتكثف أكثر فأكثر في القرن الثامن عشر وخاصة في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد دل إحصاء ١٨٠٥، على وجود أسر شامية عديدة في مدينة القاهرة مع الإشارة إلى أن أسماء هذه الأسر تتردد أيضا في جميع المدن المصرية التي تواجد فيها الشوام. فقد افتتح هؤلاء محلات تجارية في المدن المصرية واستقدموا أنسباءهم إليها وتسلم أبناؤهم هذه المؤسسات من بعدهم. فكان من نتيجة ذلك أن أسماء العائلات الشامية تتردد في سجلات مختلف المدن المصرية ولا يلعب العامل الطائفي دورًا ملحوظًا في هذا المجال حيث تكون النسبة مبهمة في معظم الأحيان أي الانتساب إلى المدينة بيروتي، دمشقي، شامي، صوري، حمصي، حلبي...أو إلى قرية أو منطقة: كسرواني، دوماني، عانوتي، كوراني، عكاري، ديراني، ساحلي،... إلخ. أو إلى مهنة: صابونجي، شاشاني، خراط، حداد، نجار، خباز، بيطار...، إلخ أو إلى كنية أو لقب: طياح السوق، شيخ الحارة، عبد الرزاق، عورة، فرنجي،كشك، كعكاتي، كلداني، سرياني، كوسا،... إلخ.

تتوزع العائلات على جميع الطوائف الشامية، مسيحية في الغالب. وقد دل إحصاء ١٨٠٥، على وجود عائلات شامية كثيرة في مدينة القاهرة ويلاحظ تكرار الأسماء في باقي المدن المصرية.

أبرز تلك العائلات: أبيض، أسود، أصفر، أنكيري، بربر، بركات، برلام، بستاني،

بشارة، بغدادي، بولاد، بيروتي، بيطار، تاجر، ترزي، تلجة، تلحمة، توتل، جبارة، جبور، جبيلي، جمبلاط، جمّيل، حاج، حجار، حداد، حريري، حطب، حكيم، حلبي، حلاق، حماصني، حمصي، حموي، حوّا، خباز، خراط، خرياطي، خوري، خياط، خير، داية، دبّانه، دبوس، درزي، دمياطي، دهان، دوماني، ديب، دياب، راعي، رباط، رزق الله، رطل، زاخر، زاهر، زبال، زخّور، زريقة، زغيب، زكار، زلعوم، زنانيري، زهار، زيدان، سابا، ساعاتي، سبع، سركيس، سرور، سعد، سكاكيني، سكر، سلامة، سمنة، سوسة، سياج، سيده، سيور، شاتيلا، شاشاتي، شانيه، شام، شاهين، شادي، شبيب، شدياق، شربين، شراباتي، شعيب، شلبي، شليطا، شماس، شمعة، شوفاني، شيخ الحارة، صابات، صابوني، صادر، صالحة، صايغ، صباغ، صدقه، صراف، صليبي، صوايا، صيداوي، صيدح، صيدناوي، صيفي، صيقلي، طباخ، طرابلسي، طراد، طويل، طوراني، عازار، عبد الحي، عبد الرزاق، عبد المسيح، عبد المنعم، عبد النور، عبود، عبيد، عجم، عجمية، عجيل، عجيمي، عرقجي، عزيز، عسكري، عطا الله، عطية، عكاوي، عنتابلي، عنحوري، عودة، عورة، عيد، عيروط، عيساوي، غزال، غندور، غليونجي، فار، فارس، فتال، فخر، فرح، فرحات، فرج الله، فرزلي، فرعون، فرنجي، فرنسيس، فريج، فضول، فكاك، قاضي، قبرسي، قدسي، قزما، قصبجي، قصير، قطّاع، قطان، قطة، قمر، قمور، قندلفت، قهوجي، قواس، كبّة، كباية، كثير الغلبة، كحّالة، كحيل، كرباج، كرم، كرمه، كساب، كسار، كشك، كعكاتي، كلداني، كنعان، كوسا، لباد، لبوس، لطف الله، ليان، ماروني، مباردي، محفوظ، مخلّع، مدبر، مدوّر، مرشد، مرعب، مرقس، مزهر، مزين، مسابكي، مسدية، مسرة، مسرور، مسعد، مسك، مسكاوي، مسكاتي، مسلّم، مصابني، مصري، مصوّر، مطر، مطران، معتوق، مصري، معوشي، مفرّج، مقصود، مالطي، مملوك، منصور، مهنا، موصلّلي، ميلاد، نجار، نجم، نحاس، نسر، نشو، نصار، نصري، نصر الله، نصّور، نعمة، نقاش، نمر، هلال، هواويني، وردة، ورش، يازجي، يوسف، يونان.

تختصر هذه الأسماء، إلى حد بعيد، الغالبية الساحقة من العائلات اللبنانية والسورية التي ما زالت موجودة في هذين البلدين. واستنادًا إلى الإحصاء الذي حدد عدد الشوام في مصر بحوالي ثلاثة آلاف في مطالع حكم محمد علي فإن هذه النسبة كانت موزعة على عدد كبير من عائلات الشوام وفي ذلك تأكيد أن طابع الهجرة

كان فرديًا وليس جماعيًا. فكان قسم من العائلة، خاصة من الشبان، يهاجر إلى مصر وغيرها من البلدان، ويبقى قسم آخر مقيمًا في القرية أو المدينة حتى إذا تحسنت فرص النجاح أمام المهاجر استقدم أخاه أو بعض أقربائه وأنسبائه، أو هاجر إليه بعض أفراد عائلته وقريته ومنطقته طلبا للعمل وسعيًا وراء الربح السريع وعلى قاعدة هذه الأرقام الهامة جدًا في مطالع القرن التاسع عشر يمكن القول: إن أعداد المهاجرين بقيت على ازدياد مستمر طيلة هذا القرن وسنوات طويلة من القرن العشرين. هكذا وصل عدد الشوام إلى عشرات الآلاف في مصر وباقي المدن المصرية. وباتت نسبتهم، مضافة إلى أولادهم وأحفادهم تناهز المائة ألف مهاجر من جميع مناطق الشوام وطوائفها موزعين في مختلف أنحاء مصر وبينهم أسماء الغالبية الساحقة من عائلات سوريا ولبنان. كان من الطبيعي أن تبقى القاهرة مركز الاستقطاب الرئيسي لهؤلاء المهاجرين، سواء الوافدين حديثًا إلى مصر حيث فرص العمل والتجارة فيها كبيرة، أم المنتقلين إليها من مختلف الأرياف والمدن المصرية الأخرى. وعرفت مدينة القاهرة أحياء مشهورة باسم الشوام خاصة في منطقة الفجالة والظاهر والسكاكيني وسواها. في حين اقتصر وجودهم في باقي المدن المصرية على أعداد أقل واندمجوا في مختلف أنحائها مع ملاحظة أن بعض الساحات والشوارع في تلك المدن كانت تحمل إشارة واضحة إلى الشوام كساحة الشام في الإسكندرية وشوارع القدس وبيروت وحمص وسواها.

هجرة الشوام إلى الإسكندرية

كانت الإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر الميناء المصري الأكثر أهمية على المتوسط فكان من الطبيعي أن تتجه إليها أعداد وافرة من المهاجرين الشوام. وليست لدينا إحصائيات موثوقة عن المهاجرين الأوائل إلا أن سجلات الفرنسيسكان في هذه المدينة تؤكد على وجود مهاجرين موارنة هناك في النصف الأول من القرن الثامن عشر. فقد ورد في **تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري** ما يلي: «ترقى الهجرة المارونية إلى الإسكندرية إلى عام ١٧٤٩، حيث تذكر أسماء بعض العائلات مع لفظة ماروني أو مارونية إلى جانبها وذلك استنادًا إلى سجلات الآباء الفرنسيسكان في الإسكندرية»[٣٩]. وذلك يؤكد على ضعف الوجود الماروني في هذه المدينة ولم

تكن لهم، حتى ذلك الحين، كنيسة مستقلة وسجلات خاصة بهم. كما أن لفظة ماروني أو مارونية المشار إليها لا تثبت لبنانية المهاجر أو المهاجرة بل، على الأرجح، قدوم المهاجرين الأوائل من حلب كما في باقي المدن المصرية، خاصة دمياط.

وسيشهد القرن التاسع عشر هجرة كثيفة من المدن السورية واللبنانية إلى الإسكندرية حيث يصبح الشوام جالية غنية وذات نفوذ كبير في نهاية هذا القرن وفي النصف الأول من القرن العشرين.ودلت سجلات الوقف الماروني لعام ١٨٧٤، على أسماء أغنياء الموارنة في هذه المدينة وأبرزهم: حبيب باسط، خليل فارس، ميخائيل موسى، يوسف نعمة، إبراهيم فارس، حبيب عبد الله يزبك، فياض نصر، حاتم سجعان، أنطون إلياس العضم، إبراهيم خليل كساب، منصور فارس، إلياس عازار، جرجس نجم صوراتي شيخ الموارنة.

ثمة تبدلات جذرية بين مطالع القرن التاسع عشر ونهايته فيما يتعلق بالهجرة الشامية إلى مصر، ففي مطالع ذلك القرن كانت هجرة الشوام ما زالت تتجه نحو دمياط «أهم الثغور المصرية وأعظمها تجارة بل كانت أكبر من الإسكندرية شأنا يوم تسلم محمد علي الحكم» أما نهاية القرن التاسع عشر فقد شهدت انحطاط دمياط التجاري لصالح الإسكندرية التي أصبحت ميناء مصر الأول وبالتالي باتت مركز استقطاب كبير لهجرة الشوام والكثير من الأوربيين.

وقد أثبتنا في باب المصادر وجود سجلات كنسية لأبناء الطوائف المسيحية الشامية الذين هاجروا إلى مصر. وتنتظم هذه السجلات ابتداء من أواسط القرن التاسع عشر مع الإشارة إلى وجود أعداد هامة من المهاجرين قبل ذلك التاريخ. لكن أواسط ذلك القرن ستحمل اتساعًا كبيرًا في عدد المهاجرين الشوام إلى الإسكندرية بحيث إن أسماء المدونين منهم في سجلات الكنيسة المارونية بالإسكندرية دون سواها ستملأ ٤٨٠ صفحة من الحجم الكبير، وذلك خلال الفترة الممتدة من عام ١٨٤٤ حتى ١٩١٩. وستزداد أسماء العائلات تباعًا نظرًا لكثرة الأولاد والأحفاد منذ ذلك التاريخ حتى الهجرة المعكوسة من الإسكندرية إلى الخارج. كذلك تحمل سجلات الأرثوذكس والروم الكاثوليك والفرنسيسكان والأرمن وغيرهم أسماء عائلات كثيرة أشرنا إليها في باب المصادر. ودونت أسماء عائلات الشوام بأشكال مختلفة، إذ سجل بعضها باسم العائلة (كساب، رعد، ديب، إدّة، رزق الله... إلخ) أو بأسماء المناطق

التي قدموا منها (عكّاري، حلبي، طرابلسي، كسرواني، صيداوي، بيروتي، حمصي، شامي، مقدسي... إلخ). ونظرًا لكثرة التنقل التي تميز بها المهاجرون الشوام في مصر فإن إمكانية تقديم أرقام تقريبية بأعدادهم ليست سهلة المنال لكن يمكن التأكيد على وجود جالية كبيرة من مهاجري الشوام بالإسكندرية تبلغ عدة آلاف تتوزع على جميع الطوائف الموجودة في بلاد الشام، إنما بنسب متفاوتة بين طائفة وأخرى ومنطقة وأخرى. وكان لموقع الإسكندرية على شاطئ المتوسط كمحطة أساسية للانتقال البحري بين الساحل السوري ـ اللبناني وأوربا الأثر الكبير في اجتذاب مهاجري الشوام إليها. وهناك نماذج كثيرة على مهاجرين كانوا يرغبون السفر إلى أوربا أو أمريكا وعندما وصلوا إلى الإسكندرية فضلوا البقاء فيها. وعلى سبيل المثال لا الحصر هجرة الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر التي لم تكن مقررة إلى مصر فانتهت بالإسكندرية ثم انتقلا منها إلى القاهرة لإنشاء «المقتطف» ثم «المقطم».

الشوام في المنصورة(٤٠)

شكلت مدينة المنصورة أحد أهم مراكز الهجرة الشامية إلى مصر بعد القاهرة والإسكندرية، حيث تجمع فيها عدد كبير من السوريين واللبنانيين، وبشكل أكثر تحديدًا من مهاجري متصرفية جبل لبنان.

وأوضحت سجلات العماد والزواج والوفيات في المنصورة تزايد أعداد المهاجرين فيها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع الإشارة إلى وجود كثير من المهاجرين الشوام هناك منذ مطالع ذلك القرن. كانت أبرز عائلات اللبنانيين والسوريين في القرن التاسع عشر، كما وردت في سجلات المنصورة الكنسية، من آل عكاوي، وساعاتي، وسمنة، وخير، وخياط، وجاهل، ونحاس، وبيطار، ومباردي، ومنسّي، ومشاقة، ولباد، وكحيل. لكن الإحصاء الذي قام به الأب بولس قرألي لأبرز مهاجري هذه المدينة من اللبنانيين يشير إلى عائلات أخرى ذات نفوذ اقتصادي واسع وحصل أفرادها على ثقافة علمية متميزة وهم من آل الجميل، وصوصة، وصعب، وجريديني، وسماحة، وسرسق، وشويري، وبويز، وقسيس، وشديد، ومطر وغيرهم.

ولم يكن استقرار المهاجرين الشوام في مدينة واحدة بل يكثرون التنقل من مدينة إلى أخرى وفي أحيان كثيرة يبقى بعض أفراد الأسرة ويغادر البعض الآخر إلى مدن

أخرى لفتح فروع لتجارتهم أو القيام بتجارة جديدة. وهذا ما يفسر، جزئيًا، وجود الكثير من مهاجري الشوام ومن مختلف العائلات، في معظم أنحاء القطر المصري.

وعرفت الجالية السورية ـ اللبنانية نجاحًا في مدينة المنصورة لم تشهده في باقي المدن المصرية وذلك لعراقة هذه الهجرة إليها من جهة، وابتعاد باقي المهاجرين عنها من جهة أخرى إذ لم يلاحظ وجود جاليات كبيرة أوربية في هذه المدن. لذلك برزت الجالية السورية ـ اللبنانية بقوة، وعلى كافة المستويات، في مدينة المنصورة واحتكرت تجارتها والكثير من المهن الحرة فيها. ويلاحظ أنه مع قيام دولة لبنان الكبير بدأ فرز كبير بين المهاجرين الشوام إلى مصر وذلك على أساس سوري ـ لبناني من جهة، وعلى أساس طائفي داخل فئة لبناني من جهة أخرى. فكان للطائفية دور كبير في بروز فرق كشافة خاصة بكل طائفة، كما تأسست جمعيات خيرية لها منذ القرن التاسع عشر، دون أن تقتصر،ولفترة طويلة، على أعمال خيرية خاصة بأبناء الطائفة دون سواهم.

لقد غزت الطائفة اللبنانية المهاجرين الشوام في مصر بعد الحرب العالمية الأولى فتنظمت بعض الطوائف عبر تجمعات كبيرة لها مدارسها، وأنديتها، وكشّافها، وفرقها الموسيقية، وجمعياتها الخيرية وكانت هذه التجمعات إيذانًا بانقسام كبير في صفوف المهاجرين أنفسهم في الوقت الذي كانت تزداد فيه خشية المواطنين المصريين من الدور الذي يقوم به المهاجرون الأوربيون من نهب للاقتصاد المصري وإفقار للمصريين وسيطرة على التعليم والإدارة والصحافة والمهن الحرة في مصر.

وزاد في انقسام المهاجرين ما برز خلال هذه المرحلة من أحزاب ونواد طائفية تحتكر لنفسها «اللبنانية» من حيث هي دمج بطائفة معينة. فنشأت أحزاب ونواد أخرى مضادة لها وتناهض «الوطنية» اللبنانية من موقع طائفي آخر. أي أن ما حدث في لبنان إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين على هذا المستوى كان يجد له صدى كبيرًا من الفرز السياسي ـ الطائفي في دنيا الاغتراب، ومنها القطر المصري. وكانت النتيجة سلبية على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقادت إلى انقسام بين المهاجرين الشوام في مصر، وهذه المرحلة شديدة التعقيد في تاريخ الاغتراب اللبناني في مصر وليست لدينا المعطيات الكافية لدراستها من كافة جوانبها.

شذرات عن الشوام في طنطا، وبور سعيد، وسمنود، والإسماعيلية وباقي المدن المصرية[٤١]

لم يقتصر استقرار الشوام في مصر على دمياط والقاهرة والإسكندرية والمنصورة بل تعداها إلى جميع المدن المصرية خاصة في الوجه البحري والوجه القبلي ووصل بعضهم إلى الخرطوم وباقي المدن السودانية. والسجلات التي أشرنا إليها في باب المصادر تؤكد على وجود أعداد كبيرة من الشوام في هذه المدن حيث تأثروا هناك خاصة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وتضمنت سجلات العماد المحفوظة في كنيسة بور سعيد ٦١٤ حالة عماد للروم الكاثوليك وحدهم خلال أعوام (١٨٧٣-١٩٤٥)، وهي نسبة كبيرة من المهاجرين إذا ما فهمت على ضوء استقرار أفرادها وتزاوجهم وكثرة الإنجاب. وإذا ما جمعت أرقام المهاجرين من جميع الطوائف ودرست بدقة على ضوء تفرعاتها من الآباء إلى الأبناء فالأحفاد فأبنائهم لبلغت نسبة كبيرة من المهاجرين الشوام الذين تنقلوا بين مدن مصر أو غادرها البعض عائدًا إلى سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن بعد قيام هذه الدول إثر الحرب العالمية الأولى، أو تركوا مصر بحثا عن الثروة والنفوذ في بلدان جديدة للاغتراب. وتؤكد أسماء العائلات التي أشرنا إليها بالتفصيل في دراسة المصادر السمة العامة لهذه الهجرة التي انتشرت في معظم المناطق والطوائف والعائلات المتواجدة في سوريا ولبنان وفلسطين، وشملت أيضًا بعض أبناء الوافدين حديثًا إلى هذه الدول من أرمن وسريان وكلدان وآشوريين وغيرهم. ويبقى هاجس التجارة، والبحث عن الغنى، والعمل في وظائف الدولة والشركات الخاصة والمهن الحرة، من الأسباب الأساسية التي تفسر وجود نفس العائلات السورية واللبنانية في مختلف المدن المصرية. فالمهاجرون هم إخوة أو أقرباء أو أنسباء أو أبناء مناطق واحدة وينتشرون بحثًا عن الثروة.

وليست لدينا أرقام واضحة عن عدد أفراد الجالية السورية ـ اللبنانية في طنطا في مطالع القرن العشرين لكن الوقائع تؤكد غناها الكبير وتنوعها. فقد توزع أفرادها على مختلف أنواع التجارة، والصيرفة، والمقاولات، وتجارة الأراضي، وبناء المصانع والفنادق والمستشفيات الكبيرة، كما توزعوا على مختلف جوانب المهن الحرة كالطب والصيدلة والمحاماة وغيرها. والأرقام المقدمة حول الأفراد البارزين في

طنطا عام ١٩٢٥، تكاد تختصر السمات الأساسية للهجرة السورية ـ اللبنانية إلى مصر على الرغم من أن الأب بولس قرألي يقصر إحصاءه على أفراد الجالية من المسيحيين وذلك لأسباب عديدة منها رؤيته لهذه الهجرة من موقعه كرجل دين مسيحي من جهة، ولاندماج المهاجرين المسلمين الشوام في المجتمع المصري من جهة أخرى وبقليل من الجهد كان يمكن تقديم صورة أكثر دقة وشمولية عن المهاجرين الشوام إلى مصر، على اختلاف طوائفهم ومناطقهم. وكانت فرصة نادرة لتسجيل هذا الحدث التاريخي قبل توزع أفراده في بقاع كثيرة بعد سنوات من زيارة بولس قرألي إلى المدن المصرية ومقابلته المهاجرين فيها.

وفي إشارة إلى بعض عائلات الشوام في بور سعيد عام ١٩٢٦، يشير قرألي إلى إنشاء «النادي السوري في بور سعيد الذي يضم خيرة الشبان السوريين ويوحد قواهم في أهم الأعمال الخيرية والوطنية في هذا الثغر، وقد اجتمع أعضاء النادي في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦، وانتخبوا عزيز البيطار رئيسًا، وشكري طليماس نائبًا للرئيس، والدكتور وديع همام سكرتيرًا، وإيلي سعيد العرب أمينًا للصندوق»[٤٢].

هكذا تتشابه أسماء العائلات في مختلف مراحل هجرة الشوام إلى مصر وعلى امتداد المدن المصرية. وتبرز قلة منهم إلى رأس الهرم الاجتماعي على أساس الثروة والنفوذ والثقافة والوظائف والمهن الحرة فتدون أسماؤهم بطرق مختلفة عبر الصحافة والمؤلفات والمذكرات والرحالة. أما غالبية المهاجرين فتنمحي آثارهم ولا يتبقى لدينا عنهم سوى بعض السجلات الدينية والرسمية التى دونت تواريخ ولاداتهم وزواجهم ووفاتهم، وفي بعض الأحيان الأماكن التي هاجروا منها والوظائف الوضعية التي شغلوها. تلك ضريبة الفقر التي يدفعها المهاجر في بلده الأصلي وفي البلدان التي يهاجر إليها[٤٣].

نموذج أسرة شامية في طنطا

ما آل إليه مصير أسرة سمعان كرم[٤٤]

يبرز تاريخ أسرة سمعان حنا كرم الكثير من السمات الأساسية لدى مهاجري الشوام إلى مصر خلال ثلاثة أجيال متعاقبة. فالجد، سمعان كرم، كان تاجر أقطان ومزارعًا كبيرًا، انتقل من سوريا إلى طنطا للعمل في الزراعة والتجارة وكان على جانب

ضعيف من الثقافة. تميزت أسرته بكثرة الأولاد وهي السمة الغالبة للعائلة المشرقية العربية على اختلاف تلويناتها الطائفية حتى مطالع القرن العشرين. ولا يذكر إميل سمعان عائلة جدته لأبيه سوى أن اسمها الأول هو كاترين. ولا يذكر عماته الست إلا بكثير من الغموض والتشويش، وإن الوحيدة منهن الباقية على قيد الحياة هي ليندا حداد، زوجة أديب حداد وتسكن في بيروت. وليست لديه معلومات تفصيلية حول زواجهن سوى أنهن تزوجن من مسيحيين دون تفريق طائفي داخل طوائفهم ودون زواج من خارج الطوائف المسيحية.

أما الأعمام الخمسة فهم الدكتور جورج، والدكتور إدوار، والمهندس إلياس، والمغامر وليم الذي حارب مع الجيش الألماني في الهند الصينية، وإسكندر الذي لم يستقر على عمل معين. فأسرة سمعان حنا كرم من الذكور قد تكونت من ثلاثة أطباء، ومهندس، ومغامر، وعاطل عن العمل،وليس فيها من تعاطى التجارة. وهذا نموذج يكاد يكون نادرًا بين عائلات الشوام في مصر حيث كانت الأسرة تفرز دومًا واحدًا أو أكثر من أبنائها الذكور للعمل التجاري والمالي بحيث تتأمّن لها موارد ثابتة تساعدها على الوجاهة والعيش المترف.

يلاحظ في هذه الأسرة العزوف شبه الكامل عن الزواج. فالدكتور إدوار بقي عازبًا، والدكتور جورج مات منتحرًا، والعاطل عن العمل إسكندر بقي عازبًا، والمغامر وليم لم يتزوج، والمهندس إلياس تزوج ولم ينجب أولادًا. وحده الدكتور ميشال أنجب ذكرًا وأنثى، لكن ابنه إميل سمعان، الذي أجرينا معه المقابلة، بقي عازبًا حتى الآن وهو في سن التاسعة والخمسين.

وهذه أيضا سمة تكاد تكون فريدة لكنها تندرج في سياق التطور العام للأسرة الشامية المهاجرة إلى مصر. فمن كثرة الأولاد (١٢ ولدًا في حالة الجد سمعان كرم)، إلى ولدين (كما في حالة الأب ميشال سمعان)، إلى انعدام الأولاد (كما في حالة باقي أبنائه وحفيده الوحيد إميل). فالعائلة الشامية المهاجرة كانت تتقلص عددًا مع تزايد رفاهية أبنائها وتزايد صعوبات الزواج والمسئوليات العائلية وغيرها من أسباب اقتصادية واجتماعية ونفسية. لكن السمة الأساسية لهذه العائلة أنها باتت قليلة الإنجاب، وبنسبة كبيرة، عمّا كانت عليه قبل رحيلها إلى مصر.

أما هاجس التملك الزراعي الذي رافق الجيل الأول والثاني من المهاجرين فقد تضاءل لدى الجيل الثالث منهم فالجد سمعان كرم، كان يحب كثيرًا اقتناء الأراضي الزراعية إلى جانب العمل التجاري. وهي سمة لازمت الكثير من عائلات الشوام في طنطا آنذاك خاصة آل دهان، وآل فركوح الذين قدموا من حمص، وآل رباط الذين قدموا من حلب، وآل سعادة الذين قدموا من جبل لبنان وسواهم. وبلغت أملاك الجد سمعان كرم قرابة ستين فدانًا اشترى قسمًا منها وورث قسمًا آخر عن أهل زوجته اليونانية الذين كانت لهم أراض زراعية واسعة في طنطا وجوارها. وأدار الدكتور ميشال كرم هذه الأراضي بعد وفاة والده ورفض بيع أي شبر منها. ويعتقد إميل سمعان أن الأراضي الزراعية كانت حافزًا لاستقرار الأب ميشال في طنطا حتى آخر أيام حياته على الرغم من أن زوجته وابنه وابنته قد استقروا نهائيًا في القاهرة. لكن هاجس الاحتفاظ بالأرض الزراعية قد زال لدى الرعيل الثالث من المهاجرين الشوام في مصر. فباع إميل وناديا أملاكهما كلها أو ما تبقى منها بعد التأميم وبعد وفاة والدهما عام ١٩٧٢. فساكن المدينة، يقول إميل سمعان، لا يشعر بحنين الفلاح إلى الأرض لأنه غير مرتبط بها من حيث الإنتاج والزراعة والاستصلاح. يضاف إلى ذلك أنها أرض موروثة، أي سلعة تضاف إلى جملة موروثات الأهل.

ومن ذكريات إميل سمعان عن طنطا أن مدارسها الخاصة كانت على جانب كبير من التطور والشهرة خاصة كوليج مارلويس (Collège Saint-Louis) التي كان يديرها آباء البعثة الإفريقية ومركزها ليون الفرنسية (Les Pères de la Mission Africaine de Lyon) وهي مدرسة خاصة للصبيان على غرار مدارس الفرير (Les Frères)، ولها تاريخ عريق في مدينة طنطا. وقد اجتذبت الغالبية الساحقة من أبناء الميسورين في المدينة، وعلى رأسهم أبناء الجالية السورية ـ اللبنانية، والجالية اليونانية فيها.

وهناك أيضا مدرسة عريقة وذات شهرة في كل أرجاء مصر هي مدرسة طنطا للبنات وتعرف باسم المدرسة الأمريكية في طنطا (The American School of Tanta) وهي مدرسة خاصة بالبنات؛ كانت لها سمعة ممتازة بحيث اجتذبت البنات من الفئات الغنية والميسورة من طنطا ومن مدن مصرية أخرى لأن نظامها الداخلي سمح لها بتوسيع نفوذها خارج حدود طنطا. وكانت تنافسها مدرسة أخرى تدرس باللغة الفرنسية هي مدرسة سيدة الرسل (Notre-Dame des Apôtres) وشكلت المدرستان

مركزين للاستقطاب السياسي والثقافي في طنطا بين التيارين الفرنسي والإنجليزي في مصر وبات التنافس بينهما حادًا ويذكر بمثيله في مدارس لبنان.

ويؤكد إميل سمعان أن التزاوج كان داخليًا بين طوائف الشوام في مصر بصورة عامة، وفي طنطا بصورة خاصة، دون أن تكون هناك حواجز كبيرة بين أبناء الطوائف داخل الدين الواحد. وحتى الحرب العالمية الثانية بقي التزاوج بين مسلمي ومسيحيي الشوام في مصر ضيقًا ومحدودًا للغاية كما أن غالبية المهاجرين، على اختلاف طوائفهم، قد نالوا الجنسية المصرية في حين احتفظ قسم ضئيل منهم بالجنسيتين. المصرية واللبنانية معًا، ويشك إميل سمعان بوجود أسر من الشوام في طنطا حتى الآن لأن غالبيتهم الساحقة، لا بل كلهم، قد غادروها إلى القاهرة ومدن مصرية أخرى، أو إلى الخارج وفي حالة عائلة سمعان كرم فإن الدكتور إدوار، عم إميل سمعان، كان آخر من بقي من الأسرة في طنطا وتوفي فيها فانقطعت سيرة الجد سمعان كرم الذي وفد إلى طنطا باثني عشر ولدًا لم يبق منهم فيها ولد أو حفيد بعد مضي قرابة قرن كامل من الزمن. وتلك نهاية جديرة بالتأمل والدراسة.

بعض الاستنتاجات

يبرز تمدد الشوام من دمياط إلى مختلف المدن المصرية أن مصر فتحت ذراعيها لمهاجري الشوام دون أية قيود أو تضييقات. فلم تكن هنالك حواجز عرقية أو طائفية بل شكل الشوام عنصر تنشيط فاعل للاقتصاد المصري نظرًا للخبرة الواسعة التي تمتعوا بها وللّغات العديدة التي أتقنوها، بالإضافة إلى صلاتهم الوثيقة بالبنوك والرساميل الأجنبية.

وما لبث الشوام أن توزعوا على التيارات السياسية للبورجوازية المصرية نفسها. فمنهم من ارتبط بتبعية كاملة للبنوك والشركات الأجنبية وشكل أداة لها ضد الشعب المصري وقواه الوطنية، ومنهم من وقف إلى جانب البورجوازية الوطنية يدافع عن مصالح الشعب المصري في وجه الاحتكارات الأجنبية. ويمكن التأكيد أن أبناء الجيل الثاني والثالث من مهاجري الشوام إلى مصر كانوا، في غالبيتهم الساحقة، يحملون سمات الانقسام الاجتماعي المصري في النصف الأول من القرن العشرين. فباتوا أقرب إلى آمال وآلام الشعب المصري، بمختلف طبقاته وفئاته الاجتماعية، منهم

إلى المهاجرين الأوائل الذين يحلمون بالعودة السريعة إلى ديارهم بعد جمع ثروة كبيرة. فالمشاريع الاقتصادية والمالية والزراعية في مصر، والدور السياسي والثقافي والصحافي فيها، جعلت المهاجرين الشوام جزءًا لا يتجزأ من تركيبة المجتمع المصري ولا يجوز النظر إليها إلا على هذا الأساس.

لقد تدامجت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية لتدفع بالشوام في مصر إلى مرحلة الاستقرار النهائي على أرضها، فقد انعدمت الرغبة أو كادت لدى كثير من المهاجرين بالعودة إلى جبل لبنان المتصرفية حيث الموارد القليلة وإمكانيات التوظيف المالي شبه معدومة. وكانت مصر في فورة تبدلها الاقتصادي على طريق «العصرنة» واختيار النموذج الأوربي في الإدارة والمؤسسات والشركات والبنوك وغيرها. وكان دور الشوام كبيرًا جدًا في هذا المجال فبات من الصعب عليهم مغادرة مصر إلى أي مكان آخر لا يجدون فيه شروطًا أفضل لجمع الثروة. وعلى قاعدة هذا الاستقرار سيندمج أبناء الشوام في المرحلة اللاحقة التي امتدت من الحرب العالمية الأولى حتى قرارات التأميم.

ويشير بولس قرألي إلى الطائفية التي رافقت الهجرة الشامية في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ويلخصها كالتالي «أغلب طائفة الروم الأرثوذكس في طنطا من مهاجري حمص وأكثر الطائفة المارونية من أهل بكفيا وجوارها»[٤٥] فهجرة الشوام إلى المدن المصرية خلال هذه المرحلة تقترن بثلاث صفات متلازمة: العائلية، المناطقية، والطائفية. ويتم تراكم المهاجرين على هذا الأساس. فالمهاجر الأول يدعو أنسباءه الأقربين، وهم بالضرورة من أبناء بلدته وطائفته، ثم تتسع الدعوة للأقرباء والأصدقاء وهم أيضًا من أبناء قريته أو القرى المجاورة، ومن أبناء الطائفة نفسها. هكذا يتكاثر عدد المهاجرين ويسكنون في بلد المهجر ضمن أحياء معينة أو يسكنون مناطق متباعدة لكنهم يقيمون علاقات اجتماعية وطائفية متداخلة كما لو كانوا في القرية التي انطلقوا منها. فالأعياد، والحفلات الدينية، ومراسم الزواج، والوفاة، والولادة، والخطوبة وغيرها من المناسبات الهامة للقاءات دورية تضم عددًا كبيرًا من أبناء الجالية المهاجرة.

وعلى الرغم من هذه السمة الأساسية فإن المجتمع المصري، بما عرف به خلال هذه المرحلة من انفتاح طائفي وسياسي واجتماعي ونبذ حركات التعصب الديني

جعل المهاجرين الشوام فئة متمايزة على أساس الغنى والجاه والارتباط بالمصالح الأوربية وليس على أساس تمايز الطوائف. فكانوا أقرب إلى الوحدة المتنوعة الطوائف والمناطق والعائلات منهم إلى التقوقع القائم في الوطن الأم، أي تشكلوا كجالية مهاجرة على نمط الجاليات الأوربية الأخرى، إيطالية أو يونانية أو فرنسية أو إنجليزية... وليس كطوائف لبنانية أو سورية أو فلسطينية مهاجرة إلى مصر. وهذا ما يشير إليه قرألي بقوله: «تمتاز الجالية السورية في طنطا عن سواها بروح الألفة والتفاهم الذي يربط جميع أعضائها على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم. وقد ألفوا جمعية خيرية ذات فرعين للسيدات والرجال ضمت جميع أفراد الجالية السورية». لكن تعبير «عن سواها» بقي مبهما دون أن تتحدد به أية جالية أخرى مهاجرة إلى مصر ونميل إلى تحميله معنى التمايز الاقتصادي والثقافي وليس التمايز الطائفي.

لقد عرف المجتمع المصري، كيف يدمج المهاجرين ويصهرهم في بوتقة الحياة المصرية. وكان ذلك الاندماج مصدر مرارة كبيرة للأب قرألي الذي سجل انطباعه العام عند زيارته لمدينة المنصورة بقوله: «المنصورة عاصمة الدقهلية وأكبر مركز تجاري في الوجه البحري... وشبكة صادت الآلاف من المسيحيين الغربيين واللبنانيين فتحولوا مع الوقت إلى وطنيين».

تنبع هذه المرارة من الرؤية الطائفية لدور المهاجرين في مصر. فالعين الطائفية لا ترى المهاجر سوى أداة امتصاص للثروة في بلد الاغتراب وضخها إلى موطنه الأصلي بحيث تزداد ثروة الطائفة على حساب فقر بلدان الاغتراب ونفاد طاقاتها ومواردها فينتقل المهاجرون إلى مناطق جديدة وهكذا دواليك. أما أن يستقر المهاجر في البلد الذي احتضنه، وعاش بين أهله وقدم له كل إمكانيات النجاح والشهرة والثروة فذلك ما ترفضه الرؤية الطائفية أو العرقية أو الشوفينية لدور المغتربين. لقد كانت الدعوة إلى الربح السريع ونقل الثروة إلى الخارج وراء الحقد الدفين الذي اختزنه مواطنو بلدان الاغتراب ضد المهاجرين، على اختلاف جنسياتهم وطوائفهم. وتفجر ذلك الحقد مرارًا في أحداث اجتماعية صاخبة رافقها حرق وتدمير ونهب وقتل طالت المهاجرين في مختلف بقاع الاغتراب. ورافق رد الأهالي بعض الأساليب العنيفة الدموية التي لا تلغي المبدأ الأساسي السليم الذي تنطلق منه، أي الشعور الوطني لدى جماهير بلدان الاغتراب التي تشاهد بأم عينها كيف تنهب ثرواتها ومواردها

الطبيعية وتوظف في مشاريع غير منتجة تساعد في استعباد هذه الجماهير في الداخل، أو تنقل إلى الخارج فتساهم في رخاء بلدان أخرى وتزيد في غناها وتفوقها وقدرتها على الاستمرار في قمع البلدان المتخلفة وإفقارها المتواصل. ولا تفسر الأحداث الدامية ضد بعض أغنياء المهاجرين إلا بالربط الوثيق بينهم وبين الطبقة الحاكمة في بلدان الاغتراب والتي تشارك في قمع جماهيرها بالذات وتسهل لأغنياء المهاجرين نهب موارد بلدانها، وذلك عبر أشكال متنوعة من الشراكة والحماية والقوانين التي تضمن التوظيف والفوائد والديون وغيرها. وليس في تاريخ الاغتراب ما يدل على أن انتفاضة جماهيرها كانت تتوجه بالعنف ضد فقراء المهاجرين أو تعتدي عليهم بل ضد الأغنياء منهم، وفي ذلك الموقف دلالة اجتماعية واضحة. وكثيرًا ما تقف فئات حاكمة وراء مثل هذه الانتفاضات وتدعمها بالسر لتزيد في ثروة البورجوازية المحلية على حساب البورجوازية المترحلة أو المهاجرة.

الحواشي

(١) هناك مراجع كثيرة تحدثت عن الهجرة بشكل عام فنشير هنا إلى بعضها:

- أنيس نصر، **النبوغ اللبناني في القرن العشرين**، الجزء الأول، حلب، ١٩٣٨، ٣٦٣ صفحة.
- يوسف أسعد داغر، **المهاجرة في لبنان: بعض ما قيل فيها وما جاء عنها في الأدب العربي الحديث**، منشورات مجلة الرسالة المخلِّصية، صيدًا ـ لبنان، لا تاريخ.
- يوسف ضاهر، «السوريون في البرازيل»، مقالة منشورة في **مجلة المشرق**، السنة الأولى، العدد ٢٤، كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٨، ص (١١٠٥-١١١٢).
- علي عطار، «مؤتمر المهاجرة في آيار (مايو) ١٩٢٤»، **مجلة المقتطف**، العدد ٦٥-١٩٢٤.
- أنطون الجميل، «تاريخ المهاجرة وأسبابها»، **مجلة الزهور**، السنة الأولى، العدد الأول، القاهرة، ص ٤٤٤ وما يليها.
- سعيد أبو جمرة، «أثر المهاجرين السوريين في النهضة الشرقية». **مجلة المقتطف**، مجلد ٧١، ص ٣٠ ـ ٣٥.
- بيلي وايندر، «اللبنانيون في إفريقيا الغربية»، **مجلة الأبحاث**، تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة ١٧، الجزء الثاني، حزيران (يونيو) ١٩٦٤، ص (١٦٦-٢١٣).
- أدمون خليل سعادة، **لبنان في العالم**، بيروت، ١٩٥٢، ٨٨ صفحة.
- «لبنان والمغتربون»، عدد خاص، أصدرته **مجلة الرسالة المخلصية**، بمناسبة مؤتمر المغتربين بيروت، ١٩٥٩.
- لحد خاطر، **اللبنانيون في المهجر ـ مذكرات لشاهد عيان أوفدته إليهم البطريركية المارونية**، منشورات مجلة رسالة السلام، بيروت، (١٩٥٠، ١٩٥١) ـ ١٥٧ صفحة.
- سلوم مكرزل، **تاريخ التجارة السورية في المهاجر الأمريكية**، مع مقدمة بقلم فيليب حتى، نيويورك، ١٩٢٠، ١٩٢١.
- إدوار غرة، «لبنان المغترب ودوره في النهضة اللبنانية الحديثة»، محاضرة ألقاها مدير المغتربين، في وزارة الخارجية، السفير إدوار غرة، بتاريخ ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٥، ونشرت في **محاضرات الندوة اللبنانية**، السنة التاسعة عشرة، النشرة الثالثة، ١٩٦٥.
- كامل مروة، **نحن في إفريقيا، الهجرة اللبنانية السورية إلى إفريقية الغربية: ماضيها حاضرها ـ مستقبلها**، بيروت ١٩٣٩. وقد نشرت مجلة المشرق دراسة حول الكتاب في عددها الصادر في المجلد ٣٧، الجزء الأول، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٣٩، ص ٧٠-٨٠.

ـ المحامي ميشال شبلي، **المهاجرة اللبنانية: بحث علمي اجتماعي اقتصادي**، بيروت، ١٩٢٧، ٧٩ صفحة، مجلة الأرز المصرية، عدد خاص عن الهجرة اللبنانية وفيه بحث هام بعنوان «المغتربون اللبنانيون»، السنة الثالثة عشرة، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٦، القاهرة، ٨٢ صفحة.

ـ فيليب حتى، «السوريون في الولايات المتحدة»، مجموعة مقالات نشرت في **مجلة المقتطف**، أعداد شباط (فبراير) وآذار (مارس) ١٩٢٢، مقالة «المهاجرون السوريون في الولايات المتحدة، نشرت في **مجلة الهلال**، السنة ٢٨، العددان ١ و٢، ١٩١٩.

ـ محمد كفافي، «العرب في المهجر الشمالي: مقدمة لدراسة الأدب المهجري»، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٧، مستل من **مجلة كلية الآداب**، الجزء الثاني، المجلد السابع عشر، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٥، ص ٨١-١٤٧.

(٢) حول الترابط التاريخي بين مصر والساحل السوري ـ اللبناني نشير إلى بعض المراجع:

ـ الأب بوليس قرألي، **السوريون في مصر**، الجزء الأول: عهد المماليك ـ القسم الأول: علاقات سوريا ومصر من أول التاريخ إلى محمد علي، المطبعة السورية، القاهرة، ١٩٢٨.

ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، «العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الولايات العربية إبان العصر العثماني ١٥١٧-١٧٨٩»، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، جامعة الكويت، المجلد الثالث، العدد التاسع، شتاء ١٩٨٣، صفحات ١١ ـ ٤٦.

ـ عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر ـ من الفتح العثماني إلى حملة نابوليون بونابرت (١٥١٦-١٧٩٨)**، طبعة ثانية، دمشق، ١٩٦٨.

ـ **مجلة المشرق**، «تصدير الثمار السورية إلى مصر»، المجلد ٢٧، العدد الرابع، نيسان (إبريل) ١٩٢٩، ص ٣٠٥.

ـ حافظ إبراهيم، «السوري في مصر»، مقالة منشورة في **المجلة السورية**، السنة الثالثة، الجزء الأول الصادر في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨.

ـ أنطون الجميل، «الطائفة (المارونية) في مصر»، خطاب ألقي في جمعية المساعي الخيرية المارونية في ١٠ شباط (فبراير) ١٩١٨، وخطاب آخر بعنوان «مارون أبو الطائفة»، ألقي أيضا في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٢٢ ونشرا معًا في كراس صادر عن الجمعية في ٢٠ صفحة، عام ١٩٢٣.

ـ سلمان سعد، «المهاجرة»، مقالة منشورة في **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، كانون الثاني (يناير) ـ شباط (فبراير) ١٩٣١، صفحات ٧٥٢ ـ ٧٦١.

(٣) الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل، **كتاب اليوبيل القرني الثاني (١٧٤٥-١٩٤٥)**، مقدمة، صفحات د وهـ.

(٤) نقولا يوسف، **تاريخ دمياط منذ أقدم العصور**. وقد استندنا إليه لرسم صورة عمّا كتبه الرحّالة الأجانب حول مدينة دمياط. تراجع صفحات ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٨.

(٥) نقولا يوسف **المرجع السابق**، استشهادات مستلة من صفحات ٣٣٦، ٣٣٧، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٩٩، ٣٠٩.

(٦) الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل، **كتاب اليوبيل**...، استشهادات مستلة من «مذكرات الأب أنطون مارون الحلبي اللبناني»، صفحات (٩٦-١٠٤). وهي مذكرات منشورة في **كتاب اليوبيل**... صفحات (٦٤-١٧٠).

(٧) القس بطرس الخوري، **تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري**، ص ٧٩.
(٨) نقولا يوسف، **تاريخ دمياط...**، صفحات ٢٤٥-٢٤٧ - و٢٦٣ و٢٧٤ و٢٩٣.
(٩) Jean COUPIER, Le Bouclier de l' Europe, Paris, 1686, PP. 216 - 217
نص منشور في **كتاب اليوبيل...**، مرجع سابق، ص ٨، ٩ مع معلومات إضافية ص (١٠-١٤).
(١٠) القس بطرس خوري، **تاريخ الرسالة المارونية...**، ص (١٠-١٤).
(١١) الاستشهادات الواردة في هذا المقطع حول «حي النصارى في دمياط» مستلة من كتاب نقولا يوسف، **تاريخ دمياط...**، ص (٢٩٥-٣٠١).
(١٢) «زجلية لأحد أبناء دير القمر»، نشرها وعلق عليها عيسى إسكندر المعلوف في **مجلة المشرق**، المجلد ١٨، العدد الخامس الصادر في آيار (مايو) ١٩٢٠، ص (٣٣٨-٣٤٨). وفيها معلومات قيمة حول المجاعة التي حلت بسكان مناطق عديدة في بلاد الشام خلال هذه المرحلة في أواخر القرن الثامن عشر.
(١٣) الشيخ سلوم الدحداح، «رحلة الأمير بشير الأولى إلى مصر»، نشرها وعلق عليها الشيخ سليم الدحداح في **مجلة المشرق**، المجلد ١٨، نشرت على ثلاث حلقات في أعداد ٩، ١٠، ١١ لعام ١٩٢٠، ص ٦٩١ وما يليها.
(١٤) أدمون بليبل، **تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أسرها**، ص ٢٢.
(١٥) المرجع السابق، ص ٢٥.
(١٦) نسجت روايات كثيرة حول طائفية الأمير بشير الشهابي الثاني. وقد تناولت بعض الأقلام هذا الموضوع من زوايا مختلفة استنادًا إلى مقولة يؤمن بها عدد كبير من المؤرخين الطائفيين في لبنان والتي تفسر سلوك الحاكم استنادًا إلى طائفيته وليس إلى موقعه الطبقي وما يمثله من قوى اجتماعية ذات مصلحة في الصراع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الدائر في الإمارة اللبنانية وما يجاورها من ولايات. حول هذه النقطة تراجع أعداد مجلة **أوراق لبنانية** التي نشرها يوسف إبراهيم يزبك وبشكل خاص المواضيع التالية:
«بشير الشهابي في الساعات الأخيرة من حكمه»، المجلد الأول، الجزء الثاني عشر، ص (٥٦٣-٥٦٦).
«حول دين أبي سعدى»، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٨٢
«نطلب أسانيد تثبت دين الأمير بشير في الحكم»، المجلد الثاني، الجزء السادس، ص (٢٧٧-٢٧٩).
«حكام جبل لبنان، على الحقيقة، لا دروز ولا موارنة»، المجلد الثاني، الجزء السابع، ص (٣٤٤-٣٥٠).
«دين الأمير بشير في أيام حكمه»، المجلد الثاني، الجزء الثامن، ص (٣٧٦-٣٨١).
«ماذا كان دين الأمير بشير في الحكم؟»، المجلد الثاني، الجزء التاسع، ص ٤٣٥.
«دين الأمير بشير في الحكم»، المجلد الثاني، الجزء العاشر، ص (٤٨٩-٤٩٢).
«وثيقة خطيرة في الفاتيكان عن دين الأمير بشير»، المجلد الثاني، الجزء الثاني عشر، ص (٥٦٤-٥٦٨).
«وفاة الأمير قاسم في المنفى متمسكا بدينه»، المجلد الثالث، الجزء التاسع، ص (٤٠٩-٤١٦).
(١٧) القس بطرس الخوري، **تاريخ الرسالة...**، ص (١١٤، ١١٥).

(١٨) محمد كرد علي، «الحكومة المصرية في الشام»، محاضرة ألقيت في القاهرة في ٥ شباط (فبراير) ١٩٢٥، ونشرت في المجلد الأول من **مجلة الزهراء** وأصدرتها المطبعة السلفية بمصر في ٥٢ صفحة، وهناك مقاطع كاملة نقلها محمد كرد علي عن تقرير قنصل بريطانيا في دمشق المستر برانت (Brandt) إلى سفير دولته في الآستانة عام ١٨٥٨.

(١٩) للتوسع في هذا الموضع يراجع الكتاب المهم: أسد رستم، **بشير بين السلطان والعزيز** (١٨٠٤-١٨٤١)، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٦، جزءان في ٢٥٣ صفحة.

(٢٠) **كتاب اليوبيل**...، مرجع سابق، مقدمة صفحة ز.

(٢١) أدمون بليبل، **تقويم بكفيا**...، ص (٢٨، ٢٩).

(٢٢) محمد كرد علي، **الحكومة المصرية في الشام**، ص (٣٧-٣٩).

(٢٣) للتوسع في هذا الجانب يراجع كتابنا **الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية** (١٦٩٧-١٨٦١) خاصة العناوين التالية: «أثر الحكم المصري في تفكيك نظام الملل العثماني في سوريا»، ص (٣٠٤-٣٠٧) و«بعض ما أدخله الحكم المصري في البنية السياسية. والإدارية داخل مقاطعات الإمارة»، ص (٤١٦-٤٢١).

(٢٤) عمر أبو النصر، **سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر**، مطبعة طبارة، بيروت، ١٩٢٩، ص ٣٨، ٣٩، ٤٨.

(٢٥) حلمي محروس إسماعيل، **دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر**، رسالة دكتوراه في التاريخ أعدت بإشراف الدكتور محمد أنيس، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، كلية الآداب، غير منشورة، ١٩٧٧، ص ٥، ٦.

(٢٦) نقلًا عن كتاب (CLOT BEY, Aperçu général sut l'Égypte, t. II, p.! 45) حلمي إسماعيل، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٢٧) مقابلة مع الدكتور محمد أسعد سلهب، بيروت، ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٨٤.

(٢٨) حلمي محروس إسماعيل، **دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر**...، استشهادات مستلة من صفحات ١٧٦، ١٧٧، ١٨١.

(٢٩) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٣٠) زكي صالح ومحمود مرسي، **البعثات العلمية في القرن التاسع عشر**، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٩، ص (٩، ١١).

(٣١) حول الترجمة والتراجمة في هذه المرحلة استندنا إلى الكتاب المهم:جاك تاجر، **حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر**، دار المعارف بمصر، ١٩٤٥، ص ١٨، ٢٤، ٥٨.

(٣٢) زكي صالح ومحمود مرسي، **البعثات العلمية**...، ص ١٠٠.

(٣٣) جاك تاجر، **المرجع سابق**، ص (٧٨-٧٩).

(٣٤) المرجع السابق، ص ٩٣.

(٣٥) المرجع السابق، ص (١٠٨، ١٠٩).

(٣٦) المرجع السابق، ص (١٢٨-١٣٣).

(٣٧) ميخائيل مشاقة، **مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان**، منشأة ملحم خليل عبدو وأندراوس حنا شخاشيري جمع الدكتور ميخائيل مشاقة، طبع بمصر سنة ١٩٠٨ في ٢٠٠ صفحة، تراجع صفحات ٥ - ٧، ١١.

(٣٨) الأب بولس قرألي، **السوريون في مصر**، مرجع سابق، صفحات (٢٠-٢٧).
(٣٩) القس بطرس الخوري، **تاريخ الرسالة المارونية...**، ص (٢٤٤، ٢٤٧).
(٤٠) يراجع الملحق رقم ١٤ حول هجرة الشوام إلى المنصورة ومشاهيرهم استنادًا إلى مشاهدات الأب بولس قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى، الجزء الثالث، الصادر في آذار (مارس) ١٩٢٦، ص ٢٠٤، ٢٠٥.
(٤١) يراجع الملحق رقم ١٥ حول هجرة الشوام إلى طنطا ومن اشتهر منهم استنادًا إلى مشاهدات الأب بولس قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى، العدد الرابع، الصادر في نيسان (إبريل) ١٩٢٦، ص (١٩٩-٢٠٦).
(٤٢) الأب بولس قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى، العدد الثاني، شباط (فبراير) ١٩٢٦، ص ١٢٤.
(٤٣) يقدم الأستاذ عوض شعبان في روايته «الآفاق البعيدة» نموذجًا بالغ الدلالة حول مصير المهاجرين الفقراء في بلد الاغتراب الأميركي، دار النهار، بيروت، ١٩٧٩، ٢٦٥ صفحة.
(٤٤) **مقابلة مع الأستاذ إميل سمعان كرم**، حفيد جورجي زيدان،ومدير الشئون الخارجية في دار «الهلال» القاهرة في ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

آل كرم أسرة أرثوذكسية تحولت إلى البروتستانتية في القرن التاسع عشر، وتعود بجذورها إلى قرية «السودا» قرب اللاذقية. هاجر الجد سمعان حنا كرم إلى طنطا حيث عمل مزارعًا وتاجرًا للأقطان وكانت هجرته الأولى إلى طرابلس الشام ومنها إلى طنطا بحرًا ولما يزل آنذاك بسن الثانية عشرة من عمره. كان فقير الحال وقد عمل كثيرًا حتى أصاب ثروة هامة وتزوج من يونانية أرثوذكسية مولودة في مصر ورزق اثني عشر ولدًا منهم ستة ذكور لم يتعاط أي منهم العمل التجاري، أحدهم الدكتور ميشال سمعان، والد إميل سمعان، وذلك على الطريقة المصرية باختصار العائلة على اسم الأب أو الجد.

ولد ميشال في طنطا عام ١٨٨٤، وبقي فيها حتى وافته المنية عن عمر يبلغ ٨٨ سنة. تعلم في مدارس طنطا الخاصة ثم في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن الواضح أن هناك علاقة معينة بين تلقي العلم في الجامعة الأمريكية في بيروت والانتماء إلى البروتستانتية في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وظاهرة ميشال سمعان ليست فريدة في هذا المجال، فهنالك نماذج أخرى تؤكد دور المبشرين البروتستانت خاصة الكلية السورية الإنجيلية. عاد ميشال **سمعان** إلى طنطا لمزاولة مهنة الطب وبقي فيها مدى الحياة. تزوج من أسماء جورجي زيدان ورزق منها صبيًا، إميل، وفتاة، ناديا، وسكنت الأم مع ولديها في القاهرة حيث أكمل الولدان تحصيلهما العلمي. ولدت ناديا في طنطا عام ١٩٢١، وتلقت علومها في مدرسة القلب الأقدس (Sacrté-Coeur)فيها. لم تكمل دراستها الجامعية بل تزوجت من الدكتور نشأت عبد الله، أرثوذكسي الأصل ومن مهاجري دمشق أتقنت العربية والفرنسية والإنجليزية. عملت في دار الهلال سنوات طويلة، ورأست تحرير مجلتي «سمير» و«ميكي». تسكن الآن في لندن وتعمل في حقل النشر والترجمة.

إميل سمعان من مواليد الإسكندرية عام ١٩٢٥، حيث كانت تصطاف العائلة. تلقى علومه الأولى في مدارس طنطا ثم انتقل مع والدته وشقيقته ناديا إلى القاهرة عام ١٩٣٣، في حين استمر الوالد يزاول الطب في طنطا ويزور العائلة باستمرار. تلقى إميل دراسته الابتدائية لدى الآباء اليسوعيين والدراسة الثانوية في مدارسهم بالقاهرة حيث نال البكالوريا المصرية. يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. نال

شهادة (B.A) في الصحافة من الجامعة الأمريكية في القاهرة وكان موضوع دراسته عن جده بعنوان **شخصية جورجي زيدان من خلال وثائقه** وذلك عام ١٩٤٧. دخل دار الهلال عام ١٩٤٨ في سكرتاريا التحرير حيث كان إميل زيدان، (ابن جورجي زيدان)، رئيسًا للتحرير حتى تأميم دار الهلال في آيار (مايو) ١٩٦٠. بعد أربع سنوات من العمل في «الهلال» غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن نال منحة من «جمعية أصدقاء الشرق الأوسط» لدراسة أوضاع الفلسطينيين من خلال معايشتهم على أرض الواقع. وبعد أشهر أمضاها مع اللاجئين الفلسطينيين أصدر إميل سمعان بحثه الذي طبع في الولايات المتحدة الأمريكية بعنوان **اللاجئون العرب بعد خمس سنوات** (The Arab Refugies after five years) والمقصود بذلك خمس سنوات من عمر نكبة فلسطين لكنه ما لبث أن عاد إلى دار الهلال للعمل في مجلة «المصور» وتوصل إلى رئاسة تحريرها. وهو الآن، ومنذ عام ١٩٨٠، مدير الشئون الخارجية في دار الهلال، ولا يزال عازبًا. لم يعايش جده جورجي زيدان الذي توفي عام ١٩١٤، أي سنوات طويلة قبل ولادته، لكن والدته، أسماء، كانت تروي له باستمرار ذكريات حميمة عن كفاح جده، وقدرته الفائقة على العمل، وتمسكه الشديد بالتراث العربي والإسلامي، ورفض فكرة تغريب المسيحيين، على جميع طوائفهم، عن محيطهم العربي الذي يحيون فيه.

(٤٥) الأب بولس قرألي «الجاليات السورية في القطر المصري» **المجلة السورية** السنة الأولى، الجزء الرابع، الصادر في ١٥ نيسان (إبريل) ١٩٢٦، ص ١٩٩-٢٠٦.

الباب الثاني

اللبنانيون في مصر في النصف الأول من القرن العشرين

مرحلة التمركز والاندماج

الهجرة اللبنانية في النصف الأول من القرن العشرين

مَدخَل

ثمة ملاحظات أساسية حول الهجرة اللبنانية ـ السورية أو هجرة الشوام إلى مصر التي شهدت تزايدًا مضطردًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. فقد اتجهت تلك الهجرة نحو القارة الأمريكية بشكل أساسي بعد الحرب العالمية الأولى ونحو القارة الإفريقية قبيل الحرب العالمية الثانية. وتشير إحصائيات «المجلة السورية» حتى عام ١٩٥٢، أن المسيحيين اللبنانيين بشكل خاص باتوا يتجهون نحو القارة الأمريكية. «فقد بلغ عدد المسيحيين الذين سافروا من لبنان وبعض أنحاء سوريا بعد الحرب الكونية ٦٥ ألف نسمة. فأصبحت أمريكا (لبنان الأكبر)»[(١)].

لكن سيل الهجرة اللبنانية إلى مصر لم ينقطع خلال هذه المرحلة حيث دلت أرقام تشرين الأول (أكتوبر) لعام ١٩٢٥، على استمرارها مع تزايدها الواضح باتجاه القارة الأمريكية. «هاجر من لبنان خلال تشرين الأول ١٩٢٥، حوالي ٤٥٨ شخصًا قصد ١٢٦ منهم مصر، و٦٦ فلسطين، و٥٤ فرنسا، و١١٩ أمريكا الجنوبية والشمالية، و١٣ تركيا، و٤٥ العراق، و٢ قبرص، و٢ إلى الهند»[(٢)].

فأرقام المهاجرين اللبنانيين إلى فلسطين لا تؤكد استقرارهم فيها بل من المرجح انتقالهم إلى مصر عبر الطريق البري الموصل إليها والذي يمر بالمدن الفلسطينية. تلك الأرقام تزيد من نسبة المهاجرين اللبنانيين إلى مصر إلى ١٩٢ مهاجرًا من أصل ٤٥٨، أي ما يقارب ٤٠٪ من مجموع الهجرة اللبنانية حتى عام ١٩٢٥. أي أن الهجرة إلى مصر بقيت تحتل المرتبة الأولى في مجموع المهاجرين اللبنانيين تليها مباشرة الهجرة إلى القارة الأمريكية.

لقد حاولت بعض الدراسات تفسير الهجرة الواسعة من بلاد الشام إلى مصر في القرن التاسع عشر بالاستناد إلى الأحداث الطائفية التي شهدتها دمشق وجبل لبنان خلال هذه المرحلة، خاصة أحداث ١٨٦٠ الدموية[٣]. لكن الإحصائيات التي قدمناها تغاير هذه المقولة وتنفي مصداقيتها المطلقة دون التقليل من أهمية العامل الطائفي في هذه المرحلة. فهجرة أعداد متزايدة من السوريين واللبنانيين إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ليست وثيقة الصلة بمرحلة الصدامات الطائفية بل بمرحلة الاستقرار والهدوء. وقد دلّ أدمون بليبل على ذلك الواقع بقوله: «في زمن المتصرفية، مسحت الأراضي وظهرت وتعززت بالتتابع صناعات التبغ والحرير التي تأسست عليها الثروة الحاضرة (١٩٣٥). وكثرت المهاجرة إلى مصر وأمريكا، وابتدأ الاصطياف، وفُتحت طرق العربات، وأُنشئت المجالس البلدية، وتعددت المدارس، وبُنيت الفنادق»[٤].

إن حصر ازدياد الهجرة بعامل واحد لا يمكن أن يقود إلى تحليل علمي لأسباب الهجرة التي قد تتوسع في ظروف الحرب والأزمـات كما تتوسع في ظروف الاستقرار. لأن عامل الجذب يلعب دورًا هامًا في هذا المجال. فللهجرة نوعان متلازمان من العوامل: الداخلي الذي يشجع السكان على الهجرة أو يدفعهم قسرًا إليها، والخارجي الذي يستقطبهم إلى شروط عمل أفضل. أما بتر أحد طرفي تلك العوامل فسيكون بالضرورة تشويهًا لأسباب الهجرة لأن العلاقة بين الدفع والجذب جدلية ولا يمكن فصل طرفيها. ويصح القول إن هجرة القرن التاسع عشر من جبل لبنان والمناطق المجاورة ترتبط، في البداية، بالأحداث الطائفية لكنها توسعت كثيرًا في المرحلة اللاحقة على تلك الصدامات.

ويربط الكاتب الفرنسي بيار ليوتي (Pierre Lyautey) بين المهاجرة من جبل لبنان واستقرار الوضع فيه، فيرى أن تلك الهجرة بدأت إفرادية ثم تكثفت ما بين (١٨٧٠ ـ ١٩٠٠)، بحيث ناهز عدد المهاجرين قرابة ١٢ ألف مهاجر كل سنة، ووصل مدينة نيويورك وحدها ما يزيد على ٦٥ ألف مهاجر لبناني[٥].

هكذا ترتبط الهجرة اللبنانية بالاستقرار السياسي في عهد المتصرفية وليس بدوافع طائفية بحتةً أو مباشرة، كما أن انتقالهم من مناطق الصدامات الدموية لعام ١٨٦٠ كان محـدودًا جدًا ولا يقارن بالمناطق الأساسية للهجرة كبيروت وبكفيا والزاوية

وطرابلس وصيدا وغيرها من المناطق اللبنانية التي لم تصلها الاشتباكات الطائفية.

إن تحديد تزايد الهجرة اللبنانية ـ السورية بأحداث ١٨٦٠، يحمل جانبًا من الحقيقة التاريخية. فهي هجرة قديمة تزايدت بشكل حاد في أواخر القرن التاسع عشر خاصة إثر الاحتلال البريطاني لمصر بعد القضاء على ثورة أحمد عرابي. ويتحدث بنوا أبو صوان (Benoît Aboussouan) عن «حمى المهاجرة» التي ضربت كل طبقات المجتمع في المتصرفية. فشملت مزارعين، وتجارًا، وعمال ميكانيك، وأطباء، وكهنة. فكان الشبان والشيّب يغادرون البلاد باتجاه موطن الذهب (Eldorado). «واستقطبت مصر عددًا كبيرًا من الشوام حتى قدرت ثروتهم عام ١٩٠٧، بحوالي ٥٠ مليون جنيه مصري، أي ما يزيد على مليار ونصف مليار من الفرنكات الفرنسية آنذاك، وهي نسبة تعادل $\frac{١}{١٠}$ (عُشْر) الثروة القومية المصرية. وعندما يُقال الهجرة اللبنانية ـ السورية آنذاك تجدر الملاحظة إلى أن لبنان كان المركز الأساسي لها»(٦).

ويضيف بيار ليوتي إلى الغنى الاقتصادي لمهاجري الشوام في مصر تمايزهم الثقافي فيها. «كانوا علماء مجلّين في معرفة القوانين الإسلامية والمسيحية. وقد تبوأوا في مصر دور النخبة بسبب شهرتهم في هذا المجال، ونقاوة أسلوبهم، وسداد حجّتهم»(٧).

وفي تحليل هذا الواقع يؤكد المطران عبد الله خوري للقائد العثماني جمال باشا في لقائه معه في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦، ما يلي: «إن حالتنا الممتازة في لبنان (جبل لبنان) تجعلنا من أسعد شعوب الأرض. وها هو رغمًا عن صخوره من أعمر بلدان الدولة العلية»(٨).

لذلك لا يمكن تفسير الهجرة اللبنانية بعد قيام المتصرفية ومن ثم بعد قيام دولة لبنان الكبير بجانب واحد، طائفي أو اقتصادي أو سياسي أو ثقافي... إلخ... بل بتلك الأسباب مجتمعة. فمن غادر جبل لبنان وبيروت لم يتعرض، بالضرورة للاعتقال من جانب السلطة العثمانية، أو للاضطهاد الديني، أو بسبب الفقر المادي الذي كان يعيش فيه، أو بدافع التفتح الثقافي أو غير ذلك. المسألة أكثر عمقًا وشمولًا ومرهونة بجملة عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ووظيفية وعائلية وأحيانًا نفسية

وغيرها تدفع المهاجر للتفتيش عن الثروة والتشبه بمن هاجر واغتنى. يؤيد ذلك استمرار خط المهاجرة اللبنانية على وتيرة متصاعدة منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى الآن وذلك لأسباب متنوعة وإلى مناطق كثيرة في العالم خاصة مصر والولايات المتحدة الأمريكية وكندا والبرازيل والأرجنتين والدول الإفريقية وأستراليا وسواها. لقد فتحت مرحلة المتصرفية باب المهاجرة على مصراعيه، لكن قيام دولة لبنان الكبير لم يبدل ذلك المنحى. فقد بلغ عدد المهاجرين اللبنانيين والسوريين (معظمهم من اللبنانيين) إلى أمريكا وسواها قرابة ٦٣٧١ مهاجرًا مقابل ١٣٢٥ عائدًا عام ١٩٢٤ أي أن نسبة المهاجرين كانت تزيد على خمسة أضعاف العائدين[٩]. وتدل أرقام المهاجرين خلال السنوات الأولى لمرحلة الانتداب على ما يلي: ٨٦١٤ مهاجرًا عام ١٩٢٣، و٦٣٧١ عام ١٩٢٤، و١١,١٠٠ مهاجر عام ١٩٢٥، و١٥,٨٥٦ مهاجرًا عام ١٩٢٦ بحيث يبلغ المجموع ٤١,٩٤١ مهاجرًا خلال أربعة أعوام فقط[١٠].

جريدة التايم (Time) تكيل المديح للمهاجرين السوريين ـ اللبنانيين الذين «يرافقهم النجاح أينما حلّوا»... فتكتب ما يلي: «أعطى هذان الشعبان (السوري واللبناني) الانطباع الواثق بحيويتهما الكبيرة. فالسوريون، مسلمون ومسيحيون، جاءوا الولايات المتحدة الأمريكية واستقروا وسط شعب يبلغ تعداده ٨٠ مليون نسمة، كمن يستقر وسط بحر من البشر، لكنهم سرعان ما برزوا إلى السطح كأطباء، وحقوقيين، وصحافيين،وتجار، وعادوا إلى بلادهم أغنياء بفضل عملهم فقط... أما في مصر فقد احتل فيها أعلى المناصب المدنية عرب من باقي مقاطعات السلطنة العثمانية (والمقصود بذلك الشوام بالدرجة الأولى)»[١١].

ويمكن تقديم المزيد من الأرقام وتعابير الإطراء على دور المهاجرين الشوام في مصر وغيرها من البلدان. فهناك هجرة متزايدة ولا تنقطع، من لبنان بشكل خاص، إلى الخارج. وإذا ما تعثرت ظروف النجاح والربح السريع في بلد من بلدان الاغتراب ينتقل اللبناني إلى بلد آخر للغاية نفسها. فقد اجتذبت مصر أعدادًا كبيرة منهم طيلة أكثر من مئة سنة. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن عدد الموارنة في القاهرة قد ازداد من ١٨٤ شخصًا عام ١٨٢٤، إلى ٢٢٦ عام ١٨٤٣، وإلى ٣٦٥٧ عام ١٩٢٧، وإلى حوالي ٤٠٠٠ عام ١٩٤٧، وزاد عدد الموارنة في القطر المصري من ٨٤٠٣ أشخاص عام ١٩٢٧، إلى حوالي ١٢ ألفًا عام ١٩٤٧[١٢].

ومع تقلّص فرص النجاح في مصر قبيل الحرب العالمية الثانية ازداد رافد آخر للهجرة اللبنانية باتجاه البلدان الإفريقية. وفي الفترة اللاحقة نشأ رافد جديد باتجاه منابع النفط العربي وآخر باتجاه أستراليا وكندا حيث إمكانيات العمل كبيرة. إن حركة دفع المهاجرين من لبنان إلى الخارج مستمرة منذ القدم وتجد تفسيرها بجملة عوامل مجتمعة منها الجغرافي ومنها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والوظيفي وغيرها. وجاءت الحرب اللبنانية الأهلية تدفع بمئات الآلاف من اللبنانيين نحو أقاربهم في مناطق المهاجرة القديمة أو لارتياد مناطق جديدة لم تطأها أقدام أسلافهم. إنها مشكلة لبنانية تحتل مراكز الصدارة بين مشكلاته البنيوية المتعددة، إذ يندر بلد في العالم بات أبناؤه في الخارج أضعاف ما هم عليه في الداخل. ونظرًا للتوازن الطائفي الهش في الداخل اللبناني فإن مسألة الجنسية اللبنانية من أشد المسائل تعقيدًا.

لكن إكثار المديح حول فوائد الهجرة لا يقلل البتة من مضارها الكثيرة على المستوى الوطني[١٣]. فبالإضافة إلى النزف المستمر للطاقة الشابة اللبنانية والتي انتهى قسم كبير منها بالاستقرار في دنيا الاغتراب وقطع الصلة نهائيًا بالوطن الأم فإن النظام الطائفي ـ الطبقي في لبنان أصيب بأزمة سياسية حادة إثر إحصاء ١٩٣٢ وانكشاف أعداد اللبنانيين في الداخل وتوزعهم الطائفي المتقارب النسبة بين المسيحيين والمسلمين. لذلك تعطل الإحصاء الرسمي في لبنان منذ ذلك الحين ولا يجري أي إحصاء علمي تتبناه الدولة في مجال التوزع السكاني والتركيبة الطائفية للبنانيين.

يضاف إلى ذلك أن الساحة اللبنانية نفسها، بسبب كثرة المهاجرة منها إلى الخارج، باتت عنصر استقطاب هام لكثير من الأقليات المسيحية في المشرق العربي. وهناك بعض الأرقام ذات الدلالة في هذا المجال. فقد توزع عدد الوافدين من الأقليات إلى لبنان خلال سنوات (١٩٢٤-١٩٢٨) تبعًا للنسب السنوية التالية: ٦٤٠٠ وافد إلى لبنان عام ١٩٢٤، و٧٦٥٠ عام ١٩٢٥، و٧٥٠٠ عام ١٩٢٦، و٣٧٢٥ عام ١٩٢٧، و٥٩٩٨ عام ١٩٢٨[١٤]. وإذا ما أضيفت هذه الأرقام إلى أعداد المهاجرين الأرمن الذين قدموا لبنان قبيل تلك المرحلة تصبح المحصلة العامة أن مشكلة الأقليات باتت من المشكلات المعقدة التي يصعب حلها على قاعدة التوازن الطائفي الدقيق في «بلد الأقليات المتعايشة» تبعًا لتعبير ميشال شيحا. وزاد في تعقيدها أن أبناء بعض الأقليات

الوافدة نالوا جنسيات لبنانية في حين حُرم منها أبناء جنسيات أخرى كما حُرم منها كذلك عرب وادي خالد المستقرون على الأراضي اللبنانية سنوات طويلة قبل ولادة الدولة اللبنانية عام ١٩٢٠. وقد لعب العامل الطائفي دورًا أساسيًا في تعقيد المسألة فبات حلها أكثر صعوبة(١٥).

وتجدر الملاحظة إلى بروز تيارات هامة كانت تتنازع المهاجرين الشوام، خاصة اللبنانيين منهم، بعد صدور القوانين المصرية الرامية إلى تحديد جنسياتهم. فمنهم من عاد نهائيًا إلى لبنان ولم يحتفظ بالجنسية المصرية، ومنهم من احتفظ بالجنسيتين المصرية واللبنانية، ومنهم من تمصر بشكل نهائي دون الاحتفاظ بالجنسية اللبنانية. ولعب العامل الاقتصادي دورًا هامًا في عملية الاختيار. فأصحاب المؤسسات المالية والتجارية والصناعية سعوا إلى الاندماج بالمجتمع المصري كالموظفين وأصحاب المهن الحرة والدخل المحدود الذين فضلوا البقاء في مصر ولم يرجعوا إلى سوريا ولبنان بعد ١٩٢٠. وكان أصحاب تلك المؤسسات يتخذون مواقف متباينة من التدابير المصرية الرامية إلى وضع الاقتصاد والإدارة والمؤسسات بيد المصريين. فمنهم من هاجمها بعنف واتخذ جانب السلطات البريطانية كباقي الأجانب، خاصة الأوربيين منهم، ومن الشوام من أيدها بقوة ووجد فيها ضمانًا لحمايته من الأجانب.

«كانت الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩، نقطة تحول حاسم لا في حياة مصر السياسية فحسب بل في حياتها الاقتصادية... وكان الوضع السياسي لمصر في المرحلة السابقة لتلك الثورة لا يدع لبنيها أية سلطة في معالجة شئونها الاقتصادية من مالية أو تجارية أو صناعية. فلم تكن هناك مسئولية وزارية وطنية بالمعنى الصحيح إذ كانت السلطة الحقيقية في أيدي المستشارين الأجانب. وكان يزيد من وطأة تلك الحالة وجود الامتيازات الأجنبية التي كانت تغل يد مصر عن تنظيم اقتصادياتها وتنسيق موارد إنتاجها على الوجه الذي تقتضيه المصلحة القومية. وكان أبرز رواد النهضة الاقتصادية المنبعثة عن الثورة الوطنية لعام ١٩١٩، هو المغفور له طلعت حرب باشا الذي أسس بنك مصر سنة ١٩٢٠، ثم تفرعت عنه المؤسسات الصناعية والتجارية والملاحية المعروفة التي كان لها أثرها البعيد المدى في تثبيت ثقة المصريين في قدرتهم على الاضطلاع بأكبر الأعمال الإنشائية بنجاح كبير، وفي حفز الهمم على مواصلة الجهود في هذا السبيل. وكان هناك أيضًا المغفور له أمين يحيى باشا الذي

أسس بين سنتي (١٩١٩-١٩٣٠)، شركتين لكبس القطن وتصديره، وأخرى للتأمين ورابعة للملاحة البحرية. وفي سنة ١٩١٦، كانت قد ألّفت لجنة التجارة والصناعة المصرية برئاسة المغفور له إسماعيل صدقي باشا. ثم تم تحرير النظام الجمركي للبلاد سنة ١٩٣٠ وإلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٦، وإصدار التشريعات الضرائبية الأولى عام ١٩٣٨. وفي عام ١٩٢٥، بلغ عدد الشركات المصرية ١٩٥ شركة وارتفع إلى ثلاثمائة شركة عام ١٩٣٨، وإلى ٤٦٥ عام ١٩٤٨. وبلغت شركات بنك مصر وحده ٢٣ شركة وأموالها حوالي ٩ ملايين جنيه»[١٦].

ينبع هذا التقييم الإيجابي من المصلحة الحقيقية للعاملين في الصناعة المصرية الذين شكّلوا نواة فعلية للبورجوازية الصناعية المصرية أو المتمصرة. وعلى قاعدة تلك المصلحة تمت عملية الربط بين مصالح البورجوازية المصرية واللبنانيين المتمصرين والرؤية الصحيحة للتاريخ المشترك والمصير المشترك بين مصر ولبنان فرأوا «أن مصر ولبنان يمكن أن يعدًّا بلدين متكاملين في أكثر من ناحية من نواحي الحياة الاقتصادية. ولهذا كان من الخير لكليهما أن يزداد التعارف بينهما توثقًا وتزداد العلاقات نموًا واتساعًا. ففي الميدان الزراعي تجد مصر في لبنان منفذًا لقسم كبير من حاصلات أرضها. فللقطن والأرز سوق رائجة في لبنان وكذلك الحبوب المختلفة. أما لبنان فيستطيع من جانبه أن يموّن مصر بما تجود به أرضه من الفاكهة الطيبة وبعض المنتوجات كالزيتون وغيره. وفي الميدان الصناعي يمكن تصريف السلع الصناعية المصرية في لبنان واستقدام المواد الأولية منه كالحرير والصوف. ويمكن الاستفادة من تجارة الترانزيت والمواصلات المنظمة بين بيروت والإسكندرية... وعلى الصعيد الاجتماعي فقد نزل أرض مصر المضيافة ألوف من اللبنانيين حيث طاب لهم المقام في جو ودي أخوي، واتخذ كثيرون منهم هذه البلاد وطنًا لهم وتجنسوا بالجنسية المصرية، وهم يعيشون فيها عيش المواطنين الصالحين ويخدمون مصالحها بوفاء وإخلاص. وهناك إخوان لهم ممن احتفظوا بجنسيتهم الأصلية وهم لا يقلون عنهم وفاءً وإخلاصًا لوطنهم الثاني مصر الذي أقاموا فيه وأحبوه»[١٧].

لقد بات شوام القرن العشرين، خاصة اللبنانيين والسوريين منهم، يتمتعون بسمات أخرى لم تكن موجودة لدى آبائهم وأجدادهم. فقد ولدوا في مصر، وتربوا في مدارسها، وانخرطوا في نضالاتها الوطنية والقومية ضد الإنجليز وأعوانهم،

وشكلوا شرائح فاعلة داخل الطبقات الاجتماعية المصرية. وعند تحديد الجنسية الحقوقية اختار معظمهم المصرية دون سواها أو مقرونة بجنسية لبنانية أو سورية. باتوا، في الغالب، مصريين أكثر منهم سوريين أو لبنانيين. وتمصروا فعلًا لا ظاهريًا كما فعل الآباء والأجداد.

ففي مطالع القرن العشرين، وخاصة بعد إعلان دول سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن، كان من بقي في مصر من الشوام يتجه بسرعة نحو الاندماج الكلي في المجتمع المصري، وتذوب كل الفوارق السابقة التي أقامها المهاجرون الأوائل كي يتمايزوا عن المصريين. إنها مرحلة الاندماج النهائي في مصر أو مغادرتها لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى.

الحواشي

(١) بولس قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى، العدد الثاني، شباط (فبراير) ١٩٢٦، ص ١٢٥.

(٢) قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى، العدد الأول، الصادر في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦، ص ٥٧.

(٣) الباحثة **سلمى وديع مرشاق** من مواليد القاهرة ١٩٣١. والدتها السيدة هدى أسعد مصوبع من أصول لبنانية في بلدة جون. تعلمت في كلية البنات في القاهرة وكانت تسمى كلية البنات الأمريكية، وهي تحمل بكالوريوسًا في الآداب ـ فرع الصحافة من جامعة القاهرة، وماجستيرًا في التاريخ والعلوم السياسية من الجامعة الأمريكية في بيروت، ومارست العمل الصحافي في مجلات عربية وعالمية، وهي زوجة المحامي الأستاذ محسن سليم.

كان لنا لقاء مطول مع السيدة سلمى مرشاق سليم في محاولة لضبط الكثير من المعلومات حول أسرة آل مرشاق من جهة، ولأن السيدة سليم متخصصة في جانب من هذا البحث حيث إن رسالتها للماجستير في العلوم السياسية تحمل العنوان التالي:

Selma MIRSHAK-SLIM, “The position of the Syro-Egyptian newspapers towards British administration 1882-1907”. A thesis submitted in partial fullment of the requirements of the degree of Master of Arts in the Middle East Program of the American University of Beirut. Beirut, May 1973, in 194 pages.

ترى الباحثة سلمى أن من الأسباب الأساسية لهجرة الشوام إلى مصر: فقر المقاطعات السورية واللبنانية، الخلافات بين الأرثوذكس والبروتستانت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حملة إبراهيم باشا على سوريا والانفتاح المصري على مسيحيي سوريا، الاضطهاد العثماني وعوامل أخرى. أي أن أسباب الهجرة في رأي الباحثة دينية واقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها، بالإضافة إلى القمع العثماني واجتذاب المجتمع المصري لأحرار الشوام. وهي عناوين صحيحة تندرج في إطارها كل الأبحاث التي تتعلق بالهجرة والمهاجرين. لكن أسباب هجرة النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين كانت اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية لا طائفية. فمناطق سوريا وجبل لبنان في أواخر ذلك القرن كانت تنعم بهدوء طائفي عبّر عنه شعار «هنيئًا لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان». ودون أن نتنكر للعامل الطوائفي المحلي في المقاطعات السورية ـ اللبنانية نميل إلى اعتباره عاملًا ضعيفًا لا بل أضعف العوامل التي قادت إلى هجرة الشوام إلى مصر خلال المرحلة التي ناقشتها السيدة سلمى مرشاق سليم في دراستها.

(٤) إدمون بليبل، **تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أسرها**، ص ٣٧.

(٥) Pierre Lyautey, *Liban Moderne*, Paris, 1965, p. 41.

(٦) Benoît ABOUSSOUAN, *Le problème politique syrien*, Paris, 1924, p. 29.

(٧) *Ibid.*, p. 42.

(٨) **مجلة المشرق**، المجلد العشرون، العدد الثالث، الصادر في آذار (مارس) ١٩٢٠. مقالة «صفحة تاريخية من أيام الحرب»، ص (٢٦٣ ـ ٢٦٧).

(٩) **مجلة الحارس**، السنة الثانية، العدد ١٣، ١٤، الصادر في آذار (مارس) ١٩٢٥، ص ٦٥٨.

(١٠) République Française, Haut Commissariat en Syrie et au Liban, *Rapports sur les années* 1924-1927.

(١١) Cité par Eugène JUNG, *La Révolte Arabe*, t. 2, p 36, *Times* du 3 mars 1916.

(١٢) تراجع الجداول المرفقة بالدراسة والمتعلقة بأعداد الموارنة خاصة إحصاء توفيق لبس لعام ١٩٥٥.

(١٣) يراجع في هذا المجال: الشيخ سلوم الدحداح، «العائلة اللبنانية»، محاضرتان ألقاهما في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت، ونُشرتا في **مجلة المشرق**، المجلد ٢٧، العددان السابع والثامن، والتاسع الصادران في تموز (يوليو) وآب ـ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩، صفحات ٤٩١، ٤٩٧، ٥٨٧، ٥٩٢. وفيهما يتناول المُحاضر المخاطر الكبيرة التي تعرّضت لها العائلة اللبنانية من جراء ازدياد المهاجرة.

Voir aussi Toufic Touma, *Un village de montagne au Liban: Hadath el-Jobbé*, Paris, Mouton, 1958.

(١٤) Massoud DAHER, *L'histoire socio-plitique* de la République *libanaise sous mandate français 1926-1943*, thèse pour le doctorat d' État présentée à la Sorbonne, Paris I, en 1981, t. I, ch. III, «La population libanaise en chiffres: B. L' extérieur confessionnalisé», pp. 74-116.

(١٥) أدونيس مغزل، **اندماج السريان في لبنان**، رسالة كفاءة مقدمة إلى كلية التربية في الجامعة اللبنانية، ١٩٧٣، تراجع صفحات ٢٦، ٣١، ٧٢، ٧٨.

(١٦) الغرفة التجارية اللبنانية ـ المصرية بالإسكندرية، **العلاقات الاقتصادية بين مصر ولبنان**، النشرة السنوية الأولى، يناير ١٩٥١، ص (٥٥-٥٧).

(١٧) المرجع السابق، ص ٥٧.

الفصل الأول

أضواء على العائلية لدى الشوام في مصر
من خلال ذاكرة الأبناء والأحفاد

مدخـل

العائلية في المشرق العربي ذات جذور قديمة ترقى إلى تقسيم القبائل العربية وتفرعاتها إلى بطون وأفخاذ وفروع انتشرت على امتداد المنطقة العربية واخترقت الغالبية الساحقة من طوائفها. ولا يمكن الفصل بين أبناء العائلات والقبائل، في القرنين التاسع عشر والعشرين، على أساس الطائفة أو الجنسية المستحدثة. فأبناء العائلة الواحدة يتواجدون فعلًا في أكثر من طائفة ومذهب (شهاب، مراد، نحاس، شامي، حلبي، ضاهر، سكر، الحاج... إلخ). ومع قيام الدول العربية المشرقية في ظل الانتدابين، البريطاني والفرنسي، اعتبر سكان هذه الدول، ومنهم الشوام في مصر، بمثابة رعايا سابقين للسلطة العثمانية ونالوا، على ذلك الأساس، حق اختيار الجنسية التي يرغبون فيها.

وتداخلت العائلية العربية المشرقية مع تداخل الجنسيات التي تم اختيارها طوعًا وبات مألوفًا أن أبناء العم، وأحيانًا الإخوة، ينتسبون إلى جنسيتين مختلفتين. وسارعت معظم العائلات السورية واللبنانية في مصر إلى الاحتفاظ بالجنسية المصرية إلى جانب إحدى الجنسيتين، السورية أو اللبنانية. لقد أورث ذلك الواقع بعض المشكلات الحقوقية لأبنائهم القاطنين في مصر، أو الذين عادوا إلى مواطن آبائهم وأجدادهم، أو هاجروا إلى الخارج. وفرضت الثورة المصرية لعام ١٩٥٢، ضرورة الاختيار النهائي للجنسية بعد أن شهدت الساحة المصرية انتقادات حادة،

عبر الصحافة بشكل خاص، لمن أسمتهم «بالمتمصرين». فاضطر عدد كبير من اللبنانيين والسوريين الذين يحملون أيضًا الجنسية المصرية إلى اختيار جنسية واحدة. وجاء اختيارهم الحر، في الغالب، لصالح الجنسية المصرية لا السورية أو اللبنانية أو الفلسطينية. ومن هاجر منهم بعد قرارات التأميم المصرية حافظ على جنسيته المصرية وفي ذلك دلالة واضحة على مدى اندماج الشوام، على اختلاف طوائفهم وعائلاتهم، في المجتمع المصري الذي أفسح لهم المجال واسعًا للغنى والنفوذ والشهرة.

لذلك كانت لنا لقاءات مفيدة جدًا مع أبناء وأحفاد الشوام الذين تمصروا نهائيًا أو عادوا إلى لبنان. والمحصلة العامة لتلك اللقاءات التي تنشر لأول مرة ذات دلالات تاريخية بالغة الأهمية نظرًا للموقع الذي شغله هؤلاء من جهة، وللآراء الرصينة العلمية التي أدلوا بها من جهة أخرى.

آل كنعان(١)

أسرة معروفة في جبل لبنان بعلاقتها التجارية والإدارية مع مصر منذ أيام محمد علي باشا. كان يوسف كنعان من تجار القاهرة المعروفين في مطالع القرن التاسع عشر. وقد ساند بأمواله محمد علي في صراعه ضد المماليك فكافأه بأن أقطعه التزام الجمارك. وهناك شجرة للعائلة موجودة لدى إبراهيم نعوم كنعان تفيد بأن يوسف كنعان كان مارونيًا من بلدة عبية في جبل لبنان ومنها هاجر إلى القاهرة للعمل التجاري فكان من أحفاده غالب كنعان، جد نجيب كنعان لأبيه.

ونظرًا للعلاقات الوثيقة التي أقيمت بين مصر والإمارة الشهابية أيام محمد علي فإن والد غالب كنعان قد عاد إلى جبل لبنان للعمل الإداري وورث عنه ابنه غالب العمل الوظيفي فاشتغل في إدارة داود باشا لكنه سرعان ما اختلف معه فغادر المتصرفية للعمل في السرايا الخديوية برتبة باش كاتب. لكن داود باشا عاد فطلب إليه العودة للعمل في إدارته مجددًا فعاد إلى جبل لبنان واستقر في عبية حيث كانت له ثروة لا بأس بها. تزوج من خاتون كنعان، مارونية من عبية، ورزق منها عدة أولاد أبرزهم الدكتور سعيد كنعان، والد نجيب.

وُلد الدكتور سعيد في عبية عام ١٨٧٧، وتلقى علومه الأولى في مدرسة الحكمة في بيروت ثم في الجامعة اليسوعية فيها. نال شهادة الطب في بيروت ثم استكملها من جامعة الطب في إسطنبول وكانت تسمى «المكتب الطبي العسكري»، وتخرّج فيها أطباء للخدمة في الجيش وكانت الدراسة فيها بالفرنسية والعربية. هاجر إلى مصر في أواخر عام ١٩٠٦، أو أوائل ١٩٠٧، واشتغل في مصلحة الصحة التابعة للجيش المصري في القاهرة. كان من رفاقه الدكتور منصور قطيط، والصيدلي أسعد معلوف، والدكتور باسيل سوسو الذي ترقى فيما بعد إلى رتبة حكيمباشي الجيش المصري، أي رئيس مصلحة الطب في الجيش المصري وفي السودان. والدكتور أسعد معلوف الذي ترقى إلى رتبة قائمقام عسكري في الجيش المصري. عمل الدكتور سعيد كنعان في تلك المصلحة طيلة سنوات عمله في القاهرة وكان ينتدب أحيانًا إلى مهمات طويلة في السودان. واستمر كذلك حتى أُحيل إلى التقاعد عام ١٩٢٤.

تزوّج الدكتور سعيد كنعان مرتين. الزوجة الأولى، أدما صفير، مارونية ابنة حنا صفير من ريفون لأسرة لم تهاجر إلى مصر لأن والدها كان من كبار تجار المفروشات في بيروت. نالت دراسة متوسطة في عينطورة. تزوجت من سعيد كنعان ورُزقا ثلاثة أولاد: نجيب وإيفون وماري: الأول من مواليد عبية والبنتان من مواليد القاهرة. توفيت عام ١٩١٢ في القاهرة، فتزوج سعيد كنعان من إميلي الراسي، روم كاثوليك من دير القمر، وكان زواجهما عام ١٩١٤. ويتضح من حالتي الزواج أن الدكتور سعيد كنعان فضّل الزواج من لبنانية وليس من مصرية أو شامية تقطن في مصر على الرغم من مرور ثماني سنوات على استقراره في أرض الكنانة.

رُزق سعيد كنعان من زوجته الثانية ستة أولاد هم: غالب، وإميل، وفؤاد، وإدمون، وفيولا، وكاميليا. وبذلك تصبح عائلته تسعة أولاد، وهي حالة نادرة بين مهاجري الشوام في مصر في الربع الأول من القرن العشرين، ولأب طبيب. تعلّم جميع أبناء وبنات سعيد كنعان من زوجته الثانية في المدرسة المارونية في القاهرة أولًا، وفي مدارس حكومية عالية وحرص الوالد أن يتقنوا العربية والفرنسية والإنجليزية.

ومع كثرة الأولاد انتشرت أسرة سعيد كنعان وأحفاده في مصر والسودان وخارجهما.

ـ فغالب سعيد كنعان وصل إلى رتبة بكباشي في الجيش المصري حيث كان يعمل والده. تزوج من ابنة عمه رينة (René)، ابنة رشيد غالب كنعان الذي كان يقطن في عالية في جبل لبنان. رُزق منها ولدين: الابن مات صغيرًا، والابنة وفاء، تعمل مرشدة سياحية في القاهرة حيث تسكن مع زوجها اليوناني من الطائفة الأرثوذكسية.

ـ إميل سعيد كنعان يعمل مديرًا لفرع شركة (Union) للتأمين على الحياة في الخرطوم. زوجته ماري رزق الله، مصرية قبطية من الروم الكاثوليك رُزق ثلاث بنات هن: إيفون، زوجها قبطي كاثوليكي هاجرا معًا إلى أستراليا؛ منى، زوجها قبطي كاثوليكي، تقيم في مصر؛ وماجدة، زوجها قبطي أرثوذكسي، تقيم في مصر.

لقد لعبت الأم القبطية المصرية دورًا أساسيًا في تزويج بناتها الثلاث إلى شبان أقباط مصريين فانقطعت علاقة إميل كنعان بمهاجري الشوام في مصر أو بالوطن الأم.

الابن الثالث لسعيد كنعان، فؤاد، توفي شابًا ولما يزل في صف البكالوريا. أما الرابع، إدمون فصاحب مكتب سياحي في مالبورن، في أستراليا التي هاجر إليها بعد التأميم عام ١٩٦١. تزوج أولًا من يونانية متمصرة من الطائفة الأرثوذكسية، وبعد وفاتها تزوج من أسترالية.

أما البنتان، فيولا وكاميليا فقد تزوجتا من قبطيين مصريين: الأول قبطي كاثوليكي وقد هاجرت فيولا مع زوجها إلى كندا بعد التأميم، والثانية كاميليا، تزوجت من قبطي أرثوذكسي ويسكنان في القاهرة.

أما أولاد سعيد كنعان من زوجته الأولى فقد تزوج نجيب كنعان، صاحب المقابلة، من رينة نجيب صبحاني، من طائفة الروم الكاثوليك لأسرة مهاجرة قديمًا من سوريا إلى مصر، ولم يرزقا أولادًا. في حين تزوجت أخته إيفون من إسكندر ناصيف الذي يعود بجذوره العائلية إلى طائفة الروم الأرثوذكس في بكفيا. وتزوجت الأخت الثانية، ماري، من أنطون مرعب، وتعود أسرته إلى الطائفة المارونية في بكفيا أيضًا.

يتضح من قراءة السيرة العائلية لأسرة سعيد كنعان الكثيرة العدد أن عدد الذكور فيها كان كبيرًا أي خمسة من أصل تسعة لكنهم جميعًا أصبحوا الآن دون أي وريث ذكر يحمل اسم عائلة كنعان. فمنهم من توفي صغيرًا، أو مات ابنه في سن مبكرة قبل الزواج، أو بقي دون زواج، أو أنجب بناتًا دون ذكور.

ويلاحظ كذلك انفتاح تلك الأسرة المارونية على التزاوج من جميع الطوائف المسيحية المقيمة في مصر، من شامية أو قبطية على السواء، مع تغليب لنسبة التزاوج بين بنات هذه الأسرة مع الشبان الأقباط المصريين، مع ملاحظة أن أيًا من بنات هذه الأسرة لم يتزوجن من شبان مسلمين، شوامًا كانوا أو مصريين.

لقد بقي التزاوج مقصورًا على الطوائف المسيحية دون سواها مع تبدل ملحوظ في إقامة علاقات مصاهرة أكثر اتساعًا من السابق بين أقباط مصر ومسيحيي الشوام الذين تمصروا واستقروا هناك. يُضاف إلى ذلك أن هجرة أحفاد سعيد كنعان، البنات منهم والشباب، كانت بعد التأميم وليس قبله. مما يعطي لهذه الهجرة الجديدة طابعها الاقتصادي ـ الاجتماعي وليس الطائفي.

آل صوصة[٢]

أسرة لبنانية مارونية هاجرت من دير القمر إلى مصر وأصابت نجاحًا تجاريًا كبيرًا فيها. تؤكد ماريز (Maryse Soussa) أن سبب مغادرة الأسرة لدير القمر هي أحداث ١٨٦٠، الطائفية في جبل لبنان بين الدروز والموارنة. فالجد، جرجس صوصة، من مواليد دير القمر وتوفي فيها يوم كان أولاده صغارًا. وقد تعهدت الحكومة الألمانية ابنه، إبراهيم جرجس صوصة، بعد أحداث ١٨٦٠، ونقلته إلى مدارس ألمانيا وجامعاتها على نفقة الحكومة الألمانية وحصل على دكتوراه في طب الأسنان من جامعة برلين. فجاء القاهرة وعمل فيها طبيب أسنان ونال شهرة واسعة حتى أصبح طبيب الخديو إسماعيل الخاص. وتعتقد ماريز أن الدكتور إبراهيم صوصة كان أول طبيب متخصص في طب الأسنان في القاهرة.

اختار ابنه، توفيق صوصة، التخصص عينه بعد أن درس في مدارس القاهرة الخاصة، ثم في كلية الطب في بيروت للآباء اليسوعيين. وأكمل تخصص طب الأسنان في جامعة مونبيليه (Montpellier) الفرنسية. وإلى جانب اهتمامه العملي بدراسة الطب كان يهوى الرسم والتصوير وله لوحات فنية معروفة. عمل الدكتور توفيق صوصة في القاهرة حيث وُلد وكانت علاقته سطحية بالوطن الأم لبنان. كذلك ابنه رينة، (René) والد ماريز، الذي وُلد في القاهرة وعاش وتعلم في مدارسها ولم يغادرها إلى بيروت كما فعل والده. لكنه لم يكمل دراسته العليا بل انصرف إلى تجارة الأدوية فكان وكيل عدة فبارك عالمية للأدوية في القاهرة وعبرها إلى الشرق الأوسط.

كانت لرينة صوصة أختان: الأولى إيفلين (Evelyne) زوجة جوزف دبانة، وهو من أسرة صيداوية مشهورة. وبعد أن توفي زوجها عادت فتزوجت من نجيب عون من الدامور وهو زواج تقليدي من داخل المنطقة والطائفة. أما الثانية، نيللي صوصة (Nelly Soussa) فتزوجت من الدكتور ميشال أرقش، من أسرة مارونية لبنانية مهاجرة من بيروت إلى القاهرة ونالت شهرة كبيرة فيها. وهو زواج تقليدي أيضًا معروف لدى مهاجري الشوام هناك.

تشارك في المقابلة السيدة إيفون عبد الله صوصة، والدتها ماري شاغوري من منطقة صيدا لأسرة هاجرت من صيدا أو عكا هربًا من جور الجزار وظلمه لأن والدها، أسطفان الشاغوري كان من أشهر بائعي التحف الأثرية في المنطقة. جمع ثروة كبيرة أثارت عليه غضب الجزار وعرّضته للابتزاز المستمر حتى اضطر للرحيل إلى القاهرة والاستقرار فيها والاستمرار في بيع التحف الأثرية. تذكر إيفون صوصة أن والدها عبد الله من مواليد دير القمر ثم انتقل إلى بيروت في سن مبكرة ليمارس مع أخيه خليل صوصة تجارة التصدير والاستيراد وصناعة الحرير. هاجرا معًا إلى القاهرة في أواسط القرن التاسع عشر حيث استمرا بعملهما التجاري. وقد روي إليها أن عمها، خليل صوصة، مات غرقًا في نهر النيل لأنه كان يحمل زنارًا مليئًا بالذهب على غرار التجار الشوام وقيل لهم إن حصانه شرد فقذف به في نهر النيل، وأغلب الظن أنه مات مقتولًا بهدف السرقة ثم أُلقيت جثته في النهر.

تبرز مقابلة إيفون صوصة وماريز ـ ليليان صوصة أن علاقتهما بلبنان ضعيفة جدًا وأن المعلومات التاريخية حول هذه الأسرة غير دقيقة لأنها متوارثة من بعيد ودونما اهتمام جدّي بها. لكن الانطباع العام البارز أن هذه الأسرة عرفت نزوحًا من دير القمر إلى بيروت في فترة ١٨٦٠، وأن بعض أبنائها هاجر من دير القمر أو من بيروت إلى مصر واستقر فيها، خاصة في القاهرة والإسكندرية. وتورد بعض السجلات الكنسية أسماء أفراد من عائلة صوصة مشيرة إلى أن منابتهم الجغرافية من بيروت وسجلات أخرى تنسبهم إلى دير القمر أو مناطق أخرى. ويبرز من خلال المقابلة أيضًا أن صلات هذه العائلة بلبنان كانت مستمرة وأن أفراد الأسرة كانوا يتزاوجون من داخلها أو من عائلات الشوام المهاجرة إلى مصر. وأن الجيل الأول من المهاجرين كان يرسل أبناءه للتعلم في مدارس بيروت وجامعاتها في حين انقطعت الصلات الجدية بين الجيلين الثاني والثالث مع لبنان.

على الصعيد الاقتصادي هناك فرعان كبيران، على الأقل، داخل أسرة صوصة: (أ) فرع تعاطى مهنة الطب وتجارة الأدوية وبعض المهن الحرة ولم يجمع ثروة طائلة لكن أبناءهم حافظوا على مستوى جيد من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ (ب) وفرع تعاطى تجارة التبغ فكان من كبار أصحاب مصانع الدخان في مصر لكن أبناءه أفلسوا ولم تعد له أهمية تُذكر في هذا المجال.

تقتصر ذكريات إيفون وماريز صوصة على إبراز بعض من اشتهروا داخل هذه الأسرة والتشديد على أن أيًا من أفرادها لم يعرف الفقر أو العوز بل نجحوا جميعًا في مصر ونالوا شهرة واسعة منهم:

- خليل صوصة: صاحب أهم مصانع الدخان في الإسكندرية.
- ألبير خليل صوصة: فنان مشهور بالنحت على النحاس. تزوج من إيطالية ثم من فرنسية وله لوحات مشهورة.
- إدمون خليل صوصة: من أبرز رسامي الكاريكاتير في مصر وقد حصل على لقب بطل العالم في البلياردو.
- جاستون صوصة: من أهم عازفي البيانو في مصر وهو فنان ومغني أوبرا.
- إسكندر إيليا صوصة: من مواليد دير القمر. نزح إلى بيروت وتزوج من آل كتفاكو، وهي عائلة لبنانية هاجرت إلى مصر. ترك القاهرة إلى المنصورة ثم إلى الإسكندرية. كان تاجرًا كبيرًا ومقاولًا مشهورًا جمع ثروة طائلة وتوفي في الإسكندرية.
- جوزف إسكندر صوصة: ترك الإسكندرية حيث وُلد إلى القاهرة، تعاطى العمل بالبورصة والمقاولات والأعمال البنكية. كان محاميًا معروفًا وصاحب أراضٍ واسعة بالمنصورة. له عدة أشقاء وشقيقات توزعت عليهم ثروة والدهم الكبيرة وأحوالهم المادية ممتازة.
- إلياس صوصة: كان تاجرًا مشهورًا في بيروت قبل أن يغادرها إلى مصر ويستقر فيها منذ أواخر القرن التاسع عشر.
- نقولا إلياس صوصة: وُلد في القاهرة وتعلّم في مدرسة الفرير فيها ثم أرسله

والده إلى المدرسة البطريركية في بيروت. أتقن الفرنسية والإنجليزية إلى جانب العربية. عاد إلى القاهرة وعمل في محل تجاري خاص به للمقاولات. أصبح من كبار تجار الدخان في مصر في النصف الأول من القرن العشرين.

آل زيدان(٣)

وُلد الجد حبيب زيدان مطر في عين عنوب ثم انتقل إلى بيروت حيث فتح مطعمًا على ساحة البرج كان يلتقي فيه شعراء وأدباء تلك المرحلة في أواسط القرن التاسع عشر. وفي بيروت سقطت تسمية مطر وحافظ حبيب على لقب أبيه فقط فأصبح حبيب زيدان، واتخذت العائلة هذه الكنية لأسباب لم يستطع شرحها أي من الأحفاد الذين التقيناهم وأصروا على وجود مطر كأسرة محذوفة من آخر عائلتهم. تزوج من كاثوليكية هي حنة الحايك.

رُزق حبيب زيدان (مطر) ستة أولاد هم على التوالي: جورجي مواليد ١٨٦١، متري مواليد ١٨٦٧، آجيا مواليد ١٨٦٩، يوسف مواليد ١٨٧٣، إبراهيم مواليد ١٨٧٨، وإلياس مواليد ١٨٨٢. وذلك بالإضافة على عدد من الأولاد الذين ماتوا صغارًا.

أنجب جورجي زيدان ثلاثة أولاد هم: إميل وشكري وأسماء. ورُزق متري أربعة أولاد هم: حبيب(٤) وجورج وسلمى وفكتوريا. وأنجب يوسف ستة أولاد هم: موريس، جورج، ميشيل، أليس، جورجيت، ماري. ورُزق إبراهيم خمسة أولاد هم: إدوار، أنجيل، إيفون، فؤاد، ولوريس. أما إلياس فقد توفي شابًا وعمره ٢١ سنة يوم كان يدرس الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت. وتزوجت آجيا من خليل دياب، ينتمي إلى الطائفة الأرثوذكسية ومن سكان بيروت.

يلاحظ في الجيل الثاني لأسرة حبيب زيدان انخفاض في نسبة الأولاد: ستة، خمسة، أربعة، ثلاثة، وفاة مبكرة. وتصبح هذه الظاهرة حادة مع أسرة جورجي زيدان وأبنائه من بعده وذلك بنسبة ولدين للبنت أسماء، وولد واحد لكل من إميل وشكري(٥).

وقد تزوج جورجي من بروتستانتية هي ابنة خالته مريم مطر(٦)، وتزوج متري

من أرثوذكسية هي مريم رحال من بيروت. وتزوج يوسف من كاثوليكية هي كاترين نصرة. وتزوج إبراهيم أولًا من آدال بركة، أرثوذكسية من اللاذقية وعند وفاتها تزوج من أختها روز بركة. وتزوجت آجيا من أرثوذكسي هو خليل دياب من بيروت ويقيم في مصر. فالتزاوج في أسرة زيدان الأرثوذكسية لم يبق محصورًا داخل الطائفة بل انفتح على الطوائف المسيحية الأخرى دون أن يلاحظ تزاوج مع الطوائف الإسلامية خلال هذه المرحلة. كما أن التزاوج العائلي كان معدومًا بين أفرادها إذ لم يتزوج أي من أبناء حبيب زيدان من داخل هذه الأسرة. ويلاحظ لدى الجيل الثالث أن إميل جورجي زيدان تزوج من روز ماري توما، وهي مارونية من جبل لبنان. وتزوج أخوه شكري من أليس داود حبيب، أرثوذكسية من أصل فلسطيني، وتزوجت أسماء زيدان من الدكتور ميشال سمعان، بروتستانتي من أصل سوري ومن مواليد طنطا. وهو تزاوج داخل الطوائف المسيحية لكنه غير محصور بطائفة معينة.

وتزوج حبيب متري زيدان من أليس ميشال برشا، كاثوليكية من أصل صيداوي ومن مواليد مصر. وتزوج شقيقه جورج من نينا كحالة، أرثوذكسية من أصل لبناني. وتزوجت أخته سلمى من إدوار صيدح، كاثوليكي لبناني. وتزوجت أخته فكتوريا من إسحق كفروني، بروتستانتي حمصي، ويلاحظ في زواج أبناء متري زيدان الأرثوذكسي غلبة التزاوج بين أبنائه وطائفة الروم الكاثوليك.

أما أولاد إبراهيم زيدان، فقد تزوج إدوار من ابنة عمه ماري يوسف زيدان ولم ينجب أولادًا وهو التزاوج الوحيد داخل أسرة زيدان خلال ثلاثة أجيال. وتزوجت أنجيل من سليم بشارة، أرثوذكسي دمشقي، وتزوجت إيفون من ديرفوركيان، أرمني أرثوذكسي متمصر، وتزوجت لوريس من الدكتور لويس الكدواني، قبطي أرثوذكسي مصري، وتزوج فؤاد من عايدة صابات، شقيقة الدكتور خليل صابات، كاثوليكية من أصل لبناني.

ويبرز في هذا التزاوج انفتاح على باقي الطوائف المسيحية المقيمة في مصر كالأقباط والأرمن مع الحفاظ على الخط السابق للتزاوج داخل الطوائف المسيحية دون سواها.

أما أولاد يوسف زيدان فقد تزوج موريس من أولجا (Olga) دياب، أرثوذكسية

من مواليد الإسكندرية لأسرة مهاجرة من سوريا، وتزوج جورج من إنجليزية وتنقل بين مصر وفلسطين، وتزوج ميشال من كاثوليكية من آل كفوري وهي أسرة سورية مهاجرة، وتزوجت أليس من عفيف نجار، لبناني من طائفة الروم الأرثوذكس، وتزوجت جورجيت من جورج دياب، من الإسكندرية وشقيق أولجا دياب وهو التزاوج الوحيد القائم على التبادل بين الأخوات، وهي طريقة متبعة لدى كثير من العائلات الشامية. وتزوجت ماري أولًا من ابن عمها إدوار زيدان ثم طلقته وتزوجت من ألبير مرشاق، وهو كاثوليكي متمصر ومن أصل سوري.

يلاحظ في تزاوج ثلاثة أجيال من آل زيدان تفضيل الزواج من اللبنانيين والسوريين على التزاوج من الأجنبيات أو المصريات. وخلال تلك المرحلة الطويلة التي قاربت المئة سنة التي رصدنا التزاوج خلالها فإن أسرة زيدان الكثيرة العدد لم تقم بتزاوج عائلي داخلها سوى مرة واحدة وانتهى هذا الزواج بالفشل ليستقيم في تزاوج آخر من خارج العائلة. لقد انفتحت هذه الأسرة على التزاوج مع جميع الطوائف المسيحية المقيمة في مصر والوافدة إليها دون أن تنفتح على الطوائف الإسلامية خلال ثلاثة أجيال. وهي ظاهرة تتكرر باستمرار لدى الغالبية الساحقة من تزاوج الطوائف المسيحية المهاجرة إلى مصر والتي كانت من عوامل الانغلاق الطوائفي هناك، وساهمت في تمايز المسيحيين الشوام عن إخوانهم المسلمين الشوام من جهة، وعن المجتمع المصري نفسه من جهة أخرى. وهذه السمة تساهم في تفسير تبلور المسيحيين الشوام كجالية متميزة في مصر تقوم على تمايز مسيحيي الشوام في مصر داخل المجتمع المصري. وشمل التمايز مسلمي ذلك المجتمع ومسيحييه من الأقباط، ومن الجاليات الأجنبية الكثيرة التي كانت مستقرة فيه.

لم يكن الجد حبيب زيدان (مطر) يرغب في تعليم أبنائه بل دفعهم للعمل معه في المطعم. لكن الوالدة لعبت دورًا أساسيًا في تشجيع أبنائها لطلب العلم. وتوصل جورجي زيدان لدراسة ثلاث سنوات من الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت بدعم من رئيس الجامعة كورنيلوس ڤان ديك. وفي عام ١٨٨٠، غادر جورجي زيدان إلى القاهرة وله من العمر تسعة عشر عامًا وسكن في بيت متواضع وبدأ العمل في الصحافة خاصة في جريدة «الزمان». وفي عام ١٨٩٠، أسس «إدارة التأليف» بالاشتراك مع نجيب متري ثم انفصلا بعد عامين ليؤسس جورجي «دار الهلال» ونجيب «دار المعارف».

استقدم جورجي شقيقه متري الذي كان يعمل بقالًا في بيروت فجاء مصر ليساعد أخاه في العمل الطباعي بدار الهلال. ثم استدعى شقيقه الثاني يوسف الذي كان يعمل خياطًا في بيروت للغاية نفسها. لكن العمل الطباعي لم يجذب يوسف زيدان فانصرف إلى تجارة الأجواخ حيث أصبح وكيلًا لفبارك عدة في هذا المجال. وشيد بناية ضخمة ما زالت تحمل اسمه حتى الآن في شارع الفجالة قبالة «البركة». وورث ابنه موريس وكالات كثيرة للأجواخ الإنجليزية وجمع ثروة كبيرة قبل التأميم. ثم غادر القاهرة إلى بيروت بعد قرارات التأميم وتوفي فيها عن عمر يناهز ٧٥ سنة.

وأدخل جورجي زيدان شقيقه الأصغر إلياس للتخصّص في الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت حيث توفي فيها إثر تسمّم ناتج عن سوء التعقيم. وبقي من الأسرة في بيروت إبراهيم زيدان وآجيا فأرسل بطلبهما إلى مصر حيث شارك إبراهيم شقيقه جورجي في إدارة مكتبة الهلال وتزوّجت آجيا في مصر من خليل دياب، لبناني مهاجر إلى مصر. أما الجد حبيب زيدان فبقي وحيدًا في بيروت رافضًا الذهاب إلى مصر وعند وفاته غادرت زوجته، حنة الحايك، بيروت إلى مصر وسكنت عند أولادها، خاصة إبراهيم التي لازمته حتى وفاتها.

هكذا اجتذب جورجي زيدان جميع أفراد أسرته إلى مصر بسبب الشهرة الكبيرة التي نالها عبر دار الهلال ورواياته الكثيرة. وكان له أصدقاء كثيرون من كبار أدباء وشعراء مصر. نال لقب البكوية من الخديو عباس حلمي. لم يتعاط العمل السياسي المباشر بل كان معجبًا بالتاريخ العربي والإسلامي ويشدد كثيرًا على ضرورة يقظة العرب ونهضتهم. وقد اتسعت دار الهلال بعد وفاة جورجي زيدان لتصبح أكبر دار للنشر في مصر أيام شكري وإميل زيدان. وكان حبيب وجورج زيدان يعملان فيها عند أولاد عمهما. أما إدوار وفؤاد إبراهيم زيدان فقد أدارا مكتبة الهلال بعد وفاة والدهما إبراهيم ولا يزالا فيها حتى الآن. في حين انصرف أولاد يوسف زيدان إلى الصناعة والتجارة ووكالة الفبارك. فجورج يوسف زيدان من كبار منتجي المواد الكيماوية ودباغة الجلود. وشقيقه ميشال صاحب ثروة كبيرة ناتجة عن وكالة فبارك سيارات دودج وميتسوبيتشي في كندا ومصر وعدد من دول الشرق الأوسط. أما موريس فقد حل مكان أبيه في تجارة الأجواخ.

إن وراثة العمل تبرز فقط لدى الابن البكر دون سواه مع مساعد له إذا كان العمل

واسعا ويتطلب أكثر من فرد. فلم يعمل أولاد حبيب زيدان، أشقاء جورجي، كلهم في حقلي الصحافة والأدب. فقط ولدا جورجي انصرفا إلى هذه المهمة التي انتهت بتأميم دار الهلال. وانصرف ولدا إبراهيم إلى إدارة مكتبة الهلال مكان أبيهما. وانصرف موريس، الابن البكر ليوسف زيدان، إلى تجارة الأجواخ في حين انصرف أخواه إلى الإنتاج الكيماوي ووكالة السيارات. وعمل ولدا متري في دار الهلال كموظفين، في حين اكتفت البنات من هذه الأسرة، خلال ثلاثة أجيال، بالعمل المنزلي فقط. فأفراد الأسرة المهاجرة من الشام إلى مصر يتلاقون في البداية حول عمل واحد يقوم به المهاجر الأول ثم يتوزعون على قطاعات أخرى تلائم طبيعة كل مهاجر وتحقق أمانيه بجمع الثروة الكبيرة في أقرب فرصة ممكنة.

آل سكاكيني(٧)

لهذه المقابلة أهمية خاصة لأنها تعبير عن حالة نادرة بين مهاجري الشوام إلى مصر حتى مطالع القرن العشرين حيث كانت من عادات التزاوج بينهم أن يتم اختيار الزوج للزوجة من نفس العائلة والطائفة والمنطقة. لكن الدكتورة هنرييت سكاكيني، من طائفة الروم الكاثوليك، تزوجت من مسلم سني من مهاجري دمشق إلى مصر هو محمد البكري، سليل الأسرة السورية المعروفة جيدًا في بلاد الشام. فكان من المفيد جدًا مقابلة الدكتورة هنرييت للتعرف عن كثب على عائلة سكاكيني الشهيرة في القاهرة حيث هناك ساحة باسم السكاكيني باشا وحي معروف باسمه حتى الآن. هنرييت هنري حبيب جبرائيل سكاكيني من أسرة شامية هاجرت إلى مصر في القرن التاسع عشر. الجد، جبرائيل سكاكيني، من مواليد دمشق، والده أنطون إلياس حنا السكاكيني وكلهم من مواليد دمشق وعملوا وتوفوا ودُفنوا فيها. هاجر جبرائيل سكاكيني إلى مصر واستقر في القاهرة حيث مارس الأعمال التجارية وجمع ثروة بسيطة وقد رافقته من دمشق زوجته نزهة البيطار، من أسرة دمشقية معروفة. توفي جبرائيل في القاهرة عام ١٨٨٢، وكانت له سرايا كبيرة عُرفت الساحة باسمها. أما زوجته، نزهة، فقد توفيت عام ١٩٠٢، في السرايا ودُفنت في مقبرة آل سكاكيني وأُطلق اسمها على شارع في حي السكاكيني.

كان جبرائيل السكاكيني على جانب بسيط من الثقافة، وكان متوسط الحال من

الناحية المالية. أما ابنه حبيب المولود في القاهرة ١٨٤٠، فقد جمع ثروة طائلة على الرغم من ثقافته المحدودة. وتروي هنرييت قصة طريفة تبرز ذكاء حبيب وانفتاح آفاق الثروة والنفوذ أمامه. كان دون العشرين من عمره حين استفحلت مشكلة الفئران في قناة السويس حيث كانت الجرذان الكبيرة تأكل زاد العمال، وتقضم الآلات المستوردة. فتعطل الكثير منها وتفتك بالحبوب، وتنقل الأوبئة والأمراض إلى ساكني منطقة القناة. ولم تكن هناك مبيدات فعالة للقضاء على الجرذان وفشلت كل تدابير المهندس فردينان دليسبس في مكافحتها فنشر في الصحف طلبات للمساعدة في القضاء على الفئران.

تطوّع الشاب حبيب السكاكيني مع من تطوعوا لهذه المهمة وقدم اقتراحًا عبقريًا بأن تُشترى أعداد كبيرة من القطط التي لم يكن يتجاوز سعر الواحدة منها ٢٠ مليمًا. وجمعت القطط ونُقلت على ظهور الجمال. وبعد فترة تجويع متعمدة تُطلق القطط في أماكن تجمع الجرذان والفئران فتفتك بها. وكُررت التجربة عدة مرات خلال أيام معدودة وظهرت نتائجها الباهرة حيث تقلص وجود الجرذان في منطقة القناة إلى حد كبير. فأُعجب دليسبس (De Lesseps) بالشاب حبيب السكاكيني وأوكل إليه وظيفة رئيس ورشة لتجفيف المستنقعات في مصر. فعمل في منطقة الأزبكية، ومنطقة مدرسة الفرير، ومنطقة سرايا الأتراك، ومنطقة شارع رمسيس. وما لبث أن تحوّل إلى مقاول كبير لتجفيف المستنقعات ورصف الشوارع.

ولما انتهى حفر قناة السويس أقيمت حفلة تدشين كبرى بهذه المناسبة في ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٦٩، استدعيت إليها شخصيات عالمية وفرق مسرحية مشهورة جدًا من جميع أنحاء العالم. وكان حبيب السكاكيني المقاول الذي أوكلت إليه عملية بناء الأوبرا المصرية فأنجزها بسرعة فائقة وكان أول من استخدم نظام تشغيل العمال على دفعات ليلًا ونهارًا. فكافأه الخديو إسماعيل بالأموال، ووهبه السلطان عبد الحميد الثاني سرايا عثمانية في القاهرة عام ١٨٨٢، حوّلها إلى سرايا السكاكيني عام ١٨٩٥ وما زالت قائمة. ووهبه الخديو قصرًا عام ١٨٩٠، لقاء خدماته الكثيرة للأسرة الحاكمة، وأطلق اسمه على الحي الذي كان يسكنه بالقاهرة وما زال معروفًا به حتى الآن. كان السلطان العثماني يرسل عربته الخاصة لاستدعاء حبيب السكاكيني كي يصطاف مع أسرته على ضفاف البوسفور ومنطقة قصور السلاطين

التي تسمى «الدولما باشا». وكان خديو مصر يستشيره في أمور كثيرة ويرسل ياوره أو أمين سره الخاص لاستقدامه إليه. وتذكر هنرييت، وهي طفلة، تلك الزيارات، والبذلة الرسمية التي كان جدها يرتديها عند خروجه من السراي، والموسيقي التي ترافقه عند مغادرته القاهرة لأنه يحمل لقب باشا، وأن عددًا كبيرًا من رجال السياسة المصريين كانوا يؤمون سرايا السكاكيني بشكل منظم وبناءً على مواعيد مسبقة من حبيب باشا.

لم يدخل حبيب السكاكيني المدرسة ومع ذلك كان يتكلم التركية والفرنسية بطلاقة، بالإضافة إلى العربية الفصحي. فقد استقدم أساتذة خصوصيين لهذه الغاية بعد أن تحسنت أحواله المادية. وكان سفره المستمر إلى الخارج يساعده في تعلم اللغات. كانت له أراضٍ واسعة جدًا في القاهرة وكان يتعاطى تجارة بيع وشراء الأراضي لقاء عمولة أو قومسيون. وكانت له مزارع كبيرة في الجيزة، شارع الهرم، سكة محرم. ولا تعرف هنرييت ما إذا كان لجدها أراضٍ خارج القاهرة، لكنه لم يتعاط العمل الصناعي أو التجاري ولم يكن له مركز سياسي رسمي في الدولة لأنه شارك فقط في العمل السياسي كمستشار في مناسبات عامة. كان يركب حصانه كل يوم ويذهب إلى مزارعه ويقيم علاقات وثيقة مع الفلاحين. وكانت مزارعه تنتج كميات كبيرة من الفواكه التي تستهلك في مصر ويصدّر قسم منها إلى الخارج. كذلك عمل لفترة في بناء البيوت السكنية المعدة للبيع. ترك أعمالاً خيرية كثيرة. فقد اشترى سرايا لينو دو بلفور (Linaut de Belfort) وحوّلها إلى بطريركية للروم الكاثوليك في القاهرة. وبنى مطرانية وكاتدرائية كبيرة للروم الكاثوليك في الفجالة. وبنى مدافن للطائفة عام ١٨٨٠، وبنى ميتمًا ضم قرابة ثلاثة آلاف يتيم. قام بتلك الأعمال وغيرها من ماله الخاص قبل أن تنظم شئون الطائفة ويعمل إلى جانبه أغنياء آخرون منها.

تزوج حبيب السكاكيني من ماريبت كساب (Mariette kassab)، من أسرة دمشقية تنتسب لطائفة الروم الكاثوليك، وهو زواج تقليدي وشائع آنذاك بين مهاجري الشوام في مصر. توفيت زوجته عام ١٩٠٢، في سرايا السكاكيني وبقي حبيب دون زواج ثان حتى توفي في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣، ودُفن في القاهرة تاركًا وراءه ولدًا وحيدًا هو هنري السكاكيني، المولود في القاهرة عام ١٨٩٠.

كان هنري، على عكس والده، مكثارًا للأولاد إذ أنجب ثلاثة ذكور وثلاث إناث. حصل على دكتوراه في الحقوق من جامعة باريس عام ١٩١٥، بعد أن نال ماجستيرًا في تاريخ مصر القديمة عام ١٩١١، وهو في الحادية والعشرين من عمره.

عاش هنري حبيب السكاكيني في القاهرة محاطًا بالثروة الكبيرة والجاه الاجتماعي والنفوذ السياسي. لم يكن بحاجة إلى العمل إذ كانت تكفيه إدارة أملاك والده الواسعة التي بلغت ٧٠ فدانًا في شارع بورسعيد وحده ومساحات واسعة في الجيزة. وعلى الرغم من ثقافته الواسعة وشهاداته الكثيرة وإتقانه العربية والفرنسية والإيطالية واللاتينية والإنجليزية، فإنه لم يتعاط أي عمل سوى إدارة أملاك والده دون أن يضيف إليها أملاكًا جديدة وسرعان ما باع الكثير منها بسبب المصاريف الكبيرة التي تتطلبها حياة البذخ والترف والسفرات المتكررة التي كان يقوم بها إلى أوربا كل عام.

كان يهوى مطالعة كتب القوانين والحضارات القديمة، لم يتعاط العمل السياسي ولم يكن له مركز في الدولة أو في الشركات الخاصة، ولم ينصرف للتجارة أو المقاولات، لم يستمر على خط والده في الأعمال الخيرية إذ لم يقدم للطائفة أي وقف جديد. لعله، تقول هنرييت، نموذج مناقض تمامًا لأبيه في جميع النواحي.

تزوج من كورين (Kourine) نجيب خليل باز، المولودة في الإسكندرية لأب ماروني مهاجر من دير القمر ولأم فرنسية هي حفيدة الجنرال الفرنسي (Henri Bertrand). وعن أسرة باز تقول هنرييت إن الجد، خليل باز، جاء من دير القمر إلى الإسكندرية عام ١٨٦١، يحمل معه كمية لا بأس بها من الليرات الذهبية التي جمعها بالعمل التجاري، كما استقدم معه ولديه نجيب وإبراهيم المولودين في دير القمر. اشترى أراضي واسعة بالإسكندرية وأقام له قصرا كبيرا فيها. وتشير هنرييت إلى رواية طريفة حول عمل والد جدها لأمها فتقول إنه اشتغل بتنصير العبيد (نقلهم إلى النصرانية) في الإسكندرية. وإثر ثورة أحمد عرابي عام ١٨٨٢، أصدرت السلطات البريطانية قرارًا يقضي بتحرير العبيد فاستمروا في العمل لدى خليل باز، المعروف باسم خليل فارس، حتى وفاته عام ١٨٩٩. أما ولداه نجيب وإبراهيم فقد أضاعا ثروة والدهما في مضاربات البورصة بالإسكندرية. لم يرزق نجيب باز سوى ابنة واحدة هي كورين، والدة هنرييت السكاكيني. تلقت دراسة ابتدائية وثانوية لدى مدارس الراهبات بالإسكندرية. كانت تتكلم العربية والفرنسية والألمانية والإيطالية لكنها لم تتوظف ولم تتعاط أي عمل نظرًا لكثرة أولادها وغنى زوجها هنري سكاكيني. رُزق هنري سكاكيني من زوجته كورين باز ستة أولاد هم:

- المهندس حبيب: تخرج في مدارس خاصة بالإسكندرية وأكمل دراسة الهندسة في مدرسة الأشغال العامة في باريس (École de Travaux Publics).

عمل في إدارة الأملاك والزراعة واقتنى أراضي واسعة. تزوج من مرتا بوندي (Marta Bondi) وهي إيطالية من ميلانو تنتمي لطائفة اللاتين. رُزق ثلاثة أولاد هم: هنري وديانا وريكاردو.

- المهندس جبرائيل: تخرج أيضًا في مدرسة الأشغال العامة في باريس عام ١٩٣٩. تزوج فتاة فرنسية كاثوليكية وله بيوت في فرنسا وسويسرا ومصر، ما زالت له أملاك واسعة في مصر، أوكل إدارتها إلى سكرتير أعماله القبطي يوسف جبران ولا يزور القاهرة سوى مرة واحدة كل عدة سنوات لإجراء حساب الغلة والإنتاج.

- أندريه: نال ثقافة ثانوية ويعمل في التجارة. تزوج من ليليان المالطية ولها جنسية بريطانية. رُزق أربعة أولاد: أندريه الابن الذي تزوج من ماريا جانوتي الإيطالية، وكورين زوجة وجدان فاضل وهو مسلم سني وتسكن في القاهرة ورُزقت ولدين عمر وياسمين، وإلين زوجة جميل المسعودي وهو مسلم سني ولها ولد واحد، وكارولين وعمرها ١٥ سنة. توفي أندريه بحادث سيارة في القاهرة عام ١٩٧٥.

يلاحظ التزاوج المختلط الإسلامي ـ المسيحي بين أفراد هذه الأسرة الإناث في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو الزواج الذي كان للدكتورة هنرييت الدور الأول في إرساء قواعده في الأسرة.

- لودي: ثقافة ثانوية. تزوجت من مارك السويدي وتقيم في ستوكهولم. لا أولاد لها.

- لوريس: ثقافة ثانوية. زوجها سويدي ولها ابنة واحدة هي الدكتورة كارين.

- الدكتورة هنرييت: من مواليد القاهرة ١٩١٥، تلقت دروسها الابتدائية في مدارس مصر للراهبات ثم سافرت إلى أوربا لإكمال دراسة الآداب في إيطاليا. لكنها سرعان ما انتقلت إلى حقل الطب وأصبحت طبيبة تعالج الفقراء مجانًا وما زالت حتى الآن، منذ نيلها الدكتوراه في الطب عام ١٩٤٤، من جامعات إيطاليا.

عرفت إيطاليا الفاشية أيام موسوليني ومنها انطلقت إلى الحياة الاجتماعية الواسعة.

وتذكرت هنرييت نوع التربية التي مارسها والدها عليها وعلى أختيها بكثير من المرارة. فقد منع عليهن الخروج من المنزل دون مرافق أو بصحبة أحد أفراد العائلة. وكان يستقدم لهن الأساتذة الخصوصيين للتدريس في المنزل. كان عمرها فقط عشر سنوات حين أرسلها أبوها، وهي كبرى بناته، إلى باريس لمدة ست سنوات في أشهر مدرسة داخلية فرنسية آنذاك وتُدعى (Pensionnat de Monseigneur du Pan Loup) التي تضم نخبة من بنات كبار أغنياء العالم وتقع في (Bois de Boulogne, 2 et 4 Avenue Victor Hugo) ولم يتسن لها دخول المدرسة إلا بدعم شخصي من صدقي باشا، رئيس وزراء مصر ووزير داخليتها خلال تلك الفترة، وبجهود شخصية من فخري باشا، سفير مصر في باريس.

كانت المدرسة الجامع المشترك لبنات الأغنياء، من فرنسيين وأجانب على السواء. ولم يكن بين رفيقاتها سوى سورية واحدة هي نجلاء حبيقة من طائفة الروم الأرثوذكس، وفتاة مصرية هي نيللي سيدروس، شقيقة كاردينال الأقباط في مصر آنذاك. وتروي نماذج معبرة عن حياتها في تلك المدرسة المحافظة جدًا والتي تُطلق عليها لقب «الثكنة العسكرية ذات التدريب الصارم والطاعة التامة».

هل كان لتلك التربية أثر في زواجها من رجل مسلم بعد عودتها إلى القاهرة وإكمال دراستها في مدرسة «سيدة صهيون» (Notre-Dame de Sion) ونيلها الشهادة الثانوية أو البكالوريا المصرية قبل انتقالها إلى إيطاليا وحصولها على شهادة الطب؟ المسألة واضحة لديها. فهي طبيبة ذات ثقافة واسعة وتتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية والألمانية، وتعتبر إتقانها للعربية الأقل جودة لأنها لم تمارسها في سن مبكرة وما زالت تتحدثها بصعوبة بالغة. وعلى الرغم من الغنى الذي أحاطها به والدها، والتربية القاسية في مدارس الراهبات، فقد عرفت كيف تبني حياتها الخاصة دون تعقيد. ففي نادي السبورتنج تنس (Sporting Tennis) تعرفت إلى محمد البكري، سليل الأسرة السورية العريقة وابن أحد المهاجرين الشوام في مصر، وأصر على الزواج منها بعد حب عاصف وكادت تقبل به لو لم تدرك أنه متزوج وأب لأربعة أولاد. فرفضت الزواج منه لكنه قام بمحاولة انتحار إذ أطلق النار على نفسه ودخل المستشفى لفترة غير قصيرة وانتهت المغامرة بالزواج منه.

حاول المطران الصايغ، مطران الروم الكاثوليك في القاهرة، ثنيها عن هذا الزواج

لأسباب عدة، أهمها الجانب الطائفي، لكنها أكملت مغامرتها ولا ترى أنها قامت بعمل غير طبيعي بل تحبذ وتدعو بإلحاح للزواج المختلط بين الطوائف لأنه الوسيلة الأكثر أهمية في التدامج الاجتماعي. وبدون الزواج المختلط لن يُبنى وطن حقيقي في أية دولة عربية أو غير عربية. وكان من الواضح أن بعض بنات أشقائها قد تزوجن من مسلمين على غرار عمتهن. وللتزاوج المختلط أثر هام في اندماج من تبقى من مهاجري الشوام بالشعب المصري.

تذكر هنرييت أغنياء الشوام الذين تعرفت إليهم في مصر في النصف الأول من القرن العشرين كعائلة عزيز بحري من طائفة الروم الأرثوذكس الشوام وهي عائلة غنية جدًا، وآل صيدناوي الكاثوليك، وآل زنانيري الموارنة في شبرا، وآل بيطار وتقلا وغيرهم.

أما عائلة السكاكيني فلم يبق من أولاد هنري سوى حبيب وهنرييت. كان حبيب سكاكيني الجد يعتبر نفسه لفترة طويلة من رعايا السلطنة العثمانية ويسمي نفسه عثمللي وله جواز سفر أحمر عثماني. أما أحفاده فنالوا الجنسية المصرية. وتذكر أيضًا أن شقيق زوجها، أحمد أورخان البكري، تزوج من حفيدة السلطان عبد الحميد الثاني واسمها عديلة، وقد توفيت على الأرجح عام ١٩٧٧، ودُفنت في مصر. وبعد قرارات التأميم المصرية نشطت هجرة الشوام من مصر إلى البرازيل والأرجنتين وكندا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية. ومن الطريف أن الشوام هناك يميزون أنفسهم بين شوام مصر وشوام سوريا ولبنان. أما عائلة السكاكيني فقد اندمجت بالمجتمع المصري باستثناء من تزوج من البنات بأجانب، لكن جميع أفراد العائلة نالوا الجنسية المصرية فقط وذلك منذ بداية التجنس، ولا تربطهم علاقات خاصة بسوريا ولبنان، كما أن الغالبية الساحقة منهم لا يعرفون هذين البلدين عن كثب وليست لهم روابط عائلية فيهما. تلك هي سيرة عائلة شامية تركت آثارًا ملموسة في مصر حيث يردد آلاف المصريين يوميًا اسم السكاكيني الذي أطلق على الساحة والحي الشعبي المزدحم بالسكان في وسط مدينة القاهرة.

كان زواج هنرييت سكاكيني بمثابة الخروج على قاعدة الزواج التقليدي المألوف لدى الشوام في مصر. وعلى الرغم من بقائه زواجا بين الشوام فقد كسر الحاجز الطائفي ليشير إلى مرحلة لاحقة سيصبح فيها الزواج بين المسيحيين والمسلمين، بين المصريين والشوام وغيرهم من الجاليات العربية أو الأجنبية القاعدة الأساسية

للتزاوج داخل المجتمع المصري. وما زالت الطائفية تلعب دورًا أساسيًا في الانغلاق الطائفي والتفكيك القومي العربي لذا لا بد من قفزة نوعية وتدابير جذرية تفسح المجال أمام الانصهار القومي على قاعدة العروبة العلمانية.

آل فرح(٨)

أسرة مارونية هاجرت من جبل لبنان في أواسط القرن التاسع عشر. غادر خليل فرح إلى الإسكندرية وعمل مساعدًا لمدير البريد فيها، السيد يوسف سابا باشا، نظرًا لثقافته التي حصل عليها في مدارس الإرساليات الأجنبية في جبل لبنان، خاصة مدارس الفرير، ولإتقانه العربية والفرنسية. تزوج من هند اليازجي، من أسرة مارونية لبنانية معروفة، ورُزق ولدين يوسف وروز، وُلد يوسف في الإسكندرية عام ١٨٨٤، وعيّنه يوسف باشا في مطلع شبابه مكان والده في مصلحة البريد العمومي بالإسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة برتبة مدير مستخدمي البريد فيها وذلك عام ١٩٣١. تزوج من نظلة بطرس النجار، من طائفة الروم الأرثوذكس، ومن مهاجري الشوام إلى القاهرة. أما شقيقته روز فرح فنالت ثقافة ابتدائية بالإسكندرية في نهاية القرن التاسع عشر حيث لم تكن نسبة البنات المتعلمات كبيرة إذ سرعان ما يزوجها أهلها في سن مبكرة. تزوجت أولا من الشيخ نجيب الحداد، من أسرة كاثوليكية شامية. وبعد وفاته تزوجت من بطرس الديك، من طائفة الروم الأرثوذكس، وهي أسرة شامية أيضًا. ومن المعروف أن نجيب الحداد كان من الأدباء المشهورين في عصره وكان مفكرًا اشتراكيًا ومحررًا في جريدة «الأهرام». ولم تُرزق روز فرح أولادا من زواجها الأول والثاني، ولكن يبدو من تزاوج هذه العائلة الانفتاح على الطوائف المسيحية الأساسية في مصر أي الكاثوليك والأرثوذكس والموارنة، كما يبرز التزاوج التقليدي بين الشوام أنفسهم دون انفتاح على المصريين، من أقباط ومسلمين على السواء.

رُزق يوسف فرح أربعة أولاد: أوجيني وشارل وميشال وشارلوت. وُلدت أوجيني (Eugénie) عام ١٩١٧، بالإسكندرية وتعلمت في مدارس الراهبات فيها. لم تتوظف بل تزوجت بسن مبكرة من وليم الحصني الذي شغل وظائف قنصلية وحكومية متعددة كان آخرها مستشار السفارة المصرية في بكين. وما زال حيًا يُرزق بعد أن أُحيل إلى التقاعد وهو من أسرة أرثوذكسية مهاجرة من سوريا. لم ينجب أولادًا.

أما شارل فمن مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩. تعلم في مدارسها ثم في مدارس القاهرة حيث نال شهادة البكالوريا المصرية وشهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال من كلية التجارة بجامعة القاهرة. عمل موظفًا بهيئة قناة السويس حتى أحيل على المعاش. تزوج من مارييت غريب، من أسرة مارونية مهاجرة من لبنان. رُزقا عدة أولاد: منى التي تدرس الطب في جامعة عين شمس، وليلى التي تدرس الآداب في عين شمس أيضًا، ويوسف الذي يدرس في معهد الآباء السيليزيين (Institut des Pères Siliziens).

الدكتور ميشال، الذي أجرينا معه المقابلة، من مواليد الإسكندرية عام ١٩٢١. نال علومه الأولى في مدارس الفرير بالإسكندرية والقاهرة ثم نال البكالوريا المصرية ثم بكالوريوس علوم من كلية العلوم بالقاهرة عام ١٩٤٢، ثم ماجستيرًا في العلوم من جامعة القاهرة عام ١٩٤٦، فرع الكيمياء، نال دكتوراه دولة في الكيمياء من جامعة القاهرة عام ١٩٥٦، وعمل لمدة ١٥ سنة في وزارة الصحة في معامل تفتيش الأغذية والأدوية. نقل إلى هيئة الطاقة الذرية حيث شغل منصب رئيس قسم الكيمياء فيها لمدة ١٦ سنة. ويعمل حاليًا أستاذ شرف متفرغًا في مركز البحوث النووية في إنشاص. تزوج من مونيك غالي، من أسرة قبطية كاثوليكية مصرية. وُلدت في باريس حيث كان والدها الدكتور جان غالي يدرس الطب ونالت دراستها في مدارس (Sacré-Coeur) في مصر قبل أن تتزوج من الدكتور ميشال فرح وتنصرف إلى العمل المنزلي. رُزقا ولدين: أنطون فرح، بكالوريوس سياحة وفنادق ويعمل في فندق هيلتون النيل، وبولس فرح، طالب سنة ثانية في كلية الزراعة بجامعة القاهرة.

الشقيقة الثانية لشارل وميشال فرح هي شارلوت المولودة بالإسكندرية عام ١٩٢٤. نالت دراستها في مدارس (Sacré-Coeur) وأتقنت العربية والفرنسية وحصلت على البكالوريا الفرنسية ثم تزوجت من الدكتور نقولا سعادة، من أسرة كاثوليكية شامية هاجرت إلى مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر. والدكتور سعادة يحمل دكتوراه دولة في الأدب الفرنسي ويعمل موظفًا في هيئة قناة السويس. رُزقا ثلاثة أولاد: جبرائيل، طبيب جراح في مستشفى الضمان الصحي في بنها، وإيلين التي نالت ماجستير كيمياء من جامعة القاهرة وتعمل مدرسة مساعدة في مركز التشعيع النووي في القاهرة، وهاني الذي نال بكالوريوس هندسة مدنية من جامعة القاهرة.

يلاحظ في تاريخ هذه الأسرة غلبة الثقافة على أبنائها، ذكورًا وإناثًا، والانصراف إلى المهن الحرة (طب، هندسة، سياحة) والوظائف الحكومية.

وخلال ثلاثة أجيال تبدأ بالجد خليل فرح ثم ابنه يوسف، ثم أحفاده ميشال وشارل، يمكن ملاحظة تبدلات في التزاوج لكنها تبقى داخل الدين الواحد. فالتزاوج داخل هذه الأسرة بقي مارونيًا في الغالب ومن داخل الأسر الشامية مع انفتاح منذ البداية على الأرثوذكس والكاثوليك الشوام، ثم على الأقباط الكاثوليك المصريين دون أي تزاوج مع مسلمي مصر.

أسرة بطرس النجار في مصر(٩)

نظلة بطرس النجار، والدة الدكتور ميشال فرح، من أسرة شامية تنتمي للطائفة الأرثوذكسية. هاجر والدها بطرس النجار إلى مصر واستقر في دمياط حيث تعاطى تجارة الأقطان منذ أواسط القرن التاسع عشر حين كان تعليم الفتاة أمرًا غير مألوف في مصر. كانت نظلة أمية لا تحسن القراءة والكتابة في حين كان حظ أولادها، ذكورًا وإناثًا، من التعليم على مستوى جيد. فمسألة تعليم الفتاة في مصر في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين لم تكن محصورة بالواقع المادي بل تحكمت بها رؤية الأهل، أغنياء كانوا أم فقراء، للأهداف المتوخاة من تعليم الفتاة. ومستقبل الفتاة عندهم هو الزواج، وبالتالي سواء تعلمت أم لم تتعلم فإن إمكانية الاستفادة من علمها في مجالات العمل والإنتاج كانت محدودة جدًا إن لم نقل معدومة. وهذا يفسر، إلى حد بعيد، لماذا لم تتعلم نظلة بطرس النجار، ابنة تاجر الأقطان والملّاك العقاري الكبير في دمياط، في حين تعلم أشقاؤها الستة علومًا عالية. فكان فهيم دكتورًا في الصيدلة، وسمعان دكتورًا في الطب، وسامي مهندسًا مدنيًا، وعفيف مهندسًا مدنيًا، وإلياس موظفًا كبيرًا في البنك ويحمل شهادة العلوم المالية، وكان جورج مفتشًا ماليًا ويحمل شهادة عالية في هذا المجال. فالعائق المالي لم يكن عقبة أمام تعلم نظلة النجار بل العائق الاجتماعي النابع من رؤية الأهل لعدم جدوى تعليم الفتاة وانخراطها في العمل والإنتاج.

إن قراءة متعمقة لأفراد هذه الأسرة تعطي صورة واضحة عن عائلة شامية هاجر الأب إلى دمياط واستقر فيها وترك أجيالًا متعاقبة من الشوام في مصر.

كان جورج النجار، مجهول تاريخ الولادة، مفتشًا في وزارة المالية بالقاهرة. تعلم في مدارس رسمية وخاصة وحصل على ثقافة باللغتين العربية والإنجليزية. تزوج من إيلينا جبرائيل من أسرة أرثوذكسية شامية. رُزق عدة بنات تعلمن جميعهن في مدارس الراهبات الإيطالية وتزوجن وغادرن مصر لأسباب متنوعة أبرزها التأميم ولم يبق منهن في مصر سوى كلير نجار ويسمونها ليلى وهي تعمل في شركة مصر للتليفون، توفي جورج نجار عام ١٩٣٨، ودُفن في القاهرة.

وكان إلياس النجار من كبار موظفي بنك مصر في المنيا ثم عمل تاجرًا للغلال في أواخر أيام حياته. تزوج من أدال كرامة، مصرية المولد من أصل شامي وتنتمي للطائفة الأرثوذكسية. رُزق ولدين: الدكتور جميل نجار الذي نال الجنسية اللبنانية وعاد يعمل في أنطلياس بلبنان، والصيدلي بطرس نجار مدير مصانع سكويب (Squib) للأدوية الأمريكية في القاهرة، منطقة الهرم والذي حافظ على جنسيته المصرية وبقي عازبًا. أما الدكتور جميل فقد تزوج من جرمين يزبك، من أسرة لبنانية مارونية ورُزق ابنة أسماها باسم والدتها جرمين، تزوجت من كمال وهبه إبراهيم، قبطي أرثوذكسي من الجنسية المصرية.

شغل المهندس عفيف النجار مراكز هامة في تنظيم إدارة الأشغال المصرية لكنه توفي عن عمر ٤٢ سنة في عام ١٩٣٥. كان مهندسًا مشهورًا في مصر وهو الذي بنى كنيسة الأمير ميشال لطف الله في الفجالة المسماة كنيسة رؤساء الملائكة. تزوج من أليس يوسف زيدان، من أسرة شامية أرثوذكسية مهاجرة إلى مصر. كان يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. رُزق ولدين: حبيب، مدير مصانع للصابون في القاهرة، تزوج من فتاة فلسطينية من أسرة آل أبو لحاف وهي أسرة مهاجرة إلى مصر، والمهندس ميشال نجار الذي شغل مراكز عديدة كان آخرها مدير بنك القاهرة ـ فرع الإسكندرية. كان يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعمل في البنوك والحقل المالي أكثر من عمله في حقل اختصاصه أي الهندسة. تزوج من إيفا أورفللي من أسرة شامية تنتمي للطائفة الأرثوذكسية. حافظ على جنسيته المصرية ثم هاجر إلى مونتريال ونال الجنسية الكندية.

الدكتور سمعان بطرس النجار من مواليد دمياط ومن خريجي كلية قصر العيني للطب. نال ثقافة عربية وفرنسية وإنجليزية وعمل طبيبًا حكوميًا في وزارة الصحة المصرية. حافظ على جنسيته المصرية وتوفي ودفن في مصر تاركًا ثلاثة أبناء: عزيز

نجار مدير البنك المصري الأمريكي (Egyptian-American Bank)، والمهندس سمير نجار الذي عمل مديرا عاما بوزارة الإسكان وأرسل في بعثة علمية إلى هولندا لأنه كان يشغل مركز المهندس المسئول عن بناء قرى النوبة، وكرم نجار الذي يشغل مركز مساعد مدير تشيز مانهاتن بنك في القاهرة.

تعلم الإخوة الثلاثة في مدارس الفرير ومدارس حكومية مصرية التي بلغت مستوى جيدًا في النصف الأول من القرن العشرين. وكان الثلاثة يتقنون العربية والفرنسية والإنجليزية.

المهندس سامي النجار هو الابن الخامس لبطرس النجار. كان مهندسًا للطرق والجسور. تعلم في مدارس خاصة وحكومية خاصة مدرسة الفنون والصنائع (Arts et Metiers) التي أسسها نقولا مسابكي، أحد أعضاء البعثة العلمية الأولى التي أرسلها محمد علي باشا إلى إيطاليا والتي عُرفت بمستوى ممتاز من التعليم. ونقولا مسابكي من أسرة شامية تعلم في كنف محمد علي وهو الذي استقدم آلات الطباعة للمطبعة الأميرية في مصر وأشرف على تركيبها وكانت تطبع عليها صحيفة «الوقائع المصرية». تزوج سامي نجار من كاترين سكاكيني، وهي تنتمي لأسرة شامية كاثوليكية مشهورة بغناها ونفوذها بين أبناء الشوام في مصر. رُزق صبيًا وفتاة. فكان ابنه المهندس جورج نجار مديرًا عامًّا في وزارة الإسكان، مصلحة المياه والمجاري. تزوج من فريدة الطرزي، من أسرة فلسطينية أرثوذكسية. حافظ كوالده على الجنسية المصرية فقط ولم يغادر أرض مصر. أما شقيقته ليليان سامي النجار فقد نالت تعليمها في مدارس الراهبات للقلب الأقدس (Sacré-Coeur) وتخصصت في فن التمريض. تزوجت من يوسف عبود، من أسرة شامية أرثوذكسية كان يشغل مركز مدير مطابع دار المعارف بمصر ثم هاجر إلى بيروت. نال الجنسية اللبنانية واستقر في لبنان.

الابن الأصغر لبطرس النجار هو الدكتور في الصيدلة فهيم نجار الذي توفي مؤخرًا في الإسكندرية ودُفن فيها. نال ثقافته الطبية في قصر العيني وعمل مراقبًا عامًا للجمارك في الإسكندرية لشئون السلع الطبية. تزوج من بولين جلاد، من أسرة شامية أرثوذكسية كان والدها وديع جلاد من كبار تجار الإسكندرية، رُزق فهيم نجار صبيًا وابنتين. فعمل ابنه أنطون نجار مهندسًا في لاسلكي الطيران وهو يشغل وظيفة هامة في مطار القاهرة الدولي. تخرج في معهد اللاسلكي العالي في مصر. وتزوج من تيريز ليان، مصرية

من أصل شامي أرثوذكسي. أما شقيقته ماريز نجار فقد نالت بكالوريوس آداب من القاهرة وتزوجت من آل سليم، لأسرة شامية أرثوذكسية واستقرت في الإسكندرية، في حين حصلت الشقيقة الثانية على دكتوراه صيدلة من الجامعات المصرية وتعمل الآن أستاذة في كلية الصيدلة بجامعة الإسكندرية وما زالت عزباء.

يُلاحَظ في دراسة أسرة فرح وأسرة نجار الحرص على خط متصاعد في تعليم الذكور والإناث حيث كثرت أعداد حملة الدكتوراه والهندسة والعلوم المالية بين جميع أفرادها. ويعزو الدكتور ميشال هذه الظاهرة إلى كسر طوق الجمود الذي ضرب على الفتاة فمنعها من العلم والعمل. فقد شهد القرن العشرون، خاصة النصف الثاني منه، تبدلًا جذريًا في هذا المنحى ويبرز ذلك بوضوح من خلال أفراد هاتين الأسرتين من الإناث. يُضاف إلى ذلك أن عدد الأولاد قد انخفض بشكل حاد بين الجيل الأول للمهاجرين الشوام والجيل الثاني وخاصة الجيل الثالث. كذلك يلاحظ تمسك أفراد هاتين الأسرتين بالجنسية المصرية وعدم خروج أفرادها من مصر إلا بنسبة ضئيلة مما يؤكد أن النظام المصري المنفتح على جميع الطوائف عرف كيف يدمج بين أفراده على اختلاف طوائفهم فتمسكوا بجنسيتهم المصرية التي لا تشير إلى وجه طائفي محدد أو وحيد الجانب، إذ فصل تمامًا بين الانتماء الوطني المصري وبين الانتماء المذهبي الطقوسي إلى طائفة معينة دون أن تعطي هذه الطوائف أفضلية معينة لأفرادها داخل جهاز الدولة وخارجها كما حصل في لبنان على سبيل المثال.

كذلك يلاحظ الحرص لدى أفراد هاتين الأسرتين على إتقان أكثر من لغة أجنبية، خاصة الفرنسية والإنجليزية إلى جانب العربية. وبدأت بعض المدارس الحكومية تنافس الكثير من المدارس الخاصة في مجال تعلم اللغات والعلوم البحتة كالرياضيات والطب والصيدلة والهندسة. لذلك لم يلاحظ أن واحدًا من أفراد هاتين الأسرتين قد تلقى علومه في المدارس والجامعات اللبنانية وحتى الأجنبية بل في الجامعات المصرية. ولعل هذه الظاهرة ساهمت في ترسيخ الوعي الوطني المصري لدى أبناء الأسرتين فاستقروا في مصر واحتفظوا، في الغالب، بالجنسية المصرية دون سواها(١٠).

آل صباغ(١١)

من أسرة سورية أرثوذكسية تعود بجذورها إلى مدينة حمص حيث وُلد الجد

قسطنطين صباغ ونال ثقافة ابتدائية محدودة ثم هاجر إلى القاهرة في أواخر القرن التاسع عشر. انتقل لبعض الوقت إلى الإسكندرية ثم عاد إلى القاهرة وعمل في تجارة الأقمشة بالموسكي. جمع ثروة صغيرة لكنه ترك سبعة أولاد هم أربعة ذكور وثلاث بنات، وقد وُلد جميع أبنائه في القاهرة. يلاحَظ أن ابنتيه بديعة وحفيظة قد تزوجتا من شابين حمصيين أحدهما من عائلة صباغ نفسها والآخر من آل لوقا وكلاهما من الطائفة الأرثوذكسية.

أما الثالثة، ثريا، فتزوجت من أسطفان مغربي، تاجر جملة من أصل شامي، ومن الطائفة الأرثوذكسية. أي أن زواج البنات في تلك الأسرة بقي على الطريقة التقليدية من نفس الأسرة أو المنطقة أو البلدة، وفي الحالات الثلاث من داخل الطائفة.

أما الأبناء الأربعة فهم: حافظ، من مواليد القاهرة عام ١٨٨٧، نال ثقافة ابتدائية وعمل مزارعًا في بلبيس، قرب القاهرة، وله أملاك واسعة. تزوج من عائلة أحوش، وهي أسرة شامية من الطائفة الأرثوذكسية.

وُلد الابن الثاني، عارف، في القاهرة أيضًا، وزوجته من آل حموي، وهي كذلك أسرة أرثوذكسية شامية، ويعمل ملّاكًا في بلبيس. رُزق أربعة أولاد هم: إدوار وميشال وفكتور وجبرائيل ويعمل الجميع في التجارة ولم يرثوا عن والدهم حب العمل في الأرض.

الابن الثالث، نصري، عمل مزارعًا في بلبيس ثم غادر إلى الإسكندرية للعمل في التجارة.

والابن الرابع، فريد، من مواليد القاهرة ١٨٩٠، نال دراسة ثانوية وعمل في تجارة الأقمشة في القاهرة. تزوج من نبيهة نايف لوقا، من مواليد طنطا ١٨٩٥، وهي من أسرة شامية من طائفة الروم الأرثوذكس. نالت ثقافة ثانوية من الكلية الأمريكية للبنات في طنطا ولم تكمل دراستها الجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت. والدها، نايف لوقا، من المهاجرين الشوام الذين غادروا حمص إلى طنطا للعمل في تجارة الأقمشة والأراضي الزراعية. رُزق فريد صباغ ولدين هما نبيل وأديب.

وُلد نبيل صباغ في القاهرة عام ١٩٢١، أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية من خلال دراسته في مدارس الفرير واليسوعيين في القاهرة، التحق بكلية الطب في

الجامعة المصرية، كلية قصر العيني، ثم تركها للالتحاق بالصحافة كمترجم في دار الهلال. وأثناء عمله التحق بمعهد الحقوق الفرنسي في القاهرة لإكمال دراسة الحقوق. عمل مترجمًا في دار الهلال منذ عام ١٩٤٤ وما زال حتى الآن بالإضافة إلى عمله كمستشار التحرير في مجلة «الأهرام الاقتصادي». تزوج من ليندا عبد الأحد، من السريان الكاثوليك ذوي الأصل السوري، من مواليد مصر. وبعد وفاتها تزوج من منى جورج إلياس، وهي أيضًا سورية الأصل ومصرية المولد ووالدتها من آل عبد الله، من طائفة الروم الأرثوذكس في حمص. التحق بالأهرام الاقتصادي منذ عام ١٩٥٢، وقد عيّنه في هذا المركز عزيز ميرزا بطلب من الأستاذ مراد خير، وهو أيضًا من أصل سوري ومن مواليد مصر، والدته الكاتبة المصرية الشهيرة أيمة خير (Emmé Kheir) وكانت تسمى (La Châtelaine du Liban) وكانت لها ثروة طائلة.

أما شقيقه أديب فريد صباغ، فمن مواليد القاهرة عام ١٩٢٦. أتقن الفرنسية والعربية ودرس الهندسة في معهد (Don Bosco) الإيطالي الشهير. هاجر إلى كندا لإكمال دراسة الهندسة واستقر هناك في فانكوفر (Van Kover). تزوج من أميركية وقطع علاقاته الاجتماعية بمصر على الرغم من احتفاظه بالجنسية المصرية إلى جانب الجنسية الكندية.

يلاحظ أن التزاوج الداخلي والطائفي كان مسيطرًا إلى حد بعيد على أبناء الجيل الأول والثاني والثالث من هذه الأسرة التي غادرت حمص إلى الديار المصرية واستقرت هناك. ولا يبرز تزاوج خارجي إلا لدى الجيل الثالث بسبب الهجرة الثقافية إلى كندا والاستقرار النهائي فيها. حتى إن اثنتين من بنات هذه الأسرة قد تزوجتا من حمص، مصدر الهجرة، وعادتا للاستقرار والسكن النهائي فيها ودُفنتا هناك. في حين لم تلاحَظ عودة أي من الذكور إلى تلك المدينة بل استقر معظمهم في المدن المصرية.

يرفض نبيل صباغ فكرة التجنس بالجنسية السورية أو الاحتفاظ بها إلى جانب الجنسية المصرية لأن أيًا من أفراد هذه الأسرة لم يحاول الحصول على الجنسية السورية أو التخلي عن الجنسية المصرية. ويعزو هذا السبب إلى إيمانه بالقومية العربية وامتناع الحاجة إلى تعدد الجنسيات العربية لدى المواطن العربي لأن جنسية واحدة كافية لتأكيد هويته العربية.

يلاحَظ في تاريخ الأسرة تنوع واسع في مجالات العمل، فقد تعاطى الجد العمل التجاري، وعمل الأبناء في التجارة والزراعة، في حين انتشر الأحفاد إلى التجارة والصناعة والمهن الحرة مع ابتعاد كامل عن العمل الزراعي.

فأولاد المزارع عارف صباغ باتوا من كبار أصحاب مصانع تجفيف البصل في مينا البصل بالإسكندرية ومن كبار تجار التصدير فيها. وإدوار صباغ عضو في بورصة مينا البصل. وقد حصّلوا جميعًا ثقافة ثانوية فقط ولم يتزوج منهم سوى ميشال، الذي اقترن بإيطالية ولم يرزق منها أولادًا، في حين بقي فكتور وإدوار عازبين. أما الابن الرابع لعارف صباغ، جبرائيل صباغ، فهو مهندس ورئيس مجلس إدارة الشركة الخديوية لصاحبها أحمد عبود، المليونير المعروف في الإسكندرية والقاهرة ورئيس مجلس شركة السكر ومن كبار متمولي مصر. زوجة جبرائيل مصرية المولد ومن أصل سوري. كذلك تزوجت شقيقته فكتوريا من ريشار زهرة، وهو مليونير من أصل سوري ويسكن الإسكندرية في حين بقيت شقيقته الأخرى، ليلى عزباء.

وقد سار أولاد حافظ صباغ في الخط العائلي نفسه للتزاوج، فماري صباغ، زوجة أنيس رزق الله، التاجر المعروف في القاهرة وهو مصري المولد، لبناني الأصل ومن طائفة الروم الأرثوذكس. وجوزفين صباغ زوجة الدكتور جورج أورفللي، وهو طبيب معروف بالجيزة، مصري المولد، سوري الأصل، أرثوذكسي الطائفة. وريتا حافظ صباغ زوجة ميشال نصبة، تاجر أخشاب في الإسكندرية، مولود في الهند، من أصل سوري ويحمل الجنسية البريطانية، والمهندس يوسف حافظ صباغ، وكيل وزارة هيئة سكك حديد مصر، وهو خبير جسور ومهندس مدني. زوجته هنرييت خوري، مصرية المولد، سورية الأصل، أرثوذكسية الطائفة، والدها صموئيل خوري، عميد في الجيش المصري.

آل صابات(١٢)

هاجر ميشال خليل صابات، إلى القاهرة حوالي عام ١٨٩٥، فكان أول أفراد الأسرة التي انتشرت في مصر. جاء ميشال عازبًا تاركًا باقي أفراد العائلة في بيروت. وتزوج في القاهرة من حنينه قندلفت، من طائفة الروم الكاثوليك لأسرة شامية تقطن دمشق. كانت إحدى طرق الزواج أن يستقدم العريس عروسه بواسطة أحد معارفه. وتلك

كانت حالة ميشال صابات الذي تعرّف إلى شقيقة حنينة في القاهرة، وهي متزوجة من آل بولاد، أسرة شامية مستقرة في القاهرة، فأرسلت تستدعي أختها من دمشق وتم الزواج بهذه الطريقة التي كانت شائعة وليست فريدة في بابها. يلاحَظ لاحقًا أن شقيق زوجة الدكتور خليل صابات، إلياس بهيت، سيعود إلى مسقط رأس العائلة في دمشق ويتزوج من حنينة شنيارة. وهذه أيضًا عادة مألوفة أي أن يعود المهاجر إلى الوطن الأم للزواج من إحدى نسيباته أو أقربائه أو أبناء بلدته أو منطقته ثم يغادران معًا إلى أرض الهجرة. كان الزواج مألوفًا من داخل الطائفة والمنطقة وأحيانًا كثيرة الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المهاجر. وهنا يطرح السؤال التالي. لماذا لا يتزوج المهاجر الشامي من طائفة الأقباط مثلًا؟ في الواقع، كان ذلك الزواج نادرًا في البداية ثم تزايد في المرحلة اللاحقة وكثر في السنوات الأخيرة. السبب في ذلك أن الأقباط المصريين اعتبروا الشوام منافسين لهم وسرقوا منهم الدور التاريخي الذي كان يمكن أن يلعبه الأقباط في مصر كما قام به مسيحيو الشام في سوريا ولبنان أي دور الوساطة التجارية والثقافية والإدارية مع الغرب. وحصلت مهاترات عدة بين الشوام والأقباط، وأحيانًا كثيرة على صفحات الجرائد. وذلك بسبب تلك المنافسة على كسب ود الإنجليز أو الفرنسيين. كان الشوام أكثر مطواعية للعب ذلك الدور، ويجيدون عدة لغات أجنبية، ويفهمون عادات وتقاليد الأجانب أكثر من الأقباط، ويتعاملون معهم بسهولة ولو على حساب جماهير الشعب المصري. لذلك جمعوا ثروات طائلة وكان منهم كبار التجار. وقد نشرت صحيفتا «الوطن» و«مصر»، بشكل خاص، مقالات عدة تؤكد العلاقة السيئة بين الشوام والأقباط.

تلك كانت بداية هجرة آل صابات إلى مصر مع الخياط ميشال صابات الذي عمل في المهنة لدى أحد محلات الخياطة ثم فتح لنفسه محلًا خاصًا سرعان ما نال شهرة واسعة في شارع قصر النيل في القاهرة.

كانت هجرة آل صابات من دمشق إلى بيروت أولًا وذلك في أواخر القرن التاسع عشر بهدف التفتيش عن البحبوحة في العيش ثم هاجر ميشال إلى القاهرة في الوقت الذي هاجر أخواه يوسف وأنطون إلى باريس للغاية نفسها. وعمل الأخوان لدى مؤسسة بطرس بيضا، صاحب شركة بيضا فون للأسطوانات، وكان ذلك إبان معرض باريس الدولي (١٨٩٩، ١٩٠٠). لكن الشقيق ميشال، الذي تحسنت أحواله كثيرًا في

القاهرة، سرعان ما استدعى شقيقه يوسف صابات، والد الدكتور خليل، للمجيء إلى مصر حيث عمل في محلات سليم وسمعان صيدناوي الشهيرة للألبسة الجاهزة في الموسكي بالقاهرة. واستمر في عمله كأمين للصندوق سنوات عديدة. كان يمتلك ثقافة عادية ويتقن اللغة الفرنسية. تزوج من حنينة بطرس بهيت، من طائفة الروم الكاثوليك كزوجها يوسف، ومن أسرة شامية أيضا وكان والدها قد غادر دمشق إلى حاصبيا في لبنان الجنوبي حيث فتح محلا للخياطة. أما الشقيق الثالث، أنطون صابات، فقد غادر باريس إلى لندن ومنها عاد إلى القاهرة للالتحاق بأخويه عام ١٩٠٢، حيث عمل في وزارة الأشغال العامة المصرية. نال ثقافة مدرسية عادية لكنه أتقن الفرنسية والإنجليزية وعمل كمترجم للأفلام السينمائية بالإضافة إلى العمل الوظيفي. كانت الجدة، مرتا كحلا، وهي دمشقية من طائفة الروم الكاثوليك أيضًا، على جانب من اليسر المادي وكانت ترغب في تعليم أبنائها. فأرسلت يوسفَ وأنطونَ إلى اليسوعية للدراسة في بيروت. واستمرت والدة خليل على إصرار الجدة بضرورة تعلم الأبناء بثقافة عالية وإتقانهم لغات أجنبية في حين كان الأب والأعمام يرغبون بانضمام الأبناء إلى العمل الباكر. لذا يعزو الدكتور خليل سبب إكمال دراسته، بالدرجة الأولى، إلى تشجيع والدته وإصرارها على هذا السبيل.

في القاهرة توسعت أسرة الأشقاء الثلاثة من آل صابات على الشكل التالي:

رُزق ميشال صابات بنتًا وحيدة هي ليلى صابات. حصلت على ثقافة عادية وتزوجت من إميل رباط، من طائفة الروم الكاثوليك ومن أصل حلبي.

وتزوج أنطون صابات من روز داود زلزل، من طائفة الروم الكاثوليك من بكفيا ورُزق منها ثلاثة أولاد: رينة (René) التي تزوجت من مالطي من طائفة اللاتين الكاثوليك، ومارجو (Margot) التي تزوجت من ضابط إنجليزي وسافرت معه بعد الحرب العالمية الثانية ولم تنجب أولادًا. وأمين صابات الذي تلقى دراسته لدى الآباء اليسوعيين في مصر وعاش فيها حتى عام ١٩٤٦، ثم عاد مع والدته إلى بيروت حيث ورث ثروة كبيرة عن أجداده آل زلزل في بكفيا. وفي أوائل الحرب الأهلية الحالية في لبنان عاد أمين إلى مصر حيث أسس مصنعًا للملابس الجاهزة ثم نقله إلى نيقوسيا. يأتي باستمرار إلى القاهرة وينوي نقل مصنعه مجددًا إليها. تزوج من لبنانية وتجنس بالجنسية اللبنانية لكنه استعاد جنسيته المصرية لأن المولود في مصر لا يفقد

جنسيته المصرية ولا يمنعه القانون المصري من الاحتفاظ بالجنسية اللبنانية. لكن من الواضح أن ارتباط أمين صابات بمصر كان ولا يزال كبيرًا جدًا على الرغم من عودته إلى لبنان بدافع الحصول على الثروة الموروثة.

رُزق يوسف صابات ثلاثة أولاد هم: خليل المولود في القاهرة في ٣ حزيران (يونيو) ١٩١٩، في حي الفجالة الذي كان مليئًا بالشوام لسنوات طويلة بعد ولادته. نال الدراسة الأولى في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في القاهرة. أتقن الفرنسية إلى جانب العربية وعلى إلمام كاف بالإنجليزية. حصل على البكالوريا المصرية من خلال دراساته في المدارس الخاصة فقط وليس الرسمية. نال إجازة في اللغة الفرنسية من جامعة القاهرة عام ١٩٤٢، وشهادة معهد التحرير والترجمة والصحافة عام ١٩٤٦، وشهادة معهد التربية العالي ١٩٤٧، والدكتوراه في الصحافة من جامعة القاهرة ١٩٥٤. درّس في المعاهد العليا المصرية وترقى إلى رتبة عميد كلية الإعلام في جامعة القاهرة خلال عامي (١٩٧٧، ١٩٧٨). تزوج من دولي (Dolly) زنانيري، من طائفة الروم الكاثوليك وهي أسرة شامية مشهورة في مصر ويعود تاريخها إلى قرابة ثلاثمائة سنة فيها. لم يُرزقا أولادًا.

شقيقه إميل صابات من مواليد القاهرة عام ١٩٢٢. نال دراسته الأولى في المدرسة البطريركية في القاهرة. حصل على البكالوريا المصرية ثم بكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من جامعة القاهرة وكان من ألمع مهندسي القاهرة في حقل تخصصه. بقي عازبًا.

الشقيقة عايدة صابات، من مواليد القاهرة ١٩٢٧. نالت دراستها الأولى في مدرسة (Sacré-Coeur) القلب الأقدس. لم تكمل دراستها الجامعية في حين أن ابنتيها هدى ونادية حاصلتان على شهادات جامعية: الأولى، هدى، ماجستير في الرياضيات البحتة. والثانية، نادية، إجازة في الأدب الألماني من كلية الآداب في جامعة القاهرة. تزوجت عايدة صابات من فؤاد زيدان، من طائفة الروم الأرثوذكس وابن شقيق جورجي زيدان، وهو صاحب مكتبة الهلال في القاهرة. وأما ابنتهما الأولى هدى فقد تزوجت من عادل غطاس، من طائفة الروم الكاثوليك لأسرة شامية معروفة، ويعمل في حقل الإعلانات. والثانية، ناديا، فمخطوبة لشاب من أسرة شامية أيضًا.

ويلاحظ في سيرة العائلة أن الجد، خليل صابات، ترك ثلاثة ذكور وابنة بقيت عازبة هي ماري صابات. لكن الأبناء الثلاثة أنجبوا بناتًا فقط أو ذكورًا لم يتزوجوا أو تزوجوا ولم ينجبوا. لذلك لم تتوسع أسرة صابات في مصر بل تقلصت إلى الحد الأقصى وتسير على طريق الانقراض لجهة الأبناء الذكور فيها. وبقيت هذه الأسرة، بجميع أفرادها، ذكورا وإناثا، على علاقة وثيقة بمصر حيث استقروا فيها نهائيًا. حتى أن أمين صابات، الذي غادر مصر عام ١٩٤٦، عاد إليها في أواسط السبعينيات أي بعد حوالي ثلاثين سنة، مطالبا بجنسيته المصرية للاستقرار نهائيًا في مصر. كانت طريقة الزواج المتبعة لدى أبناء الجيل الأول من أسرة صابات تقوم على الزواج من داخل الطائفة والمنطقة. أما أبناء الجيل الثاني فقاموا بزواج مختلط لكن داخل الدين المسيحي الواحد، كذلك فعل أبناء الجيل الثالث. وحافظت الأسرة على تسمية أبنائها بأسماء عربية معروفة لدى مهاجري الشوام في الوقت الذي سادت فيه موجة التسميات بأسماء أجنبية مثل هكتور، وجان بيار، وفريدريك، وأنطونيو وسواها. ويذكر خليل كيف جاء ذات مرة إلى والدته وهو يبكي لأن اسمه شبيه باسم عامل المطعم المجاور لبيتهم. وكيف أن اسم أخيه كان في البداية أمين على اسم عمه الذي توفي شابًا فخافت الأم على وليدها وحرفت اسمه إلى إميل.

آل صرّوف(١٣)

أسرة لبنانية كانت تقطن حارة البطم في حدث بيروت لجهة كفر شيما ـ الوروار. ويشير الدكتور فؤاد صروف إلى رواية غير مؤكدة عن أصل يوناني لهذه الأسرة التي جاءت دمشق أولًا ثم انتقل منها إلى الحدث الجد نقولا صرّوف، وكان أرثوذكسيًا لكن العائلة ما لبثت أن انتقلت إلى البروتستانتية ربما لإغراء مادي بهدف تعليم يعقوب صرّوف في مدرسة عبية للمرسلين الأمريكان. أما فؤاد صروف فقد وُلد بروتستانتيًا.

كان الجد، نقولا صروف، على جانب بسيط من الثقافة كذلك الأب حنا صروف. وكان الاثنان يعملان في مهنة معلم معمار ولهما شهرة واسعة في هذا الحقل. أنجب الجد ثلاثة ذكور وست بنات هم: يعقوب، حنا، إسحق، هيلانة، مريم، سلمى، كاترين، كفى، حلا، وذلك من زوجة واحدة. بقيت مريم عزباء، وتزوجت هيلانة من أرثوذكسي حمصي هو إبراهيم حوراني، وكان يملك فندقًا في الإسكندرية. وتزوجت

سلمى من الخوري جرجي كرم، أرثوذكسي من المزرعة في بيروت. وتزوجت كاترين من المعلم الأرثوذكسي قسطنطين الخوري المقيم في سوق الغرب. وتزوجت كفى من أحد أفراد أسرة آل الدباس الأرثوذكسية من حدث بيروت. أما حلا فتزوجت من قسيس بروتستانتي من ضهور الشوير. هكذا جمع زواج الفتيات في أسرة نقولا صروف بين الأرثوذكس، في الغالب، والبروتستانت بعد إقامة علاقة معهم عندما أُدخل يعقوب صروف إلى مدارسهم، وباستثناء هيلانة التي تزوجت من حمصي مقيم في الإسكندرية وله مصالح اقتصادية هناك فإن علاقة بنات نقولا صروف بمصر كانت معدومة تمامًا لأنهن جميعًا بقين في لبنان وذلك على عكس الشباب الثلاثة أولاد نقولا الذين غادروا جميعهم إلى مصر حيث استقر يعقوب وإسحق وعاد حنا إلى مسقط رأسه ليذهب ابنه، الدكتور فؤاد صروف، إلى مصر فيمضي سنوات طويلة هناك. أما الجد نقولا صروف الذي توفي في حدث بيروت عام ١٩٠٨، فلم يذهب قط إلى مصر.

تعلم يعقوب صروف في مدرسة المرسلين الأميركان في عبية أعوام (١٨٤٨ - ١٨٥٠). ولما تحولت (Syrian Protestant College) إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، كان واحدًا من الستة عشر طالبًا الأوائل الذين تسجلوا فيها عام ١٨٦٦ وواحدًا من الخمسة الأوائل الذين تخرجوا فيها عام ١٨٧٠. وبعد تخرجه درّس في صيدا لمدة سنتين ثم درّس في طرابلس. كان رئيس الجامعة الأمريكية، هيوارد بلس (Bliss) يبحث عن أستاذ لمادة الفيزياء فتذكر يعقوب صروف واستدعاه للتدريس في الجامعة عام ١٨٧٣. وفي العام التالي ١٨٧٤، تخرج في الجامعة الدكتور فارس نمر وكانت تربطه بيعقوب صروف صداقة حميمة.

وقد روى يعقوب صروف لابن أخيه فؤاد أن من حسنات الصدف أن الجامعة نقلته من أجواء الأدب إلى الفيزياء والعلوم الأخرى. وقد ساعده ذلك على إدارة مجلة شمولية تكتب فيها القضايا العلمية بلغة عربية صافية وسليمة. وفي عام ١٨٧٦ رأى الثنائي نمر ـ صروف أن الحاجة باتت ملحة لمثل هذه المجلة التي تنقل طرائف العلوم الحديثة إلى اللغة العربية وذهبا إلى كورنيلوس فان ديك، رئيس الجامعة، وعرضا عليه الفكرة فباركها ودعمها واقترح عليهما تسمية المجلة «المقتطف» على غرار الجامعة الأمريكية المعروفة (Eclectics) أي «الطرائف». واستمرا في التدريس الجامعي وإصدار المجلة في الجامعة الأمريكية حتى عام ١٨٨٤، استطاعا خلالها

نقل الكثير من الأفكار العلمية الحديثة إلى اللغة العربية خاصة مسألة «أصل الأنواع» لداروين الذي أثار جدلًا حاميًا خلال أعوام (١٨٨١ ـ ١٨٨٢)، وذلك على صفحات «المقتطف» وغيرها من صحف المرحلة ومجلاتها. وشارك الدكتور شبلي الشميل بحماس في هذا السجال العلمي.

ويذكر يعقوب صروف لابن أخيه أن أستاذ العلوم في الجامعة أدوين لويس (Lewis) اقترح عليه إلقاء خطاب التخرج لعام ١٨٨٢، فأتى على ذكر داروين وأهمية كتابه. فثارت ثائرة المرسلين البروتستانت وأنهوا خدمة لويس من الجامعة وسرّحوا فارس نمر ويعقوب صروف من العمل بعد أن كانا يستعدان للحصول على منصب أستاذ فيها.

لذلك قرر نمر وصروف الهجرة إلى أمريكا للعمل هناك. وكانت طريق الهجرة، وهي بحرية فقط آنذاك، تمر في مصر، خاصة الإسكندرية. ولقي الاثنان حفاوة بالغة لدى كبار رجال الدولة المصرية الذين كانوا على صلة وثيقة بمجلة «المقتطف»، وطلبوا إليهما الاستقرار في مصر وإصدار المجلة فيها. هكذا بدأت مسيرة «المقتطف» في مصر وأُضيف إليها «المقطم» بعد فترة.

كانت عائلة بركات في سوق الغرب على علاقة وثيقة بالمرسلين الإنجليز فيها ومن يقيم معهم علاقات مباشرة. ويلاحظ فؤاد صروف أن البنات الأربع في هذه الأسرة قد تزوجن من أربعة علماء وأدباء معروفين جدًا في لبنان في النصف الأول من القرن العشرين. فالأولى زوجة الشيخ إبراهيم الحوراني، والثانية زوجة المعلم رزق الله البرباري، والثالثة زوجة أسعد خليل داغر، والرابعة زوجة يعقوب صروف. وقد أنجب يعقوب صروف ذكرا وثلاث بنات. نال نجيب يعقوب صروف شهادة (B.A) من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٨٩٨، ولم يتعاط الأعمال الثقافية بل انصرف إلى التجارة وإدارة الأعمال حتى وفاته عام ١٩٤٩. بقيت هيلين صروف عزباء وتزوجت شقيقتها أليس من ألفرد التويني، شقيق نخلة التويني واستقرت في بيروت. أما أدما يعقوب صروف فتزوجت من سعيد باشا شقير، من مواليد الشويفات. توفي ودُفن في مصر مع زوجته أدما بعد أن رزقا ثلاثة أولاد: ألبرت شقير الذي استقر وتوفي في مصر، وسيليست (Céleste) التي تزوجت من دبلوماسي بريطاني يُدعى المستر روبرتس (Roberts)، وفريد شقير الذي لا يزال يتنقل بين مصر وبيروت

وما زالت له مصالح هامة في مصر. فأسرة يعقوب صروف باتت على علاقة وطيدة بمصر أكثر من ارتباطها بمسقط رأس الأب، أي لبنان. أما شقيقه، إسحق صروف، فقد تعلم في الجامعة الأمريكية ثم هاجر إلى مصر حيث عمل مساعدًا للتحرير في جريدة المقطم حتى وفاته. تزوج من الأديبة رحمة خوري، من بينو في عكار بعد أن تعرف إليها في مصر وكانت لها مقالات مشهورة في المقتطف وسواها باسم رحمة صروف. كانت لها شهرة تعادل شهرة جوليا طعمة، الأديبة والمربية المعروفة. أما أولاد إسحق صروف، فريد وأديب ولوريس فقد استقروا في لبنان وليست لهم أية روابط في مصر.

كان حنا صروف شبه أميّ لكنه كان معلم معمار من الفئة الممتازة. ذهب إلى مصر لفترة قصيرة بزيارة لأخويه يعقوب وإسحق ثم قفل راجعًا إلى الحدث حيث أمضى سنوات حياته. جمع إلى جانب مهنته في المعمار وكالة المقتطف في بيروت وكان يتلقى بعض الدعم المادي من شقيقه يعقوب لإعالة أسرته. فقد تزوج حنا صروف من هيلانة جريديني من الشويفات ورزق منها فؤاد وأنيس وفكتور ونقولا وفيوليت.

تزوجت فيوليت من مغترب لبناني إلى البرازيل من أسرة عطية وتوفيت هناك. أما فكتور فقد توفي بالأنفلونزا وهو لا يزال في مقتبل العمر وذلك عام ١٩١٩. وُلد نقولا حنا صروف في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٠٨، فسمي أولًا باسم نيازي تشبهًا بجماعة الدستور العثماني ثم غيروا له اسمه وهاجر إلى مصر حيث عمل فترة قصيرة سافر بعدها إلى أستراليا. توفي عام ١٩٧٦. أما أنيس فقد تعلّم في الشويفات ثم في الإنترناشيونال كوليج (I.C) ذهب إلى مصر وقام ببعض الأعمال الصناعية. قُتل في حادثة قطار في بلجيكا عام ١٩٣٢. ويلاحظ أن الأخوين أنيس ونقولا صروف كانت لهما علاقة غير مستقرة بمصر وذلك بسبب نوع الأعمال التي قاما بها أي التجارة أو الصناعة. أما الأخ الثالث، الدكتور فؤاد صروف، فأقام علاقة ثابتة ودائمة في مصر نظرًا لاختصاصه العلمي وحاجة عمه يعقوب صروف إليه في إدارة «المقتطف».

تعلم فؤاد صروف في الجامعة الأمريكية في بيروت إبان سنوات الحرب العالمية الأولى وتخرج فيها عام ١٩١٨ حاملًا (B.A) دُعي من قبل رئيسها هيوارد بلس للتدريس في (I.C) التي كانت بمثابة المدرسة الإعدادية للجامعة. وكان يعقوب ينفق عليه من بداية حياته حتى تخرجه في الجامعة لأن والده كان فقيرًا. وعلى الرغم من

انخراطه في التدريس في سن مبكرة فقد جاءته رسالة عمه تحثه على دراسة الطب مع ضمان دفع كافة النفقات. وقد بدأها فعلًا لكن الظروف لم تسمح له بالاستمرار بسبب حاجة العائلة إلى راتبه الشهري. وبتوصية من وليم فون ديك (Van Deak) ابن كورنيلوس، عُيِّن فؤاد صروف ناظرًا لمدرسة سوق الغرب طيلة سنوات (١٩١٩-١٩٢٢).

يذكر من تلامذة هذه المرحلة الدكاترة جبرائيل جبور، أنيس فريحة، موسى غنطوس وسواهم، وخلال هذه المرحلة زار فؤاد صروف مصر وأمضى فيها خمسة عشر يومًا بضيافة عمه يعقوب ثم عاد لمتابعة عمله في سوق الغرب. وفي عام ١٩٢٢ جاءته دعوة للعمل في المقتطف. فغادر سوق الغرب إلى مصر وساعد عمه في إدارة المجلة حتى وفاته عام ١٩٢٧، ثم تولى رئاسة تحريرها دون انقطاع حتى عام ١٩٤٦، حين ترك المقتطف بسبب إغراء مادي لم يتحقق لإصدار مجلة «المختار» التي أنشأها في القاهرة وتولى رئاسة تحريرها لمدة أربع سنوات. ثم دُعي من قبل مجلس أمناء الجامعة الأمريكية في بيروت لتولي منصب نائب الرئيس فيها. فعاد إلى بيروت عام ١٩٥٢، وبقي في مسقط رأسه لبنان حتى الآن. عُين عضوًا في اللجنة الوطنية للأونيسكو وتابع نشاطها في لبنان وفي باريس إلى أن انتخب نائبًا للرئيس ثم رئيسًا للمجلس التنفيذي للأونيسكو عام ١٩٧٤. أحب الأعمال التي قام بها إلى قلبه هي التالية: رئاسة تحرير «المقتطف»، عمله في إدارة الجامعة الأمريكية في بيروت، رئاسة تحرير منشورات العيد المئوي للجامعة الأمريكية في بيروت والتي بلغت ٢٤ مجلدًا، عمله في الأونيسكو، الأبحاث العلمية التي حررها أو أشرف على تنفيذها. تزوج من لبنانية مولودة في إنجلترا هي السيدة ليلى يواكيم مجدلاني، ابنة عم النائب نسيم مجدلاني. لقد عاش الدكتور فؤاد صروف قرابة ثلاثين عاما في مصر (١٩٢٢-١٩٥٢)، وهي السنوات التي أمضى قسما كبيرًا منها في إدارة «المقتطف» ومواكبة الحياة الثقافية والعلمية في مصر والعالم، وساهمت في تبلور شخصيته وسمعته العلمية إلى حد بعيد.

ويذكر أن مكتبه في مجلة «المقتطف» شهد ولادة «المجمع العلمي المصري» عام (١٩٣٠، ١٩٣١)، وكان فيه عدد من اللبنانيين أمثال فارس نمر، أندراوس شخاشيري، وانتُخِب فؤاد صروف أمينًا عامًا له ذلك العام.

آل ثابت[١٤]

يعود أصل العائلة إلى دير القمر حيث أقام داود ثابت طيلة حياته. كانت أسرة مارونية انتقل بعض أفرادها إلى البروتستانتية في القرن التاسع عشر، ثم عاد بعضهم إلى المارونية بعد عودتهم إلى لبنان.

كان لداود ثابت خمسة أولاد ذكور دون إشارة إلى البنات. وكان أكبرهم سليم ثابت الذي عمل قاضيًا في عهد المتصرفية. هاجر خليل ورشيد إلى مصر وبقي حبيب وسعيد وسليم في لبنان. ثم استقر بعض أبناء خليل في مصر أو خارج لبنان، وعاد بعضهم الآخر إلى الوطن الأم. وتاريخ هذه العائلة يقدم نموذجًا بالغ الدلالة للهجرة اللبنانية إلى مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومصير هذه الهجرة في النصف الأول من القرن العشرين.

وُلد خليل ثابت في دير القمر عام ١٨٧٠. ماروني المولد ثم انتقل إلى البروتستانتية. تعلم في مدرسة الشويفات التي كان يديرها القس إبراهيم سعد، وأكمل دراسته في الجامعة الأمريكية حيث تخرج فيها عام ١٨٩٢، بدرجة بكالوريوس في الآداب. أتقن العربية والإنجليزية ومارس التدريس في الجامعة الأمريكية إلى جانب الأستاذ فارس الخوري، رئيس وزراء سوريا المعروف أيام الانتداب الفرنسي، طيلة سنوات (١٨٩٢-١٨٩٨). لكنهما تركا الجامعة بسبب خلافهما مع الدكتور دانيال بلس (Bliss)رئيس الجامعة، «وذلك بسبب الموقف المناهض لترقي الأساتذة العرب في الجامعة آنذاك» كما يقول الدكتور سمير ثابت. فانتقل فارس الخوري إلى إسطنبول حيث درس الحقوق وعاد لممارسة المحاماة، في حين هاجر خليل ثابت إلى السودان عام ١٨٩٩ حيث أسس «السودان» Sudan كأول جريدة تصدر باللغة الإنجليزية بالإضافة إلى العربية. ثم غادر السودان إلى القاهرة بدعوة من أصحاب «المقتطف» و«المقطم» حيث تولّى إدارتهما. وفي عام ١٩٠٢، تزوج من الآنسة إيمة (Emmé) شاهين مكاريوس واستمر في «المقطم» حتى أواخر أيام حياته، كما رأس تحريرها لمدة تزيد على الأربعين سنة.

عمل كذلك رئيسًا لقلم الخزانة في أسيوط لعدة سنوات. لكن عمله الأساسي كان في إدارة «المقتطف» و«المقطم»، إلى جانب والد زوجته شاهين مكاريوس والدكتور

فارس نمر، ثم منفردًا بعد تقاعدهما. كتب مقالات صحفية هامة إبان الحرب العالمية الأولى حول مصر والسودان والمشرق العربي، فكان صحافيًا بارعًا نال شهرة عالمية حتى قالت فيه جريدة «لسان العرب»: «إنه أعلم الصحافيين في مصر دون منازع». كانت هوايته المفضلة جمع التحف وكان متواضعًا لا يحب المظاهر على الرغم من المراكز الكبرى التي وصل إليها خاصة عضويته في مجلس الشيوخ المصري لعدة دورات، إلى جانب أنطون الجميّل وآخرين من مهاجري الشوام إلى مصر، وكان هذا المنصب بالتعيين من جانب الملك المصري. مارس نشاطات اجتماعية مختلفة وأسس مع بعض المهاجرين الشوام في الخرطوم، «النادي السوري في الخرطوم»، على غرار النادي السوري الشهير في الإسكندرية. كذلك ترأس «النادي الشرقي» في القاهرة وكان محترما من الجميع حتى بعد قيام ثورة ١٩٥٢، إذ بقي في مصر محاطًا بالتكريم حتى آخر أيام حياته ولم يغادرها إلا عام ١٩٦٢، بعد أن أعياه العمر فعاد إلى بيروت حيث توفي عام ١٩٦٤. ويرى الدكتور سمير أن سبب بروز والده يعود إلى دوره الصحافي من جهة، وعضويته في المجمع اللغوي المصري، وصداقاته لرجال السياسة والأدب في عصره. نال رتبة بك من حكومة مصر والسودان.

أما شقيقه رشيد ثابت فقد وُلد في بيروت وتعلم في مدارسها ثم تخرج في الكلية السورية الإنجيلية برتبة بكالوريوس في الآداب عام ١٨٩٩، وأتقن العربية والإنجليزية. فور تخرجه التحق بشقيقه خليل وحرّر جريدة «السودان» الصادرة في الخرطوم باللغتين العربية والإنجليزية وفي جريدة «المقطم». كان صحافيًا بارزًا وأدار «السودان» و«السودان تايم Sudan Times» سنوات طويلة بعد عودة شقيقه خليل إلى مصر.

مارس العمل التجاري دون نجاح كبير فعاد إلى الصحافة واستمر فيها طيلة أيام حياته. كان من أوائل الداعين إلى اتحاد مصر وسوريا في مملكة ثنائية التاج ونشر مقالات عدة حول هذا الموضوع عام ١٩١٦، في غمرة المشاريع الخارجية لتقسيم السلطنة العثمانية. كان وثيق الصلة بالأمريكيين بالإضافة إلى ارتباطه الثابت بالخط السياسي للمقطم والمقتطف. وليست لدينا معلومات إضافية حول رشيد ثابت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

يتضح من سيرة الأخوين خليل ورشيد ثابت أن المجتمع المصري اجتذب أعدادًا

كبيرة من مفكري الشوام خلال هذه المرحلة، خاصة أولئك الذين تعلموا في المدارس الأمريكية وأنهوا دراستهم في الكلية السورية الإنجيلية. ويؤكد الدكتور سمير ثابت أن أبناء ذلك الجيل من السوريين واللبنانيين تميزوا بسمات أساسية لم تتوفر في الجيل اللاحق أي جيل أبنائهم. «أبرز تلك السمات أن جيل الآباء والأجداد لاقى نجاحًا كبيرا جدًا في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين حيث كانت حاجة مصر ماسة إلى المثقفين لذلك اندمجوا بالكامل في مصر وشكلوا نخبة مميزة، وذات ثقافة واسعة، وإمكانيات تجارية كبيرة، وثروة عقارية واسعة، ومصانع أو فبارك ضخمة مزودة بأحدث الآلات الأوربية، ووظائف إدارية في أعلى السلم الوظيفي، وكانت لهم أدوار سياسية كبيرة وكلمة نافذة لدى رجال السياسة العاملين في مصر، من إنجليز ومصريين على السواء». وكانت نتيجة ذلك، أن أبناء ذلك الجيل قد أحبوا مصر حبًا عظيمًا واعتبروها بمثابة موطنهم الحقيقي، ورفضوا الخروج منها. وعلى الرغم من المضايقات التي لحقت بوالده وشقيقه كريم ثابت، فإنهما أصرا على البقاء فيها معتبرين تلك المضايقات بسبب انتمائهما السياسي إلى العهد الخديوي فقط، وهي لحقت بجميع المصريين المنتمين إلى ذلك الانتماء، ولم يلحق أي أذى بالسوريين واللبنانيين في مصر بسبب الجنسية أو الدين. لذلك تصرف أبناء ذلك الجيل كمصريين أكثر منهم كأبناء جالية سورية ـ لبنانية تقطن في مصر.

ويختلف الوضع تمامًا مع الجيل الثالث لمهاجري الشوام إلى مصر أي جيل ما بين الحربين العالميتين ولدينا في سيرة أبناء خليل ثابت نموذج واضح على هذا الجيل وتطلعاته. كان لخليل ثابت خمسة أولاد: كريم وفريد وسمير ونادیا وليلى، وكلهم من مواليد القاهرة. تزوج كريم من إيلان سركيس وهي مصرية من أصل لبناني. في حين تزوج فريد من ألمانية ثم من لبنانية بعد عودته لممارسة مهنته كدكتور في الطب في بيروت. وتزوج الدكتور سمير من إيفات مرشاق، وهي سورية الأصل وتعود جذور أسرتها إلى حاصبيا في لبنان. وكانت إيفات مرشاق مصرية الجنسية ثم نالت الجنسية اللبنانية بعد عودتها مع زوجها إلى لبنان للاستقرار النهائي فيه. أما ناديا فقد تزوجت من مرسال زنانيري، وهي عائلة شامية مشهورة في مصر لكنها اكتسبت الجنسية المصرية، فحافظت ناديا وزوجها على هذه الجنسية.

تؤكد سيرة الأسرة أيضًا أن علاقات الزواج بين مهاجري الشوام إلى مصر كانت

داخلية أي بين أبناء السوريين واللبنانيين في الغالب، ومن داخل الدين الواحد في الغالب أيضًا، دون أن يكون التزاوج من داخل الطائفة الواحدة إلا بنسب متفاوته بين طائفة وأخرى، وعائلة وأخرى. وبقي الزواج من طوائف أخرى خارج الدين الواحد أمرًا نادرًا، كذلك الزواج بين مسيحيي الشوام والأقباط. أما زواج مسلمي الشوام من بنات مسلمات، مصريات أو شاميات، فكان مألوفا مع بعض حالات الزواج بين مسلمين ومسيحيات مصريات وشاميات. وكان التزاوج الداخلي، الطائفي، العائلي نموذجًا شائعًا يندرج في إطار التزاوج السائد في مناطق الهجرة الأصلية أي المناطق السورية واللبنانية التي غادروها إلى مصر مصطحبين معهم عاداتهم السابقة في هذا المجال وفي مجالات أخرى.

في سيرة العائلة نموذجان مختلفان للأخوين كريم ثابت وسمير ثابت أما الدكتور فريد والشقيقتان ليلى وناديا فنماذج عادية لمهاجري الشوام في مصر.

ولد كريم ثابت عام ١٩٠٣، في القاهرة وتعلم في مدارس اليسوعيين فيها حتى نال البكالوريا. مارس الصحافة في سن مبكرة أي دون التاسعة عشرة من عمره إذ ينتسب إلى أسرة صحافية معروفة: والده خليل ثابت، وعمه رشيد ثابت، وجده لأمه شاهين مكاريوس، وخاله الدكتور فارس نمر. ساهم في تأسيس جريدة «المصري» الناطقة باسم حزب الوفد وكانت له مقابلات مشهورة مع زعماء عصره كهتلر وموسوليني وغيرهما. كتب الكثير حول تاريخ مصر السياسي منذ أيام محمد علي وصولًا إلى الخديو توفيق، وألف كتابًا هامًا حول سيرة مصطفى كامل، وكانت له أبواب صحافية ثابتة في جرائد «المقطم» و«السياسة» و«الكشاف» أبرزها «عالم السياسة» و«ما وراء البحار». كان يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وكانت له صداقات واسعة مع مشاهير رجال السياسة في مصر وخارجها حتى أنه عين معتمدًا لأكثر من دولة أوربية في مصر. لكن العمل الصحفي كان يجتذبه باستمرار فأصدر «كل شيء» لفترة طويلة قبل أن ينصرف إلى العمل السياسي كمستشار خاص للملك فاروق. منحته إيطاليا، أيام موسوليني، الوسام الإيطالي من رتبة ممتازة مع نيشان التاج الإيطالي. يقول عنه شقيقه، الدكتور سمير: «إن سلوكه الاجتماعي كان يناقض تمامًا سلوك والده المعروف بالتواضع. كان كريم ثابت يحب الوجاهة والمظاهر فجمع نياشين كثيرة وبقي مستشارًا للملك فاروق حتى خلع في ثورة ١٩٥٢، فسجن ثم غادر

السجن لكنه أصر على البقاء في مصر لأنه أحبها كثيرًا ولعب دورًا بارزًا في حياة مصر السياسية المعاصرة. توفي في مصر قبل أربعين يومًا فقط من وفاة والده في بيروت عام ١٩٦٤».

نموذج كريم ثابت، ابن المهاجر صاحب النفوذ، عضو مجلس الشيوخ المصري، والصحافي البارز خليل ثابت، تعبير عن شريحة واسعة من أبناء الجيل الثالث من مهاجري الشوام إلى مصر، وهو الجيل الذي فتح عينيه على الغنى الاقتصادي، والنفوذ السياسي، والمنابر الصحفية المفتوحة على مصراعيها أمامه. فأحب مصر كثيرًا لأن علاقته بوطن الآباء والأجداد كانت عاطفية وسطحية إذ ليس له فيه أصدقاء، أو مصالح اقتصادية، أو تاريخ حميم من العلاقات الاجتماعية.

على الجانب الآخر للصورة نموذج الأخ الثاني، الدكتو سمير ثابت، المولود في القاهرة عام ١٩٢٣. نال الثقافة بلغة فرنسية في البداية، في مدارس مصر اليسوعية ثم سافر إلى لندن بعد أن حصل على البكالوريا المصرية. وهناك جمع بين الثقافة الفرنسية والإنجليزية بالإضافة إلى العربية تخصص في الكيمياء ونال درجة دكتور في الكيمياء ثم عاد إلى السويس حيث بقي عامًا واحدًا بوظيفة لم ترض طموحه فقفل راجعًا إلى فرنسا للعمل هناك. وما لبث الزعيم اللبناني كمال جنبلاط أن أرسل بطلبه إلى بيروت لدراسة مشروع الأسمنت في سبلين عام ١٩٥٢، وسرعان ما التحق للتدريس بالجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٥٢، واستقر بها حتى أصبح نائب الرئيس فيها للشئون الإدارية.

لم ينخرط الدكتور سمير ثابت في الحياة المصرية. فما إن أكمل دراسة البكالوريا في سن مبكرة حتى غادر مصر إلى لندن. وما إن أنجز دراسته حتى كانت هناك تبديلات عاصفة في المجتمع المصري على أعقاب الحرب العالمية الثانية. ولم تعد الوظيفة براتب محدود وقليل تجذب الدكتور في الكيمياء للاستقرار في مصر فغادرها إلى باريس. لكن نهضة البورجوازية اللبنانية آنذاك اجتذبت الدكتور سمير إلى بيروت فعاد إلى وطن آبائه وأجداده واستقر فيه نهائيًا.

وللدكتور سمير انطباعات هامة حول المدارس، والحياة الاجتماعية والاندماج السوري واللبناني في مصر،والعاطفة تجاه «الوطن الثاني» وهي غنية وذات دلالة.

كانت المدارس مختلطة من كل الجنسيات والطوائف ولم تكن هناك أجواء طائفية

أو عرقية أبدًا بل كانت الجاليات الأجنبية تمثل النخبة من العائلات الأرستقراطية، من مصرية وأجنبية على السواء. كان اليهودي والمسيحي والمسلم يسكنون جنبًا إلى جنب، ويعملون معًا دون تفرقة. أبرز عائلات الشوام الغنية آنذاك آل الصيدناوي، وتاجر، وزيدان، وتقلا، والجميل، ومطران، وزيادة وغيرها. كانت معظم نشاطاتها ذات طابع تجاري بالإضافة إلى النشاط الصحافي والأدبي. وعلى الرغم من السكن المختلط فإن أحياء الأرستقراطية كانت مميزة، خاصة سكن الجاليات الغنية. كان المواطن المصري يرتاب من تصرف هذه الجمعيات التي تسكن وتتزاوج وتسهر مع بعضها فقط. كان أبناء تلك العائلات يمتلكون سيارات فخمة ويقيمون الحفلات الكبيرة. «بصراحة كنا متميزين عن المجتمع المصري على الرغم من وجود صداقات لي مع بعض الشبان المسلمين من أبناء الأرستقراطية. لكن الحقيقة تقال إن اللبنانيين كانوا يجهدون فعلا للاندماج في المجتمع المصري. وكان بعض المهاجرين يتحاشون تسمية أبنائهم بأسماء مسيحية واضحة وقد تمصر البعض الآخر فعلا. وعلى الرغم مما حصل للبعض من مضايقات فإن والدي خليل ثابت، وأخي كريم ثابت، وعمي والد زوجتي إلياس مرشاق، أصروا على البقاء في مصر». لذلك بقي إلياس مرشاق بعد التقاعد في مصر علمًا بأنهم أمموا له ممتلكاته كلها. فمات هناك لأنه أصر على تمضية آخر أيامه في مصر. وفي تلك النماذج دلالة واضحة أن عددًا كبيرًا من المهاجرين السوريين واللبنانيين دخلوا صميم الحياة المصرية واندمجوا فيها وأحبوها وتمنوا الحياة والموت فيها. «أما أنا فلم أعايش تمامًا حياة المجتمع المصري لذلك لا أشعر بالحنين إليه كوالدي وأخي ووالد زوجتي. ولم تكن عودتي إلى لبنان بدافع ذاتي بل بطلب من كمال جنبلاط. ولم يكن لدي شعور بالعودة وكان يمكن أن أنتقل إلى أي مكان آخر». بقي أن نسجل ملاحظة هامة: أن المجتمع المصري لم يعرف إطلاقا الاضطهاد الطائفي. وأن ما ظهر من تمايز بين السوريين واللبنانيين وبين المجتمع المصري العادي كان ناتجًا عن الغنى الاقتصادي وتشبه الأغنياء المهاجرين بالجاليات الأجنبية التي كانت تمتص خيرات المصريين مما زاد من نقمة المصريين ضدها وانعكس الوضع سلبًا على أغنياء الشوام. لكن الوضع بدأ يتبدل طائفيا مع ظهور حركة الإخوان المسلمين في مصر واشتداد التعصب الديني ضد المسيحيين وهو موضوع سياسي يحتاج إلى معالجة دقيقة. إن اندماج الجيل الأول والثاني من المهاجرين كان كاملًا لأن هؤلاء تميزوا بالغنى والنفوذ السياسي

والصحافي والأدبي. «لكن وضع الجيل الثالث، جيلنا، كان أكثر صعوبة نظرًا لبروز أعداد وافرة من المثقفين المصريين بحيث بات المجتمع المصري قادرًا على تصوير نفسه فأحس المثقف المهاجر أنه غير مرغوب فيه. ولهذا السبب يتكلم الآباء والأجداد من مهاجري السوريين واللبنانيين عن مصر بلوعة حقيقية، وتقرأ الدموع الصادقة في عيونهم، أما جيل الأبناء فشعور عادي تجاه مجتمع ولد فيه لأسباب خارجة عن إرادتهم ثم غادروه بدافع التفتيش عن العمل».

آل نمر(١٥)

ولد فارس نمر في حاصبيا عام ١٨٥٦، لعائلة أرثوذكسية. كان صغير السن عندما حصلت صدامات ١٨٦٠، الطائفية حيث قتل والده أسطفان نقولا نمر الملقب بالنعسان، وكان وكيلًا لأملاك أحد الأمراء الشهابيين هناك. ومن الذين قتلوا أيضًا في حاصبيا آنذاك جد المؤرخ ألبرت حوراني لأبيه. لذلك رحلت الأم بولديها فارس ونقولا نمر، وبرفقة شقيقة زوجها مريم نمر، إلى مجدل شمس حيث مكثوا عدة أيام عند آل فرحات.

فالنزاع الطائفي لعام ١٨٦٠، لم يشمل جميع الدروز ضد جميع المسيحيين بل كان مصلحو الفريقين يتدخلون، معرضين أنفسهم للخطر، كي ينقذوا الأبرياء.

وذلك يؤكد أن المد الطائفي كان محدودًا بفترة زمنية من جهة، ويرتدي طابع الفورة الطائفية من جهة أخرى. وكان من يقوم بهذه الفورة عدد محدود من الفريقين، ولأسباب عديدة أبرزها الثأر والانتقام، ثم تعود الأمور إلى مجاريها دون أن تطال جميع القرى وجميع العائلات في جميع المناطق.

من مجدل شمس انتقل الأربعة إلى صيدا مشيًا على الأقدام حيث مكثوا قرابة الشهرين في قبو متهدم. يومذاك أنشئ مكتب عثماني لمساعدة المهجّرين والمنكوبين فلاقوا العون والمساعدة منه واستطاع عم فارس نمر نقلهم بالسفينة إلى بيروت حيث احتضنتهم مؤسسة لمساعدة المنكوبين وأسكنتهم في غرفة واحدة ذات رائحة خانقة لشدة العفن فيها. ثم نقلوا إلى منطقة المصيطبة مع أولاد آخرين من أبناء المنكوبين فبلغ عددهم ١٤ نسمة توفي بعضهم بسبب الأمراض. كانوا فقراء جدًا، فاضطرت الوالدة إلى الرحيل بولديها إلى القدس للعمل كخادمة. وهناك أدخلتهما المدرسة

الأسقفية المعروفة باسم (Bishop Gobet School) ثم عادوا مجددًا إلى بيروت وكان فارس قد قارب سن الخامسة عشرة من عمره. كان يحب الرياضيات كثيرًا. ولم تكن الجامعة الأمريكية تقبل الطلاب فيها دون سن الثامنة عشرة. فكان يقف قرب سور الجامعة ينتظر الرئيس بايار دودج (Bayyard Dodge) كانت لغته الإنجليزية سليمة سأله دودج عما يريد.فأجاب: «أريد الدخول إلى الجامعة». لم يرد عليه دودج مرات عدة، لكنه كان يكرر المحاولات باستمرار. عندها طلب منه أن يجري امتحانًا للدخول فاجتازه بنجاح باهر وهو في سن السابعة عشرة من عمره.

هكذا دخل الجامعة وتخرج فيها وعلّم فيها. ثم أسس «المقتطف» مع يعقوب صروف في الجامعة الأمريكية نفسها. في الجامعة أيضًا اعتنق البروتستانتية وتخلى عن طائفته الأرثوذكسية. وهناك حالات عديدة مماثلة في هذا المجال.

رحل فارس نمر ويعقوب صروف إلى الإسكندرية لخلاف نشأ مع إدارة الجامعة كانا يرغبان في استمرار رحلتهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وصادف وجود رياض باشا، رئيس وزراء مصر، في الإسكندرية. وكان من قارئي «المقتطف» والمشتركين فيها. عند سماعه نبأ وجود فارس نمر ويعقوب صروف في الإسكندرية وعزمه على الرحيل إلى أمريكا، أبرق إليه طالبًا المجيء إلى مصر والاستقرار فيها ونشر «المقتطف» على أرضها. وتم ذلك فأصدر الثنائي نمر وصروف «المقتطف» ثم «المقطم» في مصر وأحباها كثيرًا.

سكن فارس نمر في المعادي، في ضواحي القاهرة. وعين عضوًا في مجلس الشيوخ المصري، وكان أحد مؤسسي الأكاديمية العربية أو «المجمع العلمي العربي» ومن أوائل مديريه. وتزوجت شقيقته مريم من شاهين مكاريوس وهي جدة سمير ثابت، نائب رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت. أما زوجة فارس نمر فهي (Helene Eynaud) فرنسية الأصل من مونبيليه (Montpellier)، تعرف إليها في مصر وتزوجا ورزقا صبيا واحدًا هو ألبير فارس نمر وثلاث بنات: كاتي، ونيللي وإيمي (Emy).

عمل ألبير مهندسًا زراعيًا ومسئولًا لأراضي والده الواسعة في محافظتي الغربية والشرقية وكان من كبار منتجي القطن. كان يحب الأرض كثيرًا ويسكن في العزبة ولم يتعاط السياسة أو العمل الصحافي، وذلك على عكس والده تمامًا. كان مريضًا

وتوفي بعد شهرين من حرب السويس عام ١٩٥٦. بعد صدور قرارات التأميم، لم يبق من ثروة فارس نمر العقارية سوى خمسين فدانًا فقط. ويلاحظ أن أولاد ألبير نمر نالوا الجنسية اللبنانية. فالمهندس أسطفان ألبير نمر توظف في لبنان وتزوج من إنجليزية. وشقيقتاه تزوجتا من لبنانيين وتسكنان في لبنان وجنسيتهم جميعًا هي الجنسية اللبنانية.

أما كاتي نمر، زوجة جورج أنطونيوس، فتجنست أيضًا بالجنسية اللبنانية في حين تزوجت نيللي من طبيب جراح إنجليزي يسكن بور سعيد ثم سافر إلى إنجلترا واستقر هناك حيث حصلت على الجنسية البريطانية.

البنت الثالثة لفارس نمر هي إيمي (Emy) التي تزوجت من السفير فوق العادة في المعتمدية البريطانية في القاهرة ولما لم يكن يسمح للدبلوماسي البريطاني بالزواج من أجنبية اشترطت عليه حكومته الاستقرار في مصر نهائيًا وهكذا قضى فيها كل أيام حياته ودفن في القاهرة وتحمل زوجته الجنسية البريطانية. أما البنت الرابعة لفارس نمر، روبي (Ruby) فاستمرت عزباء وسكنت مصر مع أبيها وأمها وتوفيت هناك. حصلت على الجنسية اللبنانية إلى جانب الجنسية المصرية.

توضح سيرة أسرة فارس نمر بعض السمات الهامة للجيل الثاني والثالث من مهاجري الشوام إلى مصر فالأب الصحافي، والأستاذ الجامعي، والسياسي المعروف، ينال شهرة عظيمة في هذه الحقول ويترك كتابات عديدة متنوعة لكن الابن الوحيد لا يتعاطى السياسة ولا الصحافة ولا الأدب بل ينصرف إلى العمل الزراعي والابتعاد كليًا عن الأضواء، فالظروف التاريخية الملائمة لبروز فارس نمر في مجتمع مصري يشهد تحولات نوعية في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ليست مشابهة لبروز مهندس زراعي في مجتمع مستقر وعلى جانب كبير من الاكتفاء الذاتي في جميع المجالات خاصة بعد الحرب العالمية الثانية التي تشكل نقطة هامة في تحول مصر التدريجي من الأجانب إلى المصريين والمتمصرين. وليس في تاريخ الجيل الثالث لمهاجري الشوام إلى مصر ما يؤكد تمايزهم عن أبناء مصر في مرحلة ما بين الحربين العالميتين وما بعدها بل باتت الأفضلية للمصريين وليس لأبناء الشوام كما كان في المرحلة السابقة وذلك بضغط من الحركة الوطنية المصرية لتمصير مصر.

وقد أثرت الطفولة الفقيرة والقاسية جدًا في نفسية الجد فارس نمر وطغت على سلوكه الاجتماعي وحياته الخاصة. فكان شديد التمسك بعقليته القروية ويتمسك بتقاليد موروثة لم تفارقه حتى الوفاة ففي كل ليلة كان يتناول الخبز المرقوق واللبنة والزيتون والزعتر والبندورة على طبق من القش أو النحاس. وهي عادة لم يتخل عنها أبدًا. ربى أولاده تربية قاسية ولم يسمح للبنات بإقامة الحفلات وزيارة الملاهي والمراقص. كان يمنعهن من مخالطة الرجال الغرباء بحضوره ويطلب إليهن الانزواء في غرفهن. عاشت ثريا في بيت جدها ولم تتعرف إلى والدها عن كثب ولا تعرف عنه الشيء الكثير وتعتقد أن الصورة التي أدخلتها الأم عن الأب في ذهنها ليست دقيقة لا بل تحمل بعض التجني على شخصية الأب الذي عرفت الكثير من صفاته وسلوكه عبر الأصدقاء والأبحاث المنشورة. لذا فانطباعها العام يتناول الجد فقط الذي عايشته منذ ولادتها حتى وفاته عام ١٩٥٢. فتؤكد أن فارس نمر أحب مصر كثيرًا ولم يرغب أبدًا بالعودة إلى لبنان للاستقرار النهائي فيه. كذلك لم يرغب في نقل «المقتطف» و«المقطم» إليه وكان يردد: «لبنان: هذا البلد الصغير».

كان يحب زهرة الفل كثيرًا التي تزرع في لبنان وكان يرسل أولاده كل عام، ويأتي معهم أحيانًا، لتمضية فصل الصيف فيه خاصة في منطقة برمانا.

باختصار شديد، تقول ثريا أنطونيوس: «باتت مصر كل شيء بالنسبة لفارس نمر فهي مجال الشهرة، والأصدقاء، والعمل، والاستقرار. إنها الوطن الحقيقي مقابل الوطن الذي ولد فيه وحمل منه ذكريات الفقر والعذاب والتشرد».

آل سلهب (١٦)

أسرة طرابلسية معروفة. كان الجد أحمد سلهب تاجرًا يتعاطى التصدير والاستيراد بالإضافة إلى التجارة الداخلية في مدينة طرابلس. تزوج من آل الرحولي زواجًا تقليديًا من إحدى بنات الطائفة والمدينة، فترك خمسة شبان وست بنات. اكتسب أربعة من أبنائه: كامل، وعبد الفتاح، وعبد الرزاق، وعبد الغني مهنة التجارة عن والدهم في حين تعلم محيي الدين، والد الدكتور أسعد، في الأزهر وتخرج قاضيًا للشرع ومارس وظيفته في مدن كثيرة في أرجاء السلطنة العثمانية.

يلاحظ في زواج أبناء أحمد سلهب النموذج التقليدي من داخل العائلة والطائفة والمدينة أو البلدة. تزوج محيي الدين من ابنة عمه محمد، وتزوج كامل من آل حمود في طرابلس، وعبد الفتاح من آل الغلاييني من طرابلس، وعبد الغني من طرابلسية، كذلك عبد الرزاق الذي تزوج طرابلسية ثم هاجر إلى مصر وتزوج لاحقا من مصرية بعد وفاة زوجته الأولى.

ونظرًا للعلاقات التجارية الوثيقة بين مصر وطرابلس الشام، قام الأخوان عبد الرزاق وعبد الغني بتوسيع تجارتهما إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر واستقرا في القاهرة مع أولادهما يعملون في تجارة الأرز وكانت لهما نشاطات كبيرة وعلاقات وثيقة مع بلاد الشام وجمعا ثروة هامة. وفي المنحى ذاته استمر أولادهما على العمل التجاري بعد وفاة الأخوين مع ملاحظة أن هؤلاء الأولاد جميعًا، من ذكور وإناث، قد تزوجوا من مصريات ومصريين وحصلوا على الجنسية المصرية ولم تعد لهم صلة وثيقة بالعائلة في طرابلس إلا في حدود ضيقة جدًا ويتكرر هذا النموذج باستمرار مع مسلمي الشوام بشكل خاص الذين هاجروا إلى مصر واكتسبوا جنسيتها واستقروا فيها نهائيًا.

هاجر أولاد عبد الفتاح إلى تركيا للعمل التجاري فيها في أواخر القرن التاسع عشر واستقروا هناك وحصلوا على الجنسية التركية بعد قيام دولة تركيا الحديثة ومنهم الملّاك أحمد سلهب الذي تسمى على اسم جده ويتعاطى المشاريع الزراعية، والمحامي عصام، والدكتور البيطري فوزي، وكلهم تزوجوا تركيات واستقروا هناك مع شقيقاتهن اللواتي تزوجن من أتراك وبقين في تركيا باستثناء جافيدان، ابنة أحمد سلهب التي تزوجت من سعيد المرعبي وسكنت طرابلس وعلى الرغم من الزيارات العائلية المتبادلة بين فروع العائلة في كل من طرابلس، وتركيا فإن الصلات تقتصر على المناسبات المتباعدة في الزمن كما أن جميع أولاد عبد الفتاح سلهب وأحفاده لا يتكلمون اللغة العربية بل التركية.

إن سيرة القاضي محيي الدين سلهب تشبه سيرة معظم قضاة الشرع من الشوام الذين تعلموا في الأزهر في القرن التاسع عشر وخدموا في أرجاء السلطنة العثمانية.

ولد محيي الدين في طرابلس عام ١٢٦٠ هجرية، وتوفي فيها عام ١٣٢٠ هجرية، بدأ دراسته الأولى في مدارس طرابلس وأكملها في الأزهر حيث نال شهادة العالمية

وأصبح قاضيًا للشرع مع ميل شديد لنظم الشعر. عين أول الأمر في محكمة الشرع في بيلان، قرب الإسكندرون، حيث ولد ابنه الدكتور أسعد، ثم نقل إلى معلّقة زحلة، ثم إلى الناصرة في فلسطين، ثم إلى ديار بكر. ويشير الدكتور أسعد سلهب إلى ظاهرة تبدل قضاة الشرع كل سنتين بشكل إجباري ولا يمدد له، ولو لسنة واحدة، إلا بأمر من السلطان العثماني أو من ينوب عنه، أتقن محيي الدين العربية والتركية وترك آثارًا أدبية وشعرية غير مطبوعة.

كان زواجه من ابنة عمه سعدى محمد سلهب زواجًا داخليًا من نفس العائلة والطائفة والمدينة. ويذكر الدكتور أسعد أن معظم الروايات التي وصلته حول زواج والدته تؤكد زواجها في سن لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها، وهو زواج مبكر جدًا لكنه كان شائعًا في تلك الفترة.

ترك محيي الدين ستة أولاد: ذكرين وأربع بنات. فابنه توفيق كان مفتشًا للعدلية في ولاية بيروت ورئيسًا لمحكمة الاستئناف في مدينة بيروت، ومارس المحاماة إبان حكم الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان.توفي عام ١٩٢٣ في بيروت.

وكان زواج البنات الأربع من داخل الطائفة وأحيانًا من داخل العائلة نفسها لكنه لم يقتصر على مدينة طرابلس فقط. فجميلة تزوجت من أحمد سلهب، التاجر الطرابلسي، وهي جدة النائب السابق عدنان الحكيم لجهة والدته. وعدوية تزوجت رشدي سلهب، المهندس الطرابلسي والموظف الكبير في وزارة الأشغال العامة اللبنانية، وكانت له مشاريع هندسية إنمائية في مدينة ريو دو جانيرو (Rio de Janeiro) في البرازيل.

تزوجت هدية من نجيب الحسيني، رئيس محكمة صافيتا وحصن الأكراد. في حين تزوجت صبحية من يوسف طهبوب، قاضي الشرع ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي سابقًا في فلسطين. ويلاحظ أن جميع بنات محيي الدين سلهب كنّ على جانب بسيط من الثقافة وتزوجن في سن مبكرة جدًا.

لقد اختار أبناء القاضي محيي الدين سلهب طريق الوظيفة (توفيق) أو المهنة الحرة (أسعد) وعلى الرغم من وجود أولاد عمهما عبد الغني وعبد الرزاق في مصر حيث كانت لهم تجارة واسعة ونشيطة مع بلاد الشام فإن من بقي من أفراد أسرة آل سلهب

في طرابلس لم يلتحقوا بأقربائهم في مصر لتعاطي العمل التجاري. في حين كان مثل ذلك الالتحاق يشكل أحد الثوابت الأساسية في تاريخ الأسر المسيحية الشامية التي هاجرت إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. لكن ظروف الانتداب الفرنسي وموقف الدكتور أسعد سلهب ضد الفرنسيين أجبرته على الرحيل من طرابلس فاختار مصر وسكن المنصورة أولًا ثم القاهرة حيث شارك في الحركة السياسية المصرية بنشاط ملحوظ.

انخرط أسعد بالعمل السياسي في مصر منذ مطالع الأربعينيات من هذا القرن وشارك في تأسيس «نادي الاتحاد العربي» في القاهرة في ٢٥ آيار (مايو) ١٩٤٢، وكان من مؤسسيه فؤاد أباظه، خليل ثابت، حقي العظم، فارس نمر، جميل الرافعي، علال الفاسي وسواهم. كان أسعد سلهب أمينًا للسر، وهو يعتبر أن تأسيس النادي كان المدخل التاريخي الحقيقي لتأسيس جامعة الدول العربية لأن من أهدافه: توحيد البلاد العربية دون النظر إلى الدين والطائفة، والمحافظة على استقلالية كل بلد عربي في حدوده المعلنة واحترام شكل الحكم الذي ارتضاه شعبه، على أن تتحد الدول العربية في هيئة عليا تجمعها وتعمل لخدمة العرب أينما كانوا. وبدأ النادي بالانتشار وأسس فروعًا له في مختلف البلدان العربية. فكان رئيسه في سوريا فارس الخوري، وفي بيروت محمد الداعوق ونائبه كميل شمعون ومن أعضائه بيار الجميل وقد أصدر الاتحاد كتابًا بجزءين.

الأول يحمل العنوان التالي: **الاتحاد العربي في القاهرة: نشأته، نظامه وأعماله. منذ تأسيسه في ٢٥ آيار (مايو) ١٩٤٢ لغاية ١٩٤٥**، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٦، في ٣٩٦ صفحة.

الثاني: **الاتحاد العربي في القاهرة: أعماله وملخص عن الحوادث التي مرت بالبلاد العربية منذ أول ١٩٤٦ حتى نهاية ١٩٤٩**، القاهرة، ١٩٥٠، في ١٣٧ صفحة باللغة العربية و٢٣ صفحة باللغة الإنجليزية.

وساهم الدكتور أسعد سلهب بنشاط كبير في أمانة سر «الاتحاد العربي» طيلة سنوات عديدة بهدف خدمة القضايا العربية. ونال وسام الأرز اللبناني من درجة ضابط ثم وسام الاستحقاق المذهّب اللبناني ثم وسام جوقة الشرق السوري من

الدرجة الأولى. احتفظ بالجنسيتين المصرية واللبنانية وتزوج من مصرية تدعى ثريا العواف، والدة ابنه محيي الدين وفاطمة ونهاد ويحتفظون جميعًا بالجنسيتين المصرية واللبنانية. وبعد وفاتها تزوج من نسيبة له هي فتنات عبد الرزاق سلهب ورزق منها ابنة هي منال تزوجت مهندسًا مصريًا واستقرت في مصر ولم تحتفظ بالجنسية اللبنانية. إنه نموذج لمثقف قومي عربي آمن بوحدة العرب في جميع ديارهم وعمل لها بجد ونشاط ناقلًا لأولاده فكرة الحفاظ على الجنسيتين المصرية واللبنانية دون التعصب لأيهما بانتظار تحقيق حلم وحدوي عربي رافق الكثير من دعاة هذه المرحلة فيكتب على هوية كل عربي: «القومية عربية أما القطر فلبنان أو سوريا أو مصر أو العراق أو...».

بعض الملاحظات

كان الشوام، في البداية، يسكنون مناطق خاصة بهم أو أن غالبية سكانها كانت من الشوام خاصة في شبرا والفجالة والظاهر وغيرها. لكن هذه المرحلة من الانغلاق السكني سرعان ما انتهت في القرن العشرين حيث توزع الشوام على اختلاف طوائفهم، في أحياء القاهرة تبعًا لثرواتهم ومصادر دخلهم، فعلى سبيل المثال توزع أولاد جورجي زيدان على الشكل التالي: سكن شكري في الزمالك، وإميل في المعادي، وأسماء في مصر الجديدة أو هليوبوليس.

أما في الحالات السابقة فكانت العائلة تقطن في حي واحد وفي بناية واحدة في بعض الأحيان. لقد تأخر انخراط الشوام بالمجتمع المصري بسبب تمايزهم عن إخوانهم المصريين لفترة طويلة ولم يتقبلوا فكرة اندماجهم بالشعب المصري، إذ اعتبروا أنفسهم أكثر تقدمًا منهم. ويبررون ذلك بأن الشوام كانوا يدعون المصريين إلى مآدبهم وبيوتهم ونواديهم في حين لم يفعل المصريون ذلك إلا في فترة متأخرة خاصة في مجال العلاقات العائلية حيث تخالط نساء الشوام الرجال المصريين ولا تفعل نساء المصريين ذلك. وبات في ذهن المواطن العادي أن تعبير «شامي» يعني مسيحي من بلاد الشام. كان المجتمع المصري شديد الانفتاح على جميع الطوائف ويقيم أخوة حقيقية مع أي عربي يقطن في مصر حتى إن الكاتب المصري فكري أباظة، رئيس تحرير المصور، كان يعتبر نفسه بمثابة الأخ الثالث لإميل وشكري

زيدان. أضف إلى ذلك أن الشعب المصري لم يهاجم اليهود في مصر على الرغم من قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، وتنكيلها الدائم بالعرب، وإن من غادر مصر من اليهود كان بدافع الارتباط بإسرائيل والصهيونية العالمية وليس بدافع اضطهاد المصريين لهم وقد اعتبر بعض الشوام أنفسهم مصريين في الجنسية والاندماج والحنين ولم يشعروا بالحاجة إلى مغادرة مصر بدافع الاضطهاد. وبعد تأميم دار الهلال بقي إميل زيدان في مصر ولم يغادرها، كذلك بقيت زوجته وابنه ولا يزال شكري زيدان يتشبث بجنسيته المصرية على الرغم من استقراره منذ سنوات طويلة في بيروت.

كانت نسبة التزاوج قليلة بين اللبنانيات والمصريين حتى إن كثرة من بنات الشوام كن يتعمدن الابتعاد عن الشبان المصريين وعدم إقامة علاقات معهم بهدف الزواج في حين كانت نسبة البنات الأجنبيات اللواتي يرغبن بالزواج من مصريين مرتفعة جدًا ويعملن على البقاء في مصر. وكان للشعور الطائفي المسيحي أثر واضح في هذا المجال لكن القضية أعمق من ذلك. صحيح أن الشعور الطائفي يدفع البنت المسيحية للتفتيش عن شاب مسيحي تتزوج منه، وأحيانًا كثيرة من أبناء عائلتها وبلدها وطائفتها جريًا على الزواج التقليدي آنذاك، إلا أنها تبتعد أيضًا عن شبان الأقباط وهم من أبناء الطوائف المسيحية في مصر. ومرد ذلك إلى أن الشوام الأوائل الذين هاجروا إلى مصر استقروا في أحياء متقاربة مع بعضهم البعض وأقاموا علاقات اجتماعية خاصة بهم، وكانت لهم نواديهم وجمعياتهم الخاصة. وقد أثرت تلك العوامل على زواج بناتهم في ظروف اجتماعية واقتصادية لم تكن فيها البنت قادرة على تحدي رغبة الأهل أو الانفصال عنهم أو الزواج من شاب لا يريدونه. وكانت ظروف التعارف بين الشاب والفتاة صعبة ومرهونة بإرادة الأهل الذين يرغبون دومًا بتزويج بناتهم في سن مبكرة.

تلك الأسباب وغيرها جعلت الشوام يعيشون في بوتقة اجتماعية خاصة بهم وذلك لسنوات طويلة قبل أن ينتشروا في جميع أرجاء المدن المصرية. وليس صحيحًا القول إن الشوام، خاصة في القرن العشرين، عاشوا في أحياء خاصة بهم داخل مصر. لكن عامة الناس كانت تطلق عليهم لقب «الشوام» تمييزًا لهم عن المصريين. وكانوا أقرب، في عاداتهم وحياتهم الخاصة، إلى الأجانب منهم إلى المجتمع المصري. وكانت حفلات الشوام تمتاز عن حفلات سواهم وتجتذب كثيرًا من المصريين نظرًا لجودة مآكلها واتساع أفق الحرية فيها.

وبعد إعلان دول سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وإعطاء الحرية للمهاجرين من سكان هذه الدول باختيار الجنسية التي يشاءون، اختار كثير من الشوام الجنسية المصرية، ومنهم من احتفظ بجنسيتين، ومنهم من عاد إلى مسقط رأسه. لكن الصحافة المصرية استمرت تهاجم الشوام وتطلق عليهم لقب «المتمصرين» تمييزًا لهم عن المصريين الأصليين.ومنذ ذلك الحين انتاب الشوام شعور بالقلق على مصيرهم في مصر. ولم تكن أعداد كبيرة من أبناء المهاجرين تفكر بالعودة إلى لبنان.

كان أغنياء اللبنانيين على علاقة وثيقة بلبنان ويأتون إليه للاصطياف ثم يعودون إلى أعمالهم في مصر ولم يعملوا على نقل أعمالهم إلى لبنان فهم يعتبرونه بلدًا صغيرًا وسوقه التجارية والصناعية والزراعية ضيقة جدًا. كانت نسبة أغنياء اللبنانيين في مصر إلى فقرائهم ضعيفة فهم قلة محدودة مقابل أعداد كبيرة من الفقراء ومتوسطي الحال وبعض الميسورين. لكن ميزة هؤلاء الأغنياء أنهم كانوا على جانب من العمل الخيري الذي استفاد منهم فقراء اللبنانيين والسوريين عبر المؤسسات الخيرية والجمعيات والمستشفيات والمدارس.

كانت لأغنياء الشوام مصالح كبيرة في مصر فأحبوها كثيرا لأنها فتحت لهم أبواب الشهرة والثروة ولم يشعروا فيها بأي تمايز ومن أي نوع كان. لذلك شعروا بالاندماج الكلي فيها واعتبروا أنفسهم مصريين تمامًا على رغم حملات التحريض ضدهم والتي تشكك بانتمائهم إلى مصر. بعد التأميم هاجر قسم كبير من اللبنانيين والسوريين إلى كندا وأستراليا وعادت قلة ضئيلة منهم إلى لبنان. كان معظمهم يحملون الجنسية المصرية ولا يفكرون بالعودة إلى لبنان لكنهم لم يرغبوا البقاء داخل مصر بعد أن فقدوا معظم أملاكهم وقصورهم وتجارتهم ومصانعهم وباتت آفاق العمل المهني الحر ضيقة للغاية. فخروجهم من مصر كان إذًا بدافع التأميم الذي طال أغنياء المصريين والأجانب والشوام على السواء وليس بدافع اضطهاد موجه إليهم كشوام. ويلاحظ في السنوات الأخيرة رجوع عدد كبير منهم إلى مصر بعد الإعلان عن سياسة الانفتاح فيها. فمصر بلد مميز يسهل الاندماج فيه ويصعب التخلي عنه أو إبداله بأي مجتمع آخر.

الحواشي

(١) **نجيب كنعان**: مقابلة بالقاهرة في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

من مواليد عبية عام ١٩٠٦، تعين والده في الجيش المصري فرحلت الأسرة إلى مصر وكان لا يزال في الأشهر الأولى من عمره تلقى علومه الأولى في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك بالقاهرة ودخل مدرسة مار يوسف المارونية فيها ثم تركها بعد فترة «بسبب قساوة رجال الدين فيها»، على حد تعبيره. نال البكالوريا المصرية من المدرسة السعيدية الحكومية الثانوية ذات الشهرة الواسعة في القاهرة والتي أقيمت في ملاعبها، في وقت لاحق، جامعة القاهرة الحالية. دخل كلية الطب في قصر العيني ثم تركها في السنة الثانية طب للالتحاق بالترجمة في جريدة «الأهرام» وكان على إلمام جيد بالعربية والفرنسية والإنجليزية. كان داود بركات، صاحب النفوذ الواسع في الأهرام، من أصدقاء والده الأقربين، وهو الذي حضه على العمل الصحافي لأن أجرة الطبيب آنذاك لم تكن تتجاوز ١٢ جنيهًا في الشهر في حين كان راتبه من جبرائيل تقلا ١٥ جنيها مع سيارة لتنقلاته. هكذا دخل نجيب كنعان الأهرام عام ١٩٢٦ واستمر فيها دون انقطاع حتى تقاعده عن العمل عام ١٩٦٨، ولا يزال يقطن القاهرة.

(٢) مقابلة مشتركة مع **ماريز ـ ليليان رينة صوصة** (Maryse-Lilane René Soussa) ونسيبتها إيفون عبد الله صوصة، القاهرة بتاريخ ١١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

(٣) مقابلة مشتركة مع **حبيب متري زيدان وفؤاد إبراهيم زيدان**، القاهرة في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢، ومقابلة مشتركة مع **شكري جرجي زيدان** وزوجته **أليس داود حبيب**، بيروت في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٨٣.

(٤) لدى حبيب متري زيدان المولود في القاهرة في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤، انطباعات كثيرة حول هجرة الشوام إلى مصر حيث عايش أعدادًا كبيرة منهم طيلة هذه المرحلة المنصرمة من القرن العشرين. فهو ابن شقيق جورجي زيدان وعايشه صغيرًا. وقد أدار مكتبة زيدان العمومية في الفجالة سنوات طويلة وعمل في أمانة خزينة دار الهلال قبل تأميمها عام ١٩٦٠، وبعد التأميم حتى ١٩٦٩. روى له والده الكثير عن مهاجري الشوام قبل وفاته عام ١٩٤٥، وله من العمر ٧٨ سنة، ويحمل انطباعه الكثير من سمات الجيل الثاني من مهاجري الشوام إلى مصر أي الجيل الذي سبق اندلاع الحرب العالمية الأولى مع معايشة الفترة اللاحقة في القرن العشرين حتى الآن.

أما فؤاد إبراهيم زيدان فهو من مواليد القاهرة لعام ١٩٢٦، يحمل الكثير من سمات الجيل الثالث لمهاجري الشوام إلى مصر، وهو جيل ما بين الحربين العالميتين. تلقى علومه في مدارس الأميركان

والفرير في القاهرة ويحمل إجازة فرنسية في التجارة، وهي الشهادة التي يحملها أيضا شقيقة إدوار. عمل في «الأهرام» كصحافي لمدة سبع سنوات (١٩٦٨ ـ ١٩٧٥) وفي جريدة (Journal d' Egypte) إلى جانب العمل في مكتبة «الهلال» سكرتير الجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس في مصر، وسكرتير وكلاء كنيسة رؤساء الملائكة الأرثوذكسية بالظاهر، وعضو في المجلس الطائفي في مصر منذ عام ١٩٦١.

تبرز ذكريات حبيب وفؤاد زيدان أن العلاقة التجارية داخل أسرة آل زيدان لم تكن تخلو من التعقيد والصراع. فقد جاء إبراهيم زيدان، والد فؤاد، إلى مصر عام ١٨٩٤، وله من العمر ١٦ سنة وهو الأخ الأصغر لجورجي زيدان الذي طلب منه فتح مكتبة الهلال لمنافسة نجيب متري الذي أسس دار المعارف. وما زالت مكتبة الهلال تعمل منذ عام ١٨٩٤، في نفس المكان: ٦ شارع صدقي ـ الفجالة، وهي أول مكتبة في الفجالة بالقاهرة. وعلى الرغم من أن الرأسمال الذي قدمه جورجي لأخيه كان ضئيلًا جدًا فإن إبراهيم استمر في تقديم نصف الأرباح لجورجي زيدان لمدة عشرين سنة أي حتى وفاته عام ١٩١٤، وذلك لقاء السلفة التي أمده بها وقيمتها ١٨٠ جنيهًا مصريًا فقط ولم يتوقف دفع نصف الأرباح عند وفاة جورجي زيدان بل استمر إبراهيم يدفعها عشر سنوات أخرى لأبنائه من بعده وعندما طفح كيله طلب إلى لجنة تحكيم خاصة أن تحسم الموضوع، إذ لا يريد استمرار الدفع مدى الحياة فأقرت اللجنة أن يدفع ثلاثة آلاف جنيه مصري للاحتفاظ بتسمية «مكتبة الهلال» والتوقف عن دفع نصف الأرباح. فأدارها منفردًا ثم أدارها ولداه إدوار وفؤاد من بعده وحتى الآن.

وتدل الرواية على العلاقات التجارية البحتة التي تحكم المهاجر بأنسبائه وأقرب المقربين إليه ومنهم إخوانه فعندما تتوسع أعمال المهاجر يفتش عن رجل أمين يلقي إليه ببعض المسئولية لقاء ضمان تزايد ثروته ونفوذه.ومن الطبيعي أن يكون الابن ثم الأخ ثم ابن العم في طليعة من يعهد إليهم بهذه المهمة لكن العلاقة بين أولادهم تصبح أكثر تعقيدًا حيث ينحسر دور عامل القرابة إلى الحدود الدنيا لتحل علاقة تجارية بحتة بين الجيل الثاني والثالث من المهاجرين. وكثيرًا ما تنشب نزاعات حادة بينهم بسبب الملكية والأرباح ولا تنتهي إلا في المحاكم وتؤدي، أحيانًا كثيرة، إلى فقدان علاقات الود بين الأقرباء والأنسباء الجدد بسبب تلك النزاعات على الإرث خاصة وأن أبناء الأغنياء يرثون الغنى والنفوذ وأبناء أعمامهم وأنسبائهم يتحولون إلى موظفين وعمال لديهم كما هو الحال في أسرة زيدان وسواها.

أبرز عائلات الشوام الغنية في القرن العشرين هي: لطف الله، حصني، تقلا، دبانة، زنانيري، سكاكيني، دروسو، شديد، صعب، رباط، حداد، نجار، خوري، صيدناوي، تاجر، نمر، مكاريوس، الجميل وغيرها. من الطرائف حولها أن فرنسوا تاجر كان يملك ثروة طائلة تزيد على ستة ملايين جنيه مصري وكان يرسل بطلب العشاء للخديو من باريس على متن طائرة خاصة. وأن زوجة حبيب سكاكيني كانت على قسط وافر من الجمال بحيث أعجب بها الخديو وأقام معها علاقات عاطفية ووهبها مساحات شاسعة من الأراضي، وما زالت سرايا تحمل اسم سكاكيني باشا في حي السكاكيني في القاهرة قرب غمرة، وما زالت سرايا آل لطف الله موجودة حتى الآن ثم تحولت إلى فندق عمر الخيام وتحول قصر ميشال لطف الله مؤخرًا إلى فندق ماريوت. وأن آل سكاكيني وآل دروسو كانوا يمتلكون معظم أراضي منطقة الفجالة والظاهر، وذلك ناتج عن العلاقة الودية الخاصة التي كانت تربط بعض أفراد هاتين الأسرتين بالعائلة الخديوية الحاكمة.ومن الطرائف كذلك أن مصطفى أمين كان يرأس تحرير مجلة «الاثنين»، الصادرة عن «دار الهلال» فكتب ذات يوم مقالا عنيفًا ضد رئيس الوزراء

النحاس باشا لكن شكري زيدان رفض نشره فما كان من مصطفى أمين إلا أن قدم استقالته وشن حملة على «المتمصرين»، ويقصد بهم الشوام المسيحيين بشكل خاص، وبقي يعمل دون كلل حتى أسس «أخبار اليوم».

في مجال السكن كان أغنياء الشوام والميسورون منهم يقيمون في الأحياء الغنية، في البداية، أي شبرا والظاهر. أما الفقراء منهم فكانوا يسكنون في الشنبكلي قرب الظاهر. ولاحقًا تبدل الوضع فانتشر الشوام في جميع أحياء القاهرة خاصة مصر الجديدة والزمالك والدقي والمعادي وغيرها. كان الميسورون يعودون إلى لبنان لتمضية فصل الصيف بالإضافة إلى الميسورين من المصريين أيضًا. وكانت تلك الظاهرة، أي الاصطياف في لبنان، على ازدياد مستمر منذ الثلاثينيات من القرن العشرين حتى قرارات التأميم في مصر. وكان أفراد أسرة زيدان في عداد الشوام الذين يصطافون في لبنان لأن بعضهم، على غرار عدد من المهاجرين اللبنانيين الأوائل، كان يعتبر لبنان الوطن الأول ومصر الوطن الثاني. وبدا ذلك الشعور وكأنه يتبدل تدريجيًا من المهاجرين الأوائل إلى أولادهم وأحفادهم.

ويؤكد حبيب وفؤاد زيدان على دور اللغات الأجنبية في ترقي الشوام في مصر وشهرتهم الواسعة فيها بحيث كان الشوام بمثابة قدوة للجيل الجديد من أبناء المصريين أنفسهم.وكان لمدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية الخاصة الدور الأساسي في هذا المجال خاصة المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك التي أسسها صيدناوي باشا في شارع الفجالة، ومدارس الفرير، ومدارس الآباء اليسوعيين ومدارس (Sacré-Coeur و Mère de Dieu و Délivrande و Notre-Dame des Apôtres) ومدارس الآباء الفرنسيسكان، ومدرسة سان جورج في الظاهر وغيرها. كان المهاجرون الأوائل من الشوام يرسلون أبناءهم للتعلم في الجامعات اللبنانية دون تمييز بين البنات والصبيان لكن الفتيات كن يتزوجن في سن مبكرة ويغادرن مقاعد الدراسة. كانت العائلات الأرستقراطية من الشوام ترسل بعض أبنائها إلى أوربا للتعلم.ومع تطور الأوضاع في مصر وازدهار حركة التعليم فيها بات المهاجرون الشوام وأثرياء المصريين يعلمون أبناءهم داخل مصر إلا في الاختصاصات العليا كالدكتوراه وسواها التي تتم في الخارج. وكانت هناك جمعيات ونواد خيرية خاصة بالشوام أبرزها: نادي الشبيبة الأرثوذكسية في القاهرة، والنادي السوري، ونادي الروم الكاثوليك، ونادي «أرارات» الأرمني، ونادي الموارنة، والجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس التي تقدم بعض المساعدات المالية والعينية لفقراء الطائفة، وجمعية مار جرجس الأرثوذكسية التي تقدم التعليم والاستشفاء المجاني لفقراء الطائفة، ونادي هليوبوليس الكشفي الأرثوذكسي وهناك نواد للتسلية وجمعيات خيرية لكل طائفة. هذا التقليد الذي أرسى قواعده المهاجرون الشوام الأوائل في مصر لا يزال مستمرًا حتى الآن في معظم المدن المصرية.

ويري حبيب وفؤاد زيدان أن التزاوج بين الشوام والمصريين كان نادرًا خاصة مع المسلمين من المصريين أما مع الأقباط فكان قليلًا في البداية بسبب العلاقة السيئة بين الشوام والأقباط إذ اعتبر الأقباط أن الشوام سرقوا منهم الدور الموكول إليهم تاريخيًا وهو دور الوساطة بين الغرب والمجتمع المصري لذلك قابل الأقباط الشوام بمواقف عدائية وعنيفة أحيانًا ثم ما لبث الموقف أن تبدل لاحقا وبات التزاوج متزايدًا بين الشوام والأقباط وأكثر انفتاحًا بين الشوام والمسلمين المصريين. ويمكن القول إن فترة طويلة من الزمن قد مضت على تزاوج الشوام في مصر بين بعضهم البعض حتى إن الشعور الطائفي المسيحي لدى الجيل الأول والثاني من مهاجري الشوام هناك كان أقوى من شعور الانتماء الوطني إلى لبنان أو سوريا أو فلسطين. ويلاحظ فؤاد زيدان، من موقعه كسكرتير للجمعية

الخيرية للروم الأرثوذكس وعضو المجلس الملي للطائفة في مصر، أن اليونان لعبوا دورًا سلبيًا في تاريخ الأرثوذكس الشوام في مصر. فقد تسلطوا على الأرثوذكس في مصر لسنوات طويلة مما اضطر الأرثوذكس الشوام لخوض معركة عنيفة للانفصال عن اليونان من موقعهم كأرثوذكس عرب. ولم ينجحوا في ذلك إلا في مطالع الربع الثاني من القرن العشرين.

ولم تكن لطائفة الروم الأرثوذكس العرب مدارس هامة قبل ذلك التاريخ لأن اليونان كانوا يتحكمون بهم ويفرضون قيودًا صارمة على تزاوجهم. حتى إن الأرثوذكسي الشامي الذي يتزوج من بروتستانتية أو كاثوليكية يتعرض لمضايقات كثيرة من الكنيسة اليونانية بحيث يتجه الأبناء نحو الكثلكة أو الطوائف الأخرى. وقد خسرت الطائفة الأرثوذكسية عددًا من أبنائها بفعل هذه المضايقات وتحت تأثير عامل الجذب الذي قامت به المدارس والإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية والمارونية.

تعقيبًا على ملاحظة فؤاد زيدان نشير إلى صعوبة كبرى واجهتنا للاطلاع على وثائق الأرثوذكس الشوام في كنائسهم ونواديهم قبل عام ١٩٢٥، وقد فشلت كل المحاولات التي قمنا بها لأن المسئولين اليونان رفضوا كل مساعدة بذريعة أن سجلاتهم مكتوبة باللغة اليونانية التي نجهلها وهم على غير استعداد للفصل بين الأرثوذكس اليونان وسواهم من أرثوذكس المشرق العربي.

(٥) أجرينا لقاء مطوّلًا مع الأستاذ **شكري زيدان** الذي تسلم مع شقيقه إميل إدارة «الهلال» بعد وفاة والدهما الأديب الكبير جورجي زيدان. الوالدة مريم مطر من مواليد حاصبيا ثم غادرتها مع والدتها وشقيقتيها بعد أحداث ١٨٦٠ الدامية، وانتقل الأربعة إلى بيروت سيرًا على الأقدام. كانت الوالدة تعمل في الخياطة وأدخلت بناتها مدارس بيروت حيث حصلن قسطًا من الثقافة في مدارس ابتدائية ومدرسة الإنجليز في بيروت. وأثناء عودته لزيارة أهله في بيروت تعرف جورجي زيدان إلى مريم مطر وخطبها ثم استدعاها إلى مصر للزواج منها وكانت باكورة الأولاد إميل زيدان، مواليد ١٨٩٣، ثم أسماء زيدان، مواليد ١٨٩٥، وشكري زيدان، مواليد ١٩٠٠ والجميع ولدوا في القاهرة.

تعلم إميل زيدان في مدارس الفرير بالقاهرة وحصل على البكالوريا الرسمية المصرية من مدارس القاهرة ثم أرسله والده إلى الجامعة الأمريكية في بيروت حيث نال (B. A) بعد دراسة أربع سنوات عاد بعدها إلى مصر للعمل مع والده في «دار الهلال» درس الحقوق الفرنسية بالمراسلة ثم استلم دار الهلال بعد وفاة والده عام ١٩١٤. تزوج إميل زيدان من روز نقولا توما، ابنة أحد محامي الشوام المشهورين في القاهرة وينتمي إلى طائفة الروم الكاثوليك. وبسبب التزمت بين طوائف الشام في الوطن والمهجر خلال تلك المرحلة، خاصة في مجال الزواج اضطر إميل زيدان لإجراء عقدي زواج لدى الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك وذلك بهدف إنقاذ الزواج وحسمًا للنزاع الذي كاد يوصل إلى إلغائه.

رُزق إميل زيدان ولدًا وحيدًا هو نديم زيدان، من مواليد القاهرة ١٩٣٧. نال ثقافة ثانوية في (Victoria College) في مصر ثم انتقل لإدارة مصالح والده بالاشتراك مع والدته حيث يعيش الاثنان في القاهرة حتى الآن بعد أن توفي والده فيها عام ١٩٨٢. ويلاحظ في أسرة زيدان الانخفاض الحاد في عدد الأولاد. فالجد، حبيب زيدان، أنجب ستة أولاد، والابن، جورجي زيدان، أنجب ثلاثة. والحفيد، إميل زيدان، أنجب ولدًا وحيدًا لا يزال عازبًا.

ولدت أسماء جورجي زيدان في القاهرة عام ١٨٩٥، وتوفيت مع شقيقها إميل في عام واحد ١٩٨٢ ودفنا معًا في القاهرة. نالت ثقافة متوسطة ثم تزوجت الدكتور ميشال سمعان ورزقا ولدين:

ناديا زوجة الدكتور نشأت عبد الله، وهو من مواليد القاهرة ويحمل الجنسية المصرية لكن أسرته حمصية وهو شامي متمصر. أما إميل زيدان فلا يزال عازبًا (أجرينا معه مقابلة مطولة) ولا يزال يسكن القاهرة ويعمل في إدارة دار الهلال. وتنطبق ملاحظة الانخفاض الحاد في عدد الأولاد على هذا الفرع أيضًا من أسرة جورجي زيدان.

أما الفرع الثاني، شكري جورجي زيدان، فهو من مواليد القاهرة عام ١٩٠٠، نال دراسة ابتدائية وثانوية عند الآباء اليسوعيين في القاهرة ودرس الآداب لسنة واحدة في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩١٩، ثم عاد إلى مصر لمساعدة شقيقه إميل في إدارة دار الهلال. كانت المسئولية كبيرة بسبب الإرث الضخم الذي خلفه جورجي زيدان وراءه. اسم لامع في عالم الصحافة والأدب، مجلة محترمة دون رصيد مالي كبير. وجاءت الحرب العالمية الأولى لتزيد الأزمة حيث كانت شحنات الكتب تصادر وتتلف أو ترجع إلى الدار. يضاف إلى ذلك أن غالبية المشتركين في مجلة الهلال كانوا من المهاجرين اللبنانيين في مختلف أرجاء العالم. لذلك استمرت الهلال بالصدور بعد سلسلة كبيرة من المصاعب الناتجة عن وفاة جورجي زيدان، وظروف الحرب القاسية، والخبرة القليلة لإميل وشكري زيدان في هذا المجال. لكن الأخوين أثبتا جدارة نالت الإعجاب.توسعت دار الهلال في نشر الكتب والمجلات ونالت رواجًا كبيرًا فسافر إميل إلى ألمانيا لشراء آلات روتوغرافور (Rotogravure) الحديثة للطباعة فكان أول من أدخل هذا النوع الطباعي إلى مصر عام ١٩٢١، والذي اعتبر بداية لثورة صناعية كبرى في مجال الطباعة المصرية. فقد تمكنت «دار الهلال» من إصدار ست مجلات نالت شهرة واسعة: «المصور» و«كل شيء» و«الدنيا»، و«الكواكب»، و«الاثنين»، و«إيماج Image».

كانت «الاثنين» أكثرها انتشارًا لأنها كانت مسلية جدًا وخفيفة الظل، وكان يرأس تحريرها الصحافي المصري الذي نال شهرة كبيرة فما بعد، مصطفى أمين، وكانت «الاثنين» تطبع ١٥٠ ألف نسخة أسبوعيًا، وهو رقم كبير جدًا في تلك المرحلة كذلك أصدرت دار الهلال مجلة «حواء» ومجلة للمرح باسم «الفكاهة». ومنذ عام ١٩٣٥، كانت تصدر دار الهلال مجلة كل يوم على مدار الأسبوع ودونما انقطاع لسنوات طويلة ولم تكن هناك منافسة جدية لمجلات «دار الهلال»، فدور الشوام في مجال الصحافة والطباعة المصرية كان حاسمًا لفترة زمنية طويلة. وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الصحف والمجلات الأكثر تأثيرًا في الرأي العام المصري من إصدار الشوام. وكانت تتوزع على الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية المتنوعة. «فالأهرام»، و«المقتطف»، و«المقطم»، ومنشورات «دار الهلال» وغيرها شكلت الركائز الأساسية للنهضة الصحفية في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى قرارات التأميم.

تزوج شكري زيدان من أليس داود حبيب في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٥، وهي مصرية من أصل فلسطيني وتنتمي إلى الطائفة الأرثوذكسية. رزقا ولدًا وحيدًا هو جورج شكري زيدان من مواليد القاهرة عام ١٩٣٩ . درس البكالوريا المصرية فالحقوق ثم سافر إلى جامعة هارفارد (Harvard) حيث نال دكتوراه دولة (ph. D) في الاقتصاد يعمل الآن في البنك الدولي (World Bank) كممثل لقسم إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط تزوج من هدى نجيب ضومط، وهي من أسرة سورية الأصل ثم تلبننت.

يلاحظ كذلك لدى الفرع الثالث لأسرة جورجي زيدان تطابق تام مع الفرعين الأولين لجهة انخفاض عدد الأولاد إلى ولد واحد. وهذه ظاهرة تتكرر لدى عدد كبير من مشاهير الشوام الذين برزوا

في مصر كأسرة لطف الله، وأسرة سرسق، وأسرة بسترس، وأسرة طراد، وأسرة السكاكيني، وأسرة زنانيري وغيرها.

عن تأميم «دار الهلال» يتذكر شكري زيدان الوقائع التالية: تمت عملية التأميم في ٢٤ آيار (مايو) ١٩٦٠، ولم يكن شكري وإميل على معرفة مسبقة بها. كانت الحكومة المصرية آنذاك ترغب بشراء «الأهرام» وتفاوض بشارة تقلا لهذه الغاية وكان الرئيس أنور السادات المفاوض باسم الحكومة التي فوجئت بأن بشارة تقلا تخلى عن مؤسسته وفضل البقاء خارج مصر وكرّت سبحة التأميم ضد مؤسسات الأجانب في مصر، وأغنياء المصريين والشوام على السواء. فاتصل عبد القادر حاتم، أحد الضباط الأحرار، بإميل زيدان ليبلغه القرار الجمهوري الصادر عن الرئيس جمال عبد الناصر بتحويل دار الهلال إلى مؤسسة حكومية مصرية على أن يتقاضى، مع شقيقه شكري، راتبًا شهريًا فيها واستمر شكري بالعمل لمدة سنة ونصف السنة براتب شهري قدره خمسمائة جنيه مصري ثم غادر مصر إلى بيروت للاستقرار فيها، أما إميل فاستمر في العمل حتى أحيل على التقاعد وتوفي ودفن في مصر.

ويعتبر شكري زيدان قرارات التأميم تاريخًا هامًا بالنسبة لهجرة الشوام إلى مصر حيث انخفض عددهم فورًا إلى النصف تقريبًا، واندمج من تبقى منهم في المجتمع المصري مع ميل البعض منهم إلى الهجرة التي استمرت في السنوات اللاحقة. عاد قسم ضئيل من مهاجري الشوام إلى سوريا ولبنان في حين ذهبت غالبيتهم إلى كندا التي فتحت لهم أبوابها، وتدخل الفاتيكان لدى الولايات المتحدة الأمريكية لاستقبال قسم منهم. هكذا بدأت النهاية الحقيقية لهجرة الشوام إلى مصر التي لعبت دورًا حافلا في تاريخها الحديث والمعاصر واحتفظ قسم كبير من المهاجرين الشوام. بالجنسية المصرية إلى جانب جنسية أخرى نالوها قبل الهجرة الأخيرة أو بعدها. و هناك دلائل كثيرة على عودة بعضهم مجددًا إلى مصر التي اعتبروها وطنهم الأساسي ولم يغادروها إلا مكرهين بسبب قرارات التأميم التي لا تتلاءم مع طبيعة المهاجر الذي يغادر بلاده طمعًا بالثروة والنفوذ والربح السريع.

(٦) لمزيد من المعلومات حول أسرة زيدان أجرينا مقابلة مع السيدة **إلين** (Hellène) **الريس ريحان،** العاملة في الهيئة الإدارية للصليب الأحمر اللبناني - بيروت في ٦ تموز (يوليو) ١٩٨٣.

من مواليد القاهرة عام ١٩٠٣، لأسرة مهاجرة من لبنان إلى مصر. الأب ميشال **الريس** من مواليد حاصبيا، لبنان الجنوبي، ثم انتقل إلى بيروت حيث عمل في التجارة ومنها هاجر إلى مصر حيث عمل أيضًا في التجارة. وهناك تزوج من منتهى مطر، لبنانية الأصل ولعلها من حاصبيا أيضًا كما تقول إلين ريحان. هاجرت أسرتها من جنوب لبنان إلى مصر بسبب حوادث ١٨٦٠، وما رافقها من أعمال طائفية كان من نتائجها وفاة الأب وهجرة الوالدة والأخت والبنت إلى مصر حيث استقبلتهن شقيقتها مريم مطر، زوجة الأديب الكبير جورجي زيدان. هكذا اجتمع شمل الشقيقات منتهى وفريدة ومريم مطر في القاهرة يوم كان لإلين عامان فقط من العمر ودون أشقاء أو شقيقات.

وهي تذكر أن والدتها منتهى وخالتها مريم، نالتا قسطًا من الثقافة في مدرسة الإنجليز، قرب المدرسة البطريركية، في بيروت أما إلين فقد أتيح لها التعلم في كلية البنات الأمريكية في القاهرة حيث علّمت لاحقا وذلك بسبب المناخ الثقافي الجيد الذي عاشته في منزل جورجي زيدان الذي عرفته وهي صغيرة إذ توفي ولها من العمر قرابة الحادية عشرة فقط. حملت دبلوم الكلية الأمريكية ثم باشرت التدريس فيها خاصة مادة الترجمة إلى الإنجليزية بالإضافة إلى اللغة العربية وقواعدها، واستمرت في بيت خالتها حتى زواجها من الدكتور حبيب ريحان، طبيب الأسنان المعروف في بيروت ومن خريجي

جامعة هارفارد. تلقى علومه الأولى في الجامعة الأمريكية في بيروت وعاد إليها لاحقا كأستاذ لطب الأسنان فيها. كان الدكتور حبيب من أسرة لبنانية لم تهاجر إلى مصر ولم يذهب إليها بحثًا عن عمل لأن دخله في بيروت كان كبيرًا أما معرفته بإلين فكانت مصادفة إذ التقى بها في مناسبة اجتماعية يوم كان يقوم برحلة سياحية إلى مصر ثم تزوجا عام ١٩٣٧، وكانت تدرس في الكلية الأمريكية في القاهرة فغادرتها إلى بيروت برفقة زوجها واستقرت فيها نهائيًا.

إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين شهد المجتمع المصري تحولات هامة على كافة المستويات فعلى الرغم من وجود عدد كبير من الطالبات اللبنانيات في المدارس الخاصة المصرية، ككلية البنات الأمريكية في القاهرة، فإن غالبية الطالبات أصبحن مصريات بالإضافة إلى أعداد هامة من الأجانب والأرمن واليهود. ومن الملاحظ أن لغة التدريس الأساسية فيها كانت الإنجليزية إلى جانب العربية لكنها تستقبل طالبات حصَّلن ثقافة ابتدائية في مدارس فرنسية وتجري لهن دروسًا مكثفة باللغة الإنجليزية فيكملن دراستهن فيها. كانت المدارس الخاصة تجتذب البنات الميسورات من مختلف الطوائف والجنسيات دون أي تمييز، وكانت المدارس الخاصة في مصر تعلم العربية والفرنسية أو الإنجليزية أو غيرهما من اللغات الأجنبية وذلك على حساب اللغة العربية. وكانت مدارس البنات تستقدم عددًا من المعلمات اللبنانيات للتدريس فيها. ولا بد من التأكيد أن الشوام في مصر كانوا سباقين إلى تعليم بناتهم وإيصالهن إلى مستويات ثقافية عليا. فقد كانت الجالية اللبنانية ـ السورية ناجحة جدًا وبرز منها رجال عظام في جميع الحقول: أطباء، رجال أعمال، وظائف حكومية، صحافة، أدب، شعراء، ترجمة، أصحاب أملاك، رجال صناعة، أصحاب بنوك... إلخ.

ولم يختلط اللبنانيون والسوريون بالمجتمع المصري أول الأمر بل كانوا يفضلون الاختلاط بالجاليات الأوربية بالإضافة إلى فئة محدودة من أغنياء المصريين أو أصحاب الثقافة الأجنبية بينهم. أما في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى فقد ازدادت نسبة الاختلاط إلى حد كبير وباتت العلاقة حميمة بين بنات الشوام وبنات المصريين الذين يدرسون على مقاعد دراسية واحدة.

(٧) مقابلة مع الدكتورة **هنرييت السكاكيني**، القاهرة، في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

(٨) مقابلة مع الدكتور **ميشال يوسف فرح**، القاهرة، في ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

(٩) مقابلة مع الدكتور **ميشال فرح**، تفسح المجال لدراسة تزاوج أسرة شامية أخرى هي أسرة بطرس النجار، جد الدكتور ميشال لجهة والدته نظلة النجار.

(١٠) يشير الدكتور **ميشال فرح** إلى نماذج أخرى لأسر شامية تمسكت بالجنسية المصرية على الرغم من مارونيتها، كأسرة آل كرم ومنها أستاذ الفلسفة المشهور يوسف كرم، وشقيقه الدكتور رشيد كرم طبيب محافظة القاهرة.

وأسرة بلدي، وهي من الأسر الشوام الكاثوليكية التي برز الدكتور نجيب بلدي أستاذ الفلسفة في جامعة الإسكندرية، وكان نجيب بلدي ويوسف كرم من رواد الفكر الفلسفي اليوناني في مصر على مستوى واسع من الشهرة كعبد الرحمن بدوي وسواه. ويشير الدكتور ميشال فرح إلى نادي الآباء الدومينيكان المسمى (Cercle Thomiste) الذي كان ملتقى ثقافيا للطلائع الشبابية المتخرجة في المدارس الأجنبية العاملة في مصر. وكانت تلقى فيه محاضرات قيمة منها محاضرات لأنطون الجميل، وعزيز ميرزا من رؤساء تحرير الأهرام، ولعادل غضبان، وهو أحد مديري دار المعارف، وكان أديبًا وشاعرًا معروفًا، ولشاعر القطرين خليل مطران وغيرهم.

وكان لدى الروم الأرثوذكس الشوام ناد مشهور باسم نادي الاتحاد الأرثوذكسي، ترأس إدارته

لفترة الدكتور سمعان النجار، خال ميشال فرح، ودعا شخصيات كثيرة لإلقاء محاضرات من على منبره أبرزهم مي زيادة ويعقوب الخوري وخليل مطران وغيرهم.

من الوجوه الشامية البارزة التي عايشها الدكتور ميشال فرح أو سمع عنها خلال تلك المرحلة يذكر حنا بك يعقوب، وهو ماروني أرمني من عائلة يعقوبيان وكان سكرتيرًا ماليًا لوزارة الداخلية المصرية وهو من أصل لبناني.وكان شقيقه جاك يعقوب، أمينا لمكتبة وزارة الصحة المصرية. وكانت مي زيادة تكتب في الصحف والمجلات الهامة المصرية. أما نجيب الريحاني فكان موظفًا صغيرًا في شركة السكر قبل أن ينتقل إلى فن التمثيل مع بشارة واكيم وكلاهما من أصل شامي. كذلك جورج أبيض الذي اعتنق الإسلام في السنوات الأخيرة من عمره. وكان للريحاني جمهور واسع جدًا لأنه كان ممثلًا قديرًا.وكانت الجمعية الخيرية المارونية تقيم حفلة سنوية في الأوبرا لجمع التبرعات فكان الريحاني يحضر باستمرار هذه الحفلات كما يحضرها عدد كبير من الفنانين المصريين وعلى رأسهم أم كلثوم وذلك نظرًا لموقع الشوام في مصر وعلاقاتهم الواسعة وعدم طرح المسألة الطائفية فيها إذا كان المصريون ينظرون إليهم كشوام أو كلبنانيين وسوريين وليس كمسيحيين من طوائف مختلفة.

ويحرص الدكتور ميشال فرح على الإشادة بماري كحيل، وهي من أسرة شامية تنتمي لطائفة الروم الكاثوليك في دمشق، كان والدها تاجرًا كبيرًا وصاحب أراض واسعة في دمياط أممت بعد ثورة ١٩٥٢ كانت صاحبة مدرسة فكرية جمعت بين الاستشراق الغربي والتراث الإسلامي. توفيت عام ١٩٧٩، عن ٩٣ عامًا كانت لها ثروة كبيرة وعلى علاقة وثيقة بالأسرة المصرية الحاكمة قبل الثورة. لذلك استطاعت أن تقيم صلات ممتازة مع رجال الفكر والأدب والفن والشعر ودعيت مرارًا إلى أكثر من حوار إسلامي - مسيحي وسمي صالونها الأدبي بمركز الحركة المسكونية. كان صالونها ملحقًا بكاتدرائية دار السلام وكان ملتقى لكبار المحاضرين المصريين والأجانب خلال ربع قرن ١٩٤٥ - ١٩٧٠ . كانت تفخر بعروبتها ومسيحيتها في آن واحد ولا ترى تعارضا في ذلك. وكانت تتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية، وتمتلك دارًا للنشر باسم «مطبوعات دار السلام» التي اهتمت بنشر مؤلفات الأب ماسينيون (Massignon) عن المشرق العربي خاصة مصر، والأب يواكيم مبارك الذي كانت تربطها به علاقة وثيقة.

لعب الشوام في مصر، يقول الدكتور فرح، دورًا بارزًا في جميع المجالات فاحتضنتهم مصر وقدمت لهم كل المساعدة للشهرة والنجاح. فأحبوها واستقروا على أرضها وحافظوا على جنسيتهم المصرية وعروبتهم القومية التي لم تفسدها رياح الطائفية التي عصفت بالمجتمع اللبناني.

(١١) مقابلة مع الأستاذ **نبيل فريد صباغ**، مستشار ونائب رئيس تحرر «الأهرام الاقتصادي»، القاهرة في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

(١٢) مقابلة مع الدكتور **خليل صابات**، العميد السابق لكلية الصحافة بجامعة القاهرة، القاهرة في ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢، للدكتور خليل صابات مؤلفات علمية هامة منها: «تاريخ الطباعة في الشرق العربي» دار المعارف بمصر، عدة طبعات. «وسائل الاتصال: نشأتها وتطورها» مطبعة جامعة القاهرة، عدة طبعات.

(١٣) مقابلة مع الدكتور **فؤاد صروف**، الرئيس السابق للمجلس التنفيذي للأونيسكو، ونائب رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت سابقًا، بيروت، في ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٨٣ .وهناك مذكرات خاصة للدكتور فؤاد صروف عن عمه يعقوب صروف نشرت بعنوان: **يعقوب صروف: العالم والإنسان**، دار العلم للملايين،

بيروت، ١٩٦٠. كما أجرت معه الباحثة سلمى مرشاق سليم عدة لقاءات نشرت بعض معلوماتها في جريدة **النهار** البيروتية.

(١٤) مقابلة مع الدكتور سمير خليل ثابت، نائب رئيس الجامعة الأميركية في بيروت للشئون الإدارية، بيروت، ٣ آب (أغسطس) ١٩٨٣.

(١٥) مقابلة مع **ثريا جورج أنطونيوس**، حفيدة فارس نمر لجهة الأم، بيروت، في ١١ تموز (يوليو) ١٩٨٣. وعن سيرة أبيها جورج أنطونيوس الذي ولد في الإسكندرية تروي ثريا الكثير من المعلومات الهامة التي تنشر للمرة الأولى.

فقد ولد حبيب أنطونيوس في دير القمر لأسرة أرثوذكسية. تلقى علومًا بسيطة ثم هاجر إلى الإسكندرية حيث عمل في التجارة وتسلم إدارة أملاك أحد أثرياء الشوام في مصر ثم توظف لفترة في ديوان مجلس الوزراء المصري.

تزوج من إميلي حبيقة، لبنانية على جانب هام من الثقافة والذكاء، أورثت ابنها جورج حب العلم في حين كان الأب حبيب، كعادة معظم مهاجري الشوام، يرغب في أن يباشر ابنه العمل في سن مبكرة، ويلاحظ أن الوضع المادي الميسور لحبيب أنطونيوس ساعده على تعليم أخته مارلين أنطونيوس التي حصلت على شهادة علمية من الكلية الأمريكية في بيروت.

تؤكد ثريا أنطونيوس أن هجرة جدها حبيب من دير القمر إلى مصر لم تكن لأسباب طائفية وليست أيضًا بدافع القرابة إذ لا وجود لأنسباء لهم في مصر ولعل السبب السياسي لهجرة حبيب يكمن في التفتيش عن العمل الملائم في الإسكندرية، استقر حبيب أنطونيوس، وتزوج إميلي حبيقة، ورزق عام ١٨٩١، ابنه الوحيد جورج أنطونيوس الذي أمضى معظم سني دراسته بين مصر وكامبردج في بريطانيا حيث درس الهندسة ثم عاد إلى مصر إبان الحرب العالمية الأولى.

لم يستقر جورج أنطونيوس في الإسكندرية مع والديه، ولم يعمل في اختصاص الهندسة الذي حاز عليه من كامبردج بل اشتغل في مديرية الرقابة الإنجليزية في مصر ونال مرتبة عالية نظرًا لإتقانه العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية واليونانية. ومع نهاية الحرب العالمية الأولى وفرض الانتدابات على المشرق العربي انتقل جورج أنطونيوس إلى فلسطين حيث عمل في دائرة التربية فيها حتى أواخر عام ١٩٣٥. وكان جورج أنطونيوس قد تعرف إلى كاتي فارس نمر، ابنة مدير المقطم وأحد صاحبيها. واستمرت العلاقة سنوات طويلة حتى توجت بالزواج عام ١٩٣٠، ورزقا ابنة وحيدة هي ثريا جورج أنطونيوس.وهذا نموذج آخر لقلة عدد الأولاد لدى الجيل الثالث للمهاجرين فالأب جورج كان وحيدًا وابنته ثريا كذلك.

إبان توليه مهمات ثقافية في دائرة التربية في فلسطين، بقي جورج أنطونيوس على علاقة وثيقة بالسياسي البريطاني الشهير كلايتون، رئيس الدائرة السياسية بمصر. وقد رافقه في إحدى رحلاته الهامة إلى السعودية في محاولات للتقارب مع الملك عبد العزيز بن سعود وتمت الموافقة على الرحلة ومرافقة أنطونيوس لكلايتون مباشرة من المفوض السامي البريطاني نظرًا لسريتها من جهة، ولخطورة القضايا والحرص على عدم تسريبها من جهة أخرى وهناك، في السعودية، تعرف جورج أنطونيوس إلى تشارلز كراين (Crane)، الثري الأميركي وصاحب مؤسسة الأشغال الدولية المعاصرة ذات الفروع المتعددة في العالم كله. فأعجب به كراين وطلب إليه اختيار الوظيفة التي تلائمه في هذه المؤسسة، ساعة يشاء. وتروي ثريا أنطونيوس قصة ولادة كتاب «يقظة العرب» المشهور على الشكل التالي: في عام ١٩٣٥ ترك أنطونيوس دائرة التربية في فلسطين لسببين توجزهما ابنته ثريا على الشكل التالي:

(أ) لقد تعرف في فلسطين على أهداف السياسة الإنجليزية تجاه العرب وذلك بحكم موقعه كوسيط ومستشار ونظرًا لاطلاعه على تلك السياسة من مصادر عدة وبلغات متنوعة كان يتقنها كانت بريطانيا تحاول الظهور كوسيط مقبول من العرب واليهود لكنها تعمل في الحقيقة على تنفيذ وعد بلفور على حساب عرب فلسطين. ولم يتفهم أي مفوض سام بريطاني تطلعات العرب وخوفهم على مصيرهم بل كان يتم تخويفهم بهدف ترحيلهم بالطرق السلمية أو بتحريض اليهود ضدهم معتمدين أساليب بربرية عنصرية. لذلك أصيب بخيبة أمل كبيرة من السياسة الإنجليزية التي كانت تفضل اليهود على العرب. وسقطت كل أوهام المثقف العربي المؤمن بالديمقراطية الأوربية الغربية عن المساواة بين الشعوب وحق كل منها في تقرير مصيرها دونما إكراه. واستمرارًا لتلك الفكرة، أي الإيمان بالديمقراطية الغربية، فكر بكتابة مؤلف باللغة الإنجليزية يخاطب فيه الإنجليز أنفسهم ويشرح لهم مخاطر سياستهم على مصالحهم بالذات بالإضافة إلى الأضرار الكبيرة والمدمرة التي تلحق بالشعب العربي.

(ب) وانسجامًا مع الفكرة التي آمن بها وجد جورج أنطونيوس أن بقاءه في عمله بات مستحيلًا بسبب المضايقات التي يتعرض لها من الإنجليز واليهود على السواء، على الرغم من علاقته الوثيقة بالانتداب البريطاني. وكان العداء منصبا عليه كعربي بالدرجة الأولى، مهما كانت ميوله وطائفته. لذلك ترك عمله بعد أن أمضى فيه قرابة خمس عشرة سنة كانوا يبدلون أثناءها على رئاسة دائرة التربية في فلسطين موظفين من الجنسية الإنجليزية دونه في الثقافة العلمية والخبرة والمرتبة. عندما أدرك انسداد الأفق الوظيفي أمامه في المستقبل بات عليه التفتيش على عمل آخر يتلاءم مع كفاءته وطموحه الشخصي والقومي.

وفور اتصاله بكراين، انتدبه مراسلًا لمؤسسته في الحجاز وسوريا والعراق والسودان ومصر والأردن وفلسطين، وكانت مهمته إعداد دراسات علمية دقيقة حول تلك المناطق.وقد ساعدته الأبحاث على إعداد كتابه الكبير **يقظة العرب**.

فبعد أن تعرف إلى كبار رجال السياسة المحليين وأجرى حوارات شخصية عديدة معهم وتعرف على طموحاتهم في بناء دولة عربية مركزية ذات بعد قومي عربي. وأثناء إعداد الدراسات عرف أن السياسة البريطانية تحضّر مؤتمرًا عامًا تتناول المفاوضات العربية ـ اليهودية حول مستقبل فلسطين.وأن موعد المؤتمر قد تحدد عام ١٩٣٨. لذلك توجه إلى لندن عام ١٩٣٧. وأمضى العام بكامله هناك حيث أعد كتابه **يقظة العرب** بعناية بالغة كي يصبح الوثيقة الأساسية التي تعبر عن وجهة النظر العربية العلمية التي تخاطب المجتمع الأوربي بعقلانية تؤثر فيه. كان رد الفعل العربي ممتازًا إذ طلبت الوفود العربية من جورج أنطونيوس القيام بمهمة أمين سرها جميعًا وليس أمين سر الوفد الفلسطيني وحده. وكانت النتيجة صدور **الكتاب الأبيض** عام ١٩٣٩، الذي اعتبره العرب كسبًا كبيرًا لحقوقهم في فلسطين العربية. كان لجورج أنطونيوس الفضل الأكبر في ذلك، لكن السنوات اللاحقة طمست طموحات العرب في التحرر وتحيزت السياسة البريطانية مجددًا، وبشكل كامل، إلى قيام دولة صهيونية في فلسطين على حساب طرد سكانها العرب.

وأكثر ما يؤلم ثريا أنطونيوس أن والدتها نقلت أوراق أبيها عام ١٩٤٨، لتضعها عند أحد المحامين الفلسطينيين من أصدقائه. وكان حجم الأوراق يناهز ٣٦٠ علبة، لكن اليهود استولوا عليها وأطلقوا عليها اسم «أرشيف جورج أنطونيوس» أما مكتبة أكسفورد فتضم جميع الأبحاث التي كتبها أنطونيوس عن دول الشرق الأوسط لصالح مؤسسة تشارلز كراين.

(١٦) مقابلة مع الدكتور **محمد أسعد سلهب**، أمين سر «**الاتحاد العربي بالقاهرة**»، بيروت، في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٨٤.

من مواليد مدينة بيلان التركية في ٢٤ شباط (فبراير) ١٨٩٧، حيث كان والده قاضيًا للشرع فيها. بدأ القراءة والكتابة في معلقة زحلة على أيدي والده وهو في سن الخامسة من عمره. لا يذكر وجود مدارس رسمية في معلقة زحلة آنذاك كما أن والده لم يرسله إلى مدارس الإرساليات الأجنبية أو الرهبانية الخاصة في مدينة زحلة. درس المرحلة الابتدائية في مدينة طرابلس، وأكمل المرحلة الثانوية في بيروت حيث نال البكالوريا الرسمية من مدرسة بيروت السلطانية. يذكر من رفاقه في تلك المرحلة عبد الرحمن حبال، وحمدي الخوجا من بيروت وقد رافقه في دراسة الطب في إسطنبول وتخرج فيها طبيبًا، ورفيق الغزاوي ونجيب الملا من طرابلس. وشغل هذا الأخير مركز رئيس غرفة التجارة في مدينة طرابلس.

أنهى دراسة البكالوريا عام ١٩١٢، وسافر إلى إسطنبول لدراسة الطب حيث لم يجد كثيرًا من العرب، خاصة اللبنانيين منهم. والسبب في ذلك، كما يراه الدكتور أسعد سلهب، أن معظم اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين كانوا يفضلون إرسال أبنائهم إلى الجامعتين اليسوعية والأميركية في بيروت. كان حاجز اللغة الأجنبية يلعب دورًا هامًا في الدخول إليهما حيث كان للمدارس الخاصة، الأجنبية والمحلية، الدور السياسي في إيصال طلابها إلى هاتين الجامعتين. ويلاحظ أن أسعد سلهب وزميله حمدي الخوجا لم يحصّلا دراستهما الابتدائية والثانوية في مدارس خاصة بل رسمية عثمانية.وهناك في عاصمة السلطنة إسطنبول، لم يلاحظ الشاب أسعد أي اختلاف جدي أو تمييز بين الطلاب العرب والأتراك علمًا بأن تلك المرحلة قد شهدت توترًا حادًا في العلاقة بينهما بسبب دعوة جماعة الاتحاد والترقي إلى سياسة التتريك وتطبيقها في الولايات العربية. لكن الرقم الذي يقدمه أسعد سلهب بليغ في دلالته، إذ إن عدد الطلاب العرب في السنة الأولى للطب في إسطنبول كان ١١ طالبًا فقط من أصل ٣٣٣ طالب طب عام ١٩١٤، أي بعد إكمال المرحلة الإعدادية اللازمة. أي أن الفئات الغنية العربية، مسيحية وإسلامية على السواء، كانت ترفض إرسال أبنائها لدراسة الطب في عاصمة السلطنة بل تفضل إدخالهم جامعتي بيروت أو الجامعات الأوربية.

لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى ومشاركة السلطنة فيها قطعت طريق الدراسة على أسعد سلهب فأرسل إلى الجندية وهو في السنة الثانية في كلية الطب. خدم في جبهة العريش وسيناء ثم الدردنيل حتى عام ١٩١٧، حين عاد لإكمال شهادة الطب بعد أن أدمجت سنتان بسنة واحدة فتخرج طبيبًا وأرسل إلى الشام عام ١٩١٨، حيث شهد فلول الجيش التركي تنسحب من بلاد الشام فاستقر في مدينة دمشق وسرعان ما طلب إليه الزعيم يوسف العظمة الالتحاق بثورة صالح العلي بعد أن عينه طبيبًا لقضاء العمرانية ومركزه مصياف حيث المدى الحيوي للثورة. وهناك تعرف شخصيًا إلى صالح العلي لكنه لم يتفق معه على المبادئ التي أعلنها فغادر مركزه الطبي بعد شهرين فقط وانتقل إلى طرابلس حيث فتح لنفسه عيادة خاصة فيها واستحضر أجهزة للأشعة كانت من أوائل الآلات الحديثة في هذا الحقل الطبي في مدينة طرابلس.

يتذكر دافع هجرته إلى مصر بكثير من الدقة التفصيلية ففي ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣، يستدعيه المستشار الفرنسي في طرابلس، وكان على علاقة ود وصداقة معه، ويبلغه أن لديه أوامر صريحة باستجوابه عن اشتراكه المؤكد بثورة صالح العلي. ويطلب إليه ضرورة مغادرة طرابلس فورًا

خلال أربع وعشرين ساعة وإلا اضطر لإلقاء القبض عليه. ونصحه بعدم البقاء في سوريا ولبنان لأن هناك أوامر صارمة باعتقاله. هكذا اضطر إلى مغادرة طرابلس متوجها إلى مصر، مزودًا بشهادة طبية في التصوير الإشعاعي وإتقان للغتين العربية والتركية مع إلمام باللغة الفرنسية، محتفظًا في سجله بنيشان هلال الحرب التركي مقرونا بنيشان اللياقة الحربية الألماني لعام ١٩١٨.

لم يحاول في مصر اللجوء إلى أنسبائه وأولاد عمه في القاهرة بل فضل التوغل داخل مصر فوصل المنصورة وفتح عيادة خاصة فيها بتاريخ ٦ نيسان (إبريل) ١٩٢٣، دون أية صعوبات إدارية لأن الشهادة الطبية العثمانية كان معترفًا بها على قدم المساواة مع باقي الشهادات التي تفد إلى مصر من الخارج. وقد اعتمدنا على ذكريات أسعد سلهب في تدوين معلومات هامة حول الشوام في المنصورة إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين.

الفصل الثاني
آراء وانطباعات حول هجرة الشوام إلى مصر

حول أسباب هجرة الشوام إلى مصر

للحدث التاريخي جوانب متداخلة لا يمكن حصرها بل إبرازها تبعًا لأهميتها لذلك آثرنا نقل وجهات نظر علمية تخدم الحقيقة التاريخية وتلم بموضوع هجرة الشوام إلى مصر من جوانب مختلفة يقول الدكتور خليل صابات[١]:

«الهجرة قديمة العهد في بلاد الشام خاصة السواحل البحرية منها. ويلعب الموقع دورًا هامًا في هذا المجال لكن هجرة الشوام المتزايدة إلى مصر في القرن التاسع عشر تعود أساسًا إلى العلاقة الوثيقة التي أقامها محمد علي باشا مع حكام بلاد الشام في مطالع ذلك القرن واستمرار تلك العلاقة مع أبنائه وأحفاده من بعده، أما الهجرة الكبرى خلال ذلك القرن فتعود إلى افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، حين فتح باب التوظيف أمام الشوام على مصراعيه وذلك لأسباب متعددة أبرزها ثقافتهم ولغاتهم المزدوجة بين العربية والأوربية كان للعامل الاقتصادي دور ملحوظ في تلك المرحلة، لأن استقدام الحرير الصيني والهندي عبر قناة السويس أضعف استيراد فرنسا من حرير لبنان بسبب الفارق الكبير في الأسعار فكسدت صناعة وتجارة الحرير في جبل لبنان مما دفع بقسم كبير من اللبنانيين والسوريين إلى الهجرة، فكانت مصر إحدى أبرز المحطات التي استقر فيها هؤلاء المهاجرون ويمكن التأكيد أن موانئها، خاصة الإسكندرية، كانت المحطة الأكثر ثباتًا. لغالبية مهاجري الشوام ومن يطلع على تاريخ هؤلاء بدقة يجد أن معظمهم كان يغادر إلى ميناء الإسكندرية حيث يبقى عدة أيام، فإما يجد عملًا ويستقر، أو يغادرها مكملًا طريقه إلى الخارج وهذا هو المنحى

العملي لهجرة عدد كبير من الصحافيين الشوام وعلى رأسهم جماعة «الأهرام» وجماعة «المقطم» و«المقتطف».

«سبب الهجرة الحرية أولًا، يقول الرئيس الصلح[٢] ثم التجارة» فمجال العيش ضيق في جبل صخري وعر المسالك ويصبح أكثر صعوبة عندما يشتد الظلم والإرهاب كما حدث أيام السلطان عبد الحميد الثاني. ولعبت مصر دور استقطاب بارز للمهاجرين من جنسيات مختلفة وليست من الشوام فقط. فقد رفع الخديو إسماعيل شعاره المعروف «سأجعل من مصر قطعة من أوربا». وتم له ما أراد من حيث الشكل فقط إذ كثرت فيها جاليات أوربية من سويسرية، وفرنسية، وإيطالية، وإنجليزية، ويونانية، وإسبانية وغيرها كما جاءتها أعداد كبيرة من الأرمن والكلدان والسريان والشوام وشكلت لها جاليات كبيرة في مصر.

فمناخ الحرية في مصر قياسًا إلى الحكم الاستبدادي العثماني، وفتح قناة السويس، وازدهار التجارة، وغنى الأرض المصرية، وانفتاح آفاق التصنيع، وكثرة الشركات والبنوك الأجنبية، وتوسع التعليم والإرساليات، وازدهار النشاط الصحافي والطباعي وغيرها الكثير من السمات الأخرى التي ساهمت في اجتذاب السوريين واللبنانيين وجنسيات عديدة إلى مصر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهناك عنصر الاستقرار الأمني في مصر التي لم تشهد أحداثًا دامية كبيرة باستثناء ثورة أحمد عرابي وذلك حتى ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢، فالانتفاضات الكبيرة في مصر لم تكن دموية ولم تتعرض للسكان، سواء أكانوا مصريين أم أجانب أم من جنسيات عربية. إن عامل الاستقرار شديد الأهمية في اجتذاب المهاجرين الذين يوظفون رساميلهم أو طاقاتهم في مشاريع طويلة الأمد دونما خوف وكان للقطن المصري، إنتاجًا وتصنيعًا وتجارة، دور هام في اجتذاب المهاجرين أيضا فكانت مصر من أكبر بلدان العالم في هذا المجال.وعمل عدد كبير من المهاجرين في إنتاج القطن وتسويقه والاتجار به. وكانت مصر من أوائل بلدان العالم التي دخلتها سكك الحديد التي ساهمت بعمق في تغيير بنية المجتمع المصري وربط أطرافه بالمدن الكبرى. والرصيد الحضاري لمصر ذو امتداد تاريخي عريق لكنه متجدد باستمرار خاصة في مجال الحقوق والواجبات واحترام سيادة القانون. واعتبرت المحاكم المختلطة المصرية، ولسنوات طويلة، من أرقى المحاكم في العالم بسبب نزاهة القضاء. حتى إن القاضي الذي يصل إلى هذه

المحاكم يعتبر نفسه في أعلى المحافل الحقوقية العالمية وأن اختياره لذلك المنصب يعد تتويجًا لنزاهته واعترافًا بعدله وسعة اطلاعه في المجال الحقوقي.

وتؤيد الدكتورة زاهية قدورة[٣] الفكرة القائلة بغنى مصر في هذه المرحلة واجتذاب المهاجرين إليها، والعلاقة الوثيقة بينها وبين بلاد الشام منذ القدم.

تعود أسباب هجرة الشوام إلى مصر بجذورها العميقة إلى مرحلة تاريخية موغلة في القدم. فحتى الاستقلال لم يكن السوريون واللبنانيون في مصر يعرفون على أساس دولتي سوريا ولبنان المعاصرتين بل على اعتبارهم من «الشوام» أو «جالية الشوام» كما ترد التسمية في كثير من الوثائق المصرية. وبدأت عملية الفصل والتمايز بعد استقلال دولتي سوريا ولبنان عام ١٩٤٣، وليست لدينا معلومات دقيقة حول بداية هذه الهجرة التي ترقى إلى آلاف السنين لأن الارتباط التاريخي كان وثيقًا منذ القدم بين مصر وبر الشام. حتى إن احتلال العثمانيين للمقاطعات الشامية بعد معركة مرج دابق عام ١٥١٦، قادهم إلى احتلال مصر وانتزاعها من المماليك بعد معركة الريدانية وذلك بعد عام واحد أي ١٥١٧، وفي ظل السلطنة العثمانية وحكمها المديد كانت العلاقة وثيقة جدًا بين مصر وبلاد الشام على مختلف المستويات. لذلك كثر الانتقال من بلاد الشام إلى مصر خاصة في ظروف الأزمات الاقتصادية والحروب المستمرة بين ولاة الشام. ومصر بلاد غنية جدًا قياسًا إلى باقي البلدان العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر لا بل حتى مرحلة اكتشاف النفط وتسويقه في القرن العشرين. وكانت مصر تسمى مخزن العرب، فأرضها وافرة الخيرات والغلال، وتجارتها مزدهرة، وصناعتها متطورة، وصحافتها تتمتع بقدر كبير من الحرية، وحياتها الثقافية والأدبية والفنية على جانب كبير من التطور والنهضة. وقد لعبت هذه العوامل مجتمعة في اجتذاب أعداد كبيرة من الشوام إلى مصر للعمل هناك فأصاب الكثير منهم نجاحًا ملحوظًا. لقد برع الشوام، خاصة الحلبيين منهم، في الصناعة والأعمال المالية بالدرجة الأولى، وانصرف كثير من اللبنانيين إلى التجارة وأعمال الوساطة والسمسرة والمهن الحرة. كانت جالية الشوام تضم أعدادًا هامة من الأرمن الذين انتشروا في مجالات متنوعة من حياة مصر الاقتصادية والحرفية وغيرهما وكانوا يحبون لبنان كثيرًا لأن أرضه تحتضن جالية أرمنية كبيرة كما أن بعضهم هاجر من لبنان إلى مصر.

وقد عايش الكاهنان يوحنا الحاج ويوسف البجاني[٤] أعدادًا كبيرة من السوريين

واللبنانيين في مصر، خاصة الموارنة منهم، وسمعا الروايات الشائعة حول أسباب هجرة الآباء والأجداد إلى هذا القطر منها: حب التجارة، الخوف من الاضطهاد العثماني، الصدامات الدموية في جبل لبنان (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠)، تعليم المصريين على تربية الحرير، العمل في الصحافة وفي الوظائف الرسمية المصرية، العمل في المهن الحرة.

كان المهاجرون الأوائل من مناطق حلب، والبترون، والزاوية، وجبيل، وطرابلس. لقد هاجر قسم كبير من موارنة المتن وجنوب لبنان إلى مصر عبر فلسطين أو بواسطة السفن. تعليل ذلك أن سهولة الانتقال بين جنوب لبنان وفلسطين كانت تغري موارنة الجنوب بإكمال الرحلة إلى مصر للاستقرار فيها والتفتيش عن مصدر للثروة. أما هجرة موارنة المتن الشمالي فقديمة العهد، خاصة من بكفيا وجوارها. فهاجر عدد كبير منهم إلى مصر في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين وجمعوا ثروات طائلة، خاصة في المنصورة ودمياط، واستدعوا أقرباءهم وأبناء منطقتهم للعمل لديهم وسرعان ما توزعوا إلى باقي المدن والمناطق المصرية. كان المهاجرون الأوائل من الذين استقدمهم محمد علي باشا لتعليم المصريين زراعة وتربية التوت والحرير. وأبرز عائلاتهم آنذاك هي: آل الزند، وآل صعب، وآل شديد وسواهم. وكان هؤلاء من فقراء المناطق اللبنانية التي جاءوا منها فتبدل وضعهم الاجتماعي جذريًا إذ تحولوا إلى كبار الأغنياء في مناطق تواجدهم في مصر. وكانت أولى الهجرات إلى دمياط حيث الميناء الشهير الذي استوعب السفن الأولى لمهاجري الشوام إلى مصر.

ومن دمياط انتقلوا إلى المنصورة، والزقازيق، ومصر القديمة، ودرب الجنينة (الموسكي)، والإسكندرية وسواها. وبعد فتح قناة السويس شغل الموارنة وظائف إدارية هامة فيها خاصة في حقل الترجمة وتوسعت هجرتهم إلى مدن السويس وبور سعيد والإسماعيلية وغيرها وتوسعت بذلك تجارتهم وكنائسهم ومؤسساتهم الخاصة ونواديهم.

كانت المنابت الاجتماعية الغالبية الساحقة من مهاجري الشوام إلى مصر فقيرة لا بل معدمة أحيانًا. ومصدر غناهم العمل التجاري والوظيفي والزراعي والمهن الحرة وسواها في مصر. فمنهم كبار تجار القطن في المنصورة والقاهرة والإسكندرية لسنوات طويلة.ومنهم كبار الأطباء والمهندسين والمحامين والصحافيين وموظفي

الدولة. ومنهم من نال ألقابًا كبيرة على النمط الأوربي كالكونت دو صعب، والكونت دو شديد، وألقابًا على النمط التركي كالباشا والبك وسواها من الألقاب، ومنهم من نال ألقابا عربية ذات وقع اجتماعي مميز كالأمراء آل لطف الله وغيرهم. وبرع المهاجرون الشوام في مصر إلى درجة يستحيل فيها حصر العائلات الغنية منهم، سواء المارونية منها أو الكاثوليكية أو الأرثوذكسية، أو طوائف السريان والأرمن بالإضافة إلى مسلمي الشوام. فهناك آل لطف الله، وآل مسكات، وآل الرافعي، وآل زنانيري، وآل سكاكيني، وآل تاجر، وآل كحيل، وآل صيدناوي، وآل تقلا، وآل أبو عز الدين، وآل بركات، وآل الجميل، وآل صعب، وآل شديد، وآل الزند، وآل شيحان، وآل غندور، وآل تابت، وآل صوصة، وآل ماتوسيان، وآل خياط، وآل مرشاق وغيرهم الكثير. وليست لدينا معلومات دقيقة لضبط المنابت الاجتماعية لهؤلاء الأغنياء ولا مصادر قدومهم إلى مصر. فمنهم من جاءها من حلب أو دمشق أو حمص أو من المدن الفلسطينية أو اللبنانية، ومنهما من جاءها من الأرياف في هذه البلدان. ولم تكن هناك جنسية يتميز بها الشوام تبعًا لمنابتهم التي جاءوا منها بل كان يطلق عليهم جميعًا لقب «الشوام» أو «جالية الشوام في مصر». لكن المواطن المصري يرمز بذلك التعبير إلى المسيحيين دون المسلمين الذين كانوا قلة لأن قسمًا كبيرًا منهم كان ينخرط في المجتمع المصري ويرفض أن يطلق عليه لقب «شامي».

ويعزو إلياس الجميل[٥] أسباب هجرة الشوام إلى مصر، خاصة اللبنانيين منهم إلى العامل الاقتصادي بالدرجة الأولى فضيق العيش في جبل لبنان الصخري دفع أعدادًا كبيرة من أبنائه للتفتيش عن مصادر الثروة والجاه في دنيا الله الواسعة. أما العامل الديني فضعيف التأثير ويكاد يكون معدومًا في حالة هجرة أبناء المتن إلى مصر. فما معنى أن يرتحل ذلك العدد الكبير من أبناء بكفيا وجوارها من الموارنة إلى بلاد إسلامية تضم أهم جامعة للتعليم الإسلامي في العالم هي جامعة الأزهر؟ المسألة إذا اقتصادية واجتماعية حيث الانفتاح المصري قد اجتذب مهاجرين من جنسيات مختلفة ولم يستطيعوا تشكيل طوائف وتجمعات مغلقة تناحر بعضها طائفيًا كما في النموذج اللبناني. وأقام اللبنانيون علاقات جيدة مع المصريين وتأقلموا في مصر وحين اضطروا للرحيل عنها بدافع التأميم فقط غادرها قسم هام منهم لا يزال يحتفظ بحنين كبير إلى مصر. ويلاحظ أن نسبة كبيرة منهم تحاول العودة الآن إلى

مصر إذ ما زالت تحتفظ بالجنسية اللبنانية إلى جانب الجنسية المصرية. فالمهاجر يرتاح إلى مناخ الانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بحيث يستطيع تأمين ثروة يعود بقسم منها إلى وطنه الأم ويحتفظ بغالبيتها في المهجر كي يستمر في نشاطه التجاري.ومن المؤكد أن اللبنانيين في مصر، والشوام بصورة عامة لم يتعرضوا لأية مضايقات بسبب الدين أو الانتماء السياسي. كذلك لا يجوز أن يفسر التأميم كقرار موجه ضد اللبنانيين أو الشوام بل ضد الأغنياء القاطنين في مصر، من المصريين والعرب والأجانب على السواء.

ويعزو السفير الدكتور حليم أبو عز الدين(٦) أسباب الهجرة إلى مصر بنزوع اللبناني الطبيعي وتوقه الدائم إلى الهجرة منذ القدم. فلبنان بلد فقير، صخري التربة، صعب المسالك، قليل الإنتاج الزراعي. لذا استعاض اللبناني عن هذه المعيقات الطبيعية بالعمل في الخارج. «لبنان، يقول حليم أبو عز الدين، مصطبة على البحر، وامتداد لبناني الحياتي بحري أكثر منه داخلي صحراوي». وكانت تكاليف السفر آنذاك غير باهظة عن طريق البحر فاستجاب اللبناني لنداء الهجرة والعمل في الخارج والتفتيش عن الغنى. وما إن أتيحت له الفرص المؤاتية حتى اقتنصها بكثير من الذكاء والفطنة. ومع غناه المادي تفتحت حاجاته الفكرية والذهنية فاستجاب لها أيضًا وأفسحت له مصر مجالًا واسعًا لهذين النوعين من الحاجات: الغنى المادي والتفتح الفكري وكلاهما غير ممكن التحقق في البلد الأم لأسباب متنوعة، فللهجرة سببان رئيسيان على الأقل: الجاذب المادي للعمل وتجميع الثروة، والجاذب الثقافي لتحقيق الذات. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن داود بركات، الصحافي المشهور جدًا في مصر كان من مواليد يحشوش، البلدة الفقيرة المعدمة. لذلك لم يتمكن من البقاء فيها بعد دراسته في مدارس عالية، ولم تكن سبل النجاح ميسرة في لبنان فسافر إلى مصر حيث العمل الصحفي النشيط واندمج بالمجتمع المصري وكان له دور مميز في الصحافة المصرية فسبب الهجرة إذًا هو الانطلاق إلى آفاق أوسع، والترويح عن النفس ماديًا واجتماعيًا ومع الهجرة أقيمت علاقات تقارب بين المهاجرين من جهة، وبينهم وبين المصريين من جهة أخرى. واتسع عدد المهاجرين من أقربائهم وبني قومهم فشكلوا جالية كبيرة ذات أغلبية مسيحية واضحة لأن المهاجر المسيحي يحتفظ بنظرة معينة إلى لبنان تبقيه على حنين دائم له، في حين كان المهاجر المسلم

يشعر وكأنه في بيته عندما يسافر إلى أي بلد عربي فيستقر فيه ويتزوج ويفقد الحنين إلى لبنان، يضاف إلى ذلك أن المسيحي المهاجر كان يرسل أبناءه إلى لبنان كي يتلقوا علومهم في مدارسه، في حين كان المسلم المهاجر من لبنان يعلم أبناءه في مدارس مصر كما يفعل المصريون تمامًا ويكمل دراسته في الأزهر، كذلك لعب الاصطياف في لبنان دورًا ملحوظًا في تمتين روابط المهاجرين المسيحيين بشكل خاص من اللبنانيين بلبنان.

وعند تحديد أسباب هذه الهجرة ينفي الدكتور فؤاد صروف(٧) إمكانية حصرها بالعامل الديني أو الطائفي. وفي نموذج آل صروف وضوح كامل في هذا المجال. فقد ارتبطت هجرتهم بالبحث عن العمل بعد اضطهاد العالم يعقوب صروف في مسقط رأسه لبنان، وفي الجامعة الأمريكية بالذات. ويمم صروف، مع زميله في الاضطهاد فارس نمر، شطر مصر بحكم موقعها الجغرافي على طريق المهاجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. تلك الهجرة لم تكن مقررة ومثبتة بشكل نهائي في برنامج الثنائي صروف ـ نمر لأن الهدف الأساسي يكمن في البحث عن العمل اللائق، سواء في أمريكا أو في سواها. لذلك اجتذبتهم مصر بفعل عامل الحرية النسبية التي كانت تتمتع بها على الرغم من الاحتلال الإنجليزي لها. وساهمت الحكومة المصرية في اجتذاب الرجلين كما ساهم العامل الاقتصادي لاحقًا في استقرارهما على أرض الكنانة حيث باتت لهما شهرة واسعة وعين فارس نمر عضوًا في مجلس الشيوخ المصري. وعبر النتائج الباهرة التي حققاها أصبحت فكرة اندماجهما في مصر ترتدي سلم الأولويات في حياة الرجلين فبقيا في مصر وأمضيا عمرهما هناك ودفنا فيها. وفكرة الاندماج ليست غريبة عن طباع اللبناني هكذا تسقط المقولة السائدة التي تجعل من بعض اللبنانيين، ولأسباب طائفية في الغالب، مجرد مهاجرين إلى مصر سرعان ما يعودون منها إلى مسقط رأسهم لبنان. فذاك الشعور لم يكن موجودًا على أرض الواقع ولا يطال إلا نسبة ضئيلة من الشوام، ومنهم اللبنانيين، في مصر.

لقد اندمج معظم الشوام، على اختلاف طوائفهم، في المجتمع المصري فأحبوه، لا بل بالغوا في حبه معظم الأحيان ورفضوا التخلي عنه، لأنه كان عنصر استقطاب وجذب لأعداد كبيرة من الجاليات الأجنبية. ولم يشعر الشوام أبدًا أنهم جالية أجنبية في مصر بل بين أهلهم وبني قومهم وذلك على خلاف غالبية الجاليات الأخرى. ومن

الممكن الحديث على اندماج الشوام المسلمين بسرعة أكبر من إخوانهم المسيحيين في مصر لكن المسألة تبقى، في جوهرها، تنحصر في نسبة الاندماج وسرعتها وليس في الموقف من الاندماج نفسه حيث تتساوى جميع الطوائف في هذا المجال. ويعطي الدكتور صروف نموذجه الشخصي حول اندماجه بالمجتمع المصري فيقول: «خارج نطاق السياسة لم أجد في حياتي الشخصية أية عقبة تحول دون اندماجي الاجتماعي بشكل كامل بالمجتمع المصري». ولم يكن العمل السياسي محظورًا على الشوام لكن النشاط السياسي البارز كان حكرًا على المصريين أنفسهم، أما ظاهرة كريم ثابت، مستشار الملك فاروق فكانت فريدة ونادرة.

وكان يوسف جلاد ذا حظوة كبيرة في البلاط المصري. لكن طبيعة المهاجر التي يتشرب بعض سماتها أبناؤهم من بعدهم، كانت تدفعه إلى الابتعاد عن العمل السياسي المباشر والعلني. فمنهم من عين تعيينا في مجلس الشيوخ المصري لكن من غير المنطقي أن يتصور الإنسان قيادة سياسية لأي مجتمع تأتيه من خارجه. كان الاهتمام الأساسي للمهاجر ينصب على العمل التجاري والصناعي والثقافي وجمع الثروة دون الغرق في مشكلات السياسة والصدام مع الإنجليز. ويلاحظ أن المهاجرين الشوام، خاصة اللبنانيين منهم، أقاموا علاقة وثيقة مع السلطة السياسية الحاكمة لضمان مصالحهم وأموالهم. أما من تعاطى منهم العمل السياسي والانخراط في الدفاع عن مصالح الشعب المصري ورفض الاحتلال البريطاني فهي قلة نادرة قامت بنشاط ملحوظ عبر الصحافة والإعلام بشكل أساسي وانعكست عليها كل سلبيات وإيجابيات ذلك العمل.

دور الطائفية في تكوين الجالية السورية ـ اللبنانية في مصر

كانت غالبية المهاجرين الشوام مسيحية بصورة عامة، ولبنانية إلى حد كبير. لكن هذا الواقع لا يبدل السمات الأساسية للمهاجرة من حيث اتساعها وشمولها كل المناطق وكل الطوائف وهناك مسلمون شوام لعبوا دورًا ملحوظًا في حياة مصر الاقتصادية والسياسية والثقافية. فهناك، على سبيل المثال لا الحصر، الأستاذ محمد فؤاد شكري، أستاذ التاريخ الحديث في جامعة القاهرة، وهو من مواليد حلب ثم نزح إلى مصر. والزعيم السوري الشهير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي أمضى فترة

طويلة في مصر. «ولست أدري، يقول الدكتور صابات، ما إذا كان الدكتور الشهبندر، عميد معهد السرطان في جامعة القاهرة، من أبنائه أو من أنسبائه». ثم الدكتور عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ الشهير، وهو من مواليد طرابلس. والشيخ رشيد رضا، صاحب المنار. والأمير شكيب أرسلان، وأسر الرافعي، والجسر، والغندور، ومنقارة، وميقاتي، وسلهب، وأبو عز الدين، وكرامي، واليافي، وغيرها من الأسر الشامية الإسلامية التي هاجرت إلى مصر واستقرت فيها للعمل المؤقت، أو بدافع العلم خاصة الأزهر أو في جامعات ومعاهد القاهرة. وكان لتيار الجامعة الإسلامية، وإلى حد كبير التيار القومي العربي، دور في اندماج الشوام المسلمين في مصر. أما معظم من رجع من الشوام إلى سوريا أو لبنان فكانوا في الغالب من المسيحيين، في حين استقر عدد كبير من المسلمين داخل مصر ويلاحظ أن أغنياء اللبنانيين والسوريين كانوا يعودون إلى لبنان للاصطياف فيه واستمروا على علاقة وثيقة ببلاد الشام حتى قبل قرارات التأميم وعودة البعض منهم إلى لبنان للاستقرار النهائي. وبرز دور العامل الاقتصادي حتى في تسمية الفنادق والمؤسسات السياحية في لبنان بأسماء مصرية لاجتذاب المصريين والمتمصرين من الشوام إليها. فهناك في كل بلدة اصطياف تقريبًا أسماء فنادق: «النيل»، أو «الأهرام»، أو «مصر»، أو «الإسكندرية»، أو «السويس» وغيرها[٨]. وعلى الرغم من مظاهر الاندماج هناك الكثير من مظاهر التمايز عن المصريين بسب العامل الطائفي بشكل خاص.

اعتبر الشوام أنفسهم أصحاب عادات وتقاليد مميزة حافظوا على استمراريتها ودعوا أصدقاءهم المصريين إلى مآدبهم وحفلاتهم وأعيادهم ونواديهم وكان سكنهم، في الغالب، يتوزع على مناطق الظاهر والفجالة والسكاكيني ومصر الجديدة. وكان معظمهم، في البداية، يقطنون منطقة أطلق عليها «حي الشوام» وأبرز شوارعه: الظاهر، رمسيس، ذهني، مراد، القبيسي، السبع، حمدي. ويضم هذا الحي معظم المدارس والكنائس التي بناها الشوام في القاهرة وأبرزها: الكنيسة والمدرسة المارونية، كنيسة ومدرسة السريان الكاثوليك، كنيسة الأقباط الكاثوليك ومركز بطريركيتهم، كنيسة ومدرسة الفرير، كنيسة ومدرسة الآباء اليسوعيين، كنيسة الإنجيليين، كنيسة ومدرسة الأرمن الأرثوذكس، كنيسة ومدرسة الأقباط الأرثوذكس، دير الفرنسيسكان المصريين، كنيسة ومدرسة الروم الكاثوليك ومركز بطريركيتها سابقًا، كنيسة السريان

الأرثوذكس، كنيسة الكلدان الكاثوليك التي انتقلت لاحقا إلى مصر الجديدة، كنيسة مطرانية سيناء المستقلة... جميع هذه الكنائس والمدارس، يقول المطران مرعي، تنتشر في دائرة لا يتجاوز اتساعها كيلومترين فقط من الأمتار المربعة ولا يمكن تفسير ذلك دون الإشارة إلى نوع من الانغلاق السكني والطوائفي لمهاجري الشوام في مصر. استمر سكنهم في هذا الحي حتى مطالع النصف الثاني من القرن العشرين ثم بدأوا بالتوزع إلى مصر الجديدة، والزمالك، وجاردن سيتي لمن امتلك ثروة كبيرة منهم.

ويرتبط ذلك الانغلاق وثيقًا بسكن المسيحيين في معظم المدن الإسلامية طيلة قرون عديدة في دمشق وحلب وحمص وطرابلس وبيروت وغيرها. فقد تجمع المسيحيون في أحياء خاصة بهم (باب توما، حارة النصارى، حارة الروم...) وذلك بهدف الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم من جهة، ومراقبة السلطة لاتصالاتهم مع الأجانب من جهة أخرى ومع انتقالهم من مناطق الشام إلى مصر حافظ كثير من الشوام على عاداتهم في السكن والتزاوج والعادات والأعياد وأقاموا لأنفسهم نوادي وجمعيات خاصة بهم كانت تضم جميع المسيحيين في البداية ثم بدأت تقتصر على أبناء كل طائفة بعد تكاثر أعدادها. وكان للطائفة المارونية وحدها عدد وافر من الجمعيات أبرزها «الجمعية الخيرية المارونية» التي تأسست بالإسكندرية عام ١٨٧٨، و«جمعية المساعي الخيرية المارونية» التي تأسست بالقاهرة عام ١٨٧٩، و«الجمعية الخيرية المارونية بالمنصورة»، و«جمعية مدرسة مار يوسف الخيرية لتعليم فقراء الطائفة المارونية» التي أسسها المطران مرعي عام ١٩٧٢، في القاهرة. وهي تقدم التعليم المجاني لأبناء الطائفة الفقراء.

للرئيس تقي الدين الصلح آراء هامة حول طائفية الشوام على الرغم من أن المصري لم يميز بين مسلمي الشوام والمسيحيين فيهم. وتعبير «الشوام» في ذهن المواطن المصري يشير إلى المسيحيين في الغالب.

ينطلق الرئيس الصلح في تحليل طائفية الشوام من الأهداف التي يسعى إليها المهاجر حين يغادر بلاده ومدى تبدل هذه الأهداف بعد سنوات طويلة من الاستقرار ثم تبدلها الجذري من الجيل الثاني ثم الثالث من المهاجرين. فلا يجوز التعميم حول الهجرة دون الأخذ بعين الاعتبار المرحلة التاريخية نفسها. يقال مثلًا إن الهجرة كانت

دومًا ذات طابع مسيحي. هذا القول صحيح إلى حد كبير في الهجرات الأولى، سواء إلى مصر أو إلى أمريكا أو إلى إفريقيا أو إلى أستراليا وباقي البلدان. لكن دراسة متعمقة للهجرة، على ضوء تطورها التاريخي، تثبت، على سبيل المثال لا الحصر، أن معظم بلدان إفريقا عرفت جاليات لبنانية كانت أكثرها في البداية من الطوائف المسيحية ثم تحولت إلى شيعية. كانت تلك البلدان مستعمرة ثم بدأ مرحلة الاستقلال منذ الحرب العالمية الثانية إلى الآن. وقد اكتشف الأفارقة أن اللبنانيين، كباقي المهاجرين، جمعوا ثروات طائلة بفضل التجارة والسمسرة والوساطة.وأن تلك الأعمال يسهل على الأفارقة القيام بها. فبدأ التضييق على اللبنانيين، ساعدهم في ذلك أن معظم المهاجرين وقفوا دومًا إلى جانب سلطات الاستعمار الخارجي ودعموا القوى التي خلفها وراءه بعد الاستقلال. فالأهداف التي يضعها المهاجر أمام عينيه، أي الغنى السريع والعودة المبكرة تجعله أداة طيعة للحاكم وعونًا له ينفذ رغباته ويتزلف له ضمانًا لمصالحه وثروته.

تلك هي السمات الأساسية للمهاجرين في أية رقعة من الأرض: حرص على جمع الثروة، ودعم للسلطة الحاكمة مهما كان شكلها شرط استمرارها في إباحة ثروات البلاد أمام المهاجرين وعدم التضييق عليهم. ولا يختلف دور الشوام في مصر عن ذلك: ثروات ضخمة، وعون للسلطة الإنجليزية على الشعب المصري، أما القلة منهم التي اتخذت مواقف وطنية فكانت في الغالب من رجال الفكر والأدب الذين لم يحالفهم الحظ في جمع ثروات هامة. وكان أغنياء الشوام والميسورون منهم يسكنون الأحياء البورجوازية في القاهرة والإسكندرية ويسكن الفقراء منهم مع إخوانهم فقراء مصر في الفجالة والظاهر وشبرا وغيرها. المسألة، في جوهرها، اجتماعية وليست طائفية. أما الانقسام الحقيقي فمسألة اجتماعية يتبعها موقف سياسي. ومن الشوام من ساعد الحركة الوطنية المصرية وكان المصريون يحترمونهم كثيرًا، ومنهم من وقف ضدها إلى جانب الإنجليز كجماعة «المقطم» التي هاجمها المصريون بعنف. فالمواقف السياسية تستثير رد فعل سياسي لا طائفي في مصر. وتلك ميزة هامة من ميزات المجتمع المصري المستقر[٩].

فالمجتمع المصري يتميز بكثير من الثبات ولا تجوز مقارنته بالمجتمع اللبناني المفكك. وعلى سبيل المثال يروي الرئيس الصلح نموذج جوزف عكر، ماروني من

دير القمر، الذي عين ملحقًا في المفوضية اللبنانية في مصر. فعندما قدم جوزف إلى مصر كان شديد التعصب لمارونيته، وما إن احتك بالمصريين وتعاطى التجارة في مصر وجمع ثروة كبيرة فبات من كبار أغنياء مصر حتى تبدل تفكيره جذريًا وباتت مصر أحب بلدان الدنيا لديه ويدافع عن سمعتها في جميع المحافل. نموذج آخر هو يوسف قمر، ماروني من جزين، الذي عين في المفوضية بمصر وكان ينظر إلى الشعب المصري، يوم قدومه إلى القاهرة، نظرة ازدراء ويعتبره متخلفًا. وبعد أشهر قليلة من عمله تبدلت نظرته جذريًا وأحب مصر وطلب مرارًا تجديد إقامته فيها.

إن المجتمع المستقر قادر على استيعاب القوى المتزمتة طائفيًا أو عرقيًا. فكان الشوام مصدر ترحيب وتكريم لدى غالبية الشعب المصري الذي أفرد لهم مكانة خاصة بين الجاليات الأجنبية بسبب انتمائهم العروبي لأن المصري لا يميز في العروبة بين المسلمين والمسيحيين. كما أن الحركة الوطنية المصرية أظهرت إعجابها الشديد بنشاط اللبنانيين ودورهم الرائد في جميع المجالات. وهذا ما يؤكده قول حافظ إبراهيم فيهم:

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا ... إلى المجرة ركبًا صاعدًا ركبوا

وساهمت الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥-١٩٢٧)، في زيادة العطف على الشوام بعد الحقد الكبير عليهم إثر وقوفهم إلى جانب ثورة الشريف حسين المدعومة من الإنجليز. ثم تمتنت الروابط بين مصر ولبنان مع زيادة عدد المصطافين في الربوع اللبنانية ومنهم كبار الساسة والأدباء والصحافيين والتجار والصناعيين في مصر. وشارك الشعب المصري، إلى جانب الشعوب العربية الأخرى، في معركة استقلال لبنان وذلك من مختلف المستويات الرسمية والشعبية. وكان للنحاس باشا، رئيس وزراء مصر، دور أساسي في الصيغة العددية التي أقيمت في لبنان عام ١٩٤٣، وقادت إلى انتصار الكتلة الدستورية في الانتخابات وتسلمت مقاليد السلطة اللبنانية(١٠).

دور المدارس واللغات في ترقي الشوام في مصر

لعبت اللغات الأجنبية دورًا أساسيًا في تمايز الشوام داخل المجتمع المصري. فمدارس الإرساليات، كالفرير، واليسوعيين، والدومينيكان، والفرنسيسكان،

والمدارس الإيطالية، والإنجليزية، واليونانية وغيرها كانت مدخلًا واسعًا للمؤسسات الخاصة ودوائر الحكومة، وقد أقبل الشوام عليها بكثرة في حين بقي عدد المصريين فيها محدودًا للغاية ومقتصرًا على أبناء الفئات الغنية والميسورة في البداية. أضف إلى ذلك أن المصري العادي كان يعتبر العمل خارج دوائر الدولة عيبًا لأنه يناقض الاتجاه الوطني للشعب المصري ويرتبط بالأجانب، ولم تكن دوائر الدولة تتطلب ثقافة عالية وهناك مثل شعبي يقول «اللي فاتته الحكومة يتمرمغ في وحول الحكومة» إشارة إلى النظرة المعادية للتوظف في القطاع الخاص. لذلك كانت أعداد الشوام قليلة في دوائر الدولة المصرية بسبب المعاش المحدود، وساهمت ثقافة البعض منهم في حصولهم على مراكز ممتازة في الدولة. أما الشركات الخاصة فكانت تعج بالشوام والأجانب خاصة شركة قناة السويس، والبنك العقاري، والبنك العثماني، والكريدي ليونيه، والبنك البلجيكي، وبنك الكونتوار، وشركة السكر، وشركة مصر الجديدة، وشركة الترام، وشركة المياه، وشركة الغاز وغيرها الكثير. كان رؤساء هذه الشركات وأصحاب المناصب العليا فيها من الأوربيين، إنجليز وفرنسيين بالدرجة الأولى، أما معظم موظفيها فكانوا من الشوام واليهود بسبب حاجة هذه الشركات إلى موظفين على علاقة بجماهير الشعب المصري ويتقنون العربية إلى جانب لغة أوربية.وأعدت المدارس الخاصة، وتحديدًا الفرير واليسوعيين، هؤلاء الموظفين خير إعداد فربتهم على الطاعة التامة، واحترام القانون، والنظرة الدونية إلى الأجنبي واعتباره النموذج الحضاري الذي يجب التمثل به. وتبرز الدونية في الكثير من السمات الاجتماعية فبالإضافة إلى التشبه بهم عبر الملبس والمأكل والشراب والكلام بلغة الأجنبي استخدموا الأسماء نفسها. فطغت موجة التسمية عبر الأسماء الإفرنجية التي أعطيت لأبناء الشوام مثل: لويس، وروبير، وألفونس، ومرسال وغيرها وذلك بهدف التمايز الداخلي من جهة، واكتساب وظائف لدى الشركات والمؤسسات الأجنبية من جهة أخرى.

ويؤكد الدكتور صابات[١١] أن غالبية أبناء الشوام، من أبناء الجيل الأول للهجرة وإلى حد كبير من الجيل الثاني منها، كانوا يكتفون بالشهادات الابتدائية أو الثانوية على الأكثر، لأن هاجس العمل في التجارة والشركات الأجنبية والبنوك كان كبيرًا حتى إن نسبة أصحاب الشهادات العليا من أبناء الميسورين والأغنياء أنفسهم بقيت ضعيفة

حتى مطالع القرن العشرين. أبناء الجيل الثالث كانوا أول جيل للمهاجرين الشوام يكمل دراسات عالية وتخصصا محددًا في مجال المهن الحرة لأن المرحلة التي وصلها المجتمع المصري باتت تتطلب ذلك التخصص. ولعبت المدارس الخاصة والإرساليات والمدارس الليلية دورًا أساسيًا في هذا الترقي. ويشير الدكتور صابات إلى مدرسة الحقوق الفرنسية في «المنيرة بالقاهرة»، وهي مدرسة ليلية تعلم فيها عدد كبير من المجتهدين من أبناء الشوام وبدأت نسبة المصريين فيها تتزايد سنويًا، أي أن هاجس الثقافة إلى جانب العمل ولتحسين ظروف العمل ومردوده الشخصي والعام، كان وراء فتح تلك المدارس وإقبال الطلاب عليها. لقد اعتاد المهاجرون الأوائل الانخراط المبكر في العمل ولدى أول فرصة تتاح لهم أو لأبنائهم فكان والد خليل صابات يصر على إدخاله في أحد مصانع النسيج. لكن والدته قاومت ذلك المنحى وشجعته على متابعة الدراسة العليا على الرغم من معارضة الوالد، ولا يرجع إدخال الولد في مجال العمل والإنتاج بالضرورة إلى حاجة مادية لدى الأهل بل إلى رغبة الوالد في إدخال ابنه معترك الحياة باكرًا «لأن الحياة هي المدرسة الكبرى». ولم يكن هناك إيمان بالتخصص العلمي أو بالوظيفة التي كان معاشها محدودًا جدًا ولا يرغب الأهل في توجيه أبنائهم إليها بل إلى التجارة أو الصناعة أو الوظائف الخاصة. وقد انعكست تلك النظرة بشكل أكثر حدة على البنات لأن غالبية الشوام، حتى الأغنياء منهم، لم يعلموا بناتهم تعليمًا عاليًا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. فكانت البنت تخرج من المدرسة باكرًا لتنخرط في العمل أو لتتزوج، ثم تبدلت النظرة لاحقا حيث حصلت البنت على شهادات عالية وأعطيت فرصة زمنية لاختيار العريس دونما إكراه على الزواج المبكر. ومع ذلك كان الشوام أكثر انفتاحًا من المصريين في مجال تعليم الفتاة في المؤسسات الخاصة التابعة لهم أو في الإرساليات الأجنبية أو في مدارس الحكومة المصرية.

وكانت بنات الشوام ونساؤهم سبّاقات في مجال العلم والعمل. وحين تجتمع النساء الثريات الشوام مع البورجوازيات المصريات يتكلمن لغة أجنبية فيما بينهن، هي الفرنسية في الغالب وذلك للدلالة على تمايزهن. ويمكن القول إن نساء أغنياء الشوام اعتبرن أنفسهن، في المجال الثقافي، جزءًا من الجاليات الأوربية وأكثر التصاقًا بها من نساء مصر.

كانت بعض المدارس الخيرية المجانية والتابعة للجمعيات الخيرية تهتم بشئون أبناء طوائفها بالدرجة الأولى إلا أن مستواها الثقافي كان دون مستوى المدارس الخاصة المدفوعة الأجر فلم يقبل عليها إلا أبناء الفقراء المعوزين والأيتام واللقطاء فبقي تأثيرها محدودًا. أما المدارس الحكومية والمدارس الخاصة المدفوعة الأجر فكانت تخضع لرقابة صارمة من الدولة وكانت مفتوحة للجميع مما جعل المدرسة المصرية، الخاصة والرسمية، أداة انصهار حقيقي لأبناء المجتمع المصري.

كان التعليم في بعض المدارس الخاصة في مصر مجانيًا لكن غالبيتها الساحقة كانت مدفوعة الأجر، سواء كانت للإرساليات أم لأفراد في حين كانت المدرسة الرسمية المصرية ما زالت ضعيفة النفوذ والمستوى. وكثر عدد مدارس اليسوعيين، والفرير، والدومينيكان، والعائلة المقدسة، والقلبين الأقدسين، وغيرها من مدارس الفرنسيين والإيطاليين واليونانيين والإنجليز وغيرهم. نتج عن ذلك أن المدرسة الخاصة كانت شديدة السيطرة على المجتمع المصري، خاصة المدارس الأجنبية وجميعها مدفوعة الأجر وبأقساط عالية جدًا قياسًا إلى أجور تلك المرحلة حيث كانت أجرة العامل زهيدة وإيجار الشقة المسكونة من أربع غرف لا يتجاوز ثلاثة جنيهات في الشهر، وكان الأساتذة من مختلف الجنسيات وبأفضلية مطلقة للأجانب من الأوربيين. وكان للأساتذة الشوام حضور محدود لكنه مميز بسبب امتلاكهم لأكثر من لغة أجنبية إلى جانب اللغة العربية. لم تكن المدارس في البداية مختلطة إلا في مرحلة الروضة وكان الإقبال شديدًا على المدارس الأجنبية والخاصة المحلية لأن مدارس الحكومة كانت ضعيفة المستوى ولا تعلم لغات أجنبية. كان المجتمع المصري يشهد تبدلا كبيرًا في مختلف جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والإدارية، وكان للغة موقع هام في عملية الترقي الاجتماعي فكان هاجس الشوام في مصر إتقان أبنائهم لأكثر من لغة أجنبية، حتى إن الجيل الأول من مهاجريهم كان يرسل أبناءه، حتى مطالع القرن العشرين، إلى مدارس جبل لبنان وجامعات بيروت كي يكتسب ثقافة معاصرة ولغة أجنبية وشهادة تمكنه من الدخول إلى وظائف عليا في المؤسسات العامة والخاصة.

لقد ساهمت مدارس بيروت في التحضير والوصول لتلك النتيجة فمعظم الأساتذة وأصحاب المهن الحرة من الشوام، في الجيلين الأول والثاني للمهاجرين،

تلقوا دروسهم العليا في مدارس وجامعات بيروت. وبنسبة أقل في أوربا وأميركا حيث بدأ كبار الأغنياء الشوام يرسلون أبناءهم للتعلم هناك. ومع انفتاح مصر على الثقافة الغربية بشكل واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين بدأت المدارس والجامعات والمعاهد في مصر ترفد المؤسسات الخاصة والعامة والمصرية بأعداد متزايدة من الخريجين الذين يتقنون أكثر من لغة أجنبية كان التعليم العالي في البداية حكرًا على الشبان ويكتفى في تعليم البنات بالمرحلة الابتدائية ونسبة أقل في المرحلة الثانوية ثم تنتقل إلى العمل المنزلي بعد الزواج. ومع مطالع القرن العشرين تزايدت نسبة تعليم الفتيات وبدأت تظهر نسبة ضئيلة منهن على مقاعد الجامعات، خاصة في مجال العلوم الإنسانية. «كان للمهاجرين الشوام الدور الأساسي في تحطيم القيود التي وضعت حول المرأة داخل المجتمع المصري. فأرسلوا بناتهم إلى المدارس الثانوية والجامعات، داخل مصر وخارجها، وتزايدت نسبة العاملات منهن في حقول مختلفة، خاصة في مجال التدريس»(١٢).

كانت مدارس الشوام، أو التي يديرها الشوام، وما زالت مفتوحة أمام أبناء جميع الطوائف والجنسيات التي تقطن مصر وفي بعض الأحيان كانت المدارس التي تحمل اسمًا طائفيًا واضحًا (مار يوسف، مار منصور، مدارس الإخوة المسيحيين...) تضم بين جدرانها طلابًا غالبيتهم الساحقة من المصريين المسلمين. وقد تنبهت الحكومة المصرية، منذ القدم، إلى الدور السلبي الذي ينتج عن الانغلاق الطوائفي في المدرسة أو العمل لذلك حظّرت، وتحت طائلة المسئولية الجزائية وإغلاق المؤسسة، من رفض أي طالب يرغب الدخول إليها، مهما كانت جنسيته أو طائفته.

لكن ما يميز الشوام عن سواهم، من أجانب ومصريين، أنهم حثوا أبناءهم على تعلم اللغات الأجنبية مع الحرص الشديد على إتقان اللغة العربية أيضًا، ويذكر الأب إلياس أبي خير(١٣) أنه شاهد بنفسه عددًا كبيرًا من أغنياء السوريين واللبنانيين يستقدمون مشايخ أزهريين أو أساتذة للغة العربية، من مصريين أو شوام، لتعليم أبنائهم اللغة العربية وإتقانها بنفس المرتبة التي أتقنوا بها اللغات الأجنبية. وكان لتلك الميزة الهامة الأثر الكبير في ترقي أولاد الشوام أكثر من سواهم وتفوقهم على أبناء المصريين والأجانب على السواء.

لقد عمل كثير من اللبنانيين والسوريين في وظائف صغيرة ومتوسطة. وكانت

تحدوهم الرغبة، وهم يعملون في تلك الوظائف، في الترقي إلى وظائف عليا. وهناك أمثلة عديدة على الترقي الوظيفي الناتج عن إتقان الموظف للغات الأجنبية أو لنيله شهادة عليا، كان معظم الموظفين من الشوام لا يستكينون لوضعهم الوظيفي كما يفعل معظم المصريين فسعوا دومًا إلى رتبة أعلى وذلك عبر تثقيف أنفسهم وتأهيلهم الذاتي. وتلك ميزة أخرى لموظفي الشوام في كافة المجالات. حتى إن بعض المحررين الصغار في «الأهرام» مثلًا، ارتقى إلى رتبة مدير «الأهرام» بسبب نشاطه الذاتي كالأستاذ نجيب كنعان.وهناك نماذج كثيرة لا مجال لذكرها.

ويذكر الدكتور قنواتي(١٤) أن الضغط الثقافي الفرنسي كان كبيرًا جدًا على مجتمع الإسكندرية، وعلى الرغم من وجود مدارس باللغات الأخرى كالإيطالية والإنجليزية واليونانية والنمساوية وسواها، فإن الفرنسيين كانوا يشددون قبضتهم على مدارس الإسكندرية وإلى حد بعيد على الحياة الثقافية فيها. حتى إن أبرز الكنائس كانت فرنسية وتقام القداديس باللغة الفرنسية مع بعض التعابير اللاتينية، فالأرستقراطية والبورجوازية في الإسكندرية كانتا، في تقاليدهما وعاداتهما، أقرب إلى تقاليد مثيلتيهما في فرنسا في مطالع العصر الحديث. كانت الفرق الفنية الفرنسية لا تغادر مسارح الإسكندرية طوال أيام السنة، ومنها فرق على أعلى المستويات الثقافية أبرزها فرقة الكوميدي فرانسيز (La Comédie Française) المشهورة في العالم كله، والفرقة الموسيقية الأولى في فرنسا المعروفة باسم (Le Concert Français) وكانت فرق يونانية وإيطالية وألمانية ونمساوية وإنجليزية تلعب دومًا على مسارح الإسكندرية.

كانت اللغة العربية تدرس بشكل سيئ للغاية في المدارس الفرنسية بالدرجة الأولى وفي سواها من مدارس الجاليات الأجنبية في الإسكندرية، وذلك طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين. ويكفي أن نذكر نموذجًا بالغ الدلالة بأن الأشعار العربية كانت تكتب بحروف فرنسية ويحفظها الطلبة على هذا الأساس. ذلك يذكر ببعض الدراسات اللغوية العربية، كالقواعد. والصرف والنحو وسواها، التي تكتب بلغات أجنبية وينال أصحابها شهادات عليا كالدكتوراه وسواها. فإذا كان ذلك العمل مبررًا للطلاب الأجانب الذين يتعلمون لغة غير لغتهم الأم فينقلون تعابيرها ومفرداتها إلى حروف لغتهم، فالأب قنواتي يرفض ذلك الأسلوب الذي يحمل الكثير من الإضعاف للغة الأم. لكن تدريس العربية كان

أفضل في القاهرة خلال هذه الفترة بسبب وجود الأزهر الشريف من جهة، ونظرًا لاختلاف التركيبة الاجتماعية للقاهرة عن الإسكندرية آنذاك، وعلى الرغم من ذلك فإن الاهتمام الجدي باللغة العربية في المدارس الخاصة لم يبدأ بالتغيير جذريًا إلا بعد الحرب العالمية الثانية، في مختلف المدن المصرية، وذلك بسبب كثرة المدارس الخاصة والإرسالية، فعلى سبيل المثال كانت أبرز مدارس الإسكندرية خلال الربع الأول من القرن العشرين هي التالية:

Les Écoles de Frères Chrètiens, Les Écoles de Pères Jésuites, surtout leurs écoles professionnelles, Sacré- Coeur, Dame de Sion, Mère de Dieu, Soeurs de Charité, Saint- Joseph de l'Apparition, Notre-Dame des Apôtres, Lycée Français, Victoria college, Saint Marc, etc.

وتجدر الإشارة إلى دراسة هامة، يقول الأب قنواتي إنها قد لا تزال مخطوطة قام بها ابن الثري الشامي الشهير زنانيري باشا وتحمل العنوان التالي: (*L'Alexandrie Moderne*) يثبت فيها الأب الدومينيكاني غاستون زنانيري الكثير من نقاط التشابه بين مجتمع الإسكندرية ومجتمع جبل لبنان، وذلك في مجال مدارس الإرساليات الأجنبية ودورها الاجتماعي والثقافي.

كانت سيطرة الأجانب كبيرة في مختلف جوانب المجتمع المصري حتى ثورة ١٩٥٢. وكانت العلاقة جدلية بين السيطرة الاقتصادية والسيطرة الاجتماعية أو السياسية أو الإدارية أو العسكرية وسواها. وارتبط دور المدارس، منذ البداية، بتلك الأهداف مجتمعة. فهي التي تحضر النخبة الثقافية والإدارية والعسكرية الممتازة لأجهزة الدولة والصحافة والمهن الحرة وغيرها. وكانت مدارس الإسكندرية آنذاك تتفاخر فيما بينها بما قدمته من قيادات سياسية وفنية وثقافية وصحافية وإدارية للمجتمع المصري، وكانت تحصي تلاميذها بدقة بالغة، وتضع على لوحة إعلاناتها، الداخلية والموسمية والسنوية، صور خريجيها والمراكز المرموقة التي وصلوا إليها، سواء داخل مصر أو خارجها. لذا فإجراء دراسة علمية في هذا المجال تعطي صورة بالغة الدقة حول دور المدرسة الإرسالية والخاصة في مجتمع الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية إبان هذه المرحلة، حيث تبرز سيطرة الأجانب من خلال أسماء هؤلاء الخريجين ومراكزهم وذلك على حساب تقلص دور المثقفين وأصحاب

الكفاءة من المصريين وكان من الطبيعي أن تثار هذه المسألة على أكثر من صعيد وعلى صفحات الجرائد والمجلات، وبدأت الحملة برفض سيطرة الأجانب على حساب الوطنيين.

لقد مرت فترات في أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين كان فيها للأجانب الكلمة الفصل في الكثير من المشكلات التي تهم المصريين دون سواهم. حتى إن كثيرًا من القادة المصريين، من ملوك ووزراء وموظفين ومالكين وتجار كبار، كانوا يحيطون أنفسهم بشبكة من المستشارين الأجانب. وكان المستشار بالضرورة مندرجًا، عن وعي أو بدون وعي، في هذه الشبكة التي ضمت أجانب وشوامًا على حد سواء، ولعبت دورًا بارزًا في سياسة مصر والتلاعب بمقدرات شعبها. ومنذ فترة ما بين الحربين العالميتين أدرك المصريون أنهم قادرون على الحلول مكان الشوام في جميع المجالات وأن الشوام يسرقون من أغنياء المصريين ومثقفيهم الدور الموكول إليهم لإنماء بلدهم ويدعمون السلطات البريطانية ضد مصالح الشعب المصري. فظهرت شعارات سياسته تطالب بتطبيق شعار «مصر للمصريين» والهدف منها ترحيل الأجانب، وعلى رأسهم الإنجليز ومن تعاون معهم من الشوام. وقد شكك غلاة المصريين «بالمتمصرين» من الشوام فكانت البداية الحقيقية لهجرة أعداد منهم إلى الخارج.

نفوذ الشوام في مصر حتى أواسط القرن العشرين

نقدم هنا نموذجين من الإسكندرية والمنصورة.

١ ـ موقع الشوام في مجتمع الإسكندرية المعاصر

كانت الإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين «قطعة من أوربا» كما يحلو للصحافيين الأجانب تسميتها فقد شهدت جاليات أوربية كبيرة من فرنسية وإيطالية وإنجليزية ويونانية وسواها وكانت الجالية السورية، أو الشوام، غنية وذات نفوذ واسع فيها يضاهي نفوذ الأجانب وحتى تاريخ إصدار «البصير» لم تعرف الإسكندرية جرائد عربية منتظمة بل كانت جرائدها العربية تتعرض للإفلاس أو للإغلاق بسرعة، في حين كانت الجرائد الأجنبية أكثر ثباتًا واستمرارية وأبرزها

(La Réforme) (الإصــلاح) التـي أصـدرهــا الفرنســي (Canivet) وصحيفــة (Le phare d'Alexandrie) (منارة الإسكندرية) التي أصدرها اليوناني هيكاليس الذي كان على علاقة وطيدة بالخديو والأسرة الحاكمة لذلك اعتبر صدور «البصير» واستمرارها طيلة هذه المرحلة في الإسكندرية مؤشرًا على قدرة الشوام وحدهم على منافسة الصحف والصحافيين الأجانب.

يعتبر شارل الشميّل[١٥] تجار الشوام الأكثر غنى بين تجار الإسكندرية في فروع عديدة، وقد شقوا طريقهم بشرف في العمل التجاري لأنهم مزجوا بين ضرورة اقتباس التكنولوجيا الحديثة وملاءمتها مع تقاليد الشرقيين في العمل والاستثمار، فأصابوا نجاحا باهرًا لم يستطع الأجانب أو المصريون الحصول عليه. أسسوا «النادي السوري»، وهو ناد راق كان خاصًا بالشوام دون سواهم، وكان أول رئيس له الوجيه السوري المشهور خليل خياط الذي أطلق اسمه على أحد شوارع الإسكندرية، وخلفه في الرئاسة إدوار كرم الذي أطلق عليه لقب «ملك الخشب في مصر» كان النادي حكرًا على السوريين واللبنانيين أو الشوام في حين كان المصريون يعتبرونه خاصًا بالأجانب لأن تقاليد البورجوازية الشامية في الإسكندرية أقرب ما تكون إلى تقاليد أغنياء الأجانب وليس إلى تقاليد فقراء سوريا ولبنان. كان الباب مفتوحًا لدخـول أغنيـاء الشوام وحتى الميسـورين منهم إلى النادي في حين وضعت «كوتا» أو نسبة ضئيلة للمصريين ولبعض الأجانب من يونان وقبارصة وأتراك وغيرهم[١٦].

كانت الهيئة الإدارية للنادي السوري حكرًا على السوريين واللبنانيين ولم يدخلها أجانب إلا نادرًا وكانت الصفة الغالبة على عمل الشوام في الإسكندرية هي التجارة، خاصة تجارة القطن، والعمل في البورصة والسمسرة والمقاولات وامتلك أغنياء الشوام أراضي واسعة جدًا، حتى إن آل سرسق كانوا يمتلكون هناك آلاف الأفدنة وتركوا لأولادهم وأحفادهم قصورًا كبيرة حاول أغنياء الإسكندرية، وعلى رأسهم أغنياء الشوام والأجانب الأوربيين، جعل الإسكندرية «باريس الصغرى» فكانوا يستدعون الفرق الفنية، وفرق الأوبرا (Opera) العالمية من الخارج لإحياء حفلات خاصة لهم وكان مسرح زيزينيا (Zizinia) الذي بناه أحد أثرياء اليونان من أهم مسارح الشرق الأوسط وأقام يوناني آخر هو أنطونيادس حدائق جميلة في الإسكندرية ما زالت تحمل اسمه حتى اليوم وتقام فيها حفلات ضخمة جدًا.

لقد ولّد الغنى الذي أصابه مهاجرو الشوام في الإسكندرية لديهم هاجس تخليد أسمائهم عبر القصور الفخمة، والممتلكات الواسعة، والأعمال العمرانية الكبيرة، في مجال الصناعة اشتهرت أسرة كوتارللي بإنتاج التبغ، وأسرة ما توسيان (Matossian) الأرمنية الشامية التي ازدهرت على يدها صناعة أفضل أنواع السجائر في مصر والشرق الأوسط طيلة سنوات عديدة في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ونظرًا لكثرة المهاجرين وغناهم في الإسكندرية كان المجلس البلدي فيها أشبه ما يكون بـ «عصبة الأمم» قبل ولادتها بسنوات، فقد ضم المجلس مندوبين عن كبار الأغنياء من الصناعيين، والحرفيين، والتجار، والملاّكين، والسياسيين، والموظفين وسواهم، وقد توزع هؤلاء على الجاليات الأجنبية القاطنة في الإسكندرية وعلى رأسهم الشوام.

كانت هناك سمتان تميزان مجتمع الإسكندرية: الأولى محاكمها المختلطة التي كانت من أرقى محاكم العالم. والثانية مجلسها البلدي الذي ضم نخبة من كبار أغنياء المدينة. كان الأجانب يختلطون بالمصريين عبر هذين المجلسين، وكان التعاون بينهم مفيدًا لصالح تطور المدينة، وهو تطور عاصف لم تشهده مدينة أخرى في الشرق الأوسط من حيث الترتيب والتخطيط والنظافة والحركة الثقافية والفنية.

وبرع الشوام أيضًا خارج التجارة والصناعة والأعمال المالية فقد أسسوا حركة ثقافية ناشطة في الإسكندرية والقاهرة ومنهما إلى سوريا ولبنان وفلسطين، فعلى سبيل المثال جورج أنطونيوس، المؤرخ المشهور، كان من مواليد الإسكندرية وتربى فيها ثم انتقل إلى فلسطين حيث بقي فترة طويلة، وعاش في لندن لبعض الوقت. كذلك الشاعر اللبناني المشهور باللغة الفرنسية هكتور خلاط (Hector Khlat)، والأستاذ الجامعي الذي أصدر عدة أبحاث فلسفية هامة يوسف كرم، والشاعر باللغة الفرنسية رينيه طاسو (Rene Tassou)، والفنان الكبير نجيب الريحاني، والشاعر اللبناني المشهور شارل قرم (Charles Corm)، والصحافي الكبير الأستاذ جورج نقاش مؤسس جريدة «الأوريان» (L'Orient) وغيرهم[١٧].

يمكن تقسيم هجرة الشوام إلى الإسكندرية إلى فترات زمنية حيث تزدهر لفترة

ثم تتقلص فترة أخرى وتعود فتزدهر مرة أخرى وهكذا دواليك، فعلى سبيل المثال هجر كثير من الشوام الإسكندرية إثر ثورة أحمد عرابي وموقف جريدة «الأهرام» المناهض لها والممالئ للإنجليز فأحرقت بيوت بعضهم، فأحرق منزل جد شارل الشميل لجهة والدته إسكندر قطة. فغادر الشوام الإسكندرية على متن سفينة إيطالية إلى أوربا. وما إن هدأت الأوضاع حتى عاد معظم المهاجرين الشوام إلى الإسكندرية ونالوا تعويضات عن ممتلكاتهم المحروقة لأن الحريق طال معظم بيوت الأجانب وليس الشوام فحسب. حتى تاريخ قيام ثورة عرابي لم تكن هناك هجرة واسعة من الشوام إلى الإسكندرية ولم تكن الجالية كبيرة فيها. لكن الاحتلال البريطاني دفع بالهجرة إلى مداها الأقصى، من شوام وأوربيين، قدموا إليها بأعداد كبيرة حتى الحرب العالمية الأولى. ومع تبلور الكيانات السياسية في سوريا ولبنان وفلسطين رحلت عائلات من شوام الإسكندرية إلى مواطن آبائهم وأجدادهم، واستمرت غالبية العائلات في مصر وتمصر عدد كبير منهم أو نالوا الجنسيتين. وبعد التأميم هاجرت مجددًا أعداد كبيرة من السوريين واللبنانيين المتمصرين إلى الخارج، خاصة كندا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا. ومع سياسة الانفتاح بدأ بعض اللبنانيين مجددًا بالعودة إلى الإسكندرية وهم يطالبون الآن بالإفراج عن ممتلكاتهم المؤممة، لكنها عودة محدودة لا تقاس بالهجرات السابقة.

ويؤكد الدكتور قنواتي[١٨] أن الجالية السورية-اللبنانية كانت تعيش في الإسكندرية بمعزل عن هموم ومشكلات المجتمع المصري، حتى إن الفقراء منهم كانوا يحاولون التمايز عن فقراء المصريين متوسطي الحال بينهم. ولا تجوز المبالغة في هذا المجال لجهة اعتبار الجالية كما لو كانت «جيتو»، لكن المحصلة العملية لمجموع العلاقات بين الشوام أنفسهم وبينهم وبين المجتمع المصري تشير إلى تلك النتيجة، فلم يتزاوجوا إلا من بعضهم، وأحيانًا كثيرة داخل طوائفهم وعائلاتهم. ولم ينخطروا في مجتمع الإسكندرية ولم يتزوجوا حتى من الأقباط المسيحيين فكيف يتزوجون من المصريين المسلمين؟ وينفي الأب قنواتي الفكرة القائلة بأن الأقباط كانوا يرفضون التزاوج معهم مؤكدًا أن ذلك الموقف، في حال حصوله، كان نادرًا ويأتي كردة فعل على مواقف الشوام أنفسهم وازدادت ردود فعل المصريين تجاه الشوام مع تزايد وعي المصريين الثقافي وإدراكهم لخطورة الدور الذي يقوم به الشوام في مصر ضد

مصالح أبنائها ولمصلحة الأجانب، وهو موقع يقطع الطريق على المثقفين المصريين الذين كانوا يطمحون للترقي الاجتماعي من خلال اللغات الأوربية والوساطة مع مراكز الرساميل، فالاختلاط الإسلامي - المسيحي في الإسكندرية خلال هذه الفترة كان ضعيفًا جدًا في مجال التزاوج والزيارات العائلية والأعياد وغيرها. وبدأ الزواج المختلط بنسب محدودة بعد الربع الأول من القرن العشرين. ولا يذكر الأب قنواتي، خلال سنوات وعيه الأولى، أن زيارات قد تمت بين عائلتهم والعائلات الإسلامية الأخرى على الرغم من التلاقي اليومي بين الجميع في مجالات العمل والإنتاج والسوق والمدارس وغيرها، فالغيتو الحقيقي، برأيه، هو ما تفرضه العائلة على نفسها أو ما يفرض عليها اجتماعيًا بحيث تعيش عزلة حقيقية عن المحيط الذي تقطن فيه وتتبادل مع سكانه التحية اليومية وتعابير الود ظاهريًا فقط. تلك كانت الحقيقة «جيتو» الشوام في الإسكندرية.

لقد برزت عائلات الشوام الغنية في الإسكندرية أكثر من باقي المدن المصرية منها: آل سرسق وكانت لهم مكتبة ممتازة ومزودة بآلاف الكتب القيمة، وآل كرم، وآل فيعاني، وآل صيدناوي، وآل كحلا، وآل تاجر وآل مظلوم، وآل خياط، وآل سركيس، وآل زنانيري، وآل بركات، وآل الشميّل، وآل معتوق، وآل مفرّج، وآل شيبوب، وآل زغبي، وغيرهم الكثير.

وكان معظم أغنياء الشوام في الإسكندرية من الروم الأرثوذكس أو الروم الكاثوليك، أما الموارنة فكان نفوذهم كبيرًا في المنصورة. ومنذ مطالع القرن العشرين توسعت دائرة طوائف الشوام إلى جميع أنحاء المدن المصرية خاصة القاهرة، وتبدلت المعطيات الطائفية. ويعتقد قنواتي أن مهاجري الروم الأرثوذكس بالإسكندرية كانوا الأكثر عددًا بين مهاجري الشوام، يليهم الروم الكاثوليك، ثم الموارنة، ثم باقي الطوائف. جمع بعض المهاجرين ثروات طائلة،وكان لهم نفوذ سياسي كبير، فسجلت بلدية الإسكندرية وباقي بلديات مصر شوارع بأسمائهم، منها على سبيل المثال لا الحصر: شارع خليل خياط، شارع الدكتور جورج قنواتي، شارع سابا باشا، شارع دبانة، شارع الكومندور زغبي وسواهم. ومن الطريف القول إن منطقة الرملة في الإسكندرية كانت، لفترة قريبة، تحتضن شوارع بأسماء السوريين واللبنانيين والأجانب لكن بلدية الإسكندرية دأبت على

محو هذه الأسماء تدريجيًا من ذاكرة سكان الإسكندرية خاصة والشعب المصري عامة، وأحلت مكانها أسماء أعلام ووطنيين مصريين. ويشكك الدكتور قنواتي باستمرارية ما تبقى من أسماء الشوام على شوارع الإسكندرية، وهي، على كل حال، نسبة ضئيلة جدًا.

الأب يوسف سكريه[١٩]، المولود في الإسكندرية عام ١٩١٨، والذي رافق تطورها في القرن العشرين عن كثب يقدم آراء هامة تشكل إضافات معرفية دقيقة لفهم أفضل لدور الشوام في الإسكندرية خلال تلك المرحلة.

فمنذ بدايات تفتح وعيه في الثلاثينيات من هذا القرن يؤكد أن العلاقة المصرية ـ اللبنانية كانت تزداد رسوخًا لأن الربوع اللبنانية أضحت آنذاك مركز اصطياف لأغنياء مصر، من مصريين ولبنانيين وسوريين وجنسيات مختلفة تطول فترة الاصطياف أو تقصر تبعًا لقدرة المهاجرين وأنواع أعمالهم لكنها لا تتدنى في الغالب، عن شهر واحد ولا تزيد على ثلاثة أشهر وهي فترة كافية لإضافة صلات وثيقة مع اللبنانيين نظرًا لاستمراريتها عامًا بعد عام. كانت طائفة الروم الكاثوليك من أكبر الطوائف السورية ـ اللبنانية في الإسكندرية إبان هذه المرحلة. فكانت تضم ما بين خمسة إلى ستة آلاف عائلة طيلة سنوات (١٩٣٠-١٩٦٠) حيث بدأت أعدادها تتقلص بسرعة بعد قرارات التأميم وكان من أبرز أغنياء الطائفة في الإسكندرية زنانيري باشا وكان من كبار موظفي الدولة، وميشال باشا أيوب وابنه الأستاذ شارل أيوب الذي عمل مستشارًا للملك فاروق وأخوه الأستاذ جورج أيوب وهو من كبار المحامين في الإسكندرية. ويشير الأب سكريه بشكل خاص إلى المحسنين الكبار الذين تبرعوا لمؤسسات الطائفة فيخص بالذكر جرجس الطويل الذي تبرع ببناء كاتدرائية المنشية بالإسكندرية، وآخر من آل فرعون الذي أنشأ كاتدرائية الروم الكاثوليك في منطقة فلمنج بالإسكندرية أيضًا وهناك الكونت فردينان دبانة، قنصل البرازيل في الإسكندرية الذي كانت له تجارة واسعة وبنى كنيسة القديس بطرس المعروفة باسم كنيسة دبانة بالإسكندرية، لقد برع الشوام في كافة المجالات وكان لهم دور أساسي في تطوير المجتمع الإسكندراني وذلك في الصحافة والتجارة والصناعة والزراعة والمقاولات والملاحة البحرية والمحاكم المختلطة ودوائر الدولة، خاصة الوظائف الوسطى والعليا، وحقول الترجمة وسواها.

في حقل التعليم لا يذكر الأب سكريه سوى مدرستين فقط للمهاجرين اللبنانيين ـ السوريين في الإسكندرية هما: مدرسة مار نقولا للروم الكاثوليك التي أسسها الأخوان نحاس، ومدرسة يد الإحسان التي أسسها الروم الأرثوذكس على اسم مار أنطونيوس الكبير.

تعود قلة مدارس الشوام في الإسكندرية إلى كثرة الإرساليات، إذ كانت الإسكندرية تعج بمدارس الراهبات والفرير وسواها والتي زاد عددها على الثلاثين مدرسة أهمها مدرسة سان مارك (Saint Marc) الشهيرة، ومدارس الإيطاليين واليونان والأرمن والإنجليز والفرنسيين واليسوعيين وغيرهم. وأقفل اليسوعيون مدرستهم الكبيرة والمشهورة في الإسكندرية بعد الحرب العالمية الأولى وذلك بسبب قلة «الإخوة» (Les Freres) وخلافات أخرى. واستمرت مدارس عديدة للراهبات من جميع الإرساليات ولا زال بعضها موجودًا حتى الآن ويقبل عليها الناس بكثرة وهي تضم طلابًا من جميع الطوائف والجنسيات، خاصة من أبناء الميسورين المصريين. وشهدت أعدادا هامة من الطوائف الإسلامية القادمة من بلاد الشام لكنهم شكلوا وحدة متماسكة مع الشوام الآخرين من الطوائف المسيحية أكثر من انتسابهم أو اندماجهم إلى المجتمع المصري.

كان مجتمع الإسكندرية ولا يزال شديد الانفتاح بحيث يتقارب الناس فيه على أساس جالياتهم وليس على أساس طوائفهم. هكذا تبلورت جاليات الشوام والإيطاليين واليونانيين والإنجليز والفرنسيين وغيرهم. فكان التماسك يتم على أساس اللغة عند الأوربيين والبلد أو المنطقة عند الشوام وباقي العرب. ويعتقد الأب سكريه أن السوريين واللبنانيين الأوائل، على اختلاف طوائفهم، لم يندمجوا فعليًا في المجتمع الإسكندراني بينما كان الجيل الثاني أكثر اندماجًا ثم أصبح الجيل الثالث مصريًا بالكامل على الرغم من الاحتفاظ أحيانًا بالجنسيتين: المصرية وإحدى الجنسيتين السورية أو اللبنانية. ويذكر أن والده، روفائيل سكريه، احتفظ بجنسيته السورية حتى عام ١٩٢٩، ثم تجنس بالجنسية المصرية.

إن من عايش المرحلة عن كثب لديه الاقتناع الكامل بأن الحكومة المصرية كانت ترغب فعلًا بتجنيس السوريين واللبنانيين وترحب بهم كمواطنين مصريين، لكن قسمًا كبيرًا من الشوام رفض الحصول على الجنسية المصرية وحدها مما أوجد الشك

والحذر منهم لأن الشعب المصري فخور جدًا بانتمائه لمصر ويرفض أن يشرك به أي انتماء لبلد آخر. فشعار المصريين الدائم، على اختلاف طوائفهم وميولهم السياسية: «مصر فوق الجميع لأن مصر أم الجميع».

٢ ـ شوام المنصورة (١٩٢٣-١٩٣٤) من خلال ذاكرة أسعد سلهب[٢٠]

زاول الدكتور أسعد مهنة الطب العام في مدينة المنصورة طيلة سنوات (١٩٢٣ -١٩٣٣)، ثم غادرها إلى ألمانيا للتخصص في الأشعة، عاد إلى المنصورة ليمضي فيها سنة واحدة ثم ينقل عيادته الجديدة إلى القاهرة عام ١٩٣٤، لأن اختصاص الأشعة والتجهيزات الغالية الثمن تتطلب مدينة كبيرة كالقاهرة وليس مدينة صغيرة كالمنصورة التي يقارب سكانها آنذاك حوالي ٤٥ ألف نسمة فقط.

وما زالت ذاكرته تحفظ أسماء عائلات لبنانية وسورية لبعت دورًا بارزًا في تاريخ المنصورة خلال تلك المرحلة عن نفوذ اللبنانيين يجيب: «ماذا أقول عنهم؟ كانوا الكل بالكل» في مجال الطب كان هناك الدكتور نجيب القيم رئيس مستشفى المنصورة الذي لا يفوقه في النفوذ إلا الطبيب اليهودي كوهين. وهناك الدكاترة من عائلات تقلا والحاج وعبودي والجميل وسواهم كانت نسبة الأطباء اللبنانيين ١١ طبيبًا في المنصورة وحدها يضاف إليهم طبيبان سوريان وأربعة أطباء يونانيين، مع أطباء ألمان ومن جنسيات أجنبية مختلفة كانت نسبة الأطباء المصريين تصل تقريبًا إلى حوالي ٥٠٪ من أطباء المنصورة لكن نفوذهم كان ضئيلًا جدًا لأن غالبيتهم الساحقة من خريجي الكلية الطبية العثمانية في إسطنبول. كان الأطباء اللبنانيون خاصة، والأجانب عامة، يسيطرون على المستشفيات الحكومية والخاصة على السواء. وكانت عياداتهم تستقطب الغالبية الساحقة من المرضى المصريين والأجانب والعرب من سكان المنصورة. كانت أكثرية المحامين من الشوام، أبرزهم من عائلات عبودي ومباردي والجميل. وكان الشوام يسيطرون على تجارة المنصورة خاصة آل الجميل وصيدناوي. وكانت لهم ملكيات زراعية واسعة، ولهم سيطرة على محالج القطن، ومهنة الهندسة، وقطاع الفنادق حيث كانت الفنادق الفخمة ملكًا للبنانيين كفندق كلاريدج، وفندق باريس، وفندق الريس وسواها.

وكان من اللبنانيين مدراء البنوك، كمدير البنك العثماني، ومدير البنك الأهلي،

ومدير بنك عبودي وهو الدكتور أمين عبودي الذي ترك الطب وعمل في إدارة البنك الذي يمتلكه مع شقيقه المحامي أرنست عبودي ويعتقد أن أصل هذه العائلة من الشويفات في لبنان. ومن اللبنانيين كذلك عدد كبير من أعضاء المجلس البلدي والمحاكم الرسمية وغيرها.

كانت علاقة التزاوج بين اللبنانيين أو الشوام في المنصورة سهلة للغاية، إذ كان الشوام من دين واحد تقريبًا حيث لم يكن فيها من المسلمين الشوام سوى المؤرخ الشهير عبد الرحمن الرافعي الذي تمصر ورفض اعتبار نفسه لبنانيًا أو شاميًا والدكتور أسعد سلهب.

وكان للشوام ناد خاص هو «النادي الشرقي» يشاركهم في عضويته معظم الأجانب، في حين يجد المصريون صعوبة كبرى في الانتساب إليه أو الوصول إلى أي مركز إداري فيه، ويلاحظ أسعد سلهب أن تزاوج الشوام مع المصريين كان شبه معدوم وبنسبة قليلة مع الأقباط. أي أن تزاوجهم كان داخليًا. وكان تصور المصريين العاديين أن جميع الشوام هم من المسيحيين ويذكر يوم وصل إلى المنصورة كيف سأله أحد العمال: «هل أنت مسلم؟ ولما أجاب بالإيجاب أكمل سؤاله: أنت تركي إذًا؟ فرد بأنه شامي. عندئذ بدا الاستغراب على وجهه وقال شامي ومسلم»؟ يقول في تفسير ذلك الواقع أن الغالبية الساحقة من الشوام في المنصورة كانوا من المسيحيين ولا يلاحظ وجود إسلامي بينهم.

لقد حاول الشوام إظهار أنفسهم كأجانب في المنصورة، وذلك في عاداتهم وتقاليدهم وتخاطبهم بلغة فرنسية، وغناهم المميز. وعلى الرغم من طابعهم المذهبي المسيحي فإن علاقاتهم مع الأقباط كانت ضعيفة. كانت حفلات زواجهم تثير الكثير من الكوامن النفسية لدى الشعب المصري الفقير الذي يشاهد البذخ والترف الفاحش في تلك الحفلات. كان معظم المهاجرين الشوام من الأغنياء، يتزاوجون فيما بينهم، ويسكنون الأحياء الراقية جدًا في المدينة. لم يكن بينهم فقراء إذ كانوا يساعدون بعضهم البعض ولهم جمعيات خيرية داخل كل طائفة وبالارتباط مع كل كنيسة كانت لهم نواد عائلية تميزهم عن سواهم، وتأتي غالبية أفراد العائلة إلى لبنان للاصطياف فيه. ولم تكن هناك فروقات جدية بين اللبنانيين والسوريين في المنصورة فجميعهم من الطوائف المسيحية، ولهم عادات وتقاليد واحدة. وهذا ما يبرر تسميتهم بالشوام وليس باللبنانيين أو السوريين. أما الفلسطينيون فكانوا قلة ضئيلة هناك.

حول دور الشوام في الحركة السياسية المصرية

كتب الكثير عن الدور المميز للشوام في مصر ولدينا مجموعة كبيرة من الدراسات الجامعية والكتب والمقالات التي رصدت مختلف جوانبه[٢١] المحصلة النهائية أن الشوام، خاصة الصحافيين والأدباء منهم، شاركوا بنشاط بارز في الحركة السياسية المصرية منذ دخولهم مصر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. ويلاحظ أن غالبية المسيحيين الشوام شددوا على فكرة العروبة والقومية العلمانية كي يتجنبوا الاندماج في مجتمع إسلامي شمولي، في حين برزت اتجاهات متعددة لدى المسلمين الشوام في هذا المجال فمنهم من دعا إلى تيار الجامعة الإسلامية، ومنهم من دمج بين العروبة والإسلام، ومنهم من دعا إلى فصل الدين عن الدولة وبناء القومية العربية على قاعدة غير دينية كما تجسدت في النماذج القومية الأوربية العلمانية، وللطائفية أو التمذهب الطائفي دور في فرز الشوام السياسي داخل المجتمع المصري وعملهم على هذا الأساس، وارتباطاتهم الخارجية أيضًا. وقد ساهم الشوام في نشر الدعوة إلى القومية العربية والعروبة العلمانية ردًا على دعوة العثمانية والجامعة الإسلامية. كان الصراع يرتدي أحيانًا طابعًا هزليا كمسألة لبس الطربوش في مصر التي برزت بحدة في العشرينيات. «عن سؤال ما إذا كان الطربوش لباسًا وطنيًا مصريًا أجاب محمد محمود باشا، رئيس حزب الأحرار الدستوريين بالنفي ودليله على ذلك أن الشوام في مصر يلبسونه»[٢٢] جاءت هذه المسائل في مرحلة شهدت فيها الساحة المصرية انكفاء داخليًا عن العروبة والعثمانية والجامعة الإسلامية على السواء. ودعا بعض السياسيين المصريين إلى فكرة «مصر الفرعونية» حتى إن الصحافة المصرية لم تهتم جديًا بثورة ١٩٢٥، السورية الكبرى إذ اعتبروها مسألة سورية بحتة واهتمام مصر بها كان ثانويًا على مستوى القيادة السياسية في حين كان الشعب المصري على استعداد كامل لدعمها والمشاركة فيها.

ويشير الرئيس تقي الدين الصلح إلى وجود تيارين سياسيين كبيرين في مصر: الأول إنجليزي التف حوله عدد كبير من أغنياء الشوام ومثقفيهم، وتيار وطني عريض مع ميل واضح إلى التعاون مع فرنسا على الصعيد الخارجي. وقد مثلت «الأهرام» التيار الثاني وكانت لأقلامها ميول وطنية مصرية واضحة وتقف في وجه «المقطم» المدعومة من سلطة الاحتلال الإنجليزي كان الوطنيون المصريون يكرهون الإنجليز

وجميع المتعاونين معهم، سواء كانوا من الشوام أو من المصريين أنفسهم. وعندما تبلور الخط الوطني العروبي في مصر وقف عدد كبير من الشوام إلى جانبه ودعموه بقوة في حين بقيت جماعة «المقطم» الصغيرة على ولائها للإنجليز كان الشعور القومي العربي في البداية ضعيفًا في مصر بسبب دعوات الجامعة الإسلامية والتيار الفرعوني وسواها، لذا لم يكن التيار القومي العربي، شموليًا في البداية وكانت غالبية المهاجرين الشوام تمالئ الاستعمار الإنجليزي بسبب استفادتها الكبيرة من وجوده.

أما الأقباط فرفضوا ممالأة الإنجليز واستمروا على فقرهم الشديد على غرار غالبية الشعب المصري خلال تلك المرحلة. كان الأقباط يكرهون الشوام فعلًا ويعتبرونهم منافسين لهم في جميع المجالات لكن القبطي، بسبب انتمائه الحقيقي لمصر، كان يرفض التعاون مع الإنجليز على حساب إخوانه المسيحيين والمسلمين على السواء في حين لم يتحرج كثير من الشوام عن القيام بذلك الدور. ولما كانت غالبية الشوام من المسيحيين انصب الحقد على الإنجليز والمتعاونين معهم فارتدى وجهًا إسلاميًا واضحًا على الرغم من انخراط الأقباط أنفسهم في المعركة. وزاد في تأزم الوضع الاجتماعي أن الأرستقراطية المصرية ومختلف الشرائح الغنية في مصر بالغت في إظهار الترف والحفلات وسباق الخيل الذي كان يقصده كبار أغنياء العالم وقابل ذلك البذخ فقر مدقع لدى غالبية فئات الشعب المصري فقاد إلى علاقات حادة بين الأغنياء والفقراء في مصر وشكلت الأسباب العميقة للثورة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر. فكراهية المصريين، أقباطًا ومسلمين، للشوام وللأجانب عمومًا كانت على أساس اجتماعي ـ اقتصادي وليس على أساس ديني، مع الإشارة إلى أن المجتمع المصري كان مجتمعًا متدينا وله تقاليد إسلامية واضحة لا يمكن القفز فوقها عند تحليل الحركات السياسية في مصر(٢٣).

احتضن الأزهر الحركة الوطنية المصرية منذ القدم. وتكفي الإشارة إلى أن قاتل الجنرال كليبر (Clebert)، قائد الحملة الفرنسية في مصر بعد نابوليون بونابرت كان سليمان الحلبي أحد تلامذة الأزهر، وطيلة القرن التاسع عشر كان الشوام في صلب الحركة الوطنية المصرية ومتعاونين معها أيام محمد علي وابنه إبراهيم والأسرة الخديوية من بعدهما، لكن وقوف الحركة القومية العربية ضد السلطنة العثمانية جعلت المصريين ينفرون من سياسة الشوام، مسلمين ومسيحيين، حتى وصل الأمر

بعض المصريين إلى اتهام الشوام بالخيانة للإسلام وكانت الأسرة الحاكمة في مصر تعلق آمالًا كبيرة على السلطنة العثمانية لإنقاذها من براثن الاحتلال البريطاني. وتمسك ساسة مصر بفكرة الجامعة الإسلامية والفكرة العثمانية التي تدمج العرب بالأتراك وبباقي القوميات الخاضعة للسلطنة في ظل سلط مركزية تستمد شرائعها من الإسلام ومن إصلاحات تتطلبها روح العصر. وبعد ثورة الشريف حسين على السلطنة العثمانية ودعم الإنجليز المباشر لها، خاضت التيارات الإسلامية في مصر وباقي أرجاء العالم العربي معركة عنيفة ضد ذلك التحالف واعتبروه خطأ فادحًا كان من ثماره قيام دولة إسرائيل الصهيونية على أرض فلسطين. فكانت مصر على عداء شديد مع ثورة الشريف حسين منذ قيامها لأنها كانت تقاتل الإنجليز في حين تحالف معهم عرب المشرق وقاتلوا الأتراك. وانعكست تلك السياسة بالضغط على الشوام وبات الحقد أشد قسوة على المسيحيين منهم بسبب كثرتهم من جهة وعدم تورعهم عن إعلان تعاونهم الوثيق مع الإنجليز في مختلف أرجاء المشرق العربي ومصر والسودان.

وهناك أمثلة كثير على وجود شوام في مراكز ضباط استخبارات ومترجمين في الدوائر العسكرية الإنجليزية،كانت لهم امتيازات كثيرة وشكلوا ثقلًا فعليًا في الإدارة المصرية والسودانية وقيل في كريم ثابت إنه النافذ الأول في السرايا المصرية فكان المواطن المصري العادي يعتبره «حاكم مصر غير المتوج» حتى إن الوزير أو النائب أو أي زعيم مصري لم يكن بمقدوره القيام بأي عمل لا يرضي كريم ثابت. ذلك نموذج بسيط على نفوذ الشوام في مصر الذي امتد إلى مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والصحافية فيها. فقد كانت أبواب مصر مشرعة أمام الترقي الاقتصادي والاجتماعي للشوام دونما عقبات كبيرة.

على صعيد النصوص الدستورية لم يصدر أي نص يمنع بروز الشوام في مختلف الأحزاب السياسية وفي مختلف أجهزة الدولة. وعلى الرغم من ذلك لم يصل أي من مهاجري الشوام إلى رتبة وزير في مصر، ووصل بعضهم إلى عضوية مجلس الشيوخ كأنطون الجميل وخليل ثابت وآخر من آل الشماس. كان شكور باشا رئيسًا للمجلس البلدي بالإسكندرية، وهو منصب هام جدًا في تلك المرحلة. وكان عبد الله صفير باشا من كبار موظفي الداخلية في مصر. وهناك عدد كبير من المستشارين وكبار

الموظفين. ومع ذلك يمكن التأكيد أن السوريين واللبنانيين لم يشاركوا بنشاط في الأحزاب المصرية ومن شارك منهم فلمرحلة محدودة، لأنهم اكتفوا بدور المساندة والعمل السياسي داخل الحزب وليس مع جماهير الشعب المصري أي عبر تحرير الصحف والمجالات ورئاسة قسم الترجمة وسواها من النشاطات داخل الأحزاب. ومن المفيد إلقاء الضوء على الصحافي جورج دوماني الذي لعب دورًا هامًا في حزب الوفد وكان سكرتيرًا له بموجب تكليف رسمي من زعيمه سعد زغلول، كما ترأس قسم الترجمة عن اللغات الأجنبية التابع للحزب. وكانت هناك أسماء بارزة من الشوام، من آل الرافعي، في حزب الوفد.وكان هؤلاء قد تمصروا منذ زمن بعيد ولم يعتبروا أنفسهم شوامًا في مصر بل مصريين.

لقد أفسح المجتمع المصري المجال أمام كثير من المهاجرين الأرمن والشوام واليونان والمغاربة وسواهم فتبوءوا مراكز رفيعة في مصر لكن قيادة المناصب الحساسة بقيت، بشكل أساسي، للإنجليز والأسرة الخديوية في ظل الاحتلال البريطاني وللقـوى الوطنيـة المصرية بعد استرجاع مصر لسيادتها وتحرير مواردها.

لكن جوانب أساسية من دور الشوام الريادي في الحركة السياسية المصرية لم يتطرق إليه أي من الذين حاورناهم وأبرزها دور بعض الشوام، واللبنانيين منهم بخاصة، في بروز وتبلور التيار الاشتراكي العلمي في مصر وترابطه الوثيق مع نشوء ذلك التيار في لبنان وسوريا وفلسطين على أيدي بعض القادة الذين تربوا في مصر ونخص بالذكر في هذا المجال المحامي أنطون مارون الذي استشهد في سجون القاهرة دفاعًا عن حقوق المعتقلين السياسيين وكان من مؤسسي الحزب الشيوعي المصري، والأستاذ رفيق جبور الذي اغتالته الاستخبارات البريطانية في أحد مستشفيات فلسطين بعد طرده من مصر بسبب نشاطه الاشتراكي العلمي، والنقابي فؤاد الشمالي الذي طرد من مصر للأسباب ذاتها وشارك في تأسيس الحزب الشيوعي اللبناني. وما زلنا نفتقر إلى الوثائق الأساسية لرواد الفكر الاشتراكي العلمي في المشرق العربي في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. وهي دراسة تتطلب الوقت الكافي للإعداد والتوثيق.

آل تقلا و«الأهرام»: مواقف هامة من تمصير مؤسسات الشوام[٢٤]

يعود أصل العائلة إلى بلدة كفر شيما في جبل لبنان، وهي قرية قريبة من مدينة بيروت اشتهرت بما أنجبت من شخصيات علمية فذة من آل اليازجي والشميّل وتقلا.

كان الأب خليل تقلا على جانب بسيط من الثقافة ولا يتعاطى التجارة. ليست لدينا معلومات كثيرة عنه سوى زواجه من ندى تقلا أي الزواج الرحمي أو القائم على صلة القرابة الدموية لدى الكثير من العائلات اللبنانية، على اختلاف طوائفها ومناطقها، حتى أواسط القرن التاسع عشر. أنجب الأخوين سليمًا وبشارة تقلا.

ولد سليم في كفر شيما في أواسط ١٨٤٩، وتلقى دروسه الابتدائية في مدرستها ثم في المدرسة الوطنية في عبية التي أسسها المعلم بطرس البستاني والدكتور فان ديك الأمريكي. تعرضت عبية للأحداث الطائفية الدموية عام ١٨٦٠، فنزل سليم إلى بيروت ودخل المدرسة الوطنية فيها، وهي مدرسة المعلم بطرس البستاني المشهورة خلال هذه الفترة.

وبعد إتمام دراسته تعين معلمًا في المدرسة البطريركية في بيروت ثم مديرًا لها ثم وكيلًا لأعمالها هاجر إلى مصر في عهد الخديو إسماعيل واستقر في الإسكندرية عام ١٨٧٤.

تروي مجلة «الهلال» عن ظروف هجرة سليم تقلا إلى مصر فتقول «الذي كان يحبّب إلى السوريين وغيرهم من جالية الإفرنج الإقامة في مصر ما يبذله الخديو إسماعيل في صلاتهم وتنشيط مشروعاتهم وخصوصًا المشروعات الأدبية فنظم سليم تقلا قصيدة رنانة مدح بها الخديو إسماعيل وغادر ربوع الشام قاصدًا القطر المصري حتى وصل القاهرة فرفع قصيدته إلى الخديو وبات من المقربين لديه وقضى سنة يتردد بين مصر والإسكندرية يجاهد في الحصول على امتياز الجريدة فمنحته الحكومة امتياز جريدة «الأهرام» سنة ١٨٧٥، وأصدرها أولًا بالإسكندرية وقال في تاريخها: «أنشأت الأهرام وأنا عالم بما يحول دون نشرها من المصاعب فكنت أقضي إليها النهار والليل عاملًا بدنًا وعقلًا فكنت أحررها، وأديرها، وألاحظ عملها، وأكتب أسماء مشتركيها، وأتولى معظم أعمالها ممّا يقوم به الآن عشرة من العمال» هكذا صدر العدد الأول من الأهرام في آخر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٥،

في الإسكندرية وصدرت «صدى الأهرام» في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٦ أيضا وأشرف سليم تقلا على إصدار جريدة «حديقة الأخبار» وجريد «المنارة» عام ١٨٧٦.

لم تكن هجرة سليم تقلا بدافع الاضطهاد أو ضغط السلطنة العثمانية بعد حوالي ثلاثة عشر عامًا على تطبيق نظام المتصرفية بل بدافع جذب المجتمع المصري في عهد إسماعيل لكثير من الصحفيين ورجال التجارة والبنوك والأعمال، الأجانب والشوام على السواء.

وفي عام ١٨٨٢، وإبان ثورة أحمد عرابي الشهيرة وقفت جريدة الأهرام ضد الثورة وإلى جانب الخديو، فأحرقت مطابع «الأهرام» والجريدة، و«صدى الأهرام» الأسبوعية التي كانت تطبع أكثر من عشرة آلاف عدد توزع على نخبة واسعة من المثقفين ورجال الأعمال في القطر المصري. وكانت أوقفت جريدة «الوقت» اليومية التي أصدرها سليم تقلا لفترة قصيرة قبل ثورة عرابي وكان لأنصار الثورة موقف حازم ضد سليم تقلا ومؤسساته الصحفية فاضطر للعودة إلى جبل لبنان كما فعل كثير من الشوام في الإسكندرية والذين غادروها إلى مناطق أخرى، في مصر وفي الولايات السورية، بسبب مواقفهم السياسية المعادية للثورة. وعند استسلام عرابي ورفاقه، وبعد سقوط مصر تحت الاحتلال البريطاني عاد سليم تقلا إلى الإسكندرية فوجد مطابع الأهرام محروقة لكنه أصر على إصدار «الأهرام» لفترة غير قصيرة في الإسكندرية إلى حين نقلها إلى القاهرة حيث ما زالت تصدر فيها حتى الآن، وفي عام ١٨٩٥، كتبت «الهلال» عن عودة الأهرام بعد ثورة عرابي: «وما زالت تصدر إلى الآن وخطتها وطنية عثمانية، منتصرة لفرنسا ومجاهدة بالمقاومة للاحتلال الإنجليزي» تلك إشارة إلى دخول الصحافيين الشوام في الاستقطاب السياسي داخل المجتمع المصري بين معارض للاحتلال الإنجليزي لمصر وداعم له وشمل الاستقطاب فئات متنوعة من الصحافيين منها فئة تعارض الاحتلال من موقع الارتباط الوثيق بالمصالح الفرنسية في المشرق العربي، ومنها مصر، وكان على رأسها «جماعة الأهرام» من أواخر القرن التاسع عشر حتى نهاية السلطنة العثمانية. في حين كان على رأس الفئة الأخرى من الصحافيين الشوام في مصر جماعة «المقطم» الموالية للإنجليز».

أرسى سليم تقلا قاعدة مادية ضخمة لأهم صحيفة شرقية ما زالت تصدر في مصر منذ أكثر من مائة عام وكان زواجه من فتاة دمشقية عام ١٨٨٦، جريًا على عادة الشوام في مصر في هذا المجال. وعندما وافته المنية في مصيف بيت مري ودفن في مسقط رأسه في كفر شيما كانت «الأهرام» قد خطت بسرعة نحو الشهرة على يد بشارة تقلا، شقيق سليم.

ولد بشارة في كفر شيما في ٢٢ آب (أغسطس) ١٨٥٢، وتعلم في مدرستها، ثم في المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني، وأكمل دراسته في المدرسة البطريركية في بيروت أتقن العربية والفرنسية وعمل مدرسًا في المدرسة البطريركية فور تخرجه فيها ثم مدرسًا في مدرسة عينطورة قام بتجارة فاشلة وبسفرات متعددة إلى الآستانة وأوربا حتى استقر مع أخيه سليم في الإسكندرية لإصدار «الأهرام» والصحف المرتبطة بها.

تمتع سليم وبشارة تقلا رسميًا بالحماية الفرنسية، وأقام بشارة علاقة وثيقة بكبار الساسة الأوربيين، خاصة الفرنسيين منهم والإنجليز، وبحكومة روسيا القيصرية، وبالسلطنة العثمانية وشاه إيران، لكن علاقة آل تقلا و«الأهرام» بالفرنسيين كانت متميزة حتى إن «الأهرام» لم تتورع عن كتابة مقالة عنيفة عام ١٨٨٤، تتهم فيها الحكومة المصرية بالولاء المطلق للإنجليز. فأقفلت الجريدة فترة من الزمن عادت بعدها للصدور بضغط من الفرنسيين على حكومة الخديو، وتشير مراجع المرحلة إلى أن عمدة بورصة الإسكندرية كانت تدعم جريدة الأهرام وتقدم لها المساعدات المالية. وتضيف مجلة «الهلال» ما يلي: «العوامل الأساسية التي أيدت «الأهرام» ونشرتها ثلاثة: حسن سياسة صاحبها وميلها إلى المسالمة، نشاط سعادة بشارة تقلا مدير الأهرام، ومساعدة بعض أرباب المناصب العالية فإنهم كانوا ينشطونها إلى درجة لا تكاد تقل عن حمل الناس على الاشتراك فيها فضلًا عن اشتراكات الحكومة نفسها فإنها كانت تعد بالمئات».

يستنتج من ذلك أن الأخوين تقلا حصّنا «الأهرام» بشبكة واسعة من العلاقات الداخلية والخارجية، الرسمية والخاصة، بحيث باتت واسعة الانتشار ويتسابق على دعمها أصحاب المؤسسات الخاصة والرساميل الأجنبية، ونال الأخوان تقلا أوسمة كثيرة من مصادر مختلفة أبرزها النيشان الخديوي من الرتبة الثانية عام ١٨٨٢، والنيشان

المجيدي الثاني العثماني من الرتبة الأولى عام ١٨٩٢، وأوسمة كثيرة من فرنسا وروسيا واليونان وإسبانيا وتونس وإيران وغيرها. توفي في الإسكندرية عام ١٨٨٩.

هناك آراء كثيرة حول انتشار «الأهرام» ومؤسساتها الصحفية بسرعة داخل مصر وفي ظروف الاحتلال البريطاني لها على الرغم من ولائها للفرنسيين. أشار الدكتور إبراهيم عبده إلى بعض السمات التي أوصلت «الأهرام» إلى المرتبة الهامة في الصحافة العربية فقال: «كانت الأهرام تحظى بتأييد القنصلية الفرنسية في القاهرة كلما اشتدت بها الأمور أو نزلت بها ضائقة الإرهاب... وكانت أول صحيفة عربية اهتمت بالبرقيات التي تصدرها وكالات الأنباء العالمية خاصة رويتر (Reuter) وهافاس (Havas)... ولم تجار الأسلوب الصحافي السائد آنذاك في السجع بل اعتمدت العبارات الواضحة وكانت من الصحف الأولى التي تنشر المسلسلات القصصية... وقد امتازت الأهرام بالاعتدال في المسائل السياسية الداخلية ولم تعنف مقالاتها إلا في فترة الثورة العرابية وفي أعقابها. ولم تتول المعارضة العنيفة في مصر غير مدة قصيرة بين ١٨٨٤ و١٨٩٤، ثم عادت إلى سياستها المعتدلة... وكانت أولى الصحف المصرية التي تفرد بابًا خاصًا لأخبار الشرق الأدنى... وكان لسليم تقلا قصائد في مدح الخديو إسماعيل نال بها عونًا ماديًا وتأييدًا أدبيًا في توزيع ونشر الأهرام بين بيئات الموظفين... وكان بشارة ينصرف إلى إجراء المقابلات الصحفية مع روساء الحكومات والوزراء وغيرهم، ولم يكن هذا النوع معروفًا في مصر حتى ذلك الحين».

تلك السمات وغيرها جعلت من آل تقلا عائلة صحفية تهيمن على عدد وافر من الصحف ومصادر الإعلانات وخلال فترة قصيرة أمن آل تقلا انتشار «الأهرام»، و«صدى الأهرام»، و«الوقت» و«الحال»، و«الوطن» ومجلة «المنارة». وعلى الرغم من الصدور غير المنتظم لتلك الصحف والمجلات فهي تعبر بوضوح عن الإسهام الكبير للأخوين تقلا في حقل الصحافة والإعلام في مصر.

ولم تؤثر وفاة بشارة تقلا في نشاط تلك المؤسسات الصحفية ذات النفوذ والشهرة والاستقرار وكان من السهل على بتسي (Petsi)، زوجة بشارة تقلا، حمل الرسالة حتى تسلمها ابنها جبرائيل تقلا عندما بلغ سن الرشد وذلك نظرًا لدقة التنظيم الذي تمتع به الأخوان تقلا.

ولدت بتسي نعوم كبابة تقلا في بيروت عام ١٨٦٩، لأب يعد من كبار تجار حلب. كان عمها، بولس كبابة، من كبار تجار مانشستر ولندن. تعلمت في مدارس بيروت ولندن وأتقنت العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية والتركية وليس في أسرة تقلا من كان يتقن مثل هذه اللغات مجتمعة.

كان لها الفضل الأكبر في إدارة «الأهرام» ونقلها من الإسكندرية بعد وفاة زوجها. فانتقلت «الأهرام» إلى القاهرة عام ١٨٩٩، بعد أن بنت لها بتسي تقلا «دار الأهرام» المعروفة وأصدرتها بالفرنسية باسم (Pyramides) إلى جانب العربية. أدارت الأهرام بكفاءة عالية منذ عام ١٨٩٩ منفردة حتى عام ١٩١٢، ومع ابنها جبرائيل تقلا حتى وفاتها عام ١٩٢٤. نالت أوسمة عديدة، منها أوسمة مصرية وأخرى أوربية وشاركت في النهضة النسائية المصرية في القاهرة والإسكندرية. ودعت، على صفحات «الأهرام»، إلى تحرير الفتاة العربية وإطلاق حرية المرأة، وحقها في العلم والعمل، ودعت إلى التآخي المذهبي ونبذ الأحقاد والصراعات الطائفية.

أما ابنها جبرائيل تقلا فمولود في القاهرة عام ١٨٩١، تعلم في مدرسة الآباء اليسوعيين فيها ونال إجازة في الحقوق والعلوم السياسية أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية توفي والده عندما كان صغيرًا ومارس العمل الصحافي قبل أن يكمل العشرين من عمره فتولى إدارة الأهرام باللغتين العربية والفرنسية منذ عام ١٩١٢، بمعاونة والدته بتسي تقلا. أنشأ أكبر مطبعة في الشرق باسم «مطبعة الأهرام» وكان أول من جعل «للأهرام» مكاتب ومراسلين في معظم عواصم العالم في مطالع هذا القرن. انتخب نقيبًا للصحافة المصرية بالإجماع عام ١٩١٩، ونال أوسمة عديدة أهمها وسام الخديو عباس.

تزوج جبرائيل تقلا من رينة (Renee) صباغ، وهي من عائلة لبنانية من الروم الكاثوليك في بيروت، وتمتلك بنكا خاصًا مشهورًا باسمها هو بنك صباغ. وأدار الأهرام حتى وفاته عام ١٩٤٣.

يقدم تاريخ آل تقلا شهادة في الهبوط المتواصل بين الجد والأب والابن فلم يكن جبرائيل تقلا بمنزلة أبيه أو عمه الصحافية والسياسية ثم جاء من بعده ابنه ووريثه، بشارة جبرائيل تقلا الذي لم يهتم كثيرًا بالصحافة ولا بالسياسة. فوقع عبء إدارة

«الأهرام» على أنطون الجميل. وبعد وفاته انتقل العبء إلى نجيب كنعان، ثم إلى محمد حسنين هيكل «فالأهرام» كانت مؤسسة صحافية وسياسية ووطنية كبيرة لا يجوز تركها على كاهل شاب يمتلكها وله فقط ثقافة علمية محدودة ولا يقوم بأي عمل يذكر، يقول عنه الدكتور خليل صابات إنه «كان تاجر صحافة وليس صحافيًا». وبعد قرارات التأميم، استأذن الحكومة المصرية للسفر إلى الخارج لرؤية والدته فذهب ولم يعد ثم أرسل إلى الحكومة كتابًا رسميًا يعلن فيه رغبته في البقاء خارج مصر إلى جانب أمه فأممت الحكومة المصرية «الأهرام» وكانت، حتى ذلك الحين، تتردد بين التأميم وشكل آخر من الإدارة يضمن لأصحابها بعض الأرباح، أما جبرائيل تقلا فتزوج امرأة مطلقة من آل جهلان تعود جذورها إلى إحدى عائلات الإسكندرية، ولم يرزق أولادًا هكذا انتهت سيرة تلك الأسرة الصحافية التي تنتمي إلى طائفة الروم الكاثوليك في جبل لبنان، والتي تركت أثرًا لا ينسى في تاريخ مصر الصحافي والسياسي تجسد في مؤسسة «الأهرام» العاملة حتى الآن.

حتى أواسط القرن العشرين كانت رئاسة الأقسام كلها في «الأهرام» بيد اللبنانيين أو المهاجرين الشوام بشكل خاص، والأجانب بشكل عام. كانت غالبية المحررين، من المصريين باستثناء قلة من المترجمين من أصل لبناني أو سوري. من رؤساء الأقسام، على سبيل المثال: ألبير عمون، سكرتير تحرير في «الأهرام» وقد هاجر إلى مصر منذ سنة ١٩٠٦، وداود بركات، ونجيب كنعان، وأسعد داغر، وإلياس الحويك وغيرهم.

كان مدير الإدارة عام ١٩٢٦، الأستاذ يوسف غسطين، مارونيا من منطقة بكفيا في جبل لبنان، وكان ذا ثقافة فرنسية وكان مدير التوزيع، الأستاذ جورج السوقي، وكان لبنانيًا من الطائفة البروتستانتية ثم نال الجنسية الإنجليزية ومنذ ١٩٣٤، حل مكانه في إدارة التوزيع الأستاذ فريد شقير، ابن الكاتب اللبناني الشهير سعيد شقير وبقي في منصبه حتى عام ١٩٤٧، ويعتقد أنه نال الجنسية الإنجليزية، كان مدير الإعلانات يهوديًا يسمى أدجمان وهو من أصل روماني. وكان مدير المطبعة مهندسًا فرنسيًا يدعى (Leon Salet) وكان مدير الزنكوغراف مهندسًا فرنسيًا أيضًا، ومدير التصوير أرمنيًا.

بعد ١٩٤٨، ظهرت تحولات هامة في إدارة الأهرام لجهة تمصيرها، فبدأ اللبنانيون

يفقدون مراكزهم الحساسة بسبب الوفاة والهجرة والانتقال إلى مراكز أخرى وليس بسبب التضييق عليهم من جانب الحكومة المصرية، فأصبح رئيس قسم الألعاب الرياضية، الأستاذ إبراهيم علام مصريًا، ورئيس القسم الاقتصادي، الأستاذ محمد كاظم، مصريًا أيضًا وحل مكان المهندس الفرنسي في إدارة المطابع الأستاذ روجيه صيقلي، وهو لبناني متمصر ثم هجر مصر وترك الأهرام عام ١٩٦٤، وخلال سنوات (١٩٦٠-١٩٧٠)، تمصرت كل أقسام «الأهرام» تدريجيًا وكان نجيب كنعان، الذي أحيل إلى التقاعد ١٩٦٨، ويحتفظ بالجنسية المصرية دون سواها، آخر رعيل الشوام في رحلة «الأهرام»، جريدة مصر الأولى خلال عشرات السنين.

الدور السياسي للأهرام كما رآه رئيس تحريرها ومدير سابق لها من الشوام المتمصرين كان مثار تعليق من جانب مديرين ومحررين مصريين ساهموا بنشاط في «الأهرام» فكان لنا لقاء مع الدكتور لطفي عبد العظيم، رئيس تحرير «الأهرام الاقتصادي» والدكتور محمد علي رفعت، كاتب مصري معروف عايش أنطون الجميل وعزيز مرزا وعددًا كبيرًا من محللي «الأهرام» حيث كان يكتب باستمرار[٢٥]. «يجب الاعتراف بأن الشوام لعبوا دورًا وطنيًا ممتازًا في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية والإدارية وسواها. وعندما نقول الشوام نشير إلى الغالبية الساحقة منهم وليس إلى مجموعة قليلة العدد باعت نفسها للأجانب، من فرنسيين وإنجليز. وباستثناء جماعة «المقطم» الذين ارتبطوا بالإنجليز وفاخروا بذلك الارتباط، وعلى رأسهم كريم ثابت الذي كان على علاقة وثيقة بالملك فاروق ومستشاره الشخصي، فإن للشوام الفضل الكبير في إيقاظ الروح الوطنية المصرية ونشر المد القومي العربي فيها. وتكفي الإشارة إلى الأستاذ إميل خوري الذي طرد من مصر لمواقفه الوطنية والعروبية. ومن الشوام من ساهم بتأسيس الحزب الشيوعي المصري، والدعوة لحزب الوفد، وتحرير الصحف الوطنية المعارضة للفرنسيين والإنجليز معًا. ومنهم المحامون الذين دافعوا عن العمال المصريين وحقوقهم المطلبية والنقابية. فاستشهد المحامي أنطون مارون في السجن من أجل تلك الغاية. ومنهم عبد الرحمن الرافعي المؤرخ المصري المرموق وهو من طرابلس الشام. ومنهم الدكتور شبلي الشميل صاحب الفضل الكبير في تعريف المصريين والعرب بفلسفة النشوء والارتقاء، ومنهم رواد المسرح والقصة والتمثيل والفن وغيرها. ومنهم شاعر

القطرين خليل مطران، والأديبة الرقيقة التي أحبت مصر كثيرًا، مي زيادة. السلسلة طويلة جدًا عن المبدعين الشوام في مصر وليس من العلم بشيء إلصاق تهم الخيانة والتواطؤ والعمالة على أعداد كبيرة من البشر بسبب انتماء قلة منهم إلى هذا التيار السياسي أو ذاك، قد يقال بأن أنطون الجميل، عضو مجلس الشيوخ المصري، كان مواليًا للفرنسيين لكنه، والحق يقال، كان أديبًا، ومثقفا شموليًا، ولعب دورًا وطنيًا هامًا في مصر طيلة فترة رئاسته للأهرام. «كان عروبيًا مئة بالمئة، يقول عنه د. محمد علي رفعت، وله قول مشهور: «مصر بلد ترعاه الآلهة رغمًا عنه».

ومع تزايد الغنى الاقتصادي ازداد النفوذ السياسي لدى بعض الشوام فباتوا أكثر التصاقًا بالطبقات المسيطرة أي جماعة الخديو والإنجليز وشكلوا جزءًا عضويًا من الطبقة المصرية الحاكمة لأن مصالحهم الأساسية قد ارتبطت بها، هكذا ترسخ في ذهن المواطن المصري أن «الخواجا»، وهو التعبير الذي أطلق على الشوام في مصر،كان أجنبيًا وليس عربيًا وذلك على الرغم من إتقانهم اللغة العربية. آمن «الخواجا» بهذه الصفة وعمل على تثبيتها، فبات يتكلم الفرنسية أو الإنجليزية بدل العربية،كذلك فعلت زوجته وابنته وابنه. وامتلك البيوت الجميلة، والسيارات الفخمة، وأقام المآدب والحفلات الكبيرة، وتملك الأراضي الزراعية الخصبة، بكلمة مختصرة باتت فئات من الشوام متمايزة عن المجتمع المصري في الكثير من القضايا وأمعن بعضهم في التمايز لدرجة نكران عروبتهم وإظهار الازدراء بالمواطن المصري الذي تزايدت مشكلاته السكنية والمعيشية والبطالة بعد إغراق مصر بالسلع الأجنبية عبر وساطة الشوام بشكل أساسي، وإمعانًا في التمايز أيضًا بدأ الشوام يشكلون نواديهم الخاصة، وجمعيات لا يدخلها المصريون، وممارسة هواياتهم المفضلة في ركوب الخيل والسباق وكان تزاوجهم الداخلي يجعل منهم جالية متميزة تمامًا عن المصريين وبات وكلاء أعمالهم من الشوام أيضًا، كذلك كبار الموظفين لديهم، وأطباؤهم، ومهندسوهم، ومحاموهم. ولم يعد للمصريين دور لديهم إلا في أدنى درجات السلم الاجتماعي.

وحتى لا نتهم بالتحيز ضد الشوام، يقول الدكتور لطفي عبد العظيم، نقدم البرهان من خلال مؤسسة الأهرام نفسها. كان رئيس «الأهرام» على الدوام أحد أبناء أسرة تقلا، منهم بشارة وسليم وبتسي وجبرائيل وذلك حتى التأميم. قد يكون ذلك طبيعيًا

باعتبارها مؤسسة خاصة، لكن لنلاحظ أن غالبية مدراء «الأهرام» كانوا من الشوام، منذ تأسيسها حتى عام ١٩٦٨، أي بعد عدة سنوات من تأميمها، فعلى سبيل المثال كان رئيس التحرير دومًا من الشوام: داود بركات، أنطون الجميل، عزيز مرزا. وكان سكرتير عام التحرير من الشوام وهو الأستاذ إميل خوري. وإذا ألقينا نظرة سريعة على أسماء المدراء عام ١٩٦٨، يتبين لنا ما يلي:

مدير الإعلانات التجارية، أرنست بولس.

مدير الإعلانات المبوبة، وليم نحاس.

المدير الفني للمطابع، روجيه صيقلي.

مدير التوزيع، محمد بكّير.

مدير التحرير، نجيب كنعان.

وكلاء التوزيع، توفيق خوري، كامل حسّون، فؤاد مكحّل.

محام وعضو مجلس إدارة، متري الشميّل.

عضو مجلس إدارة، فريد شقير.

مدير عام وعضو مجلس إدارة، نعوم بحري.

لقد تعمد الدكتور لطفي إعطاء صورة حقيقية عمّا كانت عليه «الأهرام» بعد أن تسلمها محمد حسنين هيكل بسنوات طويلة، وبعد كل ما قيل عن تمصير «الأهرام»، وهي تمصرت فعلًا في السنوات اللاحقة. ويستنتج أن وجود ذلك العدد من مثقفي ومديري الشوام في «الأهرام» لم يكن مجرد صدفة بل استمرار لخط تاريخي طويل كان من الصعب القطع معه بعد تمصيرها خاصة وأن هؤلاء المثقفين المصريين لم تعد لهم علاقة بالشوام سوى مجرد الانتساب إلى جذور عائلية تعود بنسبها إلى بلاد الشام. ولا يجوز أن يفهم هذا الإحصاء العلمي على غير حقيقته أو يلقي ظلالًا من الشك على وجود هؤلاء المصريين في مواقعهم الطبيعية وفي الوطن الذي اختاروه نهائيًا لهم فالمصري لا يميز نفسه عن أخيه المصري بسبب قدوم أسرته إلى أرضها من هذا الموقع الجغرافي أو ذلك لأن أرض مصر تصهر من عليها، وتاريخها العريق يؤكد هذه الحقيقة ولم تغادر مصر، بعد قرارات التأميم، سوى مجموعات قليلة من القوى الطبقية التي تضررت مصالحها من جراء تطبيق شعار «مصر للمصريين»[٢٦]

تلك المجموعات كانت تريد أن تبقى خيرات مصر مرتعًا مباحًا لها على حساب مآسي شعبها المتكررة ففضلت الرحيل على الانخراط في المجتمع الذي أفسح لها كل أسباب الثروة والجاه، لكنها نسيت أن هذه الثورة تبقى دومًا ملكًا للشعب بأسره وليس لفئة قليلة منه فوضع بعض الشوام أنفسهم في موقع الجاليات الأجنبية والقوى الطبقية المصرية التي تضررت من تقليص الفروقات الهائلة بين أفراد المجتمع الواحد.

بعض الاستنتاجات

تستقيم الرؤية حول مهاجري الشوام إلى مصر انطلاقًا من البدايات الأولى حتى أواسط القرن العشرين. لقد ارتحلوا إلى دمياط ورشيد والمنصورة والقاهرة والإسكندرية وتوسعوا في مختلف أرجاء القطر المصري، في المدن والأرياف على السواء. كانت غالبيتهم الساحقة من الطوائف المسيحية مع أعداد قليلة، في البداية، من المسلمين الذين يندمجون فورًا بالمجتمع المصري. كانت آثارهم تدل عليهم إذ بنوا لهم قصورًا ونوادي وكنائس في كل مدينة هاجروا إليها. ثم ازدادت أعدادهم وطوائفهم فبنوا ناديًا أو كنيسة أو أكثر لكل طائفة من طوائفهم المسيحية وأقاموا لهم نوادي خاصة بهم داخل كل طائفة ونوادي عامة تجمعهم كشوام في المدن الكبرى. تعاطى الكثير منهم العمل السياسي دون أن يصيب نجاحًا كبيرًا إلا نفر قليل ارتبط وثيقًا بأرباب السلطة، من إنجليز وأسرة خديوية. كان دورهم السياسي مغمورًا ونادرًا ما شاركوا في العمل الجماهيري المباشر أو حصلوا على مراكز سياسية عليا إلا في المناصب التي تسند إليهم بالتعيين وليس بالانتخاب الشعبي. كان نفوذهم الأساسي يتمحور حول العمل التجاري والمالي والبورصة والصحافة والترجمة والأدب، وعلى الرغم من نجاحهم الباهر في مختلف المجالات حمل المهاجرون معهم الكثير من سمات تخلفهم الطائفي.

كان غنى مصر العامل الأهم الذي اجتذب المهاجرين طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. فكانت مصر محطة أساسية للرساميل والتجارة العالمية، وكانت أرضها مصدر إنتاج وفير، والكثافة السكانية المتزايدة فيها مصدر توظيف صناعي مربح. وكان للنظام السياسي الاقتصادي المصري دور هام في اجتذاب المهاجرين والتوظيفات. ومع تبدل هذا النظام بدأت الهجرة المعاكسة من مصر إلى الخارج. فالمسألة اقتصادية اجتماعية وسياسية وليست طائفية على الرغم

من أن الذين طالتهم قرارات التأميم من السوريين واللبنانيين كانوا، في الغالب، من المسيحيين لأن الشوام في مصر كانوا من الطوائف المسيحية بالدرجة الأولى.

وهناك ضرورة لتصحيح النظرة إلى دور الشوام في مصر فمنهم من يبالغ في مدحهم على حساب شعب مصر ويرى فيهم عامل إيقاظ ووعي له متجاهلًا دور المصريين، من مفكرين وأدباء وشعراء وسياسيين ومؤرخين، ومنهم من يصور دور الشوام تاريخًا من العمالة والارتباط بالأجانب. المقولتان خاطئتان تمامًا. فكتابة التاريخ ليست على قاعدة الأسود والأبيض بل تحليل للتطور الموضوعي للمجتمع نفسه. لقد هاجر الشوام إلى مصر في مرحلة تاريخية شهدت تكالبًا استعماريًا للسيطرة عليها خاصة من قبل الفرنسيين والإنجليز. وكانت الحركة السياسية المصرية تتوزع على تيارات موالية للفرنسيين وأخرى للإنجليز في حين كانت الحركة الوطنية فيها مفككة وضعيفة. فتوزع الشوام على تلك التيارات وكانت لهم مواقف متناقضة من الحركات الوطنية المصرية والأحداث السياسية الكبرى في مصر. أيد بعضهم جمال الدين الأفغاني ودعوته ووقف البعض الآخر ضدها بعنف. كذلك الحال بالنسبة لثورة عرابي، وثورة سعد زغلول، والأحداث المصرية الكبرى. هكذا تستقيم الرؤية إلى دور الشوام بدراسة تطور المجتمع المصري وتحديد موقعهم فيه فقد وفدوا إلى مصر في مرحلة كان المجتمع المصري يسير فيها نحو العصرنة والحداثة على مختلف المستويات، وذلك بتأثير مباشر من نقل التكنولوجيا الغربية والرساميل الأوربية والإرساليات والجاليات والعساكر وغيرها. كانت القيادة السياسية المصرية نفسها أسيرة ذلك التأثير فالتفت حولها أعداد كبيرة من الشوام الذين لعبوا دور الوساطة بين حضارة الغرب وتقنيته ومدارسه وفنونه وبين جماهير الشعب المصري. وكان للغة الأجنبية دور في هذا المجال فكان للشوام نفوذ كبير على كافة المستويات نظرًا لإتقان الكثير منهم أكثر من لغة أجنبية. لقد قام الشوام بدور الوساطة ببراعة لأن كثيرًا من الجاليات الأوربية عجزت عن مجاراتهم، كما أن القوى الذاتية للمجتمع المصري كانت عاجزة أيضًا عن القيام به. فلعبوا دورهم بإتقان في ظروف موضوعية مؤاتية للغاية وجمعوا ثروات طائلة ونالوا شهرة واسعة في مختلف المجالات. وعندما امتلك الشعب المصري القدرة على مجابهة الاستعمار الخارجي والقوى المحلية المرتبطة به سارعت أعداد كبيرة من الجاليات التي سكنت مصر طويلًا إلى الرحيل عنها في حين انخرطت أعداد هامة من الشوام في المجتمع المصري وأصبحت جزءًا لا يتجزأ منه.

ولا يجوز أن يفسر دور الشوام، على مختلف الأصعدة خاصة السياسي منها، بعزله عن حركة تطور المجتمع المصري في أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين. فتاريخ ذلك المجتمع يفسر دور الشوام ولا يفسر به وحده. وقد انتشر هؤلاء على مختلف التيارات السياسية العاملة في مصر دون أن يكون لهم موقع التقرير والصدارة في أي منها. وفي تلك الحالة تشابه كبير مع حركات الهجرة في مختلف بلدان العالم. فقد يصل أحد المهاجرين إلى قيادة حزب معين في بلد الاغتراب أو رئاسة الدولة فيه وذلك لا يبرر مطلقًا عزله عن الحركة السياسية التي أوصلته وهي، بالضرورة، حركة ذلك المجتمع ولا تمت بصلة إلى الوطن الذي انطلق منه المهاجر أو آباؤه وأجداده. فمهاجرو الشوام في مصر شكلوا جزءًا عضويًا من الحركة السياسية المصرية وذلك تبعًا لمصالحهم الذاتية والطبقية فيها. لذلك تندرج أسماء الغالبية الساحقة منهم في عداد الموالين للإنجليز والفرنسيين، وبصورة أقل في عداد الحركة الوطنية المصرية. قلة منهم فقط كانوا من المثقفين والوطنيين والثوريين الذين تأثروا بالنظريات العلمية الحديثة، والأفكار الاشتراكية الإصلاحية على اختلاف مدارسها، والتيارات الليبرالية الغربية، والاتجاهات القومية العلمانية على النمط الأوربي ودعوا، بجرأة نادرة، إلى تبني تلك الأفكار كمدخل للإصلاح الحقيقي، لا في مصر فحسب، بل في مختلف أرجاء المشرق العربي بعد أن يئسوا من إمكانية الإصلاح في ظل السيطرة العثمانية. وتلك القلة من مثقفي الشوام كشبلي الشميل، وفرح أنطون، وأديب إسحق، وأنطون مارون، ورفيق جبور، وعبد الرحمن الكواكبي، ونجيب الحداد، وزينب فواز، ومي زيادة وغيرهم الكثير لعبوا دورًا بارزًا في تنشيط الحياة السياسية والفكرية في مصر وذلك إلى جانب جيش كبير من أمثالهم المصريين كما ساهم عدد آخر من الشوام في دفع الحياة الفنية فيها خطوات واسعة إلى الأمام. إنها حركة مجتمع يتطور بسرعة وقد عرف الشوام كيف يتخذون لأنفسهم مواقع بارزة في صدارتها فلمعت أسماؤهم كطلائع رائدة في حركة التحرير الوطني العربية الحديثة والمعاصرة، لكن تطوير المجتمع المصري كان وسيبقى من صنع القوى المصرية نفسها مهما كان دعم الجاليات العربية الأخرى فاعلًا وأساسيًا في مرحلة من مراحل ذلك التطوير.

الحواشي

(١) الدكتور خليل صابات، مقابلة مشار إليها سابقًا.

(٢) دولة الرئيس تقي الدين الصلح من أسرة لبنانية عرفت بانتمائها العروبي منذ سنوات طويلة. لم يغادر لبنان بدافع التجارة أو الصناعة أو المهن الحرة، بل كانت له علاقة سياسية بالمحيط العربي. كانت أول رحلة قام بها الشاب تقي الدين الصلح إلى مصر عام ١٩٤٣، فور انتهاء معركة استقلال لبنان وذلك برفقة إميل البستاني وخليل تقي الدين لتأسيس المفوضية اللبنانية في القاهرة والتي تأسست بالفعل عام ١٩٤٤، أي بعد أشهر قليلة على ولادة استقلال لبنان السياسي. وكان الأستاذ يوسف سالم أول سفير مفوض للبنان في مصر وفي القاهرة، أصدر الثلاثة كتابًا مشتركًا عن الاستقلال صادرته السلطات اللبنانية وأحرق ولم تبق لدى الرئيس الصلح نسخة واحدة منه.

عام ١٩٤٧، ترك تقي الدين الصلح المفوضية اللبنانية في القاهرة للدخول في جامعة الدول العربية حيث أمضى فيها سنوات (١٩٤٧-١٩٥١). تنبع رؤية الرئيس الصلح لهجرة الشوام إلى مصر عن فهم عميق ناتج عن الاختلاط المباشر مع المهاجرين ومعرفة الكثير من الخفايا التي لا تظهر على سطح الأحداث. ومن الطبيعي أن عددًا كبيرًا من المهاجرين كانوا يرفضون التصريح العلني عن شعورهم الذاتي تجاه مصر وعن نظرتهم الحقيقية لمجتمعها. بعد عودته إلى لبنان استمر الرئيس الصلح على علاقة وثيقة بكثير من الشخصيات اللبنانية العاملة في مصر، وله آراء جريئة يلخص بها موقف اللبنانيين من ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢ المصرية، ثم من قرارات التأميم وكانت من الأسباب العميقة لهجرة الشوام من مصر إلى الخارج وعودة البعض منهم إلى لبنان وسوريا.

(٣) الدكتورة زاهية قدورة، مقابلة سابقة.

(٤) الكاهنان يوحنا الحاج ويوسف البجّاني، مقابلة سابقة.

(٥) **إلياس إبراهيم الجميل**، المسئول المالي في السفارة اللبنانية بالقاهرة، مقابلة بتاريخ ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢. من مواليد الوجه القبلي في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٤. رافق العمل في القنصلية ثم السفارة اللبنانية في القاهرة منذ بدايات عملها بعد الحرب العالمية الثانية حتى الآن حيث لا يزال يعمل محاسبًا للسفارة. إنه نموذج الرعيل الأخير من المهاجرين الشوام وأبنائهم أي الجيل الذي يمتد من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى الهجرة المعاكسة من مصر إلى الخارج بعد قرارات التأميم.

والدته عزيزة إلياس ناصيف المندلق، من مواليد عين عار، قرب بكفيا لأسرة مهاجرة إلى مصر والأب، إبراهيم دعيبس الجميل، من مواليد بكفيا ثم هاجر إلى مصر قبيل الحرب العالمية الأولى، ويعتقد إلياس أن والده هاجر إلى مصر عام ١٩١٠، وعمل في تجارة قطع تبديل للسيارات. وكان جده

لأمه، إلياس المندلق، يتعاطى التجارة ذاتها في الوجه القبلي أيضًا فتم تعارف إبراهيم إلى عزيزة وتزوجا على غرار غالبية مهاجري الشوام إلى مصر أي زواجًا تقليديًا من داخل المنطقة والطائفة.

تلقى إلياس الجميل علومه الأولى في مدرسة مار يوسف المارونية في الظاهر أحد أحياء القاهرة الأساسية لسكن الشوام. يذكر من أساتذته فيها المونسينيور يوحنا طعمة من قرنة شهوان الذي عمل مديرًا للمدرسة لسنوات طويلة، والأب يوسف بجاني الذي أجرينا معه مقابلة مفصلة. تؤكد تلك الإيضاحات استقدام عدد وافر من الأساتذة للعمل في المدرسة من سوريا ولبنان. ولا يذكر أساتذة مسلمين، من الشوام ومن مصر لأن المدرسة تابعة لجمعية خيرية مارونية ولم تكن خاصة تتقاضى أجور الدراسة. أكمل إلياس الجميل دراسته العليا فنال دبلوما في المحاسبة والتجارة من كلية التجارة المصرية وتوظف في السفارة اللبنانية في القاهرة بعد عام واحد على تأسيسها.

أبرز العائلات اللبنانية ـ السورية التي عايشها في الوجه البحري إبان طفولته وشبابه: آل عقل، آل حنا، آل سكاف، آل إسكندر، ويلاحظ من تسمية هذه العائلة أنها قد تكون مقتصرة على اسم الجد على الطريقة المصرية أو تكون أسماء لعائلات معروفة حتى الآن في لبنان. تزوج إلياس الجميل من إميلي ديمتري إلياس، مصرية من أصل سرياني حلبي تنتمي إلى طائفة الروم الكاثوليك، ورزق منها ابنتين إيمان وجيهان يعملان في مصر ولا يفكران بالعودة إلى لبنان. عن صلاته بآل الجميل في لبنان يجيب إلياس الجميل أنه قابل الشيخ بيار الجميل في صيدليته على ساحة البرج في بيروت عام ١٩٥٣، للمرة الأولى والأخيرة على الرغم من أن والد بيار، الشيخ أمين الجميل، ووالد إلياس هما أبناء عم: ليست هناك الآن أية روابط عائلية مستمرة بين آل الجميل في مصر وأنسبائهم في لبنان ولا توجد رابطة لهذه العائلة في مصر كما هو الحال في هيوستون في الولايات المتحدة الأمريكية. بقي عدد قليل جدًا من هذه الأسرة في مصر وارتحل الباقون إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وكندا وأستراليا وعاد بعضهم إلى لبنان فشقيقه، جوزف الجميل، أستاذ جامعي في الإحصاء، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقر هناك. شقيقه الثاني، ميشال الجميل، ظل وحيدًا في مصر لأن أولاده الثلاثة،ريمون وفريد وجميل، يعملون في كندا، منذ أواخر الستينيات لعبت قرارات التأميم الدور الأساسي في هجرة آل الجميل من مصر إلى الخارج فغادروها مع كثير من اللبنانيين والسوريين والأجانب وبعض المصريين ويؤكد إلياس الجميل أن هجرة آل الجميل الأخيرة من مصر إلى الخارج لم تكن باتجاه لبنان بل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا بشكل خاص. شخصيًا، يرغب بشراء قطعة أرض في مسقط رأس والده بكفيا كي يبني عليها منزلًا وينهي حياته في لبنان فهو لا يزال يحتفظ بالجنسيتين: اللبنانية والمصرية، على غرار عدد لا بأس به من مهاجري الشوام إلى مصر لكن ابنتيه لا تشاطرانه الحنين سواء استقرت الأوضاع في لبنان أو لم تستقر.

(٦) **مقابلة مع السفير الدكتور حليم سعيد أبو عز الدين**، بيروت في ١٢ تموز (يوليو) ١٩٨٣.

من مواليد العبادية ـ جبل لبنان لعام ١٩١٣ ـ ترتبط أسرة أبو عز الدين بمصر عبر علاقات قديمة تعود إلى أواسط القرن التاسع عشر وتمت عقود زواج بين أفراد من هذه الأسرة وسيدات مصريات أو شركسيات كن يقمن في مصر. جده لأبيه، الشيخ منصور أبو عز الدين، زار مصر وأقام فيها بشكل متقطع في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. وعمه سليم منصور أبو عز الدين أمضى كامل حياته في مصر وعمل في وظائف حكومية وفي إدارة مؤسسات خاصة. فقد شغل مركز مدير للمطبوعات في الحكومة المصرية وبقي في منصبه حتى أواسط الثلاثينيات من هذا القرن وهو من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت. وهناك أيضًا فريد مصطفى أبو عز الدين، ابن عم سليم، وكان محررًا «بالمقطم».

ولد أبوه، سعيد منصور أبو عز الدين في العبادية وأنهى دراسته في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأمريكية) ونال (B.A) بالآداب ثم سافر إلى القاهرة فالسودان حيث عمل قرابة ربع قرن (١٩٠٢-١٩٢٧). وعلى هذا الطريق سار عدد وافر من الأعمام والأخوال: دراسة في الكلية الإنجيلية ثم سفر إلى القاهرة ومنها إلى السودان حيث عملوا في وظائف وإدارات متنوعة ومنهم من بقي في جبل لبنان. يذكر في مطلع شبابه زياراته المتكررة إلى مصر والسودان سكن في السودان، في العشرينيات من هذا القرن، لمدة سنتين عند عمه سليم وفي معظم الأحيان كان أخوه نجيب أبو عز الدين يرافقه إلى هناك، كذلك يأتي أولاد عمه سليم إلى جبل لبنان للاصطياف عند أهلهم في العبادية.

كان الوالد سعيد يقرأ معظم المجلات والجرائد المصرية وله اشتراك دائم في بعضها وتفتحت عيناه على «الأهرام»، و«المقطم»، و«الهلال»، و«المقتطف»، و«اللطائف المصورة»، ثم «المصور»، و«كل شيء»، و«الاثنين» وغيرها. يقول حليم: «لم تكن مصر غريبة عنا إذ كنا نتابع أحداثها بشغف منذ أيام سعد زغلول حتى مصطفى النحاس، ومحمد محمود، وعلى ماهر وسواهم».

توطدت علاقات العائلة مع المصريين بشكل أوثق مع زواج عزيزة سليم أبو عز الدين من عثمان أباظة، أحد كبار موظفي الحكومة المصرية والذي أصبح وكيلًا لوزارة المالية المصرية وهو شقيق الكاتب المصري المعروف فكري أباظة.

لقد حصل تمازج كبير بين مسلمي الشوام والمصريين منذ القرن السابع عشر حتى الآن بسبب الرحلات البحرية الدائمة بين صيدا أو طرابلس وبيروت إلى دمياط أو الإسكندرية وغيرها. وتعزز ذلك التمازج بالزواج حيث ما زالت أعداد كبيرة من العائلات الشامية تسكن المدن المصرية أو بالعكس. فآل الجسر في طرابلس كانوا من دمياط في مصر وذلك تبعًا لرواية الشيخ حسين الجسر نفسه. وبيت المغربي من مراكش. وانتقل قسم منهم إلى طرابلس أو دمشق. وفي بيروت عائلات مغربية ومصرية كثيرة. كذلك أسرة الرافعي الشهيرة في مصر هي من طرابلس الشام.

وكان للعامل الطائفي دور في زواج الشوام والمصريين والمغاربة ولم يندمج الشوام المسيحيون، لأسباب متعددة ذاتية وموضوعية ودينية، في المجتمع المصري. كان تعبير «الشوام» يطلق على الجميع دونما تمييز في الدين أو الطائفة. وهو اصطلاح تاريخي ولغوي وجغرافي صحيح لأن العرب أطلقوا اسم الشام على كل الديار الممتدة من طوروس إلى العريش في مصر ومن البحر المتوسط حتى الصحراء العربية أو بادية الشام. وحتى مرحلة ما بين الحربين العالميتين كان السوريون واللبنانيون والفلسطينيون والأردنيون يلقبون بالشوام، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين، عربًا أو من الأقليات التي تقطن تلك المنطقة.

كان مهاجرو الشوام قد تعرضوا فيها لأنواع مختلفة من الضغوط الاقتصادية والسياسية وغيرها فكانت الهجرة إلى مصر مخرجًا للضيق الذي عاناه سكانها في ظل الحكم العثماني وتحقيقًا لطموح اللبناني أو السوري في الثروة والنفوذ بالإطاحة إلى إمكانية التعبير عن الرأي بحرية، ولو نسبية وكانت الصحافة اللبنانية أو السورية في مصر تعد مفخرة للشوام وللمصريين ولسائر العرب التقدميين على السواء. ولمعت أسماء كبيرة في سماء مصر، منهم من بقي شاميًا ومنهم من تمصر واندمج في المجتمع المصري كالمؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي، الوزير المشهور وأحد مؤسسي الحزب الوطني، وأمين الرافعي المؤرخ المعروف، والأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي، والسيد الإمام رشيد رضا، وشاعر

القطرين خليل مطران، والصحافي أنطون الجميل، والصحافي داود بركات وغيرهم الكثير، وللدكتور حليم أبو عز الدين مذكرات هامة نشرت بجزءين كبيرين بعنوان: **تلك الأيام**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢.

(٧) مقابلة مشار إليها سابقا مع الدكتور فؤاد صروف.

(٨) الدكتور خليل صابات، مقابلة مشار إليها سابقًا.ومن الطرائف التي يرويها الدكتور خليل في هذا المجال أن والده استقدم معه ذات مرة خادمة لبنانية من قرية مرحبا حيث كانوا يصطافون وكان اسمها «لوكندة» وهي كلمة مصرية عامية تعني الفندق، ونظرًا لغرابة الاسم لدى المصريين أسموها «حنة».

(٩) الرئيس تقي الدين الصلح، مقابلة مشار إليها سابقا.

(١٠) يراجع **كتابنا الاستقلال، الصيغة والميثاق**، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤.

(١١) مقابلة مع الدكتور خليل صابات مشار إليها سابقًا.

(١٢) مقابلة مع المطران كامل مدور مشار إليها سابقًا.

(١٣) مقابلة مع الأب إلياس أبي خير مشار إليها سابقًا.

(١٤) الأب الدكتور **جورج شحاتة** داود القنواتي، رئيس معهد الآباء الدومينيكان بالقاهرة، من أسرة تعود بجذورها إلى جهات حمص حيث ولد الأب شحاتة أو شحادة قنواتي، وإلى دمشق لجهة الأم حيث ولدت ماري طوا في مدينة دمشق ووالدتها من أسرة بنّوت الدمشقية. هاجر الأب إلى مصر للعمل التجاري واستقر في مدينة الإسكندرية حيث ولد جورج قنواتي في ٦ حزيران (يونيو) ١٩٠٥، وتعلم في مدارس الفرير فيها وأكمل دراسة اللاهوت في الخارج، تمتاز آراؤه بدقة العالم المدقق، والباحث الموضوعي، والتشديد على الجوانب التي تغني البحث العلمي. أجرينا معه مقابلة مطولة في مركز الآباء الدومينيكان بالعباسية في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

يقول الدكتور جورج قنواتي: إن صورة الشامي في ذاكرة المصري في الإسكندرية خلال مئة سنة وأكثر هي صورة «الخواجا» أو الأجنبي فعلا والعربي لفظا ولو تكلم دومًا مزيجًا من العربية واللغات الأجنبية. إنه يشبه المصري في كل شيء لكنه يرتبط مع الأجانب من ارتباطه مع المصريين. يسترجع الأب قنواتي نقاشات حادة مع أبناء الجالية السورية ـ اللبنانية في الإسكندرية، ويستنتج أن معظمهم لم يفكروا أبدًا بمآسي مصر وبطموحات شعبها. كانوا نفعيين إلى أقصى حد، فجيوبهم تتحكم بأقوالهم وأفعالهم معًا. كانوا يشككون بجنسيتهم المصرية وبجدية انتمائهم إليها حتى بعد حصولهم عليها فالمصري، برأيهم، نوعان: إما مسلم تقليدي أو قبطي متمصر نسي أن يقوم بالدور «الحضاري» الذي قام به مسيحيو الشوام في سوريا ولبنان. ومن تمصر من مسيحيي الشوام كان، في الغالب، يفتش عن جنسية أخرى لأن الجنسية المصرية، برأيه، غير كافية. فنال بعضهم الجنسية اللبنانية أو السورية أو الكندية وسواها إلى جانب الجنسية المصرية. أما من تمصر من المسلمين الشوام، خاصة أبناء الرعيل الأول والثاني فكان صادقًا في ولائه لمصر كأسرة آل الرافعي وآل الأطرش وغيرهما، وفيما بعد انتقلت العدوى إلى الجيل الأخير من المهاجرين المسلمين الشوام في مصر فنالوا جنسيتين وبات ارتباطهم بمصر نفعيًا لا أكثر. هكذا أثبت مهاجرو الشوام، على الرغم من تعدد طوائفهم، أنهم يضعون المصلحة الاقتصادية فوق كل اعتبار فحامل الجنسية المزدوجة يعتقد أنها الضمان الأفضل لمصلحته ولمستقبل أبنائه ولكنها، على الصعيد العملي، تبعد حامليها عن الانتماء الحقيقي لأية جنسية وبالتالي لأي وطن.

(١٥) مقابلة مع **الأستاذ** شارل **الشميل**، الإسكندرية، في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

من مواليد الإسكندرية لعام ١٨٩٥، الوالد رشيد خليل الشميل من كفر شيما في جبل لبنان والوالدة سيسيل قطة، مولودة في الإسكندرية لأسرة شامية مهاجرة إلى مصر ومعروفة في أوساط المهاجرين. زواج رشيد الشميل من سيسيل قطة يندرج في إطار تزاوج الشوام التقليدي أي داخل طائفة الروم الكاثوليك من المهاجرين الشوام في مصر.

جاء رشيد الشميل إلى مصر للالتحاق بأعمامه فيها حيث كانوا يمارسون تجارة القطن في الإسكندرية وليفربول وكان عمه أمين الشميل من كبار تجار القطن بين مصر وإنجلترا. فهجرة هذه العائلة إلى مصر هي هجرة قديمة، ويعتقد شارل الشميل أنها ترقى إلى مطالع القرن التاسع عشر. وصل رشيد الشميل إلى الإسكندرية وله من العمر ٢٣ سنة فقط، وشغل مركز وكيل لأعمامه في تجارة القطن في الأرياف المصرية. كان على جانب لا بأس به من الثقافة ولم يستقر في العمل التجاري بل وجد الفرصة السانحة عندما قدم بشارة تقلا إلى الإسكندرية وأسس فيها جريدة «الأهرام» واختار رشيد الشميل أول مدير لها بعد أن عرف كفاءته العلمية حيث كان من أبرز خريجي المدرسة البطريركية في بيروت وابن شقيق الفيلسوف المشهور شبلي الشميل. وعندما انتقلت «الأهرام» من الإسكندرية إلى القاهرة إثر أحداث ثورة أحمد عرابي فضل رشيد البقاء في الإسكندرية إلى جانب عائلته، كانت فكرة العمل في الصحافة قد استحوذت عليه فأسس جريدة «البصير» بالإسكندرية وكانت تعني بشئون التجارة والمال والاجتماع.

جاء رشيد الشميل الصحافة من العمل التجاري ولم يجمع ثروة كبيرة على الرغم من أن جريدة «البصير» نالت شهرة واسعة في مدينة الإسكندرية وانتقلت إدارتها إلى ابنه شارل الذي انضم إلى الجريدة بسن مبكرة عام ١٩١٤، واستمر فيها إلى أن توقفت عن الصدور عام ١٩٦٢. استمرت جريدة «البصير» ثلاثة أرباع القرن في الصدور، وهي فترة زمنية طويلة لا تصل إليها إلا الجرائد التي نالت تمويلًا جيدًا وشهرة سياسية واجتماعية في أوساط قرائها.

تعلم شارل الشميل في مدرسة الفرير (Frères) بالإسكندرية ثم في مدرسة (Victoria Collège) بالإسكندرية أيضًا ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين المسماة مدرسة القديس فرنسوا (Saint-François Xavier) وحصل على البكالوريا عام ١٩١٣. جاءت دراسة شارل الشميل في مرحلة بدأ فيها المهاجرون اللبنانيون يعلمون أبناءهم في مدارس مصر مع استمرار الأغنياء منهم بإرسال أبنائهم إلى مدارس بيروت أو الخارج. وكان لشارل الشميل شقيق واحد وشقيقتان نالوا دراستهم جميعًا في المدارس المصرية ولم يتعاطوا العمل الصحافي.

صدرت جريدة «البصير» في البداية بأربع صفحات ثم تطورت إلى ست صفحات ثم إلى ثمانية وهي جريدة يومية تناولت قضايا القطن والأوراق المالية كامبيو (Cambio) وحركة بورصة الإسكندرية وحركة الأسهم،وحركة ميناء البصل. وكانت تصدر ملحقًا أدبيًا وآخر يهتم بالشئون الاجتماعية،نظرًا لاهتمامات هذه الجريدة بالشئون المالية والتجارية، عاصر شارل نسيبه الدكتور شبلي الشميل وعرفه عن قرب لكنه لم يتأثر بأفكاره الإصلاحية والسياسية والفلسفية وذلك بسبب غلبة النواحي المالية والتجارية التي يتطلبها العمل بالجريدة، فاستحوذت تفكيره وأوقاته، وبقي عازبًا. وعلى الرغم من العمر المديد الذي يتمتع به الأستاذ شارل الشميل فلا يزال في العمل الصحافي بالإسكندرية يداوم في مكتبه ويمارس الكتابة اليومية والترجمة عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية يمتلك ثقافة موسوعية جيدة وله آراء واضحة وجريئة في كثير من المشكلات التي عاشها مع مهاجري الشوام في مصر طيلة القرن العشرين.ومن موقع عمله الصحافي بالإسكندرية كانت له إطلالة ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية واسعة ولا يزال يحظى بكل تقدير واحترام.

نشر بحثًا ممتازًا عن صحافة الإسكندرية صدر في كتاب **مجتمع الإسكندرية عبر العصور** الذي نشرته كلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧٥، وذلك بالتعاون مع الجمعية التاريخية المصرية.

(١٦) مقابلة مع منير محمد حسن، رئيس عمال النادي السوري بالإسكندرية، الإسكندرية، في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

المقابلة مع الشيخ منير محمد حسن ذات أهمية خاصة نظرًا للعفوية وصدق المعلومات التي عايشها فهو من مواليد بلدة «عافية» في مديرية أسوان عام ١٩٠٢. عمل في النادي السوري بالإسكندرية منذ تأسيسه عام ١٩١٧، كخادم بسيط وغير ثابت فيه حتى عام ١٩٤٢، حين دخل العمل رسميًا بالنادي وما زال يرافقه حتى الآن على الرغم من تبدل اسمه من النادي السوري بالإسكندرية إلى نادي الإسكندرية.

تعرفنا عن كثب على قاعات النادي وأثاثه القديم الفاخر وأماكن الحفلات الضخمة التي كانت تقام فيه وكلها وثائق تثبت بالعين المجردة أن فئة من كبار أغنياء الإسكندرية، ومن جنسيات مختلفة، أمت قاعات هذا النادي وشاركت في حفلاته الفنية والثقافية والترفيهية. إنه الشاهد الباقي على الغنى الذي أصابه الشوام في الإسكندرية فجعلوا قاعات النادي حكرًا على فئة عربية غنية ذات تقاليد متفرنجة وتتكلم لغات أوربية عديدة تحت سقف النادي أكثر من تخاطبها باللغة العربية، لغة البلد الذي جمعت فيه ثرواتها الطائلة.

والشيخ منير محمد حسن كان على مقربة من ذلك الغنى الفاحش دون أن يناله منه سوى الفتات من بقايا موائد القمار، والولائم، وأبواب السيارات الفخمة.

إنه نموذج حي على خدم البورجوازية الكبيرة الذين يشاهدون التحف الثمينة في بيوت أسيادهم، ويطبخون لهم الطعام ويقدمونه في الأواني الذهبية والفضية، ويقودون سياراتهم الفاخرة، ويقفون على أبواب قصورهم الفخمة فتبقى لهم الذكريات فقط.

تبدلت عليه وجوه كثيرة: من كان غنيًا فأصبح فقيرًا وفقد ثروته على موائد القمار وفي المضاربات وغيرها فحرم العودة إلى النادي أو غادر الإسكندرية، ومن كان فقيرا فاغتنى في صفقة وأصبح من رواد النادي، بقي منير محمد حسن شاهدًا على تبدل الأغنياء وتحول جنسية رواد النادي، لكنه ثابت في مكانه لا يتغير كثيرًا فينسب ذلك إلى القدر والإرادة الإلهية التي تعطي لكل إنسان نصيبه في هذه الدنيا.

تتنوع المقابلة كثيرًا لأن منير محمد حسن شاهد بأم العين شخصيات كبيرة دخلت النادي منذ تأسيسه وغادرت الدنيا إلى مثواها الأخير أو غادرت الإسكندرية إلى مناطق أخرى من العالم لا ينسب لنفسه أشياء لم يقم بها فلا يدعي مثلًا أنه تبادل الأحاديث مع هذه الشخصية أو تلك، ولا سمع ما كان يدور في صالات النادي وغرفه بل يكتفي بالانطباع العام الذي تولد لديه بعد هذه الخبرة الطويلة في النادي.

شكل النادي، ولفترة طويلة، دولة ضمن الدولة لأن أعضاءه من كبار أغنياء الإسكندرية كالكونت صعب صاحب الأملاك الواسعة في المنصورة وكانت له جريدة تصدر باللغة الفرنسية اسمها «جريدة مصر» **(Journal d'Egypte)**.

وكان أول رئيس للنادي خليل باشا خياط، المليونير الشهير وصاحب الشارع باسمه حتى الآن في الإسكندرية. كان من أعضاء النادي البارزين الذين عرفهم منير حسن شخصيًا الدكتور شرابية، والدكتور كساب، وإميل قنواتي، وعدة أفراد من آل دبانة الذين أسسوا بمفردهم كنيسة كبيرة في

الإسكندرية ما زالت تعرف باسمهم. من أعضاء النادي أيضًا أيوب باشا مدير الجمارك بالإسكندرية، وابنه شارل أيوب المستشار في وزارة الحقانية المصرية (العدل)، والمحامي جرجي أيوب، وعدد من آل رباط خاصة الجد سليم رباط والأب جرجس رباط والابن سليم رباط وكانوا وكلاء شركات كبيرة للأدوات المنزلية والكهربائية. ومنهم إميل لطف الله صاحب الأملاك الواسعة، وعائلة هندي، ومنها إسكندر وجرجي وميشال، وكانوا من كبار محتكري تجارة البصل المصري وعائلة عماد، خاصة إلياس ونايف، أصحاب الصناعة والتجارة الواسعة خاصة تجارة الزيت وصناعة الصابون. وعائلة دهان ومنها الطبيب المشهور جدا بالإسكندرية ريمون دهان، وهو طبيب أسنان. وعائلة سكر ومنها ألبير وأنطون سكر ولهما أملاك واسعة في الإسكندرية، خاصة في وسط المدينة وعائلة توتونجي الحلبية ومن أفرادها كبار تجار الحديد والذهب والبورصة. وألبير خلاط، وكيل البواخر البحرية وسليم وسمعان صيدناوي أصحاب أكبر محلات للملابس الجاهزة والعطورات الأوربية في مصر. وآل خياط أصحاب وكالة بحرية في شارع السلطان حسين وسمعان كرم وابنه جوزف، وأسعد باسيلي وهم من كبار أغنياء الإسكندرية ويلقبون بملوك الخشب.

هكذا تبدو اللائحة طويلة وتمتزج أسماء العائلات الغنية بين القاهرة والمنصورة والإسكندرية وأسيوط وطنطا وسواها مرد ذلك إلى أن الإسكندرية كانت مركز اصطياف هام لأغنياء الشوام في مصر فكانوا يرتادونها سنويا لتمضية فصل الصيف على شواطئها، يروي انطباعاته بكثير من الود كتعابير الرحمة على الأموات دون أن ينسى كيف يضمِّن تلك الانطباعات الكثيرة من اللوم أو العتاب أو النقمة الدفينة التي احتفظ بها كثير من المصريين ضد عدد وافر من الشوام الذين نظروا بازدراء شديد إلى جماهير الشعب المصري. فهؤلاء الأغنياء كانوا، في الغالب، مرتبطين بالفرنسيين وبالإنجليز، وذلك على حساب الأماني الوطنية للشعب المصري كانوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الخاصة ليتربوا تربية أوربية في مدارس سان ميشال (Saint Michel) وسان مارك (Saint Marc) كانت هناك أعداد كبيرة من التجار الشوام لكن قلة صغيرة منهم فقط نالت ثروات ضخمة وكان معظم أعضاء النادي من تلك الفئة بالذات. يتقدم العضو الجديد بطلب ترشيح للدخول إلى النادي فيدرس من قبل الهيئة الإدارية وتمضي فترة زمنية، طويلة أحيانًا، قبل الإجابة بالقبول أو بالرفض ولا يقبل العضو الجديد إلا بتوصية اثنين من أعضاء الهيئة الإدارية وموافقة الهيئة التنفيذية، فالانتساب إلى النادي مسألة صعبة ولم تكن مفتوحة أمام جميع أفراد الجالية الشامية بالإسكندرية بل أمام كبار الأغنياء منها وأصحاب الشهرة الاجتماعية من أطباء ومهندسين ومحامين وصيادلة وشعراء ومسرحيين وغيرهم.

ولا يعتقد منير حسن أن باب الانتساب للنادي كان مفتوحًا أمام أغنياء المصريين أو الأوربيين وإن كان حضورهم إلى النادي أمرًا عاديًا في معظم أيام الأسبوع وبقي ذلك النظام معمولًا به حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ أغنياء المصريين يدخلون النادي الذي انفتح على الجنسيات الأخرى في حين رفعت اقتراحات عديدة لتوسيع قاعدة المنتسبين إليه في فترات سابقة أبرزها الاقتراح الذي تقدم به الزعيم السوري شكري القوتلي، رئيس الجمهورية لاحقًا، لتبديل اسم النادي وتسميته بنادي الشرق فرفض الاقتراح واستمر النادي باسم «النادي السوري بالإسكندرية».

للتدليل على نفوذ أعضاء النادي قبل الحرب العالمية الثانية يقدم منير حسن نموذج إسكندر هندي، التاجر المشهور ومحتكر تجارة البصل المصري الذي أمر بإشعال الأنوار في النادي وإقامة حفلة سمر ورقص وقمار في عيد ميلاده حين كانت الغارات الجوية تقصف مدينة الإسكندرية.

ولا ينسى منير جو الرعب الذي ساد عمال النادي المصريين في حين كان السرور باديًا على وجوه أعضاء النادي وكأنهم على قناعة تامة بأن الحفلة ستمر بسلام. حصل ذلك بالفعل «لأن المسألة مدروسة ومدبرة» كما يعتقد منير حسن بسبب العلاقات الوثيقة بين تجار الشوام وكبار ضباط الإنجليز الذين حضروا جانبًا من الحفلة وهذه الذكريات على جانب كبير من الطرافة والدلالة معًا يرويها مواطن عادي عاش أيام الذعر والخوف، حين كان الأغنياء يمارسون هواياتهم المفضلة على موائد اللهو والقمار.

تتلخص نظرته الشخصية لدور الشوام في الإسكندرية على الشكل التالي: كانت العلاقة بين اللبنانيين والسوريين من جهة والشعب المصري من جهة أخرى عادية وتسودها روح المحبة والتفاهم. وكانت للشوام جمعيات خيرية كثيرة لعبت دورًا في توزيع بعض المعونات على فقراء المصريين. وقد نظم النادي أو نظمت فيه حفلات كثيرة لجمع التبرعات العينية والمالية للفقراء من كافة الطوائف خاصة من طوائف الشوام المسيحية، وهناك تمييز واضح بين اللبنانيين والسوريين في الإسكندرية على الرغم من تسميتهم جميعًا بالشوام. اشتغل معظم السوريين بالصناعة، خاصة صناعات النسيج والغزل، في حين عمل اللبنانيون، بشكل أساسي، في القطاع التجاري والخدمات. وكانت معظم أعضاء النادي من الشوام المسيحيين مع نسبة ضئيلة من اليهود والمصريين لكن الهيئة التنفيذية فيه كانت حكرا على الشوام. بعض شوارع الإسكندرية ما زالت تحتفظ بأسماء أعضاء في النادي مثل خليل خياط، ودبانة بالإضافة إلى شارع صيدا، وشارع حلب، وساحة الشوام ذات الشهرة الكبيرة جدًا والتي يزورها غالبية القادمين إلى الإسكندرية.

كانت تلك انطباعات عامل في النادي السوري بالإسكندرية حول فئة من أغنياء الشوام خدمها قرابة نصف قرن ولم يجرؤ على الكلام أمامها فأفسحت له هذه الدراسة مجال التعبير عن رأيه فيها. احتفظ بالكثير الكثير لنفسه فقد اعتاد السكوت نتيجة الخوف من ضياع لقمة العيش. ثم تمصر النادي منذ سنوات طويلة وكان عزاء منير محمد حسن أنه أصبح رئيس العمال فيه وما زالت ذاكرة ابن الثمانين تتسع لمزيد من أعضاء النادي.

(١٧) Georges NACCACHE, Un rêve libanais, Beyrouth, 1983.

(١٨) الأب قنواتي، مقابلة مشار إليها سابقا.

(١٩) الإرشمندريت يوسف سكرية الوكيل البطريركي لطائفة الروم الكاثوليك بالإسكندرية، مقابلة بالإسكندرية.

ولد يوسف روفائيل سكرية في الإسكندرية عام ١٩١٨، لأسرة دمشقية مهاجرة إلى مصر منذ القرن التاسع عشر. وهناك صلة قرابة رحمية عائلية بين الأب والأم أي تزاوج من داخل العائلة والطائفة والمدينة على غرار زواج الشوام في تلك المرحلة كان الجد، جبران سكرية صائغا في مدينة دمشق ثم هاجر منها إلى الإسكندرية حيث ولد ابنه روفائيل سكرية وتعلم فيها الدروس الابتدائية ثم أكمل دراسته في المدرسة البطريركية الكاثوليكية في بيروت وفي الجامعة الأمريكية وبقي فيها حتى نال شهادة الصيدلة وعاد إلى الإسكندرية للعمل. في تعلم الصيدلي روفائيل سكرية الكثير من السمات العامة لأبناء المهاجرين الأوائل الذين أرسلوا أبناءهم إلى بيروت لتلقي العلم في مدارسها ثم العودة إلى مصر لممارسة العمل والاستقرار النهائي. لكن المرحلة التي ولد وترعرع فيها الأب يوسف سكرية في الإسكندرية ما بين الحربين العالميتين شهدت سمات أخرى في حقل التعليم حيث تقلصت، إلى

حد كبير، أعداد أولاد المهاجرين الشوام الذين جاءوا للتعلم في مدارس بيروت وجامعاتها لأن المدارس والجامعات والمعاهد المصرية باتت تفي بهذه الغاية وتستكمل الدراسات العليا في الجامعات الأوربية وغيرها. نال الأب سكرية دراسته الابتدائية والتكميلية في مدارس الفرير بالإسكندرية ثم درس اللاهوت في روما وتنقل في مؤسسات رعوية كاثوليكية عديدة قبل استقراره كوكيل بطريركي لطائفة الروم الكاثوليك في الإسكندرية منذ عام ١٩٧٨ حتى الآن.

(٢٠) الدكتور أسعد سلهب، مقابلة مشار إليها سابقًا.

(٢١) حول الدور السياسي للشوام في مصر تراجع الكتب التالية:

- رفعت السعيد، **ثلاثة لبنانيين في القاهرة**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٣.
- إلياس زخورا، **السوريون في مصر**، جزءان، القاهرة، ١٩٢٧.
- سليم سركيس، **الأمراء آل لطف الله**، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٢٤.
- رئيف خوري، **الفكر العربي الحديث**، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٣.
- محمد دكروب، **جذور السنديانة الحمراء**، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٤.

(٢٢) الدكتور خليل صابات، مقابلة مشار إليها سابقًا.

(٢٣) الرئيس تقي الدين الصلح، مقابلة مشار إليها سابقًا.

(٢٤) كانت «الأهرام» ملتقى الكثير من الشخصيات السياسية والفكرية في مصر، من شوام ومصريين على السواء. وكانت مكاتبها تشهد يوميًا اجتماعات على جانب كبير من الأهمية لرصد اتجاهات السياسة في مصر والمشرق العربي. كانت أبرز شخصيات الشوام التي كانت تؤم «الأهرام» دون انقطاع، والتي تعرف إليها نجيب كنعان عن كثب، هي التالية:

- داود بركات: كان رئيسًا لتحرير الأهرام. ماروني من بلدة يحشوش اللبنانية، اعتبر، لسنوات طويلة من الشخصيات الصحافية ذات النفوذ الواسع في السياسة المصرية. أحب مصر كثيرًا وتمسك بقوميته العربية حتى آخر لحظة في حياته. ويؤكد نجيب كنعان أن داود بركات قد لعب دورًا فاعلًا في نشأة جامعة الدول العربية ويصل إلى القول إن هذه الجامعة ولدت، أول ما ولدت، في مكاتب «الأهرام». أثبت هذا الماروني، القادم من جبل لبنان عام ١٩٠٧، والذي استقدم عددًا من أشقائه فيما بعد للعمل في مصر، أنه أكثر تمسكًا بقوميته العربية من أية شخصية سياسية أو فكرية كانت معاصرة له. بقي عازبًا.
- أنطون الجميل: كان أديبًا معروفًا أكثر من كونه صحفيًا ولد في بكفيا وجاء مصر ما بين (١٩١٠-١٩١١)، بعد أن تلقى دروسه في مدرسة الحكمة في بيروت عمل في «الأهرام» لفترة طويلة. عين عضوًا في مجلس الشيوخ المصري ورئيس لجنة الموازنة في وزارة المالية المصرية. وفي عام ١٩٣٢ حصل خلاف سياسي بين صاحب «الأهرام»، جبرائيل تقلا، ورئيس تحريرها، داود بركات، فتنحّى داود بركات وعين مكانه أنطون الجميل الذي لعب دورًا بارزًا في مسيرة «الأهرام». تجنس بالجنسية المصرية وبقي عازبًا أحب مصر كما أحب لبنان وكان يدعو باستمرار إلى تمتين العلاقات بين البلدين الشقيقين. له مقالات وخطب كثيرة توضح اتساع ثقافته وكان مكتبه في الأهرام يستقبل يوميًا شخصيات مصرية، سياسية وثقافية، على جانب كبير من الشهرة والنفوذ.
- عزيز مرزا: ماروني الأصل من جبل لبنان، عمل في البداية مترجمًا خاصًا للملك فؤاد الذي لم يكن يتقن العربية جيدًا فكان يلخص له الجرائد المصرية يوميًا. كان كاتبًا عاديًا له باع طولى له في الصحافة والثقافة تولى رئاسة تحرير «الأهرام» بالنيابة عام ١٩٤٧، وذلك بعد وفاة أنطون الجميل، وتعين معه،

في الوقت نفسه، محمد الصاوي، كأول تجربة لتعيين مصري وشامي معًا في رئاسة تحرير «الأهرام» لكن أصحاب «الأهرام» أوكلوا إلى نجيب كنعان إدارة التحرير عام ١٩٤٨، واستمر فيها حتى عام ١٩٥٧، حين عين محمد حسنين هيكل لرئاسة تحرير «الأهرام» وذلك قبل سنوات قليلة من تأميمها وتمصيرها.

ومن الشخصيات الثقافية التي كتبت كثيرًا في «الأهرام» يشدد نجيب كنعان على ذكر توفيق اليازجي، الأديب الشامي الذي رئس القسم الخارجي في «الأهرام» وكانت زوجته لبنانية والأديب اللبناني الكبير أسعد يوسف داغر، الذي حل مكان توفيق اليازجي في رئاسة القسم الخارجي في الأهرام منذ عام ١٩٣٢، وهو ماروني من تنورين. وإسكندر كنعان صباغ وهو من مهاجري الشوام الذين كانت لهم شهرة كبيرة في مصر، خاصة في «الأهرام»، وكان من أبرز المترجمين فيها عن اللغة الفرنسية.

لقد برز المهاجرون الشوام في مصر على كافة المستويات، فكان منهم كبار التجار والصحافيين والأطباء والمهندسين وأصحاب الأراضي وسواهم. ولعبت أسرة آل لطف الله دورًا هامًا في الحركة الوطنية المصرية والعربية. وكانت ذات أملاك واسعة ونفوذ سياسي كبير. وكان فندق ماريوت (Mariott)، الذي دشن في القاهرة في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢، ويعتبر أكبر فنادق مصر الآن أحد قصور آل لطف الله. تعود تلك العائلة بجذورها إلى طرابلس الشام وتنتمي إلى الطائفة الأرثوذكسية، لكنها انتهت بشكل مأساوي كأسرة تقلا فآخر أفرادها، حبيب ميشال لطف الله، غير متزن عقليًا لم يتزوج وله قصص طريفة عندما حاول أن يقتحم، على رأس بعض فلاحيه، «سجن طرة» في القاهرة لإنقاذ أحد أصدقائه، فاعتقل وجرت محاكمته. وكان مصير آل سرسق وبسترس مشابهًا أيضًا ولم يبق سوى أحد أفراد آل سرسق في الإسكندرية. ومن اللبنانيين البارزين السيد نبيل البستاني، نجل الدكتور عبد الله البستاني، الذي أسس شركة البستاني للسجائر في القاهرة ورئيس الجمعية الخيرية المارونية لسنوات طويلة. لكن الحكومة المصرية أممت شركته فتحولت إلى «شركة النصر للدخان والسجائر». وهناك فئات كثيرة من أبناء الجيل الثاني من مهاجري الشوام إلى مصر غادروها إلى الخارج بعد التأميم.

ويشير نجيب كنعان إلى شارع في شبرا القاهرة باسم اليازجي تكريمًا للشيخين ناصيف وإبراهيم اللذين سكنا القاهرة واشتركا في تحرير مجلات كثيرة وكانا أديبين أكثر منهما صحفيين. وهناك عائلة الرافعي الطرابلسية الإسلامية المشهورة ومنها المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي وأخوه الأديب الكبير أمين الرافعي. وقد اندمجت الأسرة نهائيًا في المجتمع المصري لأن المسلم من الشوام يعتبر نفسه مصريًا عاديًا فور وصوله إلى أرض مصر، في حين كان المسيحي من الشوام يسمى «خواجا» على الرغم من حصوله على الجنسية المصرية وهناك عوامل عديدة، يقول نجيب كنعان، جعلت المصريين يشككون بصدق انتماء المسيحيين الشوام إلى المجتمع المصري ولم ينفع إخلاص البعض منهم لنفي هذه التهمة.

يقول: «يحز في النفس كثيرًا اعتبار المسيحيين الشوام دخلاء في بلادهم مصر بعد أن اختاروا الجنسية المصرية عن قناعة تامة ودونما تردد وهم لا يرغبون التخلي عنها لأي سبب كان. لكن ما العمل؟ فزوجتي مصرية وتعود جذور عائلتها إلى ثلاثة قرون من السكن في أرض مصر، وما زال البعض يعتبرها أجنبية لأن اسمها رينة».

بالإضافة إلى ذكريات نجيب كنعان حول الأهرام وآل تقلا استندنا إلى جريدة «الأهرام»نفسها

وإلى **مجلة الهلال**، السنةالرابعة، الجزء الأول، الصادر في أول أيلول (سبتمبر) ١٨٩٥، وفيه دراسة عن مؤسس «الأهرام» سليم تقلا، صفحات (٨٢ ـ ٨٥)، وإلى كتاب إبراهيم عبده **أعلام الصحافة العربية**، الصادر في القاهرة، ١٩٤٤؛ وإلى مصادر ومراجع متفرقة، شفوية ومكتوبة.

(٢٥) مقابلة مشتركة مع الدكتور **لطفي عبد العظيم**، رئيس تحرير «الأهرام الاقتصادي»، والدكتور **محمد علي رفعت**، الذي رافق الأهرام وكتب فيها منذ عام ١٩٣٢، القاهرة، في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢.

تختلف هذه المقابلة عن المقابلات مع الشوام في مصر بأشياء كثيرة. فهي مع مصريين ولم تتناول تاريخهما الشخصي، وتكونهما الثقافي، وهويتهما السياسية، وتزاوجهما، وأولادهما... إلخ. بل حاولنا الاستفادة من رجلي علم مصريين، شاركا وما زالا يشاركان في «الأهرام» منذ زمن بعيد. والدكتور محمد علي رفعت من مواليد ١٩٠٩، دكتور متخصص في علم الاقتصاد وشغل مناصب إدارية هامة أبرزها الأمين العام للهيئة الأفرو ـ آسيوية للتعاون الاقتصادي عمل كأستاذ جامعي في التدريس لعدة سنوات وفي أكثر من جامعة عربية، كما تولى مدير عام الاستيراد في وزارة المالية المصرية. له مقالات اقتصادية عديدة أبرزها في «الأهرام» حيث تعود علاقته بها إلى عام ١٩٣٢. عرف أنطون الجميل عن كثب، وعايش عزيز مرزا، وكانت له صداقات واسعة معهما ومع كثير من الاقتصاديين والسياسيين والإداريين المصريين من أصل شامي.

الدكتور لطفي عبد العظيم، أيضًا دكتور في الاقتصاد وله علاقة وثيقة بالأهرام منذ سنوات طويلة تولى رئاسة تحرير «الأهرام الاقتصادي» منذ عام ١٩٦٥، ولا يزال يصدرها دون انقطاع.

كانت المقابلة في مكتب الدكتور لطفي عبد العظيم في «الأهرام الاقتصادي» مناسبة لتدقيق بعض الأسماء، وتصويب بعض الذكريات، ولإجراء مقابلة مطولة مع نائب رئيس تحرير «الأهرام الاقتصادي»، السيد نبيل صباغ، السوري الأصل ومن مواليد القاهرة، أي من أبناء الجيل الثاني من مهاجري الشوام إلى مصر.

(٢٦) مقابلة مع السيد **سعد زغلول محمود** حول تأميم شركة صيدناوي الشهيرة بالقاهرة وباقي المدن المصرية، القاهرة، ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤.

يعمل السيد سعد زغلول محمود مراقب مبنى شركة الملابس والمنتوجات الاستهلاكية بالقاهرة، التي تقع في ١٧ شارع قصر النيل، ميدان طلعت حرب. وهي المؤسسة الأم لشركة سليم وسمعان صيدناوي للألبسة الجاهزة التي طالتها قرارات التأميم المصرية. عمل والده، محمود رضوان، خادمًا في شركة صيدناوي لمدة ٤٥ سنة بوظيفة شيال أو حمال وبقي كذلك حتى نهاية أيام حياته.

وعلى الرغم من أن المبنى الحالي للشركة بات أوسع بكثير مما كان عليه أيام الأخوين صيدناوي فإن تلك المحلات عرفت الشهرة الكبيرة في جميع أرجاء مصر إذ كانت لها فروع عديدة في معظم المدن المصرية لبيع الألبسة الجاهزة والعطور الأوربية.

كانت الشركة تمتلك محلات في قصر النيل وفي الخزندار بالقاهرة وتوسعت فروعها إلى مدن الإسكندرية والمنصورة وطنطا وبور سعيد وأسيوط. كانت تقتصر في البداية على استيراد الألبسة الجاهزة والعطور من الخارج إلى مصر وما لبثت أن فتحت لها مصانع للألبسة النسائية والرجالية والولادية داخل مصر فكان مصنع الخازندار يضم قرابة خمسين عاملًا تنتج الثياب المصنوعة من الحرير والصوف والقطن. وجمع آل الصيدناوي ثروة طائلة وكانت لهم سمعة ممتازة في عالم التجارة

وكان الناس يطلقون عليهم تسمية «محلات الأناقة» أو «محلات العرايس»، أو «محلات الخواجات» أو «المحل الفرنسي»... إلخ.

تعرف سعد زغلول محمود شخصيًا إلى يوسف باشا الصيدناوي، صاحب الشركة، وشقيقه جورج صيدناوي، وابن عمهما إلياس بك صيدناوي وكلهم من عائلة واحدة لجد واحد جاء من صيدنايا في جوار دمشق، ومنهم من يقول جاء من صيدا بجوار بيروت. وفي مصر اشتهر الأخوان سمعان وإلياس صيدناوي بتجارة الألبسة الجاهزة وورث أبناؤهما تلك التجارة وتوسعوا بها كثيرًا وأصبحوا أسيادها الحقيقيين في كل مناطق مصر حتى إنه يندر وجود مصري واحد لم يسمع بهذه المحلات التي كانت دعاياتها تغطي الشوارع في معظم المدن المصرية وعبر وسائل الإعلام.

ونظرًا للغنى الكبير الذي أصاب أسرة الصيدناوي في مصر سارعت إلى القيام بأعمال خيرية تضمن لها السمعة الجيدة في أوساط جماهير الشعب المصري. فابتنوا من مالهم الخاص مستشفى دار الشفاء بالعباسية، وهو مستشفى مجاني أقيم في ميدان الريحاني، شارع إبراهيم باشا. وما لبث آل صيدناوي أن سلموها للحكومة فور اكتمال بنائها وتجهيزها وذلك أيام الملك فاروق وقبل التأميم بسنوات طويلة. يعتقد سعد زغلول محمود أن تلك البادرة كانت محض إنسانية وليست للدعاية أو الإعلان أو خوفًا من تهريب الثروة لأن تلك الفترة لم تشهد أي تضييق على حركة الرساميل الأجنبية والعربية داخل مصر فأسرة صيدناوي كانت على جانب كبير من الثروة والنفوذ وكانت لأفرادها قصور فخمة في القاهرة والإسكندرية ولم تكن بحاجة إلى الحماية لأن الاعتداء على أصحاب الثروات في مصر لم يكن أمرًا مألوفًا، وبالتالي لا يمكن تفسير ظاهرة بناء المستشفى إلا على أساس من العمل الخيري. وهناك فئة واسعة من أغنياء مصر، من مصريين وشوام وأجانب، ساهمت فعلًا في بعض المشاريع الخيرية بهدف إنساني محض كفتح المدارس المجانية، والمستوصفات، والملاجئ، والمآوي، والمشاغل، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية وغيرها.

عن أوضاع العمل داخل الشركة يذكر سعد زغلول محمود أن المراكز الأساسية فيها حتى التأميم بقيت بأيدي أسرة آل صيدناوي بالدرجة الأولى مع بعض أقربائهم الشوام المخلصين ثم تبدل الوضع جذريًا بعد التأميم حيث سيطر المصريون على الغالبية الساحقة، إن لم نقل جميع المراكز في هذه الشركة فهاجر آل صيدناوي، أو من تبقى منهم خارج مصر ويقال بأنهم عادوا إلى لبنان ثم غادروه إلى القارة الأمريكية. وليست هناك معلومات دقيقة حول تلك الهجرة لكن ظاهرة مغادرة الشوام لمصر بعد التأميم وتبدل الكادر الإداري العامل في المؤسسات التي كانوا يملكونها أمر مشابه ويمكن تعميمه على كثير من مؤسسات الشوام التي أممت في مصر.

ويذكر سعد زغلول محمود أن والده عمل ٤٥ سنة في الشركة وبقي حمالًا وأن إمكانية الترقي الوظيفي كانت شبه معدومة أمام المصريين لأن الشوام فيها احتكروا جميع المراكز الهامة، وكانوا جميعًا من الطوائف المسيحية.وكان لا بد من التأميم لأن المواطن المصري ينظر إلى السلع الجميلة المعروضة وليست له القدرة على شرائها، كما أن العامل ينتج الكثير منها ولا يحظى إلا بأجر زهيد. بعد التأميم أصبح سعد زغلول محمود مراقبًا لمبني الشركة في ١٧ شارع قصر النيل بالقاهرة ويقول: «لولا التأميم لبقيت ساعيًا للبريد طيلة حياتي كما بقي والدي حمالًا طيلة أيام حياته» وله خمسة أولاد يعملون في الشركة نفسها، ولهم وظائف هامة فيها.

الخاتمـــة

حول هجرة الشوام من مصر

عايش مهاجرو الشوام في مصر ولادة دول سوريا ولبنان وفلسطين وغيرها من دول المشرق العربي، ومعها ولادة الجنسية السياسية والحقوقية التي كان على مهاجري الشوام في مصر أن يختاروها تبعًا لاتفاقيات لوزان [١] وقانون الجنسية المصرية[٢] فشعروا في البداية بصعوبة بالغة في تحديد الاختيار النهائي للجنسية. وقد أحسنت الحكومة المصرية صنعًا بإفساحها المجال واسعًا أمام المهاجرين الشوام كي يقرروا، وبحرية كاملة، اختيارهم النهائي. فليس سهلًا على المهاجر اللبناني أن يتخلى عن وطنه الأم كي يندمج في مجتمع جاءه مهاجرًا بهدف جمع الثروة. وليس سهلًا عليه، بالمقابل، التخلي عن المجتمع الذي جاءه فقيرًا فأصبح فيه غنيًا وصاحب شهرة ونفوذ. وجاء القرار المصري السليم بالسماح للمهاجر اللبناني أو السوري بالاحتفاظ بالجنسيتين معًا. فهو لبناني المولد والمنشأ مصري النشاط والعمل المنتج. كان لهذا الحل الأثر الكبير في تمسك غالبية المهاجرين، على اختلاف طوائفهم وانتمائهم السياسي، بالجنسيتين معًا. فأحبوا مصر كحبهم للبنان. كان أبناء المهاجرين الشوام الذين لم يعرفوا لبنان إلا عن بعد وكحنين عاطفي لا أكثر، يميلون إلى مصر أكثر من ميلهم إلى لبنان.

لقد اعتبر كثير من المهاجرين اللبنانيين والسوريين مصر وطنا ثانيًا لهم بمثابة الوطن الأم لكن التجارب التاريخية التي مر بها لبنان منذ عام ١٩٢٠، حتى الآن وكثرة الاضطرابات الدموية الطائفية فيه، جعلت غالبية أبناء الشوام في مصر يميلون إلى تمتين روابطهم الثابتة في مصر كوطن نهائي لهم فمن الصعب على المراقب المحايد أن يقارن بين مصر، البلد المستقر والثابت الخطى في تطوره وانفتاحه، وبين

لبنان الذي يتعرض إلى مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية ضخمة تكاد تضعف ثقة أبنائه بأنفسهم. فالظروف التاريخية التي رافقت نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الآن حسمت مسألة انتماء المهاجرين اللبنانيين في مصر إلى جنسيتين لبنانية ومصرية وذلك لصالح الجنسية المصرية دون سواها. أما الحنين إلى الوطن الأم فيكاد يدفن في صدور من تبقى من أبناء الجيل الثالث لمهاجري الشوام إلى مصر دون أبنائهم.

وبعد نيل الاستقلال مباشرة قدم القاهرة عدد من الشخصيات اللبنانية أبرزهم سليم تقلا، وخليل الخوري، وتقي الدين الصلح، ويوسف سالم وحليم أبو عز الدين وغيرهم. وكانت الجالية اللبنانية هناك تقيم لهم الحفلات الكبيرة وتلقي الخطب السياسية والاجتماعية، ويشارك فيها عدد من الزعماء المصريين ولم يكن تمسك المهاجرين بجنسيتهم اللبنانية على حساب جنسيتهم المصرية بل كانوا يحاولون دومًا الجمع بين عواطفهم كلبنانيين ومصريين في وقت واحد. وإذا تعذر عليهم ذلك كان من الصعب على كثير من المهاجرين التنكر لموقعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي المصري، ويبدو أن هذه المسألة لم تكن مطروحة في سنوات (١٩٤٣ ـ ١٩٥٢)، فقد كان استقلال لبنان حديث العهد ولم تطمح الدولة اللبنانية إلى استعادة مهاجريها من الخارج لذلك لم يتبدل موقف اللبنانيين في مصر جذريًا من الدولة اللبنانية المستقلة ولم يحاولوا العودة إليها.

لقد استمر اللبنانيون في مصر يمارسون دورهم السابق دون أي تغيير يذكر وعملوا على توثيق علاقة مصر ولبنان عبر حركة الاصطياف التي نشطت كثيرًا من مصر إلى الربوع اللبنانية بعد عام ١٩٤٣، ولم تصدر الحكومة المصرية أية قرارات جديدة تفرض على اللبناني أو السوري الخيار النهائي للجنسية اللبنانية أو السورية أو المصرية دون سواها بل استمر الجمع بين الجنسيتين سنوات طويلة بعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢. ثم اتسع انفتاح لبنان الثقافي والتعليمي على مصر عما كان عليه قبل استقلال لبنان السياسي وذلك بسبب خروج الفرنسيين من المشرق العربي وتحول عدد هام من الطلاب باتجاه الجامعات والمعاهد المصرية[٣].

وقد عايش الرئيس الصلح[٤] تلك المرحلة من موقع المسئولية وعمل في مفوضية لبنان في القاهرة وفي جامعة الدول العربية هناك. فتأكد لديه أن الغالبية الساحقة من الشوام كانوا يصرون على الاحتفاظ بالجنسية المصرية أولًا وأن البعض منهم قد

احتفظ بجنسيتين، مصرية ولبنانية أو سورية، لأن القانون المصري يسمح بذلك وحتى نهاية حكم الملك فاروق لم تكن هناك أية مسألة سياسية لدى المهاجرين الشوام ناتجة عن التجنس. ثم بدأت هذه القضية تتفاعل بعد قرارات التأميم التي اتخذتها الحكومة المصرية في مطالع الستينيات من هذا القرن لأن أعدادًا كبيرة من المهاجرين، وبنسبة قليلة من أغنياء المصريين، غادرت مصر لأسباب اقتصادية اجتماعية وسياسية لا بدوافع أخرى. ويقدم الرئيس الصلح نماذج كثيرة عن رفض الشوام لدعوات كانت تأتيهم من المفوضية اللبنانية في القاهرة لحضور حفلاتها إذا ما وجهت الدعوة إليهم كلبنانيين متمصرين. حتى إن عضوي مجلس الشيوخ المصري، خليل ثابت وأنطون الجميل، لم يوقعا على لائحة تحمل عنوان «أفراد الجالية اللبنانية في مصر». وحجتهم في ذلك أنهم مصريون وليسوا لبنانيين وهم لا يرغبون بتذكير المصريين بأصلهم السوري أو اللبناني لأنهم تمصروا وكفى. وفي إحدى المرات طلب ديوان قصر الملك فاروق من القنصلية اللبنانية لائحة بأسماء وجهاء اللبنانيين في مصر لدعوتهم إلى حفلة خاصة برعاية الملك فرفض معظم اللبنانيين المتمصرين إدراج أسمائهم على تلك اللائحة وذلك حفاظًا على مراكزهم الكبيرة في الاقتصاد والسياسة والصحافة والدولة المصرية.

وعلى الرغم من صدق انتماء عدد كبير من مهاجري الشوام إلى مصر وتمسكهم بجنسيتها كمواطنين مصريين فإن عددًا لا بأس به منهم كان يخادع في انتمائه إليها متحينًا الفرصة للتخلي عن جنسيته المصرية ويعتبر نفسه مجرد مهاجر إليها بدافع اقتصادي بحت.

إن طبيعة المهاجر تفسر إلى حد بعيد سهولة الهجرة إلى مصر وسهولة الهجرة منها. فقد غادر الشوام إلى مصر بعشرات الألوف ثم عاد قسم منهم إلى مواطنهم الأصلية أو انتقلوا إلى كندا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وإفريقيا وسواها طمعًا بالثروة والنفوذ. وكانت لقرارات التأميم الدور السياسي في «تمصير مصر» فكثرت أعداد من غادرها من غير المصريين وعلى رأسهم أوربيون وشوام ولم يلبث باب الهجرة أن فتح واسعًا أمام المصريين أنفسهم فتحولت مصر من بلد يجتذب المهاجر بعشرات الألوف إلى بلد يصدر مهاجرين بمئات الألوف إلى الدول العربية بشكل خاص. ويلاحظ في هجرة الشوام من مصر إلى الخارج أنها شبيهة، إلى حد بعيد،

بهجرة الشوام إلى مصر. فقد أقاموا هناك جاليات، ونوادي، وكنائس، ومؤسسات خيرية وطبية وغيرها من المؤسسات الخاصة بهم. فهناك رابطة لآل الجميل في الولايات المتحدة الأمريكية يقارب عدد أفرادها حوالي خمسمائة شخص وهناك روابط أخرى ذات فاعلية. لكن هذه الجاليات تعمل كجاليات مصرية لا كجاليات لبنانية، وتقوم وحدتها على قاعدة جنسيتها لا طائفيتها على الطريقة اللبنانية.

المسألة، في جوهرها، نزوع إلى مجتمع ليبرالي علماني، في مصر وباقي الأقطار العربية بحيث تسود فكرة القومية العربية على العصبيات المستندة إلى الطوائف، وتسود الديموقراطية الحقة على أشكال السلطة المناهضة للديموقراطية. عندها يزول الحنين الطائفي الذي يسود، بشكل مرض أحيانًا، لدى بعض أبناء الطوائف في جميع الأقطار العربية.

أما عن الإحصاء الرسمي للمهاجرين الشوام من مصر إلى الخارج فليست هناك أرقام دقيقة في هذا المجال. فمدينة القاهرة وحدها كانت تضم قرابة ١٢ ألف لبناني وسوري في مطالع ١٩٣٠. أما الآن فتعدادهم لا يزيد على ثلاثة إلى أربعة آلاف بسبب الهجرة التي رافقت التأميم[٥]. من تبقى منهم في مصر حصل على الجنسية المصرية وقليل منهم احتفظ بالجنسية اللبنانية إلى جانب الجنسية المصرية. ومن تنازل عن الجنسية المصرية في الماضي يحاول الآن، وبكثير من الصعوبة، استردادها ومن المستهجن اتصال بعض الفئات اللبنانية، ولأسباب طائفية وسياسية حتمًا، بأحفاد مهاجري الشوام في مصر، من المسيحيين بشكل خاص، لحملهم على نيل الجنسية اللبنانية[٦]. إن أحفاد الشوام في مصر، على اختلاف انتماءاتهم الطائفية، باتوا مصريين ولا حاجة لتذكيرهم بجذورهم السورية أو اللبنانية أو الفلسطينية لأنهم يقطنون أرضًا عربية ويفاخرون بالانتماء إلى أكبر بلد عربي ومثل هذا الإلحاح، السري والعلني، حمل الكثير من المتاعب لمهاجري الشوام في مصر تجاه السلطات والجماهير المصرية التي كانت تشكك دومًا بانتماء مسيحيي الشوام إلى مصر انتماء حقيقيًا لا نفعيًا. لذلك يجب الإقلاع نهائيًا عن هذا الأسلوب فقد ارتضى هؤلاء لأنفسهم خيارًا مصريًا لا عودة عنه وخير دليل على ذلك تمسكهم بتجمعاتهم كمصريين في بلاد الاغتراب التي انتقلوا إليها.

أخيرًا، كان لا بد للمصريين من استعادة حقوقهم الطبيعية في بلادهم وذلك إثر

مرحلة طويلة من التسلط الخارجي على مقدرات مصر. وقد لعب الشوام دورًا ملحوظًا في تسهيل حكم الأجانب لمصر واستنزاف طاقاتها وإفقار شعبها لذلك كانت نقمة الشعب المصري على كثير من مهاجري الشوام مشروعة وطبيعية دون نكران للدور التاريخي الذي ساهموا فيه بتحديث مصر وعصرنة مؤسساتها الاقتصادية والعمرانية. ومع صدور قرارات التأميم وجد أصحاب المؤسسات الخاصة، من الشوام وغيرهم، أنهم باتوا في مرحلة حرجة جدًا. فقد تسلم تلك المؤسسات والمزارع الكبيرة مصريون كانوا يعملون لديهم وتحول أصحاب الأملاك السابقة إلى مأجورين بجنيهات شهرية قليلة. لذلك هاجر قسم كبير منهم، ومعظمهم من اللبنانيين والسوريين بالإضافة إلى جنسيات أوربية عديدة، إلى الخارج. وكانت هجرة الشوام، بشكل أساسي، إلى كندا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية، هجرة عامة لا تقتصر على اللبنانيين بل شملت السوريين أيضًا. ومن عاد من اللبنانيين المتمصرين إلى لبنان لم يجد ترحيبًا كبيرًا فيه لأنه عاد فقيرًا في الغالب، وعاش أوضاعًا متمايزة بسبب لهجته المصرية وجنسيته الملتبسة اللبنانية ـ المصرية، لذلك هاجر قسم كبير منهم، مجددًا، إلى الخارج عبر لبنان. كذلك هرب عدد منهم عبر دمشق إبان الوحدة السورية ـ المصرية. ويشير الدكتور صابات(٧) إلى وجود منطقة بين سوريا ولبنان كانت مخصصة لتهريب المصريين إلى الخارج لعلها في جبال الهرمل وعكار لأن الانتقال بين سوريا ولبنان كان ولا يزال يتم بواسطة تذكرة الهوية فقط.

ومن الواضع أن عقلية معينة رافقت المهاجرين من الشام إلى مصر ومنها إلى سوريا أو لبنان، ومنهما إلى كندا أو أستراليا أو غيرها ثم عادت فدفعت أعدادًا كبيرة من هؤلاء ومن أبنائهم للعمل الحثيث من أجل العودة إلى مصر بعد سياسة الانفتاح إبان حكم الرئيس السادات. وهناك الآن آلاف الدعاوى التي يطلب فيها مهاجرون شوام، ممن كانت لهم علاقة سابقة بمصر، بالعودة ومتابعة أعمالهم فيها أو استرجاع ممتلكاتهم التي صادرتها قرارات التأميم.

ومهما تكن نتائج تلك الدعاوي فإن مصر اليوم تختلف جذريًا عمّا كانته في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. فهي الآن بلد مصدر للطاقات البشرية بسبب الكثافة السكانية الكبيرة فيه وليست هناك آفاق منظورة لهجرة مجددة للبنانيين إليها.

الحواشي

(١) هناك دراسات عديدة حول مشكلة الجنسية اللبنانية نذكر منها:

«Décret-loi no 19 sur la Nationalité Égyptienne», Journal. OFFciel. no 23 du 10 mars 1929

بدوي أبو ديب، **الجنسية اللبنانية**، بيروت، ١٩٧٤.

ـ فايز الريس، «مشروع حل قانوني لمشكلة اللبنانيين فاقدي الجنسية اللبنانية»، جريدة **السفير**، الأحد ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤، ص ١١.

(٢) نقدم هذه الوثيقة البالغة الأهمية لتوضيح القانون المصري في هذا المجال لعام ١٩٢٥:

«النظام المؤقت»

المتعلق بحالة السوريين واللبنانيين في القطر المصري الذي تم وضعه بالاتفاق بين الحكومتين المصرية والفرنسية

مادة ١: السوريون واللبنانيون المارّون بمصر أو الذين يجيئون للاستقرار بها يعتبرون فيها من الآن فصاعدًا تحت حماية فرنسا السياسية طبقًا لشروط انتدابها الذي أقرته جمعية الأمم.

وهذه الحماية لا تكسب اليوم أولئك السوريين واللبنانيين أية حصانة ولا أي امتياز قضائي أو متعلق بدفع الضرائب وبوجه عام أي امتياز يرجع إلى نظام الامتيازات الذي لم يكونوا قبلًا من المتمتعين به.

مادة ٢: جنسية الأشخاص الذين أصلهم من سوريا أو لبنان واستقروا بمصر قبل تاريخ هذا الاتفاق تعين بقانون يصدر بشأن الجنسية المصرية وتؤخذ فيه المبادئ المنصوص عليها في المادة الثلاثين وما يليها من معاهدة لوزان.

مادة ٣: بعد نشر القانون السابق ذكره. تضع الحكومتان الفرنسية والمصرية بالمفاوضة بينهما اتفاقًا يسوي بوجه عام في مصر حالة جميع الأشخاص الذين أصلهم من سوريا أو لبنان من كان منهم مقصودًا بالمادة الأولى أو مقيمًا في القطر المصري ولم يحصل على الجنسية المصرية طبقًا للقانون السابق ذكره ويسوي هذا الاتفاق كذلك حالة المصريين في سوريا ولبنان آخذًا بمبدأ مبادلة المثل بالمثل.

ينفذ هذا النظام المؤقت المشار إليه بمجرد نشره في الجريدة الرسمية

القاهرة في ١٦ مارس سنة ١٩٢٥»

المصدر: «الحكومة المصرية ـ وزارة الخارجية»

(مستخرج من الجريدة الرسمية عدد ٣٣ الصادر بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥) طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، سنة ١٩٢٥.

ويوضح الدكتور خليل صابات هذ النقطة بقوله: «ينص القانون المصري على أن من يستحق الجنسية المصرية هو من كان مصريًا أو مولودًا في مصر وله الحق بجنسيتها ولا يفقدها بفعل مرور الزمن. واستنادًا إلى القانون رقم ١٩ لعام ١٩٢٩، تقدم معظم الشوام في مصر بطلب التجنس بالجنسية المصرية. فاتخذت الحكومة المصرية كافة التسهيلات لتجنيس الشوام إلا لمن يفتقد إلى المسلكية الأخلاقية. فما تأخذه الحكومة المصرية على الشوام، خاصة اللبنانيين منهم، عدم انتسابهم الجدي إلى المجتمع المصري وعدم الرغبة بالانخراط فيه لذلك كانوا يتهربون من الخدمة العسكرية عبر تقديم الرشاوي وطرق أخرى ملتوية، وقد استطاع قسم كبير منهم تجنب هذه الخدمة مما دفع الحكومة المصرية، بعد ثورة ١٩٥٢، إلى التشدد لدرجة القساوة الصارمة في هذا المجال ولم يعف من الخدمة العسكرية إلا من كان يستحق الإعفاء فعلا ولأسباب نص عليها القانون صراحة.

ومن مجالات التلاعب الأخرى أن قرارات الحكومة المصرية أجبرت أصحاب الشركات والمؤسسات الخاصة العاملة في مصر على رفع نسبة العاملين فيها من المصريين إلى ٧٥٪، وعلى الرغم من مراقبة تطبيق هذا القرار فإن بعض الشركات، خاصة اليهودية منها والتي أصحابها من الشوام، كانت تتلاعب على القوانين وتسجل أسماء لموظفين وهميين يعملون فيها لكن نتيجة تلك القرارات، والتحقق من تطبيقها على الأرض، والحملات الصحفية المذكورة التي تبرز الفضائح الكثيرة في هذا المجال، ساهمت في تسليم المصريين أنفسهم مقدرات بلادهم. وكان على الأجانب، وأعداد لا بأس بها من الشوام، أن يخضعوا لمنطق التاريخ أو يرحلوا عن بلاد بلغ أبناؤها درجة كافية من النضج السياسي والإداري والاجتماعي لتسلم مقدراتها بالكامل. هكذا وجد بعض الشوام أنفسهم، خاصة في مجال المؤسسات الخاصة الكثيرة التي أسسوها وأداروها، في موقع العاجز عن ممارسة النهب السابق لخيرات مصر. وهنا لا بد من الاستنتاج أن المصري يعتبر مصر فوق الجميع. والتيارات السياسية في مصر هي مصرية دومًا وتختلف عنها في بلاد الشام أو في مناطق أخرى لذلك يلاحظ استقرار عدد كبير من مهاجري الشوام وغيرهم في مصر. أما من يهاجر من مصر إلى الخارج فيبقى حنينه دومًا إليها ولا يرغب في التخلي عن جنسيته المصرية لأي سبب كان. إن مصر هي نموذج المجتمع المستقر فعلا والذي استطاع دمج مواطنيه، على اختلاف طوائفهم وأعراقهم السابقة وكل الصراعات الموجودة في مصر، خاصة في القرن العشرين هي صراعات سياسية وسياسية فقط». (الدكتور خليل صابات مقابلة مشار إليها سابقًا).

(٣) ترأست الطالبة زاهية قدورة البعثة المقاصدية اللبنانية إلى القاهرة منذ عامي (١٩٤٤، ١٩٤٥)، ثم شاركت في رابطة الطلبة اللبنانين في القاهرة منذ تأسيسها وممارستها النشاط الفعلي عام ١٩٤٨، وكانت من أعضائها المؤسسين ثم رئيسة لها خلال عامي (١٩٥١-١٩٥٢). وكانت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت على علاقة وثيقة بمصر منذ تأسست بمساعدة مباشرة من الشيخ محمد عبده. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين توطدت العلاقة الثقافية بين جمعية المقاصد وجامعة القاهرة فكثر عدد الطلاب المقاصديين فيها. وهذا يفسر، إلى حد بعيد، كيف أن الطلاب اللبنانيين في مصر، باتوا يعدون بالمئات في مختلف فروع التخصص العلمي. كانت غالبيتهم الساحقة من المسلمين مع وجود بعض الطلبة المسيحيين. وسبب ذلك أن الطلبة المسيحيين كانوا يفضلون التخصص في جامعات بيروت، خاصة الجامعة اليسوعية، أو في الجامعات الأوربية. وقد ساعدهم في ذلك إتقان الكثير منهم للغات الأجنبية.

بعد بروز لبنان كدولة مستقلة وذات سيادة ابتداء من عام ١٩٤٣، كان من الطبيعي أن تتبلور شخصية كثير من اللبنانيين المقيمين في مصر وتتخذ منحى حقوقيًا. فمن اللبنانيين من تمصر نهائيًا، ومنهم من نال الجنسية اللبنانية دون المصرية، لكن غالبيتهم قد احتفظوا بالجنسيتين معًا. هنا تبز الصعوبة في تحديد مفهوم الجالية اللبنانية في مصر خلال هذه المرحلة. فمنهم من كان من مواليد حلب أو دمشق أو حمص أو فلسطين أو بيروت أو طرابلس وسواها ثم اختار الجنسية اللبنانية والجنسية المصرية بسبب التسهيلات التي أعطيت لهم فبات لبنانيًا ومصريًا في آن معًا وبدأت تختفي عبارة «الشوام» لتحل مكانها عبارة «الجالية اللبنانية في مصر» وهم الذين أطلق عليهم بعض الكتاب والصحافيين المصريين تعبير «المتمصرين» تذكر الدكتورة قدورة بعض رموز هذه الجالية آنذاك. حبيب جاماتي، يوسف أسعد داغر، إميل لبنان الذي أسس «نادي لبنان في القاهرة» قبيل ١٩٤٣، آل الشوربجي وهم من الشوام، آل القباني، آل الحراكي. وكان «النادي الشرقي» الذي تحول لاحقًا إلى «النادي المصري» يضم عددًا من شخصيات الشوام البارزة مثل عبد الرحمن العظم، جميل الرافعي، كما ضم كثيرًامن اللبنانيين الذين أقاموا حفلات مستمرة في النادي وكان يطلق عليهم اسم «الطلبة الشرقيين» أو «الطلبة الشوام». *

* (الدكتورة زاهية قدورة؛ مقابلة مشار إليها سابقًا).

(٤) الرئيس تقي الدين الصلح، مقابلة مشار إليها سابقًا.

(٥) مقابلة مع المطران يوسف مرعي، رئيس أساقفة القاهرة للطائفة المارونية في مصر والسودان، القاهرة، ١٦/ ١٠/ ١٩٨٢.

من مواليد جديدة المعوش، قضاء عالية، لعام ١٩١٢. تلقى دروسه لدى جمعية المرسلين اللبنانيين الكريمية في جونية ثم الثانوية في مدرسة الحكمة ببيروت، والعليا في اللاهوت بمدينة ستراسبورج (Strasbourg) في فرنسا. تسلم مطرانية القاهرة للطائفة المارونية في ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٧٢، وهي تشمل مصر والسودان. يعرف تاريخ الموارنة في مصر بدقة وله آراء هامة حول هجرة الشوام إلى مصر.

حتى عام ١٩٥٢، يقول المطران مرعي، كان عدد الموارنة على ازدياد مستمر حتى بلغ حوالي ١٨ ألف نسمة في مصر والسودان، في حين كان الروم الكاثوليك ما بين ٢٢ و٢٥ ألف نسمة ثم بدأ الانخفاض الحاد بعد قرارات التأميم في مطالع الستينيات. وعندما تسلم مطرانية القاهرة عام ١٩٧٢، كان عدد الموارنة في القاهرة حوالي ٨ آلاف نسمة ثم تدنى الرقم عام ١٩٨٢، إلى أقل من أربعة آلاف في جميع المدن المصرية والسودانية مقابل حوالي خمسة آلاف للروم الكاثوليك، وحوالي ١٥٠٠ للسريان الكاثوليك، وحوالي ٦٠٠ نسمة من الروم الأرثوذكس، و٥٠٠ نسمة من الكلدان.

ليست هذه الأرقام على جانب كبير من الدقة لكنها تشير إلى الانخفاض الحاد في وجود مهاجري الشوام من الطوائف المسيحية في مصر والسودان. ومع شيء من التفصيل تبرز جوانب أخرى من هذا الانخفاض، ففي المنصورة، المدينة المصرية التي شهدت أهم تجمع للموارنة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، لم يبق من الموارنة سوى ٩٠ نسمة فقط وبقي في طنطا أربع عائلات أبرزهم الدكتور ميشال الريس، والدكتور أنطون ديب وعائلة من آل نادر. وفي المحلة الكبرى، بجوار طنطا بقيت عائلتان فقط، ولم يبق في الزقازيق أية عائلة مارونية لأنهم جميعًا قد انتقلوا إلى القاهرة أو الإسكندرية أو الخارج. ومنذ مطالع النصف الثاني من القرن العشرين أصبحت القاهرة والإسكندرية المركزين الأساسيين لتجمع موارنة مصر. وفي إحصاء كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١

الكنسي تبين وجود ١٠٥٠ نسمة من الموارنة فقط في الإسكندرية. وبقي في بورسعيد خمس عائلات لا غير، وفي الإسماعيلية عائلتان: المهندس ريمون بستاني وآخر من آل حرب. وقد توفي الاثنان خلال عامي (١٩٨٠، ١٩٨١). وبقي في دمنهور ثلاث عائلات، وفي كفر الدوار عائلتان، وفي بني سويف عائلة واحدة من آل عقل، توفي الوالد عام ١٩٨١ تاركًا اثنى عشر ولدًا.

أما الأب إلياس صوفان فيقدم لوحة إحصائية هامةحول هجرة الأرثوذكس المضادة من مصر إلى الخارج، فعند إعلان دولتي سوريا ولبنان عام ١٩٢٠، كانت الهجرة اللبنانية ـ السورية في تصاعد مستمر مع الإشارة إلى بعض العائلات القليلة التي عادت إليهما. واستمرت وتيرة التصاعد في هجرة السوريين واللبنانيين على مصر حتى أواسط القرن العشرين ثم اتخذت منحى مضادًا من مصر إلى الخارج بعد قرارات التأميم.

أرقام الأب صوفان عامة وغير دقيقة لكنها تلقي أضواء على حجم العائلات الشامية في مصر فهو يعتقد أن عدد عائلات الأرثوذكس الشوام فقط في الإسكندرية عام ١٩٢٠، كان يقارب الألف عائلة تم تجنيس حوالي ٤٠٠ عائلة منها وغادرتها العائلات الأخرى إلى مناطق متفرقة في العالم منها سوريا ولبنان ومنها أستراليا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص. وكانت هناك عائلات كثيرة في بور سعيد انتقلت، بمعظمها إلى القاهرة. كان في طنطا قرابة ١٥٠ عائلة من الشوام نزح قسم كبير منهم إلى القاهرة وهاجر قسم آخر إلى الخارج. وكانت أوضاع المهاجرين الشوام في المنصورة مشابهة لأوضاع إخوانهم الشوام في طنطا. أما الآن فلم يبق منهم سوى قرابة ثلاثين عائلة فقط في كل منهما، في حين بقي حوالي ٤٠ عائلة شامية في بور سعيد. يستنتج من هذه اللوحة الإحصائية العمومية أنه منذ الربع الثاني من القرن العشرين بدأت الهجرة السورية ـ اللبنانية تتخذ سمات جديدة في مصر أبرزها إعادة تجميع أفرادها في المدن الكبرى خاصة القاهرة والإسكندرية في حين تميزت نهاية القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين بضخ المهاجرين الشوام من المدن السورية واللبنانية إلى القاهرة والإسكندرية أولًا ثم إعادة توزيعهم على المدن المصرية الأصغر حجمًا.

وبعد قرارات التأميم لم تقتصر سمات الهجرة على إعادة توزيع المهاجرين الشوام في مصر لجهة تمركزهم في القاهرة والإسكندرية بل سارعت أعداد كبيرة منهم للخروج من مصر إلى كندا وأستراليا وسواهما من البلدان بحثًا عن هجرة جديدة بعد أن قطعت تدابير حكومة الثورة المصرية طريق النهب السابق الذي مارسته الجاليات الأجنبية وبعض الجاليات العربية، ومنها الشوام، للخبرات المادية للمجتمع المصري.

أما في السودان فلم يبق وجود للموارنة إلا في مدينة الخرطوم ويبلغ تعداد أسرهم حوالي ١٢٠ نسمة جلهم من موارنة حلب.

وتبرز الأرقام التقريبية التي يقدمها المطران مرعي استنادًا على أعمال المسح الكنسي لأفراد الأبرشية التي يديرها أن مرحلة الانتشار الماروني بشكل خاص، والمسيحي الشامي بشكل عام، في المدن المصرية والسودانية قد انتهت في مطالع النصف الثاني من القرن العشرين بحيث أخذ هؤلاء بالتجمع تدريجيًا في المدن الكبرى تمهيدًا لانتقال أعداد كبيرة منهم إلى الخارج.

وعند اندلاع الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥، اشتدت المراقبة على نشاط اللبنانيين في مصر. وقد يكون هناك خوف ضمني لدى السلطات المصرية من أن اللبنانيين يحملون معهم نزاعاتهم الطائفية أينما حلوا فالمجتمع المصري شديد الانفتاح من جهة، لكنه شديد الحساسية الطائفية من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن هجرة الشوام الثانية من مصر إلى الخارج لا تعود أسبابها إلى أحداث لبنان عام ١٩٧٥، بل تجد لها سببين أساسيين لدى المطران مرعي:

(أ) قرارات التأميم أيام الرئيس عبد الناصر في مطالع الستينيات من هذا القرن حيث فقد أغنياء الشوام قسما كبيرًا جدًا من ثرواتهم.

(ب) بروز التيارات الدينية المتطرفة داخل مصر خاصة حركة الإخوان المسلمين والتي كانت تمارس أعمالًا تثير الخوف والقلق لدى غالبية المسيحيين القاطنين في مصر، سواء كانوا من الأقباط أو من الشوام أو من الأجانب.

هكذا ازدادت أعداد المهاجرين المسيحيين من مصر إلى الخارج وكان بينهم عدد وافر من الموارنة الذين اتجهوا إلى كندا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وعادت قلة منهم إلى لبنان، وأكبر جاليات الموارنة خارج لبنان الآن هي الجالية المارونية المصرية في كندا. والطريف، يقول المطران مرعي، إن الغالبية الساحقة من الموارنة المصريين يحملون الجنسيتين اللبنانية والمصرية باستثناء آل الجميل في الولايات المتحدة الأمريكية الذين لا يحملون سوى الجنسية المصرية. ويجب الاعتراف أن موارنة مصر الذين هاجروا إلى الخارج يعتبرون مصر وطنهم الأول ويرغب قسم كبير منهم بالعودة إليها. أما علاقتهم بلبنان فتقوم على أساس حنين غامض لبلاد كانت موطن آبائهم وأجدادهم.

(٦) سارعت الحكومة اللبنانية، عبر قنصليتها في القاهرة، إلى القيام بحملات توعية نشيطة لدفع أبناء المهاجرين اللبنانيين في مصر الذين يرغبون بمغادرتها في التوجه إلى لبنان، وطن الآباء والأجداد وقام رجال الدين، والموارنة بشكل خاص، بزيارات متكررة لأبناء المهاجرين اللبنانيين الذين اكتسبوا الجنسية اللبنانية من أجل إقناعهم بالهجرة إلى لبنان وليس إلى أي بلد آخر. وقد رافق الأب يوسف بجاني الكثير من الساسة الرسميين اللبنانيين الذين زاروا القاهرة خلال سنوات (١٩٥٢-١٩٥٨)، وحضر معهم ندوات وسهرات في بيوت المتمصرين اللبنانيين لحضهم على اختيار الجنسية اللبنانية حتى ولو احتفظوا أيضا بالجنسية المصرية.

ويذكر الأب بجاني أن النتائج كانت محدودة وتكاثرت هجرة الموارنة المتمصرين إلى الخارج بعد قرارات التأميم ولم يبق سوى أربعة إلى خمسة آلاف ماروني فقط في جميع المدن المصرية، وأن غالبيتهم تقيم الآن في القاهرة وقد تمصروا بشكل نهائي (مقابلة مشار إليها سابقًا مع الأب بجاني).

(٧) الدكتور خليل صابات، مقابلة مشار إليها سابقًا.

الملاحـــق

تشكل هذه الملاحق مصدرًا وثائقيًا شديد الغنى والتنوع ويمكن الاستفادة منه في دراسات علمية متنوعة تتناول هجرة الشوام إلى مصر. ولا يقلل من أهميته وضعه في آخر الدراسة حتى لا يرهق القارئ بالأسماء والأرقام لأننا نعتبر البحث العلمي وحدة متكاملة، وكل صفحة فيه تقدم معلومات جديدة أو وثائق تنشر للمرة الأولى أو إضافة علمية في التحليل والمنهج.

الملحق رقم (١)

العائلات المارونية بالإسكندرية (١٨٥١-١٩٤٥)

السنة	عدد حالات العماد	أبرز العائلات المدونة
١٨٥١	٤	يوسف الأصفر، ميخائيل أبو الذهب، يوسف الحلبي، سركيس كساب.
١٨٥٢	٦	أسعد رحال، خليل كساب.
١٨٥٣	٢٣	بادواني، منصور، كركور، جبران، شماس، وعائلات سابقة.
١٨٥٤	٢٤	برت، عزيز، الصاحب، الدهيني، خضير، كنعان، أيوب، نعوم، وعائلات سابقة.
١٨٥٥	١٧	ذكور، النقيري، حجار، شكور، أحمر، وعائلات سابقة.
١٨٥٦	١٢	صاصي، عموري، كميد، شديد، أصاف، جبر، وعائلات سابقة.
١٨٥٧	٧	كسرواني، نصار، خراط، أحمر، أيوب، وعائلات سابقة.
١٨٥٨	٢٨	الدرعوني، يمين، إسكندر، كنعان، جبور، خضير وعائلات سابقة.
١٨٥٩	١٥	البيروتي، شكور، الدهان، الصاحب، رزق الله، شديد، الكيف وعائلات سابقة.
١٨٦٠	٢٤	الصوراتي، ديب، نعوم، العشقوتي، الزيلع، شهاب، عطا الله وعائلات سابقة.
١٨٦١	٢٠	يونس، الريس، المرجي، مرعب، وعائلات سابقة.
١٨٦٢	٣٧	محبوب، يونس، الهاني، الحلبي، وعائلات سابقة.
١٨٦٣	٢٠	سمعان، شديد، مرعب، وعائلات سابقة.
١٨٦٤	١٩	الجبيلي، دميان، وعائلات سابقة.
١٨٦٥	١٨	لحود، عنحوري، حبيش، العضم، الهراوي، وعائلات سابقة.
١٨٦٦	١٧	الغندور، أصاف، العضم، وعائلات سابقة.
١٨٦٧	١٧	مرعب، قزحيا، أبو خاطر، خضرا، الطحان، وعائلات سابقة
١٨٦٨	١٥	غندور، الشلفون، خراط، وعائلات سابقة.
١٨٦٩	٢٢	أنكيري، الهراوي، همام، أبو الجود، أبو راجي، وعائلات سابقة.
١٨٧٠	٢٤	عطا الله، شاوي، سمعان، الزهراوي، كميد، فنيانوس، الزايك، الصباغ، وعائلات سابقة.

١٨٧١	٢٣	خضرا، نعوم، حنا، أمين الجميل، كنعان، الترك، برنوطي، أصاف، وعائلات سابقة.
١٨٧٢	٢٦	الخوري ميخائيل، ضاهر، نادي، منيا، العقال، عبده، ناصيف، وعائلات سابقة.
١٨٧٣	٣٢	ناضر، الهاني، نمور، صوما، أبو خاطر، طنوس، وعائلات سابقة.
١٨٧٤	٣٢	الطحان، النكيري، الحلو، المنتوش، كريتا، حبيب، الزعني، وعائلات سابقة.
١٨٧٥	٣٢	حوا، رشدان، طعمة، ساروفيم، كرم، كامل وعائلات سابقة.
١٨٧٦	٣٧	فضول، قماطي، نمور، الحاج، صهيون، ميلان، وعائلات سابقة.
١٨٧٧	٤٠	يوسف، منصور، دندل، وهبة، مدور، سلوم، وعائلات سابقة.
١٨٧٨	٣٩	الكيف، متى، حيدر، سعاده، داغر، وعائلات سابقة.
١٨٧٩	٤٠	فريج، مارون، الحاج، السوقي، نوهرا، المكاري، وعائلات أخرى.
١٨٨٠	٤٧	الطبشي، أبي راشد، بو ياجي، واكيم، لبنان، وعائلات سابقة.
١٨٨١	٣٥	ملحة، أرميا، نعوم، فرح، شاكر، غاريوس، البصبوص، ملحمة، وعائلات سابقة.
١٨٨٢	٢٠	قندلفت، فرنسيس، أبو صافي، بدور، حوا، الشوكتلي، وعائلات سابقة.
١٨٨٣	٢٨	كميد، معتوق، راشد، جبور، العفيف، ساروفيم، الحلو، وعائلات سابقة.
١٨٨٤	٥٦	أبي نادر، الأسود، معتوق، زخيا، لحود، الدبس، العقيقي، وعائلات سابقة.
١٨٨٥	٥٩	شملان، الخوري، سرحان، بدور، نعمة، أبو صالح، الحداد، باز، وعائلات سابقة.
١٨٨٦	٥٥	سلهب، سمعان، لاوون، المسابكي، قمورة، كوكباني، زوين، معتوق، مزهر، وعائلات سابقة.
١٨٨٧	٧٩	عبد المسيح، دفون، إدة، الحاج، الحايك، نمر، البستاني، سركيس، وعائلات سابقة.
١٨٨٨	٦٩	كرم، فياض، هوشر، مرزا، الغصين، بركات، توما، القماطي، نمور، وعائلات سابقة.

العائلات السابقة تتكرّر باستمرار لذلك نكتفي بأعداد الولادات

السنة	عدد حالات العماد	السنة	عدد حالات العماد	السنة	عدد حالات العماد
١٨٨٩	٦٣	١٩٠٧	٨٥	١٩٢٥	٧٠
١٨٩٠	٧٠	١٩٠٨	٧٦	١٩٢٦	٨٠
١٨٩١	٤٨	١٩٠٩	٧٣	١٩٢٧	٦٣
١٨٩٢	٥٩	١٩١٠	٥٤	١٩٢٨	٨٩
١٨٩٣	٦١	١٩١١	٧٧	١٩٢٩	٦٤
١٨٩٤	٦٧	١٩١٢	٧٣	١٩٣٠	٦٦
١٨٩٥	٧٠	١٩١٣	٦٤	١٩٣١	٦٧
١٨٩٦	٦٥	١٩١٤	٥٦	١٩٣٢	٦٨
١٨٩٧	٥٥	١٩١٥	٨٢	١٩٣٣	٦٥
١٨٩٨	٥٦	١٩١٦	٨٦	١٩٣٤	٨٨
١٨٩٩	٥٨	١٩١٧	٦٩	١٩٣٥	٦٧
١٩٠٠	٦٢	١٩١٨	٩١	١٩٣٦	٦٧
١٩٠١	٦٦	١٩١٩	٧٨	١٩٣٧	٧٣
١٩٠٢	٦٠	١٩٢٠	٩٠	١٩٣٨	٥٢
١٩٠٣	٧٧	١٩٢١	٦٨	١٩٣٩	٥٣
١٩٠٤	٦٢	١٩٢٢	٨٨	١٩٤٠	٥٦
١٩٠٥	٧٠	١٩٢٣	٨٣		
١٩٠٦	٧٩	١٩٢٤	٧٢		

المصدر: سجلات البطريركية المارونية بالإسكندرية.

ملحق رقم (٢)

نماذج من المنابت الجغرافية للمهاجرين الشوام بالإسكندرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

نظرًا لأهمية سجلات العماد حاولنا رصد المنابت الجغرافية للمهاجرين الشوام في مصر، وهي تكاد تكون السجلات الوحيدة التي دونت، وبشكل مفصل أحيانًا، أسماء القرى اللبنانية التي قدم منها المهاجرون؛ فتلقي بذلك أضواء علمية بالغة الدلالة على مصادر انتقال المهاجرين المسيحيين الشوام، خاصة الموارنة منهم، وبالتحديد الأضيق موارنة لبنان، إلى مصر. تبرز سجلات العماد كيف أن هجرة الشوام إلى الإسكندرية قد تزايدت بشكل واضح في أواخر القرن التاسع عشر حتى إن عدد حالات العماد بلغت ضعفين إلى ثلاثة أضعاف للحالات المشابهة في أواسط القرن، وازدادت تصاعدًا حتى عام ١٩٢٠، دون أن تنخفض بشكل حاد حتى الحرب العالمية الثانية. مما يعني أن هجرة الموارنة إلى مصر حافظت على استمراريتها إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين ولم تتأثر إلا جزئيًا بقيام دولة لبنان الكبير.

وقد اخترنا نماذج من سنوات (١٨٥١-١٨٨٨)، لإبراز المنابت الجغرافية للمهاجرين والتي تتكرر، في الغالب، وتؤكد حقيقة تاريخية هامة أن المهاجرين كانوا يستقدمون أقرباءهم وأنسباءهم من قراهم في لبنان ليعملوا معهم في مصر ويستقروا هناك. وبالتالي لم نجد حاجة لتكرار أسماء المدن والقرى التي ورد ذكرها أكثر من مرة ومع كثير من المهاجرين. اللائحة التالية هي بأسماء آباء الأطفال الذين سجلت أسماؤهم في دفاتر العماد للبطركخانة المارونية في الإسكندرية.

اسم المهاجر	اسم البلدة اللبنانية التي هاجر منها	اسم المهاجر	اسم البلدة اللبنانية التي هاجر منها
نعمة الله أيوب	حلب	يوسف الخراط	بكفيا
حنا نعوم	صيدا	أنطون يمين	درعون
يوسف النقيري	صيدا	إسكندر لحود كنعان	عبية
إلياس شديد	عكار	راجي الخراط	بكفيا
عبد الله آصاف	كسروان	أنطون محبوب الشقر	زوق مكايل
إلياس جبر	عكا	جرجس جبور خضير	بيروت
لويس كنعان	عبية	إسكندر كنعان	عبية
يوسف رزق الله	صيدا	يوحنا الزيلع	قبرص
أنطون شديد	المرقب	خطار عزيز	البربارة
نقولا الصوراتي	بيروت	نقولا القنواتي	صيدا
جرجس الكيف	زوق مكايل	جرجس البايع	رحبة
أنطون ديب	جبيل	يوسف نصار الريس	بكفيا
جبور نعوم	بيروت	يوسف مرعب	بيروت
يوسف العشقوتي	عشقوت	يوسف العضم	زوق مكايل
الأمير يوسف سعد الشهابي	سبنية	يعقوب حبيش	الفتوح
الأمير ملحم الشهابي	سبنية	طنوس دميان	عكار
يوسف خطار الرجّه	بيروت	فرنسيس الحلاق	بيروت
خليل يونس	بيروت	كنعان لحود	عمشيت
يعقوب الهاني	زوق مكايل	ميخائيل الهراوي	بسكنتا
ميخائيل غانم	بكفيا	عساف الصباغ	حاصبيا
بطرس الجبيلي	جبيل	يوسف بولس	جديدة كسروان
عبد الله نصار	بكفيا	بطرس أبي خاطر	عبية
أسعد موصللي	بيروت	يوسف الطحان	حلب
جرجس عنحوري	بيروت	إلياس الشدياق	حدث بيروت
فرنسيس الغندور	بيروت	أنطون جرجس حنا	الشبانية
سليم نقولا	صيدا	خليل الهراوي	بسكنتا
إلياس مرعب قزحيا	صيدا	خليل فضول	غبالة
ميخائيل خضرا	زوق مكايل	عبد الله أبي راجي	بكفيا
أنطون رحال	بسكنتا	إلياس رزق الله	صيدا
أنطون الشلفون	كسروان	سمعان الزهراوي	بسكنتا

إلياس شلالا	غزير	بطرس العضم	درعون
عبد الله همام	درعون	جرجس فنيانوس	صربا
طانيوس أبوالجود	حارة صخر	نقولا خضرا	الزوق
شاهين عطا الله	بيروت	جرجس حنا	الشبانية
ميخائيل نادي	البرغوتية قرب صيدا	أمين الجميل	دلبتا
يوسف الخوري ميخائيل	برج حمود	إلياس الترك	غزير
أنطون كميد	بيروت	عبد الله آصاف	عرمون كسروان
ميخائيل الزايك	غزير	ميخائيل الخراط	بكفيا
يوسف عبدو	معلقة زحلة	ميخائيل يارد	بكفيا
جبرائيل الصقال	حلب	موسى شلالا	عرمون
يوسف ضاهر	بشري	شهدان أبو كنعان	عبية
يوسف فياض نصر	بكفيا	أنطون طنوس كريستا	بيت شباب
عبد الأحد الكرجي	صيدا	عبد الله سمعان أبو يواكيم	عشقوت
أسعد ناصيف	صيدا	سليمان الحقير	الشبانية
جرجس الصباغ	حاصبيا	جرجس عازور	جزين
جرجس قزحيا	بكاسين	يوحنا الملحة	عينطورة
سرحان حنا	ساحل علما	إلياس فرنسيس عطا الله	عبية
نخلة الكيف	صربا	بطرس ناضر	نهر الذهب
بطرس رزق الله	صيدا	داود صوما	بيت مري
يوسف أنطون	درب العين	ميخائيل سرور	كسروان
ميخائيل نعوم	بيروت	عبدو أسعد الحاج	معلقة زحلة
بشارة الزايك	غزير	أمين نصر الله الحويس	درب العين
إسكندر النكيري	صيدا	جرجس إبراهيم الحلو	بيروت
أنطون نمور	صيدا	فارس الخوري	غبالة
بطرس أبي خاطر	عبية	مسعود خديج	حارة حريك
يوسف الجميل	دلبتا	نقولا الطحان	حلب
حاتم سجعان	بكفيا	ضاهر فرحات	بكفيا
خليل النكيري	صيدا	أنطون كريستا	بيت شباب
فياض المنتوش	بكفيا	طنوس سرحان	حارة صخر
أنطون حبيب	درعون	يوسف فضول	غبالة
أنطون شلالا	كسروان	سليمان دبيان	درعون

إلياس كنعان	عبية	حنا ملحة	زوق مكايل
عبد الله برنوطي	حلبا	إلياس حوا	عشقوت
إلياس حبيب	درعون	توما طعمة	بكفيا
شكيب جنبلاط	البرامية	صعب ساروفيم	بيروت
بولس منصور داود	صيدا	يوسف سركيس العضم	بيروت
سركيس العضم	بيروت	قبلان كامل	بكفيا
طنوس منيا	حارة صخر	حبيب القماطي	بيروت
بطرس غاريوس	درعون	جرجس الترك	جديدة كسروان
حنا العضم	درعون	أنطوان الحاج	نواحي صيدا (!)
أنطون حنا	عبية	بطرس الشلفون	جديدة كسروان
أسعد أبو فيصل	عبية	أمين بدّور	حمانا
جرجس ميلان	بكفيا	سليمان وهبة	درب السين
نخلة كامل	بكفيا	إلياس دندل	بيروت
طنوس المكاري	البترون	قزحيا يوسف	صيدا
غنطوس ثابت	بيروت	بشارة دغفل	عشقوت
دعيبس كرم	مزرعة يشوع	شاهين منصور	عين كفاع
طنوس شاهين	عينطورة	يعقوب متى الخوري	صيدا
ملحم بوراجي	بكفيا	فرح شاهين حيدر	ساحل علما
ميلاد آصاف	عرمون	خليل سعد	حمانا
جرجس سلوم	عقتنيت	يوسف سعادة	زوق مصبح
كنعان بوعون	رشميا	خليل الهراوي	بسكنتا
جرجس منصور	درعون	ميخائيل الزايك	غزير
يوسف الزعني	تولا	منصور شوشان	دلبتا
إلياس الحقير	الشبانية	عبد الله يواكيم	عبية
سرحان نجيم	ساحل علما	إلياس نقولا	بيروت
ميخائيل عواد	غبالة	يوسف الخوري	القبيات
أنطون فنيانوس	صربا	خليل كنعان	رشميا
عبد الله سمعان	عشقوت	جرجس فرنج	زوق مصبح
بشارة رشدان	عشقوت	بطرس السوقي	جديدة كسروان
أنطون البتروني	زوق مكايل (!)	شهدان كنعان	عبية
حنا كرم	بيروت	أديب الزايك	غزير
حنا الصوراتي	بيروت	جرجس أسعد	معلقة زحلة

خليل فضول	غبالة	حبيب ديب	دلبتا
بطرس أبو خاطر	زحلة	يعقوب الطبشي	البترون
جرجس قزحيا	بكاسين	جرجس أبي راشد	البترون
بطرس أبو واكد	عبية	إسكندر مارون الخوري	حاصبيا
سليم إلياس صهيون	صيدا	أنطون العضم	بيروت
نقولا بو عكر	زوق مكايل	إبراهيم إدة	بيروت
يوسف روكز	زوق مكايل	فرح جبور	ساحل علما
سعيد سعد	مجيدل ـ صيدا	جرجس شاكر	دير القمر
كليم الحشيمي	بكفيا	أنطون البصبوص	زوق مكايل
نخلة الكيف	زوق مكايل	ملحم الحلو	حصرايل
أسعد ناصيف	روم	سليمان الغصين	درب السين
يوسف الزغبي	جديدة كسروان	يوسف معتوق	بكفيا
إلياس سعادة	أهدن	سليم الحاج	قيتولة
عبد الله داغر	بكفيا	يوسف الخوري	بيروت
حبيب ساروفيم	بيروت	إلياس عساف	بيروت
أنطون شامل	بكفيا	حبيب جرجس	عاريا
ميخائيل مرعب	بيروت	يعقوب مالك	الكفور
بطرس بو واكد	عبية	حنا الخوري	غوسطا
طانيوس المكاري	البترون	إبراهيم مارون	بلاط
إلياس عطا الله	عبية	دوميط الدبس	غزير
إسكندر مارون	صيدا	حبيب معتوق	بكفيا
سليم الحاج	قيتولي	أنطون لحود	عبية
بطرس نوهرا	شملان	جبران رزق	لبعا
حبيب يزبك	بكفيا	يوسف روفايل	درعون
بطرس بو لحود	جزين	إلياس شلهوب	بيروت
عبد الله أرميا الخوري	بيروت	داود مرعب	بيروت
قيصر يوسف	قيتولة	عبد الله أرميا	بيروت
يوسف عطا الله	بيروت	ملحم فرح	عبية
أفرام جرجس	مجيدل ـ صيدا	سليم صهيون المعوشي	صيدا
جرجس بوياجي	بيروت	نجم أبو صافي	بكفيا
ميخائيل لبنان	دلبتا	بشير الشوكتلي	بيت شباب
إلياس ملحمة	بيروت	شاهين عازار	جزين

أنطون جاريوس	درعون	جرجس فريج	زوق مصبح
سعد أبي خاطر	عبية	فرح جبور	ساحل علما
حنا الملحة	عينطورة	بشارة كميد	بيروت
بولس نعوم	بيروت	نجيب راشد	بعقلين
واكيم سمعان	عشقوت	رزق الله عبس	ساحل علما
يوسف فرنسيس	القليعات	يوسف جرجس	الشواليق
بطرس القندلفت	صيدا	نخلة سركيس	بيروت
غنطوس ثابت	بيروت	يوسف توما	أيطو ـ أهدن
خليل عقل	صليما	سمعان شهدان	غوسطا
أنطون سليمان	البترون	طانيوس حنا	المتين
جرجس العفيفي	مزرعة كفرذبيان	إلياس عطا الله	عبية
أنطون البواري	بيروت	جرجس الأسود	حلب
يوسف زخيا	غبالة	فارس جناديوس	القليعات
ميخائيل نعوم	بيروت	يوسف البستاني	عبية
عبد الله جبور	غزير	يوسف علوان	بكفيا
إبراهيم ثابت	دير القمر	سليم عيسى	ساحل علما
بشارة عازار	جزين	بشارة طعمة	بيروت
عبد الله آصاف	عرمون	موسى كريدي	عين كفاع
أسطفان جرجس	عقتانيت	سليم عطا الله	بيروت
جرجس أبي نادر	جزين	يوسف نصار	بكفيا
ميخائيل الحجار	حلب	حنا طعمة	بكفيا
ميخائيل الحايك	بيت شباب	حبيب طنوس	بشري
أسعد بطرس	زغرتا	داود سرحان	دير القمر
طنوس الأشقر	بيت شباب	فارس أبو صالح	عين علق
جرجس أبي شاكر	دير القمر	سعيد يوسف	المجيدل
إبراهيم نعوم	بيروت	سليم ضاهر	عقتانيت
طنوس عبد الله	عقتانيت	أسعد أبو سلهب	بعبدات
عبد الله حبيب	صيدا	حبيب لاون	عاريا
فارس الحميري	صغبين	جرجس المسابكي	دمشق
بطرس شملان	مجدليا	أسعد كوكباني	جزين
إسكندر الخوري	حاصبيا	إبراهيم مزهر	بكاسين
ملحم نعمة	بكفيا	طنوس برهوش	ساحل علما

حبيب نعوم	بيروت	يوسف جبران الخوري	ميروبا
بشارة الخوري	الدامور	ألفونس عازار	جزين
نخلة سركيس	بيروت	أنطون جبرائيل	شننعير
عبد الله سمعان	عشقوت	جرجس عطا الله	حاصبيا
إبراهيم فارس	بيروت	أنطون بشارة	مجدليا
عبد الله قمورة	غزير	سليم عبد المسيح	بيروت
يوسف زوين	الفتوح	فيليب إدة	بيروت
سعيد باز	دير القمر	إبراهيم مارون	بلاط ـ جبيل
سمعان الحرتوقي	دلبتا	أسعد كرم	جزين
عبده نمر	رشميا	بطرس نوهرا	شملان
إلياس حنا	عقتانيت	يوسف الحاج	بكفيا
أنطون البستاني	عبية	فارس الحايك	عين علق
جبران باخوس	غزير	إلياس داغر	بكفيا
حبيب الحاج	قيتولة	بشارة رشدان	عشقوت
ميخائيل سركيس	بيروت	موسى العجيل	جزين
نجيب عون	صغبين	جرجس منصور	درعون
داود سرحان	دير القمر	ديب يارد	غزير
حبيب حجار	حلب	حبيب الغريب	المعمّرية
جرجي نخول	البترون	إبراهيم بو فرح	بكفيا
يوسف نمور	عقتانيت	داود لحود	سبعل
حنا بركات	العاقورة	إبراهيم نادر	جزين
أسعد بطرس	زغرتا	قبلان غادي	بعبدات
جرجس مرزا	بيروت	حنا بلورا	حاصبيا
ملحم فياض	بكفيا	يوسف توما زكريا	طرابلس
أسعد البدوي	كفر حاتا	أيوب هوشر	زوق مكايل
إلياس لطف الله	عرمون	جبرائيل كرم	بيروت
خليل المندلق	المجيدل ـ صيدا	أنطون الكيف	زوق مكايل
إلياس دفوني	بيروت		

المصدر: سجلات البطريركية المارونية بالإسكندرية.

ملحق رقم (٣)

العدد السنوي لحالات الزواج المدونة في سجلات البطركخانة المارونية بالإسكندرية (١٨٤٥-١٩٥٠)

السنة	عدد عقود الزواج	السنة	عدد عقود الزواج	السنة	عدد عقود الزواج
١٨٤٥	٢	١٨٦٩	١٢	١٨٩٣	٢٢
١٨٤٦	١	١٨٧٠	٧	١٨٩٤	٢١
١٨٤٧	٣	١٨٧١	٩	١٨٩٥	١٤
١٨٤٨	١	١٨٧٢	١٢	١٨٩٦	١٨
١٨٤٩	٥	١٨٧٣	٧	١٨٩٧	٢٩
١٨٥٠	٢	١٨٧٤	٩	١٨٩٨	٢٠
١٨٥١	٢	١٨٧٥	٨	١٨٩٩	٢٢
١٨٥٢	١	١٨٧٦	٩	١٩٠٠	١٣
١٨٥٣	١	١٨٧٧	١٤	١٩٠١	٢٤
١٨٥٤	٣	١٨٧٨	٩	١٩٠٢	٢٤
١٨٥٥	٦	١٨٧٩	١٤	١٩٠٣	٢٨
١٨٥٦	٢	١٨٨٠	١٧	١٩٠٤	٢٤
١٨٥٧	٦	١٨٨١	٣٣	١٩٠٥	٢٥
١٨٥٨	٣	١٨٨٢	١٢	١٩٠٦	٣٩
١٨٥٩	٢	١٨٨٣	٢٢	١٩٠٧	٣٠
١٨٦٠	٨	١٨٨٤	١٩	١٩٠٨	١٦
١٨٦١	٥	١٨٨٥	٢٤	١٩٠٩	٢٩
١٨٦٢	١٢	١٨٨٦	١٨	١٩١٠	١٩
١٨٦٣	٧	١٨٨٧	١٥	١٩١١	٢٧
١٨٦٤	٢	١٨٨٨	١٨	١٩١٢	٢٤
١٨٦٥	٥	١٨٨٩	٢٣	١٩١٣	٢٤
١٨٦٦	٥	١٨٩٠	١٣	١٩١٤	٢٦
١٨٦٧	٤	١٨٩١	١٦	١٩١٥	١٧
١٨٦٨	٧	١٨٩٢	١٦	١٩١٦	٢٣

السنة	عدد عقود الزواج	السنة	عدد عقود الزواج	السنة	عدد عقود الزواج
١٩١٧	٢٦	١٩٢٩	٢٦	١٩٤١	٢٦
١٩١٨	٢٣	١٩٣٠	١٩	١٩٤٢	٢٧
١٩١٩	٢٨	١٩٣١	١٦	١٩٤٣	٣٢
١٩٢٠	٢٦	١٩٣٢	٢١	١٩٤٤	٢٦
١٩٢١	٢٨	١٩٣٣	١٩	١٩٤٥	٢٨
١٩٢٢	٣٠	١٩٣٤	٣٣	١٩٤٦	٢٥
١٩٢٣	٢٤	١٩٣٥	٢٢	١٩٤٧	٢٥
١٩٢٤	٢٤	١٩٣٦	١٩	١٩٤٨	٤٢
١٩٢٥	١٧	١٩٣٧	٢٦	١٩٤٩	٤٢
١٩٢٦	٢٧	١٩٣٨	١٥	١٩٥٠	٢٩
١٩٢٧	٢٨	١٩٣٩	١٨		
١٩٢٨	٢١	١٩٤٠	٢٢		

المصدر: سجلات البطريركية المارونية بالإسكندرية.

ملحق رقم ٤

المنابت الجغرافية لتزاوج الشوام بالإسكندرية في القرن التاسع عشر

اسم الزوج	اسم البلدة اللبنانية التي هاجر منها	اسم الزوج	اسم البلد اللبنانية التي هاجر منها
ميخائيل سمعان الزايك	غزير	دميانة رزق حنا	مصرية
شاهين جبور شاهين	ساحل علما	حنة ناصيف	جزين
أنطون الشدياق	درعون	ترازيا بشارة	دفون
ميخائيل الخراط	بكفيا	صوفيا الخراط	بكفيا
قزحيا يوسف	بساتين صيدا	فروسين سرحان	دير القمر
سليم إلياس الصهيوني	النبطية	وردة جرجس أنطون	صيدا
عبده الحاج	معلقة زحلة	فهده يوسف العاقوري	جرجوع
إبراهيم كميد	بيروت	آسين عطا الله	دير القمر
داود الأشقر	بيت شباب	ابنة فضول الأشقر (كذا)	بيت شباب
إسكندر الكورجي	صيدا	مريم بارومة	ناحية صيدا (!)

سرحان نجيم	ساحل علما	سيسيليا باسيلي	صيدا
يوسف الزعني	عرمون	مريم همام العضم	درعون
حاتم سجعان	بكفيا	مريم البطايني	دمشق
يوسف أبو يزبك	درب السين	كاترين البستاني	دير القمر
طنوس فارس	زوق مكايل	هنربيت كوشتلك	النمسا
يوسف ديبان	درعون	وردة لحود	بيروت
طنوس سليمان	البترون	مريم إلياس ديرمة	صيدا
عبد الله عبود	بدادون	مريم حبيب ضاهر	بشري
عبده نوح	بكفيا	كاترين خليل رحيم	جزين
أنطون شاول	بكفيا	فرنساوية صالح	بعبدات
سركيس سعادة	أهدن	هندوم ميخائيل الفخري	بشري
عبد الله سمعان واكيم	عشقوت	جميلة حبيب عبدو	زوق مكايل
سليم الحاج	قيتولة	سوسان يوسف شبير	دمشق
إلياس هيكل	عقتنيت	لطيفة إلياس دبس	صيدا
صافي ضاهر أبي صافي	بكفيا	ابنة خاله إميليا يوسف علوان	بكفيا
بشارة كحيل	زوق مكايل	نزهة روكس غانم	جونية
يوسف عبد الله	مزرعة يشوع	حنة زخور الخوري	درعون
يواكيم سمعان يواكيم	عشقوت	وردة حبيب عبده	زوق مكايل
إبراهيم أنطون الشدياق	بكفيا	أغاتا شاول	بكفيا
يعقوب باسيليوس	دير القمر	بريجيت سمعان الخوري	بعبدات
أسعد جنينة	بيروت	وردة جبرائيل غرة	الشام
خليل سركيس	بيروت	عفيفة رقية	بيروت
ساروفيم أغسطين	دلبتا	مريم شوشان	دلبتا
جرجس عطا الله	بيروت	مريم الخراط	بكفيا
حبيب معتوق	بكفيا	هيلانة منسي	صيدا
بطرس عساف الصباغ	حاصبيا	هدول أنطوان البواري	بوار
ساروفيم أغسطين	دلبتا	نظيرة رفول الحداد	دلبتا (زواج ثان)
يوسف الشلفون	بيروت	ليزا شامية	صيدا
فارس الصايغ	صغبين	وردة يوسف الهندي	مشغرة
فارس أنطون الخوري	كفر جرا	ترازيا بولس بوتاري	كفر جرا
أسعد البدوي	كفر حاتا ـ الزاوية	فريدة جرجس مطر	زحلة
إبراهيم طربية	بسكنتا	ناجية الحاج	بكفيا

خليل بطرس الخوري	جبيل	ملكة ميخائيل أنجية	الشام
يوسف داغر	بكفيا	مريم نصار جبران	بكفيا
يوحنا درويش	دلبتا	أستير درويش	دلبتا
درويش طعمة	بيروت	راحيل إلياس طعمة	بكفيا
يوسف نمور	صيدا	سلمى شيحا	دمشق
فارس الجميل	بكفيا	مريم ملحم فرح	بيروت
فرج ثابت	بيروت	ابنة خاله أدال إبراهيم ثابت	بيروت
نجيب أسعد الجميل	بكفيا	جوانا كحالة	مالطا
يوسف الخوري	القبيات	فريدة ملحم النقور	بيروت
خليل نقولا الشاوي	طرابلس	مريم جرجس البايع	رحبة ـ عكار
داود عساف	جزين	مرتا إبراهيم هيكل	قيتولة
ملحم بطرس عبده	روم	وردة جرجس سليمان	روم
جبرائيل سمعان كرم	يحشوش	عفيفة عساف الحداد	دير القمر
حبيب حنينة	رأس بيروت	ياسمين شاكر	دير القمر
فيليب بك آصاف	عرمون	مريم خليل نعوم (زواج الأخوين على أختين وفي يوم واحد)	بيروت
خليل بك آصاف	عرمون	ماتيلدا خليل نعوم	بيروت
يوسف جرجس سمعان	المجيدل	سعدي مارون الخوري	المجيدل
مسعود خديج	حارة حريك	راحيل ميخائيل الشلفون	بيروت
يوسف سليم صالح	حدث بيروت	كاميليا سليم صالح	حدث بيروت
يوسف حنا القاعي	جونية	أدال شكيب جنبلاط (الأب درزي تحول إلى الكثلكة)	البرامية
إميل إبراهيم إدة	بيروت	لودي جورج لطف الله سرسق	بيروت
سليم ضاهر	عقتنيت	ابنة خاله نعيمة شبلي الأسمر	عازور

المصدر: سجلات البطريركية المارونية بالإسكندرية.

ملحق رقم (٥)

الأعداد السنوية للمتوفين الشوام المدوّنين لدى سجلاّت الموارنة بالإسكندرية

السنة	عدد المتوفين	السنة	عدد المتوفين	السنة	عدد المتوفين
١٨٤٠	١	١٨٧١	١٢	١٨٩٧	١١
١٨٤٥	١	١٨٧٢	١٤	١٨٩٨	٢٥
١٨٤٧	٢	١٨٧٣	١٠	١٨٩٩	١٦
١٨٤٨	٨	١٨٧٤	٣٧	١٩٠٠	١٤
١٨٤٩	٣	١٨٧٥	٢٨	١٩٠١	٣٧
١٨٥٠	٢	١٨٧٦	١٧	١٩٠٢	٣٨
١٨٥١	٥	١٨٧٧	١٥	١٩٠٣	٥٢
١٨٥٢	١٣	١٨٧٨	١٥	١٩٠٤	٥٨
١٨٥٣	٦	١٨٧٩	١٩	١٩٠٥	٧٣
١٨٥٤	٥	١٨٨٠	٢٠	١٩٠٦	٥١
١٨٥٥	١٠	١٨٨١	٢٠	١٩٠٧	٦٥
١٨٥٦	٧	١٨٨٢	٩	١٩٠٨	٦٢
١٨٥٧	٥	١٨٨٣	٢٤	١٩٠٩	٥٠
١٨٥٨	٧	١٨٨٤	١٢	١٩١٠	٦٧
١٨٥٩	٧	١٨٨٥	١٥	١٩١١	٦٣
١٨٦٠	٢٠	١٨٨٦	١٧	١٩١٢	٤٦
١٨٦١	١٥	١٨٨٧	١٦	١٩١٣	٤٨
١٨٦٢	١٣	١٨٨٨	١٧	١٩١٤	٦٧
١٨٦٣	١٩	١٨٨٩	١٨	١٩١٥	٥٤
١٨٦٤	١٩	١٨٩٠	٢٢	١٩١٦	٥٩
١٨٦٥	٢٩	١٨٩١	٢٢	١٩١٧	٦١
١٨٦٦	١٤	١٨٩٢	٢٥	١٩١٨	٩٢
١٨٦٧	١٥	١٨٩٣	٢٠	١٩١٩	٦٥
١٨٦٨	١٠	١٨٩٤	١٧	١٩٢٠	٨٢
١٨٦٩	٢٠	١٨٩٥	١٥	١٩٢١	٦٠
١٨٧٠	١٦	١٨٩٦	١٣	١٩٢٢	٥٥

السنة	عدد المتوفين	السنة	عدد المتوفين	السنة	عدد المتوفين
١٩٢٣	٤٩	١٩٣٣	٤٧	١٩٤٣	٦٣
١٩٢٤	٥٧	١٩٣٤	٥١	١٩٤٤	٤١
١٩٢٥	٦٦	١٩٣٥	٤٨	١٩٤٥	٥٧
١٩٢٦	٥٩	١٩٣٦	٦٢	١٩٤٦	٤١
١٩٢٧	٥٢	١٩٣٧	٥٠	١٩٤٧	٤٥
١٩٢٨	٥٣	١٩٣٨	٥٦	١٩٤٨	٥٨
١٩٢٩	٤٨	١٩٣٩	٤٩	١٩٤٩	٣٠
١٩٣٠	٣٤	١٩٤٠	٥٠	١٩٥٠	٤١
١٩٣١	٤٦	١٩٤١	٤٨		
١٩٣٢	٦١	١٩٤٢	٤١		

المصدر: سجلات البطريركية المارونية بالإسكندرية.

ملحق رقم (٦)

إحصاء موازنة القاهرة عام ١٩٥٥ أو إحصاء توفيق لبّس

اسم العائلة	العدد الإجمالي لبيوتها	اسم العائلة	العدد الإجمالي لبيوتها	اسم العائلة	العدد الإجمالي لبيوتها
إبراهيم	٩	أبي ناضر	٦	الأطرش	٣
أبو جودة	١	أديب	٢	إلياس	١١
أبو زخم	٢	إدة	٢	إيليا	٢٣
أبو سمرا	٤	أزرق	٥	أيوب	٧
أبو سهل	١	إسكندر	٣	باخوص	٥
أبو سيف	١	أسطفان	٥	بارازان	٧
أبو شاول	١١	أسعد	١٠	باسيل	٣
أبو شقرا	١	أسمر	١٢	بترو	٢
أبو عكر	١	أسود	١٩	بحري	٢
أبي جار	٢	أشعيا	٣	بدران	٨
أبي حرب	٥	أشقر	١٣	بدوي	٤

أبي شاكر	١	آصاف	٥	بديوي	١٠
أبي طايع	٥	الأخرس	٢	برباري	٧
بركات	١٣	حبيقة	٣	رزق الله	٥
بزعوني	٧	حجار	١٣	روفايل	٢٠
برنوطي	١	حداد	٧	ريس	٢٧
بستاني	٢٣	حرب	٣	زعبي	١٠٨
بشارة	١٠	حرفوش	١٣	زعني	٣
بشعلاني	٣	حشيمة	٢٧	زغيب	٣
بطرس	٦	حكيم	٣	زكور	٦
بليبل	٤	حلاق	٤	زند	٢٨
بوس	٥	حلو	٢١	زوين	٢
بويز	٧	حنا	٨	زيادة	٥
بويري	٥	حنين	٩	زين	٢
ثابت	٤٥	حنينة	٤	ساسين	٦
ترك	٨	حوراني	٣	سرحان	١٠
تقلا	٤	خازن	١	سرسق	١
توما	١٦	خاطر	٦	سعادة	٤
تيان	٢	خباز	٢	سعد	١١
جاماتي	٥	خضرا	١	سعيد	٦
جبريل	٤	خطار	٩	سركيس	٨
جبلي	٤	خليل	٨	سليمان	٤
جدعون	٩	خليفة	٨	سلوم	٧
جدعان	٦	خضير	٨	سمعان	٦
جمال	٩	خوري	٦١	سمعاني	٢
الجميل	٢٢	خياط	٩	شاعر	٢
جودة	٧	داغر	٣	شاكر	١٣
جهجاه	٩	داود	٤	شامي	١٥
حاتم	٩	دريان	٣	شاهين	١٠
جاج	٤٠	دكاش	٣	شاوول	٦
حاصباني	٢	دياب	٤	شاوي	٦
حايك	١٧	ديب	٦	شبطيني	٣
حبق	٦	ديك	٤	شبلي	٧

حبيب	١٧	راجي	٨	شديد	٢١
حبيش	١١	رزق	١٠	شدياق	١٠
شربل	٥	ظريفة	١	غصن	٨
شكور	١٧	عازار	٢٧	غصين	١٠
شلفون	٨	عازر	٩	غطاس	٧
شلهوب	١٠	عازوري	٣٢	فارس	١٢
شمالي	١٤	عاقوري	١٦	فاضل	٤
شمعون	٢	عبد الله	٦	فرح	٦
شهاب	٥	عبد الأحد	٣	فرحات	٢
شهوان	٣	عبد المسيح	٨	فرنسيس	١٣
شوشة	٥	عبد النور	٥	فهمي	٦
شويفاتي	٤	عرب	٣	قرألي	٢٠
شيشة	٨	عزيز	١٢	قزحيا	٣
صاحب	٥	عساف	٢٥	قزي	٤
صافي	٦	عشقوتي	٣	قماطي	٦
صايغ	١٨	عضم	٤	قيصر	٣
صباغ	٣	عطا الله	١٦	كامل	٧
صعب	٢٠	عطية	٦	كرم	٣١
صفير	٢٥	عقاد	٤	كريدي	٨
صقر	٥	عقل	١١	كساب	٤
صليبا	٣	عقيقي	٥	كلداني	١٠
صوراتي	٨	عكر	٣	كليب	٧
صياح	١٢	عماد	٣	كميد	٨
صياد	٤	عمون	١٠	كنعان	٤٠
ضاهر	١٣	عواد	٢١	كيال	٦
طبشي	٤	عون	٩	لبنان	٦
طحان	٢	عيد	١٨	لحود	١٠
طراد	٤	عيسى	٣	لطف الله	١
طرزي	١	غازي	٤	لاوون	٣
طعمة	٢	غالب	١٣	مارون	٢٩
طنوس	١٢	غالي	١٥	مبارك	١٠
طوبيا	٢	غانم	٢١	متى	١٢

طويل	١	غبريل	١١	مخلوف	٨
ظابط	٨	غريّب	١٤	مراد	٣
مرعب	٤	ميخائيل	١١	نقولا	٤
مرعي	٨	مرزا	١٦	نمور	٣٤
مسابكي	١٤	نادر	١٧	نوح	٩
مسلم	٤	ناصر	٥	هاني	٦
مشحور	٧	ناصيف	١٤	هب الريح	١٠
مطر	١٢	نجار	٧	هنود	٥
معوض	٤	نجم	٩	واكد	٥
مكرزل	٦	نجيم	٤	واكيم	٨
ملحم	٧	نحاس	٣	وهبة	٩
ملحة	٨	نحول	١٣	وهيبة	٣
منتوش	١	نصار	٩	ياجي	٣
منسي	٤	نصر	٨	يزبك	٣٦
منصور	١٦	نعمة	١٦	يعقوب	٣
مهنا	٧	نعوم	١	يمّين	٩
موراني	٥	نفاع	١٤	يوسف	٩
موسى	٣	نقاش	٦	يونس	٢

المصدر: سجلات البطريركية المارونية بشبرا ـ القاهرة.

ملحق رقم (٧)

أرثوذكس الإسكندرية الشوام (١٨٩٣-١٩٣٢)

السنة	اسم المهاجر	مكان المهاجر من الشام	نوع العمل	ملاحظة
١٨٩٣	جورج قرداحي	طرابلس	تاجر	زوجته رضى جرجس كرم
١٨٩٣	إلياس صوايا	طرابلس	تاجر	زوجته نزهة نقولا يواكيم
١٨٩٥	إديل عبد الله أبو شنب	دمشق	تاجر	زوجها جبران عبد النور
١٨٩٥	نقولا متري الشويري	بيروت	تاجر	زوجته مهجة حبيب العازار
١٨٩٩	خليل أورفلي	بيروت	محام	زوجته أسما أورفلي - متوفى
١٨٩٩	نقولا دياب	بيروت	تاجر	زوجته ماري خليل دياب متوفى
١٩٠٠	جبرائيل شيبوب	بيروت	تاجر	زوجته صوفيا أديب - متوفى
١٩٠١	جرجس عماد	لبنان	تاجر	زوجته لطيفة يوسف بطيخة متوفى
١٩٠٤	إلياس عبده سكر	لبنان	تاجر	زوجته لبيبة أنطونيوس الحموي - متوفى
١٩٠٥	أسطفان مغربي	بيروت	تاجر	زوجته ثريا الصباغ - متوفى
١٩٠٥	خليل قنواتي	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٧	سابا جرجس سابا	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٧	توفيق فرح	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٨	الدكتور أسعد جورج فياض	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٨	الدكتور جورج أنسطاس	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٨	نخلة فواز	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٨	جورج لطفي	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٨	حنين ديب	بيروت	تاجر	زوجته منى طعمة - متوفى
١٩٠٨	پول حبيب إبراهيم	بيروت	تاجر	موظف بالإسكندرية
١٩٠٨	شارل ديمتري خلاط	طرابلس	تاجر	متوفى

١٩٠٨	عبد الله حنا نقاش	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٨	حافظ صيقلي	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٩	حنا النحاس	بيروت	تاجر	
١٩٠٩	سامي ديب	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٩	يوسف إلياس دباس	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٩	نعمه كلش	لبنان	تاجر	متوفى
١٩٠٩	أسبيريدون عباس	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٠٩	ميشال إلياس نعمة	لبنان	تاجر	
١٩٠٩	أسعد مفرج	لبنان	تاجر	متوفى
١٩٠٩	إلياس أبو داود	دمشق	تاجر	متوفى
١٩٠٩	شحاتة الحموي	حماه	تاجر	متوفى
١٩٠٩	جورج غالبونجي	الشام	تاجر	متوفى
١٩٠٩	زكي مابرو	العراق	تاجر	متوفى
١٩٠٩	إدوار عيد	بيروت	تاجر	مقيم الآن بتورنتو ـ كندا
١٩٠٩	سليم عاد	لبنان	تاجر	مقيم الآن بتورنتو ـ كندا
١٩٠٩	مرسيل أسعد باسيلي	طرابلس	تاجر	زوجة الدكتور أنور ويجان
١٩٠٩	يوسف أبو شعر	بيروت	موظف	مقيم الآن في سويسرا
١٩٠٩	إميل نخلة أبو شعر	بيروت	مدير مكتب المجلس الطائفي الأرثوذكسي بالإسكندرية	
١٩٠٩	جان بدور	جبل لبنان		
١٩٠٩	إسكندر طاسو	جبل لبنان		
١٩٠٩	رينة إسكندر جهشان	بيروت	مدير بنك سابقًا	مقيم في الإسكندرية
١٩١٠	إلياس شماعة	بيروت		متوفى
١٩١٠	عبد الله طوا	بيروت		متوفى
١٩١١	فيليب جهشان	بيروت	موظف	متقاعد ومقيم بالإسكندرية
١٩١٢	جبران هواويني	دمشق	تاجر	متوفى
١٩١٢	إلكسندرا إلياس معطلاتي	دمشق	تاجرة	متوفية
١٩١٢	يوسف نصر الله	لبنان	تاجر	متوفى
١٩١٢	إلياس بوسطجي	بيروت	موظف	متوفى
١٩١٢	ميشال عبوشي	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٢	ميشال نجار	بيروت	تاجر	متوفى

١٩١٣	إسكندر جهشان	بيروت	موظف	متقاعد ومقيم بالإسكندرية
١٩١٤	فرانسوا أسعد إلياس	لبنان	موظف	محال إلى المعاش ومقيم بالإسكندرية
١٩١٤	جورج كاتسفليس	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٤	هنري عكر	بيروت	تاجر	موظف مقيم في ملبورن ـ أستراليا
١٩١٤	إيلي زكي الريس	بيروت	موظف بالمعاش	محال إلى التقاعد ومقيم بالإسكندرية
١٩١٤	ألفريد إلياس أبو عضل	بيروت	موظف	محال إلى التقاعد ومقيم بالإسكندرية
١٩١٤	أليس إسكندر جهشان	بيروت	ربة منزل	مقيمة بالإسكندرية
١٩١٤	ماري أسعد مفرج	بيروت	ربة منزل	مقيمة بالإسكندرية
١٩١٤	إلياس نجيب بطرس	بيروت	موظف وتاجر	متوفى
١٩١٥	ميشال إلياس فياض	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٥	ألفرد ميشال نعمة	جبل لبنان	تاجر	متوفى
١٩١٥	ألكسي دروس	بيروت	موظف	مقيم بمونتريال كندا
١٩١٥	فؤاد دروس	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٥	ديمتري زبال	بيروت	خياط	—
١٩١٥	وديع جلال	الشام	خياط	متوفى
١٩١٥	نقولا يوسف فرح	طرابلس الشام	تاجر	مقيم بملبورن ـ أستراليا
١٩١٥	ميشال أديب سمعان	بيروت	موظف	مقيم بمونتريال ـ كندا
١٩١٥	شفيق سليم ديب	لبنان	موظف	متوفى
١٩١٦	وديع السكاف	جبل لبنان	تاجر	متوفى
١٩١٦	نقولا سليمان عبود	بيروت	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩١٦	فيكتور جورج جبر	بيروت	تاجر	مقيم بسيدني في أستراليا
١٩١٦	نجيب عازار	بيروت	موظف	مقيم في الإسكندرية
١٩١٧	حنا ميشال كلش	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٧	هنري سليم طراد	بيروت	تاجر وملّاك	متوفى
١٩١٧	شارل حبيب مسعد	بيروت	تاجر وملّاك	متوفى
١٩١٧	شارل إيلي عكاوي	بيروت	تاجر وملّاك	متوفى
١٩١٧	نجيب نقولا متري	بيروت	موظف	متقاعد ومقيم بالإسكندرية
١٩١٧	جبرائيل عارف الصباغ	حمص	تاجر	متوفى

١٩١٧	روبير جبرائيل نادر	لبنان	ملّاك	متوفى
١٩١٧	أولجا إسكندر جهشان	بيروت	ربة منزل	-
١٩١٨	هنرييت يواكيم	لبنان		زوجة ألبير شيبوب
١٩١٨	جبرائيل إسكندر عازار	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٨	ألفرد جورج بشارة	بيروت	تاجر	مقيم في مونتريال ـ كندا
١٩١٨	فليب جورج فيعاني	بيروت	تاجر أدوات صحية	مقيم في الإسكندرية
١٩١٨	جول جورج فيعاني	بيروت	موظف	مقيم في لبنان
١٩١٩	كلير نقولا متري	بيروت	ربة منزل	-
١٩١٩	ديمتري قسطنطين الشويري	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩١٩	أنطون جميل صيقلي	بيروت	تاجر	متوفى
١٩١٩	مرسيل إلياس سكر	بيروت		أرملة روبير نادر
١٩١٩	شارل إلياس شويري	بيروت	موظف	يعمل في مونتريال ـ كندا
١٩١٩	نيللي سليم منصور	بيروت	ربة منزل	زوجة جبرائيل نقاش
١٩١٩	جبرائيل سليم بركة	بيروت	موظف	يعمل في مونتريال ـ كندا
١٩١٩	بولس سليم بركة	بيروت	تاجر	يعمل في مونتريال ـ كندا
١٩١٩	ماري توفيق فرح	طرابلس	ربة منزل	مقيمة بالإسكندرية
١٩٢٠	ميشال وديع السكاف	لبنان	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢٠	فيليب حبيب شكور	بيروت	تاجر	متوفى
١٩٢٠	أنطون متري القرم	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢٠	نقولا ألفرد يواكيم	بيروت	تاجر	مقيم في فرنسا
١٩٢٠	مارسيل جميل صيقلي	بيروت	ربة منزل	تقيم بمونتريال ـ كندا
١٩٢٠	عزيزة سامي ديب	بيروت	ربة منزل	تقيم في كاليفورنيا
١٩٢٠	فالي أنطاكي	بيروت	ربة منزل	أرملة جورج فريحة
١٩٢٠	مارسيل فهد الشويري	بيروت	ربة منزل	-
١٩٢٠	إميل إسكندر جهشان	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢٠	فرنسوا جبران أسبر	بيروت	تاجر	-
١٩٢١	خرستو نقولا دروس	بيروت	تاجر	مقيم بمونتريال ـ كندا
١٩٢١	إبراهيم توفيق هاشم	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢١	جاك لبيب عبود	بيروت	رجل أعمال	عاد إلى لبنان
١٩٢١	إدوار جورج بشارة	بيروت	تاجر	يعمل في أستراليا
١٩٢١	هنري جميل نصير	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان

١٩٢١	جورج توفيق كرم	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢١	مرسيل فيليب فياض	بيروت	ربة منزل	ـ
١٩٢١	جبرائيل زيتوني	بيروت	تاجر	ـ
١٩٢١	لورانس عزيز حاصباني	لبنان	ربة منزل	ـ
١٩٢١	أدجار كلش	بيروت	تاجر	ـ
١٩٢١	فؤاد نقولا متري	بيروت	تاجر	ـ
١٩٢١	إيليا أنيس الخوري	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢١	سليمان أمين منصور	لبنان	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢١	إيلي وديع الشويري	بيروت	تاجر	عاد إلى لبنان
١٩٢٢	جورج يعقوب كلش	لبنان	تاجر	ـ
١٩٢٢	جورج توفيق هاشم	بيروت	تاجر	ـ
١٩٢٢	حبيب جبران الصايغ	بيروت	موظف	يعمل في مونتريال ـ كندا
١٩٢٢	ماري ميخائيل نحاس	بيروت	ربة منزل	ـ
١٩٢٢	مرجريت نجيب فرح	طرابلس	ربة منزل	ـ
١٩٢٢	نقولا ديمتري زيتوني	بيروت	موظف	مقيم في الإسكندرية
١٩٢٢	ريمون جميل صيقلي	بيروت	موظف	مقيم في مونتريال
١٩٢٢	هنري جبرائيل أورفلي	بيروت	موظف	مقيم في الإسكندرية
١٩٢٢	جورج حبيب زغيب	بيروت		ـ
١٩٢٢	وليم كامل مرسي	الشام	طبيب	مقيم في الإسكندرية
١٩٢٢	أولجا ميخائيل بطحيش	لبنان	ربة منزل	مقيمة في نيوزيلاندا
١٩٢٢	هنري بنايوتي حنا	لبنان	تاجر	مقيم في ملبورن ـ أستراليا
١٩٢٢	خليل نقولا الملا	لبنان	تاجر	ـ
١٩٢٢	شارلوت شكري قنواتي	الشام	ربة منزل	ـ
١٩٢٣	مرجريت خير الله نصري	الشام	ربة منزل	متزوجة من يوناني
١٩٢٣	ماري نقولا سرسق	بيروت	ربة منزل	مقيمة في بيروت
١٩٢٣	أندراوس نقولا صباغ	بيروت	تاجر	ـ
١٩٢٣	يعقوب كامل نوفل	بيروت	تاجر	ـ
١٩٢٣	ماري نجيب أورفلي	بيروت	ربة منزل	ـ
١٩٢٣	ماري مادلين مصور	لبنان	مدرسة في مدرسة سان مارك بالإسكندرية	
١٩٢٣	ليليان ألفرد يواكيم	لبنان	ربة منزل	مهاجرة إلى سيدني ـ أستراليا
١٩٢٣	أدمون صديق خوري	لبنان	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٣	هنري شكري خير الله	لبنان	موظف،	مقيم بالإسكندرية

١٩٢٣	جورج كلش	بيروت	مهندس بواخر مقيم بالإسكندرية	
١٩٢٣	ماري موسى تامر	لبنان		
١٩٢٣	رينة جميل صيقلي	بيروت	موظف	مقيم في مونتريال ـ كندا
١٩٢٣	وليم صديق كلش	بيروت	موظف	مقيم بأستراليا
١٩٢٣	توفيق الحلا	الشام	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٤	إلياس توفيق الحلا	الشام	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٤	جاكلين جول خلاط	طرابلس	ربة منزل	-
١٩٢٤	جلاديس بطرس دباس	بيروت	ربة منزل	-
١٩٢٤	جلاديس نجيب عبود	بيروت	ربة منزل	-
١٩٢٤	ليلى ميشال قربة	الشام	ربة منزل	زوجة ألبير عوض الله القبطي
١٩٢٤	ريمون فيليب فياض	بيروت	تاجر	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٤	جبرائيل باسيلي نحاس	بيروت	تاجر	مقيم في ملبورن ـ أستراليا
١٩٢٤	ميشال ألفرد يواكيم	بيروت	تاجر	مقيم في فرنسا
١٩٢٤	هنري ديمتري عطا الله	بيروت	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٤	ماري متري صوفان	لبنان	ربة منزل	مقيمة بالإسكندرية
١٩٢٤	روبير زكي السبع	لبنان	مهندس	متوفى
١٩٢٤	توفيق جرجس نحال	لبنان		
١٩٢٤	سمير جورج مبيض	لبنان	طبيب	مهاجر إلى مونتريال
١٩٢٤	كلاديس وديع جلال	الشام	ربة منزل	زوجة نقولا سمعان
١٩٢٥	رولاند قسطنطين عبد النور	لبنان	ربة منزل	
١٩٢٥	إدوار موسى تامر الشيخ	الشام	رجل أعمال	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٥	إنجلينا وديع مسرة	لبنان	ربة منزل	توفيت بالإسكندرية
١٩٢٥	إفلين نجيب أورفلي	بيروت	ربة منزل	توفيت بالإسكندرية
١٩٢٥	يني نقولا دروس	بيروت	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٥	جورجيت أمين دروس	بيروت	ربة منزل	مقيمة بمونتريال ـ كندا
١٩٢٥	يوسف يعقوب الحويش	الشام	تاجر	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٦	كامل سامي ديب	لبنان	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٦	آجني توفيق زريق	الشام	ربة منزل	زوجة إسكندر لطيف
١٩٢٦	ريمون مجدلاني	بيروت	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٦	عبد الله أفتيموس عبد الله	الشام	عامل	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٦	نبيل يوسف متري	بيروت	موظف	مقيم في مونتريال

١٩٢٦	لوسيان نجيب أورفلي	بيروت	مهندس	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٦	أنطون قسطندي	الشام	مستخدم	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٧	نقولا جورج دياب	بيروت	تاجر	-
١٩٢٧	تيودور جول خلاط	طرابلس	موظف	مقيم في مونتريال ـ كندا
١٩٢٧	لوسيت عبد الله يازجي	لبنان	ربة منزل	-
١٩٢٧	أوديت نقولا إسكندر متري	لبنان	ربة منزل	زوجة لويس جبران
١٩٢٧	هنري أديب سمعان	بيروت	موظف	مقيم بالكويت
١٩٢٧	مود جورج مصور	بيروت	ربة منزل	-
١٩٢٧	أندريه بطرس دباس	بيروت	رجل أعمال	مقيم في فرنسا
١٩٢٨	بيار سمنة	الشام	تاجر	-
١٩٢٨	جلاديس متري شيبوب	بيروت	ربة منزل	أرملة
١٩٢٨	يوسف زكي السبع	الشام	-	-
١٩٢٨	روزموند سابا أورفلي	بيروت	ربة منزل	مقيمة بملبورن ـ أستراليا
١٩٢٨	أندريه ألبير نحاس	بيروت	ربة منزل	زوجة الدكتور سيدهم القبطي
١٩٢٩	مهيب يوسف متري	بيروت	طيار	مقيم في مونتريال ـ كندا
١٩٢٩	رزق الله إسكندر طرابلسي	طرابلس	موظف	مقيم بالإسكندرية
١٩٢٩	أوديت توفيق معصراتي	طرابلس	باحثة اجتماعية	مقيمة بالإسكندرية
١٩٢٩	جورج سابا زغيب	بيروت	تاجر	مقيم بسيدني ـ أستراليا
١٩٣٠	ريمون نجيب فرح	طرابلس	تاجر	-
١٩٣٠	إيزابيل سليم أبو شعر	بيروت	ربة منزل	مقيمة بمونتريال ـ كندا
١٩٣٠	روبير كامل نرشي	الشام	مهندس	أستاذ بكلية الهندسة بالإسكندرية
١٩٣٠	هنري فؤاد غليونجي	الشام	-	صاحب مكتب سياحة بالقاهرة
١٩٣١	ألفرد وديع يازجي	لبنان	مهندس	مقيم بكندا
١٩٣١	سيمون جوزف يازجي	لبنان	-	
١٩٣١	جوفريت وديع جلاد	حلب	ربة منزل	زوجة جورج حداد
١٩٣١	مرسيل يوسف الطويل	الشام	ربة منزل	زوجة جبرائيل نحاس ومقيمة بملبورن
١٩٣١	يوسف جورج شامي	الشام	تاجر	-
١٩٣٢	شارل إميل قرداحي	بيروت	مهندس	مقيم بمدينة تورنتو ـ كندا

المصدر: سجلات كنيسة سيدة النياح للروم الأرثوذكس بالإسكندرية وأرشيف الأب إلياس صوفان الخاص.

ملحق رقم (٨)

الهيئات الأرثوذكسية العربية بمصر عام ١٩٨٢

- المجلس الطائفي العالي للروم الأرثوذكس العرب، القاهرة.
- مجلس وكلاء كنيسة رؤساء الملائكة، القاهرة.
- مدرسة مار جرجس بالظاهر، القاهرة.
- الجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس العرب، القاهرة.
- كشافة الشرق لمنطقة الظاهر، القاهرة.
- جمعية الشبيبة الأرثوذكسية، القاهرة.
- أسرة القديس بولس، القاهرة.
- جمعية القديس جرجس الخيرية للروم الأرثوذكس، القاهرة.
- نادي مصر الجديدة الأرثوذكسي للروم الأرثوذكس العرب، القاهرة.
- جمعية الراعي الصالح الخيرية، القاهرة.
- كشافة الشرق لمنطقة مصر الجديدة، القاهرة.
- فريق كورال مصر الجديدة الأرثوذكسي، القاهرة.
- مجلس وكلاء كنيسة القديس أنطونيوس الكبير، الإسكندرية.
- جمعية يد الإحسان الأرثوذكسية،الإسكندرية.
- كشافة الشرق لمنطقة الإسكندرية، الإسكندرية.
- أسرة العذراء مريم، الإسكندرية.
- نادي الشبيبة الأرثوذكسية، الإسكندرية.

- الجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس المصريين، الإسكندرية.
- المجلس الطائفي للروم الأرثوذكس المصريين، الإسكندرية.
- مدرسة يد الإحسان بالشاطبي، الإسكندرية.
- جمعية الشبيبة الأرثوذكسية، بور سعيد.
- المجلس الطائفي للروم الأرثوذكس العرب، بور سعيد.
- كشافة الشرق لمنطقة بور سعيد، بور سعيد.
- مكتب الاتصال للشبيبة الأرثوذكسية بمصر، بور سعيد.
- المجلس الطائفي للروم الأرثوذكس العرب، السويس.
- الجمعية الطائفية للروم الأرثوذكس العرب، المنصورة.
- شباب الطائفة للروم الأرثوذكس العرب، المنصورة.
- المجلس الطائفي للروم الأرثوذكس العرب، طنطا.
- نادي الشبيبة الأرثوذكسية، طنطا.
- مجلس وكلاء، كنيسة القديس نيقولاوس، دمياط.
- الجمعية الخيرية العربية الأرثوذكسية، الزقازيق.
- جمعية طائفة الروم الأرثوذكس المصريين، طنطا.
- المجلس الطائفي للروم الأرثوذكس العرب، دمياط.

المصدر: وثائق أمين سر نادي مصر الجديد الأرثوذكسي للروم الأرثوذكس العرب السيد هوج نقاش (Hughe Naccache).

ملحق رقم (٩)

بعض أعداد حالات العماد المسجلة في بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة

السنة	عدد حالات العماد	السنة	عدد حالات العماد	السنة	عدد حالات العماد
١٨٧٣	١	١٨٩٦	٢	١٩١٩	١٠
١٨٧٤	٢	١٨٩٧	١	١٩٢٠	٧
١٨٧٥	١	١٨٩٨	٨	١٩٢١	٥
١٨٧٦	٤	١٨٩٩	٥	١٩٢٢	٩
١٨٧٧	١	١٩٠٠	٦	١٩٢٣	٤
١٨٧٨	٤	١٩٠١	٥	١٩٢٤	٥
١٨٧٩	٣	١٩٠٢	٤	١٩٢٥	٦
١٨٨٠	٣	١٩٠٣	٦	١٩٢٦	٢
١٨٨١	٢	١٩٠٤	٩	١٩٢٧	٧
١٨٨٢	٢	١٩٠٥	٤	١٩٢٨	٣
١٨٨٣	٣	١٩٠٦	٨	١٩٢٩	٨
١٨٨٤	٦	١٩٠٧	٨	١٩٣٠	٧
١٨٨٥	٤	١٩٠٨	٦	١٩٣١	٧
١٨٨٦	٥	١٩٠٩	٩	١٩٣٢	٩
١٨٨٧	١	١٩١٠	٦	١٩٣٣	١٢
١٨٨٨	٥	١٩١١	٨	١٩٣٤	١٥
١٨٨٩	٣	١٩١٢	٤	١٩٣٥	١١
١٨٩٠	٤	١٩١٣	٣	١٩٣٦	١٢
١٨٩١	٣	١٩١٤	١٠	١٩٣٧	١٢
١٨٩٢	١	١٩١٥	-	١٩٣٨	٥
١٨٩٣	٧	١٩١٦	٩	١٩٣٩	٤
١٨٩٤	٤	١٩١٧	٧	١٩٤٠	١٤
١٨٩٥	٧	١٩١٨	٧	١٩٤١	٥

١٩٤٢	٩	١٩٤٤	١٥
١٩٤٣	٧	١٩٤٥	٩

وتبلغ صفحات السجل الثاني ٤٧٦ صفحة من الحجم الكبير تتضمن أسماء الذين تلقوا سر العماد في البطركخانة منذ عام ١٩٢٩ حتى ١٩٨٢. ولدى اطلاعنا على أسماء العائلات الواردة في السجل تبين لنا أنها العائلات السابقة التي مر ذكرها في السجل الأول دون أن تلحظِ أسماء عائلات جديدة. لذلك اكتفينا برصد أعداد حالات العماد في هذا السجل منذ عام ١٩٢٩ حتى ١٩٤٥، وذلك استكمالًا للفائدة. ولم تتدن عدد الحالات في هذه المرحلة عن ١٤٣ ولم تتجاوز، في الحد الأقصي ٢٧١ حالة عماد في السنة، مع الإشارة إلى منحى تصاعدي خلال السنوات الأخيرة (١٩٤٣ـ١٩٤٥).

وهذه لمحة سريعة حول عدد حالات العماد، أي الولادات، المسجلة لدى بطركخانة الروم الكاثوليك بالقاهرة خلال أعوام (١٩٢٩-١٩٤٥).

السنة	عدد حالات العماد	السنة	عدد حالات العماد	السنة	عدد حالات العماد
١٩٢٩	١٨٩	١٩٣٥	١٧٠	١٩٤١	١٦٢
١٩٣٠	١٩٤	١٩٣٦	١٥٨	١٩٤٢	١٨٦
١٩٣١	٢١٠	١٩٣٧	١٩٧	١٩٤٣	١٨٣
١٩٣٢	١٨٧	١٩٣٨	١٤٣	١٩٤٤	٢٢٢
١٩٣٣	١٧٧	١٩٣٩	١٦٧	١٩٤٥	٢٧١
١٩٣٤	١٧١	١٩٤٠	١٨٣		

المصدر: سجلات بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة.

ملحق رقم (١٠)

أبرز عائلات الشوام المسجلة في بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة (١٧٧٣-١٩٢٨)

السنة	عدد حالات العماد	أبرز العائلات
١٧٧٣	٥	ميخائيل جمل، يوسف قواص، خليل مرقس، إبراهيم لبنان، أنطون موصللي.
١٧٧٤	٣٢	صقر الحلبي، جرجس الطحان،جرجس سابا، جرجس الشامي، يوسف البيطار، يوسف دبانة، إبراهيم مطر، خليل الرطل، ميخائيل طحان، إلياس بربر، حنا صاصي، نقولا نمر، نقولا فرعون، جبرائيل بيطار، سمعان جنبلاط، يوسف كساب، بطرس ساعاتي، موسى سكاكيني، يوسف صوصة.
١٧٧٥	٥٠	حنا صيدح، نصور خوري، يوسف الحجار، يوسف مسرة الحلبي، عبد الله عصفور، أندريا نجار، أنطون فرعون، يوسف حطب، عبد الله كرمة، يوسف مسرة، ميخائيل طحان، جبرائيل عيروط.
١٧٧٦	٤٤	ديمتري فرزلي، بولس ساعاتي، حنا قطة، يوسف شاوي، جرجس نقاش، موسى الرطل، إبراهيم صباغ الحلبي، أنطون صوصة، يوسف خباز، ميخائيل خير، جرجس دبوس،يوسف حكيم، يوسف نحاس.
١٧٧٧	٤٨	أنطون قسيس، موسى صيدح، أنطون زغيب، جرجس طحان، إبراهيم سكاكيني، أرميا الزيات، حنا صبحاني، جبرائيل كحيل، نقولا سمنة، وعائلات الأشقر، صوصة، عود، تيران، جنبلاط، صاصي، فرعون.
١٧٧٨	٣٧	عصفور، قسيس، كرمة، رطل، مسرة، مطر، نجار، ساعاتي، عيروط، قواص، شاوي، فرحات، قرعان، شماسية، صبحاني، كحيل.
١٧٧٩	٤٦	بيطار، حجار، نادي، نقاش، عرقجي، صباغ، حكيم، جاموس، كساب، طحان، جنينة، دبوس، زكار، سيدة.
١٧٨٠	٣٦	لطفي، جهامي، مقصود، الجرش، قناطي، نعمة، فراس، نحاس، زيات، مرقس، عيد، هواويني، وعائلات سابقة.

١٧٨١	٤٥	مشاطي، برلام، حبيقه، بربر، شامي، ميلاد، خير، زغيب، الحارس، بولاد، الشحير وعائلات سابقة.
١٧٨٢	٤٤	كسار، عسال، بكتي وعائلات سابقة.
١٧٨٣	٥١	زبال، عيروط، عنحوري، كساب، طراد، زنانيري، صوصة، دبانة، وعائلات سابقة.
١٧٨٤	٤٣	مطر، فرزلي، جنبلاط، سمنة، سكاكيني، كحيل، جبارة، فرزلي، صبحاني، وعائلات سابقة.
١٧٨٥	٢٣	طحان، حكيم، بيطار، صاصي، دبوس، فرحات وعائلات سابقة.
١٧٨٦	٣٧	كساب، طباخ، زحلاوي، صوصة، غنمة وعائلات سابقة.
١٧٨٧	٤٠	مسرة، عيروط، طبوش، الصيفي، زيدان، فريج، حموي وعائلات سابقة.
١٧٨٨	٢٠	مرقدة، مرقس، كساب، دبانة، زكا وعائلات سابقة.
١٧٨٩	٣٥	سمنة، متري، دهان، دايه، زنانيري، عيروط وعائلات سابقة.
١٧٩٠	٤٦	عبود، قطة، بيطار، سمورة، لبس، صيقلي، حجار، عيد وعائلات سابقة.
١٧٩١	٤٢	ديب، نمر، طحان، عدوي وعائلات سابقة.
١٧٩٢	٤٥	زكار، صوصة، زنانيري وعائلات سابقة.
١٧٩٣	٢٨	أشقر، صيدح، لطفي، سكاكيني، مسرة، زهار، كحيل وعائلات سابقة.
١٧٩٤	٤٤	شربين، حبيب، حجار، حاصباني، صيقلي وعائلات سابقة.
١٧٩٥	١٧	زيات، صباغ، كاتب، فريج، لطفي، حجار وعائلات سابقة.
١٧٩٦	١١	حجار، عبسى، سيدة، عطايا، الحموي وعائلات سابقة.
١٧٩٧	١٧	مسرة، زنانيري، ميلاد، حنون، حريري وعائلات سابقة.
١٧٩٨	٢٥	كاتب، زكار، مخلع، عنحوري، شام، صباغ وعائلات سابقة.
١٧٩٩	١٢	زنانيري، إليان، صباغ، هواويني، صوصا، دبانة، حجار، فرعون، كفوري، مهنا وعائلات سابقة
١٨٠٠	٣٢	حموي، ميلاد، مسرة، قواص، دهان، عرقجي، جاموس، فريج وعائلات سابقة.
١٨٠١	١٩	عيسى، صيدح، نقولا، فتح الله، عطايا، شاوي، شعشع وعائلات سابقة.
١٨٠٢	٢٠	فرحات، سكاكيني، مسدية، كحيل، صوصة وعائلات سابقة.
١٨٠٣	٤٢	بشارة، خباز، صيفي، زنانيري، قطة، أرقش، كرم، حجار، مسدية وعائلات سابقة.
١٨٠٤	٥٢	زنانيري، قطة، حداد، فريج، حجار، حموي وعائلات سابقة.

١٨٠٥	٣٦	مسرة، حكيم، حجار، الحلو، كحيل، عنحوري وعائلات سابقة.
١٨٠٦	٣٥	زكار، فرعون، خباز وعائلات سابقة.
١٨٠٧	٣٥	مسدية، حكيم، حجار وعائلات سابقة.
١٨٠٨	٣٥	شاوي، زلعوم، إسحق، بشارة وعائلات سابقة.
١٨٠٩	٤٢	سكاكيني، صيدناوي، قطة، مسدية، بيلوني وعائلات سابقة.
١٨١٠	٣٤	راعي، حمصي، زكا وعائلات سابقة.
١٨١١	٤٥	لباد، وهبة، حمصي، شعشع، مسرة وعائلات سابقة.
١٨١٢	٤٤	قواس، عشي، حكيم، حجار، بيطار، جزار وعائلات سابقة.
١٨١٣	٢٢	حداد، راهبة، شام، عازار وعائلات سابقة.
١٨١٤	٥١	مسرة، صباغ، طحان، مسدية وعائلات سابقة.
١٨١٥	٣٤	دبانة، عرقتنجي، سيدة، عبري، عازار، فريج وعائلات سابقة.
١٨١٦	٣٣	كساب، قطة، مرقس، حجار وعائلات سابقة.
١٨١٧	٣٢	كحيل، مسرة، بيطار، مسدية، صيدح، عسيلي وعائلات سابقة.
١٨١٨	٣٩	حمصي، صاصي، عبري، أسود، جزار، وهبة وعائلات سابقة.
١٨١٩	٢٧	قواس، عيروط، زهار، كرمة، قطة، زنانيري، سكاكيني وعائلات سابقة.
١٨٢٠	٣٩	صباغ، هاشم، جهامي، صيفي، طرابلسي وعائلات سابقة.
١٨٢١	٣٠	سكاكيني، سيدي، قساطلي، زكار وعائلات سابقة.
١٨٢٢	٣٩	جزار، عنحوري، قطة، طجة وعائلات سابقة.
١٨٢٣	٣٧	شماس، بحري، حكيم، موصللي، سكاكيني وعائلات سابقة.
١٨٢٤	٤١	قسيس، ذيب، قمور، قالوش، عبد المسيح وعائلات سابقة.
١٨٢٥	٥١	عبده، صباغ، حكيم، بيطار وعائلات سابقة.
١٨٢٦	٤٤	ساعاتي، صاصي، مشاقة، صيدناوي، غزال، بركات وعائلات سابقة.
١٨٢٧	٥٠	بحري، مسابكي، إليان،حاتم، خياط وعائلات سابقة.
١٨٢٨	٥٩	صالحاني، دبانة، أسود، جزار، بيطار وعائلات سابقة.
١٨٢٩	٤٠	بيطار، كرمة، صيدناوي، فياض، القاعي، خير، شامي وعائلات سابقة.
١٨٣٠	٤٥	الترك، نوف، عطايا، بشارة، جبران، تقلا، زكار وعائلات سابقة.
١٨٣١	٤١	سكاكيني، عبسي، موصللي، طرابلسي، مسك، عطايا وعائلات سابقة.
١٨٣٢	٤٣	كساب، حمصي، إليان، حاتم، خير، عيروط وعائلات سابقة.
١٨٣٣	٥١	ظريفة، شاشاتي، طويل، قطة، زنانيري وعائلات سابقة.

١٨٣٤	٤٩	بواب، صيدح، خير وعائلات سابقة.
١٨٣٥	٤٠	زنانيري، خال، سابا، صليبا، سلامة وعائلات سابقة.
١٨٣٦	٣٤	بواب،ساعاتي، كحيل، حجار، جبارة، عيروط وعائلات سابقة.
١٨٣٧	٣٩	حكيم، غرة، صاصي وعائلات سابقة.
١٨٣٨	٢٦	ميلاد، مسك، شبيب، بيطار، مسدية وعائلات سابقة.
١٨٣٩	١٣	حجار، هواويني، حكيم وعائلات سابقة.
١٨٤٠	٢٦	كحيل، مباردي، مسدية، صيفي وعائلات سابقة.
١٨٤١	٣٣	قمير، كحيل، ظريفة، غرة، عنحوري وعائلات سابقة.
١٨٤٢	٢٩	صاصي، جبارة، عربجي وعائلات سابقة.
١٨٤٣	٣٨	لباد، عيروط، مقصود، زيات وعائلات سابقة.
١٨٤٤	٣٥	زلعوم، عنحوري، قصير، بحري، بركات وعائلات سابقة.
١٨٤٥	٥١	مسرة، غزال، حجار، صابات، زنانيري وعائلات سابقة.
١٨٤٦	٤٩	مباردي، حجار، جبارة، صيفي وعائلات سابقة.
١٨٤٧	٤٤	سكاكيني، عيروط، مقصود وعائلات سابقة.
١٨٤٨	٥٣	حجار، فرعون، بحري، خير، فاخوري وعائلات سابقة.
١٨٤٩	٣٢	مسدية، خياط، زيات وعائلات سابقة.
١٨٥٠	٤٨	فتال، حكيم، خير، سكاكيني وعائلات سابقة.
١٨٥١	٤١	زهار، عبري، مسرة، زنانيري وعائلات سابقة.
١٨٥٢	٣١	زهار، حكيم، فتال، بحري وعائلات سابقة.
١٨٥٣	٣٩	مسدية، مقصود، مسرة وعائلات سابقة.
١٨٥٤	٣٩	زنانيري، بحري، قصير وعائلات سابقة.
١٨٥٥	٤٦	مسرة، مسدية، حجار، خير وعائلات سابقة.
١٨٥٦	٤٦	بسترس، دبانة، زهار، صباغ، مطران وعائلات سابقة.
١٨٥٧	٢٢	زنانيري، عكاوي، صوري وعائلات سابقة.
١٨٥٨	٣١	ترك، بيطار، درزي، فرعون، قطة وعائلات سابقة.
١٨٥٩	٤٢	أرقش، بحري، حمصي وعائلات سابقة.
١٨٦٠	٣٤	صباغ، قصير، عيد، سابا وعائلات سابقة.
١٨٦١	٣٩	كساب، فتال، مسدية وعائلات سابقة.
١٨٦٢	٤٧	أيوب، طوبيا، صيدناوي وعائلات سابقة.
١٨٦٣	٣٩	بسترس،كساب، عيد، صيدناوي وعائلات سابقة.
١٨٦٤	٢٧	نصرة، كساب، شامية وعائلات سابقة.
١٨٦٥	٣٤	قطة، كساب، عكاوي، الدرزي، غزال وعائلات سابقة.

١٨٦٦	٤١	بولاد، نحاس، نصرة، كحيل، فرعون، زهار وعائلات سابقة.
١٨٦٧	٣٨	بحري، حكيم، ثابت، رطل وعائلات سابقة.
١٨٦٨	٤٣	تاجر، ساعاتي، كحيل، زهار وعائلات سابقة.
١٨٦٩	٤٦	صباغ، عبري، زهار، سابا، كحيل وعائلات سابقة.
١٨٧٠	٤٧	شيخاني، خوام، بحري، شادي وعائلات سابقة.
١٨٧١	٤٧	غزال، بولاد، قصير، قطة، صيدح وعائلات سابقة.
١٨٧٢	٥٥	صيدناوي، زكار، نصرة وعائلات سابقة.
١٨٧٣	٤٣	رطل، زنانيري، كساب وعائلات سابقة.
١٨٧٤	٤٢	شيخاني، عبد المسيح، سبع، حتحوت، صيدناوي وعائلات سابقة.
١٨٧٥	٤١	سابا، صاصي، زلعوم، صوصة، عكر وعائلات سابقة.
١٨٧٦	٤٤	بيطار، غزال، كساب وعائلات سابقة.
١٨٧٧	٥٦	عطا الله، زنانيري، سعد وعائلات سابقة.
١٨٧٨	٤٦	حكيم، مسدية، خلاط، قصير، كحيل وعائلات سابقة.
١٨٧٩	٥٦	ديب، نحاس، شيخاني، فرعون، زهار وعائلات سابقة.
١٨٨٠	٤٩	عيدي، غزال، عطا لله، عساف، زهار وعائلات سابقة.
١٨٨١	٦٣	صيداوي، سمان، خوام وعائلات سابقة.
١٨٨٢	٤٦	زغيب، هنود، بدوي وعائلات سابقة.
١٨٨٣	٥٦	رطل، صباغ، قالوش، صيدناوي وعائلات سابقة.
١٨٨٤	٦٣	عودة، عطا الله، رطل، زنانيري وعائلات سابقة.
١٨٨٥	٥٩	نصرة، صباغ، زنانيري وعائلات سابقة.
١٨٨٦	٧١	عيد، عبد المسيح، حداد وعائلات سابقة.
١٨٨٧	٦٢	ساعاتي، صباغ، زنانيري وعائلات سابقة.
١٨٨٨	٧٠	سالم، بحري، عبد المسيح، ترك وعائلات سابقة.
١٨٨٩	٨٠	دالاتي، السودا، زلعوم وعائلات سابقة.
١٨٩٠	٧١	زلزل، عنحوري، قالوش، كحيل وعائلات سابقة.
١٨٩١	٦٩	زحلاوي، صيدناوي، زلزل وعائلات سابقة.
١٨٩٢	٧٨	حجار، توتونجي وعائلات سابقة.
١٨٩٣	٦٤	فرحات، عطا الله، فرعون، قسيس وعائلات سابقة.
١٨٩٤	٦٤	تاجر، طنب، حجار وعائلات سابقة.
١٨٩٥	٨١	مسدية، فرح، موصللي وعائلات سابقة.
١٨٩٦	٨١	برنوطي، شيخاني، بشارة، عبود وعائلات سابقة.
١٨٩٧	٦٨	زلعوم، حمصي، حاج، شامية وعائلات سابقة.

١٨٩٨	٨٣	عيد، حجار، شكور، كحيل وعائلات سابقة.
١٨٩٩	١٠٢	عيروط، ثابت، خير، فتال، قصير وعائلات سابقة.
١٩٠٠	٩٥	عوض، حجار، فرح، شماس، عجوري، قنواتي وعائلات سابقة.
١٩٠١	٩١	كرمة، دبانة، عنحوري، المطران، صافي وعائلات سابقة.
١٩٠٢	١١١	صباغ، عكاوي، صروف، نقاش، قشعمي، بسترس وعائلات سابقة.
١٩٠٣	١١٥	رباط، فارس، دوماني، عكاوي، نخال، شويري وعائلات سابقة.
١٩٠٤	١٥٣	نحاس، غزال، أرقش، أشقر، زنانيري، قشعمي وعائلات سابقة.
١٩٠٥	١١٢	نجار، مشاطي، توتونجي، صابونجي، جدع، صوصة وعائلات سابقة.
١٩٠٦	١١٣	عيروط، بركات، نجار، فارس، كرم، يارد وعائلات سابقة.
١٩٠٧	١٣٧	عكاوي، مشاقة، عورة، شلهوب، موصللي وعائلات سابقة.
١٩٠٨	١٢٢	قزما، عكاوي، عزام، جرجور، عنحوري، فتح الله وعائلات سابقة.
١٩٠٩	١٤١	بحري، صوراتي، شكور، زنانيري، بيطار وعائلات سابقة.
١٩١٠	١٣٨	عبسي، خير، رباط، فرح، بسترس، كعكة وعائلات سابقة.
١٩١١	١٥٣	بدوي، ثابت، كحيل، قزما، حواط، حكيم وعائلات سابقة.
١٩١٢	١٣٩	عكاوي، كعكة، بدرة، كرم وعائلات سابقة.
١٩١٣	١٣٦	زلزل، حمام، عطا الله، بيطار، كرم، زهار، صوايا وعائلات سابقة.
١٩١٤	١٤٥	رباط، بدران، بكر، قسيس، معلوف، غزال، رعد وعائلات سابقة.
١٩١٥	١٢٤	كساب، كوسا، نقاش وعائلات سابقة.
١٩١٦	١٣٢	جاهل، سرور، حداد، شلهوب، سلامة وعائلات سابقة.
١٩١٧	١٧٧	حداد، عوض، يارد، قسيس، نحاس وعائلات سابقة.
١٩١٨	١٧٠	بيطار، وردة، شيخاني، قشعمي وعائلات سابقة.
١٩١٩	١٤١	دهان، خوري، الراسي، كحيل، نحاس، بيطار وعائلات سابقة.
١٩٢٠	١٧٠	صايغ، بيروتي، شلهوب، خوام، نصرة وعائلات سابقة.
١٩٢١	١٣٨	سمان،نجار، عبود، حداد وعائلات سابقة.
١٩٢٢	٣٥٧	زبال، نحال، حكيم، قرداحي، نحاس وعائلات سابقة.
١٩٢٣	١٩١	خرياطي، حراقة، حمصي، سعد، صباغ، صوايا وعائلات سابقة.
١٩٢٤	٢٠٩	ديمتري، قصير، صايغ، معماري، تاجر وعائلات سابقة.
١٩٢٥	٢١٨	طعمة، ثابت، سيدة، صباغ، معلوف، توتونجي وعائلات سابقة.
١٩٢٦	١٩٠	رباط، فرح، أندراوس، أشقر، أيوب وعائلات سابقة.
١٩٢٧	٢١٣	شاهين، حداد، عورا، فرعون، حاج وعائلات سابقة.
١٩٢٨	١٨٩	كحيلي، دبس، غزال، معتوق، فارس، شويري وعائلات سابقة.

المصدر: سجلات بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة.

ملحق رقم (١١)

عدد حالات الزواج المسجلة في بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة (١٨٣٧-١٩٥٠)

السنة	عدد حالات الزواج	السنة	عدد حالات الزواج	السنة	عدد حالات الزواج
١٨٣٧	٤	١٨٦٠	٦	١٨٨٣	١٩
١٨٣٨	٤	١٨٦١	١٠	١٨٨٤	١٨
١٨٣٩	٤	١٨٦٢	٨	١٨٨٥	١٧
١٨٤٠	٤	١٨٦٣	٧	١٨٨٦	٩
١٨٤١	٣	١٨٦٤	٥	١٨٨٧	٢٠
١٨٤٢	١٠	١٨٦٥	١٠	١٨٨٨	١٥
١٨٤٣	١١	١٨٦٦	٩	١٨٨٩	١٣
١٨٤٤	١٤	١٨٦٧	١١	١٨٩٠	١٦
١٨٤٥	٦	١٨٦٨	١٥	١٨٩١	٢٥
١٨٤٦	٤	١٨٦٩	١٣	١٨٩٢	١٩
١٨٤٧	٨	١٨٧٠	٢	١٨٩٣	١٥
١٨٤٨	١٤	١٨٧١	١٠	١٨٩٤	١٧
١٨٤٩	١٠	١٨٧٢	١١	١٨٩٥	١٦
١٨٥٠	١٣	١٨٧٣	٩	١٨٩٦	١٩
١٨٥١	١٠	١٨٧٤	٨	١٨٩٧	١٦
١٨٥٢	١٢	١٨٧٥	١٤	١٨٩٨	٢٦
١٨٥٣	٨	١٨٧٦	١٥	١٨٩٩	٣٠
١٨٥٤	١٣	١٨٧٧	١٥	١٩٠٠	٣٧
١٨٥٥	٩	١٨٧٨	١٦	١٩٠١	٣١
١٨٥٦	٥	١٨٧٩	٧	١٩٠٢	٢٥
١٨٥٧	١٠	١٨٨٠	١٥	١٩٠٣	٣٢
١٨٥٨	٨	١٨٨١	١١	١٩٠٤	٢٧
١٨٥٩	٧	١٨٨٢	١٢	١٩٠٥	٣٥

١٩٠٦	٣٩	١٩١٤	٣٧	١٩٢٢	٧٥
١٩٠٧	٥٢	١٩١٥	٤٧	١٩٢٣	٥٥
١٩٠٨	٣٨	١٩١٦	٣٨	١٩٢٤	٥٩
١٩٠٩	٣٧	١٩١٧	٥٥	١٩٢٥	٦٦
١٩١٠	٢٦	١٩١٨	٦٧	١٩٢٦	٧٨
١٩١١	٤١	١٩١٩	٦٠	١٩٢٧	٦٣
١٩١٢	٤٥	١٩٢٠	٦٨	١٩٢٨	٦٣
١٩١٣	٤٨	١٩٢١	٤٧		

وتبلغ صفحات السجل الثالث ٣٣٢ صفحة من الحجم الكبير ويتضمن تسجيلًا كاملًا لحالات الزواج التي تمت في بطركخانة الروم الكاثوليك بالقاهرة منذ عام ١٩٢٩ حتى الآن. ويلاحظ أن طريقة الزواج المتبعة بقيت دون تغيير جذري حتى أواسط القرن العشرين وهو زواج متنوع بين مختلف الطوائف المسيحية، خاصة السورية منها، مع انفتاح أكثر في التزاوج مع الأقباط المصريين ونسبة أكثر مع المسلمين المصريين. كما يلاحظ كذلك تقلص حاد في التزاوج العائلي الداخلي (أبناء وبنات العم والخال والخالات وسواها) ومرد ذلك إلى اندماج الشوام أكثر فأكثر مع مختلف طبقات المجتمع المصري والجاليات الأجنبية، وإفساح المجال أمام تعليم الفتاة وانخراطها في العمل والإنتاج وهذه صورة سريعة عن عدد الزيجات التي تم تسجيلها في السجل الثالث للبطركخانة بين أعوام (١٩٢٩-١٩٥٠).

السنة	عدد حالات الزواج	السنة	عدد حالات الزواج	السنة	عدد حالات الزواج
١٩٢٩	٦١	١٩٣٧	٦٣	١٩٤٥	٩٦
١٩٣٠	٦٩	١٩٣٨	٥٥	١٩٤٦	١٠٥
١٩٣١	٥٢	١٩٣٩	٥٩	١٩٤٧	٩٠
١٩٣٢	٤٦	١٩٤٠	٥٢	١٩٤٨	٨٩
١٩٣٣	٥٥	١٩٤١	٦١	١٩٤٩	٨٣
١٩٣٤	٥٣	١٩٤٢	١٠٦	١٩٥٠	٩٥
١٩٣٥	٤٥	١٩٤٣	٩٨		
١٩٣٦	٥٧	١٩٤٤	١٢٤		

المصدر: سجلات بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة.

ملحق رقم (١٢)

عدد الوفيات المسجلة في بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة (١٨٣٧-١٩٤٧)

السنة	عدد الوفيات	السنة	عدد الوفيات	السنة	عدد الوفيات
١٨٣٧	٧	١٨٦١	٣٩	١٨٨٥	٤٢
١٨٣٨	٢٤	١٨٦٢	٤٣	١٨٨٦	٥٠
١٨٣٩	١٤	١٨٦٣	٣٩	١٨٨٧	٧٧
١٨٤٠	٢١	١٨٦٤	٣٤	١٨٨٨	٥٨
١٨٤١	٤٥	١٨٦٥	٦٥	١٨٨٩	٥٥
١٨٤٢	٢٧	١٨٦٦	٣٥	١٨٩٠	٤٣
١٨٤٣	٢٥	١٨٦٧	٢٩	١٨٩١	٥٥
١٨٤٤	٢٢	١٨٦٨	٤٠	١٨٩٢	٤٠
١٨٤٥	٢٩	١٨٦٩	٣٥	١٨٩٣	٥٥
١٨٤٦	١٦	١٨٧٠	٣٦	١٨٩٤	٥٦
١٨٤٧	٢١	١٨٧١	٣٤	١٨٩٥	٤٨
١٨٤٨	٦٢	١٨٧٢	٤٥	١٨٩٦	٥٧
١٨٤٩	٢٩	١٨٧٣	٣٣	١٨٩٧	٦٢
١٨٥٠	٤٣	١٨٧٤	٣٤	١٨٩٨	٤٩
١٨٥١	٢٦	١٨٧٥	٢٦	١٨٩٩	٧٦
١٨٥٢	٣٣	١٨٧٦	١٩	١٩٠٠	٦٥
١٨٥٣	٢٩	١٨٧٧	١٣	١٩٠١	٧٥
١٨٥٤	٤٠	١٨٧٨	٣٢	١٩٠٢	٧٢
١٨٥٥	٤٠	١٨٧٩	٤٦	١٩٠٣	٦٠
١٨٥٦	١٨	١٨٨٠	٣٥	١٩٠٤	٨٦
١٨٥٧	٣٩	١٨٨١	٢٩	١٩٠٥	٨١
١٨٥٨	٤٠	١٨٨٢	٣٦	١٩٠٦	٦٦
١٨٥٩	٣٤	١٨٨٣	٥٩	١٩٠٧	٦٤
١٨٦٠	٣١	١٨٨٤	٣٥	١٩٠٨	٦٩

١٩٠٩	٩١	١٩٢٣	١١٦	١٩٣٧	١٢٧
١٩١٠	٩٠	١٩٢٤	١١٨	١٩٣٨	٩٨
١٩١١	٨٨	١٩٢٥	١٣٠	١٩٣٩	١٢٥
١٩١٢	٧٧	١٩٢٦	١٠٩	١٩٤٠	١٢٠
١٩١٣	٨٩	١٩٢٧	١٢٦	١٩٤١	١٥١
١٩١٤	٨٩	١٩٢٨	١١٨	١٩٤٢	١٥٦
١٩١٥	١٠٢	١٩٢٩	١٢٦	١٩٤٣	١٦٨
١٩١٦	٩٢	١٩٣٠	١٢١	١٩٤٤	١٣٥
١٩١٧	٩٩	١٩٣١	١٠٩	١٩٤٥	١٢٠
١٩١٨	١٣٤	١٩٣٢	١٢٠	١٩٤٦	١٤٩
١٩١٩	١١٥	١٩٣٣	١٣١	١٩٤٧	١٢٤
١٩٢٠	١١٢	١٩٣٤	١١٢		
١٩٢١	١٠٢	١٩٣٥	١٢٣		
١٩٢٢	١٢٠	١٩٣٦	٨٧		

المصدر: سجلات بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة.

ملحق رقم (١٣)

منابت الهجرة ومراكز الاستقرار لبعض مهاجري الشوام المدونة أسماؤهم في القنصلية اللبنانية بالقاهرة

الاسم	مكان وتاريخ الولادة	مكان وتاريخ الاستقرار في مصر	نوع العمل
الأب إلياس أبي خير	الزغرين ١٩٠٧	شبرا ـ القاهرة ١٩٤٣	رجل دين
راوول خياط	الإسكندرية ١٩١٣	-	-
بول وظريفة عازار	-	القاهرة ١٩٢٢	-
يوسف سليم خياط	صيدا ١٨٨٢	القاهرة ١٩٢٢	-
هاني وجميلة عيد	مزرعة الضهر	القاهرة ١٩١٦	-
حسن رشيد الزعتري وعائلته	صيدا ١٩٠٢	القاهرة ١٩٢٣	-
حبيب زبال	بيروت ١٨٩٥	القاهرة ١٩٣٣	-
إبراهيم عبد الله الرافعي	طرابلس ١٩١٣	القاهرة ١٩٢٥	-
عبد الله أبو شقرا	بيروت ١٨٧٧	القاهرة ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦	-
بول مطر	الإسماعيلية ١٩٠٤	-	-
ميشال نعمة	بيروت ١٨٩٠	القاهرة ١٩١٠	-
إدوار نعمة	بيروت ١٩٠٦	القاهرة ١٩١٦	-
الأب يوسف داغر	بكفيا ١٩٠٣	القاهرة ١٩٣٨	-
إدوار حلاق	بيروت ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢٩	-
أسعد جورج غطاس	يافا ١٨٩٠	القاهرة ١٩٠٦	-
فؤاد مجدلاني	الشياح ١٩٠١	الإسماعيلية ١٩٢٨	-
عبد الله مسعد	المجيدل ـ صيدا ١٩٠٣	الإسماعيلية ١٩٣٠	-
رفول كيروز	مانيليا ٥ آذار (مارس) ١٨٩٣	القاهرة ١٨٩٧	-

شبلي أبو العافية	بيروت ١٨٩١	القاهرة ١٩٢٠	ـ
إسكندر نصار	بيروت ١٩٠٢	القاهرة ١٩٢٠	ـ
لطيفة مرعي حشيمة	بكفيا ١٨٨٨	القاهرة ١٩٠٥	ـ
أنطوان بشارة حشيمة	بكفيا ١٩١٠	القاهرة ١٩١٤	ـ
فرنسوا حكيم	حمانا ١٩١٤	القاهرة ١٩٣٧	ـ
الأب ميشال حنا	بيروت ١٨٧٧	القاهرة ١٩١٠	ـ
لويزة يعقوب الجميل	جونية ١٩١٣	القاهرة ١٩٣٥	ـ
أنطون ديب	بكفيا ١٨٩٧	القاهرة ١٩١٣	ـ
يوسف بشارة الخوري	بكاسين ١٩١٦	القاهرة ١٩٢٢	ـ
ميشال سعيد العرب	البرازيل ١٨٩٦	القاهرة ١٩٠٦	ـ
فيليب ملحمة	الإسكندرية ١٨٩١	ـ	ـ
جوزف أمين الخوري	الإسكندرية ١٩٠٧	ـ	ـ
توفيق عازوري	بيروت ١٨٨٥	القاهرة ١٩٠٠	ـ
جورج سليمان بو أنطون	كفر حونة ١٩١٠	القاهرة ١٩٢١	ـ
يوسف شبلي	وادي جزين ١٩٠٦	الإسماعيلية ١٩١٩	ـ
جورج مدور	بيروت ١٨٨٤	الإسماعيلية ١٩٠١	ـ
إدوار غريّب	دير القمر ١٩١٠	القاهرة ١٩١٩	ـ
يوسف الحلو وعائلته	كفر تقلا ١٩٠٩	القاهرة ١٩٢٧	ـ
صالح رزق	جزين ١٨٩٣	الإسماعيلية ١٩١٢	ـ
جميلة الحلو	وادي جزين ١٩٠١	القاهرة ١٩١٩	ـ
سعيد عكر	دير القمر ١٨٩٠	القاهرة ١٩١٤	ـ
ميشال الحاج	فيتولي ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٤	ـ
إدوار خياط	بيروت ١٩١٢	القاهرة ١٩٢٤	ـ
غالب أبو النصر اليافي	طرابلس ١٨٩٩	القاهرة ١٩٤٥	ـ
نقولا حداد	صور ١٩١٤	القاهرة ١٩٢٠	ـ
وديعة شلفون	مارسين ١٨٩٩	الإسماعيلية ١٩١٩	ـ
عفيفي الصليبي	سوق الغرب ١٨٨٠	القاهرة ١٩١٤	ـ
توفيق الحجار	بمكين ـ عالية ١٨٨٧	القاهرة ١٩١٥	ـ
سارة حبيب	حيطورة ١٩٠٥	القاهرة ١٩١٤	ـ
إلياس جرجس سلوم	عالية ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢٦	ـ
جوزف أبوجودة	جورة البلوط ١٩١١	القاهرة	ـ
وردة حرفوش	وادي جزين ١٨٨٦	الإسماعيلية	ـ

ميخائيل فارس	القاهرة ١٨٧٥	يسكن في بور سعيد	-
يوسف سكاف	زحلة ١٨٨٢	القاهرة ١٩١٠	-
جبران طوبيا	بيروت ١٨٨٨	القاهرة ١٩١٩	-
نقولا صفير	عجلتون ١٩١١	القاهرة ١٩٢٣	-
شارل مشاقة	الصالحية ـ صيدا ١٨٩٨	القاهرة ١٩١٩	-
بطرس موسى الحاج	مشغرة ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٢	-
سليم جبريل	صيدا ١٨٩٦	القاهرة ١٩٢٥	-
أدما باحوط	بيروت ١٨٨٧	القاهرة ١٩١٤	-
وديع سليمان إيليا	بكفيا ١٨٩٠	القاهرة ١٩٠٢	-
جان حايك	الإسكندرية ١٨٩٨	-	-
شكيب أسعد الشامي	الشويفات ١٨٧٠	القاهرة ١٩٢٣	-
إدجار جاك خليل	الإسكندرية ١٩٠٦	-	-
يوسف فؤاد الحاج	بور سعيد ١٩١٨	-	-
نجيب يوسف عواد	حصرون ١٨٩٨	القاهرة ١٩١٣	-
مارينا فرشوخ	القاهرة ١٩٢٦	-	-
جورج زيلع	بور سعيد ١٩١٤	-	-
محمد الحاج أحمد ناصر	بيروت ١٩١٢	القاهرة ١٩٣٥	-
أيوب نعمة عيد	كرم الحنش ١٨٩٦	القاهرة ١٩١٨	-
بطرس فرح	كفر شيما ١٨٧٨	القاهرة ١٩٠٩	-
إلياس خليفة	بور سعيد ١٩٠٦	-	-
إلياس يوسف شلهوب	بيروت ١٨٧٧	القاهرة ١٩٠٥	-
زينة العلم	داريا ١٩٠٨	القاهرة ١٩٣٤	-
مارون عازار	مشموشة ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢١	-
كميل ماضي	دير القمر ١٩١٢	القاهرة ١٩٣٠	-
أحمد عبد اللطيف توتونجي	طرابلس ١٩١٥	القاهرة ١٩٤٥	-
أنطون لاوون	بيروت ١٨٨٥	القاهرة ١٩٠٩	-
فاطمة يحيى المصري	برقايل ـ عكار ١٩١٠	القاهرة ١٩٤١	-
يوسف شكري وتوات	بيروت ١٨٩٨	القاهرة ١٩٠١	-
تفاحة متى	الميه وميه ١٨٩٥	القاهرة ١٩١٤	-
خضر سعيد القيسي وعائلته	بيروت ١٨٧٦	القاهرة ١٩٣٢	-

عبد المعطي سعيد البركة	صيدا ١٨٨٩	القاهرة ١٩٠٩	تاجر
نمر حنا ضاهر	علمان ١٩٠٦	القاهرة ١٩١٣	-
ميشال متري باز	بيروت ١٩٠٩	القاهرة ١٩٢٠	مفتش أوقاف آل سرسق
خليل عقل	قيتولي ١٨٩٠	القاهرة ١٩٢٧	-
جورج غريب	بور سعيد ١٨٩٧	-	-
إدوار حنا شديد	الزقازيق ١٩١٠	-	-
عزيز نجم	بعبدا ١٩١٢	القاهرة ١٩٢٣	-
جميل الجميل	دلبتا ١٩٠١	القاهرة ١٩٢٥	مهندس ميكانيكي
حبيب حداد	بيروت ١٩٠٠	القاهرة ١٩٢٠	-
روز طباع	بيروت ١٨٩٦	القاهرة ١٩١٤	-
ميشال صيقلي	بيروت ١٨٧٦	القاهرة ١٩٠٣	تاجر
نقولا صروف	الحدث ـ بيروت ١٩٠٨	القاهرة ١٩٢٧	-
أسعد عطا الله	بيروت ١٩٠٠	القاهرة ١٩٠٩	-
شارل أنطون صوما	الإسماعيلية ١٩٢٢		-
فؤاد شكري جريديني	الشويفات ١٩٠٣	القاهرة ١٩٢٣	-
أرنست تيان	بيروت ١٩٠٦	القاهرة ١٩٣٨	-
حليم هلال عبادي	بيروت ١٩٠٣	القاهرة ١٩٣٠	-
أنطون موسى ديب	بكفيا ١٩٠٨	القاهرة ١٩١٩	-
الأب إلياس جبارة	دمشق ١٨٧٢	القاهرة ١٩٠٩	-
أنطون كلنك	المحيدثة ـ بكفيا ١٨٩٨	القاهرة ١٩٢٨	-
أنطون جوزف خياط	بعلبك ١٩١٧	القاهرة ١٩٢٩	-
أسعد ملحمة	بيروت ١٨٨٩	القاهرة ١٩١٤	-
ألبير نجيب عواد	القاهرة ١٩٢٥		-
كوكب حنينة	بكاسين ١٨٩١	الإسماعيلية ١٩٢٢	-
شاكر سعادة	حصرون ١٨٩٦	القاهرة ١٩٢٣	-
نجيب سمعان	الميه وميه ١٨٨٣	القاهرة ١٩٢٤	-
فاطمة عبد الله الرافعي	طرابلس ١٨٩٤	القاهرة ١٩٣٥	-
إلياس زيادة	شحتول ١٨٨٣	القاهرة ١٩٠٤	تاجر
نجيب غسطين	شرتون ١٨٩٣	الإسماعيلية ١٩٠٣	-
فايز حسين مكارم	رأس المتن ١٩٠٩	القاهرة ١٩٨٢	-
علي محمد المصري	طرابلس ١٩٠٥	القاهرة ١٩٤١	-
نسيم باحوط	بيروت ١٩١٠	القاهرة ١٩١٤	-

إيلي سعيد العرب	بور سعيد ١٨٩٥	-	-
أديبة الكردي	بيروت ١٩٠٠	القاهرة ١٩٣٢	-
إلياس نقولا فليفل	جديدة كسروان ١٩٠١	القاهرة ١٩١٩	مدير شركة سنجر Singer
فيليب عازار	بيروت ١٨٩٨	القاهرة ١٩٠٠	-
وديع إسكندر حداد	زحلة ١٨٩٠	القاهرة ١٩٢١	-
إلياس عبد الله صايغ	حمانا ١٩١٥	القاهرة ١٩٣٠	-
مارينا جرجس بركات	يحشوش ١٨٩٠	القاهرة ١٩١٩	-
رينيه توفيق صوصة	القاهرة ١٩٠٥	(أجرينا معها مقابلة خاصة)	-
موسى عازار	بيروت ١٩٠٧	القاهرة ١٩٣١	حلاق
رشاد أحمد غنوم	طرابلس ١٩٠٤	القاهرة ١٩٣٩	-
هندومة الحلو	صربا ـ الجنوب ١٨٨٣	القاهرة ١٩١٤	-
توفيق مغبغب	عين زحلتا ١٩٠٩	القاهرة ١٩٢٧	-
راشد خوري	بيروت ١٨٩٤	القاهرة ١٩٤٦	تاجر
فريد ميشال زيدان	بور سعيد ١٨٩٩	-	-
صوفيا حمدي القضماني	بيروت ١٩٣٦	القاهرة ١٩٤٣	-
سليمة المزرعاني	جزين ١٨٩٨	القاهرة ١٩٢٥	-
الأمير فريد شهاب وعائلته	سويسرا ١٨٨٩	القاهرة ١٩٣٥	ملاك وموظف تجاري
خليل ديب	عبرا ـ صيدا ١٨٧٨	القاهرة ١٨٩٧	-
فريد بشارة نصّار	بيروت ١٨٨٠	القاهرة ١٩٠٢	-
فؤاد جورج شاهين	جزين ١٩١٢	القاهرة ١٩١٩	-
رشيد رمضان وهبي	بيروت ١٩١٣	القاهرة ١٩٤٦	رسام
سلمان محمد سعد	بيروت ١٩٢٢	القاهرة ١٩٣٨	-
جورج عبد النور	صغبين ١٩٠٠	القاهرة ١٩١٨	-
شكري صليبا	بكفيا ١٨٩٨	القاهرة ١٩١٤	-
شامل بارود	جعيتا ١٩١٤	القاهرة ١٩٣٣	-
حنا أبي راشد	بيروت ١٨٨٨	القاهرة ١٩٢٥	صحافي
توفيق إبراهيم إسكندر	بيروت ١٨٩٠	القاهرة ١٩٣٦	موظف حكومي
جوزف أبو طايع	الشياح ١٩٢٢	القاهرة ١٩٢٩	موظف
أنطون أبو طايع	الشياح ١٩٢٥	القاهرة ١٩٢٩	موظف
إدمون أبو طايع	الشياح ١٩٢٧	القاهرة ١٩٢٩	موظف

جورج أشقر	بور سعيد ١٩٠٤	-	موظف محاكم مختلطة
محمد نديم جاموس	طرابلس ١٨٨٨	القاهرة ١٩٢٠	حلواني
فؤاد داود	بيروت ١٩٠٩	القاهرة ١٩١٢	موظف في شركة خاصة
ميشال فؤاد سعد	عكا ١٨٩٧	القاهرة ١٩١٤	ملاك
محمد عصام عرب	صور ١٩٢٤	القاهرة ١٩٤٧	طالب حقوق في جامعة القاهرة
سليم ملحم ماضي	دير القمر ١٨٧٦	القاهرة ١٩٢٥	حفار فني
إيلي أنطون عجلتوني	بيروت ١٨٨٩	القاهرة ١٩١٠	مهندس
شارل جان ملحمة	بيروت ١٩٠١	القاهرة ١٩٠٥	مستخدم
توفيق سليم خياط	صيدا ١٩٠٠	القاهرة ١٩٣١	مفتش شركة شل في مصر
بولس عون	عقتنيت ١٨٩٧	القاهرة ١٩٢٠	موظف بالنادي الشرقي بالقاهرة
إلياس هاني	القاهرة ١٩٠١	-	موظف في شركة شل
جوزف موسى بولس	بكفيا ١٩١٤	القاهرة ١٩١٤	مقاول وتاجر
إلياس نقولا صايغ	بيروت ١٨٨٠	القاهرة ١٩٠٢	جوهرجي
حنا نمر ضاهر	القاهرة ١٩٢٦	-	موظف في الاستعلامات البريطانية
أنطون صايغ	القاهرة ١٩٢١	-	جوهرجي
ميشال أبي هيلا	بيت مري ١٨٩٢	القاهرة ١٩٢٨	وكيل أعمال آل كحيل
محمد رفيق الأفيوني	طرابلس ١٩١٢	القاهرة ١٩٤٦	دراسة إخراج سينمائي
ألفرد حلّال	الإسكندرية ١٩٠٤	-	مدرس ألعاب رياضية
نسيب مشعلاني	شملان ١٨٧٢	القاهرة ١٨٩٨	موظف
نجيب طرزي	بيروت ١٩٠٢	السودان	موظف حكومي
أديب ملحم ناصيف	الإسكندرية ١٩٠٩	-	صاحب محل أحذية
عبده مارون فهد	عشقوت ١٨٨٥	القاهرة ١٩١١	مستخدم
ياسمين ناضر	بكاسين ١٨٨٠	بور سعيد ١٩١٩	-
سليم خليل طنوس	عين زحلتا ١٨٩٦	القاهرة ١٩٢٩	ناظر زراعة
هنري عرمان	بيروت ١٨٩٤	القاهرة ١٩٠١	صيدلي
سليم بغدادي	دمشق ١٨٩٣	القاهرة ١٩٣١	تاجر
يوسف عيد	القاهرة ١٩٢٤	-	مهندس مبانٍ
جورج شمعة	الإسكندرية ١٩١٠	-	ميكانيكي

محمد فيصل الزعبي	طرابلس ١٩٢٢	القاهرة ١٩٢٧ثم بور توفيق	عامل في شركة قنال السويس
أحمد رضوان غنوم	طرابلس ١٩٢٤	القاهرة ١٩٤٦	طالب معهد الاتصالات اللاسلكية
سليم عبد الغني الرافعي	طرابلس ١٩٢٥	القاهرة ١٩٤٢	طالب شريعة في الأزهر
محمود ملّاح	طرابلس ١٩٢٢	القاهرة ١٩٤٦	طالب شريعة في الأزهر
إلياس يوسف عواد	فتوح كسروان ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢١	مستخدم في محلات صوصة
إلياس الشخنجي	بيروت ١٩٠٢	القاهرة ١٩١٣	ميكانيكي
إلياس نخلة الأسود	بيروت ١٩١٣	القاهرة ١٩١٣	سائق
يوسف أبو زيد	مليخ ـ جزين ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢٥	مقاول
أندريه حنا النحاس	الإسكندرية ١٩٠٧	-	مترجم في الجيش البريطاني في مصر
جان صابونجي	القاهرة ١٩١٣	-	مهندس في شركة مياه القاهرة
مارون جورج غطاس	يافا ١٩٠٨	القاهرة ١٩١٢	مدرس
حنا ساروفيم	بيروت ١٨٧٩	القاهرة ١٨٩٤	مدير محلات شيك باريزيان في القاهرة (Chic Parisien)
روبير أيوب	أم درمان ـ السودان ١٩١٢	-	تاجر
إسكندر بكتي	القاهرة ١٩٢٣	-	موظف في شركة الدلتا التجارية
نديم عبد الفتاح الرافعي وعائلته	طرابلس ١٨٩٧	القاهرة ١٩٣٠	تاجر
محمد سليم أسطة التركي	بيروت ١٩١٠	القاهرة ١٩٣٦	تاجر
ميشال مبارك	البترون ١٩١٣	القاهرة ١٩١٤	موظف في شركة غريب
مسعود ترجمان	بيروت ١٨٩٦	القاهرة ١٩١٩	ميكانيكي
إلياس عبد الله كنعان	صغبين ١٨٧٧	القاهرة ١٩٠٥	مستخدم
ميشال ميرزا	القاهرة ١٩٢٣	-	وكيل شركة الدليل التجاري بمصر

أنطون مجيد حبيش	القاهرة ١٩٢٣	-	ميكانيكي
جورج بو أنطون	كفرحونة ١٩١٠	القاهرة ١٩٢١	سائق
جوزف سرور	بيروت ١٩١٧	القاهرة ١٩٣٠	تاجر
يوسف صالح أبي نخول	وطي الجوز ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٠	فنان سينمائي
ألفرد يوسف كرم	الكفور ١٩٠٤	القاهرة ١٩٢٥	تاجر
روفايل إبراهيم حكيم	بيروت ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢٧	طبيب أسنان
إبراهيم محيي الدين فهمي	دمشق ١٨٨٨	القاهرة ١٩٣٤	ملّاك
جورج ميشال عطا الله	القاهرة ١٩١٢	-	موظف بالأهرام
هنري سليم جاهل	حيفا ١٩٢١	القاهرة ١٩٢١	تاجر فحم
أدمون صيداوي	القاهرة ١٩١٤	-	قومسيونجي
توفيق سليم هرموش	بيروت ١٩٠٩	القاهرة ١٩٢٨	تاجر
محمد سامي الندال	صيدا ١٩٢٩	القاهرة ١٩٤٧	طالب في كلية الطب بالقاهرة
سمعان شمعة	بكفيا ١٨٩٦	القاهرة ١٩١٠	سمسار
عيد بهدور	ميمس ـ حاصبيا ١٩٠٩	القاهرة ١٩٣٠	موظف شركة النفط بمصر
كامل عمار	عين عنوب ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٦	سائق
ميشال نادر	بيروت ١٩١٦	القاهرة ١٩٢٨	عامل
رضا محمود فخري	الزرارية ١٩٢٥	القاهرة ١٩٤٧	طالب حقوق
إلياس منصور بركات	جزين ١٩٠٠	القاهرة ١٩٢١	سائق
جورج ديب فارس	النبطية	القاهرة ١٩١٩	مراقب بالأهرام
جورج عطا الله	بيروت ١٩١٣	القاهرة ١٩٢٤	كاتب بدار الهلال
فؤاد معلوف	زحلة ١٩٠٥	القاهرة ١٩٢٣	عامل أحذية
إدوار حلاق	بيروت ١٩٠٩	القاهرة ١٩٣٣	تاجر
فيليب خوري	صغبين ١٩٢٠	القاهرة ١٩٢٢	ميكانيكي
جميل مندلا	حلب ١٨٨٤	القاهرة ١٩٣٠	ملّاك
أنطون إلياس عواد	جرنايا ١٨٩٥	القاهرة ١٩٢٠	صاحب مصنع بلاط
جان إلياس لحود	حيفا ١٩٢١	القاهرة ١٩٢٢	موظف
مصطفى حلّاق	طرابلس ١٩٠٥	القاهرة ١٩٢١	خياط وتاجر أقمشة
ميشال سعد	رومية المتن ١٨٩٧	القاهرة ١٩٣١	تاجر
مسعود جبران حاتم	درب السيم ـ صيدا	القاهرة ١٩١٩	عامل أحذية
محمد علي الجمال	بعلبك ١٩٢٢	القاهرة ١٩٤١	تاجر

عيد جرجس سمعان	مشموشة ١٨٩٥	القاهرة ١٩١٠	عامل شركة الخطوط الجوية البريطانية
شفيق عساف إلياس	الإسكندرية	-	رئيس قلم شركة استيراد للأدوية
فؤاد بيير	بنها ١٩٢٥	-	موظف في الخطوط الجوية البريطانية
إدوار كميد	اللاذقية ١٩٠٣	القاهرة ١٩١٩	موظف
إلكسندر نعوم صوصة	الإسكندرية ١٩٠٢	-	تاجر
فرناند جلخ	القاهرة ١٩٠٨	-	تاجر
عمر عبد القادر البربير	برجا ١٩٢٣	القاهرة ١٩٤٥	طالب طب بجامعة القاهرة
هاني عيد	مزرعة الضهر ١٩٠٠	القاهرة ١٩٤٣	تاجر
إبراهيم اليازجي	حاصبيا ١٨٨٧	القاهرة ١٩٢٦	تاجر
أكرم عبد القادر الرافعي	طرابلس ١٩١٧	القاهرة ١٩٤٤	طالب في كلية الآداب بجامعة القاهرة
جورج الريس	حاصبيا ١٨٩٤	القاهرة ١٩٢٦	تاجر
جان أبكاريوس	القاهرة ١٨٨٧	-	موظف في حكومة السودان أحيل على المعاش
جورج إسكندر لطيف	طنطا ١٨٩٤	-	مدرس
أسعد روفايل	دلبتا ١٨٨٧	القاهرة ١٩٢٠	مقاول
طانيوس بركات	سرعل - طرابلس ١٨٩٤	القاهرة ١٩٣٥	تاجر خيول
جوزف طحان	النبك ١٩١٣	القاهرة ١٩٣٦	صحافي
عرفان فضل الشماع	صيدا ١٩٢٧	القاهرة ١٩٤٧	طالب هندسة
نمر عكر	دير القمر ١٩٠٥	القاهرة ١٩٢٢	تاجر
ألبير جبريل	الإسكندرية ١٩١٧	-	موظف في جريدة مصر (Journal d'Egypte)
أديب ربيز	بيروت ١٨٩٤	القاهرة ١٩٢٤	موظف
جورج بدران	بيروت ١٨٩٢	القاهرة ١٩١٢	خياط
إلياس نصار الأشقر	زحلة ١٩٠٠	القاهرة ١٩٢٤	تاجر
جورج أبي عقل	قيتولي ١٩٠٢	القاهرة ١٩٢٠	مصور ورسام
بنيامين حلاق	بيروت ١٩٠٠	القاهرة ١٩٣٢	قومسيونجي
إدوار عيد سمعان	القاهرة ١٩٢٢	-	مهندس كهربائي

يوسف فرنسيس القزي	برجا ١٨٩٥	القاهرة ١٩١٢	نجار
يوسف طحان	الإسكندرية ١٩١١	-	ميكانيكي
أنطون فتال	زحلة ١٩٠٨	القاهرة ١٩٢٦	نجار موبيليا
نقولا طوبجي	بيروت ١٨٩٨	القاهرة ١٩٠٣	قومسيونجي
جميل طانيوس ناصيف	الإسكندرية ١٩١٥	-	موظف تجاري
يعقوب مدور	عجلتون ١٨٩٢	القاهرة ١٩٢٣	عامل أحذية
شحاتة داود عمار	عين عنوب ١٨٩٥	القاهرة ١٩٢٢	تاجر
خليل طوبجي	بيروت ١٨٨٨	القاهرة ١٩٣٠	خياط
حنا سليمان بو أنطون	كفر حونة ١٩١٦	القاهرة ١٩٢١	عامل مطبعة
مسعود روفايل	صغبين ١٩٠٢	القاهر ١٩٢٠	ميكانيكي
نقولا عشرجي	طرابلس ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢٩	حلاق
بشير المجذوب	صيدا ١٩٢٦	القاهرة ١٩٤٧	طالب حقوق
إيلي نجم	القاهرة ١٩٢٤	-	موظف في شركة الدلتا التجارية
ميشال عطا الله	دير القمر ١٨٨٦	القاهرة ١٩٢٢	صحافي
محمود أمين عامر	صور ١٩١٢	القاهرة ١٩٣٥	سائس خيل
موريس حنوش	القاهرة ١٩٢٩	-	عامل نظارات
فؤاد سمعان	بيروت ١٩٢٧	القاهرة ١٩٢٨	سائق سيارة
إلياس ملحم ضاهر	برج حمود ١٩٠٢	القاهرة ١٩٢٥	مستخدم
سليم عبده كنعان	صيدا ١٨٨٥	القاهرة ١٩١٠	حارس في شركة نبيل بستاني
إلياس يواكيم	بيروت ١٨٩٨	القاهرة ١٩١٢	طبيب أسنان في بني مزار ـ المنيا
جاك نقولا أرقش	القاهرة ١٩٠٢	-	تاجر
فكتور عضم	بيروت ١٨٩٦	القاهرة ١٨٩٧	صحافي
عبده إبراهيم شالوم	دمشق ١٨٨٥	القاهرة ١٩٣١	تاجر
عبد القادر طبارة	بيروت ١٨٩٠	القاهرة ١٩٢٠	حلواني
ميشال سليم الريس	بكفيا ١٩١١	القاهرة ١٩٢٨	وكيل الدليل العام للقطر المصري والسوداني
حنا إلياس مقبل	القاهرة ١٩٢٤	-	صاحب مخزن
جميل صالح حمدان	كفر ملكي ـ صيدا ١٨٨٦	القاهرة ١٩٠٧	بائع
نجيب عفيفي	مزرعة كفرذبيان ١٩١٦	القاهرة ١٩٣٨	مدرس

فيصل شريف طبارة	بيروت ١٩١٩	-	مهندس راديو
ميشال الحايك	بيروت ١٩٠١	القاهرة ١٩٠٢	صاحب مقهى
ميشال كميد	اللاذقية ١٩٠٧	القاهرة ١٩١٣	مستخدم
ألبيرت مان	بور سعيد ١٩١٤	-	تاجر
جورج خوري	طرابلس ١٨٩٨	القاهرة ١٩٢٣	خياط
عبد القادر النعماني	بيروت ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٣	مدرس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة
يوسف خياط	بيروت ١٨٩١	القاهرة ١٩٢٢	صيدلي
أنطون الحايك	بيت شباب ١٩٠٧	القاهرة ١٩٤٦	مدير شركة تجارية
فؤاد سعد	بيروت ١٨٨٨	القاهرة ١٩٠٨	تاجر أحذية
نعيم حداد	زحلة ١٩٢٣	القاهرة ١٩٢٤	مزارع
سليم ملحم صافي	دير القمر ١٨٧٦	القاهرة ١٩٣٢	حفار فني
كاظم الأمين	شقرا ١٩١٤	القاهرة ١٩٤٨	طالب آداب
جان جاويش	القاهرة ١٩٢٥	-	تجارة وقومسيون
وديع يوسف الحلو	الزقازيق ١٩٠١	-	مدرس
إميل يوسف عقل	قيتولي ١٩١٠	القاهرة ١٩٢٥	مصور فني
ألفرد حجر	القاهرة ١٩١١	-	طبيب
يوسف باسيل	دلبتا ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٠	ميكانيكي
أنطون إدة	بيروت ١٩٠٦	القاهرة ١٩٢٥	سمسار بورصة
موريس تاجر	حلب ١٩١١	القاهرة ١٩٣٢	صاحب مصانع
جورج بشور	القاهرة ١٩٢١	-	تاجر جلود
محمد بدوي البكار	بيروت ١٩١٣	القاهرة ١٩٣٦	موسيقي
فضل الله حبيب طعمة	المختارة ١٨٨٣	القاهرة ١٨٩٧	تاجر
أومير تاجر	حلب ١٩٠٣	القاهرة ١٩٢٩	تاجر
شارل أشقر	بور سعيد ١٩٠٥	-	عامل مطبعة
محمد بهاء الدين مراد	طرابلس ١٩٣١	القاهرة ١٩٤٩	طالب في الجامعة الأمريكية بالقاهرة
فخر الدين إياس	بيروت ١٩١٩	القاهرة ١٩٤٨	تاجر
فرديناند سركيس	إسطنبول ١٩٠١	القاهرة ١٩١٢	طبيب
إيلي مسرة	بيروت ١٩٢٠	القاهرة ١٩٢٩	تاجر
شاهين جرجس سعد	المختارة ١٩٠٣	القاهرة ١٩٢٤	ملاك
أنطون صايغ	الأشرفية ١٩٢٢	القاهرة ١٩٢٤	ميكانيكي

نجيب السوقي	الشويفات ١٨٩٣	القاهرة ١٩٢٥	محاسب
ماري عور	الإسكندرية	-	ممرضة
ألبير شامي	بيروت ١٩٠٢	القاهرة ١٩١٣	تاجر
سمير مساعد	بيروت ١٩٣٣	القاهرة ١٩٣٥	جوكي وسائس خيل
إلياس عيد	مزرعة الضهر ١٩٠٩	القاهرة ١٩٢٠	تاجر
جان عقاد	بيروت ١٨٩٤	القاهرة ١٩١٥	محام
جوزف أجسطين	بكفيا ١٨٨٢	القاهرة ١٩١٢	مدير سابق لجريدة الأهرام
كريم طوبيا	جزين ١٩١٦	القاهرة ١٩٣١	مقاول
يوسف شدياق	القاهرة ١٩٠٧	-	مهندس فنون زخرفية
نابليون صروف	القاهرة ١٩٢٩	-	صانع أسنان اصطناعية
ريمون جورج عبد المسيح	-	القاهرة ١٩٥١	-
نسيم عازار	بيروت ١٨٩٣	القاهرة ١٩٢٤	تاجر
عدنان فضل الشماع	صيدا ١٩٢٦	-	طالب هندسة
عبد الرزاق برغل	القاهرة ١٩٣١	-	تاجر
نعيم نجم بركات	جزين ١٩٠٣	القاهرة ١٩٢٠	عامل أحذية
أنور جميل رسول	المرج ـ البقاع ١٩٢٣	القاهرة ١٩٤٤	طالب حقوق
عمران عازار	بيروت ١٩١٤	القاهرة ١٩٢٩	تاجر
إلياس موسى الحاج	مشغرة ١٩١٦	القاهرة ١٩٢٢	عامل في جريدة «المصري»
فكتور إسحق مان	دمشق ١٩١٠	القاهرة ١٩١٤	سمسار
فيليب منصور نجيم	بيروت ١٨٨٧	القاهرة ١٩١٠	خياط وتاجر أقمشة
فيليب كردوس	بيروت ١٨٩٢	القاهرة ١٩٠٣	تاجر
وديع سليم بوشاب	زحلة ١٩١٠	القاهرة ١٩٢١	موظف بالأهرام
أديب زند	بيروت ١٩٠٧	القاهرة ١٩٢٢	سائق وميكانيكي
يوسف نادر	شرتون ١٨٧٧	القاهرة ١٩١٣	صاحب معمل معكرونة
أنطون غالب	القاهرة ١٩٠٨	-	موظف بالمحاكم المختلطة
ميشال أبي صعب	جونية ١٨٩٩	القاهرة ١٩٢٥	خبير إعلانات
نجيب روفايل	القاهرة ١٩٠١		سمسار
وديع معلوف	زحلة ١٩٠٨	القاهرة ١٩٢٣	عامل أحذية
جبران حنيكاتي	بيروت ١٨٩١	القاهرة ١٩١٤	موظف شركة

نسيم نجيم	بحمدون ١٨٥٦	القاهرة ١٨٩٠	عامل أحذية
إلياس متري أبوان	بيروت ١٨٩٨	القاهرة ١٩١٤	تاجر وبقال
عاطف فياض	النبطية ١٩٢٩	القاهرة ١٩٤٧	طالب حقوق
إليان ميخائيل فرح	بيروت ١٨٨٧	القاهرة ١٩٢٧	خياط
محبوب الناشف	جون ١٩١٥	القاهرة ١٩٢١	نجار
يوسف فارس زيادة	كسروان ١٩٠٣	القاهرة ١٩١٩	صاحب مقهى
فريد بستاني	الإسكندرية ١٩١٣	-	مستخدم في جريدة مصر (Journal d'Égypte)
يوسف إلياس خياط	بيروت ١٨٩١	القاهرة ١٩٢٢	صيدلي
خليل جبريل	صيدا ١٩٠٤	القاهرة ١٩٢٤	عامل مقهى
جميل محمد صالح حمدان	صيدا ١٨٨٦	القاهرة ١٩٠٧	بائع متجول
بيار أرفش	القاهرة ١٩٢٧	-	موظف
يوسف شماع	صيدا ١٩٢٥	القاهرة ١٩٤٧	طالب حقوق
أنطون خليل جمل	طرابلس ١٩١٢	القاهرة ١٩٣٠	خياط
جان نفاع	بيت شباب ١٩٠٣	القاهرة ١٩٠٣	ميكانيكي
أحمد حلواني	بيروت ١٨٧٠	القاهرة ١٩٢٠	خطاط
رشيد عبد النور	بتاتر ١٨٩٠	القاهرة ١٩٠٨	سائق
أنطون شمعة	الإسكندرية ١٩٠٦	-	سائق
نظمي محمد برجل	بيروت ١٩١٧	القاهرة ١٩٢٢	تاجر
حسن ديب	تكريت ـ عكار ١٩٣٠	القاهرة ١٩٤٧	موظف
جبرائيل صعب	بيروت ١٩٠٩	القاهرة ١٩٤٧	تاجر
نقولا سرحان	الإسكندرية ١٩٠٨	-	عامل مطبعة
فيليب حداد	بتاتر ١٨٩٨	القاهرة ١٩٢٣	خياط
مجيد خوري	مغدوشة ١٩٢٠	القاهرة ١٩٢٥	موظف في شركة سينمائية
توفيق سليم بوشاب	زحلة ١٩٠٨	القاهرة ١٩٢٢	موظف تجاري
حبيب واكيم	المعمرية ١٩٠٠	القاهرة ١٩٠٨	تاجر
توفيق الحاج	أسيوط ١٨٧٨	-	طبيب
سليم بشارة تقلا	صيدا ١٨٩٣	القاهرة ١٩٠٣	سائق
إلياس نصري مقبل	الإسكندرية ١٩٢٧	-	مهندس راديو
يوسف إبراهيم شبلي	زغرتا ١٨٧٨	القاهرة ١٩٠٠	عامل أحذية

نسيب خليل نبعة	جون ١٨٩٩	-	موظف في شركة إيستيرن الشرقية
سميح مصطفى الصلح	صيدا ١٩٢٧	القاهرة ١٩٤٨	طالب حقوق
نقولا جرجي ناصيف	القريّة	القاهرة ١٨٨٣	صاحب مصبغة
أنطون سعيد عمون	دير القمر ١٨٩٠	القاهرة ١٨٩١	مدرس
فرنسوا نصري تاجر	حلب ١٩٠٨	القاهرة ١٩٣٢	صاحب مصانع
جورج خرياطي	جون ١٨٩٨	القاهرة ١٩٣٥	تاجر
حسين تبريزي	بيروت ١٨٩٥	القاهرة ١٩٢١	تاجر أحذية
إسحق زيتوني	بيروت ١٨٨١	القاهرة ١٩٢٦	تاجر خرضوات
فيليب حبيب الخوري	صور ١٩٠١	القاهرة ١٩٤٤	ملّاك

المصدر: وثائق القنصلية اللبنانية بالقاهرة.

ملحق رقم (١٤)

بعض مشاهير الشوام في المنصورة ١٩٢٦

نجح مهاجرو الشوام بالمنصورة نجاحًا باهرًا في مختلف المجالات بحيث كانت لهم فروع محتكرة أو خاصة بهم دون سواهم من المهاجرين. وشكل اللبنانيون فئة كبيرة بين مهاجري الشوام في هذه المدينة الغنية، فبرز منهم عدد كبير في حقول متنوعة. يصف الأب بولس قرألي دور مهاجري الشوام في المنصورة عام ١٩٢٦ بقوله: «السوريون في المنصورة قابضون على ناصية أهم فروع التجارة والمهن... ويكادون يحتكرون مهنتي الطب والمحاماة» وذلك دلالة على مدى الغنى الاقتصادي والنفوذ الاجتماعي لمهاجري الشوام في هذه المدينة. أبرز أفراد هذه الجالية تبعًا للقطاعات هم:

- **تجار القطن وأصحاب الشون**: حيدر شيحان، سليم شهدان الخوري وهو شقيق المطران عبد الله خوري، بطرس نحول، نجيب سعد، سليم قيصر موسى، نجيب قسيس.
- **أصحاب مزارع واسعة ودوائر كبيرة**: ورثة المرحوم الكونت خليل دو صعب، ورثة آل صوصة، الوجيه نجيب بك سرسق صاحب عزبة الدنابيق الشهيرة والتي يديرها لطف الله جهشان كوكيل لأعمال آل سرسق والشيخ مجيد حبيش كناظر للعزبة ـ عزبة جورج داود القريبة من المنصورة وتعتبر غاية في الإتقان والإنتاج.
- **سماسرة القطن**: كثيرون بين المهاجرين الشوام في المنصورة وأبرزهم ميشال سماحة وأنطون صعب وأخوه شكري صعب مدير الشونة المسماة «شونة البنك العثماني لبيع القطن».
- **أصحاب عقارات**: كنج الجميّل، أكبر تاجر في مدينة المنصورة، ومن كبار أصحاب العقارات واليسار، وهو رئيس الجمعية الخيرية المارونية في المنصورة.

إسكندر الجريديني: من كبار أغنياء المنصورة ورئيس الجمعية الخيرية الأرثوذكسية فيها.

- **أطباء**: نجيب القيم، فيليب عقل، ميشال أيوب وهو طبيب بلدية المنصورة، سليم شويري، أمين عبودي، إسكندر سالم، فتح الله الجاهل.

- **أطباء أسنان**: إسكندر جريديني، ميشال مرعي، توفيق واكيم.

- **أصحاب صيدليات** (أجزخانة): فؤاد سالم الذي يمتلك أيضًا مصنعًا كيماويًا كبيرًا في المنصورة.

- **أصحاب مصانع**: إلياس وأندريا سكاكيني.

- **محامون**: إسكندر مقصود وابنه هنري، عبد الله شديد، سليم قسيس، نجيب بويز، ألفرد قسيس، ألبير فاضل، جورج مطر، بشارة عبودي، بطرس غليونجي، ألفرد جوهرجي.

- **تجارة ومحلات تجارية**: عدد كبير من المهاجرين من مختلف العائلات. وهناك فرع كبير لمحلات صيدناوي الشهيرة، مديره يوسف نجار. وهنالك محلات شهيرة باسم «محلات ميخائيل أوضة باشي وإخوانه».

- **أصحاب فنادق ومطاعم**: يكاد يكون هذا النوع من الأعمال حكرًا على اللبنانيين. أبرزهم: خليل بحري صاحب فندق «سميراميس» ويضم المطعم الأكثر إتقانًا في مدينة المنصورة. ضاهر الريس صاحب فندق «باريس» الشهير، أكبر فنادق المنصورة. أخوه بشارة الريس صاحب فندق «كلاردج Claridge» من فنادق الدرجة الأولى. أخوه الثالث إبراهيم الريس صاحب فندق إمبريال (Imperial) من الدرجة الأولى.

- **وكلاء تجارة وبنوك**: لويس حشيمة وكيل محل رباط الشهير وهو مقاول أيضًا، إلياس ديب وكيل محل سيارات فورد (Ford)، سليم شامي وكيل بنك صوصة في المنصورة، منصور شلهوب وكيل زراعة وأراضي آل صوصة.

- **موظفون كبار**: جورج بك سابا رئيس قلم الرهنيات في المحكمة المختلطة،

ومعه جورج قسيس، من كبار موظفي المحكمة المختلطة في المنصورة، عبد الله نعمة وكيل في المحكمة. ومن موظفي المحكمة البارزين: جورج وأنطون قصيري، حبيب سالم، جورج شدياق، عبد الله فارس، أنطون عقاد، وإلياس شبلي.

ـ **أصحاب مكتبات**: أندريا سكاكيني صاحب مكتبة «الإقبال».

وتشير مراجع هذه الفترة إلى ظهور «الكشافة اللبنانية بالمنصورة» عام ١٩٢٦، وهي، في حقيقه الأمر، ترتبط تحديدًا بولادة الدولة اللبنانية عام ١٩٢٠: «انتخب أعضاء الكشافة اللبنانية بالمنصورة الهيئة الإدارية لهم في مركز البطريركية المارونية في ٨ شباط (فبراير) ١٩٢٦، وهم: عبد الله فارس رئيسًا، وعبد الله نعمة نائبا للرئيس، ورزق الله مزهر أمينًا للسر، وأندريا سكاكيني والأستاذ يوسف الجميل، ويوسف بحري، وفيليب وهنري عطا الله أعضاء».

المصدر: الأب بولس قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى، الجزء الثالث، الصادر في آذار (مارس) ١٩٢٦.

ملحق رقم (١٥)

بعض مشاهير الشوام في طنطا ١٩٢٦

برع كثير من المهاجرين الشوام في طنطا بأعمال متنوعة وجمعوا ثروات كبيرة فيها وباتوا من كبار رجال الأعمال والمال والزراعة والإدارة والصحافة هناك. ويمكن تقديم بعض الجوانب التي نجحوا فيها وأبرزها.

- **سماسرة وتجار قطن**: جورج وميشال خوري، السادة دهان، نخلة بصال، نجم أنطون، يوسف نادر، إيان خباز.
- **أصحاب معامل**: جورج دميت، نايف عماد.
- **تجارة أجواخ**: خليل نادر.
- **تجارة فحم وأدوات العمار**: فريد فارس.
- **تجارة خشب**: عازار الترك.
- **مقاولو بناء وشق الترع**: روفائيل داود وأولاده، يوسف بهنا، إبراهيم وأمين وأسعد الغصيني.
- **أصحاب أملاك واسعة**: أمين عقل، آل عماد، آل خباز.
- **أصحاب فنادق فخمة**: جورج خوري، صاحب «لوكاندة الشرق».
- **صيارفة**: مراد يونس فركوح وأولاده، فضل الله ناصر، عيد إخوان.
- **محامون**: بديع قربة، يوسف الصوراتي، ميشال أحوش، جورج دهان.
- **أصحاب مستشفيات**: الدكتوران جورج وميشال سمعان ولهما المستشفى الكبير المعروف باسم «مستشفى طنطا»، أهم المستشفيات في المنطقة كلها. كان يضم غرفة للعلميات الجراحية مجهزة بأحدث الوسائل والأجهزة المستقدمة من

ألمانيا، وتضمن غرفة للتوليد والأمراض النسائية كانت الأولى من نوعها التي أدخلت إلى طنطا.

- **أطباء**: سليم نمور، تيودور تودري، إسكندر أحوش، بتراكي ناصر.

- **صيدلة**: نسيم يارد، جورج عجان.

- **موظفون كبار**: فكتور لطف الله، باش محضر (رئيس قلم) المحكمة المختلطة.

المصدر: الأب بولس قرألي، **المجلة السورية**، السنة الأولى،الجزء الرابع، الصادر في ١٥ نيسان (إبريل) ١٩٢٦.

ملحق رقم (١٦)

بعض مشاهير الشوام بالإسكندرية من خلال ذاكرة شارل الشميّل

عن أبرز الشخصيات الشامية التي تعرف إليها الأستاذ شارل شميل شخصيًا أو كانت مدار أحاديث المجتمع الإسكندراني في النصف الأول من القرن العشرين، كتب لنا الأستاذ الشميل بخط يده لائحة نثبتها كوثيقة عن صحفي ورجل فكر بارز بين الشوام في الإسكندرية.

- **أسرة أنطونيوس**: وبرز منها المفكر الكبير جورج أنطونيوس الذي كان له دور هام في الحركة العربية وصاحب كتاب يقظة العرب باللغة الإنجليزية وقد صاهر الدكتور فارس نمر فتزوج ابنته، عاش فترة بالإسكندرية ثم انتقل إلى فلسطين.
- **أسرة بسترس**: وهي أسرة بيروتية معروفة كانت لها أملاك واسعة بالإسكندرية. أشهر أفرادها ألبرت بسترس والمحامي موسى بسترس.
- **عبد الله كرم**: من أسرة بيروتية أو طرابلسية. كان يمتلك أراضي واسعة بالإسكندرية. من أولاده الدكتور إدوار كرم وشقيقه توفيق كرم. اشتهرت الأسرة بتجارة الخشب وكانوا يسمون أفرادها «ملوك الخشب بالإسكندرية».
- **أسرة قرداحي**: أسرة بيروتية اشتهرت بالغنى الهائل في الإسكندرية. كان منهم رأسماليون كبار وتجار قطن وأصحاب أملاك واسعة وأبنية فخمة. أبرزهم جورج قرداحي.
- **أسرة دبانة**: أسرة غنية جدًا بالإسكندرية كان يوسف دبانة قنصل البرازيل بالإسكندرية، ونال ابنه لقب كونت لكثرة غناه فسمي الكونت فرديناند يوسف دبانة. كانت لهم تجارة مزدهرة وأراضٍ واسعة وبنو كنيسة معروفة باسمهم «كنيسة دبانة» حتى الآن.
- **أسرة طويل**: عرفت بالتجارة وأبرز أفرادها بطرس الطويل.

ـ **أسرة الخوري**: عرف أفرادهم بتجارة القطن وأبرزهم نصري الخوري.

ـ **أسرة صوصة**: عرفوا بصناعة الدخان فكانت لهم مصانع ضخمة.

ـ **أسرة سياج**: كانوا أصحاب أملاك واسعة ولهم أعمال خيرية.

ـ **أسرة مخلع**: عرف منهم بعض الباشوات من أصحاب الأراضي.

ـ **أسرة سرسق**: عائلة بيروتية عرفت بالغنى والأملاك الواسعة وإدارة الشركات التجارية بالإسكندرية. أبرزهم نجيب سرسق.

ـ **أسرة باسيلي**: من كبار تجار الخشب بالإسكندرية. أبرزهم أسعد باسيلي.

ـ **أسرة خياط**: كان خليل باشا خياط من كبار تجار الدخان وفي إحدى الفترات احتكر استيراد التبغ إلى الإسكندرية ونال ثروة طائلة وله شارع واسع لا يزال باسمه حتى الآن في الإسكندرية.

ـ **أسرة نصر**: عرفت هذه الأسرة بالمهن الحرة خاصة المحاماة. أبرز أفرادها المحامي جبرائيل نصر.

ـ **أسرة كتسفليس** (Catsephlis): أسرة يونانية الأصل ثم انتقلت إلى الشام ومنها إلى مصر، حيث أصابت نجاحًا تجاريًا كبيرًا. أبرز أفرادها جول وألفرد.

ـ **أسرة خلاط**: أسرة طرابلسية الأصل جمع أفرادها ثروة كبيرة وأملاكًا واسعة وبرز منهم شعراء وأدباء معروفون عالميًا كالشاعر هكتور خلاط الذي كتب دواوين شعر باللغة الفرنسية.

ـ **أسرة طراد**: أسرة بيروتية عريقة جمعت ثروة مالية وعقارية بالإسكندرية. أبرز أفرادها الدكتور نقولا طراد.

ـ **أسرة فياض**: أسرة بيروتية اشتهرت بكثرة الأطباء والمهندسين والأدباء. أبرزهم الطبيب الشاعر نقولا فياض وشقيقه طبيب وشاعر.

ـ **أسرة السودا**: عرف من أفرادها المحامي والأديب يوسف السودا الذي لعب دورًا هامًا في «حزب الاتحاد اللبناني» قبل عودته إلى لبنان.

- **أسرة عرب**: اشتهرت بالأعمال المالية والبنكية. أبرز أفرادها إبراهيم عرب الذي شغل منصب رئيس بورصة الإسكندرية.

- **أسرة شكور**: عرف من أفرادها شكور باشا رئيس المجلس البلدي في الإسكندرية في الفترة الأولى لتأسيس البلدية فيها.

- **أسرة أيوب**: عرف منها ميشال أيوب باشا مدير الجمارك بالإسكندرية والمحامي نجيب أيوب.

- **أسرة قطة**: عرف من أفرادها قطة باشا مدير الجمارك بالإسكندرية.

- **أسرة زنانيري**: عائلة غنية جدًا بالإسكندرية كان جوزف زنانيري باشا عضوًا في مجلس المحاجر (Quarantaine) الصحية العالمي.

- **أسرة حداد**:عرف من أفرادها الدكتور أسعد حداد والجنرال حداد في الجيش العربي في مصر والسودان.

وهناك أيضًا أسر أخرى كآل مقصود، وآل لكح، وآل تاجر، وآل رباط وغيرها من ذوي النفوذ في الإسكندرية خلال هذه المرحلة.

المصدر: وثائق الأستاذ شارل الشميل وأوراقه الخاصة.

ملحق رقم (١٧)

مشاهير الشوام في القاهرة من خلال ذاكرة المطران مدوّر

يستعين المطران مدور بأحد مساعديه لكتابة ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبة ليزودنا بها وهي تتضمن الأسماء البارزة من الشوام في النصف الأول من القرن العشرين. وقد تعرف شخصيًا إلى بعض أصحاب النفوذ والمال والسلطة، وذلك بحكم موقعه كمطران لطائفة الروم الكاثوليك الكثيرة العدد في مصر. ومع استيضاح المطران مدور حول بعض جوانب هذه الوثيقة المستلة من الذاكرة، والتي تتضمن بعض الثغرات، تمكنا من جمع المعلومات التالية:

- **عبد الله باشا صفير**: مدير الأمن العام في القاهرة وهو من مواليد ريفون في كسروان.
- **ميشال باشا أيوب**: مدير عام الجمارك في مصر ومن مواليد منطقة صور.
- **يوسف سابا باشا**: مدير عام البوسطة (البريد) في مصر ويعتقد أنه من أصل حلبي.
- **أنطوان مشاقة باشا**: مدير الأملاك الخديوية ويعتقد أنه من دير القمر.
- **عزيز باشا كحيل**: رئيس محكمة الجنايات في مصر وهو من أصل شامي.
- **د. مشاقة**: مدير مصلحة الصحة في مصر وشقيق أنطون.
- **جورج بك عطا الله**: مدير الإصلاح الإداري في مصر ويعتقد أنه من دير القمر.
- **خليل بك مطران**: شاعر القطرين ومن مواليد بعلبك.
- **حبيب باشا لطف الله وأولاده**: من أعيان الشوام في مصر ومن كبار الأغنياء فيها، من أصل طرابلسي.
- **إدوار باشا إلياس**: من كبار موظفي المالية المصرية، أصله من اللاذقية.

- **حبيب ديمتري بولاد**: صاحب المصانع الشهيرة في المحلة الكبرى. من أصل حلبي.
- **آل قرداحي**: من كبار رجال البورصة وتجارة القطن. الأصل من بيروت.
- **نجيم باشا**: تاجر وملّاك كبير تبرع للدولة المصرية ببناء ضخم للجمعية الملكية لعلم الحشرات. من مواليد معاصر الشوف.
- **آل تاجر**: من كبار تجار مصر وقد جاءوا من حلب وجلبوا معهم قسمًا كبيرًا من ثروتهم.
- **آل ثابت**: من كبار المتمولين وأصحاب الأعمال. وهم من أصل حلبي.
- **كريم باشا ثابت**: من كبار صحافيي مصر أصله من دير القمر. كان عضوًا في مجلس الشيوخ المصري وعمل ابنه، كريم ثابت، مستشارًا للملك فاروق.
- **حبيب توتونجي وأولاده**: أصحاب فبارك وتجارة واسعة من أصل حلبي.
- **جورج حكيم وأولاده**: أصحاب أملاك في القاهرة من أصل حلبي.
- **رزق حمصي**: من كبار أغنياء الشوام في مصر تزوج ابنه ريمون من كريمة الرئيس اللبناني ألفرد نقاش.
- **آل خوري**: أسرة حلبية كبيرة كانت لها أملاك وبنوك.
- **فيليب كفوري وإخوانه**: من مواليد الخنشارة، كانت لهم شركة أوتوبيس ونقليات في مختلف أرجاء مصر.
- **آل عيد**: من صيدا، ساهم جورج وألفرد عيد في إصلاح مساحات شاسعة من الأراضي المصرية.
- **يوسف بك نحاس**: ابن فتح الله نحاس من كبار مزارعي ومعلمي زراعة القطن في مصر. من أصل حلبي.
- **آل صعب**: من كبار متمولي الموارنة في مصر. أصحاب تجارة وأملاك وبورصة. الأصل من جبل لبنان، ويعتقد من بكفيا.

- **آل شديد**: كانت لهم ثروة طائلة. الأصل من جبل لبنان.
- **آل معلوف**: الأصل من كفر عقاب. أنشأ أحدهم شركة لتشجيع الاصطياف في لبنان.
- **آل صيقلي**: من أصل فلسطيني. أسرة أرثوذكسية تميزت بأسماء يونانية: سقراط وآشيل وأغا ممنون، كان آشيل سكرتيرًا للملك فؤاد.
- **آل بستاني وشيخاني وصوصة**: من كبار أصحاب فبارك السجائر في مصر.
- **آل صيدناوي**: كانت لهم المحلات التجارية في مصر. نال سليم وسمعان لقب بك. كانت لهم فروع تجارية كبيرة وأراضٍ زراعية واسعة. أسسوا مستشفى وهبوه للحكومة المصرية عرف باسم مستشفى صيدناوي وقدموا عمارات للمدرسة البطريركية وكانوا من مؤسسي دار الشفاء. اشتهروا بتجارة الألبسة الجاهزة والعطور وسواها، تأممت محلاتهم التجارية فخسروا ثروة طائلة. أصلهم من صيدنايا الشام.
- **حبيب باشا سكاكيني**: من أصل شامي. كان من كبار أصحاب الأملاك والنفوذ وهناك حي في القاهرة لا يزال يحمل اسمه حتى الآن لأن هناك سرايا كبيرة كان يملكها وسكنها لفترة.
- **زنانيري باشا**: سكرتير عام مصلحة الصحة بالإسكندرية من أصل شامي.
- **فريد باشا بابازوغلي**: وكيل وزارة الأشغال العامة. من أصل تركي والأسرة استقرت في جبل لبنان ومنها جاءت إلى مصر.
- **قسطنطين قطة باشا**: سكرتير مجلس الوزراء المصري.من أصل شامي.
- **جميل مدور**: من مواليد بيروت. أديب معروف طبع كتاب «حضارة الإسلام في دار السلام» القاهرة عام ١٩٠٥.
- **عادل غضبان**: من أصل حلبي. كان شاعرًا مشهورًا في مصر.
- **مي زيادة**: من مواليد الناصرة. أديبة مشهورة وصاحبة صالون أدبي. كان والدها صحفيًا معروفًا في مصر.

- **نجيب باشا سيور**: مدير مصلحة أملاك الدولة. من أصل شامي.
- **أنطاكي باشا وإخوانه**: من كبار أصحاب المصانع والفبارك في مصر. من أصل شامي.
- **جماعة الأهرام**: تقلا، بركات، أنطون الجميل، ميرزا، من أصل لبناني.
- **جماع المقطم**: نمر، صروف، مكاريوس،من أصل لبناني.
- **جماعة البصير**: آل الشميل من كفر شيما في لبنان.

وهناك أسماء كثيرة تشملها ورقة المطران مدور الذي يلاحظ أيضًا أن العائلات الحلبية، أكثر من سواها، قدمت إلى مصر قبيل الحرب العالمية الأولى وبعدها، حاملة معها قسمًا كبيرًامن أموالها فوظفته في البنوك والمصانع والتجارة وإصلاح الأراضي وغيرها. أما المهاجرون الذين قدموا من لبنان فكانوا، في الغالب، لا يملكون ثروة تذكر بل انصرفوا إلى العمل التجاري برأسمال ضعيف جدًا في البداية فاغتنى بعضهم ولم يحالف الحظ البعض الآخر، ومنهم من تعاطى العمل الوظيفي أو الصحافة والأدب، أو المهن الحرة.

المصدر: أوراق المطران كامل مدور الخاصة وسجلات بطريركية الروم الكاثوليك بالقاهرة.

ملحق رقم (١٨)

بعض مشاهير الموارنة الشوام في مصر من خلال ذاكرة المطران يوسف مرعي

يقدم المطران لائحة بأسماء أبرز من تعرف إليهم مباشرة من الموارنة أو من كان الناس يلهجون باسمهم بعد سنوات طويلة من وفاتهم:

- **الشيخ أنطون الجميل**: الصحافي المشهور ومدير الأهرام ومستشار الملك فاروق وعضو مجلس الشيوخ المصري.
- **أنطون صفير**: مستشار سياسي للملك فاروق.
- **نجيب كنعان**: مدير سابق للأهرام وما زال حيا (أجرينا معه مقابلة مطولة).
- **نبيل عبد الله البستاني**: من الديبة. ثري جدًا وصاحب معمل كبير للسجائر في مصر تأمم فيما بعد. رئيس جمعية المساعي الخيرية المارونية لسنوات طويلة.
- **الدكتور ميشال فرح**: عالم ذرة من حمانا ما زال حيًا (أجرينا معه مقابلة مطولة).
- **فؤاد وأدمون حداد**: من بكاسين، أبرز تجار الأدوات الرياضية في القاهرة.
- **أدمون طنوس**: من قرنة شهوان من أكبر تجار مواد البناء في القاهرة.
- **بهير كلداني**: من مواليد بيروت صاحب مصانع ضخمة للنسيج.
- **إيلي رشيد عصفور**: من مواليد حلب.تاجر كبير لمواد البناء.
- **عادل يوسف**: من مواليد الصالحية قرب صيدا. موظف كبير للإعلام في جامعة الدول العربية. متقاعد.
- **حبيب غانم**: من مواليد بكاسين. تاجر كبير للنوفوتيه نقل تجارته من السويس إلى الزمالك.

- **جورج حرفوش**: من مواليد بكاسين. مستشار الدولة المصرية للقضايا القانونية. أحيل إلى التقاعد.

- **هنري نحول وأخوه روجيه**: من كبار مهندسي وزارة الأشغال العامة.

- **نقولا بركات**: من مواليد البوار، موظف كبير في وزارة الإعلام وشغل لفترة طويلة مذيعًا باللغة الفرنسية.

- **حليم عكر**: من مواليد دير القمر. سكرتير بالسفارة المصرية بالقاهرة

- **الكونت سليم صعب**: من مواليد بعلبك. تبرع ببناء الكاتدرائية المارونية في مصر وكنيسة مار يوسف المارونية في القاهرة عام ١٩٠٦. من كبار أغنياء الموارنة في مصر، أضاف إلى اسمه لقب «دو صعب».

- **الكونت عزيز شديد**: من مواليد برج البراجنة. قدم وقفية للكنيسة المارونية حوالي ٤٥٠٠م٢ في الزقازيق قرب طنطا. من كبار أغنياء الموارنة في مصر أضاف لاسمه لقب «دو شديد».

- **أنطون الشاعر**: من مواليد بينو في عكار. من أصل أرثوذكسي تحول إلى المارونية في مصر، مقاول ومن كبار أغنياء مصر.

- **أنطوان نخلة**: من مواليد بشعلة. محاسب في الدولة المصرية ومسئول كبير في شركة الطيران الإسكندينافي.

- **جابي بشعلاني**: شقيق أنطون. المدير العام لشركة سفن أب في مصر والشرق الأوسط.

- **إسكندر زنانيري**: من مواليد صيدا. كانت له ثروة كبيرة وشهرة عظيمة.

- أنطون نعمة: من مواليد دير القمر. وصل إلى رتبة أميرال في البحرية المصرية. تقاعد في الإسكندرية.

- **المحامي رشدي نعمة**: شقيق أنطون. رئيس الجمعية الخيرية المارونية بالمنصورة.

- **ريمون حايك**: من مواليد بيت شباب تَسمَّى في مصر باسم ريمون آياك. صاحب أهم محل للنظارات في الإسكندرية.

- **نعيم خزام**: من مواليد حلب. رئيس سابق للجمعية الخيرية المارونية.
- **إسكندر جهشان**: من مواليد بيروت، مقاول كبير.
- **نجيب جورج الجميل**: من مواليد بكفيا. مهندس معمار في المنصورة.
- **إلياس وروبير شيحان**: من مواليد حارة صخر قرب جونية. أصحاب أملاك واسعة في المنصورة.
- **ألكسندر غريب**: من مواليد الدامور. طبيب معروف في الإسكندرية.
- **فادي كريدي**: من مواليد زوق مكايل. مهندس في الإسكندرية.
- **فيليب الجميل**: محام ودكتور في الحقوق. من مواليد بكفيا ويقطن في الإسكندرية.
- **شريف الجميل**: ابن فيليب. موظف كبير في شركة طيران الشرق الأوسط في القاهرة.

وهناك أسماء أخرى لعائلات متفرقة من آل العود، شيخاني، العم، عقل، الخازن، حبيش، يونس، وغيرها لا يذكر المطران أسماء أفرادها.

المصدر: أوراق المطران يوسف مرعي الخاصة، مطران الموارنة في مصر والسودان.

ملحق وتعريف بأسماء بعض مهاجري الشوام في مصر من الذين لم يرد ذكرهم مفصلا في المصادر العامة

حرصنا في هذه الدراسة على تقديم إضافات جديدة، في التوثيق والمقابلات والتحليل، وذلك على قاعدة تأريخية تحتم تكامل الدراسات التاريخية وليس تكرار ما سبق ونشر منها. ولما كان مهاجرو الشوام إلى مصر من الكثرة والبروز بحيث لا تستطيع آلاف الصفحات حصر أعمالهم ومناقشة كتاباتهم وأفكارهم،كان من المفيد الإشارة فقط إلى المصادر العلمية التي قدمت لمحة موجزة عن حياة بعضهم مع أبرز أعماله وأهم الدراسات النقدية التي تناولتها. وتأتي دراسات عالم المكتبات يوسف أسعد داغر في طليعة كتب البيبليوجرافيا التي رصدت أسماء كثيرين من الشوام، أدباء وشعراء وفنانين وغيرهم، كما رصدت أسماء الصحف والمجلات التي نشروها في أرض الكنانة. وهذه البيبليوجرافيا تكمل، إلى حد بعيد، دراستنا حول هؤلاء المهاجرين والإشارة إلى الأسماء الواردة فيها مقرونة بالصفحات، تتضمن لمحة وافية من الولادة، والدراسة، والعمل، والزواج، والرحلات، والأوسمة، والأبحاث، والمصادر والمراجع التي تحدثت على المهاجر. وقد صدرت بيبليوجرافيا يوسف أسعد داغر عن الجامعة اللبنانية بعنوان **مصادر الدراسة الأدبية**، في عدة أجزاء ما بين أعوام (١٩٧٢-١٩٨٣)، بالإضافة إلى دراسة خاصة بعنوان **قاموس الصحافة اللبنانية: (١٨٥٨-١٩٧٤)**، الصادر أيضا عن منشورات الجامعة اللبنانية عام ١٩٧٨. أما الثبت المرفق بهذه الدراسة فيتناول بعض أسماء الشوام خارج إطار بيبليوغرافيا يوسف داغر ويعتبر مكملًا لبعض جوانبها.

وقد استندنا في إعـداده إلى معلومات متفرقة في الصحف، والمجلات، والمذكرات الشخصية، والمقابلات الخاصة، والإعلان الفني، وحفلات الأوسمة، وتكريم الأدباء والشعراء، والرسائل والدراسات الجامعية وغيرها.

أولاً: عن مصادر الدراسة الأدبية

١ ـ الفكر العربي الحديث في سير أعلامه ـ الراحلون (١٨٠٠-١٩٥٥)، الجزء

الثاني، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣.

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة
أديب إسحق	١١٥ ـ ١١٨	محمد رشيد رضا	٣٨٣ ـ ٣٨٦
فرح أنطون	١٤٩ ـ ١٥٤	أمين الريحاني	٣٩١ ـ ٣٩٨
عبده بدران	١٧٣ ـ ١٧٤	عبد الحميد الزهراوي	٤١٣ ـ ٤١٤
أحمد البربير	١٧٥ ـ ١٧٧	مي زيادة	٤٢١ ـ ٤٢٧
داود بركات	١٧٨ ـ ١٨٠	جرجي زيدان	٤٢٨ ـ ٤٣٤
سليمان البستاني	١٨٩ ـ ١٩٢	حبيب زيات	٤٣٧ ـ ٤٣٩
حبيب أسطفان	١١٩ ـ ١٢٠	سليم سركيس	٤٤٠ ـ ٤٤٣
وديع البستاني	١٩٦ ـ ١٩٨	خليل السكاكيني	٤٤٤ ـ ٤٤٦
نقولا يوسف الترك	٢١٥ ـ ٢١٧	روز عطا الله شحفة	٤٥٦
سليم تقلا	٢١٨ ـ ٢١٩	أحمد فارس الشدياق	٤٥٧ ـ ٤٦٤
أمين تقي الدين	٢٢٠ ـ ٢٢١	رشيد عبد الله الشرتوني	٤٦٥ ـ ٤٦٧
طاهر الجزائري	٢٦١ ـ ٢٦٥	شاكر شقير	٤٧٤ ـ ٤٧٧
الشيخ حسين الجسر	٢٦٦ ـ ٢٦٨	إسكندر الشلفون	٤٧٨ ـ ٤٨٠
أنطون الجميل	٢٧١ ـ ٢٧٣	أمين الشميل	٤٨٤ ـ ٤٨٧
أمين سليمان الحداد	٢٩٢ ـ ٢٩٣	عبد الرحمن الشهبندر	٤٨٤ ـ ٤٩٠
نجيب سليمان الحداد	٢٩٤ ـ ٢٩٧	لويس صابونجي	٥١١ ـ ٥١٤
نقولا إلياس الحداد	٢٩٨ ـ ٣٠٣	إلياس صالح	٥١٥ ـ ٥١٦
رزق الله حسون	٣٠٨ ـ ٣١٠	يعقوب صروف	٥٢٤ ـ ٥٣٢
عبد القادر حمزة	٣١٥ ـ ٣١٦	جبر ضومط	٥٣٧ ـ ٥٤٠
قسطاكي حمصي	٣١٧ ـ ٣١٩	طانيوس عبده	٥٧٦ ـ ٥٨٠
يوسف الخازن	٣٢٤ ـ ٣٢٥	رفيق العظم	٥٨٩ ـ ٥٩١
حنا خباز	٣٣٢ ـ ٣٣٤	سليم عنحوري	٥٩٦ ـ ٥٩٨
خليل جبرائيل الخوري	٣٣٧ ـ ٣٣٩	مصطفى الغلاييني	٦٠١ ـ ٦٠٤
أسعد خليل داغر	٣٤٢ ـ ٣٤٤	فيليكس فارس	٦١١ ـ ٦١٣
جبرائيل الدلال	٣٥٥ ـ ٣٥٦	زينب فواز	٦١٦ ـ ٦١٧
أمين عبد اللطيف الرافعي	٣٥٩ ـ ٣٦٠	إلياس فياض	٦١٨ ـ ٦٢٠
عبد الحميد الرافعي	٣٦١ ـ ٣٦٢	أحمد أبو خليل القباني	٦٢١ ـ ٦٢٣

٢ ـ **الفكر العربي الحديث في سير أعلامه**، الجزء الثالث، القسم الأول والثاني، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٢.

جورج طنوس	٧٣٢ـ٧٣٣	خليل مردم بك	١١٨٢ـ١١٨٥
قدري طوقان	٧٤٥ـ٧٤٧	بولس مسعد	١٢٠٠ـ١٢٠٢
ماري عبدو عجمي	٨٠٣ـ٨٠٥	ميخائيل مشاقة	١٢١٢ـ١٢١٤
رشيد عطية	٨٣٨ـ٨٤٠	إلياس ديب مطر	١٢٢٢ـ١٢٢٣
حقي العظم	٨٤٥ـ٨٤٦	عبد القادر المغربي	١٢٦٤ـ١٢٦٨
الأب يوسف علوان	٨٦٥ـ٨٦٨	شاهين مكاريوس	١٢٧١ـ١٢٧٢
إسكندر عمون	٨٧٧ـ٨٧٨	بطرس مكرزل	١٢٧٥ـ١٢٧٧
داود عمون	٨٧٩ـ٨٨١	إبراهيم ميخائيل النجار	١٣١٤ـ١٣١٥
بولس غانم	٨٩٩ـ٩٠٠	إبراهيم سليم النجار	١٣١٦ـ١٣١٧
أمين الغريب	٩١٢ـ٩١٣	سليم خليل النقاش	١٣٤٢ـ١٣٤٥
بشر فارس	٩٣٣ـ٩٣٧	فارس نمر	١٣٥٢ـ١٣٥٤
سليمان الفاروقي	٩٤٣ـ٩٤٤	نوفل نعمة الله نوفل	١٣٦٠ـ١٣٦٢
أنيس فليحان	٩٩٠	لبيبة ماضي هاشم	١٣٦٥ـ١٣٦٧
نقولا فياض	٩٩٥ـ٩٩٩	خليل اليازجي	١٤١١ـ١٤١٣
جمال الدين القاسمي	١٠٠٠ـ١٠٠٥	وردة اليازجي	١٤١٤ـ١٤١٦
شمس الدين القاوقجي	١٠١٠ـ١٠١٢	أمين سعيد	١٤٣٥ـ١٤٣٨
سليم قبعين	١٠٢٠ـ١٠٢٢	نسيم رزق الله برباري	١٤٣٩ـ١٤٤٠
شارل قرم	١٠٢٧ـ١٠٢٨	نجيب بطرس البستاني	١٤٤٣ـ١٤٤٤
الشيخ كامل قصاب	١٠٣١ـ١٠٣٢	نقولا توما	١٤٤٧ـ١٤٤٨
عبد الرحيم قليلات	١٠٤٠ـ١٠٤١	فريد حبيش	١٤٥٠ـ١٤٥١
حبيب كاتبة	١٠٥١ـ١٠٥٢	محمد الحسيني	١٤٥٥ـ١٤٥٦
يوسف كرم	١٠٦٧ـ١٠٦٨	إدوار سليم عطية	١٤٨٨ـ١٤٨٩
أحمد شاكر الكرمي	١٠٧١ـ١٠٧٣	عادل الغضبان	١٤٩٥ـ١٤٩٦
توفيق كنعان	١٠٨٠ـ١٠٨٣	نقولا نمر	١٥٠٥ـ١٥٠٦
داود مجاعص	١١٣٣ـ١١٣٤	المفتي سليم حسن اليعقوبي	١٥٠٧ـ١٥٠٨
زكي المحاسني	١١٣٥ـ١١٣٨	فؤاد أسد حبيش	١٥٠٩ـ١٥١٠
محب الدين الخطيب	١١٣٩ـ١١٤٢		

٣ـ **أعلام النهضة ـ القرنان التاسع عشر والعشرون**، الجزء الرابع، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣.

عمر أبو النصر	٣٠ـ٣٥	رشيد الشميّل	٣٩٣ـ٣٩٤
حنا أبي راشد	٣٦ـ٣٩	سبع الشميل	٣٩٥ـ٣٩٦
حنة أرقش	٥٥ـ٥٦	ميخائيل الصباغ	٤٠٥ـ٤٠٦

جورج أنطونيوس	٦٦ ـ ٦٧	جرجس صفير	٤١٦ ـ ٤١٨
نجيب الأرمنازي	٧٢ ـ ٧٣	محمد علي الطاهر	٤٤٩ ـ ٤٥٢
فخري البارودي	٧٨ ـ ٨٠	عيسى وشحادة عيد	٤٩٥ ـ ٤٩٧
شكري بخاش	٩٣ ـ ٩٦	فؤاد إسكندر عمون	٥٢٠ ـ ٥٢٣
خليل داود ثابت	١٣٦ ـ ١٣٩	عزيز عيد	٥٣٥ ـ ٥٣٧
الأب فردينان توتل	١٤٠ ـ ١٤٢	يوسف خطار غانم	٥٤١ ـ ٥٤٣
بشارة تقلا	١٤٣ ـ ١٤٦	يوسف مراد	٦٢٨
نسيب إلياس الخازن	٢٤٩ ـ ٢٥١	ميشال المغربي	٦٥٥ ـ ٦٥٦
هكتور خلاط	٢٦٥ ـ ٢٦٧	أنيس الخوري المقدسي	٦٦٢ ـ ٦٦٦
عبد الكريم الخليل	٢٦٨ ـ ٢٧٠	الشيخ نديم الملاح	٦٧١ ـ ٦٧٤
إبراهيم خير الله	٢٨٤ ـ ٢٨٥	منيرة ثابت	٦٧٨ ـ ٦٧٩
عمر تقي الدين الرافعي	٣٠٠ ـ ٣٠١	أستير مويال	٦٨٣ ـ ٦٨٥
خير الدين الزركلي	٣١٥ ـ ٣١٧	الرئيس ألفرد نقاش	٧١٤ ـ ٧١٥
الشيخ مصطفى السباعي	٣٣٦ ـ ٣٣٧	ألبرت ناصيف	٧٢٦ ـ ٧٢٧
حبيب سلامة	٣٥١ ـ ٣٥٣	عبد الحميد ياسين	٧٤١ ـ ٧٤٢
إسكندر جرجس شاهين	٣٨٢ ـ ٣٨٣	قسطنطين يني	٧٤٨ ـ ٧٤٩

ثانيًا: عن قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨-١٩٧٤

منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٨، صفحات ٣٩٥-٤٥٢

اسم الجريدة أو المجلة	مؤسسها	مكان صدورها في مصر	سنة صدورها
وادي النيل	حبيب غرزوزي وعبد الله أبو السعود	القاهرة	١٨٦٦
الجوائب	أحمد فارس الشدياق	الآستانة ثم القاهرة	١٨٦٧
الكوكب الشرقي	سليم الحموي	الإسكندرية	١٨٧٣
الأهرام	بشارة وسليم تقلا	الإسكندرية ثم القاهرة	١٨٧٦
المقتطف	يعقوب صروف وفارس نمر	بيروت ثم القاهرة	١٧٨٤
حقيقة الأخبار	أنيس خلاط	القاهرة	١٨٧٧
مصر	أديب إسحاق وسليم النقاش	الإسكندرية	١٨٧٧
الوقت	سليم وبشارة تقلا	الإسكندرية	
التجارة	أديب إسحق	الإسكندرية	١٨٧٨
العصر الجديد	سليم النقاش	الإسكندرية	١٨٨٠

المحروسة	سليم نقاش وأديب إسحق	الإسكندرية	١٨٨٦
الاتحاد المصري	روفائيل مشاقة	الإسكندرية	١٨٨١
الصادق	أمين ناصيف	القاهرة	١٨٨١
مصر	أديب إسحق وأخوه عوني	الإسكندرية	١٨٨١
الأحوال	سليم وبشارة تقلا	الإسكندرية	١٨٨٢
الحضارة	ميخائيل جرجس عورا	القاهرة	١٨٨٢
مرآة الشرق	خليل اليازجي وأمين ناصيف	القاهرة	١٨٨٢
البيان	ميخائيل عورا ويوسف سيف	مصر	١٨٨٤
الجريدة المصرية	جرجس ميخائيل النحاس	مصر	١٨٨٥
القاهرة	سليم فارس الشدياق	القاهرة	١٨٨٥
الحقوق	إميل الشميل وإبراهيم الجمال	القاهرة	١٨٨٦
الشفاء	شبلي الشميل	مصر	١٨٨٦
اللطائف	شاهين مكاريوس	القاهرة	١٨٨٦
المحروسة	يوسف همام آصاف	مصر	١٨٨٦
الببغاء	نجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٨٧
جريدة المحاكم	يوسف همام آصاف	القاهرة	١٨٨٨
حديقة الأدب	نجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٨٨
الراوي	خليل زينيه	الإسكندرية	١٨٨٨
الرياضة السورية	محمد باشا المخزومي	القاهرة	١٨٨٨
المنارة	نجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٨٨
الحقيقة	جورج ميرزا وفرج مزراحي	الإسكندرية	١٨٨٩
La Jurisprudence	يوسف همام آصاف	القاهرة	١٨٨٩
المقطم	يعقوب صروف وفارس نمر	القاهرة	١٨٨٩
المحاكم	يوسف همام آصاف	القاهرة	١٨٩٠
أبو نواس	يوسف وإلياس كنعان	الإسكندرية	١٨٩١
الزراعة	أيوب عون	القاهرة	١٨٩١
الفوائد الصحية	الدكتور شلهوب	القاهرة	١٨٩١
كنز الزراعة	حبيب فارس	القاهرة	١٨٩١
الفتى	إسكندر شلهوب	القاهرة	١٨٩٢
الفتاة	هند نوفل	الإسكندرية	١٨٩٢
الهلال	جرجي زيدان	القاهرة	١٨٩٢
أبو الهول	نجيب الحاج ونجيب كنعان	القاهرة	١٨٩٣

الثمرة	أنطونيوس منصور	الإسكندرية	١٨٩٣
الرأي العام	إسكندر شلهوب ونجيب الحاج	القاهرة	١٨٩٣
الابتسام	روفائيل مشاقة ونجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٩٤
الأمة	سليم حبالين	القاهرة	١٨٩٤
لسان العرب	نجيب وأمين الحداد وعبده بدران	الإسكندرية	١٨٩٤
المتحف	قسطنطين ويعقوب نوفل	الإسكندرية	١٨٩٤
المشير	سليم سركيس	الإسكندرية	١٨٩٤
أبو نواس	نجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٩٥
الإخلاص	إبراهيم عبد المسيح	مصر	١٨٩٥
حظ الحياة	سليم وإبراهيم رومانوس	الإسكندرية	١٨٩٥
السيار	يوسف كنعان	القاهرة	١٨٩٥
صدى الشرق	إميل بربر	القاهرة	١٨٩٥
طبيب العائلة ومرشد اللبيب	الدكتور ألفريد عيد	القاهرة	١٨٩٥
العالم الجديد	نجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٩٥
العدل	سليم حبالين	القاهرة	١٨٩٥
الكنانة	شاكر شقير ونجيب متري	القاهرة	١٨٩٥
النبراس	نجيب جاويش وحسيب كرامة	مصر	١٨٩٥
الأخبار	الشيخ يوسف الخازن	القاهرة	١٨٩٦
الثريا	إدوار جدي	القاهرة	١٨٩٦
الرائد المصري	نقولا شحادة	مصر	١٨٩٦
الشرق	أمين شدياق وتوفيق عزوز	القاهرة	١٨٩٦
الغزالة	نقولا بولاد	مصر	١٨٩٦
الفردوس	لويز حبالين	القاهرة	١٨٩٦
فعل الخطاب	طانيوس عبده	الإسكندرية	١٨٩٦
الكرباج والعفريت	عبد الله المقدسي	الإسكندرية	١٨٩٦
الكوثر	إسكندر دبانة	القاهرة	١٨٩٦
مرآة الحسناء	مريم مزهر (اسم مستعار لسليم سركيس)	القاهرة	١٨٩٦
الوظيفة	سليم حبالين	القاهرة	١٨٩٦
الأثر	على سلام	القاهرة	١٨٩٧
البصير	رشيد الشميّل	الإسكندرية	١٨٩٧

البيان	إبراهيم اليازجي	القاهرة	١٨٩٧
تركيا	قيصر كرم	القاهرة	١٨٩٧
الكهرباء	سليم سركيس	القاهرة	١٨٩٧
أبو نواس	يوسف وإلياس كنعان	الإسكندرية	١٨٩٨
أنيس الجليس	الأميرة ألكسندرا خوري أفرينوه	الإسكندرية	١٨٩٨
تسلية الخواطر	سبع الشميّل	الإسكندرية	١٨٩٨
الرقيب	نجيب إبراهيم طراد	الإسكندرية	١٨٩٨
السعادة	عبد الفتاح بيهم	الإسكندرية	١٨٩٨
السلام	نجيب الحداد وغالب طليمات	الإسكندرية	١٨٩٨
الضياء	إبراهيم اليازجي	القاهرة	١٨٩٨
العثماني	أمين الخوري ونقولا رزق الله	الإسكندرية	١٨٩٨
الفكاهة	ديمتري نقولا	مصر	١٨٩٨
القمر	جرجي طنوس	القاهرة	١٨٩٨
مصر	محمد رشيد رضا	القاهرة	١٨٩٨
المنار	محمد رشيد ضيا	القاهرة	١٨٩٨
الآمال	نجيب جرجور	الإسكندرية	١٨٩٩
إدريس	خليل بتراكي عوار	القاهرة	١٨٩٩
استيرمويال	استيرمويال	القاهرة	١٨٩٩
العيان	نجيب الحداد	القاهرة	١٨٩٩
الجامعة	فرح أنطون	الإسكندرية	١٨٩٩
صدى الأهرام	سليم وبشارة تقلا	الإسكندرية	١٨٩٩
العائلة	استيرمويال	القاهرة	١٨٩٩
الكوثر	جورج طنوس	القاهرة	١٨٩٩
الخزانة	الشيخ يوسف الخازن	القاهرة	١٩٠٠
الغزالة	إدوار قرألي	القاهرة	١٩٠٠
المجلة المصرية	خليل مطران	القاهرة	١٩٠٠
المصباح الجديد	إبراهيم نجار وسمعان سعادة	القاهرة	١٩٠٠
النصر الجديد	إسكندر شلهوب	القاهرة	١٩٠٠
الابتسام	جورج إسحق يارد	القاهرة	١٩٠١
تحرير سوريا	جورج عساف	القاهرة	١٩٠١
الخزان	نجيب هاشم	القاهرة	١٩٠١
الصباح	عبده بدران	الإسكندرية	١٩٠١

صدى لبنان	سجعان عارج سعادة	مصر	١٩٠١
المجلة الماسونية	يوسف لفلوفة	الإسكندرية	١٩٠١
المرأة	أنيسة عطا الله	القاهرة	١٩٠١
الإعلان	أمين الخوري	الإسكندرية	١٩٠٢
الأقلام	جورج طنوس ومحمود المنفلوطي	القاهرة	١٩٠٢
بريد الأمة	الشيخ يوسف الخازن	القاهرة	١٩٠٢
الرجاء	ألبرت أسود	الإسكندرية	١٩٠٢
الروايات الشهيرة	يعقوب الجمال	مصر	١٩٠٢
الزهرة	مريم سعد	الإسكندرية	١٩٠٢
السعادة	روجينا عواد	القاهرة	١٩٠٢
الطب الحديث	ألفريد عيد	القاهرة	١٩٠٢
الغزالة	يعقوب الجمال	القاهرة	١٩٠٢
الكلمة الحرة	إبراهيم سليم النجار	القاهرة	١٩٠٢
مرآة الأيام	إبراهيم لفلوفة	القاهرة	١٩٠٢
المصور	خليل زينيه	الإسكندرية	١٩٠٢
الأقلام	جورج طنوس ومحمود المنفلوطي	القاهرة	١٩٠٢
الجوائب المصرية	خليل مطران	القاهرة	١٩٠٣
الزمار	شاهين الخازن وطانيوس عبده	الإسكندرية	١٩٠٣
الرجاء	توفيق رزق الله وجرجس حبيب	الإسكندرية	١٩٠٣
الزمار	شاهين الخازن ونسيم العازار	الإسكندرية	١٩٠٣
السودان	فارس نمر وشركاه	الخرطوم	١٩٠٣
السيدات والبنات	روز أنطون	الإسكندرية	١٩٠٣
الشرق	حنا جاويش وطانيوس عبده	الإسكندرية	١٩٠٣
الطرائف	رشيد المصوبع	القاهرة	١٩٠٣
الطغراء	جورج إسحق يارد	الإسكندرية	١٩٠٣
الحوادث	نجيب عواد	القاهرة	١٩٠٤
السياسة	يوسف كساب	القاهرة	١٩٠٤
المباحث	الخوري جرجس فرح صفير	الإسكندرية	١٩٠٤
النور	فارس مشرق وداود مجاعص	الإسكندرية	١٩٠٤
الروايات الشهيرة	يعقوب الجمال	القاهرة	١٩٠٥
مجلة سركيس	سليم سركيس	القاهرة	١٩٠٥
الحقيقة	نعيم صوايا	الإسكندرية	١٩٠٦

رجع الصدى	الشيخ نجيب العازار	الإسكندرية	١٩٠٦
فتاة الشرق	لبيبة ماضي هاشم	القاهرة	١٩٠٦
الكلمة الحقة	إبراهيم سليم النجار	القاهرة	١٩٠٦
المباحث السياسية المصورة	حسين شفيق	القاهرة	١٩٠٨
الإقدام	حنا سيدهم ونجيب كرم	القاهرة	١٩٠٩
مجلة جمعية الاتحاد اللبناني	جمعية الاتحاد اللبناني	القاهرة	١٩٠٩
الراوي	طانيوس عبده	الإسكندرية	١٩٠٩
الساروخ	جرجي خليل معوض	القاهرة	١٩٠٩
فرعون	حبيب جاماتي	القاهرة	١٩٠٩
مرشد الأطفال	أنجلينا أبو شعر	مصر	١٩٠٩
المقطم الأسبوعي	يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس	القاهرة	١٩٠٩
الروايات الجديدة	نقولا رزق الله	القاهرة	١٩١٠
الزهور	أنطون الجميل وأمين تقي الدين	القاهرة	١٩١٠
الكائنات	الأرشمندريت باسيليوس الحاج	القاهرة	١٩١٠
الوطني	محمد العلقيلي وأيوب صبري	بيروت ثم القاهرة	١٩١٠
الرابطة	متخرجو الكلية العلمانية	مصر	١٩١١
الرقيب	جروج طنوس	القاهرة	١٩١١
السمير	قيصر الشميل	الإسكندرية	١٩١١
المعتدل	عزيز سليم صعب	القاهرة	١٩١١
الإقدام	ألكسندرا خوري أفرينوه	الإسكندرية	١٩١٢
الدلتا	وديع شيخاني وأرنست داود إسكندر	المنصورة	١٩١٢
الرائد	فؤاد الخطيب وجميل الرافعي	السودان	١٩١٢
المجنون	أمين عطا الله	القاهرة	١٩١٢
مسامرات الملوك	ألفريد خوري	القاهرة	١٩١٢
الخليل	رزق الله سركيس وخليل الخوري كسيب	الإسكندرية	١٩١٣
رائد السودان	عبد الرحيم قليلات	الخرطوم	١٩١٣
السهام	جورج إسحق يارد	مصر ثم البرازيل	١٩١٣
الشرائع	قسطنطين سعادة	طنطا	١٩١٣

اقرأني	الأمير فريد شهاب	القاهرة	١٩١٤
المرآة	خليل زينيه وأحمد إبراهيم فودة	مصر	١٩١٤
ملحق المقطم المصور	يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس	القاهرة	١٩١٤
الأمة	توفيق طنوس	الإسكندرية	١٩١٥
تقويم الشرق	هنري مدور	القاهرة	١٩١٥
اللطائف المصورة	إسكندر مكاريوس	القاهرة	١٩١٥
المنبر	جورج طنوس	القاهرة	١٩١٥
الزهرة	نعوم مغبغب	القاهرة	١٩١٦
لبنان الفتى	حبيب جاماتي	القاهرة	١٩١٨
رقيب البلابل	إسكندر شلفون	القاهرة	١٩٢٠
الاستقلال	محمد عزمي وجبرائيل بشارة تقلا	القاهرة	١٩٢١
البرق	عبد الله يزبك وأيوب نقاش	القاهرة	١٩٢١
الروايات المصورة	سليم خوري وإسحق صروف	القاهرة	١٩٢١
المضمار	حبيب أسعد داغر	القاهرة	١٩٢١
الخليج	الأرشمندريت أغناطيوس	الإسكندرية	١٩٢٢
القصص	جورج وبترو طنوس	القاهرة	١٩٢٢
الملحق الروائي	إسحق صروف وسليم خوري	القاهرة	١٩٢٢
النديم الروائي	إسحق صروف وسليم خوري	القاهرة	١٩٢٢
الألعاب الرياضية	فؤاد غطاس	القاهرة	١٩٢٣
الأوتوموبيل	نقولا حبيقة	القاهرة	١٩٢٣
البصير القضائي	شارل الشميل	الإسكندرية	١٩٢٣
الحوادث المصورة	أنيسة صعب	مصر	١٩٢٣
حيرام	توفيق طنوس	الإسكندرية	١٩٢٣
العصر	يوسف وعبد الله سلامة	القاهرة	١٩٢٣
القاموس العام	حنا أبي راشد	القاهرة	١٩٢٣
تقويم المراة	خليل زينيه	القاهرة	١٩٢٤
الشمس	زكي رزق الله	القاهرة	١٩٢٤
المصور	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٢٤
السلوى	نسيب البشعلاني	القاهرة	١٩٢٥
صحيفة الإعلانات	أحمد شفيق باشا	القاهرة	١٩٢٥
كل شيء	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٢٥
المجلة الشهرية	إسكندر مكاريوس ونجيب شاهين	القاهرة	١٩٢٥

المهذب	جورج فرح	الإسكندرية	١٩٢٥
الصادرات والواردات	جان سياج	مصر	١٩٢٦
العالم	كريم خليل ثابت	القاهرة	١٩٢٦
العلوم والروايات المصورة	سليم الخوري	القاهرة	١٩٢٦
الفكاهة	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٢٦
المجلة البطريركية	الأب بولس قرألي	القاهرة ثم بيروت	١٩٢٦
الجرس	جورج سمعان	الإسكندرية	١٩٢٧
الستار	جمال الدين عوض وحبيب جاماتي	القاهرة	١٩٢٧
السهام	جورج طنوس	القاهرة	١٩٢٧
مصر الجديدة	توفيق اليازجي	القاهرة	١٩٢٧
رواصد الشرق	حنا أبي راشد	بنها	١٩٢٨
رفيق المسامر	نجيب كنعان	القاهرة	١٩٢٩
الدنيا المصورة	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٢٩
الطبيب	توفيق مفرج وإسماعيل قريض	القاهرة	١٩٢٩
عالم السينما	جورج منسي وحسن جمعة	القاهرة	١٩٢٩
ماتش	أنطون سليم شنيارة	مصر	١٩٢٩
الأبطال	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٣٢
الاثنين	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٣٤
الراوي الجديد	ماري طانيوس عبده	القاهرة	١٩٣٥
المختار	فؤاد صروف	القاهرة	١٩٤٣
الحق	يوسف الديري	القاهرة	١٩٤٧
حقّنا	بطرس وديع كساب	القاهرة	١٩٤٩
روايات الأسبوع	توفيق الشمالي	القاهرة	١٩٤٩
الأهرام الاقتصادي	دار الأهرام	القاهرة	١٩٥٠
حواء	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٥٣
القاهرة	أسعد مفلح داغر	القاهرة	١٩٥٣
حواء الجديدة	إميل وشكري زيدان	القاهرة	١٩٥٥

(*) ملاحظة أهمل الأستاذ يوسف أسعد داغر إحصاء الصحف والمجلات التي أصدرها المهاجرون اللبنانيون في مصر باللغات الأجنبية وقد رصدنا بعضها أثناء البحث خاصة (La Réforme, Sudan Times, Sudan, Égyptian Gazette, Les pyramides) وغيرها الكثير. وقد ألمح الأستاذ شارل الشميل في بحثه المنشور في كتاب **مجتمع الإسكندرية عبر العصور** إلى عدد كبير من الصحف التي أصدرها الشوام في الإسكندرية وأشرنا إليها بالدراسة المفصلة في هذا الكتاب.

ثالثًا: عن مصادر ومراجع متنوعة، مكتوبة وشفوية

اعتمدنا في تقديمها التسلسل الأبجدي لاسم العائلة.

- **آل أبو شنب**: أسرة دمشقية هاجر بعض أفرادها إلى الإسكندرية في أواسط القرن التاسع عشر حيث تعاطوا العمل التجاري. تزوج سيون أبو شنب من ابنة التاجر الشامي الثري بالإسكندرية جورج كرم المعروف «بملك الخشب». عمل سيون في تجارة الغلال بين بلاد الشام ووادي النيل ثم وسع نشاطه فأنشأ مصنعًا للصابون في بيروت أداره لمدة عشرين سنة. وإبّان الحرب العالمية تعهد سيون أبو شنب بتموين الجيش الإنكليزي والمصري بالحبوب.

عمل شقيقه عبد الله في صناعة الصابون بالإسكندرية وأسس مصنعه المشهور «معمل صابون أبو شنب بالإسكندرية». وأسس مصنعًا للزيوت استحضر له أحدث الآلات الأوربية تجهيزًا وتسويقًا. جمع ثروة طائلة وكان من كبار تجار الإسكندرية ومصر. ترأست زوجته جمعية «يد الإحسان» الأرثوذكسية بالإسكندرية. وانتقل ولداه، إسكندر وجوزف، بعد دراسة عادية في مدارس الإسكندرية، إلى إدارة أعمال والدهما الواسعة.

- **إبراهيم أبو شاهين**: ولد في بكاسين عام ١٨٩٠، وهاجر إلى مصر عام ١٩٠٧، بعد دراسة ابتدائية وتكميلية في مدارس بكاسين وبيروت. أتقن العربية والفرنسية وعمل في التجارة. انتقل إلى بور سعيد حيث تملك ثلاثة محلات كبيرة في المدينة. عين عام ١٩٠٧ ترجمان شرف لقنصلية إيطاليا في بور سعيد، نال وكالة عدد كبير من الفبارك الأوربية لتسويق بضائعها في مصر خاصة ماكينات الخياطة والدراجات. تملك ثروة عقارية كبيرة في بور سعيد وشارك في عدد كبير من الجمعيات الخيرية والاجتماعية أبرزها: الجمعية الإيطالية في بور سعيد، والجمعية المارونية فيها، وجمعية فقراء الحرب الإيطالية. كان على علاقة وثيقة بالحكومة الإيطالية فمنحته أوسمة عدة.

- **سميا وأنيسة أصيبعة**: اعتبرت سميا أول محامية شرقية تترافع أمام المحاكم المختلطة في القاهرة بعد أن نالت شهادت الحقوق من جامعة باريس. تزوجت الدكتور إدوار غرزوزي، طبيب الأسنان المعروف في القاهرة. أما شقيقتها أنيسة فدرست الطب في بيروت ولندن واعتبرت من أوائل الطبيبات المشرقيات العاملات في مصر.

- **يوسف أبي نكد**: الأسرة من بكفيا ثم توزع بعض أبنائها نحو قرى مجاورة خاصة قرنة شهوان حيث ولد يوسف أسعد أبي نكد وتعلم فيها وفي مدارس بيروت. حرر في جريدة «الحقيقة» البيروتية ثم هاجر إلى مصر وزاول العمل الصحافي لكنه سرعان ما هجره إلى التجارة فجمع ثروة كبيرة وعاد فاستقر في بكفيا يمارس التجارة وشراء الأملاك في لبنان.

- **أديب يوسف أبي نكد**: ولد في قرنة شهوان عام ١٩٠٨. تخرج في كلية بيروت الأمريكية ونال شهادة الصيدلة عام ١٩٢٨. هاجر إلى مصر وأنشأ صيدلية في المنصورة حيث أمضى أيامه فيها.

ومن قراءة سجل مثقفي هذه الأسرة يتضح أن بعض الأسر المارونية بدأت تتجه لتعليم أبنائها في الجامعة الأمريكية في بيروت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. والملاحظ أن هؤلاء كانوا، جريًا على عادة الكثير من مهاجري الشوام الذين تلقوا علومهم في الجامعة الأمريكية، يغادرون لبنان إلى مصر أو السودان للعمل هناك. فأعداد كبيرة من الأطباء والصيادلة والمهندسين وغيرهم انتقلوا إلى مصر فور تخرجهم في الجامعة الأمريكية في بيروت التي لعبت الدور الأساسي في رفد الإدارة المصرية ـ السودانية بأعداد متزايدة من المثقفين الذين تلقوا علومهم العالية فيها.

- **جورج أبي عزيز وشقيقه شفيق**: ولد في المحيدثة قرب بكفيا عام ١٩٠٩. أكمل دراسته في مدارس الفرير بالإسكندرية بعدما هاجر إليها أهله ونال شهادتها عام ١٩٢٥، هاجر إلى البرازيل عام ١٩٢٧ واستقر فيها. أما شقيقه شفيق فمولود عام ١٩١١، درس في مدارس بيروت وأكمل دراسة الصيدلة في باريس وعاد للعمل بين أهله في الإسكندرية.

- **أنطون أرقش**: ولد في بيروت عام ١٨٦٧، وتعلم في مدارسها فأتقن العربية والفرنسية هاجر إلى الإسكندرية عام ١٨٩١، وعمل في التجارة برأسمال بسيط ثم انتقل إلى البورصة حيث عمل في تجارة القطن. انتخب نائبًا لرئيس المجلس البلدي في الإسكندرية وترأس الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك فيها.

- **آل أسطفان**: يعود أصل العائلة إلى دمشق حيث كان جرجي أسطفان رئيسا لقلم حصر التبغ العثماني (الريجي) وتاجر دخان فيها. تعلم في مدارس دمشق وأتقن

العربية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية، سافر إلى معرض باريس عام ١٨٨٩. ثم إلى الآستانة فلندن عام ١٨٩٢ فالولايات المتحدة الأمريكية لحضور معرض شيكاغو فيها ومعرض أنفير (Anvers) في فرنسا عام ١٨٩٤. ثم تجول في أوربا حتى عام ١٨٩٨ عندما قرر الاستقرار في الإسكندرية مع ابنه توفيق. أسس محلًا تجاريًا لبيع الدخان في الإسكندرية وبعد فترة وجيزة حصل على وكالات كثيرة فتوسعت تجارته وباتت له أربعة محلات كبيرة في الإسكندرية ومحلا كبيرًا في القاهرة. كان يذهب سنويًا إلى أوربا كوكيل فبارك إيطالية ونمساوية وفرنسية وسويسرية وبلجيكية وإنجليزية. وهذه الإشارة دلالة واضحة على ارتباط الوساطة التجارية بإتقان اللغات وحرص المهاجر اللبناني على الاستفادة منها للحصول على أكبر قدر ممكن من الوكالات الأوربية لترويج سلعها في مصر.

من جهة أخرى، كان التاجر حبيب أسطفان معروفًا جدًا في الإسكندرية خلال هذه الفترة دون أن تحدد درجة القرابة بينه وبين جرجي أسطفان، وفي التأكيد على ولادة حبيب أسطفان في دمشق إشارة إلى صلة النسب بينهما ولعلها قرابة لحمية أي أخ أو ابن عم، هاجر حبيب أسطفان إلى الإسكندرية وهو في الخامسة عشرة من عمره بعد أن تعلم في مدارس دمشق وأتقن العربية والإيطالية والفرنسية والألمانية والروسية. وهذه الإشارة إلى إتقان اللغات الكثيرة تتشابه مع إشارة مماثلة عن جرجي أسطفان وتدفع للتأكيد على المنابت الاجتماعية الواحدة، في المدينة الواحدة، وفي العائلة الواحدة، ونميل إلى الاعتقاد أنهما شقيقان خاصة وأن المراجع تحدد عمل حبيب الأول بالهجرة إلى الإسكندرية وإدارة محلاتهم التجارية في القاهرة والإسكندرية.

كذلك نشط حبيب، نظرًا لإتقانه العمل التجاري وعدة لغات، في مجال الوساطة التجارية فكان وكيلًا لفبارك أوربية كبيرة حتي أصبح من كبار تجار القاهرة والإسكندرية. ساهم في تأسيس المشغل الخيري الأرثوذكسي في الإسكندرية، وتزوج من ماري يوسف سعد عام ١٩٠٧، وهي ابنة مهاجر معروف في الأوساط التجارية في الإسكندرية ومن وجهاء الجالية السورية فيها عندما توفي حبيب أسطفان عام ١٩٢٦، أدارت ماري محلاتها الواسعة الانتشار وأضافت إليها وكالات جديدة لفبارك أوربية مشهورة في صناعة الحرير والدونتيل. كانت على قسط وافر من الثقافة إذ تعلمت في مدارس الفرير في الإسكندرية، وأتقنت العربية والفرنسية، وبرزت في المجال التجاري كأحد العاملين البارعين فيه.

تدل هذه الإشارات على انخراط المرأة اللبنانية ـ السورية في العمل التجاري في مصر بعد كسر الطوق المفروض عليها في مجال التعليم. وتدل وثائق هذه المرحلة أن المهاجرين الشوام إلى مصر أفسحوا المجال واسعًا أمام أبنائهم وبناتهم، دونما تمييز، لتلقي العلم والانخراط في العمل. وكان بعض المهاجرين يرسلون بناتهم إلى أوربا لمزيد من التخصص العلمي في مختلف المجالات في مرحلة كانت تشهد صراعًا حادًا على الساحة المصرية حول تحرير المرأة ودورها الاقتصادي والاجتماعي. ولعل أفكار قاسم أمين وغيره من دعاة تحرير المرأة العربية، خاصة المصرية، لاقت الصدى الواسع والتطبيق العملي لدى الشوام في مصر أكثر مما لاقت من ارتياح لدى الأثرياء وكبار الملاكين في مصر.

ـ **ندرة أسعد:** ولد في بيروت عام ١٨٨٠، وتعلم في مدارسها وأتقن العربية والفرنسية هاجر إلى القاهرة وعمل في التجارة وما لبث أن تحول إلى وكيل لعدد كبير من الفبارك الأوربية في القاهرة. وظف قسمًا هامًا من ثروته في العقارات والأراضي الزراعية حيث اشترى مئات الفدادين في الوجه البحري، قام بإصلاحها وزراعتها واستثمارها، حتى أصبح من كبار الملاكين هناك.

ـ **جورج آغيا وأولاده:** ولد في دمشق من أسرة أرمنية في عام ١٨٤٤، وتعلم في مدارسها ثم أرسله ذووه لإكمال علومه في مدرسة دير بزمّار الأرمنية في جبل لبنان ومنها إلى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير. قتل والده في حوادث دمشق الطائفية عام ١٨٦٠ فانقطعت صلاته بها واستقر جورج وحيدًا في بيروت وما لبث أن تزوج عام ١٨٦٤ من صوفيا إلياس متورة، ابنة التاجر البيروتي المعروف آنذاك. وسرعان ما هاجر جورج آغيا إلى مصر عام ١٨٦٨ واستقر في الإسكندرية حيث التحقت به عائلته، وأقام مشاريع تجارية ناجحة ومتنوعة السلع، كما تعين موظفًا كبيرًا في مصلحة الدومين (Domaine) أو أملاك الدولة عام١٨٨١، ورقي إلى رئيس دائرة المحاسبة فيها عام ١٩٠٠ وبقي في وظيفته حتى عام ١٩١٣ حيث أحيل إلى التقاعد. كان يتعاطى التجارة وشراء الأراضي الواسعة إلى جانب العمل الوظيفي وبعد إحالته على التقاعد إلى أن توفي في القاهرة عام ١٩٢٤، تاركا وراءه ثلاثة أبناء وزوجة ثانية.

فقد تعين ابنه إميل رئيسا لقلم المشتريات ومحاسبة المخازن في وزارة المالية بالقاهرة، وكان ابنه ميشال موظفًا كبيرًا في وزارة الأشغال العامة بالقاهرة ثم رئيسا

لمصلحة المباني فيها، في حين انصرف ابنه الأصغر، نجيب آغيا، إلى العمل كمحام بالاستئناف في محاكم القاهرة. وبعد وفاة زوجته الأولى عام ١٩٠٣، تزوج جورج آغيا من السيدة بربارة توما، شقيقة المحامي المشهور بالقاهرة، نقولا توما ولا تشير المراجع إلى وجود أبناء من هذه الأخيرة، كما يرجح أيضًا وجود بنات من الزوجة الأولى لأن مصادر هذه الفترة كانت غالبًا ما تطمس ذكرهن.

يعتبر جورج آغيا من كبار متمولي أفراد الجالية الأرمنية الشامية في مصر حيث أسس الجمعية الخيرية الأرمنية الكاثوليكية بالقاهرة عام ١٨٩٠، واستمر فيها حتى وفاته فخلفه أبناؤه. عين عضوًا في المجلس الملي للبطريركية الأرمنية الكاثوليكية في القاهرة منذ ١٩٠٦ حتى وفاته. نال أوسمة وميداليات كثيرة أبرزها ميدالية الكوكب من الخديو عام ١٨٨٤، ونياشين كثيرة من الرتب الرابعة والثالثة والبكوية عام ١٩٠٠. لقد ترك المهاجر الأرمني، يتيم الأبوين وهو في سن السادسة عشرة، وراءه ثروة مالية كبيرة في القطر المصري حيث هاجر واستقر مع أبنائه.

- **عيسى أفتيموس**: ولد في القدس عام ١٨٧١، وتعلم في مدارسها ومدارس بيروت أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية، لحق بشقيقه التاجر في بور سعيد وعمل في حقل الترجمة ثم انتقل إلى التجارة. سافر إلى أوربا وحصل على عدد من الوكالات الأوربية لمدينة بور سعيد وامتلك أكبر المحلات التجارية في المدينة مع إخوته باسم «محلات أفتيموس إخوان». رأس جمعية الإحسان الأرثوذكسية السورية في بور سعيد.

- **الدكتور ميشال أنسطاسي**: ولد في بيروت في ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٦٧ وتعلم في مدرسة الثلاثة أقمار للروم الأرثوذكس فيها ثم أكمل دراسته في باريس حيث حصل على دكتوراه طب الأسنان. أتقن العربية والفرنسية والإيطالية. هاجر إلى الإسكندرية للعمل هناك حيث مارس طب الأسنان في عيادة خاصة مزودة بأحدث الآلات الأوربية، وهو أمر نادر في تلك الفترة. مارس قبل سفره إلى أوربا صناعة الأسنان الاصطناعية في عيادة عمه في بيروت مما أكسبه خبرة عملية بالإضافة إلى خبرته الأكاديمية فتأمنت له شهرة واسعة وقصده كبار الساسة ورجال الأعمال فجمع ثروة كبيرة. وكانت له ثقافة علمية واسعة حيث كان يسافر إلى أوربا كل عام للاطلاع على أحدث المستجدات العلمية في حقل طب الأسنان. كذلك مارس

التعليم كأستاذ في مدرسة العروة الوثقى بالإسكندرية وفي مدرسة الملجأ العباسي، ومدرسة جميعة التوفيق القبطية فدمج بين الخبرة النظرية والخبرة العملية والاطلاع العلمي على الاكتشافات الحديثة في عصره. لذلك نال جوائز علمية واجتماعية كثيرة أبرزها الجائزة الأولى والميدالية الذهبية في المعرض المصري - اليوناني لصناعة الأسنان المنعقد في الإسكندرية عام ١٩١٢. وانتخب رئيسًا لجمعية طب الأسنان بالإسكندرية. كان على علاقة وثيقة بالمحافل الماسونية إذ انتخب رئيسًا، ولمدة خمس عشرة سنة، للمحفل الماسوني بالإسكندرية ونال النيشان الذهبي.

قد يكون لعلاقاته الاجتماعية النشيطة دور أساسي في شهرته الكبيرة خاصة انتماءه للمحافل الماسونية، لكن نموذج الدكتور ميشال أنسطاسي من التثقيف الذاتي، وإتقان اللغات، ومتابعة الأبحاث العلمية، وممارسة التدريس في حقل اختصاصه، والجمع بين العلم النظري والتطبيقي، بالإضافة إلى العلاقات الاجتماعية كلها سمات تؤكد أن نجاح المهاجرين الشوام في مصر كان مرتبطًا بجدية عملهم الشخصي وحرصهم على اكتساب الشهرة بالإبداع الذاتي.

- **آل أيوب**: يعود أصل العائلة إلى دمشق حيث كان خليل أيوب وشقيقه سليم من كبار موظفي السلطنة العثمانية في ولاية دمشق في القرن التاسع عشر، كذلك كان والده أيوب أيوب من قبله. حاز الأب على الوسام العثماني من المرتبة الأولى لخدماته للدولة العلية إذ كان مساعدًا لمعظم ولاة دمشق في هذه المرحلة، وكان على علاقة وثيقة بإمبراطور المجر - النمسا. فاستدعته الآستانة للمحاكمة وبقي فيها ثلاث سنوات حتى ظهرت براءته فعينته مجددًا مفتشًا إداريًا عامًا لولايات دمشق وبيروت والقدس وحلب.

عملت أسرة أيوب الدمشقية في الإدارة العثمانية فترة طويلة وكانت على علاقة تجارية وطيدة بمصر في القرن التاسع عشر. ورث الأبناء العمل الإداري في السلطنة عن والدهم دون أن يستقروا فيه فما إن أنجز خليل أيوب دراسته الأولى في دمشق حتى انتقل إلى المدرسة البطريركية في بيروت وأتقن العربية والفرنسية بالإضافة إلى إتقانه التركية. توظف في قلم المحاسبة بولاية دمشق لكنه ما لبث أن هجرها إلى القاهرة حيث توظف في مصلحة الجمارك برتبة صغيرة ثم تدرج حتى وصل إلى رتبة مدير عام الجمارك المصرية وعضو مجلس الشيوخ المصري ونال عدة أوسمة أبرزها ميرميران مع لقب باشا من الحكومة المصرية، ونيشان النيل من الرتبة الثانية.

نجهل تاريخ انتقال شقيقه سليم أيوب إلى مصر، وتنعته المراجع أنه كان من كبار موظفي السلطنة العثمانية في الولايات السورية، وتتحدث بإسهاب عن ولديه الدكتور أسعد أيوب والتاجر صاحب البنك ميشال أيوب. ولد ميشال في القاهرة عام ١٨٧٠ وشقيقه أسعد في القاهرة أيضًا في ٢٨ تموز (يوليو) ١٨٨٦، وتلك إشارة تدل على انتقال الوالد سليم أيوب إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر.

درس ميشال في مدارس القاهرة الابتدائية ثم انصرف إلى التجارة وشراء الأراضي، فكان تاجرًا محنكًا، ورجل مال معروفًا في سوق البورصة، ومزارعًا قديرًا يمتلك مساحات واسعة من الأراضي في مديرية الشرقية.

وفي عام ١٩٠٦، أنشأ ميشال أيوب مصرفًا كبيرًا باسم «بنك أيوب وظريفة» في القاهرة. تزوج من ابنة السيد يوسف باشا سابا، أحد وزراء مصر ومن كبار مهاجري الشوام إليها. نال أوسمة عدة أبرزها نيشان الحكومة المصرية من المرتبة الثانية مع لقب بك. أما شقيقه أسعد فقد أنهى دراسته الابتدائية في القاهرة ثم في الكلية السورية ببيروت حيث تخرج طبيبًا عام ١٩٠٨، وأتقن العربية والإنجليزية. عين طبيبًا في الجيش المصري لمدة خمس سنوات انتقل بعدها إلى مصلحة الصحة العامة في مصر واستمر فيها حتى التقاعد. تزوج في ٢٨ آب (أغسطس) ١٩٢٨ من ابنة المهاجر اللبناني إلياس أبيلا ولم يتعاط العمل التجاري أو البورصة.

- **أيوب بابازواغلي وابنه فريد**: أسرة تركية استقرت في جبل لبنان في مطلع القرن التاسع عشر. عمل والده في إدارة القائمقاميتين وتعلم أيوب في مدارس جبل لبنان ثم هاجر إلى الإسكندرية للعمل في التجارة. بدأ حياته العملية موظفًا براتب صغير في مسك الدفاتر في المحلات التجارية. ثم فتح محلًا خاصًا للتجارة في الإسكندرية ثم في الزقازيق. تعاطى تجارة القطن والحبوب والوساطة التجارية في مديرية الشرقية. أقام علاقات وثيقة مع البنوك وكبار التجار في مصر. وبسبب هبوط أسعار القطن في ثمانينيات القرن التاسع عشر خسر أيوب بابا زواغلي قرابة ستين ألف جنيه مصري عام وفاته أي ١٨٨٤. وفي ذلك دلالة على ضخامة التجارة التي كان يتعاطاها لأن المراجع تنص أن تلك الخسارة لا تعادل شيئًا هاما بالنسبة للثروة الكبيرة التي خلفها وراءه. فاستمر أبناؤه في العمل التجاري واقتناء الأطيان واستصلاحها والعمل فيها إلا أن بعض أبنائه قرروا العمل في الوظائف الحكومية فتقلدوا مناصب هامة في وزارات

المالية والأشغال والاقتصاد. تولى أيوب بابا زواغلي أعمال قنصليات عدة في مصر منها قنصل فخري لإسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليونان ونال أوسمة عدة. وتفسر تلك المناصب القنصلية بأن الدول الأوربية والأميركية لم تكن تفتش لها عن قناصل من منطقة معينة أو طائفة معينة كما يزعم بعض المؤرخين الطائفيين بل عن كبار التجار والوجهاء والأعيان الذين يمتلكون الثروة والنفوذ لحماية مصالح هذه الدول وتوسيع تجارتها ومؤسساتها. كان أثرياء المهاجرين، الشوام وغيرهم، في طليعة القوى الاجتماعية التي نالت مناصب قنصلية، فخرية أو فعلية، للدول الأجنبية في مصر. ويلاحظ كذلك أن تنشئة أيوب بابا زواغلي في جبل لبنان جعلته يمارس العمل في الهجرة على غرار اللبنانيين تمامًا فمن عمل وظيفي صغير كمستخدم في محل تجاري إلى تجارة خاصة صغيرة متنقلة، إلى تجارة كبيرة ووكالات ووساطة تجارية وأملاك واسعة وقنصليات فخرية. فيتلاقى بذلك مع عدد كبير من مهاجري الشوام إلى مصر. أما ابنه فريد فقد ولد بالإسكندرية في ٢٣ شباط (فبراير) ١٨٦١ وتعلم في مدرسة الفرير فيها ثم أرسله والده إلى مدارس جبل لبنان لمدة سبع سنوات في عينطورة انتقل بعدها إلى بيروت وتعلم في مدارس الآباء اليسوعيين ثم عاد إلى مصر حيث عمل في الترجمة بوزارة المالية وبقلم المحاسبة ثم رئيسًا للقلم الأجنبي عام ١٨٨٣. أتقن العربية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية ونال أوسمة مصرية مختلفة أبرزها نيشان الخديو من المراتب الثانية والثالثة والرابعة. والنيشان المجيدي من المرتبة الرابعة عام ١٩٩١.

ـ **آل باخوس أو باخوص**: يعود أصل العائلة إلى بلدة حدشيت قرب بشرى في شمالي لبنان.استوطنت طرابلس ثم بيروت وتعاطت التجارة قبل انتقالها إلى مصر. كان أنطون باخوس مدبرًا للأمير عبد الله ابن الأمير حسن شقيق الأمير بشير الثاني الشهابي في بلدة غزير ولمدة عشرين سنة من القرن التاسع عشر.

هاجر خليل باخوس إلى مصر، وتشير المراجع إلى توليه وظيفة قنصل إيطاليا في القاهرة ثم الترجمان الأول فيها. رزق بعض أبنائه في القاهرة والبعض الآخر في الإسكندرية. انتقل فارس باخوس، لعلّه شقيق خليل، إلى المغرب وأصبح ابنه نجيب فارس باخوس أمينا لسر الحاكم الفرنسي في مراكش.

رزق خليل باخوس أربعة أولاد هم: فكتور باخوس وكان تاجرًا مشهورًا، وشارل باخوس، المولود في الإسكندرية، وكان صاحب أراض واسعة جدًا وصاحب «قصر الدوبارة» المشهور في كل أنحاء مصر، وصاحب شركة «النتل لند» الغنية عن التعريف. وكان يوسف باخوس صاحب جريدة «المستقبل» وجريدة «البصير» الصادرتين في سردينيا وباريس.

ولد الأخ الرابع، سليم باخوس، في الإسكندرية وتعلم في مدارسها ثم انتقل إلى باريس حيث نال علومًا مالية عالية. أتقن العربية والفرنسية والإيطالية وتعين وكيلًا لإدارة المال في القاهرة ثم مديرًا للمصلحة فيها وبقي مديرًا للقسم المالي لمدة ٣٦ سنة. كان ما سوني النزعة. وفي عام ١٩٣٧، وصل إلى أعلى درجات الماسونية في الشرق الأوسط إلى جانب سعد زغلول وحفني ناصف، لكنه ترك الماسونية في آخر أيام حياته. نال أوسمة مختلفة منها النيشان العثماني، والمجيدي الثالث، ونيشان الملك فؤاد من المرتبة الأولى.

- **آل باسيلي**: يعود تاريخ العائلة إلى طرابلس الشام ولعل جذورها يونانية الأصل. كان يعقوب باسيلي رئيسًا للجمعية الخيرية الأرثوذكسية في طرابلس وتاجر حبوب ووكيلًا لتجارة الأخشاب في المدينة وعلى علاقة وثيقة بالكثير من الشركات الأوربية العاملة في المشرق العربي. توفي في طرابلس الشام عام ١٨٨٢، وتولى إدارة أملاكه وتجارته ولداه أنطونيوس وأسعد.

ليست لدينا معلومات عن أنطونيوس باسيلي، ولعله بقي في مدينة طرابلس ولم يغادرها. ولد أسعد باخوس في طرابلس عام ١٨٧١، وغادرها إلى الإسكندرية عام ١٩٠١. كان ذا ثقافة عالية. فبعد دراسة ابتدائية وتكميلية في الفرنسيسكان في طرابلس، انتقل أسعد إلى أوربا وأتقن، إلى جانب العربية، الفرنسية والإنجليزية والإيطالية. عمل في حقل الصحافة طيلة أعوام (١٨٩٠-١٩٠٠) ونشر في «الأهرام» و«المقتطف» وكان يوقع مقالاته باسم «سهيل».

عندما انتقل للعمل التجاري في الإسكندرية عام ١٩٠١، لم يكن رأسماله يتجاوز الخمسة آلاف جنيه مصري وظفها في تجارة الأخشاب. لكن معارفه الواسعة. والقاعدة التجارية التي تركها له والده مكنتاه من جمع ثروة طائلة حتى أصبح عام ١٩٢٥، من

كبار التجار في مدينة الإسكندرية. لم يمارس العمل السياسي وكان له نشاط اجتماعي محدود أبرزه أمانة صندوق الجمعية الخيرية الأرثوذكسية في الإسكندرية.

ـ **جرجي بدران**: ولد في بيروت لأب مارس العمل التجاري في محل صغير. تلقى علومه في بيروت ثم هاجر إلى مصر عام ١٨٩٥، حيث عمل مستخدمًا براتب بسيط في محلات تجارية لمهاجرين شوام في القاهرة. وبدعم من التاجر الكبير نقولا شحاتة، ومن شقيقه إسكندر بدران استطاع جرجي إنشاء محل تجاري كبير في شارع الموسكي بالقاهرة. وما لبث أن جمع إلى تجارته وكالة عدة فبارك أوربية وأصبح من كبار تجار القاهرة.

ونموذج جرجي بدران دلالة على دعم المهاجرين لأقربائهم وأنسبائهم وأبناء مناطقهم في المهجر بحيث يمدونهم بالمال اللازم الذي يسترجعونه بعد فترة قصيرة في حين يدخل المهاجر الجديد إلى عالم التجارة من الباب الواسع. وتنطبق الظاهرة على عدد كبير من المهاجرين السوريين واللبنانيين في مختلف بقاع الاغتراب ويشير إليها أكثر الباحثين في حقل الهجرة اللبنانية. فبالإضافة إلى الرابط العائلي، والرابط الطائفي، كان الرابط الجغرافي الإقليمي أو القومي الشمولي عاملًا هامًا في إنجاح المهاجر وفتح آفاق واسعة أمامه لجمع الثروة والانطلاقة السريعة في عالم التجارة والوكالات للشركات الأوربية.

ـ **ميليا بدر**: من أوائل المعلمات في الكلية الأمريكية للبنات في القاهرة. كانت لها شهرة واسعة بين المربيات المصريات، وهي من أسرة بيروتية وتعلمت في مدارسها.

ـ **نجلاء بدر**: شقيقة ميليا. درست في مدارس بيروت الإنجليزية والأميركية. أتقنت العربية والفرنسية والإنجليزية. نالت شهادة الصيدلة من إحدى الجامعات الأمريكية في الولايات المتحدة، ولقبت بالصيدلية الأولى في الشرق.

ـ **آل البرباري**: أسرة معروفة في أكثر من قرية في جبل لبنان إبّان القرن التاسع عشر. كان الأب رزق الله البرباري مديرًا لمدرسة عبية الأمريكية الشهيرة التي ساهمت في إعداد المعلمين لكثير من مدارس جبل لبنان في تلك المرحلة، خاصة المدارس المرتبطة بالإرسالية البروتستانتية فيه. انتقل بعض أساتذتها للتدريس في بيروت أو لإكمال شهاداتهم في الكلية السورية الإنجيلية فيها، ومن هناك هاجر بعضهم إلى

مصر وغيرها من البلدان. فتاريخ العائلة يندرج كليًا في إطار هذا المنحى العام لخريجي مدرسة عبية الذين أكملوا دراستهم في بيروت وانتقلوا منها إلى مصر.

ولد نسيم برباري في جبل لبنان عام ١٨٧٠، وتعلم في مدرسة عبية ثم أكمل دراسته في كلية الأميركان في بيروت. هاجر إلى مصر عام ١٨٨٨، حيث تعين موظفًا في وزارة الداخلية المصرية ثم رئيس قسم فيها، كتب مقالات عديدة في الصحف المصرية خاصة «المقتطف» حيث أشرف على إعداد زاوية علمية فيها أثناء إقامته في مصر. تابع دراسته العليا فنال إجازة الآداب من جامعة باريس وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. انصرف إلى الأعمال الأدبية والصحفية والترجمة فحظي بشهرة واسعة ونال أوسمة عدة. توفي في القاهرة في ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٣.

أما شقيقه، الدكتور وديع برباري، فمن مواليد جبل لبنان عام ١٨٧٣. تعلم في عبية وأكمل دراسته في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت فنال بكالوريوسًا في العلوم ثم شهادة الطب عام ١٨٩٥. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. هاجر إلى مصر وعمل موظفًا في مصلحة الصحة العمومية فيها برتبة حكيم باشي في مستشفى الزقازيق، له مقالات علمية كثيرة في حقل الطب. وعين عام ١٩١٩ وكيلًا للجنة الطبية العليا في مصر «وكيل القومسيون الطبي العام» ثم مفتشًا عامًا للمستشفيات المصرية عام ١٩٢٣. لكن المنية عاجلته في هذه السنة فتوفي في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٣.

نال أوسمة عديدة من مصادر مختلفة: مصرية وفرنسية وإنجليزية، أبرزها وسام اللجة الملكية الطبية في لندن. وكان عضوًا في كثير من الجمعيات الطبية العالمية والعربية.

ولد المحامي وليم برباري في جبل لبنان ١٨٨٢، تعلم في عبية ثم في الكلية الأمريكية في بيروت ونال شهادة بكالوريوس في الآداب عام ١٩٠٠، ثم أكمل دراسة الحقوق في باريس فنال الشهادة عام ١٩٠٥، وعاد إلى القاهرة يزاول المحاماة فيها فأصبح من كبار المحامين نظرًا لموقع العائلة، الاقتصادي والاجتماعي، في القاهرة.

أما الأخ الرابع إسكندر برباري، فهو من مواليد جبل لبنان، تعلم في عبية وفي الكلية الأمريكية في بيروت ونال منها إجازة في الرياضيات. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وهاجر إلى مصر للعمل إلى جانب أشقائه فكانت له تجارة ناجحة وجمع ثروة كبيرة.

إن سيرة هذه الأسرة توضح أثر الثقافة في الترقي الاجتماعي والاقتصادي للمهاجرين الشوام في القطر المصري. فالأب المثقف، مدير مدرسة عبية الأمريكية لإعداد المعلمين، يفسح المجال واسعًا أمام أبنائه لتلقي العلم والتخصص العالي، فكان منهم الأديب، والطبيب، والمحامي، وعالم الرياضيات. انخرط هؤلاء في أعمال متنوعة كالصحافة، والترجمة،والوظيفة، والمحاماة، والتجارة وكان الجامع المشترك بينهم إتقان الأبناء الأربعة لثلاث لغات: العربية والفرنسية والإنجليزية، وهي اللغات الضرورية لأي نجاح آنذاك، ونموذج على حرص المهاجر على إتقان اللغات الأساسية، مهما كان نوع العمل الذي يمارسه.

ويلاحظ كذلك أن الأسرة المثقفة لم تقطع صلتها بالتجارة دون أن يكون لعمل الأب توجيه أساسي في هذا المجال. فالتجارة قاعدة الهجرة وترتبط الاثنتان بعلاقة جدلية حيث لا غنى للمهاجر عن ممارسة التجارة لأن الوظيفة أو العمل في المهن الحرة يكسب صاحبه شهرة اجتماعية واسعة دون أن يكسبه الثروة اللازمة. لذلك كان لا بد لأحد الأبناء من ممارسة التجارة مستفيدًا من الأوضاع الاجتماعية والعلاقات التي يقيمها باقي أفراد الأسرة في المجتمع المهاجر.هكذا يضمن المهاجر نجاحًا تجاريًا عريقًا في فترة زمنية قصيرة، ولعل أصحاب الوظائف والمهن الحرة يحبذون أن يمارس أحد الإخوة العمل التجاري بعد أن يلمسوا على أرض الواقع أن هجرة المثقف تؤهل، في أحسن الحالات، إلى الشهرة المعنوية ولا تضمن لصاحبها الثروة المادية التي ينشدها كل مهاجر.

ـ **آل برنوطي**: يعود أصل العائلة إلى مدينة حلب حيث ولد عبد الله برنوطي عام ١٨٦٥، وهاجر إلى مصر عام ١٨٧٨. أما شقيقه نصري فتسكت المراجع عن تاريخ مولده في حلب وتكتفي فقط بالإشارة إلى أنه هاجر إلى مصر دون تحديد للتاريخ، وأنه تزوج عام ١٨٩٢، من ابنة شقيق البطريرك شلحت. عمل نصري وكيلًا لشركة ماتوسيان لبيع الدخان في مديرية بني سويف ولم يلبث أن افتتح لنفسه محلًا تجاريًا لبيع الدخان في بني سويف عام ١٨٨٨. ولم تمض فترة طويلة حتى أصبح نصري برنوطي من كبار أثرياء بني سويف ويمتلك فيها أراضي شاسعة وكان عضوًا في مجلس بلديتها لمدة اثنتي عشرة سنة. انتقل إلى القاهرة عام ١٩١٨، وأنشأ فيها مصنعًا كبيرًا للألبسة الجاهزة استورد له أحدث الآلات الأوربية، كذلك مارس تجارة

بيع الألبسة الجاهزة كوكيل لكثير من الشركات الأوربية المشهورة آنذاك وجمع ثروة طائلة.

بدأ عبد الله برنوطي عمله التجاري في مصر بتأسيس محل صغير في المنصورة. ثم نقل نشاطه إلى الإسكندرية عام ١٨٨٢. ثم أسس محلًا تجاريًا في بني سويف في الوجه القبلي حيث كان أخوه نصري يمتلك نفوذًا كبيرًا وثروة طائلة. وما لبث عبد الله أن احتكر تجارة النيلة والكثير من الأصناف التجارية في منطقة الوجه البحري بالإضافة إلى تجارة الدخان هناك منذ (١٨٩٠-١٩٠٠)، وتجارة الفحم فيها منذ مطالع القرن العشرين. بني مطحنة حديثة لطحن الحبوب كانت الأولى من نوعها في منطقة بني سويف، وجمع ثروة كبيرة مكنته من شراء أراض عقارية واسعة في القاهرة وضواحيها. ولا تذكر المراجع عن ابنه حبيب سوى أنه كان محاميًا مشهورًا في مدينة القاهرة. وهذا المنحى واضح في العائلة الشامية المهاجرة إلى مصر حيث يتحول الجيل الثاني والثالث إلى الشهرة عبر المهن الحرة بعد الثروة التجارية والعقارية الكبرى للجيل الأول من المهاجرين. ويلاحظ في تاريخ هذه الأسرة أن جمع الثروة في المدن الكبرى، كالقاهرة والإسكندرية والمنصورة بات صعبًا في نهاية القرن التاسع عشر فانتقل بعض مهاجري الشوام إلى الأرياف المصرية حيث جمعوا ثروة هامة انتقلوا بها إلى القاهرة أو الإسكندرية عبر الأراضي العقارية والمصانع الحديثة عل الطراز الأوربي.

وفي فرع آخر لآل برنوطي يبرز المحامي لبيب المولود في بني سويف عام ١٨٩٨ لأب مهاجر من حلب. درس في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت خلال سنوات (١٩٠٥-١٩١٢)، ثم أكمل دراسته في مدارس الفرير بالقاهرة (١٩١٢-١٩١٤)، ونال البكالوريا الرسمية المصرية عام ١٩١٦ وإجازة الحقوق من المدرسة السلطانية بالقاهرة ١٩٢١. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية واشتهر كمحام لدى المحاكم المصرية متخصص في مجال تصفية دعاوى الإفلاس والشئون المالية.

ـ **الدكتور أنطوان بركات**: ولد في دمشق وتعلم في مدارسها ثم هاجرت أسرته إلى القاهرة فأكمل دراسته هناك وتخرج طبيبًا في مدرسة قصر العيني عام ١٨٨١. تعين فور تخرجه موظفًا في مصلحة الصحة المصرية في الإسكندرية ثم نقل إلى

وظيفة مفتش عام للصحة في مديرية بني سويف عام ١٩٠٠، ثم رئيسًا للقومسيون الصحي (اللجنة الصحية) في القاهرة، واستمر في هذه الوظيفة الممتازة حتى أحيل على التقاعد عام ١٩١٨. تزوج في ٣ أيلول (سبتمبر) ١٨٩٨ من ابنة التاجر الشهير حبيب ديمتري، وهو زواج من نفس المدينة والطائفة. نال أوسمة ونياشين وميداليات عديدة أبرزها وسام الخديوي من المرتبة الثانية مع لقب بك عام ١٩١٩، ونيشان النيل.

ـ **سليم بسترس**: ولد في صيدا ١٨٦٦، والده التاجر المعروف ميخائيل بسترس. تلقى دروسه لدى الآباء اليسوعيين في صيدا وأكمل دراسته الثانوية في المدرسة البطريركية في بيروت ثم درس الحقوق في وقت متأخر في باريس. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية.

قدم إلى القاهرة مع أسرته عام ١٨٨٤، وعمل مترجمًا في مكاتب للمحامين ثم انصرف إلى دراسة الكتب الحقوقية وترجمة البارز منها فنال شهرة واسعة كأبرز المترجمين الحقوقيين في القطر المصري في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. ونظرًا لكثرة اطلاعه على الجوانب الحقوقية، ترجم ونشر مقالات في المجلات والصحف المصرية ثم انصرف إلى دراسة الحقوق ونال الشهادة من جامعة باريس وعمل محاميًا في الاستئناف لدى المحاكم المصرية بالإضافة إلى أعمال الترجمة الكثيرة التي تركها.

ـ **إسكندر بشارة وشقيقه فريد**: يعود أصل العائلة إلى مدينة عكا الفلسطينية، هاجر الأب إلى القاهرة في أواسط القرن التاسع عشر للقيام بأعمال تجارية وكانت له محلات في القاهرة والإسكندرية دون أن تكون له شهرة كبيرة بين التجار الشوام في مصر.

ولد إسكندر في القاهرة في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٩، وتعلم في مدارسها الابتدائية ولم يحرز شهادات عالية لكنه انصرف إلى تعلم اللغات فألم بالعربية والفرنسية والإنجليزية واليونانية والإيطالية. عمل في مؤسسات تجارية كثيرة وفي وظائف عامة ذات علاقة بالعمل التجاري خاصة في الدوائر المالية. تعين مراقبًا في مصلحة خفر السواحل ثم مديرًا لأحد أقسامها لمدة ٢٧ سنة حتى تقاعد عام ١٩٢٢.

نال أوسمة عديدة من الحكومة المصرية. أبرز نشاطاته الاجتماعية أنه كان وكيلًا للنادي السوري في القاهرة. حظي بمنزلة مرموقة بين مهاجري الشوام إلى مصر نظرًا لعلاقاته الاجتماعية وإتقانه عدة لغات، ووكالاته التجارية الكثيرة، والأراضي الواسعة التي اشتراها.

ولد شقيقه فريد بشارة في الإسكندرية وتعلم في مدرسة الفرير (Les Frères) ثم أرسله أخوه لإكمال دراسته في بيروت ومنها إلى فرنسا حيث نال شهادة الحقوق من جامعة أكس (Aix-en-provence). أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعمل في الوظائف القضائية خاصة في محكمة الإسكندرية المختلطة كوكيل قلم ثم كرئيس لقلم العقود فيها. هجر العمل الوظيفي إلى العمل المصرفي فتولى رئاسة قلم القضايا في بنك لند (Land) ثم مديرًا ثانيًا لهذا البنك. أبرز نشاطاته الاجتماعية عضويته لمجلس إدارة النادي السوري في الإسكندرية. ثم سكرتيرًا عامًا له، وهو النادي الذي كان يضم كبار أثرياء الشوام في الإسكندرية. وفي هذا المنصب دلالة على مدى الغنى الاقتصادي والشهرة الاجتماعية التي نالها فريد بشارة وأخوه إسكندر في القاهرة والإسكندرية.

- **جبران بشور**: ولد في حمص عام ١٨٩٢، وتعلم في مدارسها وهاجر يافعًا إلى مصر عام ١٩٠٨، حيث عمل في التجارة والمقاولات فأصبح مقاولًا معتمدًا لدى الحكومة المصرية في مجال التجهيزات. تزوج في ١١ شباط (فبراير) ١٩٢٣، من ماري شحفة، ابنة أحد أعيان دمشق.

- **شكري بنوت**: ولد في صيدا عام ١٨٦٦، وتعلم في مدارسها ثم التحق بأخيه المقيم في المنصورة عام ١٨٧٩، فأكمل دراسته في مدارسها ثم نال شهادة الحقوق من جامعة أكس (Aix) الفرنسية. عمل في حقل المحاماة وكان له مكتب للاستئناف في كل من القاهرة والإسكندرية. هجر المحاماة إلى شراء وبيع الأراضي في المنصورة والإسكندرية وجمع ثروة كبيرة فانصرف إلى إدارة أملاكه، كان عضوًا بارزًا في النقابة الزراعية المصرية واهتم كثيرًا بالأبحاث الزراعية وسبل وتطوير الإنتاج بعد أن أصبح من كبار ملاكي الأراضي في مصر.

ويعتبر نموذج شكري بنوت واضحًا في دلالته، حيث يهجر المحامي عمله الأساسي وينصرف إلى تجارة الأراضي واستصلاحها، أي التشديد على طابع الربح السريع والتخلي عن الوظيفة.

ـ **نقولا توما**: ولد في صيدا في ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٥٧، كان والده صاحب ثروة لكنه بددها قبل وفاته، تعلم نقولا في مدرسة الروم الكاثوليك في صيدا وأكمل دراسته في مدرسة الآباء اليسوعيين في صيدا ثم بيروت. أتقن العربية والفرنسية ودرس الحقوق في باريس وهو في سن متقدمة عمل محررًا في جريدة «التقدم» لصاحبها يوسف الشلفون في بيروت ثم توظف في إدارة صور وما لبث أن استقال منها وهاجر إلى الإسكندرية فوصلها في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٤. عمل لفترة قصيرة بالتدريس ثم في شركة احتكار الملح المصري لكن العمل الصحافي اجتذبه فأصدر في الإسكندرية جريدة «مرآة الشرق» بالاشتراك مع أمين ناصيف عام ١٨٨٣، ثم أصدر مجلة «الأحكام المصرية» التي لعبت دورًا هامًا في الحقل الحقوقي ودفعته إلى متابعة دراسته في الحقوق فنال الشهادة من جامعة باريس. تعرف أثناء إقامته في باريس إلى جمال الدين الأفغاني وكان من دعاة أفكاره والعاملين معه في «العروة الوثقى».

ـ **رفيق جبور**: ولد في زحلة عام ١٨٩٢، وهو الابن الثالث للدكتور حبيب جبور. تلقى دروسه الأولى في المدرسة الشرقية في زحلة، وفي العشرين من عمره، عينته السلطات الإيرانية قنصلًا لها في الآستانة وكان يتقن العربية والفرنسية. اتهم بتهريب الأمير فيصل من الآستانة إلى الحجاز فأبعد من عاصمة السلطنة إلى مصر حيث عينته الحكومة الإيرانية في قنصليتها بالإسكندرية. انتقل بعدها إلى القاهرة برتبة قنصل عام لكن ميوله الثورية جعلت الإنجليز يطالبون بإبعاده عن مصر فرفض واستقال من منصبه ومارس العمل الصحافي في جريدة **المحروسة** التي كان يصدرها إلياس زيادة، والد الأديبة مي زيادة، ثم انتقل للعمل في جريدة **النظام** لسان حال المعارضة، ثم تولى إصدار جريدة **الحساب** قبل أن تغلقها السلطات المصرية، ساهم في تأسيس حزب العمال المصري وفي إنشاء «**لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين**». اتهم عام ١٩٢٥، بإعداد مؤامرة لاغتيال السردار في مصر وسجن ستة أشهر في حين أعدم ثمانية من المشاركين فيها. صدرت بحقه أحكام كثيرة خاصة قضية الجنايات رقم ٨٢٧ في شبرا سنة ١٩٢٥، بتهمة الدعوة إلى قلب النظام في مصر.

أبعد إلى بيروت عام ١٩٢٦، واشترط عليه عدم القيام بأي نشاط سياسي لكنه سرعان ما ترك عائلته في زحلة وغادر إلى فلسطين ليرأس تحرير صحيفة **فلسطين**

لصاحبها عيسى العيسى. ولم تمض بضعة أشهر من عام ١٩٢٦، حتى ورد نبأ وفاته وقيل إنه مات في المستشفى دون أن تسمح السلطات البريطانية بتسليم جثته إلى ذويه. هكذا بدا واضحًا أن الاستخبارات البريطانية قامت بتصفيته بسبب مواقفه الوطنية المناهضة لها في مصر وفلسطين. قال عنه رفعت السعيد «رفيق جبور واحد من رعيل من اللبنانيين الذين خاضوا المعركة في صفوف الشعب المصري جنودًا بل قوادًا في جيش البروليتاريا المصرية. إلى جانب أنطون مارون، فؤاد الشمالي، أديب قشعمي، شفيق باسيور»، له أبحاث سياسية بالغة الأهمية حول الوضع الطبقي في مصر، نشرت في جريدة **الحساب** المصرية وعند تناول تاريخ الفكر الاشتراكي العلمي في المشرق العربي ومصر ستكون لرفيق جبور منزلة مميزة بين قلة من المثقفين الثوريين الذين جمعوا بين النظرية والتطبيق وضحُّوا بأرواحهم دفاعًا عن عدالة القضية التي آمنوا بها أي تحرير العمال والفلاحين من القيود الطبقية التي تكبل أعناقهم.

ـ **جان جدعون**: ولد في زحلة وتعلم في مدارسها وأكمل دراسته في مدارس اليسوعيين ببيروت، أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. هاجر إلى القاهرة عام ١٩٠٧ للالتحاق بإخوانه التجار فيها. عمل في حقل التجارة فأصبح وكيلًا لعدد من الماركات العالمية المشهورة وجمع ثروة كبيرة. كان نائبًا لرئيس الجمعية الخيرية المارونية بالقاهرة وأمينًا لسر النادي السوري وعضوًا في جمعية «لبنان الفتى» فيها.

ـ **أيوب وإسكندر جدّي**: يعود أصل العائلة إلى برمانا ثم انتقل بعض أفرادها إلى بيروت حيث مارس الأب عملًا تجاريًا بسيطًا قبل أن يهاجر إلى مصر للعمل في مزارع آل سرسق وآل كرم كوكيل للأعمال أو مدير للأراضي أو ناظر على الفلاحين. ولد أيوب في بيروت عام ١٨٧٧، وتعلم في مدارس برمانا وسوق الغرب وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. كذلك فعل أخوه إسكندر المولود في بيروت عام ١٨٧٩، ثم سافر الأخوان إلى القاهرة للالتحاق بأبيهما في عام ١٨٩٤، وعملا في المهنة نفسها أي إدارة أملاك آل سرسق وآل كرم. لكن الأب وولديه تركوا هذه المهنة للعمل التجاري في القاهرة بعد أن اكتسب الأخوان خبرة بسيطة في محل خليل نعمة ثم في محلات سليم وسمعان صيدناوي لمدة ست سنوات. وقد نجح الأخوان في جمع ثروة كبيرة عبر العمل التجاري دون أن تكون لهما في البداية أية خبرة أو رأسمال كبير. وفي ذلك دلالة على أهمية النشاط الشخصي في النجاح التجاري.

ـ **مدير المخابرات العسكري شاهين جرجس**: ولد في المختارة، جبل لبنان، في ١٦ أيار (مايو) ١٨٦٦، وتعلم في مدرستها ثم في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت. أتقن العربية والإنجليزية وهاجر إلى مصر عام ١٨٨٣، حيث عين في قلم مخابرات الجيش المصري في القاهرة بعد فترة قصيرة بدأ يبرز اسمه بسرعة فتعين سكرتيرًا خاصًا للورد كتشنر، المندوب البريطاني في مصر والسودان. ثم مديرًا لمخابرات الجيش المصري في عهد المندوب البريطاني وينجت (Wenget). رافق الحملة البريطانية ـ المصرية على الحبشة عام ١٨٩٧، وخدم في الجيش المصري والسوداني والبريطاني قرابة ٣٦ سنة، ونال أوسمة عديدة أبرزها وسام ملك الحبشة، والنيشان العثماني الرابع، ووسام النيل، والنيشان المجيدي الثالث، ونيشان الإمبراطورية العثمانية، بالإضافة إلى ميداليات وأوسمة عدة من مصادر متنوعة.

ويتضح من نموذجي أسعد معلوف وشاهين جرجس أن السلطات البريطانية كانت تحرص على ترقية الكثير من مهاجري الشوام العاملين في خدمتها، ومن طوائف مسيحية بشكل خاص، وذلك لتسهيل حكمها من جهة وتطعيمه بعناصر عربية موالية لها، وإيجاد نقمة عليهم من جماهير الشعبين المصري والسوداني من جهة أخرى، وهي سياسة اتبعتها بريطانيا لفترة طويلة جدًا في مناطق انتدابها وسيطرتها.

ـ **آل الجميل**: أبرز من اشتهر منهم في مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية هم:

ـ جرجس الجميّل: ولد عام ١٨٥٨ في بكفيا، وتعلم في مدرستي عين القش وعينطورا فأتقن العربية والفرنسية فور تخرجه في عينطورا عام ١٨٧٩، حيث كان رفيقا للكاتب والسياسي المعروف شكري غانم عين ترجمانًا للقنصلية الفرنسية في الإسكندرية. كان فرنسي النزعة وتوفي مقتولًا بحراب رجال الشرطة ووكلاء الأمن المصري إبان ثورة أحمد عرابي عام ١٨٨٢ في الإسكندرية.

ـ يوسف بشير الجميّل: ولد في بكفيا عام ١٨٧٤، ونال الشهادة من مدرسة عينطورا عام ١٨٩٠، وأكمل دراسة الصيدلة في الكلية اليسوعية في بيروت ونال الشهادة عام ١٨٩٤. سافر إلى باريس للتخصص عام ١٨٩٥، ورجع إلى بيروت عام ١٨٩٧، ففتح الصيدلية المعروفة بصيدلية الجميل في ساحة البرج في بيروت.

وفي عام ١٩١٢ أنشأ في أنطلياس معملًا للسجائر على الطريقة العصرية بالاشتراك مع أخيه الدكتور أمين وأبناء عمه كنج وإلياس الجميل. هاجر إلى مصر إبان الحرب العالمية الأولى هربًا من اضطهاد الأتراك له بسبب ميوله الفرنسية المعروفة ودعوته إلى استقلال لبنان الكامل عن السلطنة العثمانية. استقر في الإسكندرية حيث أسس مكتبًا فنيا للصناعة الكيماوية وعين مستشارًا لشركة التنوير في المدينة وأسهم في تأسيس عدد كبير من مصانع الكحول والصابون وغيرها. وفي عام ١٩١٩ كان يوسف الجميل من أوائل المهاجرين اللبنانيين العائدين إلى بيروت على ظهر طراد فرنسي بناء على استدعاء أول مفوض سامٍ فرنسي في المنطقة المسيو فرنسوا جورج بيكو (François Georges-picot). سافر إلى باريس بمهمة رسمية في العام نفسه وبمهمة ثانية عام ١٩٢٠ مع الوفد اللبناني الثاني إلى مؤتمر الصلح في العاصمة الفرنسية.

- غنطوس أنطون الجميّل:ولد في قرنة شهوان عام ١٨٨٤، وتعلم في مدرستها ثم هاجر إلى مصر حيث توظف في قلم مالية حكومة السودان منذ ١٩١٢، حتى ١٩٣٣. عندما أحيل إلى التقاعد عاد إلى بكفيا وأمضى باقي أيامه فيها. بعض أبناء الجيل الثالث من المهاجرين، أي منذ نهاية الربع الأول من القرن العشرين بدأ يستعيد علاقته الأصلية بالوطن الأم بعد أن ترسخت الدولة اللبنانية كدولة مستقلة وذات سيادة مؤجلة في ظل الانتداب الفرنسي.

- جورج كنج الجميّل: ولد عام ١٩٠١، لأب مهاجر إلى المنصورة، نال شهادة التجارة العليا من مدرسة سانت كاترين (Sainte Catherine) في الإسكندرية عام ١٩١٩، وعاد إلى المنصورة يمارس العمل التجاري في محلات والده.

- بيار أمين الجميّل: ولد عام ١٩٠٥، في المنصورة، ونال شهادة الصيدلة من الجامعة اليسوعية في بيروت ثم عمل في صيدلية الجميل المعروفة على ساحة البرج. عمل في حقل السياسة اللبنانية حيث أسس حزب الكتائب اللبنانية وشغل مناصب وزارية ونيابية متعددة في الدولة اللبنانية.

- ألفرد إلياس كنج الجميّل: ولد عام ١٩٠٦، في المنصورة، أرسله ذووه لتلقي العلوم في عينطورا. وبعد إتمام دراسته عام ١٩٢٤، عاد للاستقرار في المنصورة.

ـ فيليب كنج الجميّل: ولد في المنصورة عام ١٩١٢. نال البكالوريا من مدرسة الفرير في الإسكندرية عام ١٩٣٣، وعاد للاستقرار في المنصورة.

ـ ميشال شاوول الجميّل: من مواليد المنصورة ١٨٩٥. تعلم في مدارس الإسكندرية وعاد للعمل في الوظائف الحكومية حيث ترأس قلم الدائرة الأولى التابعة لمحكمة الاستئناف المختلطة في الإسكندرية عام ١٩٣٥، واستقر هناك.

ـ شارل وألفرد فيليب الجميّل: تعلما في مدرسة الفرير في الإسكندرية، ثم تعين شارل معاونًا لرئيس قلم المحكمة المختلطة البدائية في الإسكندرية والثاني كاتبًا في المحكمة نفسها ابتداء من سنة ١٩٢٧.

ـ ريمون رستم الجميّل:ولد عام ١٩١٥ في القاهرة. تعلم في مدرستها اليسوعية ونال البكالوريا عام ١٩٣٤ وأقام فيها لإدارة تجارة ذويه.

ـ الدكتور ناصيف الجميّل: والده الخوري دانيال الجميل من شويا. درس الطب في الجامعة اليسوعية في بيروت. تعين طبيبًا في حكومة السودان لفترة طويلة. عاد بعد التقاعد إلى لبنان وأمضى أيامه الأخيرة بين شويا وأنطلياس.

ـ حبيب ويوسف الجميّل: من مواليد دلبتا. استلما وكالة بيت اللورد كتشنر المشهور في مصر والسودان واستقرا هناك.

ـ شكري نجيب عون الجميّل:ولد سنة ١٩٠٠ في المنصورة، وأرسله ذووه للتعلم في مدرسة عينطورا حيث نال شهادتها عام ١٩٢٤، وعاد للاستقرار في المنصورة.

ـ جوزف الجميّل: ولد في عين الخروبة عام ١٨٩٥. تلقى دروسه في عينطورا وهاجر إلى مصر حيث تعين موظفا في قلم المحكمة المختلطة في المنصورة لسنوات طويلة.

ـ أنطون الجميّل: كاتب وصحافي بارز وعضو مجلس الشيوخ المصري ومؤسس مجلة «الزهور» ومدير صحيفة «الأهرام» وصاحب وسام الباشوية من خديو مصر. (أدرجنا اسمه في باب الأعلام إذ كتب عنه الكثير).

يلاحظ في تاريخ هذه الأسرة أنها وفدت إلى مصر بكثرة من بكفيا، وشويا، وعين التفاحة، ووادي شاهين، وعين الخروبة،والسفيلي، وعجلتون، ودلبتا،وسمار جبيل،

والقبيات في عكار وغيرها. وانتشرت في معظم المدن المصرية خاصة المنصورة، والإسكندرية، والقاهرة، وبور سعيد، وطنطا، وبعض مدن السودان خاصة الخرطوم. لكن التمركز الأساسي لهم كان في مدينة المنصورة حيث نالوا شهرة واسعة في جميع المجالات. عاد قسم ضئيل منهم إلى لبنان بعد ولادة دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ في حين استمر معظمهم في مصر إلى أن غادروها بشكل كثيف بعد عام ١٩٥٢، إلى الولايات المتحدة الأميركية وكندا وغيرها. وتضم رابطة آل الجميل في هيوستون بالولايات المتحدة الأمريكية زهاء خمسمائة شخص.

ـ **آل جهشان:** أسرة بيروتية معروفة في الأوساط التجارية في أواخر القرن التاسع عشر. ولد فضل الله جهشان في بيروت وتعلم في مدرسة الثلاثة أقمار الأرثوذكسية وأكمل دراسته في الجامعة اليسوعية في بيروت وأتقن العربية والفرنسية. هاجر إلى القاهرة حيث مارس تجارة فاشلة فانتقل إلى الوظيفة الخاصة كمدير لأملاك يوسف سرسق بالإسكندرية ثم مفتشًا عامًا لأملاك نجيب سرسق الزراعية في مصر، ثم وكيلًا عامًا لأملاك آل سرسق في القطر المصري، فنال شهرة كبيرة وثروة ضخمة لأن وظيفة الوكيل العام لأملاك أسرة غنية كانت تدر على صاحبها الجاه والنفوذ والعلاقات الاجتماعية الواسعة.

ولد نقولا في بيروت عام ١٨٨٨، وهو ابن التاجر المشهور جرجي جهشان. تعلم في مدارس اليسوعيين وفي الكلية الشرقية في زحلة ثم أكمل دراسة التجارة والرياضيات في مدارس اليسوعيين وأتقن العربية والفرنسية. عين كاتبًا في البنك العثماني في بيروت ثم باش كاتب لهذا البنك طيلة ست سنوات، ثم استقال وهاجر إلى مصر حيث مارس التجارة الحرة في القاهرة وتحول منها إلى وظيفة كبيرة في شركة كوك (Cook) السياحية المشهورة واستقر فيها.

تعلم شقيقه إبراهيم أيضًا في مدارس اليسوعيين وجامعتهم في بيروت وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. مارس الوظيفة لمدة ثماني سنوات في شركة كوك السياحية إلى جانب أخيه نقولا ثم هجرها ليصبح وكيلًا زراعيًا لأراضي نقولا إبراهيم سرسق الزراعية بمديرية الدقهلية. ترك الوظيفة ليمارس التجارة الحرة والأعمال البنكية والمضاربات النقدية والعقارية فجمع ثروة طائلة وبات من كبار أثرياء مهاجري الشوام في مصر.

أما الخبير الزراعي ميشال جهشان فمولود في بيروت عام ١٨٩٢. تعلم في مدارسها ثم التحق بأنسبائه في الإسكندرية ونال تحصيله العلمي العالي من باريس بدرجة دبلوم في العلوم الزراعية. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعين وكيلا لإدارة أملاك نجيب سرسق ثم مسئولًا للمحاسبة، ثم ناظرًا للأراضي، ثم مفتشًا عامًا للاستصلاح الزراعي له مقالات علمية هامة منشورة بلغات عدة وكان على علاقة وثيقة بالجمعيات الزراعية المصرية وبعض الجمعيات في الخارج.

ـ **خليل الحاج**: والده داود الحاج من دير القمر ثم نزح إلى بيروت. ولد خليل في بيروت عام ١٨٧٨، وتعلم في مدارسها ثم هاجرت العائلة إلى الإسكندرية عام ١٨٩٣ فأكمل دراسته في مدارسها وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. عمل في سن مبكرة في العمل المطبعي إلى جانب والده فأدار «مطبعة السلام» في الإسكندرية طيلة سنوات (١٨٩٦-١٩٠٢). وفي هذا العام تزوج من أدال خليل صبرا، الوجيه السوري المعروف في الإسكندرية،ترك العمل المبطعي وانصرف إلى حقل الترجمة حيث عين ترجمانًا من الفئة الأولى في مديرية دنقلة بالسودان. عمل في مديريات عدة في النيل الأبيض، وبربر، وسنار، وصلفا، وكسلا، وترقي عام ١٩٢١ إلى رتبة باشكاتب من الفئة الأولى. كان على صلة وثيقة بالإنجليز فعينوه. مساعدًا لضابط المخابرات في الخرطوم. نقل عام ١٩٢٣ إلى مصر وعين مكان نعوم شقير. نال أوسمة بريطانية عدة أبرزها «نيشان النيل» عام ١٩١٦ من الرتبة الخامسة. كذلك منحه الرئيس تشرشل وسام وزارة الحرب البريطانية يوم كان وزيرًا للحربية نظرًا لخدماته الكبيرة للتاج البريطاني في السودان.

ليس نموذج خليل الحاج فريدًا من نوعه أو نادرًا بين مهاجري الشوام إلى مصر. فقد ارتبط عدد منهم بالإدارة البريطانية هناك وباتوا عونًا لها في تنفيذ سياستها في مصر والسودان والمشرق العربي. وكانت تلك الإدارة بحاجة ماسة لهؤلاء المهاجرين الذين يتقنون العربية والإنجليزية، ويتمتعون بالجنسية العربية، وهم على علاقة مباشرة بالجماهير الشعبية في الوقت الذي ينفذون فيه المخططات البريطانية بدقة بالغة، فكافأتهم بريطانيا بالغنى المادي والنفوذ والأوسمة المتعددة الجنسيات،من بريطانية ومصرية وسودانية وفلسطينية وغيرها.

ـ **الدكتور عزيز الحاج**: ابن داود الحاج من دير القمر وشقيق خليل الحاج. ولد في

بيروت عام ١٨٧٦، وتعلم في مدارسها ثم في الجامعة الأمريكية في بيروت (الكلية السورية الإنجيلية آنئذ) لمدة سنتين، وأتم دراسة الطب بعد هجرتهم إلى مصر في كلية قصر العيني في القاهرة. أتقن العربية والإنجليزية. وتعين طبيبًا في مصلحة الصحة فور تخرجه. ثم تدرج فأصبح مفتشًا لوزارة الصحة في القاهرة. تزوج عام ١٩٠٢ من لويزا إسكندر دياب، المهاجر الثري من طرابلس الشام، نال أوسمة عدة أبرزها نيشان النيل من الرتبة الخامسة. ثم نيشان الرتبة الثانية عام ١٩٢٣ نظرًا لخدماته في وزارة الصحة المصرية.

ـ **خطار حاوي**: ولد في ضهور الشوير وتعلم في المدرسة الأهلية فيها ثم في مدارس بيروت. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية ثم هاجر إلى الإسكندرية في أواخر القرن التاسع عشر. بدأ حياته موظفًا صغيرًا في محل تجاري بالإسكندرية حيث اكتسب خبرة واسعة في مسك الدفاتر والمحاسبة. وجريًا على تقليد الكثير من مثقفي هذه المرحلة، أي الجيل الثاني من المهاجرين، والذين لا يمتلكون ثروة تمكنهم من العمل التجاري المستقل، بدأ حياته موظفًا في التجارة كي يكتسب الخبرة الكافية والمعارف الواسعة التي تمكنه من الانطلاقة الواثقة في حقل التجارة المستقلة لذلك سرعان ما أسس لنفسه محلًا تجاريًا بالإسكندرية زاول فيه مختلف أشكال التجارة خاصة تجارة الغلال والأقطان ثم انصرف إلى بيع وشراء العقارات والأراضي الزراعية حتى جمع ثروة كبيرة ومع انتهاء احتكار التبغ وإطلاق حرية زراعته وصناعته والاتجار به بدأ خطار حاوي يستورد الدخان من لبنان إلى مصر فأصبح من كبار تجار التبغ والتنباك في القطر المصري وامتلك ثروة مالية وعقارية كبيرة. كان عضوا في الجمعية الخيرية الأرثوذكسية بالإسكندرية.

ـ **آل حبيب**: يعود تاريخ العائلة إلى غزة حيث ولد داود حبيب فيها عام ١٨٧١ وانتقل إلى مصر واستقر في بلبيس وتعاطى التجارة ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٩٠٥. وهناك إشارة طريفة أن داود حبيب أمضى آخر أيامه في مسقط رأسه غزة وعندما توفي عام ١٩٢١، وجدوا في وصيته رغبته بنقل جثمانه إلى القاهرة حيث دفن هناك. للوصية دلالة واضحة على حب الشوام لمصر التي احتضنتهم وقدمت لهم كل مجالات النجاح والثروة والشهرة.

ولد خليل داود حبيب وإخوته في القاهرة، فنال خليل بكالوريوس علوم ودبلوم

مدرسة التجارة العليا في القاهرة قبل أن ينتقل إلى باريس للحصول على الإجازة في الحقوق من جامعتها. كذلك نال أخوه فيليب شهادة التجارة العليا من القاهرة ونال أخوه الأصغر وليم الشهادة نفسها. أما ابنة داود حبيب فأكملت دراستها العالية في باريس حيث نالت الإجازة في الأدب الفرنسي.

يلاحظ في سجل العائلة وفرة الشهادات الجامعية من المعاهد المصرية بالدرجة الأولى مما يشير إلى أن مستوى التعليم المصري بلغ درجة عالية من التطور بحيث أقلع المهاجرون عن إرسال أبنائهم إلى بيروت في حين استمر بعضهم بإرسال أبنائهم إلى الجامعات والمعاهد الأوربية. بدأ بعض المهاجرين تعليم بناتهم في المعاهد العليا، المصرية وفي الخارج، فارتفع الحظر الطويل الذي كان مفروضا على تعليم الفتيات.

نال جميع الأبناء من آل حبيب شهادات عالية، لكن العمل التجاري وشراء العقارات كان من الركائز الأساسية التي استمر عليها الأبناء بعد والدهم. وتلك ظاهرة نموذجية حيث يغلب الطابع التجاري على الثقافة والمهن الحرة. ففي الغالب كان بعض أبناء المهاجرين، خاصة الكبار منهم، ينصرفون للعمل التجاري مكان الأب، أما باقي الأبناء فيتعاطون المهن الحرة أو الوظائف الحكومية.

ـ **آل حبيش**: أسرة لبنانية عريقة ذات نفوذ كبير في مناطق الفتوح وكسروان. كان منها بطاركة ومشايخ وموظفون وصحافيون كبار. ويشير إلياس زخورا في دراسته عن آل حبيش إلى أن الشيخ شديد حبيش كان ذا نفوذ واسع في السلطنة العثمانية، وأن الشيخ طالب حبيش كان ياورًا للسلطان عبد العزيز. وكان الشيخ إسكندر حبيش رئيسًا للقلم العربي في حكومة المتصرفية، وشغل الشيخ نعمان حبيش وظيفة إدارية كبيرة في إدارة المتصرفية، كذلك الشيخ يعقوب حبيش.

وألّف الشيخ يوسف يعقوب حبيش قاموسًا فرنسيًا ـ عربيًا واشتهر كثيرًا في مصر حيث هاجر مع والده ونالا الحماية الفرنسية فيها. وكان الشيخ أسد طنوس حبيش رئيسًا للقلم التركي في حكومة المتصرفية قبيل الحرب العالمية الأولى، وهاجر شقيقه، الشيخ يوسف طنوس حبيش إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر واستقر في القاهرة.

هذه اللمحة السريعة التي يوردها زخورا نقلًا عن الشيخين فريد وحميد حبيش، اللذين استقرا في القاهرة منذ مطالع هذا القرن، تبدو مشوّشة وذات طابع إعلامي لإبراز نفوذ هذه الأسرة في إدارة جبل لبنان إبان الحكم العثماني، وبشكل خاص إبان مرحلة المتصرفية، وتوضح السيرة أن علاقة الأسرة الحبيشية بمصر تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وأنها كانت على صلة وثيقة بالحماية الفرنسية لبعض المشايخ اللبنانيين الذين غادروا المتصرفية إلى مصر هربًا من جواسيس عبد الحميد الثاني. ولم يقتصر الإرهاب على الزعماء المسيحيين بل شمل الكثير من الزعماء ورجال الدين المسلمين ومنهم الشيخ رشيد رضا نفسه، كما يروي شخصيًا عن أسباب هجرته إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر. وفي القطر المصري، ملجأ المهاجرين الشوام، كان هؤلاء ينصرفون إلى التجارة، والوظائف والمهن الحرة، والعمل السياسي من مواقع الدعم أو الرفض للسلطنة العثمانية والانخراط المباشر في عجلة المخططات الفرنسية أو الإنجليزية.

ولد الشيخ فريد يوسف طنوس حبيش في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٥، في بلدة الكوم الأخضر في مديرية البحيرة لأب مهاجر إليها من جبل لبنان أرسله أبوه، جريًا على عادة تلك المرحلة، إلى مدرسة مار لويس في غزير عام ١٨٩٦، ثم انتقل منها إلى مدرسة سوق الغرب للمبشرين الإنجليز. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية ونال دبلوم الزراعة من الكلية السورية الإنجيلية في بيروت. عاد إلى مصر وتعين موظفًا بإحدى الشركات الزراعية في الريف المصري عام ١٩٠٤، ثم انتقل إلى البنك الزراعي عام ١٩٠٦، وهجر العمل الزراعي إلى الترجمة في الأهرام منذ عام ١٩٠٧ فعين رئيسًا لقسم الترجمة بالأهرام الصادرة باللغة الفرنسية (Pyramides) حيث أمضى سنة واحدة عاد بعدها إلى العمل الوظيفي فعين رئيسًا لقلم شركة مياه القاهرة عام ١٩٠٨، مع الاستمرار في الترجمة والتأليف والمقالات الصحفية. كان فرنسي النزعة وساهم بنشاط في معظم الجمعيات اللبنانية في مصر خاصة جمعية «الاتحاد اللبناني» التي عمل فيها بنشاط منذ تأسيسها عام ١٩٠٩ حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩١٩، أسس وترأس جمعية «لبنان الفتى» في القاهرة التي كانت على علاقة وثيقة بالمشروع الفرنسي في المشرق العربي وساهمت في تشجيع الهجرة من مصر إلى لبنان بعد إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠. لكن جهودها لم تعط

نتائج كبيرة نظرًا للأزمات الاقتصادية والسياسية في لبنان إبان مرحلة ما بين الحربين العالميتين واستمرار الهجرة منه إلى مصر وليس العكس. وسرعان ما اضمحل نفوذ تلك الجمعيات بعد سنوات قليلة من إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان وكشف حقيقته الاستعمارية لا التحررية في المشرق العربي.

أما شقيقه الشيخ حميد يوسف حبيش فمولود في الكوم الأخضر وتعلم في مدارس جبل لبنان ثم أكملها في مدارس القاهرة فنال البكالوريا المصرية وإجازة الحقوق من المدرسة الخديوية بالقاهرة. أتقن العربية والفرنسية ثم الإنجليزية في فترة لاحقة. عين رئيسًا لقلم اللوائح والانتخابات في قسم البلديات والمجالس المحلية في وزارة الداخلية المصرية. كان فرنسي النزعة وتمسك باستقلال لبنان وسيادته كدولة مستقلة بحماية فرنسية. ساهم في جميعة «الاتحاد اللبناني» وفي جمعية «لبنان الفتى». وعين أمينًا لسر جمعية المساعي الخيرية المارونية بالقاهرة.

ويتضح من سيرة آل حبيش أن هجرة الشوام إلى مصر طالت أيضًا أبناء العائلات المقاطعجية ذات النفوذ الواسع في جبل لبنان كآل شهاب، وحبيش، وخازن، ودحداح وغيرها. لكن معظم هؤلاء لم ينجحوا في العمل التجاري ولم يجمعوا ثروات كبيرة إذ انصرفوا إلى الوظائف العامة وتملك الأراضي. بقيت صلاتهم وثيقة بالوطن الأم حيث بقيت إمكانية الترقي الاجتماعي مفتوحة أمامهم. فعاد كثير منهم إلى لبنان بعد إعلانه دولة مستقلة في ظل الحماية الفرنسية عام ١٩٢٠، وهي الحماية التي عمل كثير منهم لأجلها على أرض مصر، فرحبت بهم على أرض لبنان وحصلوا على وظائف إدارية كبيرة وعلى رأسهم أيوب ثابت، وأوجست أديب، وعدد من آل شهاب وحبيش وخازن والنقاش.

ـ **سليم حداد**: من أسرة شامية هاجرت إلى مصر بهدف التجارة واستقرت هناك في القاهرة حيث تعلم سليم في مدارسها وتابع دراسته في ميكانيك آلات الطباعة في ألمانيا. أدخل تحسينات أساسية على الآلة الطابعة (Typewriter) سجلها باسمه في مصر وأدخلها مجال التسويق التجاري بالاتفاق مع شركة ألمانية لآلات الطباعة. كان أيضًا رسامًا معروفًا ترك رسومًا شخصية لعدد كبير من أفراد المهاجرين الشوام الأغنياء في القاهرة والإسكندرية. وقد صدر في «الهلال» إعلان للمصور ـ الرسام سليم حداد يبرز فيه أسماء الشخصيات التي رسمها في القاهرة: إبراهيم باشا نجيب

وكيل الداخلية، وإدوار بك إلياس مفتش الداخلية، وبشارة باشا تقلا مدير الأهرام، والخواجة حبيب لطف الله من أعيان القاهرة، وملحم بك شكور سكرتير قلم المخابرات، والدكتور يعقوب صروف منشئ المتقطف. وفي الإسكندرية السادة حبيب أفندي أنطونيوس، رشيد بك الشميل، المرحوم سليم تقلا، الخواجة ميشال الزهار، الخواجة ميشال قطة، المرحوم يوسف سياج.

(يراجع **الهلال**، الجزء الثامن، الصادر في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٥).

ـ **الدكتور جورج حداد**: ولد في عالية عام ١٨٩٠، وتعلم في مدرسة سوق الغرب وأكمل دراسته في الكلية السورية الإنجيلية ونال شهادة الطب عام ١٩١٢. هاجر إلى مصر فور تخرجه ومنها إلى السودان حيث عمل في المستشفى الملكي الإنجليزي بالخرطوم حتى عام ١٩١٦. عاد إلى القاهرة وأنشأ فيها عيادة خاصة لمعالجة الأمراض التناسلية وجمع ثروة كبيرة وتملك أراضي واسعة. ساهم في جمعية الإسعاف الخيري بالقاهرة وفي المستوصف الخيري لجمعية الروم الكاثوليك، وفي جمعية القديس جاور جيوس الخيرية في العاصمة المصرية.

ـ **أُسرة الحشيمة**: أسرة كبيرة معروفة في بكفيا وجبل لبنان، وذات علاقة وثيقة بالهجرة اللبنانية إلى مصر منذ القرن التاسع عشر. ولد ميخائيل حشيمة في بكفيا عام ١٨٤٩، وهاجر إلى مصر صغيرًا وعمل في الوظائف الحكومية حتى نال لقب بك من حكومة مصر والسودان عام ١٩٠٣، كما منحه البابا لقب كومندور عام ١٩٠٦، وذلك قبل عامين من وفاته ودفنه في مصر.

ولد أسطفان حشيمة في بكفيا ١٨٧٠. هاجر إلى مصر وعمره ٩ سنوات فقط حيث كان أهله وأقرباؤه فيها. تعلم في مدارس المنصورة وعين وكيلًا لدائرة الزراعة فيها عام ١٨٩٢ لسنوات طويلة.كتب كثيرًا من المقالات الزراعية التي نشرت في جريدة «البصير» المصرية وعين عضوًا في الجمعية الزراعية الخديوية التي تحولت إلى الجمعية الزراعية السلطانية لاحقا واستمر في عضويتها من ١٩٠٢ حتى ١٩٠٨.

وهناك عدد من آل حشيمة برزوا في القطر المصري واستقروا فيه أو عاد بعضهم إلى لبنان بعد عام ١٩٢٠. فنصري نصر حشيمة ولد في المنصورة عام ١٨٧٦، وتعلم في مدارسها ثم عين موظفًا في دار الآثار المصرية بالقاهرة منذ عام ١٩٠٥.

وولد عبد الله ميخائيل حشيمة في المنصورة عام ١٨٨٤، ونال دراسته فيها ثم توظف في محكمتها المختلطة وترقى في الوظيفة حتى أصبح رئيس قلم فيها.توفي عام ١٩٣٢ ودفن في المنصورة. كذلك أخوه فريد حشيمة، ولد في المنصورة عام ١٨٨٨، وتلقى علومه فيها ثم توظف في قلم المزاد التابع لمحكمتها المختلطة واستقر فيها حتى وفاته. أما لويس خليل حشيمة فولد في المنصورة عام ١٨٨٧، وعمل في التجارة فأصبح وكيلًا لشركة الدلتا التجارية في المنصورة منذ عام ١٩٢٥، واستقر هناك.

لكن أبناء المهاجر روفائيل حشيمة اختاروا التعليم والوظيفة في الجيش، فألبير روفايل حشيمة المولود في المنصورة عام ١٨٩٠، تعلم في مدارسها ثم أكمل دروسه في مدارس بيروت اليسوعية جريًا على عادة الكثير من مهاجري تلك الفترة. التحق روفايل برتبة صف ضابط في الجيش الإنجليزي الذي احتل العراق وفلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى وخدم فيه سنوات طويلة ثم ما لبث أن هجر مصر إلى البرازيل حيث استقر هناك، إذ تشير مراجع المرحلة إلى وجوده فيها عام ١٩٣٤.

أما أخواه إسكندر وجورج روفايل حشيمة المولودان في المنصورة فقد تلقيا دروسهما وعملا في وظائف حكومية خاصة في المحكمة المختلطة فيها. لكنهما انصرفا بعد فترة إلى التدريس في المدارس الخاصة حيث استقر إسكندر في مدارس المنصورة وانتقل جورج للتدريس في مدارس الزقازيق.

وُلد عبد الله يوسف حشيمة في بكفيا عام ١٨٩٧، وتخرج في مدرسة الحكمة المارونية في بيروت عام ١٩١٤، ثم سافر في العام التالي إلى مصر حيث مارس التدريس في مدارس الفرير والمدرسة المارونية في القاهرة. كان فرنسي النزعة وتطوع في الفرقة الشرقية التابعة للجيش الفرنسي عام ١٩١٧، ثم رجع إلى لبنان مع دخول الجيش الفرنسي إليه بعد الحرب العالمية الأولى ورقي إلى رتبة صف ضابط واستقر في مسقط رأسه.

وهناك فرع آخر لآل حشيمة استقر في مدينة طنطا ثم انتقل الأبناء إلى مدن مصرية أخرى، فبشارة أنطون حشيمة ولدَ في طنطا عام ١٨٨٠، لأسرة مهاجرة إليها منذ زمن قديم عمل في حقل التجارة ونال شهرة واسعة حتى أصبح وكيلًا لشركة كارفيل

(Caravel) الإنجليزية للأقطان في مديرية «بنها» توفي في طنطا عام ١٩٢٨، عن عمر ٤٨ سنة ودفن فيها.

أما ولداه جورج وأنطون بشارة حشيمة فقد هجرا التجارة إلى العمل المالي. ولد جورج في طنطا عام ١٩٠٦، وتعلم في مدرسة الأفريكان المشهورة فيها.توظف في البنك الإيطالي في مصر وانتقل عام ١٩٣٥، إلى العمل في جريدة «الأهرام» كمحرر رئيسي فيها. وولد شقيقه أنطون في طنطا عام ١٩١١، وتعلم أيضًا في مدرسة الأفريكان فيها ثم انتقل للعمل في البنك الأهلي بمصر الجديدة حيث استقر هناك.

هذه اللوحة السريعة عن آل حشيمة في مصر تشير إلى وجود أعداد وافرة منهم برزت في مجالات التوظيف والوكالات التجارية والعمل في الجيش الإنجليزي أو الفرنسي. وليست لدينا معلومات كافية حول الحياة الثقافية والاجتماعية لأفراد هذه الأسرة لكننا نميل إلى الاعتقاد أن أبناء هذه الأسرة المهاجرة قد استمروا على النمط المعروف لدى المهاجرين الشوام إلى مصر من حيث الزواج الداخلي بين أبناء المهاجرين الشوام. كما أن التعليم في هذه المرحلة بات حصرًا على المدارس المصرية التي أصبحت على درجة عالية من التطور في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. ولم يعد المهاجرون يرسلون أبناءهم للتعلم في مدارس بيروت وجامعاتها إلا في الحالات النادرة. تلاحظ مؤشرات العودة إلى لبنان لدى بعض أفراد هذه الأسرة في حين فضل البعض الآخر منهم الانتقال من مصر إلى بلاد جديدة للاستقرار فيها كالبرازيل وكندا.

ـ **آل الحلو**: ليست لدينا معلومات كافية حول أفراد هذه الأسرة في مصر الذين يتردد ذكرهم كثيرًا في الوثائق الأساسية الكنسية ويذكر أدمون بليبل اسم السيد بشارة إلياس الحلو، من مواليد بكفيا والذي عمل موظفًا في إدارة «الأهرام».

ـ **الدكتور سليمان حمادة**: ولد في بعقلين وتعلم في مدرستها وأكمل دراسته في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت ونال شهادة الطب. أتقن العربية والإنجليزية. هاجر إلى بور سعيد عام ١٩٠١، وعمل طبيبًا في مصلحة الصحة الحكومية في بور سعيد. انتقل إلى الحجاز عام ١٩٠٤، وعين طبيبًا في مصلحة الكرنتينا ومندوبًا

لها في الحجاز. ثم عين عام ١٩٠٦ مسئولًا عن بعثة الحج المصرية وأعيد تكليفه بهذه المهمة عام ١٩٠٨.

ـ **جوزف نعمة الخراط**: من عائلة وثيقة الصلة بالهجرة اللبنانية إلى مصر في القرن التاسع عشر. ولد جوزف في الإسكندرية عام ١٨٥٩، وتعلم في مدرسة الفرير فيها ثم درس العربية على أحد مشايخ الأزهر. توظف في مصلحة البريد المصري فأمضى هناك أكثر من عشرين سنة، من ١٨٨٠ حتى وفاته عام ١٩٠٢. كان على جانب واسع من الثقافة ونشر مقالات عديدة في «المحروسة» و«المؤيد» و«الأهرام».

ـ **إسكندر نعمة الخرّاط**: ولد في بكفيا عام ١٨٦٩، ثم سافر صغيرًا مع ذويه إلى الإسكندرية حيث تعلم في مدرسة الفرير فيها فأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية واليونانية، وهي حالة نادرة في تلك الفترة. انخرط في صناعة الزيوت والمشروبات الروحية فنال ٢٤ ميدالية ذهبية من معارض روما وأنفرس (Anvers) وبروكسل (Bruxelles). عين رئيسًا للجمعية الخيرية المارونية في الإسكندرية لسنوات عديدة وكان من أبرز وجهاء الجالية الشامية فيها.

ـ **جورج إسكندر نعمة الخرّاط**: ولد عام ١٩٠٩، في الإسكندرية لأب مهاجر إلى مصر منذ سنوات طويلة. تعلم في مدرسة الفرير في الإسكندرية. ومع إعلان دولة لبنان الكبير بدأ عدد واسع من المهاجرين اللبنانيين، خاصة من مناطق جبل لبنان، بالعودة إلى وطنهم الأم والاستقرار فيه.وكان جورج الخراط من الرعيل الذي عاد إلى لبنان وعمل في الوظائف الحكومية فتوظف في قلم مالية دولة لبنان الكبير منذ ١٩٢٩، واستقر في لبنان.

ـ **نعوم خلف**: ولد في بسكنتا عام ١٨٦٥، وتعلم في مدرستها. هاجر إلى القارة الأمريكية ولم يحالفه الحظ فعاد إلى جبل لبنان ثم هاجر مجددًا إلى مصر. عمل في التجارة العامة والالتزام والمقاولات وأصبح أبرز المقاولين المصريين لمدة خمس وعشرين سنة في وزارة الأشغال العامة المصرية. استقر في مدينة الفيوم حيث مارس تجارة القطن وامتلك أراضي عقارية واسعة فيها. نقل قسمًا هامًا من ثروته إلى بلدته بسكنتا حيث أمضى أيامه الأخيرة.

ـ **ألكسندرا قسطنطين نعوم الخوري**: ولدت في بيروت حيث تعلمت في مدرسة

الراهبات اللعازاريات ثم في الكلية الإنجيلية السورية. هاجرت إلى الإسكندرية مع ذويها وهي لم تزل في الرابعة عشرة من عمرها وذلك في أواخر القرن التاسع عشر. كانت تتقن العربية والفرنسية والإنجليزية ثم ألمت بالإيطالية بعد زواجها، بسن السادسة عشرة، من المليونير الإيطالي الأمير ملتيادي دوأفرينيو (De Avrenio) ونظرًا للثروة الكبيرة التي كانت تتنعم بها انطلقت لتنمية مواهبها الصحافية وكتاباتها الأدبية. كتبت الكثير من القصص والأشعار بالعربية ونشرت لها الصحافة الأجنبية الكثير من أعمالها. أنشأت مجلة «الأنيس» أو «أنيس الجليس» ثم مجلة «اللوتس Lotus» في القاهرة وأصدرتها بالعربية مع طبعات بلغات أوربية. نالت شهرة واسعة كأديبة وصحافية عربية معروفة على المستوى العالمي وشاركت بحضور الكثير من المهرجانات وإلقاء الكلمات أمام رؤساء الدول في فرنسا وإنجلترا والآستانة. عرفت بنصرتها لقضية تحرير المرأة وكانت لها صلات ثقافية واسعة داخل مصر وخارجها.

نالت أوسمة عدة أبرزها وسام الدرجة الأولى من السلطان المصري والمعروف بوسام الشفقة المخصص لنساء الملوك وكبار القادة. كما نالت وسام إيران من المرتبة الرفيعة، ووسام الأكاديمية الفرنسية في باريس من رتبة ضابط، ونالت الميدالية الفضية من الخديو وهي الميدالية المخصصة لكبار الشعراء. أنعم عليها البابا ليون الثالث عشر بوسام القديس بطرس، ونالت وسام صليب القبر المقدس من بطريرك القدس، والوسام الذهبي لجمهورية الدومينيكان والكثير من الأوسمة الأخرى.

يتضح من سيرة حياة السيدة ألكسندرا الخوري التي نالت لقب أميرة بعد زواجها، أنها كانت بين قلة من نساء المهاجرين الشوام اللواتي برزن في حقل الصحافة والأدب والشعر. وكان للثروة دور أساسي في إبراز موهبتها وحصولها على هذا العدد الكبير من الأوسمة والتي قد تكون بسبب علاقاتها الاجتماعية الواسعة أكثر من موهبتها وإبداعها.

- جرجي **الخوري**: من أسرة لبنانية هاجرت إلى مصر من جبل لبنان في مطالع القرن التاسع عشر واستقرت في كفر الزيات حيث ولد جرجي عام ١٨٧٥، وتعلم في مدرستها وكعادة الرعيل الأول من المهاجرين أرسل الأب ابنه جرجي إلى مدرسة الحكمة في بيروت ومدارس الآباء اليسوعيين لإكمال دراسته. درس الحقوق على نفسه متأخرًا ونال الإجازة فيها من جامعة باريس كما نال شهادة الليسانس في العلوم

السياسية والاقتصادية ثم الدكتوراه في هذا الاختصاص عام ١٩١٣. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية.

وعلى غرار كثير من المهاجرين الذين عملوا طويلًا قبل أن يستقروا في وظيفة هامة أو ينالوا قسطًا كبيرًا من الثقافة، عمل جرجي الخوري في مطلع حياته العملية في حقل الترجمة في وزارة الحربية المصرية ثم الترجمان الأول في إدارة سكة الحديد، ثم موظفًا كبيرًا في القلم التجاري ومراقب الموارد المالية في هذه الإدارة.

وما لبثت مصلحة سكة حديد القاهرة أن انتدبته لإصلاح أوضاع سكة حديد سوريا ولبنان بناء على رغبة إدارة الانتداب الفرنسي والانتداب الإنجليزي عام ١٩٢٠. تزوج من ابنة التاجر الكبير ميخائيل المصور عام ١٩٠٦، وكان عمه واحدًا من كبار أصحاب الأملاك في مديرية البحيرة. ومع تحسن أوضاعه الاقتصادية والوظيفية والعائلية، انصرف جرجي الخوري إلى إكمال دراسته العليا حتى نال الدكتوراه في العلوم السياسية والاقتصادية قبيل الحرب العالمية الأولى واكتسب شهرة كبيرة بين مهاجري الشوام في مصر ونال لقب بك من الحكومة المصرية. توفي بنوبة قلبية أثناء زيارته إلى حيفا وكان لا يزال في ريعان العمر.

ونموذج جرجي الخوري تأكيد على الجهود المضنية التي يبذلها المهاجر للتثقيف الذاتي بهدف تحسين أوضاعه المادية والمعنوية.

ـ **خليل الخوري وابنه يوسف**: ولد خليل الخوري في بيروت وتعلم في مدارسها وأتقن العربية والفرنسية. أكمل دراسته العليا في الصيدلة وهاجر إلى الإسكندرية حيث أسس فيها الصيدلية المعروفة منذ عام ١٨٨٨ بمساعدة شقيقه جورج.

ولد ابنه يوسف بالإسكندرية وتعلم في مدارسها ونال شهادة البكالوريا الفرنسية ثم أرسله أبوه لدراسة الصيدلية والكيمياء في جامعتي مونبيليه (Montpelier) وباريس. أمضى فترة للتمرن في مستوصف باستور (Pasteur) في باريس ونال شهادة في علم البكتيريا (Bactériologie). مارس العمل المختبري قبل تخرجه وذلك كمساعد لرئيس مختبر في بلدية (Montpelier) ثم عاد إلى الإسكندرية عام ١٩٠٥، حيث أنشأ معملًا صغيرًا لإنتاج الأدوية في صيدليتهم واكتشف بعض الأدوية التي استخدمت لمكافحة أمراض زراعية في مصر ونال شهرة واسعة. له كتابات عديدة ومقالات علمية في الصيدلة والكيماويات. أنشأ مجلة في الإسكندرية بعنوان «النتيجة الشرقية» خصصها

لنشر المقالات العلمية بالعربية والفرنسية والإنجليزية واستمرت في الصدور حتى الحرب العالمية الأولى. كانت له شهرة عالمية، داخل مصر وخارجها فكان عضوًا في جمعية الصيادلة في باريس، وعضوًا في جمعية العلوم الطبيعية في فرنسا، وعضوًا في جمعية الكيمياويين الفرنسيين. انتخب نائبًا لرئيس المؤتمر الدولي للصيدلة المنعقد في باريس عام ١٩٠٢. عين خبيرًا محلفًا لدى المحاكم المصرية للشئون الكيمياوية ومثل مصر في المؤتمر الدولي للصيدلة الذي انعقد في روما عام ١٩٠٦ اعتبر يوسف الخوري من كبار العاملين في حقل الصيدلة في مصر والمشرق العربي في الربع الأول من القرن العشرين. ويلاحظ أن العائلية لعبت دورًا هامًا في هذا المجال حيث يرث الصيدلي عن أبيه المهنة ويبرع فيها، كما يرث التاجر عن أبيه التجارة ويزيد في تراكمها، أو المحامي مكتبًا للمحاماة، أو الصحافي جريدة واحدة فتصبح لدى الأبناء عدة جرائد وبلغات متنوعة.

ـ **آل خوري**: تعود الأسرة بنسبها إلى الخوري إلياس في بكفيا بعد أن هاجر عدد كبير من أفرادها إلى مصر واستقروا في طنطا منذ القرن التاسع عشر، ولد الدكتور ميشال بولس الخوري في طنطا ودرس في مدرسة الأفريكان المشهورة فيها (L'École Africaine) نال شهادتها عام ١٩١٣، ثم أكمل دراسة الطب في باريس عام ١٩١٦ حيث استقر في فرنسا ولم يرجع إلى مصر.

ـ الدكتور مارون بولس الخوري: ولد في طنطا ١٩٠٨، لأسرة مهاجرة وتخرج في مدرسة الأفريكان عام ١٩٢٧، لكنه أكمل دراسة الطب في الجامعة اليسوعية في بيروت عام ١٩٣١. عاد إلى مصر حيث توظف في وزارة الصحة المصرية لمدة عام واحد ثم سافر إلى باريس وتخصص في طب الأطفال وعاد للاستقرار في القطر المصري منذ عام ١٩٣٤.

ـ بشارة بولس الخوري: ولد في طنطا ١٨٨٤، ودرس أيضًا في مدرسة الأفريكان وتخرج فيها عام ١٩٠٠، حيث عمل في مصرف بخيت في القاهرة واستقر فيها.

ـ الأخوان فؤاد وجوزف بولس الخوري: ولدا في طنطا ١٩٠٧ و ١٩٠٩، تخرجا في مدرسة الأفريكان فيها ثم عملا في التجارة وأصبحا وكلاء شركات للسيارات أبرزها شركة «أتوبيس» المنصورة.

إن قراءة تاريخ هذه الأسرة يندرج في الإطار العام لمختلف الأسر المهاجرة من بلاد الشام إلى مصر. فالجيل الثاني من المهاجرين بدأ يشدد على الدراسة العالية داخل مصر وخارجها، أي في الجامعات اللبنانية أو الأوربية. لكن بعض أفراد الأسرة يستمرون في العمل التجاري أو المصرفي لرفد الأسرة بالدعم الاقتصادي اللازم. ولما كان مرتب الوظيفة لا يكفي كان بعض أصحاب المهن الحرة، كالطب والمحاماة والهندسة وغيرها، ينتقلون إلى الخارج للاستقرار هناك في حين فضل البعض الآخر العودة إلى مصر والعمل فيها أو الرجوع إلى لبنان والاستقرار النهائي فيه، وهو أمر لم يكن متاحًا لجميع المهاجرين خاصة الذين فقدوا كل الأقرباء المباشرين لهم في موطنهم الأصلي. لذلك لم يحاول أحد هؤلاء الأشقاء الخمسة العودة النهائية إلى لبنان، إذ يبدو أن هجرتهم القديمة منه قطعت صلاتهم الرحمية بمن تبقى من الأسرة في بكفيا.

ـ **آل خير: إلياس وأنطون خير**: أسرة مهاجرة إلى مصر من منطقة بتغرين في جبل لبنان، في القرن التاسع عشر. ولد إلياس خير في القاهرة في ٢٠ تموز (يوليو) ١٨٥١، وتعلم في مدرسة الفرير فيها وأتقن العربية والفرنسية. مارس العمل التجاري كمستخدم بسيط في أحد محلات المهاجرين الشوام في القاهرة ثم انتقل إلى العمل الوظيفي حتى وصل إلى مركز سكرتير قلم الداخلية في وزارة الداخلية المصرية. تزوج من ابنة عمه إبراهيم خير وتعلم ابنه يوسف في مدارس القاهرة ثم أرسله إلى مدرسة اليسوعيين في بيروت وأكمل دراسته في الاقتصاد في مدارس نانت (Nantes) في فرنسا. ويلاحظ في سجل إلياس خير أنه لم يستقر في عمل واحد فمن مستخدم تجاري إلى وظيفة حكومية، انتقل أخيرًا إلى إدارة محل للتصوير بالاشتراك مع المصور الشهير في القاهرة خلال هذه الفترة الأرمني كليجان وفتح له فرعًا آخر في مدينة حلوان حيث توفي عام ١٩٠٩. في حين اختار ابنه يوسف خير العمل البنكي إذ توظف في صندوق الرهنيات العقارية منذ عودته إلى مصر عام ١٩٠٩ واستمر فيه.

وهناك نسيب آخر ليوسف خير يدعى أنطون خير، المولود في مدينة سمنود لأسرة مهاجرة وذلك عام ١٨٦٧. تعلم في مدارس الفرير بالإسكندرية وأكمل دراسته في الجامعة اليسوعية في بيروت وأتقن العربية والفرنسية. انصرف إلى الزراعة والاستصلاح الزراعي ونجح في هذا المجال فانتدبه مدير البنك العقاري لإصلاح أراض يملكها البنك في الزقازيق وبردين وقد عرف بتنظيمه الدقيق للأراضي التي يديرها فكانت نموذجًا يحتذى به في الإنتاج وحسن الإدارة.

مارست أسرة آل خير العمل الوظيفي، العام والخاص، فحصلت على شهرة واسعة في هذا المجال دون أن تكون لها أعمال اجتماعية أو سياسية أو ثقافية بارزة.

وهناك كاتبة مشهورة في مصر هي إيمي خير (Emme) التي كانت من صديقات الأديبة مي زيادة وعلى علاقة وثيقة بعدد كبير من أدباء وشعراء ومفكري مصر في النصف الأول من القرن العشرين.

ـ **آل داغر**: تعود الأسرة بجذورها إلى بكفيا حيث انتقل بعض أبنائها إلى مصر واستقروا هناك منذ القرن التاسع عشر في مدينة طنطا ويشير أدمون بليبل إلى ثلاثة إخوة برزوا في القطر المصري من آل داغر وهم: يوسف أسعد كرم داغر المولود في طنطا عام ١٨٩١، تخرج في مدارس طنطا وأكمل دراسته في الجامعة المصرية ثم مارس التدريس فيها لسنوات طويلة وله مؤلفات فلسفية كثيرة ومعروف باسم يوسف كرم دون لقب داغر. أما شقيقه أنطون كرم داغر المولود عام ١٨٩٣، فقد مارس العمل الوظيفي في الدائرة المالية في القاهرة، واستقر شقيقه الآخر إلياس كرم داغر في طنطا للعمل التجاري والزراعي وعين سكرتيرًا لبلدية طنطا.

يلاحظ أن هذه العائلة فقدت اتصالها الوثيق بلبنان، واستقر أفرادها في القطر المصري ونالوا الجنسية المصرية ولم تعد لهم روابط واضحة مع من تبقى من آل كرم داغر في لبنان. فالجيل الثالث من المهاجرين بات أكثر ميلًا للاستقرار النهائي في مصر طيلة سنوات ما بين الحربين العالميتين، وبعد حركة التأميمات في مصر انتقل كثير من اللبنانيين المتمصرين إلى الخارج، خاصة كندا وأستراليا وعادت أعداد قليلة منهم إلى لبنان.

ـ **آل الدبّاس**: يرجع أصل العائلة إلى مدينة يافا حيث ولد بطرس الدباس عام ١٨٧٨، وتعلم في مدرسة الفرير فيها وأتقن العربية والفرنسية ثم عين ترجمانًا لقنصلية فرنسا في يافا وكان في سن الثامنة عشرة من عمره. غادر يافا إلى الإسكندرية حيث شغل وظيفة مشابهة إذ عين ترجمانا للقنصلية الفرنسية فيها. لكنه هجر العمل الوظيفي إلى التجارة جريًا على عادة الكثير من مهاجري الشوام إلى مصر. كانت تجارته تقوم على تبادل السلع والمواد الخام بين سوريا وفلسطين ومصر. ومع انتشار تجارته وازدهارها وفتح فروع لها في مدن شرق أوسطية عديدة، حصل على وكالات

لعدة فبارك أوربية وأصبح من كبار التجار في مصر والمشرق العربي. نال أوسمة كثيرة أبرزها النيشان العثماني من المرتبة الرابعة ونيشان باي تونس من رتبة ضابط، ونيشان القبر المقدس والصليب العظيم من بطريرك القدس. وكان عضوًا فاعلًا في الكثير من الجمعيات الخيرية الأرثوذكسية في مصر خاصة في مدينة الإسكندرية.

ـ **جورج دبّاس**: ولد في القاهرة وتعلم في مدرسة الفرير فيها، وليست هناك إشارة تؤكد صلة النسب بين جورج وبطرس دباس سوى أن والد بطرس كان يدعى جرجس دباس. وجريًا على التقليد العربي بتسمية الابن على اسم الجد فمن المحتمل أن يكون جورج دباس ابنًا لبطرس دباس. حصل على البكالوريا المصرية والبكالوريا الفرنسية والحقوق من المدرسة الخديوية في القاهرة وأتقن العربية والفرنسية. وفي الاتجاه العلمي نحو التعليم الفرنسي تأكيد آخر على صلة النسب بين جورج وبطرس دباس حيث عمل بطرس، في بداية نشاطه، ترجمانًا للقنصليتين الفرنسيتين في يافا والإسكندرية، فاكتسب جورج اللغة الفرنسية بشكل يمكنه من النجاح في امتحانات البكالوريا الفرنسية. تزوج من ابنة إيليا ظريفة، أحد أعيان المهاجرين الشوام في مصر وعمل في حقل المحاماة.

عمل في إدارة أملاكهم الخاصة الواسعة في مصر والسودان وكان عضوًا في الجمعية الخيرية الأرثوذكسية بالقاهرة. كان فرنسي النزعة لكنه بقي في مصر بعد إعلان دولة لبنان الكبير. شارك بنشاط في لجنة الدفاع عن حقوق السوريين بمصر التي تشكلت عام ١٩٢٥، إثر إعلان قانون الجنسية المصري وارتفاع شعار «مصر للمصريين».

ـ **آل دبّانة**: يعود أصل العائلة إلى دمشق ثم انتقلت إلى بيروت بعد حوادث ١٨٦٠. هاجر حبيب دبانة إلى القاهرة عام ١٨٨٠، ثم استدعى أخاه نجيب ثم أخاه يوسف ثم أمه بعد وفاة أبيه سركيس دبانة في بيروت عام ١٨٩٠. هكذا انتقلت عائلة دبانة بكاملها إلى القاهرة حيث كان مركز عملها الأساسي ولم يبق لها في بيروت سوى الذكريات وبعض الأقارب.

تزوج حبيب دبانة من هند نسيم نوفل. كان والدها من أعيان طرابلس في تلك الفترة وهاجر إلى مصر واستقر فيها حيث ازدهرت تجارته وتوسعت أملاكه. عمل

الإخوة دبانة في تجارة الحرير والأقمشة الشامية بين مصر والشام، واستملكوا أراضي واسعة استصلحوها واعتنوا بزراعتها وزيادة إنتاجها.

لكن العمل التجاري وإدارة الأعمال لم تستغرق كامل أوقات الإخوة فانصرف بعضهم إلى العمل الوظيفي حيث عين الثلاثة في مراكز مختلفة في وزارة المالية المصرية. كانت أبرز المراكز التي حصل عليها حبيب دبانة وظيفة مترجم بنظارة المالية عام ١٨٨٠، ثم ترأس قلم القضايا فيها عام ١٨٨٤ ولمدة عشرين سنة بالإضافة إلى وظائف أخرى شغلها الإخوة الثلاثة في هذه الوزارة، لكن آل دبانة قرروا الاستقالة الجماعية عام ١٩٠٨، وانصرفوا لإدارة أملاكهم والعمل التجاري.

ترأس حبيب دبانة الجمعية الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة. يعتبر تاريخ هذه الأسرة نموذجًا على العمل المشترك للإخوة بحيث شكلوا وحدة متماسكة في جميع مجالات العمل التي قاموا بها، وهو نموذج لكثير من العائلات الشامية المهاجرة حيث يمارس الإخوة أو الأبناء عملًا مشتركًا برئاسة كبير العائلة دون هاجس البروز والشهرة حتى إن هند دبانة التي أصدرت مجلة «الفتاة» قبل زواجها، توقفت عن العمل بعد زواجها من حبيب دبانة وانصرفت إلى العمل المنزلي وتربية الأولاد، وهي العادة المتبعة آنذاك في سوريا ولبنان، بصورة عامة، وحملها بعض المهاجرين معهم إلى مصر وهي تؤكد على ضرورة بقاء المرأة في المنزل دون ممارسة أعمال أو نشاطات خارجية.

- **يوسف ديشي**: ولد في أسرة يهودية كانت تسكن بيروت وهاجرت إلى مصر يوم كان يوسف في الرابعة من عمره. تعلم في مدارس القاهرة ونال ثقافة متوسطة في التجارة ومسك الدفاتر الحسابية. عين رئيسًا للمحاسبة في محلات بلاتشي (Platchi) التجارية في القاهرة ثم انتقل إلى الوظائف الحكومية فعين عام ١٩٠٤، رئيسًا للمحاسبة في مصلحة سكة حديد النيل والبحر الأحمر في السودان لمدة سنتين في العاصمة الخرطوم. ثم انتقل عام ١٩٠٦، للعمل كمحاسب في شركة السكر المصرية. وفي عام ١٩٠٩، عين مفتشًا للمحاسبة في الأقاليم أو المحافظات المصرية واستمر في عمله طيلة عشرة أعوام حتى استقال عام ١٩١٩، لممارسة التجارة الحرة. نقل تجارته إلى بيروت منذ مطالع عهد الانتداب الفرنسي فأنشأ محلًا كبيرًا في العاصمة اللبنانية واستقر فيها وكان وكيلًا للمجلس الملي للطائفة اليهودية في بيروت. جمع

إلى جانب التجارة العامة شراء الذهب والنقود الثمينة والصيرفة فكان من كبار تجار بيروت في هذا المجال. خلال إقامته بمصر نال أوسمة مختلفة أهمها وسام الرتبة الثانية لخدماته في الإدارة الحكومية المصرية.

ـ **إسكندر ديمتري**: ولد بدمياط عام ١٨٦٠ من أسرة مهاجرة إليها من جبل لبنان منذ أوائل القرن التاسع عشر. والده التاجر الشهير في دمياط، حنا ديمتري. تعلم في مدارسها وفي مدارس بيروت اليسوعية وأكمل دراسة العلوم والمحاسبة فيها. أتقن العربية والفرنسية مع إلمام بالإنجليزية.

عين سكرتيرًا لمدير الفنارات «المنارات» بدمياط. انتقل إلى وزارة المالية وعين برتبة رئيس قسم الترجمة بسبب معرفته للغات عدة. نقل إلى وزارة الداخلية لقلم الترجمة وأصبح وكيلًا لمدير الداخلية ومراقبًا للوزارة. نال أوسمة عدة أبرزها النيشان المجيدي الثالث، ونيشان النيل من المرتبة الثالثة.

ـ **الدكتور أسعد راشد**: من أسرة معروفة في مرجعيون كانت على علاقة وثيقة بالقطر المصري منذ مطالع القرن التاسع عشر. فالجد، موسى راشد، كان من معاوني إبراهيم باشا في حملته على سوريا. والأب، حنا راشد، أقام صلات بالسلطنة العثمانية وكانت له تجارة واسعة جدًا حتى إنه بنى كنيسة للروم الكاثوليك في مرجعيون من ماله الخاص.

ولد أسعد راشد في جديدة مرجعيون عام ١٨٦٣، وتعلم في مدرستها ثم أكمل دراسته في الكلية الأمريكية في بيروت فنال شهادة دكتور في الطب. أتقن العربية والإنجليزية وهاجر إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر حيث عين برتبة ملازم أول في الجيش المصري وترقى فيه إلى رتبة صاغ إلى أن أنهى خدمته عام ١٩٢٥. تزوج من حفيدة حنا بك بحري الكبير، أحد مهندسي السياسة المصرية في سوريا إبان حملة إبراهيم باشا ورزق ثلاثة أبناء ذكور وابنتين.

اشترى أملاكًا واسعة في مديرية دنقلا بالسودان بلغت مساحتها قرابة ثمانمائة فدان من الأراضي الزراعية الخصبة، كان أول من أدخل أساليب الزراعة الحديثة إلى منطقة دنقلا السودانية فدرت عليه ثروة كبيرة. عاد أواخر أيام حياته إلى مسقط رأسه مرجعيون وتوفي فيها تاركًا أحد أبنائه، يوسف، يدير أملاك والده الواسعة في السودان

ومصر. وليست لدينا معلومات وافرة عن الأبناء سوى أن شارل راشد أكمل دراسته في الجامعة الأمريكية وتخرج فيها عام ١٩٢٤.

ولا تختلف سيرة أسعد راشد عن غيرها من مهاجري الشوام إلى مصر. إنه نموذج الطبيب الذي يتخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم ينخرط في الجيش المصري، ويرسل إلى السودان، وينال أوسمة مصرية وعثمانية وميداليات حرب بريطانية، ويشتري أراضي واسعة ثم ينهي خدماته ليستقر في مصر أو يعود إلى لبنان، وذلك على غرار غالبية المهاجرين من الأطباء في هذه المرحلة.

- **سليم جرجس رباط**: من أصل حلبي جاء صغيرًا إلى القاهرة عام ١٨٩٢، حيث عمل مستخدمًا صغيرًا لدى تاجر الحديد المشهور كوستر (Coster) لمدة خمس عشرة سنة. استقال عام ١٩٠٧ من العمل الوظيفي وفتح له محلًا خاصًا للتجارة وحصل على وكالة لإصلاح بواخر لنز (Lenz) الألمانية. توسعت تجارته كثيرًا بعد حصوله على عدد وافر من الوكالات التجارية فأصبح من كبار تجار القاهرة. إبان الحرب العالمية الأولى أصبح سليم رباط ملتزمًا لكل ما يحتاجه الجيش الإنجليزي في مصر أثناء الحرب. جمع ثروة طائلة وظف قسمًا منها لشراء العقارات والأراضي الزراعية في مختلف أنحاء مصر، واشترى بنايات كثيرة للإيجار وكان يعد من أصحاب الثروة والجاه وله مساهمات خيرية في كثير من الجمعيات التي أسسها مهاجرو الشوام في مصر.

- **سلامة رزوق**: ولد في دمياط من عائلة ترجع بنسبها إلى طرابلس الشام ثم هاجرت إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر، كان والده ترجمان القنصلية الروسية في دمياط ومن أبرز الأعيان فيها. أتقن سلامة العربية والفرنسية والروسية ونال إجازة في الحقوق وورث عن والده العمل القنصلي في السفارة الروسية في دمياط وأصبح نائب القنصل فيها. مارس العمل التجاري في دمياط ثم انتقل بعائلته وتجارته إلى القاهرة واستقر فيها تاركًا وراءه أملاكًا واسعة في دمياط أدارها مع أبنائه من القاهرة حيث ازدهرت تجارته وكان من كبار أثرياء الشوام فيها. أبرز نشاطاته الاجتماعية عضويته للجمعية الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة وأمين الصندوق فيها لسنوات طويلة.

ـ **سليم رطل**: وُلد بدمشق في ٥ حزيران (يونيو) ١٨٦٠، في أسرة معروفة بالتجارة في بلاد الشام. درس في مدارس دمشق وأكمل دراسته الثانوية في المدرسة البطريركية الكاثوليكية في بيروت. هاجر إلى مصر عام ١٨٧٨، وعمل مترجمًا في وزارة المالية بالقاهرة. درس الحقوق ونال الشهادة من جامعة أكس الفرنسية وعمل في المحاماة بالوجه القبلي. كان وكيلًا للإرساليات الفرنسيسكانية بمصر منذ عام ١٨٩٦، وعلى علاقة وثيقة بالسفارة الفرنسية بالقاهرة. ساهم في كثير من الترجمات الحقوقية إلى اللغة العربية. منح أوسمة عدة من حكومات فرنسا والنمسا والمجر ونيشان الخديوي من المرتبة الثانية.

ـ **آل الريّس**: أسرة مشهورة في بكفيا وانتقل الكثير من أفرادها إلى مصر منذ القرن التاسع عشر. ولد عزيز الريس في المنصورة عام ١٨٩٢، وتخرج في مدرسة دار المعلمين المصرية في القاهرة ونال شهادتها عام ١٩١٤. مارس التعليم في مدارس مصر الرسمية لمدة تزيد على العشرين عامًا وألف كتابًا طبع في مصر في أصول التربية الوطنية.

ـ إلياس يوسف الريس: ولد في القاهرة عام ١٩٠٥، وتعلم في مدارسها ومارس التعليم في المدارس اليسوعية في القاهرة.

ـ أنطوان الريس: من المهاجرين القدامى في مصر ولد عام ١٨٩٢ في بكفيا، وسافر إلى القطر المصري حيث عين وكيلًا للقنصل الفرنسي في المنصورة وتوفي فيها عام ١٨٩٤.

ـ بطرس الريس: ولد في المنصورة عام ١٨٥٥، وتعلم في مدارسها. عمل وكيلا للقنصل الفرنسي في «ميت غمر» توفي عام ١٩٢٠ في القطر المصري.

ـ أسعد الريس: ولد في المنصورة عام ١٨٦١، وعين أيضًا وكيلًا للقنصل الفرنسي في «ميت غمر» توفي عام ١٩٢١.

ـ ضاهر الريس: ولد في المنصورة عام ١٨٨٥ وتعلم في مدارسها. عين مراسلًا لكثير من الصحف المصرية لمدة ثلاثين سنة وكان مندوبًا صحفيًا في جميع الرحلات الخاصة التي قام بها السلطان حسين والملك فؤاد الأول. له كتاب مطبوع بعنوان «**روض الرياحين فيما كتب قبل الثلاثين**»، نشر في القاهرة عام ١٩١٢.

- بشارة أمين الريس: ولد في القاهرة عام ١٩٠٥، وتعلم في مدارس مصر العالية ونال البكالوريا ثم الحقوق عام ١٩٢٧. عمل في الحقل القضائي وعين نائبا عامًا لمحكمة شربين المجاورة للمنصورة.

- الدكتور إدوار أمين الريس: ولد في المنصورة عام ١٩٠٧، وتعلم في مدارس القاهرة ونال شهادة الطب من قصر العيني سنة ١٩٣٣، مارس مهنة الطب في بلدة سمنود.

- إلياس سليم الريس: ولد في المنصورة عام ١٩٠٧. نال البكالوريا المصرية وعمل في مصلحة المساحة في الجيزة ابتداء من عام ١٩٢٤.

لقد عمل الجيل الأول من مهاجري هذه الأسرة في التجارة والأملاك العقارية في المنصورة. وكان الجيل الثاني على علاقة وثيقة بالعمل القنصلي، خاصة مع القنصليات الفرنسية. وانصرف الجيل الثالث إلى الصحافة والعمل في الوظائف المصرية وبعض المهن الحرة وليس في تاريخ هذه الأسرة ما يشير إلى تعلم أفرادها خارج المدارس المصرية. لذلك استقر جميع من ذكرناهم من آل الريس في مصر وليست لدينا إشارات واضحة عن مغادرتها، حتى عام ١٩٣٥. لقد اجتذبت الإدارة المصرية أبناء الجيل الثالث من مهاجري هذه الأسرة كما اجتذب العمل التجاري، وإدارة الأملاك، والعمل القنصلي، الجيل الأول والثاني منها.

- **زاهد ووديع زبال:** من أسرة تعود بجذورها إلى دمشق حيث كانت تتعاطى التجارة ثم انتقل بعض أفرادها إلى بيروت واستقروا فيها كما هاجر بعضهم إلى مصر للعمل التجاري. هاجر زاهد زبال إلى القاهرة عام ١٩٠٧، وعمل شراكة مع حبيب شلهوب لكنه ترك الشراكة وأسس محلًا تجاريًا وتعاطى السمسرة والقومسيون فدرت عليه أرباحًا طائلة. لذلك استدعى أخاه، وديع زبال، الموظف في البنك العثماني في دمشق وأنشأ معه وكالات مستقلة وفروعًا مختلفة لتجارتهما ونالا وكالة فبارك أجنبية عديدة. وفي عام ١٩١٤ أسس الأخوان زبال مصرفا صغيرًا للرهونات والتسليف لقاء رهن على المصاغ والجواهر بفوائد قانونية مرخصة من الحكومة. لكن هذه التجارة تدر أرباحًا طائلة في فترة زمنية قصيرة لأن الاتجار بالذهب، المصنع والخام، يخضع لتقلبات الأسعار والعرض والطلب والاحتكار. ويتحمل المودعون أو أصحاب المصاغ المرهونة لقاء مبالغ ضئيلة وفوائد فاحشة وزر هذه التقلبات فيخسرون مصاغهم وليراتهم الذهبية لصالح العاملين في هذه التجارة.

ـ **يوسف زنانيري**: ولد في بيروت عام ١٨٧٤، لأسرة غنية ومشهورة. فوالده الطبيب والتاجر البيروتي الكبير حبيب زنانيري الذي هاجر إلى مصر واستقر في الفيوم عام ١٨٩٠. تلقى يوسف دراسته الأولى في مدارس عينطورة وبيروت وأتقن العربية والفرنسية. انصرف باكرًا إلى العمل التجاري لدى أخواله من آل حداد في مصر ثم أسس لنفسه محلًا كبيرًا في الفيوم بعد أن أصبحت لديه الخبرة الكافية بالإضافة إلى الثروة الموروثة.

عمل أيضا وكيلًا لأديرة الراهبات في مصر سنوات طويلة. كان إيطالي النزعة فمنحته الحكومة الإيطالية لقب «كومندور» نظرًا لخدماته الكثيرة للمصالح الإيطالية في مصر والمشرق العربي، كما عينته وكيلًا لقنصليتها في مديرية الفيوم ابتداء من عام ١٩٠٠.

عمل يوسف زنانيري في حقول اجتماعية واقتصادية متنوعة وجمع ثروة كبيرة جعلته من كبار أفراد الجالية السورية ـ اللبنانية في مصر.

ـ **آل زلـزل**: أسرة ذات نفوذ كبير في جبل لبنان ولعبت دورًا بارزا في القطر المصري على مستويات عدة.كان إسكندر بك حنا زلزل ترجمانًا لداود باشا في مطلع عهد المتصرفية حين استدعاه شريف باشا، رئيس الحكومة المصرية، لخدمة الخديو.

عين وكيلًا لمحافظة الإسكندرية وبور سعيد وكان من المهاجرين القلائل الذين نالوا مناصب رفيعة في عصره. أما الدكتور بشارة جبرائيل زلزل فقد تلقى علومه في الكلية الإنجيلية السورية في بيروت وكان من مشاهير عصره في علوم اللغة. أنشأ بالاشتراك مع الشيخ إبراهيم اليازجي مجلة «البيان» في القطر المصري واستمرت في الصدور لفترة طويلة. وخدم نصري بك إسكندر زلزل في الحكومة المصرية في مناصب عديدة أبرزها مفتش عام للبلديات طيلة ثلاثين سنة. وتولى أيوب بك زلزل وظيفة معاون محافظ المديرية الغربية بمصر. أما هنري ميشال زلزل فقد انصرف إلى العمل المصرفي والمالي مع أخيه فيليكس.

ـ **جبران سالم**: ولد في دمشق عام ١٨٦٨، وهاجر إلى «المحلة الكبرى»، إحدى مدن الوجه البحري بمصر. تزوج عام ١٨٨٩ من أديل بشارة النابلسي، التاجر

البيروتي المعروف الذي يعود نسبه إلى نابلس لكن العائلة انتقلت إلى بيروت قبل أن يهاجر بشارة النابلسي إلى المنصورة مع عائلته. مارس جبران سالم تجارة نقل البضائع بين الشام ومصر برأسمال صغير في البداية. انتقل إلى تجارة القطن وشراء الأطيان وزراعتها حتى بات من كبار المزارعين والتجار في المحلة الكبرى. توفي عام ١٩١٧، وليست لدينا معلومات دقيقة عن أبنائه من بعده.

ـ **حنا سركيس**: ولد في بيروت عام ١٨٧٠، وتلقى علومه في مدارسها الابتدائية وفي المدرسة البطريركية. تتلمذ على الشيخ خليل اليازجي وزامل خليل مطران في الدراسة. أتقن العربية والفرنسية وهاجر إلى الإسكندرية في سن مبكرة حيث تعين موظفًا في الجمارك عام ١٨٨٦، وتدرج إلى رتبة مراقب التخمين والتعريفات فيها. تزوج من عائلة جبارة من مرجعيون جريًا على عادة مهاجري الشوام إلى مصر بالتزاوج فيما بينهم. كانت له نشاطات صحفية وأدبية متنوعة أبرزها مقالات منشورة في مجلة «أنيس الجليس» المصرية. ولد ابنه جورج سركيس في الإسكندرية وتلقى علومه في مدرسة الفرير فيها ثم نال شهادة الهندسة الكيماوية من جامعات باريس وعاد للعمل في الإسكندرية.

ـ **نقولا سركيس**: ولد في بيروت وتعلم في المدرسة البطريركية وأتقن العربية والفرنسية. هاجر إلى مصر وعمل في التجارة العامة. اشترى الكثير من الأراضي الزراعية واستصلحها ومارس العمل الزراعي حتى بات من كبار ملّاكي الأراضي في القاهرة.

ـ آل **سرسق**: يبدو أن الكثير من العائلات الشامية الغنية التي هاجرت إلى مصر لم تترك وثائق مكتوبة حول تاريخها. لذلك وجدنا صعوبة في الحصول على بعض المعلومات الأصيلة حول تاريخ أسرة سرسق المعروفة جدًا في بيروت، خاصة في النصف الأول من القرن العشرين. يرجع أصل العائلة إلى صيدا حيث ولد نجيب بك سرسق عام ١٨٦٣. والده الوجيه الصيداوي ميخائيل سرسق. جاء عام ١٨٨١ إلى القاهرة لزيارة شقيقه نقولا ـ مما يشير إلى أن هجرة آل سرسق إلى القاهرة تعود إلى أواسط القرن التاسع عشر ـ تعلم نجيب في مدارس صيدا الابتدائية وأكمل دراسة المحاماة في القاهرة. اشتغل في مكتب محاماة مشهور فيها لمدة خمس سنوات ويعرف باسم «مكتب إثناساكي للمحاماة»، ويرجح أنه لمحام يوناني. مارس المحاماة

منذ عام ١٨٩٧، وكان شديد الاهتمام بالعقارات وله مقالات عديدة حول المسائل الزراعية في مصر. اشترى قرية أو «عزبة» بكاملها في مديرية المنوفية قرب القناطر الخيرية. هجر المحاماة إلى الزراعة واقتناء الأراضي فجمع ثروة عقارية كبيرة كانت له نشاطات اجتماعية عديدة أبرزها وكالته لدير راهبات القلبين الأقدسين الفرنسي في مصر. نال رتبة بك من الدرجة الثانية من السلطنة العثمانية عام ١٣٢٦ هجرية. كانت له شهرة اجتماعية واسعة كوجيه كريم وعلى علاقة وثيقة بالأدب ورجال الصحافة والأعمال. بعد إعلان دولة لبنان الكبير استقر نجيب سرسق في بيروت وأصبح عضوًا في المجلس النيابي اللبناني. كانت له ثروة طائلة وقصور فخمة ما زالت معروفة باسم حي السراسقة في بيروت حيث كان مقر المفوض السامي الفرنسي.

يستدل من ذلك أن مصدر ثروة آل سرسق في مصر العمل بالأراضي الزراعية الواسعة التي اشتروها وطوروا إنتاجها فدرت عليهم أموالًا طائلة. أقاموا علاقة مصاهرة مع كبار أغنياء الشوام في مصر خاصة آل لطف الله إذ تزوج الأمير جورج لطف الله من ابنة نجيب سرسق.

ـ **آل السوقي**: أسرة شامية مهاجرة إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر. درس بولس السوقي الحقوق في بيروت وأتقن العربية والفرنسية وهاجر إلى طنطا حيث أسس مكتبًا للمحاماة فيها عام ١٨٨٧. أبرز أعماله الاجتماعية تأسيسه للجمعية الخيرية الأرثوذكسية في طنطا التي تولى رئاستها لفترة طويلة.

ولد ابنه فريد في طنطا وتعلم في مدارسها ثم أرسله والده إلى الكلية الإنجيلية الأمريكية في بيروت، أتقن العربية والإنجليزية وعمل موظفًا في الجيش الإنجليزي. كان شقيقه فؤاد بولس السوقي (باش مترجم) في محاكم غزة ولدى حاكم فلسطين بالقدس ثم مترجمًا كبيرًا لدى حكومة السودان ولا نعرف الشيء الكثير عن حياته الأولى سوى ولادته في طنطا ونيله العمل في مدارسها والحصول على بكالوريا مصرية رسمية.

يلاحظ أن ولدي المحامي بولس السوقي، فريد وفؤاد، لم ينصرفا إلى التجارة أو المحاماة بل اختارا العمل الوظيفي لدى الإدارة البريطانية في مصر والسودان.

ـ **الدكتور باسيل سوسو**: ولد في صيدا عام ١٨٧٧، وتعلم في مدرستها الابتدائية

وأكمل دراسة الطب في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت ونال التخصص العالي في الطب من المكتب الطبي الشاهاني بالآستانة عام ١٩٠٩. إنه نموذج آخر على تنوع مصادر التعليم العالي للمهاجرين اللبنانيين، بين جامعات لبنان ومصر والآستانة وأوربا وأمريكا.

هاجر إلى مصر وتوظف في القسم الطبي في الجيش المصري وكان يتقن العربية والإنجليزية والتركية. رقي عام ١٩١٧ إلى رتبة يوزباشي ثم صاغ. عين طبيبًا في مصلحة سكة الحديد بين مصر والسودان ثم طبيبًا للمصلحة الملكية في القاهرة. كان أول طبيب ترسله الحكومة المصرية لمكافحة الأوبئة في منطقة سنار السودانية وجعلها صالحة للسكن. نال أوسمة عدة على خدماته الطبية أبرزها نيشان النيل من المرتبة الخامسة وميدالية السودان الذهبية. كانت له علاقة مستمرة بالعمل الصحافي فكتب مقالات هامة نشرت في المجلات الطبية الإنجليزية، ومنها المجلة الطبية الملكية في لندن لفت فيها أنظار الأطباء إلى أنواع عديدة من الأمراض المنتشرة في السودان وكيفية التخلص منها والوسائل الناجعة للوقاية أثناء حملة المكافحة. كان يعتبر مرجعًا طبيًا هامًا في هذا المجال.

ـ **داود سلامة**: من أسرة تعود بجذورها إلى بيروت وبأصولها القديمة إلى جبل لبنان. ولد داود في مدينة الزقازيق بعد أن وصلها والده المهاجر في أواخر القرن التاسع عشر في الزقازيق، إحدى أبرز مدن المديرية الشرقية، أنشأ داود مدرسة للبنين عرفت باسمه «مدرسة داود سلامة» كان على جانب واسع من الثقافة وإتقان اللغات، خاصة العربية والفرنسية والإنجليزية. كان يرغب في تأسيس مدرسة خاصة نموذجية على غرار المدارس الأوروبية الحديثة. فشل المشروع لأن التوظيف في هذا المجال كان قليل المردود، خاصة في السنوات الأولى، وبحاجة إلى دعم مادي كبير من جانب مؤسسات تعليمية أو تبشيرية كبيرة حتى يستطيع النهوض والاستمرار. تخلى داود عن مشروعه وألحقه بنظارة المعارف المصرية ثم انتقل إلى القاهرة فأنشأ محلًا تجاريًا كبيرًا وانصرف لأشغال السمسرة والقومسيون والوساطة التجارية فجمع ثروة كبيرة.

يتضح من سيرة هذا المهاجر أن التجارة بقيت في أساس نشاط المهاجرين. أما المشاريع الأخرى، من ثقافية أو صحافية أو رسم أو فنون فغير مربحة في الغالبية الساحقة منها. وما يهم المهاجر أن يجمع الثروة وينال الشهرة بمختلف السبل.

ولا يستثنى من هذه القاعدة سوى أبناء كبار المتمولين الذين يمارسون هواياتهم الإبداعية والفنية على قاعدة مادية ثابتة تضمنها لهم ثروة موروثة كبيرة ويزيد في حجمها عمل بعض الإخوة فينصرف الآخرون لأعمال ترتبط بالإبداع الذاتي ولا تدخل مباشرة في حقل التجارة وتوظيف الرساميل. وكانت هذه الفئة قليلة جدًا لدى مهاجري الشوام إلى مصر وانحصرت فقط في أوساط بعض كبار الأرستقراطيين منهم.

ـ **يوسف سياج وزوجته هيلانة:** ولد في دمشق ١٨٤٥، وهاجر إلى الإسكندرية واستقر فيها عام ١٨٦٤، وكان لا يزال فتى دون سن العشرين من عمره. تزوج من هيلانة جبران جبارة المولودة في الإسكندرية وتعود أصول أسرتها إلى مرجعيون في لبنان. تعاطى التجارة والعمل المصرفي وأسس وكالتين تجاريتين في الإسكندرية وكانت له مخازن للبضائع في مينا البصل بالإسكندرية. كان عضوًا في أول جمعية خيرية أرثوذكسية في الإسكندرية عام ١٨٧٥. لم ينجب أطفالًا فتبرع بقسم كبير من ثروته للجمعيات الخيرية والمستشفيات والأقرباء في بيروت ودمشق والإسكندرية. عندما توفي في ٢٤ آيار (مايو) ١٨٩٤ ترك ثروة كبيرة أدارتها زوجته هيلانة. تبرع يوسف سياج قبل وفاته بحوالي ١٢٠ ألف جنيه مصري للجمعيات الخيرية العاملة في مصر، ومعظمها جمعيات تخص المهاجرين الشوام فيها، ثم تبرعت زوجته أيضًا بمبلغ إضافي ناهز الثلاثين ألف جنيه لتلك الجمعيات. فالأعمال الخيرية كانت حافزًا لكثير من المهاجرين للتبرع بسخاء إلى الجمعيات التي أسسها وأدارها كبار متمولي الشوام في مصر، وساهمت في تعليم وإعالة عدد كبير من فقراء المهاجرين الشوام وما زالت بعض الجمعيات عاملة حتى الآن على الرغم من مرور أكثر من مئة سنة على ولادة بعضها، وعلى تبدل الظروف الاقتصادية والاجتماعية في مصر.

ـ **سليم الشامي:** ولد في القاهرة لأب مهاجر من دمشق. تلقى علومه في مدارس القاهرة وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعمل في حقل الصحافة لفترة قصيرة في جريدة «الشرق» التي كان يمتلكها صهره حنا جاويش. تزوج من ابنة الثري الكبير نجيب قصيري وعمل كوكيل لكثير من الشركات الزراعية الأوربية، خاصة الإنجليزية منها. عمل وكيلًا لأعمال باسيل غرة، صهر إسكندر صوصة الثري اللبناني الشهير في المنصورة. ونظرا لعلاقاته الاجتماعية الواسعة ولميوله الإنجليزية الواضحة، انصرف سليم الشامي إلى عمل المقاولات في مجالات متنوعة فكان متعهدًا لتموين الجيش الإنجليزي في مصر طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى.

ـ **نجيب شاهين**: ولد في صيدا وتعلم في المدرسة الإنجيلية العالية في ضهور الشوير ثم انتقل إلى الكلية الأمريكية في بيروت ونال بكالوريوس علوم عام ١٨٩٤. أتقن العربية والإنجليزية ومارس التدريس في مدرسة صيدا الأمريكية للصبيان لعام واحد ثم دعي للتحرير في «المقتطف» و «المقطم» خلال سنوات ١٨٩٥-١٨٩٩. عاد إلى لبنان للتدريس في الكلية الأمريكية في بيروت (١٨٩٩-١٩٠١)، ثم رجع إلى مصر ثانية حيث عين في أعمال حكومية في السودان لمدة عامين. وفي عام ١٩٠٣ عاد للتحرير في «المقطم» إلى أن تركها للعمل في جريدة «الجريدة»، لسان حال حزب الأمة وذلك عام ١٩٠٦. كان أميريكي النزعة ويعادي الانتداب الفرنسي من هذا الموقع. قام بترجمة تقارير اللورد كرومر إلى اللغة العربية وأصدرها في سبعة أجزاء عام ١٩١٤، عن «دار المقطم». اشتغل في مجلة «المقتطف» ما بين (١٩١٥ -١٩٢٢) وكانت له نشاطات صحفية كثيرة في حقل الترجمة بشكل خاص. تولى رئاسة قلم الترجمة في جريدة «السياسة» المصرية وكان أول من ترجم تقرير لجنة كنج ـ كراين إلى اللغة العربية. أصدر اثنتي عشرة مقالة عن **حملة الأقلام في مصر والشام** وظهرت تباعًا في جريدة «الأخبار» لصاحبها يوسف الخازن.

يعتبر نجيب شاهين من أفضل مترجمي هذه المرحلة. كان غزير الإنتاج مع دقة واضحة في الترجمة وحسن اختيار للموضوعات التي ترجمها. نالت أعماله شهرة واسعة بسبب إقبال الناس عليها، على كافة المستويات، للاطلاع على المخططات السياسية التي تعد للمشرق العربي في الربع الأول من القرن العشرين.

ـ **فرج شحاتة أو شحادة**: ولد في زحلة في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٩، تعلم في مدارسها وأكمل دراسته في مدرسة سوق الغرب للمرسلين الأمريكيين وفي الكلية السورية الإنجيلية الأمريكية في بيروت حيث نال شهادة بكالوريوس في العلوم وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. هاجر إلى مصر وعمل لمدة ثمانية أشهر في قلم وزارة الأوقاف العمومية المصرية قبل أن ينتقل إلى وظيفة خاصة في شركة كوك السياحية في القاهرة. انتقل إلى وزارة الحربية المصرية في ١١ حزيران (يونيو) ١٨٩٢، حيث تعين في وظائف محاسبة في سواكن وطوكر، ومن ثم في الحرس الخديوي، كما رافق الحملة المصرية ـ البريطانية على السودان عام ١٨٩٨. عين (باش كاتب)، أي رئيس قلم في مديرية سنار السودانية ثم في مديرية الخرطوم عام ١٩٠٣ وعين ابنه نسيب شحاته موظفًا في إدارة السودان.

بعد فترة وجيزة انتقل فرج إلى وزارة المالية السودانية فعين موظفًا كبيرًا في مكتب الوزير واشترى أراضي زراعية واسعة في السودان. نال ميدالية السودان من المرتبة الثانية وكانت له علاقة بتنظيم المحفل الماسوني في الخرطوم، ووصل إلى المرتبة الثامنة عشرة فيه كما عمل في محفل زحلة الماسوني بعد عودته النهائية للاستقرار فيها.

وتشير المراجع أيضًا إلى بشارة شحاتة المولود في بيروت والذي هاجر إلى مصر صغيرًا، ولسنا ندري صلة القرابة بين فرج وبشارة وما إذا كانت رحمية أو قرابة بعيدة. لكن بشارة أكمل دراسته في مدرسة الفرير بالقاهرة وأتقن العربية والفرنسية وعمل موظفًا في صندوق بنك الرهنيات بالقاهرة. وليست لدينا معلومات إضافية حول هذه الأسرة غير المعروفة كثيرًا في مدينة زحلة ولم يشتهر أفرادها في القطر المصري الذي هاجروا إليه.

ـ **ميشال شختورة**: ولد بالإسكندرية في ١٤ آب (أغسطس) ١٨٨٢ لأب مهاجر من جبل لبنان هو حنا شختورة. تعلم في مدارس الإسكندرية خاصة الفرير ثم أرسله والده إلى مدرسة عين تراز في جبل لبنان ومن بعدها إلى باريس حيث نال إجازة في العلوم التجارية. أتقن العربية والفرنسية وأشرف على أعمال والده التجارية الواسعة في الإسكندرية. اشتغل في بورصة مينا البصل وفي تجارة القطن المصري. جمع ثروة كبيرة وكانت له أملاك عقارية واسعة. أبرز نشاطاته الاجتماعية عضويته للجمعية الخيرية للروم الكاثوليك بالإسكندرية.

ـ **آل الشدياق**: أسرة مشهورة في جبل لبنان هاجر عدد كبير من أفرادها إلى مصر. ولد حبيب زين الشدياق في بكفيا عام ١٨٦٢، وتعلم في مدرسة الحكمة في بيروت ودرس الحقوق في مصر. زاول المحاماة فاشتهر كثيرًا ونال لقب بك من الخديو عباس توفي ودفن في مصر عام ١٩٢٢. أما نسيبه زين الشدياق فمن مواليد بكفيا ١٨٦٠. هاجر إلى مصر وعمل في الصحافة والترجمة. توفي ودفن في مصر عام ١٨٩٥. ونشير أيضًا إلى عبد الله الشدياق المولود في المنصورة. تعلم في مدارسها وعين رئيسًا لقلم المحكمة الاستئنافية فيها. استقر هناك ومات ودفن في المنصورة.

ـ **آل شكّور**: أسرة شامية تعود بجذورها إلى عين زحلتا في جبل لبنان حيث ولد

ملحم شكور عام ١٨٥٠، وهاجر إلى مصر للاستشفاء عام ١٨٦٦، ثم عاد إلى بلدته لإدارة أملاكه حتى ١٨٨٠ حين عاد مجددًا إلى مصر. تلقى دراسته الابتدائية في عين زحلتا وأكملها بالمدرسة الوطنية في بيروت وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. عمل بنظارة الحربية المصرية منذ عام ١٨٨١ حتى ١٨٨٤، وشارك في الحملة على السودان ١٨٨٤ ـ ١٨٨٦، وحضر معارك كثيرة في توشكى وسواكن والجميزة. كان على ارتباط وثيق بالسياسة البريطانية في المشرق العربي وله صداقات واسعة مع القيادات العثمانية والمصرية. نال عدة أوسمة كبيرة منها الوسام المجيدي الرابع، والوسام المجيدي الثالث، والوسام العثماني الرابع، وميدالية النيل، ووسام النجمة المصرية، وهي تدل على المكانة الرفيعة التي احتلها في الإدارة المصرية ـ السودانية بعد الاحتلال البريطاني لهذين البلدين.

ولا نملك معلومات كافية حول صلة النسب بين ملحم شكور وكل من يوسف شكور ومنصور نجيب شكور فلعلها قرابة الدم (أبناء أو إخوان أو أنسباء) أو قرابة بعيدة، أو من عائلة أخرى ذات أصل شامي واحد.

ولد يوسف شكور بالإسكندرية في ٧ حزيران (يونيو) عام ١٨٥٥، لأب مهاجر من الشام. تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في الإسكندرية، ودراسته العليا بالاقتصاد في جامعة ليون (Lyon) الفرنسية وأتقن العربية والفرنسية. عاد إلى الإسكندرية عام ١٨٧٦، وعمل موظفًا في الدائرة المالية فيها، ثم رئيسًا لها وعند تأسيس المجلس البلدي بالإسكندرية تولى يوسف شكور رئاسة أول مجلس فيها.

ولد منصور نجيب شكور، بالقاهرة عام ١٨٦٨، من أبوين مهاجرين من لبنان، كما تقول بطاقة هويته. تلقى علومه في مدارس القاهرة وانتقل إلى لندن وسويسرا حيث نال شهادة الهندسة في أشغال الصلب والحديد وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. عمل موظفًا في وزارة الأشغال المصرية لمدة ثلاث سنوات انتقل بعدها إلى مصلحة سكة الحديد برتبة مفتش عام في قلم الهندسة ثم رئيسا لمصلحة الكهرباء والإنشاءات فيها. تقلب في وظائف حكومية رفيعة لكنه لم يستقر بسبب الدخل المحدود فاستقال وانصرف إلى التجارة والمقاولات وتأسيس الشركات الخاصة. أهّلته ثقافته، وخبرته الواسعة، وإتقانه عدة لغات، لرئاسة شركة الأبحاث الكبيرة، ثم رئيسًا للشركة الأوربية للمقاولات، ثم رئيسًا لشركة المباني في القبة لبيع الشقق الجاهزة وتأجيرها. كانت

له صلات وثيقة بالبنوك الأجنبية أو التي يمتلكها الشوام في مصر فكان عضوًا في مجالس إدارة عدد كبير منها.

كانت له نشاطات سياسية محدودة وكان يتمتع بثقة الكثير من كبار مهاجري الشوام في مصر ومن الحكومة المصرية نفسها نظرًا لاتزانه وعدم انحيازه السياسي لذلك رأس وفد الجالية السورية ـ اللبنانية في مصر لتهنئة السلطان العثماني بعد انقلاب ١٩٠٨. نال أوسمة كثيرة من الدرجات العليا أهمها لقب بك من الحكومة المصرية عام ١٨٩٦، ثم ميرميران مع لقب باشا، ثم النيشان المجيدي من الرتبة الثانية عام ١٩٠٦.

ـ **جبرائيل وإلياس شلهوب**: من مواليد دمشق هاجر جبرائيل إلى الإسكندرية بعد دراسة ابتدائية وثانوية بدمشق ونال شهادة الحقوق من فرنسا، أتقن العربية والفرنسية وعمل في وظائف حكومية متنوعة بالإدارة المصرية كان فرنسي النزعة مقربًا من القنصل الفرنسي بالإسكندرية، أبرز نشاطاته الاجتماعية انتخابه نائبًا لرئيس الجمعية الخيرية السورية الأرثوذكسية بالإسكندرية.

ولد شقيقه إلياس بدمشق عام ١٨٦٩، وتعلم في مدارسها أتقن العربية والفرنسية ثم هاجر إلى القاهرة عام ١٨٨٩، وعمل في التجارة الخاصة وأصبح وكيلًا لعدة فبارك أوربية. وفي عام ١٩٢٤ باع محله في القاهرة وهجرها إلى اليابان حيث كان أخوه معتمدًا لإحدى الشركات اليابانية في الشرق الأوسط، ومارس معه الوساطة التجارية بين الشركات اليابانية والأسواق التجارية الشرق أوسطية. وتلك إشارة إلى دخول الرساميل اليابانية إلى هذه المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى فكان المهاجرون الشوام في عداد المستفيدين منها والعاملين فيها، فهم لم يرتبطوا بجهة واحدة أو برساميل معينة بل توزعوا على الرساميل والشركات والفبارك التي تؤمن لهم الربح السريع والثروة الكبيرة وهي سمة نشير إليها بعبارة «أممية المهاجر اللبناني» وتكاد تكون أبرز سمات المهاجر الذي يتمتع بقدرة فائقة على تبديل العمل، والوظيفة، والسكن، والنشاط التجاري عندما يوفر له التبديل ما يرغب من الجاه والثروة. حتى إن كثيرًا من المهاجرين اللبنانيين يتنقلون بين بلد وآخر قبل الاستقرار النهائي في عمل مربح ومضمون النتائج المادية.

- **ألفريد شمّاس**: ولد في القاهرة عام ١٨٧٦. والده جورجي الشماس مولود أيضًا في القاهرة لأب مهاجر من شمال لبنان للعمل في تجارة الصوف وتصديره من الشرق الأوسط إلى إنجلترا. درس ألفريد شماس في مدرسة الآباء اليسوعيين في القاهرة وما لبث أن ترك المدرسة باكرًا لإدارة أعمالهم التجارية بعد وفاة والده. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية. انصرف إلى تجارة الصوف فكان من كبار العاملين فيها ثم أبدي اهتمامًا كبيرًا بزراعة القطن وتصنيعه وتسويقه، فكتب تقارير كثيرة في هذا المجال نشرت في أوربا بلغات متعددة حول زراعة القطن وكيفية تطوير إنتاجه في مصر. أقام علاقات تجارية وطيدة بمحلات سلفاجو (Sulfago) وشركاهم، وهم أبرز تجار القطن بالقناطر الخيرية. عندما تأسس البنك الأهلي المصري عام ١٨٩٨ مثَّل ألفريد شماس فيه شركة سلفاجو ثم عين مديرًا للبنك في مدينة بنها بمديرية القليوبية. أنشأ ألفريد فرعًا لتسليف صغار مزارعي القطن ومخازن جمعه (الشون) ومع نجاح التجربة أسس البنك الأهلي شركة مالية باسم «البنك الزراعي المصري لتسليف الفلاحين» برأسمال قدره عشرة ملايين جنيه مصري بمديرية القليوبية وأسند إدارته إلى ألفريد شماس.

بسبب الضائقة المالية الخانقة في مصر (١٩٠٦، ١٩٠٧)، هبطت أسعار الأسهم في شركات القطن وغيره من الإنتاج الزراعي وشركات المباني والفنادق وغيرها وأفلست بعض البيوتات المالية المحلية والأجنبية في مصر. لكن ألفريد شماس اجتاز تلك الأزمة بدعم من البنوك الفرنسية والإنجليزية وأحد المصارف اليهودية.

وفي عام ١٩٢٣، عينه سعد زغلول، إلى جانب يوسف سابا وميشال أيوب، أعضاء في مجلس الشيوخ المصري كممثلين للسوريين المقيمين في مصر.

إن سيرة حياة ألفريد الشماس نموذج واضح على النفوذ المالي والسياسي للمهاجرين الشوام في مصر بسبب غناهم الاقتصادي. فقد جمع هذا التاجر ثروة طائلة في تجارة الصوف والقطن، ومارس العمل المالي كمدير لأحد البنوك المحلية، وامتلك أراضي واسعة جدًا نالها بمساعدة محافظ البنك الأهلي السيد ألون باللمر (Palmer) ومعظمها من أراضي الدولة والمشاع، مكنته ثروته من شراء كثير من الأراضي بأسعار بخسة فعمل على استصلاحها وتطوير إنتاجها ورفع أسعارها.

كان له نفوذ تجاري واسع كوكيل لعدة فبارك أوربية، ونفوذ كبير في الدولة. مثل الحكومة المصرية في حزيران (يونيو) عام ١٩٢٤ كمندوب لمجلس الشيوخ المصري في المؤتمر الدولي التجاري في بروكسيل وطالب فيه بإلغاء الامتيازات الأجنبية وإطلاق يد الدولة المصرية في تحديد ضرائب الجمارك فيها، خاصة على السلع الأجنبية، ورفع الرسوم من ٨ إلى ١٥٪. مثَّل مجلس الشيوخ مرة أخرى في برن (Bernes) سويسرا عام ١٩٢٥. كان عضوًا في مجالس إدارة عدة شركات أوربية ومحلية منها شركات الأمنيبوس (Omnibus)، وعضوًا في المجلس الاقتصادي المصري ويعد من كبار رجال الاقتصاد والمال في مصر. انتخب بالإجماع رئيسًا للجنة الاكتتاب للهلال الأحمر المصري. وعندما أعلنت موازنة مصر لعام ١٩٢٥، تبين فيها وجود ٢٠ مليون جنيه كاحتياطي للحكومة المصرية، فطالب ألفريد شماس في مجلس الشيوخ بصرف ذلك الاحتياطي في مشاريع إنمائية تحتاج إليها البلاد وأخذت الحكومة باقتراحه. انتخب سكرتيرًا لغرفة التجارة المصرية لمدينة القاهرة عدة مرات، وأمينًا لصندوق النقابة الزراعية العامة في مصر. نال نيشان مصر عام ١٩٢٦، ونيشان ملك البلجيك وعدة أوسمة أخرى.

ـ **ميشال شمّاع**: ولد في القاهرة لأب صيرفي مشهور هو جبرا شماع الذي هاجر من حلب إلى الإسكندرية عام ١٨٦٥، واشتغل بتجارة المجوهرات والحلي ثم نقل تجارته إلى القاهرة حصل ميشال على إجازة العلوم المالية من القاهرة وأتقن العربية والفرنسية وعمل في محلات والده للصيرفة وتجارة الحلي والمجوهرات فأصبح من كبار أثرياء الشوام في مصر ومن أصحاب النفوذ فيها. وكان ميشال أحد أبرز أعضاء الجالية اليهودية في مصر وله نشاطات سياسية واسعة بالارتباط مع الحركة الصهيونية العالمية.

ـ **آل الشمعة**: من أسرة تعود بجذورها إلى بكفيا حيث هاجر بعض أفرادها إلى مصر. تخرج خليل شبلي الشمعة في المدرسة الحربية المصرية وخدم في الجيش المصري ثم غادره إلى لبنان بعد إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠، وعمل في السلك العسكري حتى تركه برتبة نقيب. أما توفيق أسعد شمعة فمولود في مصر عام ١٨٩٦ وتخرج في مدرسة التجارة العليا بالقاهرة ونال شهادتها عام ١٩٢١، وتوظف في القسم الميكانيكي لوزارة الأشغال العامة المصرية. استقر في القاهرة وتوفي ودفن فيها.

ـ **فؤاد الشمالي**: ولد في سهيلة كسروان وتلقى علومًا ابتدائية في مدارس جبل لبنان وسافر إلى مصر حيث عمل في صناعة الدخان وأمضى فترة طويلة من حياته. مارس العمل النقابي والسياسي في مصر وانتخب عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري أبعد عنها عام ١٩٢٣، فعاد إلى مسقط رأسه لبنان في ٢٢ آب (أغسطس) وشارك بنشاط في العمل النقابي فترأس «نقابة عمال الدخان في بكفيا». كانت له نشاطات نقابية وسياسية بارزة حتى وفاته. ونشر الكثير من المقالات الهامة في صحف بيروت خاصة «الإنسانية»، و«العمال» و«صوت العمال»، ومجلة «العاصفة» وغيرها. أصدر كتابه الهام «نقابات العمال» في بيروت عام ١٩٢٩، فكان أول كتاب جامع حول تنظيم الحركة النقابية ودورها التاريخي يصدر في لبنان. أصدر كتابًا آخر يعتبر رائدًا في بابه بعنوان **أساس الحركات الشيوعية في البلاد السورية ـ اللبنانية**، نشر في بيروت عام ١٩٣٥.

يعتبر فؤاد الشمالي من أبرز القادة النقابيين اللبنانيين الذين تدربوا على العمل النقابي والسياسي في مصر وأسهموا في تطبيقه على أرض لبنان. وقد أبعدته السلطات المصرية «نظرًا لميوله البولشفية». وكان له تأثير مباشر على يوسف إبراهيم يزبك وعملا معًا على تأسيس الحزب الشيوعي اللبناني الذي أعلن في ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٢٤، باسم «الحزب البولشفيكي» وكان الوجه العلني له «حزب الشعب اللبناني». وقد بدأ الاهتمام العلمي يتزايد حول هذا الجيل من رواد الفكر الاشتراكي العلمي في لبنان ويكون لفؤاد الشمالي موقع بارز فيه إذ كان من القلائل الذين جمعوا بين النظرية والتطبيق، وأمضوا حياتهم كلها في النضال من أجل العمال والفلاحين في لبنان.

ـ **الدكتور فريد شهاب**: ابن الأمير مسعود شهاب وحفيد الأمير حسن شهاب شقيق الأمير بشير الثاني الشهابي الكبير ولد في غزير عام ١٨٧٤، وتعلم في مدرستها وأكمل دراسة الطب في الكلية السورية ببيروت والتخصص بجامعة بلتيمور (Baltimore) الأمريكية. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية هاجر إلى مصر عام ١٨٩٩ للعمل في الجيش المصري وترقى إلى رتبة يوزباشي ثم صاغ وأخيرًا بكباشي. عاد إلى جبل لبنان عام ١٩٠٣، واقترن بنسيبته ابنة الأمير سليم شهاب. نال ميداليات عدة من حكومتي مصر والسودان.

ـ **سامي الشوا**: من أسرة فلسطينية معروفة هاجر إلى مصر وتنقل بين القاهرة والإسكندرية نال شهرة واسعة في الحقل الفني كعازف موسيقي وكمؤلف لعدة مقطوعات موسيقية.

ـ **آل شيخاني**: أسرة معروفة في جبل لبنان ولد حبيب فضول الشيخاني في بكفيا عام ١٨٤٢، وتعلم في مدارسها ثم هاجر إلى القطر المصري عام ١٨٦٤. عين ناظرًا عامًا لدائرة خفر السواحل في بور سعيد والإسكندرية توفي إبان ثورة عرابي باشا.

ـ الدكتور فياض الشيخاني: ولد في القاهرة عام ١٨٥٢، وتعلم في مدارسها فنال شهادة الطب من مدرسة قصر العيني. زاول المهنة في مصر حتى وفاته فيها عام ١٩١٢.

ـ وديع الشيخاني: ولد في المنصورة عام ١٨٨٥، وتعلم في مدارسها وفي مدارس بيروت اليسوعية حتى عام ١٩٠٠. عاد إلى المنصورة حيث أسس جريدة «الدلتا» بالاشتراك مع المحامي أرنست داود، وإسكندر باشا مقصود فصدرت باللغتين العربية والفرنسية منذ عام ١٩١٢ حتى ١٩١٩، عاد إلى بيروت وأنشأ جريدة «الدبوس» وجريدة «الغربال» فصدرتا من ١٩١٩ حتى ١٩٢٩.

ـ الدكتور ميشال الشيخاني: ولد في الإسكندرية عام ١٨٩٨، وتخرج في المدرسة اليسوعية فيها عام ١٩١٦، ثم سافر إلى باريس لإكمال دراسة الطب عند تخرجه عام ١٩٢٦ استقر في العاصمة الفرنسية ولم يرجع إلى مصر أو إلى لبنان.

تدل سيرة آل شيخاني على تنوع الاستقرار السكني في مختلف المدن المصرية وخارجها، وتنوع تثقيف الأبناء بين مدارس مصر ولبنان وفرنسا، وتنوع الأعمال التي مارسوها في حقول الوظائف والتجارة والصحافة والمهن الحرة.

ـ **آل صافي**: إحدى الأسر المعروفة في بكفيا وجوارها. ولد داود بك صافي عام ١٨٧٤ لأسرة مهاجرة إلى مصر منذ سنوات طويلة عين وكيلا لقنصلية روسيا القيصرية في صعيد مصر عام ١٨٩٣، ونال لقب بك من الحكومة المصرية نظرًا لخدماته الواسعة. كانت له تجارة مزدهرة وأراضٍ كثيرة.

ـ الدكتور خليل صافي: ولد عام ١٨٨٠، ودرس الطب في نابولي فتخرّج فيها عام ١٩٠٣. مارس المهنة بالإسكندرية وتوفي فيها ١٩٢٩.

ـ الدكتور سليم صافي: ولد عام ١٨٨٦ ودرس طب الأسنان في مصر وتخرج في جامعتها عام ١٩١٠. زاول المهنة في القاهرة وتوفي فيها عام ١٩٣١.

ـ صافي أسعد صافي: ولد عام ١٩٠٠ ونال البكالوريا من المدرسة اليسوعية بالقاهرة عام ١٩١٨، والحقوق من الكلية اليسوعية في بيروت عام ١٩٢٢. عاد إلى لبنان واستقر فيه نهائيًا وترأس بلدية بكفيا خلال سنوات (١٩٣٢-١٩٣٤).

ـ الدكتورة إيلين داود صافي: تلقت علومها في مدرسة القلب الأقدس في مصر الجديدة ثم أكملت دراسة الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت وتخرجت عام ١٩٣١. تخصصت بالأمراض النسائية وزاولت المهنة في لبنان. أما شقيقتها إميلي داود صافي التي درست أيضًا في القلب الأقدس بالقاهرة وفي مدرسة الناصرة ببيروت، فقد تخصصت في مجال الصيدلة وتخرجت عام ١٩٣١، لتمارس المهنة في لبنان. يتضح من سيرة هذه الأسرة النموذج الأكثر دلالة للجيل الثالث من المهاجرين حيث تبرز الثقافة العالية على قاعدة المال التجاري الموروث. فانصرف الأبناء إلى المهن الحرة واستقر بعضهم في لبنان حيث كانت الحاجة ماسة إلى هذا النوع من المهن كالطب والصيدلة، كما استقر البعض الآخر في مصر حيث كانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية متشابهة لأوضاع بيروت. ويلاحظ أن الأطباء الذكور عادوا إلى مصر واستقر أصحاب المهن الحرة من الإناث في بيروت ولعل ذلك بسبب الزواج في لبنان أو لأسباب أخرى.

ـ **آل الصباغ**: من أسر بلاد الشام المعروفة في أكثر من منطقة سورية ولبنانية. هاجر بعضهم من حمص والبعض الآخر من بيروت أو صيدا وتلاقت فروع آل صباغ في مختلف المدن المصرية.

ولد المحامي أنطون عيد الصباغ في بيروت حيث تلقى علومه ثم هاجر إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر. أتقن العربية والفرنسية والتركية وتخصص في الشئون المالية والقضائية والعقارية. درس المحاماة في سن متأخرة فحصل عليها من إحدى الجامعات الفرنسية. حمل أوسمة عدة من مصادر عثمانية ومصرية وكانت له شهرة واسعة في الآستانة ومصر وسوريا.

ولد ابنه، يوسف صبّاغ، في بيروت ثم هاجر مع ذويه إلى مصر بعد أن نال قسطًا من

الثقافة في مدارس الآباء اليسوعيين والمدرسة البطريركية في بيروت. أكمل دراسته العليا في مدارس الآباء اليسوعيين بالقاهرة وأتقن الفرنسية والعربية قبل أن ينصرف إلى العمل التجاري. هاجر مع خاله، التاجر الشهير فيليب بولاد، إلى باريس عام ١٩٠٠ لحضور معرضها الكبير للمنتوجات الاقتصادية والصناعية.

لم يجتذب العمل التجاري يوسف صباغ فعاد إلى مصر لتولي مناصب حكومية عدة حتى استقر في البنك الزراعي المصري بوظيفة مدير فرع لمدة تزيد على الربع قرن ثم أحيل إلى التقاعد وسكن في القاهرة. فالاستقرار الوظيفي لدى الجيل الثالث من مهاجري الشوام إلى مصر كان أكثر بروزًا منه لدى الجيل الأول والجيل الثاني حيث كان العمل التجاري أكثر من سواه يجتذب غالبية المهاجرين.

ـ توفيق الصباغ: من أصل حمصي. هاجر ذووه إلى مصر واستقروا هناك للعمل التجاري وفي الوظائف. تلقى علومه في مدارس مصر ولندن وباريس وكان من أشهر عازفي الكمان حتى لقب بـ «ملك الكمان» بمصر.

ـ ألفريد صباغ: ولد ببيروت عام ١٨٨٠، وهاجر أهله إلى القاهرة يوم كان عمره بضعة أشهر فقط تعلم في مدارس الفرير وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعمل في التجارة كوسيط لشركات ألمانية وإيطالية لبيع الآلات الزراعية. أنشأ محلًا تجاريًا كبيرًا لبيع الآلات والأدوية الزراعية بالقاهرة وحصل على وكالة عدة فبارك أوربية للآلات والأسمدة والأدوية الزراعية. وفي عام ١٩١٩ عمل بالاشتراك مع المهاجر اللبناني أحمد حمزة الطرابلسي على إنشاء مصنع للثلج كان من أهم مصانع القاهرة وضواحيها.

ـ إسكندر صبّاغ: ولد في بيروت عام ١٨٨٧، وتعلم في مدارسها وأتقن اللغتين العربية والفرنسية، عمل في مجال الصحافة وساهم في تحرير عدة جرائد ومجلات أهمها جريدة «الشرق» التي تصدر بالإسكندرية، وجرائد «وادي النيل» و«الأخبار» و«البلاغ» و«المحروسة» وغيرها. ترأس قسم ترجمة الأخبار عن وكالات الأنباء العالمية في جريدة «الأهرام». لكنه جريًا على عادة كثير من مهاجري الشوام إلى مصر، لم يستقر في العمل الوظيفي والصحافي فهجره إلى التجارة حيث مارس النشاط في البورصة والأوراق المالية في مدينة الإسكندرية، وأصبح من كبار مستوردي بذور

القطن في مصر. يتضح من ذلك أن النشاط التجاري يبقى دومًا أساس نشاط معظم المهاجرين في حين ترتدي أعمالهم الأخرى، من ثقافية أو صحافية، طابع المؤقت أو المرحلي.

- جورج صبّاغ: والده التاجر وصاحب البنك المشهور «بنك حنا بك صباغ وشركاه» لم يمارس العمل التجاري بل انصرف إلى الرسم فكان من أبرز فناني مصر. نال ثقافة فنية عالية في مدرسة الفنون الجميلة في باريس ذات الشهرة العالمية وترك لوحات كثيرة معروفة في الأوساط الفنية المصرية.

- **رحمة وياقوت صرّوف**: ولدت رحمة خوري في بينو - عكار ١٨٨٠، وتلقت علومها في مدرسة البنات الأمريكية في طرابلس وعند تخرجها مارست التدريس في المدرسة نفسها لمدة عام كامل ثم انتقلت إلى المدرسة الأمريكية بحمص للتدريس. سافرت إلى الإسكندرية عام ١٨٩٩، وكتبت في جريدة «البصير» و«المقطم» ثم انتقلت إلى القاهرة حيث تعرفت إلى إسحق صروف، شقيق يعقوب صروف، وتزوجا في ٢٤ آذار (مارس) ١٩٠٦، ورزقا أربعة أولاد. مارست التعليم في الجامعة المصرية ونشرت مقالات موضوعة ومترجمة في عدة صحف ومجلات مصرية خاصة «المقتطف». تميزت مقالاتها بطرح مشكلة الفتاة والزواج ومكارم الأخلاق والرياضة البدنية والتدبير المنزلي. توفيت في ٢ آذار (مارس) ١٩٢١، وهي في الحادية والأربعين من عمرها.

أما السيدة ياقوت بركات صروف فمن مواليد سوق الغرب وهي ابنة أحد مؤسسي مدرسة الثلاثة أقمار في سوق الغرب. تعلمت في المدرسة الإنجيلية في بيروت وأتقنت العربية والإنجليزية تزوجت عام ١٨٧٨، من يعقوب صروف يوم كان أستاذًا في الكلية الأمريكية في بيروت. أسست مع زميلتها مريم نمر، شقيقة فارس نمر، جمعية «باكورة سوريا» الأدبية للسيدات واشتركت في مؤتمر اتحاد النساء العام في لندن ١٨٩٩. نشرت عدة مقالات في «المقتطف» و«المقطم» تناولت فيها تربية الأولاد، والعناية بالمعاقين، وأساليب التربية الحديثة، ومشكلة السفور والحجاب، والمهن اللائقة بالمرأة بالإضافة إلى كثير من المقالات الوصفية والوجدانية.

وقد نشرت السيدة سلمى مرشاق سليم مقالة مطولة بعنوان «اثنتان من آل صروف

نهضتا: رحمة وياقوت عندي منه الكثير» استندت في معلوماتها على أبحاث هاتين الأديبتين وعلى مقابلة مع الدكتور فؤاد صروف(*).

ـ **عبد الله صفير باشا**: ولد في بيروت عام ١٨٥٤، وسافر والده يوم كان صغيرًا إلى الإسكندرية للعمل التجاري فعهد إلى الآباء اليسوعيين أمر تربيته. درس في عينطورة ثم انتقل إلى مدارسهم في بيروت حيث نال البكالوريا الفرنسية. أتقن العربية وبصورة أفضل اللغة الفرنسية وجاء الإسكندرية في السادسة عشرة من عمره وعمل كاتبًا في القلم الأجنبي بالإسكندرية منذ عام ١٨٧١. نشر مقالات عدة في الصحف المصرية الصادرة باللغتين العربية والفرنسية، بعضها موضوع والبعض الآخر مترجم.

انتقل إلى دائرة البوليس المصري بالإسكندرية وعين ناظرًا لإدارة البوليس فيها عام ١٨٧٩، ثم ناظرًا لمحافظة القاهرة ورئيسًا لدائرة البوليس السري فيها عام ١٨٩١، ثم مديرًا لقسم الضبط بوزارة الداخلية المصرية ثم مراقبًا لقلم مطبوعات هذه الوزارة.

تؤكد سيرة عبد الله صفير أن جميع الوظائف المصرية، العسكرية منها والسياسية، كانت مفتوحة أمام مهاجري الشوام. فنال عبد الله صفير شهرة واسعة في حقل الإدارة العسكرية وحصل على أوسمة عدة أبرزها نيشان الرتبة الثانية العثماني، والنيشان المجيدي الرابع عام ١٨٩٢، والنيشان المجيدي الثالث عام ١٨٩٧، ثم ميرميران مع لقب باشا وغيرها من الأوسمة. كان فرنسي النزعة ومن المشاركين بنشاط في تأسيس «حزب الاتحاد اللبناني» في مصر ومن الداعين إلى عودة اللبنانيين إلى وطنهم بعد إعلان دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠. اتهم بالنزعة المارونية المتزمتة وكان رئيسًا للجمعية الخيرية المارونية بالقاهرة لعدة سنوات، ومن أوائل العائدين إلى لبنان حيث شغل فيه بعض الوظائف الإدارية التي لم ترض طموحاته السياسية فبدأ بتوجيه العتب ثم اللوم لأصدقائه الفرنسيين. وتظهر خيبة أمله من الانتداب الفرنسي عبر كتاباته الكثيرة بعد عام ١٩٢٠، خاصة كتابه الصادر بالفرنسية في باريس بعنوان:

Abdallah SFEIR PACHA,Le Mandat Français et les traditions françaises en Syrie et au Liban, Paris, 1922.

(*) (تراجع النهار، السنة الخمسون، العدد ١٥١٧٨، الصادر في ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣، ص ١٢).

- **آل صوايا**: من أسرة معروفة في أكثر من قرية بجبل لبنان. هاجر والده حنا صوايا إلى القاهرة عام ١٨٦٠، وعمل في تجارة الدخان وتجارة القطن. خلفه أبناؤه ميخائيل وأنطون وجورج وإلياس في العمل التجاري وأسسوا لهم وكالة كبيرة لبيع وشراء القطن بالإسكندرية والقاهرة ساهموا بتأسيس النادي السوري بالإسكندرية والجمعية الخيرية الأرثوذكسية فيها وكانوا من أعضائهما البارزين.

- **طنوس طاسو**: ولد في بيروت لأسرة معروفة بالعمل التجاري. تلقى دراسته فيها وأتقن العربية والفرنسية ثم هاجر إلى مصر حيث عمل ببورصة الإسكندرية لتجارة القطن. جمع ثروة كبيرة من التجارة والمقاولات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية وأنشأ له مزارع كثيرة لإنتاج القطن في منطقة الإسكندرية.

- **فؤاد طحان**: ولد في الزقازيق في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٤، لأبوين مهاجرين من بلاد الشام، ويعتقد أن أسرته ترجع بجذورها إلى دمشق كان والده حنا الطحان يتقن عدة لغات مكنته من العمل في قنصليات عدة أبرزها قنصلية دولة إيران في القاهرة حيث شغل مركز المترجم الأول فيها ثم نائب القنصل لسنوات طويلة. كانت له صداقات واسعة ونال أوسمة ونياشين من مصادر مختلفة، وكان يعد واحدًا من أبرز أفراد الجالية السورية في مصر في مجال الترجمة والعمل القنصلي. أبرز الأوسمة التي حصل عليها لقب بك من الحكومة المصرية.

تعلم ابنه فؤاد في مدارس القاهرة ونال البكالوريا المصرية من مدارسها الرسمية وكان بعضها قد بلغ مستوى رفيعًا في الربع الأول من القرن العشرين. ثم درس الهندسة في مدرسة السلطان حسين الأول للهندسة ونال شهادتها ثم توظف في الإدارة المصرية برتبة باش مهندس عام ١٩١٥ لمدة تسع سنوات ثم ترك الوظيفة عام ١٩٢٤ حيث عين وكيلًا لأعمال المقاول الشهير، المهاجر اللبناني عبد الرزاق نصير،كما عين في العام التالي، ١٩٢٥ خبيرًا ملحقًا لدى المحاكم في شئون الهندسة المدنية. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وكانت له خبرة واسعة في هندسة البناء لذلك أنشأ شركة مقاولات كبيرة في ٣١ آيار (مايو) ١٩٢٦ بالاشتراك مع الأخوين دباس، ونال شهرة كبيرة كملتزم تنفيذ البنايات الكبيرة المجهزة بأحدث وسائل الراحة.

يتضح من سيرة هذا المهاجر أنه جمع إلى الجاه الموروث، العلم، والثقافة،

واللغات. تنقل بين العمل الوظيفي ووكالة الأعمال التي انتشرت كثيرًا خلال هذه المرحلة، وصولًا إلى الهدف الذي يسعى إليه كل مهاجر وهو الشركة الخاصة التي تدر عليه أرباحًا طائلة. وما السنوات التي يمضيها المهاجر قبل العمل الخاص سوى مرحلة تكديس الخبرة والمال اللازمين للانطلاقة الكبيرة والواثقة في حقل من حقول الثروة والشهرة.

ـ **آل طراد:** ولد إسكندر ملحم طراد، الملقب بـ «شيخ القومسيونجية في مصر»، عام ١٨٤٤ بالإسكندرية لأب هاجر إليها من بيروت منذ سنوات طويلة للعمل التجاري. تعلم إسكندر في مدارس الفرير ونال البكالوريا الرسمية المصرية وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. مارس الوظيفة الحكومية خمس سنوات في وزارات الأشغال والمعارف والداخلية والمالية ومجلس بلدية الإسكندرية ثم استقال وانتقل إلى إدارة محلات سليم سمعان صيدناوي الواسعة الشهرة في كل أنحاء مصر.

نظرًا لمعرفته العميقة بالأسواق التجارية المصرية، وإتقانه عدة لغات، وامتلاكه ثروة موروثة لا بأس بها، ترك إدارة محلات صيدناوي وسافر إلى أوربا فاستحصل على وكالات فبارك أوربية عديدة، لا في مصر وحسب بل في كل أنحاء الشرق الأوسط، كان من أوائل الوسطاء التجاريين، القومسيونجية، الذين وسعوا حدود نشاطهم التجاري بين الإسكندرية وبيروت والقاهرة ودمشق وطهران فاعتبر بحق «شيخ القومسيونجية» في أيامه ونال شهرة واسعة وجمع ثروة كبيرة انتقل قسم هام منها إلى بيروت بعد إعلان دولة لبنان الكبير وكانت في أساس ثروة آل طراد، إحدى الأسر البيروتية الغنية وصاحبة البنك المعروف باسمها.وولد ابنه جبران إسكندر طراد في بيروت في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٧٧ وتعلم في مدارسها.

درس الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمزيد من التخصص في طب الأسنان ثم عاد إلى بيروت فأمضى فيها فترة قصيرة قبل أن يلتحق بأبيه في الإسكندرية عام ١٩٠٩ ويتزوج، في ذلك العام، من ابنة الثري اللبناني المهاجر جورج بك كرم. لم يمارس العمل التجاري لكن عيادته كانت تعتبر من أفضل عيادات طب الأسنان في جميع الأراضي المصرية، وكانت له شهرة واسعة في هذا المجال.

ـ آل ظريفة: يعود أصل العائلة إلى غزة في فلسطين. هاجر بعض أفرادها منذ مطالع القرن التاسع عشر إلى مصر واشتغلوا بالتجارة وتوزعوا بين القاهرة ويافا،وعرف منهم ميخائيل، المولود بالقاهرة ١٨٨١، ونجيب، المولود بيافا ١٨٨٥، وشكري، وجبرا، ويورجاكي، وعبد الله. كانت العائلة كثيرة العدد إحدى السمات الأساسية للعائلة العربية المشرقية آنذاك. درس بعضهم في مدارس القاهرة حيث نال ميخائيل إجازة في التجارة من القاهرة، وتعلم نجيب في مدارس يافا ومدرسة الفرير في مصر فأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. كان زواجهم داخليًا وتقليديًا. فقد تزوج ميشال فتاة من عائلة ظريفة وتزوج أشقاؤه من عائلات شامية مهاجرة، واقترن جبرا ظريفة بابنة التاجر الشامي المعروف حبيب داود.

أنشأ ميخائيل محلًا تجاريًا كبيرًا في القاهرة بعد أن وسع محلات والده القديمة وأنشأ لها فروعا في المدن المصرية الأخرى بمساعدة إخوته، وفي عام ١٩٠١ مارس آل ظريفة العمل الصناعي، إلى جانب العمل التجاري فأسسوا المدبغة المعروفة باسم «مدبغة ميخائيل ظريفة وإخوته لدبغ الجلود» وكانت أهم مدابغ مصر خلال تلك المرحلة، وجمع الإخوة ظريفة ثروة كبيرة عبر الدباغة والتجارة.

سافر نجيب إلى أوربا عام ١٩٠٥، وأصبح وكيلًا لعدة فبارك أوربية. وفي عام ١٩١٢ أنشأوا مدبغة جديدة على أحدث الآلات الأوربية فكانت أكثر المدابغ في المشرق العربي شهرة حتى إن كميات كبيرة من جلود المشرق كانت ترسل للدباغة فيها. وساهمت تلك المدبغة في إبراز آل ظريفة كأكبر تجار الشرق للأصواف الخام المعدة للتصدير إلى أوربا.

بعد الشهرة الواسعة في مجال دباغة الجلود وتصدير الصوف الخام سارع آل ظريفة إلى إعادة توثيق صلاتهم بالوطن الأم. فأنشأوا محلًا كبيرًا لتجارة الجلود والأصواف في يافا وكانت لهم مكانة مميزة كوسطاء بين التجار المحليين والشركات الأوربية.

ورغم توسعهم إلى مناطق جديدة في الشرق الأوسط بقي مركزهم الأساسي في القاهرة. انفرد شكري وجبرا ظريفة بأشغال الدباغة وتجارة الأصواف المصدرة إلى أوربا وانصرف باقي الإخوة والأبناء إلى الأعمال التجارية الأخرى والمهن الحرة.

ولا يلاحظ أي نشاط سياسي أو خيري للعائلة باستثناء الأخ الأكبر ميخائيل الذي عرف كأحد الأعضاء البارزين في الجمعية الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة.

يستدل من تاريخ آل ظريفة أنهم جمعوا بين العمل الصناعي والتجاري فتأمنت لهم ثروة طائلة من دباغة الجلود والاتجار بالأصواف الخام. لقد اختار التجار الشوام مجالات صناعية مربحة وعملوا على إدخال الآلات الحديثة. ساعدتهم الثروة الموروثة والمراكمة، بالإضافة إلى إتقانهم اللغات الأوربية، على ولوج مجال التصنيع القائم على المكنة ذات المستوى الرفيع، ولم يكتفوا بالأدوات الحرفية البدائية أو المعدلة لتتلاءم مع متطلبات الإنتاج. واتجه ذلك الخيار إلى قطاعات إنتاجية غير متطورة وتتورّع الرساميل الأجنبية عن التوظيف فيها لكنها لا تلبث أن تقطف مردودها وتدفع أصحابها إلى الإفلاس بسبب فقدان الحماية الوطنية لهم. لقد كان اتجاه التصنيع الحديث الذي تبناه المهاجرون الشوام في مصر سليما للغاية من حيث المبدأ، لكن فقدان الحماية الجمركية لهم وعجز قوى التصنيع المحلي عن مضاربة السلع الأجنبية جعل أصحاب المصانع بمثابة طلائع للرساميل الأجنبية ووكلاء لها في المشرق العربي. فعندما يشعر الصناعي بالخطر الذي يتهدد مصنعه تغلب عليه صفة التاجر الوسيط وتزداد تبعيته للخارج. تلك مأساة التصنيع في البلدان المتخلفة في مرحلة الحماية والوصاية والاستقلال الشكلي.

- **إسكندر عبود**: ولد في يافا ١٨٧٨، وتعلم في مدرسة الفرير وفي مدرسة المطران بالقدس ثم نال الحقوق من جامعة باريس. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وهاجر إلى مصر في أوائل القرن العشرين وتعين موظفًا في مصلحة سكة الحديد الأميرية في القاهرة ثم سكرتيرًا عامًا للقسم الميكانيكي فيها. نال وسام النيل عام ١٩١٤ وكان عضوًا في المجلس الملي الأرثوذكسي بالقاهرة.

- **الدكتور ميخائيل عجمي**: ولد في دمشق عام ١٨٦٨، وتلقى علومه الأولى في مدرسة الروم الأرثوذكس فيها وأكملها في الكلية السورية في بيروت حيث نال شهادة الطب. سافر إلى الآستانة لإجراء امتحان الكولوكيوم لممارسة الطب في مناطق السلطنة العثمانية ونال دبلوم الشاهانية العالية. أتقن العربية والإنجليزية وكان على إلمام بالتركية. هاجر إلى مصر فور إتمامه شهادة الطب عام ١٨٩٠، وخدم خمس سنوات في مستشفى جمعية التبشير الكنائسية في مصر. وما لبث أن افتتح لنفسه عيادة خاصة للطب النسائي والولادة في القاهرة نالت شهرة واسعة.

ـ **داود عدس**: ولد في حلب وتعلم في مدارسها وهاجر إلى القاهرة حيث مارس تجارة الأقمشة فأصبح من كبار التجار في هذا المجال. كان وكيلًا للجمعية الخيرية للطائفة اليهودية في القاهرة وساهم بنشاط في ترحيل يهود مصر إلى فلسطين بالارتباط مع الحركة الصهيونية العالمية.

ـ **الدكتور إلياس العشي**: ولد في اللاذقية عام ١٨٦٥، وتعلم في مدارسها ولدى الآباء اليسوعيين في بيروت. أكمل دراسة الطب في فرنسا وتخرج طبيبًا عام ١٨٩٩. هاجر إلى مصر ومارس مهنة الطب مدة خمسة عشر عامًا وعاد إلى مدينته اللاذقية عام ١٩١٤ واستقر فيها. ومع قدوم الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان عينه الحاكم الفرنسي لدولة العلويين مفتشًا للصحة العامة في تلك الدويلة.

ـ **أمين عطية**: ولد في بطمة الشوف في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٧. تلقى علومه في مدرسة عينطورة. هاجر إلى مصر عام ١٨٩٨ ومنها إلى السودان عام ١٨٩٩. عمل موظفًا في شركة إنجليزية للبحث عن المعادن في السودان وأسس محلًا تجاريًا خاصًا. جمع ثروة كبيرة مكنته من تأسيس مصنع للغزل والنسيج في مصر باسم «الفبركة الوطنية في القاهرة» بالاتفاق مع شركة صناعية ألمانية. تشير مراجع تلك الفترة إلى أن أمين عطية «أول من أدخل الصناعة الحديثة للكلسات وربطات العنق إلى مصر» بخبرة تقنية أوربية. وتشير إلى دراسته المتأخرة للحقوق فنال الشهادة في سن الواحدة والأربعين وتسجل في نقابة المحامين ببيروت عام ١٩٢٢.

ـ **صموئيل عطيّة**: ولد في سوق الغرب عام ١٨٧٩، وتعلم في مدرستها وأكمل دراسته العليا فنال دبلوم العلوم من الكلية السورية الإنجيلية عام ١٨٩٨، وأتقن العربية والفرنسية. هاجر إلى مصر فور تخرجه وتعين موظفًا في قلم المخابرات في وزارة الحربية المصرية عام ١٨٩٩، ثم نقل إلى قلم المخابرات في السودان وبقي هناك حتى عام ١٩١٥ حين عاد إلى القاهرة. وفي عام ١٩١٨ اختاره الجنرال اللنبي في أركان حربه كضابط للمخابرات في فلسطين.

كانت وظيفة المخابرات تعطي صاحبها أوسمة كثيرة من دوائر السلطات الاستعمارية التي تقوم أساسًا على حكم المخابرات. لذلك لم يحظ موظف في الإدارة المصرية السودانية، بين مهاجري الشوام، بمثل ما حظي به صموئيل عطية من

أوسمة ونياشين وميداليات أبرزها لقب بك من المرتبة الثانية من الحكومة المصرية عام ١٩١٧، والنيشان المجيدي العثماني من المرتبة الرابعة، ونيشان النيل من المرتبة الرابعة عام ١٩٢١، ونيشان الملكة فكتوريا من رتبة «رفيق» عام ١٩١٩، وهي رتبة عالية، وميدالية السودان، وميدالية النصر للحلفاء، وميدالية الخدمة العامة في الحرب العالمية الأولى وغيرها الكثير.

أبرز نشاطاته الاجتماعية رئاسته للنادي السوري في الخرطوم الذي ضم كبار أثرياء المهاجرين الشوام في السودان، وعضويته بالمجالس البلدية في مدينتي الخرطوم وأم درمان. كان على علاقة وطيدة بالمحافل الماسونية إذ تشير المراجع إلى رئاسته لمحفل الاتحاد الماسوني بالخرطوم.

ـ **حقي العظم**: ولد في دمشق عام ١٨٧٥ لأسرة ذات شهرة كبيرة فيها. والده عبد القادر بك العظم، وأسرته من أبرز الأسر الأرستقراطية السورية. تعلم في المدارس الرشدية العسكرية وتخرج في المدرسة العليا في الآستانة ونال كذلك ثقافة أجنبية في مدارس الآباء اليسوعيين واللعازاريين في دمشق وبيروت وأتقن العربية والفرنسية والتركية. عين في بداية حياته العملية موظفًا في الدفتر الحقاني في سوريا عام ١٨٩٥ ثم انتقل إلى الآستانة حيث عين موظفًا في قلم السندات في نظارة الحقانية (وزارة العدل).

انتقل إلى نظارة الجمارك قبل أن يغادر الآستانة إلى مصر هربًا من بطش السلطان عبد الحميد الثاني وجواسيسه. تعين مدرسًا للغة التركية في مدرسة المعلمين، المدرسة التوفيقية في القاهرة، ثم أعفي من التدريس وعاد إلى الآستانة بعد انقلاب ١٩٠٨، حيث عمل مفتشا للأوقاف في سوريا وبيروت وسالونيك. ومع بروز حملة التتريك واشتداد الضغط على العرب هاجر مجددًا إلى مصر للعمل فيها.

في أوائل ١٩٢٠ دعاه الجنرال جورو إلى دمشق وعينه رئيسًا لمجلس الشورى أثناء حكومة جميل الألشي التي دامت قرابة ثلاثة أشهر فقط. كان فرنسي النزعة فشغل وظائف كثيرة إبان مرحلة الانتداب الفرنسي على سوريا منها حاكم دولة دمشق في ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ وحتى أوائل آيار (مايو) ١٩٢٥، ورئيسا لمجلس شوري الدولة السورية الموحدة (دمشق وحلب) عام ١٩٢٥، ثم رئيسًا للوزارة

السورية. وبسبب ميوله الفرنسية تعرض لعدة محاولات اغتيال. كانت له أيضًا أعمال صحفية وأدبية وترجمات كثيرة أبرزها إصداره مع رفيق العظم جريدة «الشورى العثمانية» بالعربية والتركية، وكتب **محاضر مجلس المبعوثان العثماني**. نال أوسمة عثمانية وفرنسية كثيرة أبرزها نيشان خورشيد العثماني من المرتبة الثانية، ووسام الشرف (Légion d'honneur) الفرنسي من المرتبة العليا كان من أبرز المهاجرين السوريين الذين عادوا من مصر للعمل في إدارة سوريا إبان الاحتلال الفرنسي لها لذلك كافأه الفرنسيون بالوظائف العليا.

ـ آل **عفيش**: من عائلات بكفيا المعروفة. سافر كثير من أفرادها إلى القطر المصري ونال بعضهم شهرة واسعة في المهن الحرة كالطب والمحاماة بالإضافة إلى التجارة وبعض الوظائف الحكومية. كان الجد الأكبر للعائلة، الدكتور نجم موسى عفيش، طبيبًا بيطريا للجيش المصري إبان حملة إبراهيم باشا على سوريا ولبنان. وذلك نموذج نادر في الثلث الأول من القرن التاسع عشر. لذلك تكثر أسماء الأطباء من أفراد العائلة. فالدكتور جورج نادر لطف الله عفيش من مواليد المحلة الكبرى في مصر عام ١٨٩٢. تعلم في مدارس مصر وبيروت وتخرج طبيب أسنان في الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٢، وزاول المهنة حتى وفاته في مصر عام ١٩٣٢. كذلك شقيقه الدكتور جوزف نادر لطف الله عفيش المولود في المحلة الكبرى عام ١٨٩٧. تعلم في مدارس مصر وتخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم أكمل دراسة تخصص في جراحة وطب الأسنان في باريس ونال شهادته وعاد يزاول المهنة في المحلة الكبرى في مصر. أما الدكتور أسعد فارس عفيش فنجهل تاريخ ولادته. تعلم في مدارس مصر وأكمل دراسته في جامعة باريس ثم عاد للعمل في مصر فور تخرجه عام ١٩٣٤، وهناك أيضًا فريد سمعان عفيش المولود في المحلة الكبرى عام ١٩٠٤ تعلم في مدارس مصر ونال شهادة الحقوق عام ١٩٣٢، وزاول المحاماة في مصر. والمحامي فريد فارس عفيش، شقيق الدكتور أسعد، من مواليد المحلة الكبرى، تعلم في مدارس مصر وتوظف في مصلحة البريد حيث ترقى إلى رتبة سكرتير إدارة البوسطة العمومية في مصر.

حفل تاريخ هذه العائلة بعدد كبير من الأطباء والمحامين الذين استقروا في مصر على الرغم من صلات التعليم الجامعي في بيروت وباريس. ولا تشير مراجع

هذه المرحلة إلى عودة أبناء العائلة إلى لبنان إبان مرحلة الانتداب الفرنسي أو بعد الاستقلال.

ـ **آل العقل**: من عائلات بكفيا الكبيرة. هاجر كثير من أبنائها إلى القطر المصري ومارسوا الأعمال فبرز منهم أطباء وتجار وأصحاب مزارع وموظفون.

الدكتور عبد الله سابا العقل: من مواليد الإسكندرية عام ١٨٩٥. تعلم في مدارسها وأكمل دراسة طب الأسنان في معهد بيروت الفرنسي للآباء اليسوعيين فتخرج فيه عام ١٩٢٧. عاد إلى الإسكندرية لمزاولة المهنة واستقرّ فيها.

وُلد الدكتور إسكندر متري أسعد وهبة العقل بالإسكندرية عام ١٩١١، تعلم في مدارسها وأكمل دراسة الطب في بيروت وعاد يزاول المهنة فيها. كذلك الدكتور جورج العقل، المولود بالإسكندرية. تعلم في مدارسها ونال شهادة الطب من المعهد الفرنسي في بيروت عام ١٩٢٩، وعاد للعمل فيها. وشقيقه ميشال العقل، الذي تعلم في مدارس الإسكندرية، ثم التجارة والمحاسبة، وتوظف في مصرف كارفر (Karver) إخوان واستقر في مسقط رأسه الإسكندرية.

ـ **إلياس علّام**: ولد في بيت الدين في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٧٧، وكان والده من كبار موظفي إدارة متصرفية جبل لبنان ومن الخطاطين المشهورين فيها. تعلم في مدارس الجبل وأكمل دراسته بالحكمة في بيروت وورث عن والده جمال الخط فبرع به. هاجر إلى القاهرة عام ١٨٩٨، ومارس تدريس الخط في مدارس مصرية عديدة حتى عين أستاذًا لعلم الخطوط في كلية الآباء اليسوعيين في القاهرة بالإضافة إلى تدريسه هذا العلم في مدارس أخرى، رسمية وخاصة. وفي ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢١ عينته الحكومة المصرية خبيرًا محلفًا لدي المحاكم لقراءة الخطوط وإثبات أصالة المخطوطات. كان ماسوني النزعة وساهم بنشاط في المحافل الماسونية بمصر وكانت له مرتبة متقدمة فيها.

ـ **جورج عيد**: هاجر الأب حنا عيد من بكفيا جبل لبنان عام ١٨٤٥، وعين قنصلًا لبلجيكا في القاهرة عام ١٨٥٢. ولد جورج حنا عيد في القاهرة عام ١٨٥٦، وتعلم في مدارس الفرير فيها. أتقن العربية والفرنسية. نال إجازة الحقوق من جامعة باريس ثم عاد إلى القاهرة وأدار أعمال والده بعد وفاته عام ١٨٧٨، تزوج من ابنة التاجر

الكبير حنا خير عام ١٨٨٢، وهي من عائلة لبنانية مهاجرة إلى مصر منذ أواسط القرن التاسع عشر.

سار جورج عيد على خطى والده في إدارة الشركات والأعمال الزراعية بالاشتراك مع عدد من الوزراء المصريين. أمضى سنوات قليلة في الوظائف منذ ١٨٧٥ حتى ١٨٧٨. تعين موظفًا في وزارة الزراعة عام ١٨٧٥ ثم في ديوان الزراعة عام ١٨٧٧ وترجم وثائق أساسية للاتفاقيات التجارية المعقودة بين السلطنة العثمانية وبعض الدول الأوروبية، خاصة تلك التي تتناول الرسوم الجمركية. وفي عام ١٨٧٧ أصبح الترجمان الأول لهيئة التحقيق العليا المصرية التي كانت رئاستها معقودة إلى المهندس الفرنسي الشهير فردينان دوليسبس. لكنه ما لبث أن استقال وانصرف إلى أملاكه الخاصة لأن والده حنا عيد ترك أراض واسعة في مديرية القليوبية أضاف إليها جورج أراضي أخرى بالشراء النقدي.

عين جورج عيد قنصلًا لبلجيكا في مصر خلفًا لوالده المتوفي. وتلك إشارة إلى الطابع الوراثي في تولي المناصب لدى المهاجرين الشوام إلى مصر حيث يرث الابن البكر أباه في الكثير من مناصبه وإدارة أعماله. أسس شركة مساهمة زراعية وصناعية لشراء الأراضي المهملة وأراضي الدولة وعمل على إصلاحها وبيعها بالتقسيط لصغار الفلاحين لمدد تتراوح بين خمس وثماني سنوات.

لعبت تلك الشركة دورًا بالغ الأهمية في استصلاح مساحات واسعة من الأراضي وبلغ رأسمالها قرابة مليون جنيه مصري. كان مجلس إدارتها يتشكل من كبار الرأسماليين ورجال الأعمال والإدارة المصرية. وقدرت المساحة المستصلحة والمباعة بحوالي مئة ألف فدان من الأراضي الزراعية الخصبة.

ونظرًا للنجاح الكبير الذي ناله جورج عيد في هذا المجال أسس «صندوق الرهنيات المصري» وسلم إدارته إلى شقيقه إدوار عيد فجمع ثروة كبيرة وأراضي واسعة. كذلك أنشأ «شركة الأبحاث الزراعية» بالاشتراك مع منصور بك شكور. ثم أنشأ «شركة الغربية» لاستصلاح الأراضي في مديرية الغربية، و«شركة حدائق القبة»، و«شركة النيل الزراعية» و«شركة كفر الدوار الزراعية» وكلها شركات ساهمت في استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي وفرزها وبيعها بالتقسيط. يعتبر جورج عيد بحق من أبرز المهاجرين الشوام الذين نشطوا في مجال تسليع الأرض المصرية، أي استصلاحها وعرضها للبيع كسلعة. ولقب بأبي المشاريع الزراعية في القطر المصري

لكثرة ما استصلح من الأراضي البوار أو الموات أو المتروكة أو المهملة أو المشاع. وبلغ رأسمال الشركات التي أسسها أو تولى إدارتها ما يزيد على ثمانية ملايين جنيه مصري، وهو مبلغ كبير قياسًا إلى أسعار النقد وأسعار الأراضي في أواخر القرن التاسع عشر. نال أوسمة عدة أبرزها النيشان العثماني من المرتبة الرفيعة، والنيشان المصري، والنيشان البلجيكي لعدة مرات.

كان جورج عيد من أبرز أعيان طائفة الروم الكاثوليك في مصر ومن مؤسسي جمعيتها الخيرية في القاهرة.

ـ **إلياس عيساوي وشقيقه إميل**: ولد إلياس في يافا وتعلم في مدارسها ثم التحق بالكلية السورية الإنجيلية في بيروت ونال بكالوريوس علوم عام ١٩٠١. أتقن العربية والإنجليزية وارتحل إلى مصر عام ١٩٠٢، حيث عمل مترجمًا في وزارة الحربية المصرية ثم رئيسًا لإدارة مالية السودان ونال أوسمة عدة أبرزها وسام ملك مصر من المرتبة الثانية مع لقب بك عام ١٩٢٥.

أما شقيقه إميل عيساوي فمن مواليد حيفا. تعلم في مدارس لبنانية وأكمل دراسته في الكلية السورية الإنجيلية الأمريكية في بيروت ونال دبلوم تجارة عام ١٩٠٣. أتقن العربية والإنجليزية وارتحل إلى مصر عام ١٩٠٤ حيث عين موظفًا في وزارة الأشغال المصرية. وبعد عام واحد انتقل إلى وزارة الحربية فأصبح رئيس قلم فيها منذ عام ١٩٠٦ حتى إحالته إلى التقاعد.

كان زواج الشقيقين عيساوي تقليديًا على غرار باقي مهاجري الشام على الرغم من هجرتهم المتأخرة إلى مصر في مطالع القرن العشرين. تزوج إلياس من ابنة نعمان أبو شعر، التاجر اللبناني في القاهرة وذلك عام ١٩١٤. وتزوج أخوه إميل عام ١٩٢٤ من ابنة بطرس كساب، التاجر اللبناني المعروف أيضًا في القاهرة، وليست لدينا معلومات إضافية حول باقي أفراد الأسرة واستقرارهم في مصر أو عودتهم إلى لبنان.

كان العمل الوظيفي، يجتذب بعض مثقفي سوريا ولبنان إلى مصر في مطالع القرن العشرين. وتلك هجرة تميزت بعدم الاستقرار والثبات إذ سرعان ما يعود بعضهم إلى وطنه حيث يجد وظيفة ملائمة.

ـ **الدكتور ألفرد نصر غرزوزي**: وُلد في بيروت عام ١٨٧٧ لأسرة تعود بجذورها

إلى غرزوز في بلاد جبيل. تلقّى دراسته في مدارس بيروت وأكملها في الكلية الإنجيلية السورية فنال شهادة الطب عام ١٨٩٩. أتقن العربية والإنجليزية وهاجر إلى مصر للعمل هناك. التحق بالجيش المصري وترقّى إلى رتبة يوزباشي. أرسلته الحكومة المصرية إلى السودان حيث بقي سبع سنوات في القسم الطبي في الجيش. عاد إلى مصر وعُيّن مفتشًا عامًا للصحة في الوجه القبلي ثم طبيبًا لمحافظة القنال ثم لمحافظة السويس ثم لمحافظة بورسعيد حتى إحالته إلى التقاعد عام ١٩٢٦. نال ميداليات وأوسمة عدة من الحكومتين المصرية والبريطانية. أبرز نشاطاته الاجتماعية أنه كان وكيلًا للجمعية الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة.

- **شكري غريّب**: من أُسرة معروفة في الدامور. هاجر إلى مصر عام ١٨٩٥، وعمل في تجارة الصيرفة والنقد في بورسعيد ثم تحول إلى تجارة الذهب والفضة بالإضافة إلى الصيرفة. كان فرنسي النزعة فعيّنته حكومة دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ مندوبًا تجاريًا وماليًا لهــا في مصــر وفلســطين. ونال الوسام الفرنسي عام ١٩٢١ (Légion d'honneur) لخدماته الكثيرة التي قدّمها للمؤسسات الفرنسية العاملة في المشرق العربي. ونموذج شكري غريّب توكيد على العلاقة الوثيقة بين التجار الشوام العاملين في حقول الصيرفة والنقود ومراكز تلك التجارة في أوربا.

- **آل فارس**: أُسرة مهاجرة من بكفيا إلى مصر في القرن التاسع عشر. سافر فارس يوسف فارس إلى القاهرة بعد أن أنهى علومه العليا في الحقوق ونال شهادة المحاماة. مارس المهنة سنوات قليلة وانصرف إلى التجارة فجمع ثروة طائلة. توفي في القاهرة عام ١٩٣٤ تاركًا ثلاثة أبناء: جوزف وهنري وإدوار. حصل الأبناء على ثقافة عالية إذ كان الأول مهندسًا زراعيًا، والثاني مجازًا في الحقوق، والثالث مجازًا في الآداب. أقام الثلاثة في مصر الجديدة ولم يرجع أحد منهم إلى لبنان، من هذه العائلة أيضًا نجيب نجم كرم فارس، وُلد في القاهرة عام ١٩٠٥. كان يجيد عدة لغات، وأنشأ جريدة «فرعون» في القاهرة.

- **إلياس فتال**: ولد في بيروت لأسرة معروفة وتعلم في مدارسها ونال إجازة في المحاسبة في المدارس اليسوعية. توظف في أحد البنوك الكبيرة في بيروت إلى أن دعاه نجيب بك سرسق إلى مصر لإدارة أعماله منذ عام ١٨٩٥، فاستقر هناك وأصبح سكرتيره الخاص والناطق الرسمي باسمه.

فقد أصبحت إدارة أعمال المهاجرين الشوام في مصر وظيفة يسعى إليها عدد من مثقفي تلك الفترة، وفي ذلك دلالة على ضخامة ثروة المهاجرين وعلى النفوذ والثروة والجاه لمن يتولى مركز الوكيل. يلاحظ أن مدير أعمال المهاجر الثري لم يكن من أسرة فقيرة بل من أسر معروفة وعلى جانب واسع من الثقافة وعلى معرفة بأصول إدارة الأعمال وتصريف الشئون المالية والإدارية. وقد أعطى المهاجرون معظم الصلاحيات إلى وكلائهم الذين نالوا شهرة واسعة وكانوا في مصاف الفئات العليا في المجتمع المصري ويمثلون كبار الأثرياء في العديد من المناسبات.

ـ **آل فرح**: برز من هذه الأسرة في القطر المصري طبيبان: الدكتور ديمتري فرح، الذي ولد بالإسكندرية وتعلم في مدارسها وأكمل دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت وعاد يزاول الطب بالإسكندرية منذ عام ١٩٣٠. وولد الدكتور أنطون فرح بالإسكندرية أيضًا وتعلم في مدارسها وأكمل دراسة طب الأسنان في جامعة باريس وتخرج فيها عام ١٩٢٨، وعاد يمارس مهنته في الإسكندرية وهناك إسكندر فرح الممثل المسرحي المشهور في مصر خلال تلك الفترة.

ـ **أنيس فليحان**: من أسرة هاجر بعض أفرادها من جبل لبنان إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر. اشتهر أنيس فليحان عازفا موسيقيا وشارك في حفلات عديدة وله مؤلفات موسيقية.

ـ **فلورانس فواز**: مغنية أوبرا نالت شهرة عالمية قبل أن تستقر على خشبة المسارح المصرية خاصة في القاهرة والإسكندرية وأقيمت لها حفلات خاصة على مسرح لندن.

ـ **زينب فواز**: من أسرة كبيرة معروفة في جبل عامل. ولدت في تبنين من جبل عامل واختلف في سنة ولادتها ما بين ١٨٤٥ و١٨٦٠، لأن مسألة تدوين سن الولادة عند العائلات الفقيرة من الأمور الصعبة جدًا، وتزداد صعوبة إذا كان المولود أنثى. نشأت في ظروف اجتماعية تسودها التقاليد الموروثة والجهل وكان تعليم الفتيات حكرًا على بنات الأسر الغنية. كانت على علاقة بمصر حيث هاجر شقيقها محمد علي فواز للعمل هناك. غادرت جبل عامل إلى الإسكندرية بعد زواج فاشل في مسقط رأسها. تتلمذت في الإسكندرية على يد حسن حسني الطويراني صاحب

جريدة «النيل» ومنها انطلقت إلى رحاب العالم وأقامت صلات وثيقة بأكثر من منبر ثقافي وإعلامي ونسائي، داخل مصر وخارجها. امتازت بمواقف جريئة في الدفاع عن حقوق المرأة العربية والدعوة إلى تحررها من كل القيود التي تعيق انطلاقتها وذلك لبناء مجتمع عادل تسوده الحرية والمساواة على غرار المجتمعات الأوروبية الحديثة. كانت مقالاتها مفعمة بشعارات: المرأة أساس العمران وأساس النهضة، وعالجت طويلًا موضوع تنظيم الأسرة العربية، وتربية الأولاد، وحق الفتاة في اختيار الزوج، وحقها في الطلاق وغيرها من المشكلات الأساسية التي ما زالت تتفاعل في المشرق العربي حتى الآن.

تركت آثارًا كثيرة بين مطبوع ومخطوط منها مسرحية **الهوى والوفاء**، وكتاب **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور** ويحتوي ترجمة للنساء العربيات والأجنبيات الشهيرات،ورواية **حسن العواقب أو غادة الزاهرة**، والرواية التاريخية **الملك كوروش أو ملك الفرس**، ولها رسائل منشورة طبعت في مصر بعنوان **الرسائل الزينبية** تبرز آراءها في السياسة والمجتمع والدين والمرأة وسواها.

ـ **فيليب خوري فرا**: ولد في دمشق عام ١٨٧٥، وتعلم في مدارسها خاصة في المدرسة الأرثوذكسية وهاجر إلى مصر عام ١٨٩٤. أتقن العربية والفرنسية واليونانية لكنه انصرف إلى التجارة فأسس محلًا لبيع الأجواخ في القاهرة وجمع بين الخياطة وتجارة الأجواخ. نال المحل شهرة واسعة واعتبر من كبار محلات القاهرة في هذا المجال ولقب فيليب بـ«خياط الذوات». وقد وظف فيليب فرا قسمًا هامًا من ثروته في شراء الأراضي خاصة في مديرية الغربية لأن أرباحها مضمونة وإنتاجها وفير.

ـ**الدكتور فلمون فيتاليس** (Vitalis): من أسرة كانت تسكن اللاذقية وتعود جذورها إلى اليونان. كان جده قنصلًا عامًا لليونان في اللاذقية وعمه قنصلًا عامًا للإنجليز فيها. ولد فلمون في اللاذقية عام ١٨٨٣، وتعلم في مدرسة الفرير الفرنسية فيها ثم أكمل دراسته في الكلية الإنجيلية السورية في بيروت وتابع دراسته العليا في مصر فنال شهادة الطب من قصر العيني في القاهرة عام ١٩٠٦، بعد أن هاجرت أسرته إلى هناك للعمل التجاري. عين في وظائف حكومية مصرية في مصلحة الصحة العامة ثم مفتشًا صحيا في مراكز المديريات خاصة بور سعيد، ودمياط، وجرجا، وكفر صقر الشرقية وغيرها، استقر في القاهرة حيث عمل في عيادة خاصة.

ـ **نقولا فيعاني**: ولد في بيروت لأسرة تعود بأصولها إلى بلدة فيع في الكورة. درس في مدارس بيروت وأتقن العربية والفرنسية. انتقل إلى مصر وعين موظفًا في محلات إبراهيم سرسق ثم وكيلًا زراعيًا لأملاكه في السنبلاوين في مديرية الدقهلية. استقال من وظيفته ليتعاطى التجارة الحرة. اشتغل في البورصة وتجارة بيع وشراء القطن والغلال. نال الكثير من الوكالات التجارية لشركات أوربية وجمع ثروة كبيرة أبرز نشاطاته الاجتماعية عضويته للجمعية الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة.

ـ **فدوا قربان**: من أسرة قربان الطرابلسية المعروفة لعبت أدوارًا فنية كثيرة كمغنية أوبرا على مسارح مصر خاصة بالإسكندرية.

ـ **فريد قربة**: ولد في مدينة طنطا في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٠٠، لأسرة مهاجرة من جبل لبنان، ولعلها من منطقة بكفيا أو بيت شباب. تلقى دروسه في مدرسة الآباء اليسوعيين في طنطا وأتقن العربية والفرنسية. درس العلوم التجارية ونال دبلوم التجارة العالي من باريس عام ١٩١٩. مارس العمل الصحفي وترجم مقالات علمية في الصحافة المصرية ثم توظف في إدارة جريدة «المقطم» عام ١٩١٩، وأصبح وكيلًا للمقطم والمقتطف في منطقة طنطا، كانت له نشاطات اجتماعية متنوعة من خلال أعماله في لجان ومؤتمرات تخص الطائفة الأرثوذكسية في القطر المصري. فقد كان على علاقة وثيقة بالزعيم الأرثوذكسي نجيب سرسق الذي عقد برئاسته في الإسكندرية مؤتمرًا عامًا للمصريين الأرثوذكس من أصل سوري في عام ١٩٢٤، وكان فريد قربة من الأعضاء البارزين فيه وتأسست إثر ذلك اللجنة التحضيرية لتنفيذ مشاريع تخص الطائفة السورية المصرية الأرثوذكسية في القاهرة وأوكلت أمانة سرها إلى فريد قربة الذي نال شهرة واسعة على أساس ارتباطه بمشاريع الطائفة الأرثوذكسية السورية في مصر، وهي طائفة غنية وكبيرة.

لقد انتقلت عدوى الطائفية اللبنانية إلى المهاجرين الشوام في مصر، خاصة اللبنانيين منهم. كانت الطائفية لدى أبناء الجيلين الأول والثاني ذات وجه اجتماعي خيري لكنها تحولت إلى العمل السياسي لدى أبناء الجيل الثالث فتشكلت أحزاب ونواد وجمعيات كان لها ارتباط وثيق بالمشاريع الاستعمارية الخارجية للمشرق العربي، خاصة الفرنسية والإنجليزية منها فقادت تلك الأحزاب والنوادي إلى تفكيك المهاجرين وانقسامهم الحاد حتى داخل الطائفة نفسها.

- **آل قرداحي**: يعود أصل العائلة إلى بيروت حيث ولد خليل قرداحي عام ١٨٤٨ وتعلم في مدارسها الابتدائية مع أخيه جورج. كان يتعاطى التجارة عندما انتقل إلى طنطا وأنشأ هناك محلًا تجاريًا ثم مصنعًا كبيرًا لحلج القطن ما لبث أن أعلن إفلاسه التجاري. وبدعم من أخيه جورج قرداحي عمل خليل بالزراعة وشراء الأراضي واستصلاحها فأدار أملاك أخيه واشترى لنفسه أملاكًا واسعة كذلك اشتغل ولداه في التجارة وإدارة أملاك عمهما جورج وتجارته.

لم يكن جورج قرداحي على جانب كبير من الثقافة عندما غادر بيروت إلى طنطا وأقام فيها. وما لبثت تجارته أن توسعت إلى الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية فاستقدم أولاد أخيه خليل لإدارة تجارته وانصرف إلى تملك الأطيان الزراعية الواسعة في منطقة الإسكندرية وأصبح من كبار الملاكين فيها بالإضافة إلى تجارته المزدهرة. تزوج من ابنة الثري الكبير المهاجر جورج كرم وعينته حكومة روسيا القيصرية قنصلًا لها في طنطا، قام بأعمال خيرية كثيرة عبر جمعيات ونوادي الشوام. أحب مصر كثيرًا وكتب في وصيته بنقل جثمانه، من أي مكان تدركه الوفاة فيه إلى مصر. وبناء لوصيته توفي في أوربا ونقل جثمانه إلى الإسكندرية ودفن فيها في ١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢. وذلك نموذج تكرر كثيرًا لدى مهاجري الجيل الأول من الشوام إلى مصر تعبيرًا عن تعلقهم الشديد بها.

يتضح من تاريخ هذه الأسرة أن أحد أبنائها أثرى وأفلس الآخر. لكن التماسك العائلي ساهم في نقل الثروة والتجارة والنفوذ من الأخ إلى أخيه وإلى أبنائه من بعده، ولم تلحظ المراجع وجود أبناء لجورج قرداحي عند وفاته.

- **سامي قسيس**: ولد في القاهرة لأسرة مهاجرة من بيروت في أواخر القرن التاسع عشر. تلقي دروسه في المدرسة التوفيقية ونال البكالوريا المصرية عام ١٨٩٧، ثم أكمل دراسة الحقوق في جامعة باريس فنال شهادتها متأخرًا عام ١٩١٧، وهو يمارس العمل الوظيفي. فقد شغل مركزًا إداريًا هامًا في بنك الكريدي ليونه (Crédit Lyonnais) وأصبح مفوضًا عامًا للبنك. كانت له صداقات واسعة ونال أوسمة عدة أبرزها نيشان الافتخار الفرنسي برتبة ضابط. كان فرنسي النزعة وعلى علاقة وثيقة بالمخططات الفرنسية في المشرق العربي. أبرز نشاطاته الاجتماعية عضويته الدائمة في مجلس إدارة المدرسة العبيدية الأرثوذكسية الشهيرة في القاهرة وأمينًا لصندوقها طيلة سنوات عديدة.

- **آل القشعمي**: أسرة مشهورة في بكفيا هاجر الكثير من أفرادها إلى مصر منذ القرن التاسع عشر. ولد المحامي سليم القشعمي في القاهرة عام ١٨٩٠. تعلم في مدارس القاهرة وفي عينطورة ثم سافر إلى باريس لإكمال شهادة الحقوق واستقر فيها. وولد الدكتور ديمتري القشعمي في دمنهور عام ١٩٠١، وتعلم في مدارسها وفي الجامعة اليسوعية في بيروت حيث تخرج طبيب أسنان عام ١٩٢٦ وعاد يزاول مهنته في دمنهور. وولد الصيدلي وليم القشعمي بالقاهرة عام ١٩٠٢، وتعلم في مدارسها وتخرج في مدرسة الفرير فيها عام ١٩١٩ ثم استكمل دراسة الصيدلة في باريس. اخترع مواد كيماوية سجلت له باسم ماركة (Wikor).

يتضح من سيرة هذه الأسرة العريقة في هجرتها إلى مصر أن الجيل الثالث من المهاجرين قد انصرف إلى المهن الحرة لكن هذه العينة لا تمثل غالبية المهاجرين من أبناء آل القشعمي فهناك أعداد منهم استقرت في مختلف المدن المصرية كما تشير سجلات المنصورة والإسكندرية ودمنهور وبور سعيد وغيرها. وعاد بعض أفرادها إلى لبنان بعد١٩٢٠ للعمل في الوظائف الحكومية وفي التجارة والمهن الحرة.

- **آل قصيري**: إحدى العائلات الشامية الأرثوذكسية التي هاجرت منذ زمن بعيد إلى دمياط واستقرت هناك. هاجر أنطون ونجيب وحنا قصيري إلى مصر للعمل التجاري واستقروا فيها. ويلاحظ في تاريخ هذه العائلة أن الذكور من آل قصيري، وعددهم كبير، إذ لحنّا قصيري وحده خمسة أبناء ذكور، ولدوا في دمياط وأرسلوا جميعهم إلى بيروت للدراسة الابتدائية والثانوية وبدأت رحلاتهم إلى أوربا لتلقي العلوم العالية وللحصول على وكالات أجنبية. أتقنوا جميعهم العربية والفرنسية والإنجليزية، وبرعوا في مجالات متنوعة إلى جانب العمل التجاري.

جاء ميخائيل حنا قصيري بيروت مع أشقائه وأبناء عمه طلبًا للعلم ثم عاد إلى دمياط وتولي أعمال والده التجارية والزراعية وأصبح وكيل الطائفة الأرثوذكسية بدمياط لمدة خمس وعشرين سنة. كان على علاقة وثيقة بالدول الأوربية ووكيلًا عامًا لقنصليات إنجلترا وألمانيا والدانمارك في دمياط. نال ميخائيل وسام الخديوي من المرتبة الثانية. أما شقيقه جميل فتلقى دروسه في بيروت وسافر إلى باريس حيث اشتغل بتجارة بذر الحرير ثم انتقل إلى «رشت» عاصمة إقليم جيلان في إيران ثم

غادرها إلى ليون (Lyon) في فرنسا حيث نال وكالة محلات بونيه (Bonnet) الشهيرة للشرق الأوسط.

كان يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية والفارسية وتوسعت تجارته حتى أصبح من كبار تجار الحرير في الشرق الأوسط. عين قنصلًا لدولة إيران في دمياط حيث عاد واستقر فيها وأنشأ مصنعًا كبيرًا للزبدة أضاف إليه، عام ١٩١٥، مصنعًا للأجبان. نال نيشان النيل من الدرجة الرابعة وعندما توفي، كانت لأبنائه ثروة كبيرة، وكانت فروع تجارته تمتد إلى مختلف المدن المصرية والسودانية.

انصرف سامي قصيري، نجل أنطون حنا قصيري إلى العمل الصحافي بعد دراسته في بيروت. عمل في جريدة «ثمرات الفنون» لعبد القادر قباني في بيروت، ثم انتقل إلى مصر وعمل محررًا في مجلة «الصفاء» وفي «المقطم» ونال شهرة صحافية واسعة فأصبح الملحق الصحافي للسلطان حسين ورافقه في جميع رحلاته. استقر في القاهرة ونقل إلى العربية روايات عدة عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية. كان فرنسي النزعة ونال أوسمة مصرية وفرنسية مختلفة كما شارك في عضوية الكثير من الجمعيات الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة.

كان شقيقه نجيب أنطون قصيري، الذي ولد في دمياط وأرسل إلى بيروت لطلب العلم خاصة في مدرسة الثلاثة أقمار الأرثوذكسية، يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية لكنه فضل العمل الوظيفي في مصلحة البريد فأصبح رئيس المحاسبة في دائرة بريد القاهرة. نال نيشان النيل من الدرجة الثالثة تقديرًا لخدماته في هذا المجال كما تولى مركز نائب رئيس الجمعية الخيرية الأرثوذكسية في القاهرة. وتلقى إدوار نجيب قصيري علومه في المدارس الرسمية المصرية ونال إجازة الحقوق من جامعة القاهرة فأصبح محاميًا مشهورًا وعضوًا في مجلس نقابة المحامين وسكرتيرًا لها في القاهرة. نال رتبة البكوية من الحكومة المصرية وكان عضوًا بارزًا في الجمعية الخيرية الأرثوذكسية السورية بمصر.

وتعلم إلياس قصيري في دمياط ودرس الحقوق في مصر دون الحصول على الشهادة. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية واليونانية تزوج من سيدة فرنسية غنية من أصل نبيل وتدعى لورنس دوسير (Laurence de Sir) عمل مراسلا لجريدة

(Egyptian Gazette) وجريدة (Tribune Grecque) نال شهرة واسعة في عالم الصحافة وكان مراسلًا متجولًا لكثير من الصحف المصرية والأوربية في الشرق الأوسط. مارس أيضًا العمل التجاري الحر وتولى إدارة مصبنة أبي الهول، أكبر المصابن الحديثة في مصر في مطالع القرن العشرين. أوكل إليه الخديو رئاسة لجنة الأعياد والاحتفالات في القاهرة فنظم الحفلات الرسمية لمدة ٢١ سنة ونال أوسمة وجوائز عديدة.

ونشير أيضًا إلى إسكندر موسى الخوري، والدته ابنة جرجس قصيري، الذي أتقن العربية والفرنسية وتوظف بمصلحة البريد في مصر فأصبح رئيسًا لقلم بنك التوفير بعموم بريد مصر، ومن أبرز أعيان الشوام بدمياط. نال نيشان النيل وجمع ثروة كبيرة وكانت زوجته شقيقة إسكندر واسبيريدون دمتري، من كبار تجار مصر أما أولاد نجيب قصيري فكان منهم المحامي الشهير إدوار، والتاجر المعروف إسكندر، والدكتور الاختصاصي جورج، والمهندس حنا الذي نال إجازته من جامعة جرينوبل (Grenoble) الفرنسية هكذا جمع أفراد عائلة قصيري بين الشهرة التجارية والوظائف الحكومية والمهن الحرة وكانوا على جانب واسع من الثقافة وإتقان اللغات وهو نموذج يتكرر كثيرًا لدى أبناء الجيل الثالث من مهاجري الشوام في مصر.

ـ **الدكتور منصور قطيط**: من عائلة ذات نفوذ ووجاهة موروثة في راشيا وحاصبيا ومرجعيون والقنيطرة، والده القائمقام أسعد قطيط المعروف في أوساط الإدارة العثمانية في المشرق العربي في أواخر القرن التاسع عشر. ولد منصور في مرجعيون وتعلم في مدارسها ثم أكمل دراسة الطب في الكلية الأمريكية في بيروت وتخرج طبيبًا عام ١٩٠٩. أتقن العربية والإنجليزية وهاجر إلى مصر للعمل فعين في القسم الطبي التابع للجيش المصري برتبة ملازم وترقى إلى رتبة بكباشي. خدم في مصر والسودان ونال ميداليات مصرية وإنجليزية تزوج عام ١٩١٩ من ابنة أسعد راشد، أحد ضباط الجيش المصري واستقر في القاهرة. ويعتبر زواجه مؤشرًا على بداية اندماج المهاجرين الشوام، خاصة أبناء الجيل الثالث، بالمجتمع المصري واستقرارهم فيه.

ـ **الدكتور إسكندر القيّم**: ولد في دمشق وتعلم في مدارسها وأكمل دراسته في الكلية السورية الأمريكية في بيروت فنال شهادة الصيدلة عام ١٨٨٥، ثم الطب عام ١٨٨٨. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وهاجر إلى مصر والتحق بالجيش

المصري ووصل إلى بحيرة فكتوريا في السودان لست سنوات. استقال من الوظيفة عام ١٩٠٣، واستقر بالإسكندرية وتعين طبيبًا لمصلحة سكة الحديد والتلفون والتلغراف. عمل في المستشفى البروتستانتي في الإسكندرية برفقة الطبيب الشهير آنذاك الدكتور مورو (Morow) وكانت له شهرة مماثلة.

ـ **شكري عبده كحيل**: تعود جذور العائلة إلى دير عطية في سوريا كان الأب عبده كحيل واحدًا من كبار تجار دمشق في أواخر القرن التاسع عشر كذلك شقيقه إبراهيم كحيل الذي افتتح لنفسه محلًا تجاريًا ضخما في نيويورك وتعاطى التصدير والاستيراد مع المشرق العربي.

ولد شكري في بلودان في تموز (يوليو) ١٨٩٣، وتعلم في مدارس دمشق وأكمل دراسته في المدرسة الإنجليزية فيها. انتقل إلى الكلية الإنجيلية الأمريكية في بيروت ونال بكالوريوس في العلوم عام ١٩١٣. أتقن العربية والإنجليزية وكانت له مواهب رياضية كثيرة إذ نال أكثر من ١٣ ميدالية ذهبية أثناء دراسته. هاجر إلى مصر حيث تدرب في وظائف صغيرة عند المقاولين الشوام. وما إن أصبحت لديه الخبرة الكافية حتى أنشأ لنفسه مكتبًا كبيرًا للمقاولات ونظرًا لصداقاته الواسعة، وشهرة والده، وغناه الاقتصادي، اتسعت أعماله كثيرًا فأصبح متعهد تنفيذ مشاريع ضخمة في وزارات الأشغال والمواصلات والصحة والبلديات في مختلف أرجاء القطر المصري. جمع ثروة كبيرة وظف قسمًا هامًا منها في شراء الأراضي واستصلاحها، جريًا على عادة الكثير من مهاجري الشوام بمصر.

ـ **آل كرم أو ملوك الخشب في مصر**: يعود أصل العائلة إلى طرابلس الشام جاء الجد سمعان كرم إلى الإسكندرية عام ١٨٤٨ للتجارة، ثم استقدم أخويه جورج ووهبة. وعندما توفي سمعان سنة ١٨٨٨ بالإسكندرية ترك ابنا، يعقوب كرم، وثروة طائلة. ومن الطريف أن جورج كرم الذي أمضى أواخر أيامه في لبنان، أوصى بنقل رفاته إلى الإسكندرية ونفذت وصيته بعد عمر يناهز الثمانين سنة أمضى معظمها في مصر وأحبها حتى العبادة عام ١٩٢٦. قتل توفيق جورج كرم بالإسكندرية على يد لصين حاولا سرقته فتولى إدارة الأملاك والتجارة شقيقه إدوار.

الفرع الآخر لآل كرم ينتسب إلى أسعد كرم، أحد وجهاء طرابلس الشام. ولد

ميشال أسعد كرم في طرابلس عام ١٨٧٨، ورحل إلى مصر عام ١٨٩٨ للعمل لدى أنسبائه آل كرم في تجارة الأخشاب. كان يتقن العربية والفرنسية وتزوج عام ١٩١١ من عائلة «نصبة» إحدى العائلات اللبنانية بالإسكندرية.

مارس جميع أفراد هذه العائلة تجارة الأخشاب بين مصر وسوريا وبر الأناضول. وفي عام ١٩٠٤ تحولت مخازن آل كرم للأخشاب إلى «الشركة التجارية العقارية المصرية: سمعان كرم وإخوانه» برأسمال قدره ٣٦٠ ألف جنيه مصري وفي عام ١٩٢٥ بات للشركة ثمانية محلات بالإسكندرية وحدها وكلها لبيع الأخشاب والموبيليا. أسست لها فروعًا عديدة في المدن المصرية خاصة في القاهرة، وطنطا، وكفر الشيخ،وتلا، وبنها، وتوسعت إلى الخرطوم وباقي المدن السودانية. كان آل كرم يستوردون الأخشاب من مختلف الدول الأوربية خاصة من النمسا، ورومانيا، وأسوج، وفنلندا، وآسيا الصغرى. بلغ عدد العاملين في الشركة ما يزيد على أربعمائة عامل. تحول آل كرم إلى المقاولين الأساسيين لاستيراد الأخشاب باسم الحكومتين المصرية والسودانية فجمعوا ثروات طائلة. لقد بدأ ميشال أسعد كرم عمله في محلات أنسبائه بالإسكندرية ثم أسس تجارة مستقلة للأخشاب منذ عام ١٩٠٦ بالإسكندرية والقاهرة، ولما لم يستطع منافسة أنسبائه، أسس شركة لبناء المساكن للإيجار بالإسكندرية فأصبح من كبار العاملين في هذا المجال.

جعلت تجارة الأخشاب آل كرم إحدى العائلات الرأسمالية الأكثر غنى بين المهاجرين الشوام في مصر، لقب جورج كرم بـ«ملك الأخشاب» وعرف بهذا الاسم على نطاق واسع في مصر والسودان وخارجهما. جمع إلى تجارة الأخشاب مصدرًا آخر للثراء والربح السريع هي تجارة البورصة وأتقنها بشكل ممتاز وانتخب بالإجماع رئيسًا لإدارة البورصة الخديوية في الإسكندرية التي كانت تضم العشرات من كبار المتمولين المصريين والأوربيين والشوام. ساهم بنشاط في تأسيس وإدارة شركة المياه بالإسكندرية وكان عضوًا بارزًا في مجلس إدارة جمعية المشاريع بالمدينة بالإضافة إلى وجوده في إدارة معظم الجمعيات الناشطة فيها.

وجريًا على العادة المتبعة للشوام في مصر كان للطائفة نصيب وافر من اهتمام آل كرم. فقد رأس جورج كرم الجمعية الخيرية السورية الأرثوذكسية وبنى الكنيسة الأرثوذكسية السورية الكبرى بالإسكندرية.

يتضح من تاريخ آل كرم أن المهاجرين الشوام كانوا يختارون عملًا معينًا يحاولون من خلاله جمع الثروة. لذلك ينصرف المهاجر الأول إلى تأسيس تجارة واسعة في إحدى المدن المصرية تحتكر أحد الأصناف أو السلع ثم يوسع تجارته داخل المدينة وإلى المدن المصرية الأخرى وصولا إلى المدن السودانية أيضًا ولا تبقى علاقاته محصورة بسلعة واحدة في مصر بل يرتبط مباشرة كوسيط تجاري ومقاول كبير لدى الحكومة بمصادر السلعة في الخارج. ومع توسع أشغاله ومحاله التجارية يستدعي أشقاءه، بالدرجة الأولى، ثم أنسباءه الأقربين. ويسير الأخ على غرار أخيه في التجارة نفسها، كذلك يفعل أبناؤهم أما الأنسباء فنادرًا ما يستمرون في الخط التجاري ذاته نظرًا لصعوبة البروز والشهرة في ذلك الحقل وإلا اضطر النسيب إلى قبول الوظيفة الدائمة لدى أقربائه من المهاجرين الأوائل، فعلى المهاجر الجديد أن يختار مجالًا تجاريًا آخر يتميز به عن الأنسباء حتى يستطيع جمع الثروة وذلك بدعم مادي مباشر منهم، في المرحلة الأولى، وبالاستقلال عنهم في المرحلة اللاحقة. لكن المهاجر الجديد، في جميع الأحوال، يستفيد كثيرًا من سمعة المهاجرين الأوائل ودعمهم المادي والمعنوي في الأسواق التجارية المصرية والسودانية. فتفتح له الطريق للانطلاق بسرعة نحو جمع الثروة الكبيرة خلال فترة زمنية قصيرة.

- **آل الكلنك**: من عائلات بكفيا المعروفة. هاجر كثير من أفراها إلى مصر وتبرز أسماؤهم بكثرة في سجلات القاهرة والإسكندرية والمنصورة وغيرها. ولد أديب مفرج الكلنك عام ١٩٠٧ لأب مهاجر ومقيم بالإسكندرية. تعلم في الكلية الإنجليزية بالإسكندرية وأرسله أبوه لإكمال الدراسة في الجامعة الوطنية بعالية، ونال دبلوم التجارة من الجامعة الأمريكية في بيروت. عين سكرتيرًا لمدير البنك الإنجليزي بالإسكندرية وشغل، عام ١٩٣٥، مركز أمين سر عميد كلية الملكة فيكتوريا بالإسكندرية.

- **المهندس باخوص لبنان وشقيقه الدكتور وديع**: ولد باخوص في دلبتا، قضاء جبيل، عام ١٨٨٢، وتلقى دروسه الابتدائية في مدارس المنطقة ثم أكمل دراسته العليا في الجامعة اليسوعية في بيروت فنال شهادة الهندسة أتقن العربية والفرنسية وهاجر إلى مصر عام ١٩٠١، عين موظفًا في مصلحة سكة الحديد بالقاهرة ثم مهندسًا لقسم المساحة في وزارة الأشغال العامة ترك العمل الوظيفي إلى الأعمال الخاصة، فعين

وكيلًا لأملاك الفيكونت جبريال فونتريس (Gabriel Fontaris) في مصر والسودان وكانت تزيد على التسعة آلاف فدان، وتدل على اتساع أملاك المهاجرين، الأجانب والشوام، على حساب خراب الفلاحين المصريين، كان على علاقة وثيقة بكبار أصحاب الأراضي ورجال الأعمال في مصر كلفه هؤلاء، خاصة الفرنسيين منهم، بزيارة البلدان ذات المناخ المشابه لمصر للاطلاع على الزراعة فيها فزار الجزائر وجزيرة جاوا (Jawa) وجزية ساموا (Samoi) وزار أوروبا مرارًا ونال شهرة عالمية في مجال تحسين الإنتاج الزراعي وسبل استصلاح الأراضي، نال أوسمة عديدة من مصادر متنوعة أبرزها نيشان الامتياز الزراعي الفرنسي من المرتبة الأولى.

وولد شقيقه، الدكتور وديع لبنان، في بيروت عام ١٨٩١، وتعلم في مدارس الآباء اليسوعيين فنال البكالوريا عام ١٩٠٧، وأكمل دراسته في الجامعة اليسوعية فتخرج طبيبًا عام ١٩١١. غادر إلى باريس للتخصص في الطب نظرًا لأوضاع شقيقه المالية الممتازة فأحرز تخصصًا بالأمراض الزهرية والجلدية والجهاز البولي من الجامعات الفرنسية ونال خبرة في مستشفياتها. ترك باريس متوجهًا إلى القاهرة حيث عين طبيبًا للجيش المصري في مصر والسودان وأوغندا وأحرز رتبة يوزباشي مع أربع ميداليات لكنه، جريًا على عادة كثير من المهاجرين، ترك العمل الوظيفي ففتح لنفسه عيادة خاصة في القاهرة ونال شهرة واسعة وجمع ثروة كبيرة ومنح أوسمة كثيرة من حكومات مصر والسودان. كان عضوًا في بعض الجمعيات الطبية الأوربية وله مقالات علمية في الصحف والمجلات المصرية في حقل اختصاصه. يعتبر نموذج الأخوين باخوص ووديع لبنان من الأمثلة الملموسة على مدى نجاح المهاجرين اللبنانيين والسوريين في جمع ثروة كبيرة عبر المهن الحرة.

ـ **حنين لطفي**: ولد بدمشق في ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٨٦، ودرس في مدارسها الابتدائية وفي المدرسة البطريركية فيها ثم في بيروت. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعمل في محل والده التجاري بدمشق قبل أن يهاجر إلى مصر عام ١٩٠١، حيث عمل مستخدما في محلات سليم ونجيب نحاس التجارية لمدة خمس سنوات. بعد أن تعرف على المحلات التجارية الأجنبية في القاهرة انتقل إلى شركة جولد تبرج فيها كمسئول للمبيعات في مختلف فروع الشركة في مصر. لكنه ما لبث، جريًا على عادة غالبية المهاجرين، أن هجر العمل التجاري الوظيفي ليؤسس محلًا خاصًا به وتجارة حرة ونال وكالة عدد كبير من الفبارك الأوربية. وسيرة حنين

لطفي نموذج لكثير من مهاجري الشوام الذين بدءوا حياتهم التجارية في محل صغير أو كمستخدم في شركة محلية أو أجنبية في مصر ليصبحوا في النهاية من أصحاب المحلات التجارية الواسعة ووكلاء لعدة فبارك أوربية.

ـ **خالد بك لطفي**: ولد في دمشق عام ١٨٥٩ وتعلم في مدارسها. قدم مصر وسكن في الفيوم حيث اشتغل في عدة مصالح حكومية حتى وصل إلى رتبة السكرتير الأول لمديرية الفيوم. نال أوسمة عدة أبرزها وسام الخديوي من الرتبة الثانية والنيشان العثماني مع رتبة بك. كانت له شهرة واسعة بين مهاجري الشوام في مصر وليست لدينا معلومات إضافية حول أوضاعه الثقافية والعائلية ونشاطاته الاجتماعية.

ـ **إبراهيم لفلوفة**: من أسرة صيداوية. تعلم في مدارس صيدا وعينطورة ولم يحرز شهادات عالية لكنه أتقن العربية والفرنسية ثم التركية بعد أن هاجر إلى الآستانة شابًا في مقتبل العمر. ترك العاصمة العثمانية إثر انقلاب ١٩٠٨، وانتقل إلى مصر للعمل في وظائف حكومية كثيرة. وتشير المراجع إلى علاقة وثيقة بين إبراهيم لفلوفة وحاشية السلطان عبد الحميد الثاني إذ عمل لفترة طويلة في جهاز «المابين» أي الاستخبارات السرية للسلطان.

اختار مصر بعد خلع عبد الحميد الثاني وكانت علاقته وثيقة بالمحافل الماسونية فيها فأمنت له استمرارية النفوذ. لم تكن له أعمال محددة فقد اشتغل في التجارة، والأراضي، وبيع الشقق، وأسس مكتبًا للقضايا والأعمال الحكومية، نال مرتبة الشرف الأعظم من الدرجة الثالثة والثلاثين من المحفل الماسوني الأكبر الإيطالي في الشرق، ورتبة العقد الملوكي من المحفل المصري. كان أبرز مؤسسي محفل مصر الجديدة، ومحفل الأبولسك (Appolsque) ورئيسًا له، ومحفل الجمال. يعتقد أن عمله الأساسي كان إقامة وتنشيط المحافل الماسونية التي لعبت دورًا بارزًا وخطيرًا في تاريخ مصر المعاصر وكان من أفرادها عدد من أبرز الوجوه السياسية والثقافية والصحفية المصرية. نال أوسمة ونياشين من مصادر متنوعة. وحاز على لقب بك من الدرجة الثانية، والنيشان المجيدي من الرتبة الرفيعة، والنيشان العثماني الممتاز، والميدالية الذهبية العثمانية، والكثير من الأوسمة الماسونية من محافل داخلية وخارجية. يعتبر إبراهيم لفلوفة من أبرز المهاجرين الشوام العاملين في النشاطات الماسونية في المشرق العربي في الربع الأول من القرن العشرين.

ـ **أنطون مارون**:ولد في زحلة وتعلم في مدارسها وفي بيروت حيث نال شهادة المحاماة. كانت له ميول اشتراكية علمية ناضل من أجلها حتى الموت. عرفته مصر قائدًا جماهيريًا محبوبًا فوصف بالقائد الفعلي لاتحاد نقابات العمال ولجماهير العمال المصريين. أشار إليه إنجرام (Ingram)، أحد كبار رجال البوليس في مصر خلال تلك المرحلة بقوله «كان العمال يعملون بنصائح الأستاذ مارون ورفاقه، ولم يكن سهلًا على البوليس البريطاني إخراجهم من اجتماع أو مهرجان جماهيري لكن ذلك كان من أيسر الأمور على الأستاذ مارون، لأن كلمة واحدة منه كانت تكفي لإنهاء احتلال العمال للمصنع». اعتقلته السلطات البريطانية في مصر مرات عديدة وفي المرة الأخيرة أضرب أنطون مارون عن الطعام حتى الموت دفاعًا عن حقوق المسجونين السياسيين وتوفي في السجن.

يعتبر نموذج أنطون مارون من الفرادة بين مهاجري الشوام إلى مصر فلم نجد شبيهًا له إلا ابن بلدته الزحلاوي رفيق جبور. لقد انخرط هذان المناضلان ضد الاحتلال البريطاني طيلة سنوات حياتهما وفي جميع المراكز التي شغلاها. فلقيا نهاية مشابهة على أيدي الاستخبارات البريطانية، إذ مات أنطون مارون في سجون القاهرة مضربًا عن الطعام، ومات رفيق جبور في فلسطين مسمومًا في أحد مستشفياتها بعد أن أبعدته السلطات البريطانية عن مصر. ولا يتسع المجال في هذه الدراسة لتقديم صورة كافية عن حياة هذين المناضلين التي لا تندرج في السياق العام للسمات الأساسية لهجرة الشوام إلى مصر. فلم يشارك المهاجرون إلا نادرًا في العمل السياسي. وفي الغالب، من مواقع الدعم للسلطات المسيطرة وبالارتباط معها وليس من مواقع معادية لها. لكن تسليط الأضواء على سيرة حياة أنطون مارون ورفيق جبور سيحتل حيزًا واسعًا من الدراسات العلمية التي تتناول تاريخ الفكر الاشتراكي، خاصة العلمي منه، في بلاد الشام ومصر على السواء. وسيكون لهذين الرائدين دور مميز في مجال التأريخ لنضال القوميين العلمانيين العرب، على اختلاف طوائفهم ومناطقهم، ضد الاستعمار الأجنبي.

ـ **آل مرشاق**: أسرة شامية تعود جذورها إلى النبك في سوريا ثم انتقلت إلى دمشق ومنها إلى مصر في أواخر القرن التاسع عشر. كانت أرثوذكسية ثم تحولت في نهاية القرن التاسع عشر إلى البروتستانتية.

أنجب عبد الله مرشاق ثمانية أولاد ولدوا جميعهم في دمشق وهم: إلياس وأمين وخليل وميشال وسليم وإبراهيم بالإضافة إلى ابنتين لم تذكر أسماؤهما جريًا على عادة مراجع تلك المرحلة التي تهمل، في الغالب، ذكر البنات وتكتفي، في أحسن الأحوال، بذكر عددهن.

كان عبد الله مرشاق تاجرًا معروفًا في دمشق وجمع ثروة لا بأس بها، ساعدته في مصر للانطلاق السريع في الحقل التجاري والمقاولات، ثم وظف قسمًا منها في المصانع خاصة خراطة الحديد في القاهرة.

ولد أمين مرشاق في دمشق عام ١٨٧٩، وتعلم في مدارسها ثم التحق بالكلية السورية الإنجيلية في بيروت ونال منها بكالوريوس علوم عام ١٨٩٨. هاجر إلى القاهرة وتوظف في وزارة الأشغال المصرية واحتل مركزًا إداريًا هامًا كان يشغله حتى عام ١٩٢٥. إلى جانب عمله الوظيفي، كتب أمين مرشاق مقالات علمية وأدبية متنوعة وشارك في العمل التجاري لحسابه الخاص فجمع ثروة كبيرة واشترى أراضي واسعة قام باستصلاحها والاتجار بإنتاجها وكانت له نشاطات اجتماعية متعددة أبرزها أنه كان من الأعضاء المؤسسين لنادي خريجي الكلية الإنجيلية السورية (الجامعة الأمريكية) في بيروت، وكان عضوًا فاعلًا في «جمعية تهذيب الشبيبة السورية» التابعة لها.

ولد ميشال مرشاق في دمشق عام ١٨٨٢، حيث ولد أيضًا شقيقه إلياس عام ١٨٨٩ ثم سافر الاثنان إلى القاهرة عام ١٨٩٩، وسكنا في الزقازيق. كان ميشال مرشاق قد أنهى دراسة الرياضيات في مدارس دمشق وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية، ثم انصرف إلى العلم التجاري والصناعي والمقاولات مع إخوته ووالده. أما شقيقه إلياس فأعاده ذووه إلى الكلية السورية الإنجيلية في بيروت عام ١٩٠٣ لإكمال الدراسة ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩٠٧ ليؤسس مع إخوته محلًا تجاريًا كبيرًا سرعان ما تفرد به عام ١٩١٠. تزوج عام ١٩١٧ من الآنسة وديعة أبو شعر، سليلة إحدى عائلات المهاجرين الشوام في مصر، وكان زواج باقي أفراد أسرة آل مرشاق من مهاجرات شاميات يقطن مصر. بدأ انتشار الجيل الثالث من آل مرشاق في مختلف المدن المصرية والسودانية حتى إن والد سلمى مرشاق سليم، السيد وديع سليم مرشاق، كان من مواليد مدغشقر. يدل ذلك على انتقال سليم عبد الله مرشاق من مصر إلى مناطق إفريقيا وسواها.

وتذكر السيدة سلمى أن آل مرشاق توزعوا من حي الفجالة في القاهرة إلى منطقة جاردن سيتي (Garden City) ومناطق أخرى بالقاهرة، وبقيت علاقة الأبناء والأحفاد وطيدة بمدرسة برمانا العالية (Brummana High School) في جبل لبنان حيث تعلم والدها وديع مرشاق وبعض أنسبائها. وتؤكد العلاقة الوثيقة بين مهاجري هذه الأسرة وبعض الزعامات السياسية الوطنية في سوريا كعلاقة والدها بالزعيم السوري عبد الرحمن الشهبندر وفي حوزتها مراسلات عدة بينهما.

ـ **كامل مرقص**: ولد في اللاذقية. والده إلياس مرقص، أحد كبار تجار التبغ في المدينة ومن أعيانها المعروفين. هاجر الأب إلى الإسكندرية واشتغل في تجارة التبغ بين الإسكندرية واللاذقية وجمع ثروة هامة. وعائلة مرقص في اللاذقية ذات ارتباط وثيق بالسلطنة العثمانية والعمل الإداري فيها، وبالقنصليات الروسية في المشرق العربي إذ وصل بعض أفرادها إلى رتب قنصلية بارزة في مدن المشرق العربي مما زاد في نفوذ الأسرة الاقتصادي والاجتماعي. عمل إلياس مرقص مع أنسبائه في مجال امتلاك الأراضي العقارية بالإسكندرية، فكتب عنهم إلياس زخورا ما يلي: «كانت أسرة آل مرقص تمتلك نصف أراضي الإسكندرية تقريبًا». ولا ريب أن الرقم مبالغ فيه كثيرًا لكنه دلالة على سعة الأراضي التي كانت بحوزة آل مرقص بالإسكندرية لكن كامل مرقص انصرف إلى العمل الصحافي في مصر فكتب في جريد «الأخبار» وغيرها من الصحف المصرية، وانتهى موظفًا في محكمة القاهرة المختلطة وذلك يدل على تقلص النفوذ الاقتصادي والتجاري لهذا الجيل من آل مرقص في القطر المصري بعد أن عاد الكثير منهم إلى مسقط رأسهم باللاذقية.

ـ **جورج مرهج**: ولد في ضهور الشوير وتلقى علومه فيها وأكملها في الجامعة الأمريكية ببيروت فنال إجازة في الكيمياء وأتقن العربية والإنجليزية. عمل بادئ الأمر في الجيش المصري منذ عام ١٩٠٠، ولمدة أربع سنوات حتى وصل إلى رتبة يوزباشي ثم استقال وسافر إلى السودان عام ١٩٠٤، حيث أسس صيدلية خاصة (أجزخانة). هجر العمل الصيدلي لأنه لم يوصله إلى الثروة المنشودة وفتح محلًا للتجارة بالخرطوم فجمع ثروة كبيرة وحصل على وكالة عدة شركات للسيارات في مصر وسوريا وفلسطين.

ـ **آل مسلّم**: أسرة معروفة في بكفيا هاجر بعض أبنائها إلى مصر. ويرى إدمون بلبيل أن آل فرحات وعميرة في مصر هم من أبناء هذه الأسرة، برز منهم عبد الله أنطون

عميرة الذي شغل مركز ترجمان قنصلية فرنسا بالمنصورة. توفي في مصر ودفن فيها. وولد يوسف مسلم في قرنة شهوان عام ١٨٨٤، وتعلم في مدرستها وأكمل دراسته في عينطورة. هاجر إلى مصر عام ١٩٠١، وعمل ترجمانًا لقنصل فرنسا بالمنصورة وتوفي ودفن فيها عام ١٩٢٨.

ـ **آل مشاقة**: أسرة يونانية الأصل هاجر بعض أفرادها إلى طرابلس الشام ثم توزعوا إلى صيدا وصور ودير القمر ورشميا وغيرها من مناطق إمارة جبل لبنان والمناطق المحيطة بها. وعرف من هذه الأسرة عدد من كبار التجار والملتزمين أيام ولاية أحمد باشا الجـزار وحكم الأمير بشير الشهابي الثاني. برع من أفرادها الدكتور ميخائيل مشاقة صاحب المذكرات المشهورة «مشاهد العيان في أخبار جبل لبنان»، والتي تناولنا من خلالها نموذج هجرة آل مشاقة إلى مصر، لكن تشابه العائلات السورية ـ اللبنانية واتساع تمركزها لا يؤكد أن صلة القرابة بين أفرادها هي بالضرورة صلة رحمية بل يجمعهم الانتساب إلى عائلة واحدة منتشرة أحيانًا في أكثر من منطقة في بلاد الشام.

ـ أنطون مشاقة: ولد بدمياط عام ١٨٥٥. والد الوجيه يوسف مشاقة الذي هاجر من طرابلس الشام في القرن التاسع عشر. وأسرة مشاقة معروفة بتجارة الحرير في المشرق العربي ومنها تسميتها. جمع الجد جرجس مشاقة ثروة طائلة في تجارة الحرير والتبغ بين مصر وبلاد الشام وشارك في بناء دير المخلص وفي كثير من الكنائس والمساجد في المدن اللبنانية. واستقر الأب يوسف مشاقة بدمياط وتعاطى التجارة فجمع ثروة كبيرة وامتلك أراضي واسعة. تعلم ابنه أنطون في مدارس دمياط وأتقن العربية والفرنسية والإنجليزية. عمل في مصلحة الصحة العامة وترقى إلى رتبة رئيس أقلام المصلحة في القطر المصري غادر العمل الوظيفي، جريًا على عادة كثير من مهاجري الشوام في مصر، وانصرف إلى إدارة أملاكهم الواسعة وتجارتهم المزدهرة ارتبط اسمه بالكثير من الجمعيات الخيرية للشوام في مصر، خاصة الكاثوليكية منها.

ـ توفيق مشاقة: ولد في دمشق عام ١٨٨٣، وتعلم في مدارسها وأكمل دراسته في الكلية الإنجيلية الأمريكية في بيروت ونال بكالوريوس علوم وتجارة عام ١٩٠٤. سافر إلى مصر عام ١٩٠٥، وتوظف في مصلحة سكة الحديد بالقاهرة. هجر الوظيفة الحكومية في العام التالي ١٩٠٦، وانتقل إلى شركة جراشام (Gracham) المشهورة

فشغل مركز المدير الثاني فيها ثم رئيسًا عامًا لها لفترة طويلة. تتشابه سيرة توفيق مشاقة مع كثير من مهاجري الشوام في مصر. عمل وظيفي عادي، وظيفة أرقى في قطاع خاص، استقرار في عمل بارز يؤمن له الشهرة والغنى. من سماته الخاصة أنه أتقن لغات عديدة هي: العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والتركية وهي ظاهرة قليلة الشيوع في مطالع القرن العشرين فنجاح المهاجر يعود، بالدرجة الأولى، إلى النشاط الشخصي والإخلاص للعمل الذي يستقر فيه وبذلك يتمايز عن سواه من العرب والأجانب.

ـ الدكتور خليل مشاقة: ولد في دمشق عام ١٨٧٩ من أسرة معروفة في حقل الطب. كان جده طبيبًا كذلك والده الدكتور إبراهيم مشاقة. تلقى علومه الأولى في مدارس دمشق وأكمل دراسة الطب في الكتلة السورية الإنجيلية الأمريكية في بيروت ونال شهادتها عام ١٩٠٤، وأتقن العربية والإنجليزية. هاجر فور تخرجه إلى مصر عام ١٩٠٥ واستقر بالقاهرة. أسس عيادة طبية نالت شهرة واسعة بين أطباء مصر، المحليين والعرب والأجانب. حضر عدة مؤتمرات طبية عالمية وله أبحاث علمية منشورة في مجلات متخصصة.

ـ **نقولا مشبهاني وأولاده**: هاجر الأب نقولا مشبهاني من طرابلس الشام عام ١٨٨١ وتشير بعض المراجع إلى أنه «أول سوري هبط أرض بور سعيد». ويمكن القول إن نقولا مشبهاني كان من أوائل المهاجرين الشوام إلى بور سعيد حيث ولد أبناؤه قسطنطين عام ١٨٨٧، وسابا عام ١٨٩١، وسليم عام ١٨٩٧، ونقولا عام ١٨٩٩ . وتسكت المراجع عن ذكر البنات ولا تشير إلا إلى الذكور. مارس قطسنطين وسابا وسليم العمل التجاري في محلات والدهم المعروفة باسم «**محلات مشبهاني** إخوان في بور سعيد». كانت تجارتهم واسعة جدًا حتى شملت سلعًا مستوردة مباشرة من الهند والعراق وأوربا وبلاد الشام. وعلى قاعدة الغنى الاقتصادي الكبير ترعرع الأخ الأصغر جورج مشبهاني في مناخ ثقافي فأُرسل إلى طرابلس للدراسة في مدارس الفرير وأكمل علومه في مدرسة عينطورة الشهيرة. وكان ذلك الجيل من المهاجرين الأوائل يتشدد في إرسال أبنائه للتعلم في مدارس لبنان.ومن يرغب في تحصيله العالي يرسل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، إذا كان ممن يتقنون اللغة الإنجليزية أو إلى الجامعة اليسوعية فيها لمن يتقن الفرنسية. ولمزيد من التحصيل

العلمي كان بعض الآباء أو الإخوة يحرصون على إرسال أبنائهم إلى الجامعات الأوربية أو الأمريكية. نال نقولا مشبهاني شهادة الحقوق من جامعة باريس تأكيدًا لتمايز العائلة وغناها التجاري. عاد إلى مصر وتزوج من فيكتورين صليبا نادر، من عائلة لبنانية مهاجرة إلى مصر وتسكن في بور سعيد، وهو زواج شائع آنذاك.

مارس جورج المحاماة ونال شهرة واسعة، وهي سمة فريدة إذ كان المثقفون من أبناء التجار يكتفون، غالبًا وحتى أواخر القرن التاسع عشر، بالثقافة واللغات التي حصلوا عليها لأنفسهم وينخرطون في العمل التجاري وإدارة أملاك ذويهم الواسعة. لقد فضل جورج مشبهاني ممارسة المهنة إلى جانب الثروة التجارية والعقارية الكبيرة التي حصل عليها من شراكته في «محلات مشبهاني إخوان في بور سعيد». وما لبث أن أصبح وكيلًا لنقابة المحامين في المدينة واعتبر من أبرز وجهائها ومن كبار المهاجرين الشوام فيها. وللتدليل على غنى آل مشبهاني، قام نقولا وإخوته منفردين بإنشاء كنيسة القديس نيقولاوس للروم الأرثوذكس في بور سعيد على اسم والدهم. كانت للمحامي جورج مشبهاني صلات واسعة خارج بور سعيد، في القاهرة والإسكندرية وغيرها من المدن المصرية والسودانية وتوكل في العديد من الدعاوى الكبيرة وكان ذائع الصيت في حقل المحاماة، أبرز الأوسمة التي نالها نيشان الافتخار من باي تونس في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٩.

إن مرحلة الربع الأول من القرن العشرين، أي الجيل الثاني من مهاجري الشوام إلى مصر ذات دلالة خاصة في مجال الهجرة. فلم تعد الثروة الاقتصادية الهاجس الوحيد لدى المهاجرين بعد أن ترسخت الدعائم المادية وبدأت انطلاقة الأبناء في حقول أخرى لنيل الشهرة والجاه كالمحاماة والطب والسياسة وغيرها دون القطع مع النشاط التجاري الذي بقي بحوزة أحد الإخوة باستمرار ويرفد الآخرين بالمال اللازم لنيل الشهرة.

ـ **بديعة مصابني**: فنانة كبيرة لعبت دورًا بارزًا في الحياة الفنية بمصر وشاركت في الكثير من الأعمال إلى جانب كبار الفنانين المصريين.

ـ **ميخائيل مصور**: ولد في زحلة وتعلم في مدارسها وهاجر إلى مصر في العشرين من عمره فعمل في تجارة القطن والغلال في كفر الزيات. اشترى أراضي زراعية

واسعة في مديرية البحيرة وأصلحها فأصبح من كبار أصحاب الأملاك بالإضافة إلى عمله التجاري. نقل تجارته إلى مدينة الإسكندرية حيث تعلم ابنه كليمان (Clement) في مدرسة الفرير فيها ودخل عالم التجارة وإدارة الأملاك الزراعية. تولى أعمال والده في مصر بعد وفاته عام ١٩١٣ واستقر فيها.

ـ **سليم معتوق**: ولد في دمشق عام ١٨٦٠، وتعلم في مدرسة الأب بولس راضية الوطنية فيها. أتقن العربية والتركية والفرنسية وزار مصر للمرة الأولى عام ١٩١٢ ثم هاجر إليها واستقر فيها فعمل في الخياطة وتجارة الأقمشة فكان محله لبيع الأجواخ من أهم محلات القاهرة تزوج ابنة الكونت ميخائيل قريصاتي (Cressatti)، صاحب البنك المالي بمصر والذي بقي على علاقة وطيدة بمسقط رأسه دمشق حيث ترأس ابنه توفيق قريصاتي النادي الكاثوليكي وجمعية النهضة فيها.

إن المدة الزمنية بين تصفية سليم معتوق لأعماله في دمشق عام ١٩١٢، وانتقاله إلى مصر ووفاته فيها عام ١٩٢٤، تعتبر فترة قصيرة جدًا لا تتجاوز الاثنتي عشرة سنة، تمكن خلالها مع أولاد. من جني ثروة مالية كبيرة في مصر جمعوها في تجارة الأجواخ والخياطة لكبار رجال السياسة والأعمال في مصر وهي دلالة على سهولة جمع الثروة في مصر من مصادر متعددة لكنها وثيقة الصلة بالتجارة.

ـ **أسعد معلوف**: ولد في زحلة عام ١٨٨٠، ودرس في مدارسها الابتدائية وفي الكلية الشرقية فيها ثم أكمل دراسته في الكلية الأمريكية في بيروت فنال شهادة الصيدلة عام ١٨٩٩. هاجر إلى مصر وعين موظفًا في القسم الطبي في الجيش المصري برتبة ملازم. ترقى في الوظيفة حتى رتبة قائمقام عسكري، عام ١٩٢٨. مارس تدريس الصيدلة في الكثير من المؤسسات التابعة للجيش المصري وكان له نفوذ واسع في الإدارة العسكرية المصرية في الثلث الأول من القرن العشرين. نال أوسمة عديدة وميداليات من مصادر متنوعة، أبرزها النيشان العثماني المجيدي من المرتبة الرابعة، ونيشان النيل. عرف عنه حبه لمصر وإصراره على البقاء فيها.

ـ **أسعد مفرج**: ولد في الكورة في شمالي لبنان، وهاجر في سن العشرين إلى لندن لدراسة التجارة فتجنس وأمضى الخدمة العسكرية فيها. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وعينته شركة (Pioneer) الإنجليزية وكيلًا لها في السلطنة العثمانية، خاصة في سوريا وفلسطين ومصر، ثم أضافت إلى وكالته بلاد اليونان. كذلك عينته

فبارك (Walder)الإنجليزية للزيوت وإصلاح المراكب البحرية وكيلًا لها في الشرق الأوسط كمتعهد لإصلاح المراكب التجارية والحربية. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى أسس أسعد مفرج محلًا كبيرًا للتجارة والقومسيون في القاهرة وفرعًا آخر له في الإسكندرية وأصبح من كبار تجار القطر المصري بسبب الوكالات الأجنبية التي حصل عليها. أبرز نشاطاته الاجتماعية مساهمته في تأسيس المستشفى السوري للنقاهة في القاهرة والنادي السوري بالإسكندرية.

- **فيكتوريا ملحمة**: من أسرة بيروتية معروفة لعبت دورًا بارزًا في السياسة إبان السلطنة العثمانية حيث أصبح نجيب باشا ملحمة وزيرًا فيها. كانت فيكتوريا ملحمة عازفة بيانو معروفة جيدًا في الأوساط الغنية الأرستقراطية المصرية ولها مؤلفات موسيقية أبرزها مارش مُهدى للملك فاروق.

- **أسرة المنتوش**: من أسر بكفيا وبيت شباب المعروفة. هاجر عدد كبير من أفرادها إلى مصر في القرن التاسع عشر وترد أسماؤهم بكثرة في سجلات كنائس المدن المصرية. ولد الدكتور ميشال أسعد أبو زخم المنتوش في طنطا وتعلم في مدرسة الأفريكان الشهيرة فيها. نال شهادتها عام ١٩١٨ والتحق بكلية الطب في الجامعة اليسوعية ببيروت وتخرج فيها عام ١٩٢٥، وعاد يزاول المهنة في المحلة الكبرى بمصر. وولد شقيقه الدكتور هنري المنتوش في طنطا عام ١٩٠٤، وتعلم في مدرسة الأفريكان وتخرج طبيبًا في الجامعة اليسوعية ببيروت وزاول الطب في المنصورة. عرفت هذه الأسرة بكثرة أعدادها في مصر وامتلاك الكثير من أبنائها محلات تجارية ومؤسسات خاصة مزدهرة وأراضي واسعة.

- **إلياس منسى وابنه جورج**: من أسرة هاجرت من بيروت إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر. تعلم إلياس منسى في مدارس بيروت وكان ميالًا للغات فأتقن العربية والفرنسية والإيطالية والتركية واليونانية، وذلك يشكل ظاهرة فريدة في أواسط القرن التاسع عشر. جاء مصر في العشرين من عمره فتلقفته إدارة شركة قناة السويس وأصبح الترجمان الرئيسي في مكتب مديرها فردينان دوليسبس (Ferdinand de Lesseps) الذي عينه سكرتيرًا خاصًا له بعد تأزم أوضاع الشركة بسبب صراع النفوذ حولها بين الفرنسيين والإنجليز انتقل إلياس منسى إلى القاهرة وشغل مركز معاون مدير الشرطة (القبطية) فيها ثم باش معاون وزارة الداخلية إلى أن توفي عام ١٨٩٥. لقد كان إتقان

اللغات خلال تلك المرحلة عاملًا أساسيًا في الترقي الاجتماعي في مرحلة شهد فيه المجتمع المصري تحولات نوعية في الاقتصاد والإدارة والوظائف والتعليم.

ولد ابنه جورج منسى بالقاهرة عام ١٨٨٨، وتلقى علومه في مدرسة الآباء اليسوعيين فيها ونال البكالوريا المصرية، والبكالوريا الفرنسية، وإجازة الحقوق من المدرسة الخديوية. أتقن العربية والفرنسية ومارس تدريس الترجمة في مدرسة الآباء اليسوعيين في القاهرة قبل انصرافه إلى إدارة مكتب المحاماة الذي أسسه محاميان بارزان في مصر هما الأستاذان خليل صيدناوي، ابن صاحب المحلات الشهيرة في القاهرة وباقي المدن المصرية، والأستاذ الفرنسي شورتينو (Chortinaux). كان جورج منسى من المحامين البارزين في القطر المصري وتزوج عام ١٩٢٠، من عائلة يونانية معروفة بغناها الاقتصادي في مصر هي أسرة مادروس.

يتضح من سيرة إلياس منسى وابنه جورج أن الترجمة كانت تؤمن للعاملين فيها مجالًا للبروز والشهرة وقد ورث الابن عن أبيه المهنة لكنه انصرف إلى العمل الحر جريًا على عادة الجيل الثالث من مهاجري الشوام في مصر.

ـ **أسرة مهنا**: أسرة معروفة جيدًا في جبل لبنان وجبل عامل، عمل كثير منهم في التجارة والوظائف العامة. وبرز منهم جرجس مهنا، التاجر المعروف في القاهرة في أواخر القرن التاسع عشر.

ـ **يوسف ميرزا**: ولد في بيروت وتعلم في مدارسها وأكمل الدراسة في الجامعة اليسوعية فيها. أتقن العربية والفرنسية وهاجر إلى مصر في مطالع القرن العشرين وتوظف في دائرة المحاسبة بالقاهرة عام ١٩٠٦. تعاطى التجارة إلى جانب الوظيفة دون نجاح كبير، وعمل مراسلًا لجريدة «الأهرام» باللغة الفرنسية. عين مرارًا مراقبًا لميزانية الحكومة المصرية وأشرف على تنظيم موازنة الجامعة المصرية منذ نشأتها عام ١٩٠٨. أوكلت إليه الحكومة المصرية، عام ١٩٢١ مهمة ضبط حسابات وزارة الأوقاف المصرية. وفي الخامس من أيلول (سبتمبر) عام ١٩٢١ طلبت إليه حكومة لبنان الكبير العودة إلى لبنان والمشاركة في إعداد موازنتها فاستقر فيه وعين مديرًا للمالية، فكان من أوائل المهاجرين اللبنانيين الذين عادوا نهائيًا إلى لبنان وقطع علاقته بالقطر المصري باستثناء الزيارات السياحية.

نموذج يوسف ميرزا ذو دلالة مميزة لأن بعض مهاجري الشوام إلى مصر، خاصة من الجيل الثالث في النصف الأول من القرن العشرين، أعادوا صلاتهم الوثيقة بالوطن الأم في مرحلة تبلورت فيها الكيانات السياسية في المشرق العربي وظهرت كدول مستقلة ومعترف بها لكن سيادتها كانت مؤجلة التنفيذ.

ـ **المهندس عفيف النجار**: ولد في القاهرة لأسرة هاجرت من بيروت منذ مطالع القرن التاسع عشر إلى دمياط. عمل الجد في التجارة فأفلس وانتقل إلى القاهرة مع عائلته حيث توفي. وما لبث الوالد بطرس النجار، أن اشتهر في عالم التجارة ونال شهرة كبيرة.

تعلم عفيف في مدارس القاهرة وأكمل دراسته في المهندسخانة، كلية الهندسة، فيها فنال شهادتها عام ١٩٠٤. توظف في وزارة الأشغال العمومية، دائرة التنظيم المدني لمدينة القاهرة،وساهم في عدد كبير من المشاريع التي نفذت لتخطيط وتنظيم العاصمة المصرية. أبرز نشاطاته الاجتماعية عضويته في جمعية التعاون التي أقامها موظفوا مصلحة التنظيم المدني في القطر المصري نال أوسمة عدة أبرزها نيشان النيل الخامس عام ١٩٢١.

ـ **آل نحاس**: أسرة دمشقية الأصل تتعاطى التجارة فيها منذ ما قبل القرن التاسع عشر. ولد سليم جرجس نحاس عام ١٨٦٤، وتعلم في مدارس دمشق الابتدائية وانتقل إلى المدرسة البطريركية في بيروت لإكمال دراسته ثم التحق بالجامعة اليسوعية فنال البكالوريا الأدبية وسافر إلى مانشستر حيث حصل على دبلوم في التجارة. أتقن العربية والفرنسية والإنجليزية وتزوج عام ١٨٩٧، من ابنة التاجر البيروتي الكبير ميخائيل فرعون وانتقل إلى القاهرة بعد عام واحد حيث كان أخوه نجيب يدير محلات تجارية فيها منذ سنوات طويلة. ترك العمل التجاري إلى إدارة البنوك فأصبح مديرًا لـ«بنك ميخائيل ظريفة وإخوانه» عام ١٩٠٣، واستمر في إدارته حتى الحرب العالمية حين تحول إلى التقاعد.

أما سيرة شقيقه نجيب فتشبه إلى حد بعيد سيرة سليم. ولد في دمشق عام ١٨٧٧ وتعلم فيها وانتقل إلى بيروت ونال دبلوم التجارة من مانشستر، وحل مكان شقيقه في إدارة تجارتهم الواسعة بين مانشستر ومصر لمدة سبع سنوات أمضاها في بريطانيا قبل

أن يستدعيه شقيقه سليم للعمل المشترك أيضًا في محلاتهم التجارية بمصر بعد أن انصرف سليم إلى الأعمال البنكية والطريف أيضًا في تشابه سيرة الأخوين الشريكين أن نجيبًا قد تزوج أيضًا من الابنة الثانية للتاجر البيروتي المشهور ميخائيل فرعون وذلك عام ١٩١١. وكان ذلك الزواج شائعًا في تلك الفترة، وبنسبة أقل منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن.

لم نستطع التعرف على أولاد نجيب نحاس لكن سليم نحاس ترك ثلاثة أبناء ذكور تعاطوا جميعهم التجارة في محلاتهم المعروفة جيدًا بالقاهرة والإسكندرية نال أنطون سليم نحاس شهادة الهندسة في بناء الجسور والمواصلات من جامعة باريس، وحصل شقيقه روبير على إجازة التجارة، وعمل الأخ الثالث محاميًا بالقاهرة. حصّل الثلاثة علومهم الثانوية بمدارس القاهرة والعليا بباريس ولم تربطهم صلات مباشرة بدمشق أو بيروت فاستقروا في مصر.

ـ **آل نصار**: من الأسر البارزة في بكفيا في القرن التاسع عشر حيث ولد جرجس أسعد نصار عام ١٨٨٥، وتلقى دروسه فيها وتخرج في اليسوعية عام ١٩٠٤. هاجر إلى القطر المصري قبيل الحرب العالمية الأولى وعين وكيلًا للقنصلية الفرنسية في دمنهور واستقر فيها.

ـ **جوزف بشارة مسعود نصار**: ولد في بكفيا عام ١٩٠٤، وتعلم في مدرستها وفي الحكمة المارونية في بيروت ثم التحق بأبيه المهاجر إلى الإسكندرية فأكمل دراسته في مدرسة الفرير فيها ونال شهادتها عام ١٩١٨. دخل مدرسة الهندسة بالإسكندرية ولم يكمل دراسته بل انصرف للعمل التجاري في المحلة الكبرى في مصر.

ـ **إسكندر نصرة**: من أسرة شامية مهاجرة قديمًا إلى مصر. سجل اكتشافًا علميًا باسمه لدى محاكم مصر إذ اخترع آلة التانكس عام ١٩٠٣، وتم تصنيعها في مصر.

ـ **أنطون نعمة**: من أسرة صغيرة في بكفيا. ولد عام ١٨٩٨، ودرس في مدرستها وأكمل علومه التجارية في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم هاجر إلى مصر واستقر بالإسكندرية يعمل في التجارة والحقل المصرفي.

ـ **مارون النقاش**: من أسرة كبيرة معروفة في لبنان. عمل في الحقل الفني فكان من أبرز رواد الحركة المسرحية في مصر. شارك في كثير من المسرحيات والأعمال

الفنية وارتبطت النهضة المسرحية العربية باسمه وهناك حاجة ملحة لدراسات كثيرة تتناول مارون النقاش، سيرته وأعماله وريادته للعمل المسرحي العربي.

ـ **سليم النقاش**: هو ابن شقيق الممثل الشهير مارون النقاش. انخرط في العمل المسرحي في مرحلة صعبة كان الناس ينظرون إلى هذا الفن بكثير من الاحتقار والتزمت حيال مشاركة المرأة فيه. لذلك اختار الإسكندرية حيث المجتمع أكثر تحررًا من القاهرة وبدأت فرقته عملها المسرحي في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٧٦ وكانت مكونة من اثني عشر ممثلًا وأربع ممثلات. وكانت رواياتها الأولى مقتبسة عن المسرح الكلاسيكي الفرنسي وتقدم على مسرح «زيزينيا» بالإسكندرية.

ومنذ عام ١٨٧٨ اشترك مع أديب إسحق، الصحافي والأديب والمؤلف المسرحي، في أكثر من عمل فني ورافقه في رحلاته بين الشام ومصر، وعاونه في تحرير جريدة «مصر» التي صدرت في القاهرة عام ١٨٧٨. وكان أديب إسحق على صلة مستمرة بجمال الدين الأفغاني. ثم أصدرا في العام نفسه جريدة يومية باسم «التجارة» كان يكتب فيها الأفغاني باسمه الصريح أو باسم مستعار بتوقيع «مظهر بن وضاح» كذلك كتب فيها مؤلفون كبار من طراز الشيخ محمد عبده، وعبد الله النديم وإبراهيم اللقاني. وما لبثت السلطات المصرية أن أغلقت هاتين الجريدتين فأصدر الثنائي (إسحق ـ النقاش) جريدتي «العصر الجديد» و«المحروسة» عام ١٨٨٠، وكان شعار «المحروسة»: «مصر للمصريين» الذي أصبح شعار الحركة الوطنية المصرية كلها بعد أن تبناه سعد زغلول وحزب الوفد. ترك مقالات كثيرة جمعت تحت هذا العنوان «مصر للمصريين» في خمسة مجلدات صدرت في القاهرة عام ١٨٨٤.

كان سليم النقاش واحدًا من أبرز الصحافيين الذين عملوا في الحقل الفني المسرحي أو بالأحرى من أبرز الفنانيين الذين انتقلوا من المسرح إلى الصحافة ونالوا شهرة واسعة وتعتبر مقالاته إرهاصات مبكرة لاتجاهات الحياة السياسية في مصر والمشرق العربي ضد الاحتلال البريطاني.

ـ **عبد الله هاشم**: ولد في العاقورة بجبل لبنان عام ١٨٣٦، حصل على دراسة ابتدائية وثانوية في العاقورة وبيروت وعمل في إدارة المتصرفية أيام داود باشا. كان على علاقة وثيقة بزعيم بشرّي يوسف كرم مما اضطره إلى مغادرة جبل لبنان إلى

اللاذقية عام ١٨٦٦ بعد ترحيل كرم من المتصرفية إلى الخارج. التجأ عبد الله هاشم إلى القنصل الفرنسي في يافا الذي أمن حمايته من ملاحقة داود باشا له نظرًا لنفوذ القناصل الأجانب في السلطنة العثمانية آنذاك. ثم قرر عبد الله الهجرة إلى الإسكندرية وعمل في تجارة الدخان برأسمال صغير. لم يكن قد مارس العمل التجاري من قبل ولم يترعرع في أسرة تمارس التجارة فلم ينجح في البداية. ترك الإسكندرية متوجهًا إلى الأرياف أو الصعيد المصري وعمل في تجارة الغلال والتبن. ازدهرت تجارته وتملك خمسين فدانًا زرعها بالتبغ. ثم انتقل إلى مديرية المنيا وعمل مقاولًا لترميم الأبنية الحكومية في مديرية جرجا وأصبح، بعد فترة وجيزة، أبرز المقاولين لاستيراد وبيع الأحجار وبناء القناطر في مديريات جرجا وبني سويف والمنيا. أقام شراكة مع المقاول المشهور شكري مرعب فجمع ثروة كبيرة وامتلك أراضي شاسعة في المديريات المشار إليها، وتوسعت أعماله نحو أسيوط حيث تملك ستمائة فدان واستأجر أربعة آلاف أخرى.

نموذج عبد الله هاشم بالغ الدلالة؛ فالموظف الصغير المطرود من متصرفية جبل لبنان والذي لا يمتلك أية ثروة أو خبرة تجارية أو أقرباء في بلد المهجر، قد أصبح تاجرًا ومقاولًا وملاكًا عقاريًا وصاحب نفوذ واسع في الصعيد المصري قبل أن يستقر في أسيوط.

فالتبدل السريع الحاصل في المجتمع المصري آنذاك سمح لعدد وافر من المهاجرين الشوام بجمع الثروة والنجاح في العمل التجاري والتملك العقاري بسبب الخبرة الموروثة أو المكتسبة لدى هؤلاء المهاجرين وانخراطهم في أعمال متنوعة سعيًا وراء الربح السريع والثروة الكبيرة، سواء في المدن المصرية الكبرى أو في الأرياف.

وعرف من أسرة الهاشم أيضًا توفيق عساف هاشم الذي ولد في بكفيا عام ١٩٠٢ وتعلم في مدرستها وأكمل دراسته في بيروت فنال شهادة الصيدلة من العهد الفرنسي للآباء اليسوعيين. هاجر إلى مصر واستقر بالإسكندرية حيث زاول العمل الصيدلي.

ـ **آل يزبك**: عائلة كبيرة ومعروفة في بكفيا حيث ولد حبيب يزبك عام ١٨٤٢ وتلقى علومه في مدرسة غزير اليسوعية. سافر إلى مصر وتعلم الحقوق ومارس العمل التجاري فجمع ثروة كبيرة واقتنى أراضي واسعة توفي في مصر عام ١٩١٠.

ـ فياض يزبك: ولد في بكفيا عام ١٨٥٠، ودرس في غزير ثم سافر إلى مصر للعمل التجاري. استقر في دمنهور وعين وكيلًا لقنصل فرنسا فيها. توفي ودفن في دمنهور.

ـ نجيب بك يزبك: من مواليد بكفيا عام ١٨٦٦، درس في عينطورة ثم سافر إلى مصر فعمل في الوظائف الحكومية ونال لقب بك من الرتبة الثانية من الخديو عباس حلمي. توفي في مصر عام ١٩١٦.

ـ **سليم يزبك وفيليب يزبك**: مارسا المحاماة بعد أن تعلما في مدارس مصر واستقرا هناك. ودرس شقيقهما الدكتور إدوار يزبك المولود عام ١٨٨٨ في مدارس الفرير في مصر وتخرج طبيبًا بيطريًا عام ١٩١٤. أقام في مدينة طنطا وعين مفتشًا للصحة في مديرية الغربية وكان أبناء التاجر سليمان يزبك الثلاثة من أصحاب المهن الحرة.

ـ الدكتور هنري يوسف يزبك: ولد عام ١٨٩٤. درس في عينطورة وتخرج فيها عام ١٩٠٨، ودرس الطب في الجامعة اليسوعية في بيروت وتخرج فيها عام ١٩١٢. رجع إلى مصر وعين طبيبًا في مصلحة الصحة المصرية منذ عام ١٩١٣ واستقر هناك.

ـ ميشال ملحم يزبك: ولد عام ١٩٠١ في الإسكندرية لأسرة مهاجرة تخرج في مدرسة الفرير فيها ثم عاد إلى لبنان أيام حكم ترابو (Trabaud) وعمل في غرفته الإدارية وفي إدارة سكة الحديد في سوريا ولبنان واستقر فيه نهائيًا.

يشبه تاريخ هذه الأسرة تاريخ الأسر المهاجرة إلى مصر خلال تلك الفترة حيث تبرز فئة المثقفين من أصحاب المهن الحرة لدى الجيل الثالث مع استقرار في مصر أو بواكير العودة إلى لبنان بعد عام ١٩٢٠، وعرف من الأسرة أيضًا أنطون يزبك الذي نال شهرة واسعة في مصر بسبب رواياته الكثيرة وأبرزها «عاصفة في بيت» و«الذبائح».

ـ **بشارة يواكيم**: فنان موهوب شارك في عدد كبير من المسرحيات الناجحة واعتبر من الفنانين الشعبيين. ليست لدينا معلومات وافية حوله.

ـ **قسطندي يوسف**: ولد في اللاذقية وتعلم في مدارسها وعمل في وظائف عليا في متصرفيتها في أواخر القرن التاسع عشر. أتقن العربية والفرنسية واليونانية والإنجليزية والتركية. هاجر إلى مصر وكان إنجليزي النزعة فعينته الحكومة البريطانية الترجمان الأول لها في مالطة ثم نقلته إلى القاهرة وبقي فيها حتى التقاعد. اقتصر عمله على الوظيفة ولم يمارس نشاطًا علميًا معروفًا في حقل الترجمة.

متى بدأت هجرة الشوام إلى مصر؟
من أي المدن جاءوا؟
وفي أي المدن المصرية استقروا؟
وما الأسباب التي تقف وراء تلك الهجرات المتتالية؟

هذه الأسئلة وغيرها الكثير يجيب عنها هذا الكتاب المرجع. والذي يحلل بمنهجية علمية، وأسلوب ناصع، وتوثيق مدهش كل ما يتعلق بهجرة الشوام إلى مصر، متناولا أهم الأنشطة والأعمال التي التحق بها الشوام، أو طوروها، أو أسسوها في مصر، ولماذا برعوا في هذه الأعمال بالتحديد، كما يلقي الضوء على البعدين العائلي والطائفي وتأثيرهما على جاليات الشوام في المدن المصرية، ثم مصادر ثقافة الشوام وكيف أفسحت لهم المجال واسعا في الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية المصرية منذ عصر محمد علي حتى عصر جمال عبد الناصر.

مسعود ضاهر: المفكر وأستاذ التاريخ اللبناني، نال الدكتوراه من السربون، ويدرّس في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٧٣، كما عمل أستاذا زائرا في طوكيو، وجورج تاون (واشنطن)، وانتدب كذلك خبيرا للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة عام ٢٠٠٤. من أبرز مؤلفاته بالعربية: «الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ١٦٩٧–١٨٦١»، و«المشرق العربي المعاصر: من البداوة إلى الدولة الحديثة»، و«الدولة والمجتمع في المشرق العربي ١٨٤٠–١٩٩٠»، و«مشكلات بناء الدولة الحديثة في الوطن العربي»، و«النهضة العربية والنهضة اليابانية: تشابه المقدمات واختلاف النتائج».

هجرة الشوام





تصميم الغلاف **عمرو الكفراوى**